الحركة العلمية الحنبلية و أثرها في المشرق الإسلامي

– خلال القرنين : السادس و السابع الهجريين /12-13 م –

- أطروحة دكتوراه دولة نالت درجة مشرّف جدا من جامعة الجزائر سنة 2003 -

الأستاذ الدكتور
خالد كبير علال

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

التعريف بالبحث :

تتناول هذه الأطروحة موضوع النشاط العلمي للطائفة الحنبلية في المشرق الإسلامي،من حيث مظاهره،و مؤسساته،و تراثه ،و تأثيراته ،و قد عنونته ب :الحركة العلمية الحنبلية و أثرها في المشرق الإسلامي،في القرنين السادس و السابع الهجريين/ 13- 12م. واقصد بمصطلح: ((الحركة العلمية))،التيار الذي يمثل الجانب العلمي من حياة الجماعة الحنبلية؛و أعني باستعمالي لعبارة: العلمية ،كل عمل فكري استخدم فيه الكتاب،أو القلم ،أو كلاهما،و قد فضلتها عن كلمتي ،((العقلية)) و ((الفكرية)) ،لأنها أكثر دقة منهما، و هما لا يخلو منهما أي نشاط إنساني ،مهما كان نوعه و حجمه .

وقد حددت الإطار الزمني للبحث بقرنين، هما:السادس و السابع الهجريان/ 12 –13م ،لاعتبارين أساسيين ،الأول هو إني بدأته بالسادس ،لأنه مسبوق ببحثي- في رسالة الماجستير- عن الحنابلة في بغداد،من القرن الثالث ،إلى الخامس الهجري/ 11 –9م فمن الطبيعي إذا أن يأتي بعده ،ليرتبط به ،و يكمله،و يكون امتدادا له. و الثاني هو أن الحركة العلمية الحنبلية اتسع نطاقها ،و بلغت أوجها خلال هذين القرنين،من حيث قوة فاعليتها ،و زخمها ،و كثرة مواردها و مؤسساتها حتى أنها لم تكن تملك أية مدرسة –بالمعنى الحديث- في القرن الخامس الهجري/11م لكنها أصبحت تملك ستة و ثلاثين مدرسة خاصة ،وإحدى عشرة مدرسة مشتركة،خلال هذين القرنين . وأما إطاره المكاني فهو المشرق الإسلامي ،و يشمل الديار المصرية ،و الشام ،و العراق ،والجزيرة العربية ،وبلاد فارس ،و خراسان ،و خوارزم ،مع العلم أنه لم يكن للحنابلة وجود بالمغرب والأندلس .

وفيما يخص الدراسات المتخصصة في الحياة العلمية الحنبلية خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ 13 –12 م،فإني لم أعثر على أي بحث منها،لكنني عثرت على مصنفات،ومقالات بعضها له علاقة مباشرة بحياة الجماعة الحنبلية عامة،في أزمنة مختلفة،و بعضها الأخر هو دراسات عن الحياة العلمية بالمشرق عامة، و قد تطرقت لهذه الأبحاث بالتفصيل في مبحث نقد المصادر و المراجع. وأشير هنا إلى أن البحث الذي أنجزته عن الحنابلة في بغداد يختلف عن موضوع أطروحة الدكتوراه ،فالأول يشمل كل جوانب حياة الحنابلة ببغداد من القرن الثالث إلى الخامس/ 11 –9م؛و الثاني خاص بالنشاط العلمي للحنابلة في المشرق الإسلامي ككل خلال القرنين السادس و السابع الهجريين/13- 12م .

و أما عن أسباب اختياري لهذا البحث كموضوع لأطروحة الدكتوراه ،فإني اخترته لثلاثة أسباب ،أولها أنه يكمل دراستي التي أنجزيها عن الحنابلة في بغداد .والثاني اعتقادي أن هذا البحث يحمل جديدا،لأنه يتناول بالدراسة جانبا هاما من حياة طائفة مذهبية نشطة مغمورة،و مطموس كثير من تاريخها. والثالث أنه يلبي رغبتي في مواصلة البحث عن الجماعة الحنبلية،ويمكنني من الإطلاع على المزيد من تاريخها .

إشكالية البحث و أهدافه :

لتوضيح إشكالية البحث و إبراز جوانبها،نطرح سؤالين أساسيين ،هما: ما هي مظاهر الحركة العلمية الحنبلية ؟ و ما هو تأثيرها في المجتمع و تأثرها به ؟،والإجابة عن هذين السؤالين هو حل للإشكالية،و تحقيق للأهداف المتوخاة من البحث ،و التي منها:

- الكشف عن الجانب العلمي من حياة الطائف الحنبلية .
- المساعدة على عقد مقارنات بين القدرات العلمية للحنابلة ،بين قدرات الفرق الإسلامية الأخرى
- معرفة الجزئيات عن الحركة العلمية الحنبلية بالأرقام ،من حيث تراثها ،وعلمائها،و مؤسساتها .
- جمع إحصائيات عن النشاط العلمي الحنبلي ،لاستخدامها في إنشاء الجداول ،و الرسومات البيانية.
- التعرف على نوعية القضايا العلمية والمذهبة التي شغلت علماء الحنابلة .
- الاطلاع على التراث العلمي الحنبلي على اختلاف موضوعاته و فنونه .

- التعرف على مشاهير علماء الحنابلة ،ومغموريهم .
- الكشف عن تأثيرات المدرسة الحنبلية ،في غيرها من المدارس،و مدى تأثرها بها .

منهج البحث :

اعتمدت أولا ،على المنهج الاستردادي ،وهو منهج يغلب عليه الوصف،وتقوم عليه كل الدراسات التاريخية بحكم أن الباحث في التاريخ عليه- قبل كل شيء- أن يسترجع الحوادث التي يريد دراستها،ثم يقبل على خطوات أخرى.واستعنت ثانيا،بمناهج مساعدة في مواضع كثيرة من البحث ،و بدرجات متفاوتة،منها: المنهج الإحصائي ،والمنهج المقارن ،و المنهج النقدي التحليلي . و إلى جانب هذه المناهج ،استخدمت وسائل الإيضاح ،و هي أدوات تعمق البحث ،وتثريه،و تسهل فهمه،وتحول بعض جوانبه إلى كم رقمي،و قد بلغ ما ذكرته منها في المتن ،ثمانين،منها ثلاثة وعشرون جدولا،و سبعة عشر رسما بيانيا ،وخمس خرائط ،و ستة و عشرون شكلا ،و تسع صور .

خطة البحث :

تضمنت الأطروحة : مقدمة،و مبحثا لنقد المصادر والمراجع ،وتمهيدا ،وستة فصول،و خاتمة،وملاحق،وفهارس . فتطرقت في مبحث نقد المصادر و المراجع، لنقد أهم المؤلفات التي اعتمدت عليها لإنجاز البحث ،و مجموعها واحد و ستين مصنفا،وقسمتها إلى مجموعات حسب موضوعاتها و نوعيتها، منها : سبع من المصادر،و أربع من المراجع .

و خصصت التمهيد لأوضاع الحركة العلمية الحنبلية في المشرق الإسلامي،خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ 11م،لأنه بمثابة الأرضية التي يبنى عليها البحث،و لم أر داعيا لتوسيعه حتى يشمل الأوضاع العلمية العامة بالمشرق ككل،لأن الموضوع يخص الحنابلة دون سواهم. وقد تطرقت فيه-بإيجاز مركز- للنشاط العلمي الحنبلي،من حيث مواطن تمركزه ،و مؤسساته،و تراثه ،و مجالسه العلمية .

وتناولت في الفصل الأول،مجهودات علماء الحنابلة في تحصيل العلم و نشره،من حيث رحلاتهم ،واجتهاداتهم ،وتضحياتهم،و جمعهم بين الاشتغال بالعلم و التكسب،وتبحرهم في العلوم و تخصصهم فيها،و عقدهم لمجالس العلم و نشرهم لمذهبهم .و تطرقت فيه كذلك ،للعالمات الحنبليات ،و الأسر العلمية الحنبلية،التي توارثت العلم،و ساهمت بقسط كبير في دعم الحركة العلمية الحنبلة ،و تفعيلها .

و أفردت الفصل الثاني ،للمؤسسات العلمية الحنبلية،فبدأت بمساجدهم ،في بغداد ،و دمشق ،و حران ،و مصر ،و همذان ،و في غيرها من المدن،وتطرقت لنشاطهم في بعضها،و في الحرم المكي ،و بيت المقدس ،و الجامع الأموي .ثم ركزت على مدارسهم،من حيث مواقعها ،و مؤسسيها ، و مرافقها ،و أوقافها ،و مدرسيها،و نشاطها ,وبعدها انتقلت إلى مكتباتهم،و زواياهم ،و أربطتهم ،و تربهم،ثم ختمت الفصل بجدول عام لمجموع مؤسساتهم العلمية

وخصصت الفصل الثالث لمواقف علماء الحنابلة، من القضايا الفكرية التي شهدها عصرهم،في القرنين السادس و السابع الهجريين /12-13م،و فيه ثلاثة مباحث في مسائل علم الكلام و أصول الدين ،كمسألة معرفة الله-عز و جل-،و دور العقل في تحسين الأشياء و تقبيحها،و مسألة الحكمة و السببية في الكون. والثاني في قضية الاجتهاد و التقليد، تعرضت فيه لمواقف علماء الحنابلة من القضية و لمسألة القول بوجوب تقليد الأئمة الأربعة،ثم أوردت نماذج من مظاهر التقليد و التعصب المذهبيين عند العلماء و العوام .و الثالث تناولت فيه قضايا فقهية و حديثية،كمسألة الغناء ،والطلاق الثلاث ،و خبر الآحاد .

وأفردت الفصل الرابع للنقد العلمي عند علماء الحنابلة ،في مختلف مجالات المعرفة،وفيه ستة مباحث منها ،مبحث في النقد التاريخي عند المؤرخ عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي(ت597هـ/1200م)،وشيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية(ت728هـ/1327م).و الثاني في نقد علم الكلام و الفلسفة،لكبار نقاد علماء الحنابلة.و المباحث المتبقية هي في نقد التصوف و أهله ،و نقد مقامات الحريري الأدبية ،و نقد بعض المصنفات ،و نقد علماء الشريعة و عامة الناس .

وتطرقت في الفصل الخامس لتراث الحنابلة العلمي ،خلال القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م،و فيه مبحث عن كبار المصنفين الحنابلة ،كأبي الحسن بن الزاغوني البغدادي(ت527هـ/1132م و ابن الجوزي ،و الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي(ت600هـ/1203م).و بعهده تناولت مؤلفاتهم في شتى مجالات العلوم ،كالفقه و الحديث و علوم القرآن، وعلم الكلام و أصول الدين، والتاريخ و اللغة والأدب ،ثم ختمت الفصل بجدول شامل لمجموع مصنفاتهم و مثلته في رسم بياني بالأعمدة .

وأما الفصل الأخير لمظاهر تأثر علماء الحنابلة بالأفكار المعاصرة لهم ،و تأثيرهم فيها ،و فيه أربعة مباحث ،الأول عن تأثرهم بعلم الكلام و الفلسفة ،و الثاني عن تأثرهم بالتصوف و التشيع، والثالث عن تأثرهم بالمذاهب الفقهية السنية الثلاثة .وقسمتهم في تأثرهم بأفكار غيرهم إلى طائفتين ،واحدة بقيت محافظة علي مذهبها الحنبلي ،و الثانية تركته ،و تحولت إلى مذاهب أخرى ،و المبحث الأخير أفردته لمظاهر تأثير علماء الحنابلة في مجتمعهم، على مستوى الأفكار والسلوك .

ثم أنهيت البحث بخاتمة ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها، وبعدها ألحقت بالأطروحة خمسة ملاحق ،من بينها جدول عام لأهم الإحصائيات الواردة في البحث و الباقي نصوص مختارة . ثم ختمتها بأحد عشرة فهرسا ،منها فهرس الرسومات البيانية ،وفهرس الخرائط و الصور .

تنبيهات وتبريرات:

رأيت من المفيد جدا الإشارة إلى جملة تنبيهات و تبريرات،اخترت منها خمسة ،أولها هو إني أدخلت في البحث نشاط علماء الحنابلة،الذين عاشوا معظم حياتهم في القرن السابع الهجري/13م،و ماتوا في الثلث الأول الهجري/14م، كالشيخ تقي الدين بن تيمية الحراني ،المولود سنة661هـ/1262م، و المتوفى سنة728م/1329م لأن نشاطهم الأخير هو – في غالب الأحيان–استمرار لحياتهم العلمية السابقة في توجهاتها العامة . والثاني هو إني لم أعرّف بمعظم الأعلام في الهوامش ،للتخفيف على القارئ ،و عدم إثقال الهوامش بكثرة الإحالات،و واكتفيت بالتعريف لها في المتن ، كقولنا :الحافظ أبو الفضل بن ناصر البغدادي الحنبلي(ت550هـ/1155م)،فنكون قد عرّفنا به ،بذكر تخصصه العلمي،و كنيته ،و اسمه ،و نسبه،و بلده ،و مذهبه ،و سنة وفاته بالهجري و الميلادي .

والثالث هو إني كثيرا ما جمعت في الإحالة ذات الترقيم الواحد،كتابين فأكثر عن نفس الحادثة الواحدة ،و لم أر في ذلك عيبا على ما قد يذهب إليه بعض الباحثين،بل في ذكري لها فوائد، منها إثراء البحث ،و إفادة القراء و المختصين ،و إظهار مجهودات الطالب في تتبعه لمصادره و مراجعه . والرابع هو إني أضفت الفصل السادس إلى الأطروحة،ولم أدمجه مع فصل أخر ،رغم قلة مادته ،وصغر حجمه ، لأني رأيت من المفيد إلحاقه بالبحث كفصل مستقل ،لأهميته ،و استقلالية فكرته .

والخامس هو أنه واجهتني في إنجازي لهذه الأطروحة صعوبات كثيرة، هي من طبيعة البحث العلمي المتخصص ،كصعوبة جمع المادة التاريخية المبعثرة في بطون المصنفات،و المعاناة في فرزها ،و ترتيبها ،و ربطها ،و تحليلها. و منها ما هو خاص بموضوع بحثي هذا ،كندرة المصادر الحنبلية ،و قلة المراجع المتخصصة فيه ،و قد كلفتني تلك الصعوبات مجهودات مادية ،و معنوية مضنية، و أخذت مني أوقاتا طويلة ، لكنني ذللت معظمها ،و استعذبتها بفضل الله وعونه .

وفي الختام أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدني في إنجاز هذه الأطروحة، و اخص بالذكر اثنين : الأول أستاذي الدكتور عبد الحميد حاجيات الذي أشرف على البحث وشجعني عليه ،و الثاني أستاذي الدكتور موسى لقبال ،الذي ساعدني في تحديد موضوع البحث و ضبطه .

و الله الموفق لما يحبه و يرضاه

خالد كبير علال

نقد المصادر والمراجع

رجعت في إنجازي لموضوع : الحركة العلمية الحنبلية وأثرها بالمشرق الإسلامي في القرنين السادس والسابع الهجريين/ 12-13م،إلى أكثر من ثلاثمائة و تسعين كتابا ،من بينها مؤلفات متخصصة ،وأخرى عامة ومساعدة ، اقتصر على نقد طائفة منها ،مبتدءا بالمصادر أولا ،ثم المراجع ثانيا .

أولا المصادر :

قسمت المصادر –تسهيلا لنقدها– إلى سبع مجموعات ،أولها كتب الطبقات والتراجم ، اذكر منها، عشرة مصنفات ، أولها طبقات الحنابلة، للفقيه أبي الحسين بن أبي يعلى الفراء البغدادي الحنبلي (ت526هـ/1113م)،ترجم فيه للإمام احمد ،و أصحابه ،و تلامذته ، و أتباعه من بعده ،حسب طبقاتهم إلى سنة513هـ/1119م،وقد أورد فيه مادة تاريخية غزيرة عن الطائفة الحنبلية؛و ألحق به نصوصا و رسائل ،لها أهمية بالغة في التراث العلمي الحنبلي[1]و كان يظهر تحيزه لأصحابه ،و لا يخفي تعصبه لهم و تهجمه على خصومهم[2]. ويعد كتابه هذا أهم مصدر يرجع إليه في التأريخ للحنابلة من القرن الثالث إلى الخامس الهجري/ 9-11م ؛ لكنني لم استفد منه كثيرا لأن معظم حوادثه تخص القرن الخامس الهجري/ 11م و ما قبله ،و التي تدخل في القرن السادس الهجري/ 12م لم يتوسع فيها المؤلف[3] ،لكنه أفادني كثيرا في التمهيد للحركة العلمية الحنبلية في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ 11م .

والكتاب الثاني هو :الذيل على طبقات الحنابلة[4] ،للحافظ زين الدين بن رجب البغدادي الحنبلي (ت 795هـ/ 1392م) جعله ذيلا لطبقات الحنابلة ،لأبي الحسين بن أبي يعلى ،و رتبه على الوفيات ،لا على الأحرف كما فعل الأول ؛و كتابه هذا تاريخ حافل بالأخبار عن الحنابلة

[1] طبقات الحنابلة ،حققه محمد حامد الفقي ،مصر ،مطبعة السنة المحمدية ،1962 ج 2 ص :19 128 184 185 210 211 .

[2] نفس المصدر ، ج 2 ص : 239 .

[3] انظر نفس المصدر ،ج 2 ص :259 .

[4] اعتمدت على طبعتين ،الأولى حققها سامي الدهان وهنري لاوست،وحققا الجزء الأول فقط ، نشره بدمشق المعهد الفرنسي للدراسات العربية ،سنة 1370هـ/ 1951م ،و نرمز لهذه الطبعة ب : ط د . والثانية ، حققها محمد حامد الفقي في جزأين ، القاهرة ،مطبعة السنة المحمدية ،1372 هـ/1953 م ،ونرمز لهذه الطبعة ب : ط ق .

ومذهبهم،على امتداد قرابة ثلاثة قرون من سنة 460 هـ/1067م ،إلى سنة 751هـ/ 1350م؛و قد احتوى على نصوص و رسائل عديدة ،منها رسالة من الفقيه موفق الدين بن قدامة المقدسي الحنبلي(ت620 هـ/ 1223م) إلى الفقيه فخر الدين بن تيمية الحراني الحنبلي(ت 622هـ/ 1252م)،موضوعها مسألة تخليد أهل البدع-المحكوم بكفرهم-في النار[1]،ومنها رسالتان متبادلتان بين الفقيهين الموفق بن قدامة ،و ناصح الدين بن الحنبلي الدمشقي(ت634 هـ/ 1236م) ،تخص مسألة الغناء[2] .و فيه كذلك ،فتاوى ،و اختيارات فقهية كثيرة ،لكبار علماء الحنابلة،كأبي الخطاب محفوظ الكلوذاني البغدادي(ت 510هـ/1116م)،و أبي الوفاء بن عقيل البغدادي[3] (ت513 ،وابن الجوزي ،والموفق بن قدامة[4].و قد وثق ابن رجب كتابه بذكره لمصادره ،وعزوه الرويات لأصحابها[5]. كما انه لم يكتف بالنقل والسرد للحوادث ،بل كثيرا ما كان يعلق ،و يناقش ،و يرجح ،مبديا رأيه في كثير من المسائل التي يتطرق إليها[6] .

و فاتت ابن رجب بعض الشخصيات الحنبلية لم يترجم لها في كتابه هذا ، منها الواعظ أبو الحسن علي بن الحسن الدولعي البغدادي (ت526هـ/1131م)[7]،و الفقيه أبو الفرج بن حمدي البغدادي[8](ت563هـ/1167م)،و الصوفي جاكير محمد بن دشم الكردي السامري(ت 580 هـ/ 1193م)[9]،كما أنه لم يترجم للنساء العالمات الحنبليات، و هن كثيرات جدا ،أحصيتُ من هن أزيد من خمسين امرأة [10]،و لا أدر سبب إغفاله لهن ، رغم أنه لم يشترط في كتابه أنه يترجم للرجال دون النساء[11]،فعدم ذكره لهن أنقص من أهمية كتابه ،و أوجد فيه فراغا كبيرا .

---

[1] نفس المصدر ،ج 2 ،ص : 154 .

[2] انظر ،نفس المصدر ج 2 ص:195 و ما بعدها .

[3] يجب عدم الخلط بين هذا وبين ابن عقيل اللغوي صاحب كتاب شرح ألفية ابن مالك محمد ماهر حمادة :المصادر العربية و المعربة ط5،بيروت مؤسسة الرسالة ، 1406هـ ص :199 .

[4] عن هؤلاء انظر ،نفس المصدر ، ج 1 ص :47 ،190،(ط د) و ج 1 ص:234،232 ،(ط ق) ،و ج 2 ص :144 (ط ق) .

[5] انظر –مثلا- نفس المصدر ج 1 ص : 366،368 369،379 (ط ق) .

[6] انظر-مثلا- نفس المصدر ،ج 1 ص :153 154 192، (ط د) .

[7] ابن النجار : ذيل تاريخ بغداد ،حققه مصطفى عبد القدر عطا ، ط 1 بيروت ، دار الكتب العلمية ،1999 .

[8] ابن الدبيثي :ذيل تاريخ مدينة السلام ،حققه بشار عواد،العراق ، دار الرشيد ،1979 ، ج 1 ص:102 .

[9] ابن العماد الحنبلي :شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،بيروت ،المكتب التجاري ، د ت .

[10] انظر ،مبحث :نساء عالمات حنبليات،من الفصل الأول .

[11] ابن رجب : المصدر السابق ، ج 1 ص :5 (ط د) .

و من نقائص كتابه أيضا ،أنه رغم اهتمامه بالحياة العلمية للحنابلة ،فإنه لم يركّز على مدارسهم الكثيرة ،من حيث عمرانها ،ومرافقها،و نشاطها ،و أجور أساتذتها و طلابها ؛فكان–في الغالب– يكتفي بالإشارة إلى أن فلانا بنى مدرسة ، و أن فلانا درس فيها ،دون تفاصيل أخرى[1].و مع ذلك فإن كتابه ،يعد أهم مصدر رجعت إليه في دراستي للحركة العلمية الحنبلية ،في القرنين السادس و السابع/12-13م ،و لا يساويه في ذلك مصدر أخر .

و أما الثالث فهو : المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام احمد ،للفقيه مجير الدين عبد الرحمن بن احمد العليمي المقدسي(ت928هـ/1521م)، ترجم فيه للحنابلة من القرن الثالث الهجري/9م إلى عصره .لذا فإن كتابه يعد من أوسع كتب تراجم الحنابلة ،لكنه كان –في مصنفه هذا– مجرد ناقل في معظم ما دونه عن القرون البعيدة عنه ،حتى أنه أدخل فيه معظم كتاب الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ،و نقله نقلا يكاد يكون حر فيا في مواضع كثيرة ،منها قوله عن الأديب جعفر بن احمد السراج البغدادي(ت500 هـ/1106م) و : ((كان أديبا شاعرا لطيفا صدوقا ثقة ،مأمونا عالما،فهما صالحا.و صنف كتبا حسانا ،منها :كتاب مصارع العشاق ،و كتاب حكم الصبيان ،و كتاب مناقب السودان ،وشعره مطبوع،و نظم كتبا كثيرة شعرا))[2] . وفي الذيل على طبقات الحنابلة ،و ((كان أديبا شاعرا لطيفا،صدوقا ثقة ،و صنف كتبا حسانا ،منها :كتاب مصارع العشاق، و كتاب حكم الصبيان ،و كتاب مناقب السودان ،و شعره مطبوع ,و نظم كتبا كثيرة شعرا))[3] . لكن العليمي أضاف إلى كتابه تراجم لم يذكرها ابن رجب في الذيل،منها ترجمتان ، الأولى للفقيه تاج العارفين بن محمد الحسيني البغدادي(ت501هـ /1107م)[4].و الثانية للصوفي جاكير محمد بن دشم الكري[5] .

والكتاب الرابع هو التكملة لوفيات النقلة للحفظ عبد العظيم المنذري الشافعي المصري(ت656 هـ/1158م) خصصه لأصحاب الحديث أولا ، ثم لغيرهم من طوائف العلماء الذين كان لهم اهتمام

[1] انظر –مثلا– ابن رجب : المصدر السابق ، ج 1 ص :200 ، ط د ، وج 2 ص :57 ،194 .

[2] المنهج الأحمد ،حققه محمد محي الدين عبد الحميد ، ط 1 ،القاهرة ،مطبعة المدني ، 1338 هـ ،1963 ص :ج 2 ص :180 ، 191 .

[3] ابن رجب :المصدر السابق ،ج 1 ص :131 ط د .

[4] العليمي :المصدر السابق ، ج 2 ص :183 ،186 .

[5] نفس المصدر ،ج 2 ص :186 .

بالحديث ثانيا[1]. وقد أفادني بأخبارعن كثير من أعلام الحنابلة ،منهم الحافظ عبد العزيز بن الأخضر البغـــدادي(611 هـ/1214 م)،و المحـــدث عبـــد القـــادر الرهـــاوي ثـــم الحرانـــي(ت612 هـ/1215م)[2].ومع ذلك فإن استفادتي من كتابه ليست كثيرة لأن قسما كبيرا من تراجمه ليست ثرية بالمعلومات ،مقتصرة على الاسم والنسب وتاريخ الميلاد و الوفاة ،وشيوخ المترجم له[3]،كما أن كتابه يكاد يكون خاليا من النقد والتحقيق .

و الخـــامس كتـــاب مجمـــع الآداب فـــي معجـــم الألقـــاب ،للمـــؤرخ عبـــد الـــرزاق بـــن الفـــوَطي البغدادي(ت723هـ/1323 م)، ترجم فيه لأعيان الناس من العلماء ،و الصوفية ،و الأمراء ،بالمشرق الإسلامي عامة و العراق خاصة،و أورد فيه معلومات غزيرة عن الحياة العلمية في المنطقة[4]. وقد أفادني بأخبار عن نفسه ،وعن بعض علماء الحنابلة[5] . لكنني لم أجد في مجلداته الأربعة معلومات غزيرة عن الحنابلة ،لأنه لم يتوسع في أخبارهم[6]؛ كما أن تراجمه كثيرا ما كانت هزيلة وفقيرة من حيث المادة التاريخية ،في بعضها لا يوجد إلا الاسم[7]، و قال عن أحد الأعلام : هو ((غرس الدين أبو الحرم بن حمد بن دشم الكردي الأمير ،كان من الفرسان المذكورين ،و الشجعان المعروفين ،له ذكر في التواريخ))[8]. وقوله هذا غير صحيح ،لأن غرس الدين لم يكن أميرا ولا فارسا معروفا ، وإنما هو شيخ الزاوية الجاكيرية بسامراء ،تولى إدارتها بعد أخيه جاكير محمد[9] . كما أنه لم تكن لأبن الفوطي طريقة واحدة و شاملة يتبعها في كل تراجمه ، من حيث الإطارين الزمني و المكاني ،و المؤلفات ، و الأعمال ،و الشيوخ[10] ،و كتابه يكاد يكون خاليا من النقد ، و التحقيق ، والترجيح .

---

[1] التكملة لوفيات النقلة ،حققه بشار عواد معروف ،بغداد ،مطبعة الآداب في النجف ،1971 ، ج 4 ص:128 ،286، 311 ،346.

[2] عنهما انظر ،نفس المصدر ج 4 ص : 612 .

[3] المنذري :المصدر السابق ،ج 3 ص : 238 ،239، 244 ،329، 342 ،347 348 .

[4] تلخيص مجمع الآداب ،حققه مصطفى جواد ،دمشق ،مديرية إحياء التراث القديم ،د ت ،ق :1 ج : 4ص :112 126 153 158 185 193.

[5] انظر نفس المصدر ق : 1 ج :4 ص :126 167 ،و ق :2 ص :103 .

[6] انظر –مثلا– نفس المصدر ق :1 ج4 ص:217 319 549 .

[7] انظر ،المصدر السابق ،ق : 1 ج 4 ص : 5 6 12 15 41 109 110 298 299 300 301 :

[8] نفس المصدر ق :2 ج4 ص:1152 .

[9] نفس المصدر ، ق :2 ج ،4 هامش ص :1152-1153 .

[10] انظر نفس المصدر ،ق 1 ج 4 ص :44 45 46 47 .

وأما الكتاب السادس فهو :طبقات علماء الحديث ،للفقيه محمد بن عبد الهادي الدمشقي الحنبلي(ت 744هـ/ 1343م)،ترجم فيه للمحدثين حسب الطبقات ،من القرن الأول إلى الثامن الهجري/ 7-14 م ,و قد أفادني كثيرا بما رواه من أخبار علماء الحنابلة ،كأبي الفضل بن ناصر البغدادي ،وأبي العلاء العطار الهمذاني(ت569 هـ/1173 م)، و تقي الدين بن تيمية ،و هجرته مع أهله من حران إلى دمشق[1] .

و الكتابان السابع و الثامن هما : سير أعلام النبلاء ،و معجم شيوخ الذهبي ،للحافظ شمس الدين الذهبي الشافعي الدمشقي(ت748 هـ/1347م)،في الأول ترجم لأعيان الناس ،من العلماء ،و الصوفية ، و الأمراء ،و الخلفاء ،من القرن الأول ،إلى مطلع القرن الثامن الهجري/ 7-14 م؛ و أورد فيه مادة تاريخية و فيرة تمس مختلف جوانب حياة الأعلام المترجمين[2]. و مما رواه عن نشاط علماء الحنابلة العلمي ،بناء شرف الإسلام عبد الوهاب بن عبد الواحد الدمشقي(ت536 هـ/ 1141م)،للمدرسة الحنبلة بدمشق[3] ،و وقف الوزير عون الدين بن هبيرة(ت560 هـ/ 1164م) لكتبه في مدرسته ببغداد[4] .

وكتابه الثاني خصصه لشيوخه الذين أخذ عنهم العلم ،من بينهم أكثر من أربع و عشرين امرأة محدثة[5] ؛من بينهن محدثات حنبليات كان لهن نشاط علمي ساهمن به في تفعيل الحركة العلمية الحنبلية بالمشرق الإسلامي ،نذكر منهن ،خديجة بنت احمد بن عبد الدائم الدمشقية(ت685 هـ/ 1286م) ،و حبيبة بنت المفتي تقي الدين احمد الدمشقية(ت 703هـ/1303م)[6] .

و أما الكتاب التاسع من المجموعة الأولى ،فهو :الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ،للحافظ بن حجر العسقلاني(ت 852هـ/1448م)،ترجم فيه لأعيان القرن الثامن الهجري/ 14م ،و قد أفادني كثيرا بما ذكره عن الحنابلة الذين عاشوا معظم حياتهم في القرن السابع الهجري/13م ،و ماتوا في الثلث الأول من القرن الثامن الهجري/ 14م ، منهم: المحدثة ست الأهل بنت علوان

---

[1] طبقات علماء الحديث ،حققه أكرم البوشي ،و إبراهيم الزيبق ،ط1 ،بيروت مؤسسة الرسالة ،1996 ، ج 4 ص :3 1ذ00 154 281 ،و ما بعدها .

[2] سير أعلام النبلاء ،حققه فريقمن العلماء ،ط 3 ،بيروت ، مؤسسة الرسالة ،1985 ،ج 22 ص :121 122 144 145 .147

[3] نفس المصدر ،ج 20 ص :104 .

[4] نفس المصدر ،ج 20 ص :431 .

[5] معجم شيوخ الذهبي ،حققه روحية عبد الرحمن السيوفي ،ط 1 ،بيروت ، دار الكتيب العلمية ،1410 هـ 1990 م ،ص :176 184 198 204 ،و ما بعدها .

[6] عنهما انظر ،نفس المصدر ص :176 181 .

البعلية(ت703هـ/ 1303م)،والصوفي احمد بن إبراهيم المقدسي(ت710هـ/1310م)[1]،وست الفقهاء أمة الرحمن بنت إبراهيم الدمشقية(ت726هـ/ 1325م)،و تقي الدين بن تيمية(ت7128هـ/ 1327م)[2] .

والعاشر كتاب : شذرات الذهب في أخبار من ذهب[3] ،للمؤرخ شهاب الدين أبي الفلاح بن العماد الحنبلي(ت1089هـ/ 1678م)،جمع فيه بين التراجم و الحوادث ،مع التركيز على التراجم ،وذكر فبه الوفيات حسب السنين ،من القرن الأول إلى نهاية القرن العاشر الهجري/ 7-16 م ،وفيما يخص التراجم ،فإنه أدخل في كتابه معظم ما كتبه ابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة[4]؛ونقل عنه نقلا حرفيا في كثير من الأحيان،من ذلك قوله عن الفقيه محمد بن عبد الولي المقدسي(ت683هـ/1284م) : ((سمع بدمشق من أبي القاسم بن صصرى وغيره،و ببغداد من أبي الحسن القطيعي و طبقته ،وكان فاضلا متقنا صالحا ،و هو والد الشيخ شهاب الدين بن جبارة))[5] ،و عند ابن رجب ((سمع بدمشق من أبي القاسم بن صصرى وغيره ، وببغداد من أبي الحسن القطيعي وطبقته ،وكان فاضلا متقنا صالحا،وهو والد الشيخ شهاب الدين بن جبارة))[6]؛لكن ابن العماد ترجم للنساء الحنبليات في شذراته في حين أغفلهن ابن رجب في ذيله ،و من اللائي ذكرهن : المحدثة بنت الواسطي الدمشقية(ت692 هـ/ 1292م)،و الفقيهة زينب بنت عباس البغدادية ثم المصرية(ت714هـ/1314م)[7] .

و أما المجموعة الثانية من المصادر فتشمل التواريخ العامة ،ومنها خمسة مصنفات ،أولها المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ،لعبد الرحمن بن الجوزي(ت597هـ/ 1200م)،جمع فيه بين الحوادث و التراجم بالنسبة للعصر الإسلامي ،من القرن الأول الهجري/7م ،إلى سنة 574هـ/ 1178م، وقد أفادني بمعلومات غزيرة عن الحياة العلمية الحنبلية ببغداد،في القرن السادس الهجري/12م ،منها

---

[1] عنهما انظر ،الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ،بيروت دار الجيل ، 1993 ،ج1 ص : 81 ج 2 ص:152 .

[2] انظر نفس المصدر ،ج 1 ص :144 ج 2 ص :127 .

[3] رجعت إلى ثلاث طبعات ،الأولى نشرها ببيروت المكتب التجاري (د ت)،و الثانية نشرتها بدمشق دار بن كثير ،ط 1 ،(سنوات النشر مختلفة حسب المجلدات) والثالثة نشرتها ببيروت دار الأفاق الجديدة (د ت)،وسأكتفي بتمييز الطبعتين الأخيرتين دون الأولى ، فذلك تمييز لها .

[4] بالنسبة للذين ماتوا ما بين سنتي :460-751هـ /1067 –1350م.

[5] ابن العماد الحنبلي :المصدر السابق ،ج 5 ص :384-385 .

[6] ابن رجب : المصدر السابق ،ج 2 ص : 312 .

[7] ابن العماد الحنبلي :المصدر السابق ، ج5 ص :421 (ط م ت) و ج 6 ص: 34 (ط د الأفاق) .

إنشاء مدرسة أبي سعد المخرمي ،و مدرسة أبي حكيم النهرواني ،و مدرسة ابن هبيرة[1].كما أنه توسع في انتقاد كثير من أعيان عصره ،ذما ، و طعنا و تجريحا ،منهم :حجة الإسلام أبو حامد الغزالي(ت 505هـ/ 1111م)،و الواعظ أبو الفتح الحريمي البغدادي(ت514هـ/ 1120 م)،والمتكلم صدقة بن الحسين البغدادي الحنبلي(ت573هـ/ 1177م)[2] ،لكنه لم يهتم بنقد الأخبار[3] و تمحيصها ،ولم يركز على باقي حوادث العالم الإسلامي ،مقتصرا في غالب الأحيان على أخبار بغداد و العراق وما جاوره[4].كما أنه بالغ في مدح نفسه في مواضع عديدة من منتظمه كقوله: ((فألقيت يومئذ دروسا كثيرة ،من الأصول و الفروع ،و كان يوما مشهودا لم ير مثله))[5] ،و قال : ((و صار لي خمس مدارس ،و هذا شيء ما رأه الحنابلة إلا في زمني ،و لي مائة و ثلاثون مصنفا إلى اليوم،وهي في كل فن ،وقد تاب على يدي أكثر من مائة ألف،و قطعت أكثر من عشرين ألف طائلة –أي الشعور الطويلة–،و لم ير لواعظ قط مثل محلسي ،جمع الخليفة ،و الوزير ،و صاحب المخزن ،و كبار العلماء))[6] .

والثاني كتاب ،الكامل في التاريخ ،لعز الدين بن الأثير الجزري(ت530هـ/1232م) ،طغت عليه الحوادث السياسية و العسكرية ،لكنه لم يخل من إشارات كثيرة ،عن الحياة العلمية بالمشرق الإسلامي[7]، وأفادني بأخبار مقتضبة عن النشاط العلمي الحنبلي ببغداد[8].لكن الأمر الجدير بالإشارة إليه هو أن ابن الأثير روى في الكامل أن طائفة كبيرة من الحنابلة سكنت مدينة مرو بخراسان (انظر الخريطة رقم: 1) و كانت في نزاع طائفي مع الشافعية ،و أحرقت لهم جامعا سنة 596هـ/ 1199م[9]، لكنني حققت في الخبر و تبين لي أنه غير صحيح ، و أن ابن الأثير كان واهما فيما رواه عن الحنابلة بمدينة مرو[10] .

---

[1] المنتظم ،حيدر أباد الهند ،مجلس دائرة المعارف العثمانية ، 1359هـ ،ج 10 ص :201 203 216 .

[2] عن هؤلاء انظر،المصدر السابق ،ج 9 ص :168 169 170 221 و ج10 ص :276 و ما بعدها .

[3] أخبار القرن السادس الهجري /12م .

[4] رغم أن عنوان كتابه عام وشامل للعالم .

[5] ابن الجوزي : المصدر السابق ج10 ص :253 .

[6] نفس المصدر ،ج 10 ص :284 .

[7] الكامل في التاريخ ،ط 6 ،حققه فريق من العلماء ،بيروت دار الكتاب العربي ، د ت ، ج 9 ص : 10 23 47 69 74 98 .

[8] انظر –مثلا– نفس المصدر ج 9 ص :93 94 .

[9] نفس المصدر ج9 ص :250 .

[10] عن ذلك انظر المبحث السابع من الفصل الأول .

و أما الكتاب الثالث فهو مرآة الزمان الزمان في تاريخ الأعيان ،لشمس الدين سبط بن الجوزي الدمشقي(ت654هـ/1256 م) ،جمع فيه بين الحوادث و الوفيات ،بالنسبة للعصر الإسلامي ،من بدايته إلى زمانه هو .و قد أفادني كثيرا بما رواه عن نشاط الحنابلة ببغداد ،و دمشق ،و مصر[1] ،و كانت له في كتابه هذا ،تعليقات ،و مناقشات ،و انتقادات ، و ردود على أبي الوفاء بن عقيل ،و جده عبد الرحمن بن الجوزي[2]،لكنه سكت عن الصوفية فلم ينتقدهم ،و بالغ في مدحهم ،و تغاضى عن منكراتهم ،و رد على من قدح فيهم وذمهم[3]. و قد تعرض السبط لانتقادات لاذعة من بعض العلماء ،فاتهمه ابن تيمية بالكذب[4] ،وقال عنه ابن رجب : إنه ليس بحجة فيما ينقله من أخبار[5]،و أثبت الباحث سعيد الديوه جي أنه–أي السبط– يجازف في ذكره لبعض الأرقام مجازفات مكشوفة[6] .

و الرابع، كتاب : ذيل مرآة الزمان ،لقطب الدين موسى بن محمد اليونيني(ت726هـ/ 1325م) ،جعله ذيلا لمرآة سبط ابن الجوزي ، جمع فيه بين الحوادث و التراجم ،من سنة 654 هـ/1256م ، إلى سنة 686هـ/1287م.و لم استفد منه كثيرا فيما يخص الحياة العلمية الحنبلية بالمشرق الإسلامي ،لكنه أفادني بمعلومات قيمة عن النشاط العلمي لوالده الفقيه محمد اليونيني الحنبلي(ت658هـ/ 1259م) ،و عن مجالس الصوفية ،وسماعاتهم ،وحضوره معهم[7] . غير أنه يعاب عليه ،إكثاره من الأشعار ،ومبالغته في الاهتمام بالحوادث السياسة و العسكرية ،على حساب جوانب الحياة الأخرى[8] ،و إهماله للنقد والتحقيق،وميله لمدح كل الناس[9] .

و أما الخامس من المجموعة الثانية هو :البداية والنهاية ،لأبي الفدا بن كثير الدمشقي(ت774هـ/1372م)،خصصه للحوادث و الوفيات ،بالنسبة للعصر الإسلامي ،من بداية الدعوة الإسلامية ،إلى القرن الثامن الهجري/ 14م و قد أفادني بمادة تاريخية غزيرة عن الحنابلة في

---

[1] مرآة الزمان ،ط1 ،حيدر أباد ،الهند ،مجلس دائرة المعارف العثمانية ،د ت ،ج8 ص :66 67 83 177 264 414 .

[2] نفس المصدر ،ج 8 ص :14 18 19 24 25 63 64 150 159 .

[3] نفس المصدر ،ج 8 ص :131 243 251 268 .

[4] ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ،بيروت دار الكتب العلمية ،د ت ، ج 2 ص :133 .

[5] من ذلك أنه روى أن ابن عقيل زار الشام ونزل بدمشق ،والقدس ،و حلب ، هذا غير معروف عن ابن عقيل ،ابن رجب :المصدر السابق ،ج1 ص :236 (ط د) .

[6] من ذلك أنه روى أن بالموصل ،ثمانين مدرسة للحديث ،لكن الصواب هو أنه كان بها :18 مدرسة للحديث فقط .سعيد الديوه جي :تاريخ ،الموصل ،بغداد ،مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، 1982 ،ج 1 ص :368 369 .

[7] قطب الدين اليونيني :ذيل مرآة الزمان ،ط1 ،الهند مجلس دائرة المعارف العثمانية ،1954 ،ج 2 ص :38 39 41 58 301 302 ،و ج 4 ص : 274 .

[8] نفس المصدر ،ج 1 ص :3 87 94 95 98 105 200 202 .

[9] عن ذلك –مثلا –انظر المبحث الثاني من الفصل السادس .

القـرنين السـادس و السـابع الهجـريين/ 12-13م منهـا تفصـيله لنشـاط الحـافظ عبـد الغنـي المقدسي(ت600هـ/1203م)،وتألب خصومه عليه[1] ،وتوسعه في أخبار شيخه تقي الدين بن تيمية ،من سنة 682هـ/ 1283م إلى وفاته سنة 728هـ /1327م[2] . غير أنه يؤخذ عليه –في كتابته التاريخية– أن طريقته التراجمية لم تكن –في كثير من الأحيان–شاملة للمعلومات الضرورية عن المترجمين[3]،و أن بعض تراجمه كانت هزيلة للغاية[4]، وأنه بالغ في تقريض كتب بأوصاف غير صحيحة[5] .

و فيما يخص المجموعة الثالثة من المصادر ، فإنها تشمل المصنفات المتخصصة في المؤسسات العلمية،أذكر منها خمسة كتب ،أولها الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة : تاريخ دمشق ،لعز الدين بن شداد(ت684هـ/ 1285م) ،تطرق فيه لمدارس دمشق ،و مساجدها ،و زواياها بالتفصيل[6] ، وقد وجدت فيه مادة تاريخية وفيرة عن مدارس الحنابلة بدمشق و خارجها،و عن نشاطهم العلمي بجامعي دمشق و الصالحية[7] ؛لكنه لم يركز على المدارس من حيث عمرانها ، و مرافقها ، و خدماتها ،و ذكر أن الملك العزيز طغتكين[8](ت593 هـ/ 1196م) هو الذي بنى المدرسة الحنبلية بدمشق[9]،و هذا غير صحيح ،فإن الذي بناها هو شرف الإسلام بن عبد الواحد المقدسي ،و ليس الملك العزيز سيف الإسلام[10] .

و الثاني كتاب : المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الأثار ،لأبي العباس احمد بن علي المقريزي(ت845 هـ/1441 م) خصص فيه مبحثا مطولا للمدارس بمصر و القاهرة من حيث ظهورها ،و انتشارها ،و الطوائف التي تملكها[11]. و قد أفادني بما ذكره عن ظهور المدارس المشتركة

---

[1] ابن كثير :البداية والنهاية ،ط7 ،بيروت ، مكتبة المعارف ، 1988م ,ج 13 ص : 33 38 63 .

[2] نفس المصدر ،ج 13 ص :303 , ج 14 ص :7 10 11 49 87 .

[33] نفس المصدر ، ج 12 ص :198 199 200 201 204 .

[4] ابن كثير :المصدر السابق ، ج12 ص :1967 203 205 219 .

[5] الكتب هي :مقامات الحريري ، والشاطبية في القراءات ،و تهذيب الكمال في أسماء الرجال ،أدعى فيها حد الإعجاز و قد ناقشته في دعواه، وبينت بطلانها ،و عن ذلك انظر :المبحث الرابع من الفصل الرابع ،و المبحث الثاني من الفصل الخامس .

[6] عز الدين بن شداد :الأعلاق الخطيرة ،حققه سامي الدهان ،و هنري لاوست ، دمشق المعهد الفرنسي للدراسات العربية ،1956 ، ص: 85 86 132 136 299 .

[7] نفس المصدر ،ص :83 84 86 256 257 .

[8] هو أخ صلاح الدين الأيوبي، وكان ملكا على اليمن ،ابن العماد الحنبلي :المصدر السابق ، ج 6 ص:510 ،ط د .

[9] ابن شداد :المصدر السابق ،ص :255 .

[10] انظر ،مبحث المدارس من الفصل الثاني .

[11] المقريزي : المواعظ والاعتبار ،القاهرة ،مكتبة الثقافة الدينية ، د ت ،ج 2 ص :336 و ما بعدها .

بالقاهرة،و نصيب الحنابلة فيها[1].كما أنني استفدت كثيرا بما دونه عن انتشار المذاهب الفقهية ،و الأصولية في العالم الإسلامي ،ومعارضة الحنابلة للمذهب الأشعري[2] .

والكتاب الثالث هو: ثمار المقاصد في ذكر المساجد ،ليوسف بن عبد الهادي الدمشقي الحنبلي(ت909 هـ/ 1503م) أفرده لمساجد دمشق وضاحية الصالحية ،منها قسم للحنابلة ،كمسجد أبي صالح ،و مسجد المدرسة الجوزية[3] .ومنها في الصالحية أكثر من : 154مسجدا ،غالبها للحنابلة[4] ،لكنه-أي المؤلف- لم يركز على نشاطها العلمي ،و لا على مواردها الموقوفة عليها .

و أما الرابع فهو كتاب : الدارس في تاريخ المدارس ،لعبد القادر النعيمي الدمشقي(ت927هـ/1520م) أفرده لمؤسسات العلم بدمشق ،كالمدارس ،و المساجد و الزوايا .و هو من أهم المصادر التي تطرقت لمؤسسات العلم الحنبلية بدمشق،و فيه عنها مادة تاريخية غزيرة،من حيث مؤسسيها ،و أوقافها ،و نشاطها[5] . غير أنه يعاب على مؤلفه –في كتابه هذا –كثرة الاستطرادات ،والتكرارات ،و ضعف الربط ،و عدم هضمه للمادة العلمية هضما جيدا[6] ،من ذلك أنه عندما ترجم للمدرس شرف الدين بن أبي موسى المقدسي،نقل ما قاله الذهبي عن اسمه ،و نسبه ،و مولده ،و وفاته ،و شيوخه[7] ،ثم كرر ذلك مباشرة على لسان صلاح الدين الصفدي ،مع زيادات في عدد الشيوخ[8] .

و آخرها كتاب : القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ،لشمس الدين محمد بن طولون الدمشقي الصالحي(ت953 هـ/ 1546م) ،أرخ فيه لضاحية الصالحية –شمال دمشق–و ركز على حياتها

---

[1] نفس المصدر ،ج 12 ص :374 .

[2] نفس المصدر ،ج 2 ص :333 334 343 358 359 .

[3] يوسف بن عبد الهادي : ثمار المقاصد ،حققه محمد أسد طلس،دمشق المعهد الفرنسي للدراسات العربية ،1943 ،ص :97 108 .

[4] نفس المصدر ، ص :145 .

[5] عبد القادر النعيمي :الدارس في تاريخ المدارس ،حققه جعفر الحسيني ،دمشق ،المجمع العلمي العربي بدمشق،ج 1 سنة 1948 و ج2 سنة 1951 ،ج 2 ص :29 و ما بعدها .

[6] انظر –مثلا- نفس المصدر ،ج 2 ص :30 31 34 .

[7] نفس المصدر ،ج 2 ص :31 32 .

[8] نفس المصدر ،ج 2 ص : 32 .

العلمية و العمرانية.وكتابه هذا هو أهم مصدر عثرت عليه عن النشاط العلمي للحنابلة بالصالحية ،فهو مشحون بأخبار علمائهم ،و مساجدهم ,و مدارسهم ،و أوقافهم[1] .

وأما المجموعة الرابعة من المصادر ،فتخص كتب الرحلات،و هي ثلاثة مصنفات ،أولها رحلة ابن جبير لأبي الحسن محمد بن احمد الأندلسي المعروف بابن جبير)ت614 هـ/1217م) دون فيها مشاهداته في رحلته إلى المشرق سنة 578 هـ/ 1182م .و قد أفادني بمعلومات قيمة عن الحياة العلمية و المذهبية بمصر ،و الشام ،و العراق ،و مكة المكرمة ،من ذلك ما ذكره عن جوامع مصر وبغداد ، و دمشق ،ومدارسها،و نشاط الجامع الأموي بها[2] .

و الثانية هي :مستفاد الرحلة و الاغتراب ،للقاسم بن يوسف التجيبي السبتي(ت730 هـ/1329 م) روى فيها خلاصة رحلته إلى المشرق سنة 696هـ/1296م .و مما أفادني به التجيبي ،و صفه لمقامات الأئمة الأربعة بالحرم المكي، و كلامه عن المدرسة المشتركة بين الطوائف السنية الأربعة ،في جامع ابن طولون بالقاهرة[3] .

والثالثة رحلة ابن بطوطة ،لمحمد ابن عبد الله اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة(ت776 هـ/ 1374 م) دون فيها مشاهداته في رحلته الطويلة إلى المشرق . وقد استفدت بما ذكره عن المؤسسات العلمية ،و الأوضاع المذهبية بمصر ،و الشام ،و العراق ،و مكة المكرمة،من ذلك ،حلقات التدريس بالجامع الأموي بدمشق ،وجوامع بغداد ومدارسها،ومقامات الأئمة الأربعة بالحرم المكي[4] .و مما يؤخذ على ابن بطوطة في بعض ما رواه أنه عندما دخل دمشق في التاسع من رمضان سنة 726 هـ/15 أوت 1325 م ذكر أنه حضر مجلس وعظ للشيخ تقي الدين بن تيمية،من على المنبر،فكان من جملة كلامه أنه قال : ((إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا ،و نزل درجة مندرجة المنبر)) ،فعارضه أحد الناس ،وأنكر عليه فعله[5] ،و قوله هذا غير صحيح ،لأن ابن تيمية كان في السجن منذ السادس عشر من شعبان سنة 726هـ/23 أوت ،1325 م قبل دخول ابن بطوطة

---

[1] ابن طولون الدمشقي :القلائد الجوهرية ،حققه محمد احمد دهمان ،دمشق ،دار البيان ،ج1 1949 ،و ج 2 1956 ، ج 1 ص :78 82 83 84 85 158 165 178 .

[2] ابن جبير :رحلة ابن جبير ، الجزائر ،دار موفم للنشر ،1988م ، ص : 20 71 192 218 244 255 .

[3] ابن يوسف التجيبي :مستفاد الرحلة و الاغتراب ،حققه عبد الحفيظ منصور ،لبيا ،تونس ،الدار العربية للكتاب ،د ت ، ص:7 .296

[4] ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ،الجزائر ،موفم للنشر ،1989 ج1،ص : 92 93 164 235 236 237 .

[5] نفس المصدر ،ج 1 ص : 83 95 .

إلى دمشق ،و ظل ابن تيمية في السجن إلى أن توفي به في العشرين من ذي القعدة سنة 728[1] هـ/6/ أكتوبر 1327م .كما أن ما حكاه عن فعل ابن تيمية على المنبر هو تشبيه للخالق بالمخلوق ،و تجسيم له ،يتناقض مع موقف ابن تيمية في مسألة الصفات[2] ؛و يبدو أن الخبر قد اختلط على ابن بطوطة ، أنه لم يكن شاهد عيان له ، وإنما رواه له بعض خصوم ابن تيمية الذين يكذبون عليه ،ومما يرجح ذلك أنه –أي ابن بطوطة–لم يكتب رحلته إلا بعد نحو ثلاثين سنة ،دونها من ذاكرته بعدما ضاعت منه مذكراته[3]،و قوله –بعدذلك–عن ابن تيمية : ((فأمر بسجن ابن تيمية بالقلعة ،فحبس بها حتى مات في السجن))[4] يوحي أن الخبر حكي له ،لأنه عندما توفي ابن تيمية ،لم يكن هو بدمشق ، وإنما كان في مكة لأداء فريضة الحج[5] .

و مما يلاحظ على مؤلفي هذه الرحلات ،ان التجيبي كان أكثر نقدا وإنكارا للمخالفات الشرعية من الآخرين ؛فعندما دخل القاهرة و زار مشاهدها[6] ،أنكر نسبة بعضها إلى الشخصيات المنسوبة إليها ،كمشهد زين العابدين علي بن الحسين بالقاهرة ،وهو قد توفي بالمدينة نحو سنة 92هـ/710م. وكذلك أسماء بنت أبي بكر الصديق–رضي الله عنهما–فهو مكذوب ،لأن أسماء توفيت بمكة بعد مقتل ولدها عبد الله بن الزبير[7] .و عندما زار الحرم المكي ،و وجد فيه أربعة أئمة من السنيين ،و كل واحد يصلي بطائفته ،أنكر فعل هؤلاء ،و جعله من البدع المحدثة التي لم يعرفها السلف الصالح[8] .وأما ابن جبير و ابن بطوطة فلم ينقدا ،و لم ينكرا تلك المظاهر الشركية و البدعية بل سكتا ، و باركا ،و قدسا ،و مدحا[9]

و بالنسبة للمجموعة الخامسة من المصادر ،فتشمل كتب أصول الدين و علم الكلام،أذكر منها ثلاثة مصنفات،أولها الرد على الأشاعرة العزال و إثبات الحرف والصوت في كلام الكبير المتعال[10] ،للمتكلم ابن عقيل البغدادي(ت513 هـ/ 1119م) ،صنفه للرد على الأشاعرة في موقفهم من صفة الكلام ،و القرآن الكريم . وقد أفادني كتابه كثيرا في موضوع مسائل الصفات ،في مبحث نقد علماء

---

[1] ابن كثير :المصدر السابق ،ج 14 ص :122 134 135 .

[2] أنظر ، المبحث الأول ،من الفصل الثالث .

[3] ابن بطوطة :المصدر السابق ،ج1 ص : 6(مقدمة المحقق) .

[4] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج 1 ص : 95 .

[5] نفس المصدر ،ج 1 ص :254 255 256 .

[6] هي مساجد تقام على قبور العظماء ،و عنها انظر المبحث الرابع من الفصل الثاني .

[7] التجيبي :المصدر السابق ،ص :12 13 .

[8] نفس المصدر ،ص :296 .

[9] انظر رحلة ابن جبير ص:13 14 15 71 72 ،و رحلة ابن بطوطة ج1 :34 78 164 .

[10] نشره جورج مقدسي في نشرة الدراسات الشرقية (B E O) بدمشق 1971 Tome 24

الحنابلة لعلم الكلام و أهله[1] . وتتمثل أهميته في أنه نموج يصور حدة النزاع الفكري و نوعيته ،بين جناحي الطائفة السنية :الحنبلي ،و الأشعري .

والثاني كتاب :تحريم النظر في كتب أهل الكلام[2]،للفقيه الموفق بن قدامة المقدسي (ت620 هـ/1223م) ،رد فيه على أبي الوفاء بن عقيل في تأثره بالمعتزلة[3] ،و ذم فيه المتكلين ،و أخرجهم من دائرة العلماء ،و ناقشهم في مسألة الصفات ،و نصر مذهب أهل الحديث[4] .و قد اعتمدت على كتابه كثيرا في قضايا الصفات ،و التقليد و الاجتهاد ،و الاشتغال بعلم الكلام . غير أنه يؤخذ عليه أنه ذم علم الكلام و أهله ،و ناقشهم في بعض مسائلهم ،و لم يطرح بديلا كلاميا ،و لم يميز بين مذموم الكلام و ممدوحه،و نسي أنه هو شخصيا قد استخدم منهجا كلاميا في رده على المتكلمين .

و آخرها كتاب : درء تعارض العقل والنقل[5] ،لشيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية ،تطرق فيه لعشرات القضايا الأصولية ، و الكلامية ، و الفلسفية ،معتمدا في مناقشتها على منهج قائم على الجمع بين صريح المعقول ،و صحيح المنقول .و قد أفادني بمعلومات قيمة ،و نادرة في مبحث قضايا علم الكلام و أصول الدين،كمسألة معرفة الله —عز و جل–،و دور العقل في التحسين و التقبيح، و مسألة الحكمة والتعليل في الكون[6] .و يعد كتابه هذا أهم مصدر حنبلي رجعت إليه في مسائل علم الكلام و أصول الدين؛و هو مورد ثري بالأخبار ،و الأفكار ، و النصوص النادرة[7] .

و أما المجموعة السادسة فتشمل كتبا في النقد العلمي و الاجتماعي أذكر منها ثلاثة مصنفات ،أولها الاعتراض على الحريري[8] لأبي محمد بن الخشاب البغدادي الحنبلي(ت567 هـ/1171م) ضمنه انتقاداته اللغوية و النحوية ،التي أخذها على الأديب أبي محمد القاسم بن علي الحريري البصري(ت516هـ/1122م) في مقاماته الأدبية. وقد أفردت لهذا الموضوع مبحثا مطولا ،شرحا ،و

---

[11] عن ذلك انظر المبحث الأول من الفصل الثالث ، و المبحث الثاني من الفصل الرابع .

[2] نشره جورج مقدسي بلندن ،مطبعة لوزاك ،1962 .

[3] هم فرقة كلامية ظهرت في القرن 2هـ/8م ،تقول بخلق القرآن ،وتنفي الصفات .الشهرستاني:المصدر السابق ص :56 وما بعدها .

[4] عن ذلك انظر ،المبحث الأول من الفصل الثالث .

[5] يعرف كذلك ب:موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول .

[6] انظر ،المبحث الأول من الفصل الثالث .

[7] انظر ،درء تعارض العقل والنقل ،حققه عبد اللطيف عبد الرحمن ،بيروت دار الكتب العلمية ،1997 ،ج 4 ص :76 94 95 116 131 133 378 396 .

[8] الحق به انتصار ابن بري للحريري من ابن الخشاب ،و طبعا معا كملحق بمقامات الحريري ،مصر المطبعة الحسينية ،1326 .

إثراء ،و مناقشة[1] ،مستشهدا بالأدلة التاريخية ،و مستعينا بالدراسات الأدبيةالحديثة . و يعد كتابه هذا فريدا من نوعه في التراث العلمي الحنبلي ،إذ لم أعثر على مثله فيه .

و الثاني كتاب تلبيس إبليس ،لعبد الرحمن بن الجوزي ،خصصه لنقد العلم و العلماء ،وتبيين تلبيس الشيطان على مختلف فئات الناس ،و قد اعتمدت عليه كثيرا في فصل ،النقد العلمي عند علماء الحنابلة ،فوجدت فيه مادة علمية غزيرة عن المتكلمين ،والفلاسفة ،و علماء الشريعة ،والصوفبة ،و عوام الناس.و لاحظت على مؤلفه أنه توسع في نقده للصوفية ،و أبدع فيه؛لكنه لم يكن في نفس المستوى في نقده للفلاسفة و المتكلمين ،إذ غلب عليه[2] النقل ،والسرد ،والذم ،و التحذير[3] .

و الثالث مختصر كتاب المؤمل للرد إلى الأمر الأول[4] ،للفقيه شهاب الدين أبي شامة المقدسي(ت665 هـ/1266م) موضوعه نقد الأوضاع العلمية السائدة في القرن السابع الهجري/13م و التي سيطر عليها التقليد المذهبي و الجمود الفكري ،و قل فيها الاجتهاد الحر . وقد أفادني في مبحث الاجتهاد و التقليد ،و استشهدت بأقوال مؤلفه الجريئة[5] .

و أما المجموعة السابعة من المصادر ،فهي كتب تساعد على الفهم ،و التحقيق ،والتوضيح ،و الإثراء ،و التعريف بالفرق والمفاهيم و المصطلحات و المذاهب ؛ قسم منها في أدب العلم والتعلم ،ككتاب أدب الإملاء و الإستملاء[6] ،للحافظ أبي سعد بن محمد السمعاني(ت562هـ/ 1166م) و تذكرة السامع و المتكلم في اداب العالم و المتعلم[7] ،للقاضي بدر الدين بن جماعة الحموي الشافعي(ت733هـ/1332م) .و قسم أخر في علوم الحديث ،منها كتاب مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث[8] ،للحافظ أبي عمرو عثمان بن الصلاح الشافعي الدمشقي(ت643هـ/1245م) ،و المنار المنيف في الصحيح والضعيف[9] ،للفقيه شمس الدين بن قيم الجوزية الدمشقي(ت751هـ/

[1] انظر المبحث الرابع من الفصل الرابع .

[2] ومع ذلك فقد كانت له بعض الانتقادات الدقيقة للفلاسفة كمسألة أزلية الكون ،و عنها انظر المبحث الثاني من الفصل الرابع .

[3] انظر ،تلبيس إبليس ،حققه فريق من الباحثين ، دون مكان للنشر ،دار النور الإسلامية ،د ت ، ص :49 و ما بعدها .

[4] طبع ضمن مجموع :من هدى المدرسة السلفية ،الجزائر ،دار الشهاب ،1988 .

[5] انظر مبحث الاجتهاد و التقليد ،من الفصل الثالث .

[6] حققه شفيق زيغور ، ط 1 ،بيروت ،دار اقرأ ، 1984 .

[7] حققه شفيق زيغور ،ط1 ، بيروت ،دار اقرأ ، 1984 .

[8] حققه مصطفى ديب البغا ،الجزائر ،دار الهدى ،1991 .

[9] حققه عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليمني ،ط2 ،الرياض ،دار العاصمة ،1419 هـ .

1350م)، و قسم ثالث في الفرق والمقالات،منها الفرق بين الفرق[1] ،للمتكلم عبد القاهر بن طاهر البغدادي(ت429 هـ/1037م) ، وكتاب الملل والنحل[2] ،لأبي الفتح محمد ابن عبد الكريم الشهرستاني(ت548هـ/1153م) .

ثانيا المراجع :

قسمت المراجع إلى أربعة مجموعات ،أولها المصنفات المتخصصة في النشاط العلمي الحنبلي ،و هي قليلة إذ لم أعثر من بينها على أي كتاب شامل ومتخصص في الحركة العلمية الحنبلية بالمشرق الإسلامي في القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م ؛لكنني عثرت على كتب ركزت ،على جانب محدود من جوانب هذا الموضوع،منها كتاب :مؤلفات ابن الجوزي للباحث عبد الحميد العلوجي،أفرده لمصنفات ابن الجوزي ، إحصاء ،و تقسيما ،و تمييزا لمخطوطها من مطبوعها و مفقودها ،وقدر مجموعها بأكثر من أربعمائة كتاب[3].و قد أفادني كتابه في فصل :تراث الحنابلة العلمي ،بما أورده من أرقام عن مؤلفات ابن الجوزي حسب موضوعاتها ،فساعدتني في إنشاء بعض الجداول و الرسومات البيانية.و رغم ما بذله المؤلف من مجهودات في إحصاء مصنفات ابن الجوزي ،فقد فاته قسم منها ، استدركه عليه الباحث محمد باقر علوان[4] .

و منها كتاب : ابن قدامة و أثاره الأصولية ،للباحث عبد العزيز عبد الرحمن السعيد ،تطرق فيه لأشهر المؤلفات الحنبلية ،في أصول الفقه خلال القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م،ثم توسع في دراسة مصنفات الموفق بن قدامة المقدسي ،كالمغني ،و المقنع ،و العمدة[5] ،و أسهب في الدراسة النقدية لكتابه روضة الناظر و جنة المناظر، و قد أفادني كثيرا بانتقاداته ،و تحليلاته القيمة ،عندما قارن الروضة بكتاب المستصفى في علم الأصول،لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي .

ومنها ثلاثة كتب في دور ابن تيمية في نقد المنطق الصوري ،هي : ابن تيمية و المنطق الأرسطي[6] ،للباحث المنطقي محمود يعقوبي ،و كتاب : منطق ابن تيمية و منهجه الفكري[7] للباحث محمد حسني الزين ،و الأخير ،مناهج البحث عند مفكري الإسلام[8] ،للباحث المنطقي علي سامي النشار[1]

---

[1] حققه محي الدين عبد الحميد ،بيروت ،المكتبة العصرية ،1995 .
[2] حققه أمير علي مهنا و علي حسن فاعور ،بيروت ،دار المعرفة ،1998 .
[3] مؤلفات ابن الجوزي ،بغداد ،وزارة الثقافة و الإرشاد ، 1965 ،ص :3 5 223 و ما بعدها .
[4] ((المستدرك على مؤلفات ابن الجوزي)) ،مجلة المورد ،العراق ،مج 1 ج 1-2 1971 ص : 183 190 .
[5] ابن قدامة و أثاره الأصولية ،ط2 السعودية ،جامعة محمد ابن سعود الإسلامية،1399هـ ، ج1 ص :29 ،87 و ما بعدها .
[6] طبع بالجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، د ت .
[7] ط1 ،بيروت ،المكتب الإسلامي ،1979 .
[8] بيروت ،دار النهضة العربية ،1984 .

،و هي مصنفات قيمة للغاية ،أظهرت الدور الكبير الذي قام به شيخ الإسلام ابن تيمية في نقده للمنطق الأرسطي ،نقدا تجريبيا شرعيا .و قد أفادتني هذه الكتب في إثراء و نقد مبحث:نقد علماء الحنابلة للفلسفة وعلم الكلام[2] .

وآخرها كتاب :أثار الحنابلة في علوم القرآن ،للباحث سعود بن عبد الله الفنيسان ،أفرده لمصنفات الحنابلة في علوم القرآن المطبوعة ،و المخطوطة ،و المفقودة متبعا في عرضها طريقة التراجم ،من عصر الإمام احمد بن حنبل(ت241هـ/855م) إلى سنة 1403هـ[3]/1982م . و قد أفادني بمعلومات عن المؤلفات التي تخص القرنين السادس و السابع الهجريين/ 12-13 م،و كتابه عبارة عن تراجم لعلماء الحنابلة المصنفين في علوم القرآن ، ويكاد يكو ن خاليا من التحليل والمقارنات لمحتويات الكتب المذكورة فيه .

وأشير هنا إلى إني عثرت على كتاب عنوانه: الحنابلة في بغداد[4] ،للباحث احمد علي محمود ،و بعد اطلاعي عليه تبين لي أن بحثه قد شمل القرنين الثالث و الرابع الهجريين[5]/9-10م ،و أنه توسع في دراسة حياة الإمام احمد بن حنبل و عصره من ص : 9 إلى ص : 142[6] ،ثم تطرق للنزاع بين الحنابلة و أبي الحسن الأشعري(ت324هـ/935م) و بينهم و بين الصوفية ببغداد .لكنه أغفل أطرافا أخرى ،و فاته الكثير عن الحنابلة،فلم يذكر ما حدث بينهم و بين الشيعة من صراع دموي ،و لا تطرق لنشاطهم العلمي و السياسي في بغداد[7] ،ولا زود دراسته بوسائل الإيضاح ،ولا رجع إلى أبحاث حديثة عن الحركة الحنبليةفي بغداد[8] .

و المجموعة الثانية من المراجع تشمل كتبا عامة عن الحياة العلمية و مؤسساتها بالمشرق الإسلامي،أفادتني بما انتهت إليه من نتائج ،و بما ذكرته من أرقام عن المصنفات ،و المدارس و أثارها

---

[1] لم يخصص كتابه كله لأبن تيمية ،وإنما أفرد له فصلا مطولا من كتابه .

[2] انظر المبحث الثاني من الفصل الرابع .

[3] أثار الحنابلة في علوم القرآن ،الإسكندرية، المكتب المصري الحديث ،1989 .

[4] نشره ببيروت و دمشق المكتب الإسلامي ،1986 .

[5] لأنه لم يحدد إطاره الزمني علي غلاف الكتاب .

[6] من مجموع الصفحات و هو : 308 .

[7] عن ذلك انظر لكاتب هذه السطور :الحركة الحنبلية وأثرها في بغداد , رسالة ماجستير ،معهد التاريخ ، جامعة الجزائر 1995-1996

[8] عنها انظر قائمة المراجع في فهرس المصادر و المراجع .

المتبقية إلى العصر الحديث .أذكر منها ستة مؤلفات هي:منادمة الأطلال ومسايرة الخيال[1] ،للباحث عبد القادر بدران الدمشقي ،و خطط الشام[2] ،للمؤرخ محمد كرد علي ،و تاريخ علماء المستنصرية[3] ،للمؤرخ ناجي معروف ،وكتاب مدارس بغداد في العصر العباسي[4] ،للباحث عماد عبد السلام رؤوف ، والحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية ،بمصر و الشام[5] ،للأديب احمد احمد بدوي ،و آخرها التاريخ السياسي و الفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي،من القرن الخامس الهجري/11م ،إلى سقوط بغداد،سنة 656هـ/1258م[6] ،للمؤرخ عبد المجيد أبي الفتوح بدوي .

ويلاحظ على كتاب مدارس بغداد ،أن مؤلفه لم يركز على المقارنات بين مدارس الحنفية ،و الشافعية ،و الحنابلة ،و قد بلغ مجموعها خمس و ثلاثين مدرسة[7] ،كما أنه أورد للحنابلة ثلاث عشرة مدرسة ،لكنني أحصيتُ لهم أربع عشرة مدرسة دون حساب مدرستين أخريين ألحقهما هو بمدارسهم[8]. كما يؤخذ على مؤلف الكتاب الأخير أمران :الأول أنه نسب بناء المدرسة الحنبلية بدمشق إلى الملك سيف الإسلام طغتكين[9](ت593هـ/1196م) متابعا في ذلك ما قاله المؤرخ عز الدين بن شداد ،و قد سبق وأن ذكرت أن الذي بناها هو شرف الإسلام عبد الوهاب بن عبد الواحد المقدسي(ت536هـ/1141م) .و الثاني أنه لم يكن موضوعيا في تأريخه للمذهب السني بالمشرق الإسلامي ،عندما أغفل دور الحنابلة و أصحاب الحديث في الدعوة لمذهب السلف ،و في نزاعهم الطويل مع خصومهم ؛و مما يدعم ما قلته هو أنه عندما تعرض للتيارات الفكرية الفاعلة في الحياة العلمية و المذهبية بالمشرق الإسلامي خلال القرن الخامس الهجري/ 11م ،ذكر المعتزلة ،و الشيعة،و الفلاسفة ،والصوفية و الأشاعرة ، ولم يشر إلى تيار الحنابلة وأهل الحديث[10] .

وأما المجموعة الثالثة من المراجع فتخص كتب المخطوطات العربية،و هي مصنفات متخصصة ،أفادتني كثيرا في التعرف على مخطوطات التراث العلمي الحنبلي الموزع بين مكتبات الشرق و الغرب

---

[1] نشره بدمشق المكتب الإسلامي ،د ت .

[2] نشرته بدمشق ، مطبعة الترقي ، 1926 .

[3] ط 2 ،بغداد ،مطبعة العاني ، 1965 .

[4] ط1 ،بغداد دار البصري ،1966 .

[5] القاهرة ،دار نهضة مصر ،1972 .

[6] ط2 ،مصر دار الوفاء ،1988 .

[7] انظر عماد عبد السلام :المرجع السابق ،32 76 140 .

[8] عن ذلك انظر المبحث الثاني من الفصل الثاني .

[9] عبد المجيد بدوي :المرجع السابق ،ص :241 .

[10] نفس المرجع ،ص : 11 15 22 .

،أذكر منها أربعة مؤلفات هي : تاريخ الأدب العربي[1] ،لكارل بروكلمان، و خزائن الكتب في دمشق وضواحيها[2] للباحث حبيب الزيات ، و المختار من المخطوطات العربية في الأستانة[3] ،للباحث احمد تيمور باشا ،و آخرها فهرست المخطوطات بدار الكتب المصرية(1936- 1955)[4] ،للباحث فؤاد سيد .

والمجموعة الأخيرة تخص المراجع باللغة الفرنسية ، وهي قليلة جدا بالمقارنة إلى المراجع العربية ،كما أنني لم أعثر من بينها على أي كتاب متخصص في الحياة العلمية الحنبلية ،خلال القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م ،لكنها ذات علاقة مباشرة بشتى جوانب حياة الطائفة الحنبلية في المشرق، وهي في معظمها من إنجاز المستشرقين :هنري لاوست ،و جورج مقدسي .

فبالنسبة لهنري لاوست ،فمن أبحاثه: مقال عن الحنابلة في بغداد زمن الخلافة العباسية ،نشره في مجلة الدراسات الإسلامية (R E I)[5] ،تطرق فيه للتطور العام للجماعة الحنبلية ببغداد ، من زمن الإمام احمد بن حنبل ،إلى سقوط بغداد بيد المغول سنة 656هـ/1258م ،من خلال الترجمة لكبار علمائها و عرض أعمالهم ،و مؤلفاتهم[6] ،كما أنه أفادني بملاحظاته التي أبداها على مؤلفات الحنابلة المخطوطة[7] .

و له كتيب عن الحنابلة في عهد المماليك البحرية (658-784هـ/1260-1382م) ،وهو بحث عام عن الحنابلة أيام المماليك البحرية ،بمصر والشام . ويؤخذ على مؤلفه ثلاثة مآخذ أولها أنه اعتمد كثيرا على كتاب البداية والنهاية لابن كثير ، و أهمل –تقريبا–مصادر أخرى هامة مصنفوها معاصرون لابن كثير ،كشمس الدين الذهبي(ت748هـ/1349م)،وصلاح الدين الصفدي(ت764هـ/م1362م)،و ابن رجب البغدادي(ت795م/ 13912م) .والثاني أنه ركز على نشاط تقي الدين بن تيمية ،وأغفل دور علماء الحنابلة الأخرين ،من المقادسة ،و بني الحنبلي ،وبني

---

[1] ترجمه السيد يعقوب بكر ،مصر ،دار المعارف ،1983 .

[2] دمشق ،دار الحوار ، د ت.

[3] حققه صلاح الدين المنجد ،ط1 ، بيروت دار الكتاب الجديد ،1968 .

[4] القسم الأول : أ – س ،القاهرة ، مطبعة دار الكتب ، 1961 .

[5] Le hanbalisme sous Le califa de bagdad)) Paris Tome 1 1959

[6] انظر –مثلا- I B I D Tome 1 1959 P 108

[7] I B I D Tome 1 P 103

المنجا .[1]و الثالث أنه أهتم بالأوضاع السياسية و العسكرية للمغول و المماليك ،على حساب موضوعه عن الحنابلة الذي لا يحتمل ذلك التوسع[2] .

ومن أبحاثه مدخل مطول عن المذهب الحنبلي ،في ثماني و ثلاثين صفحة ، الحقه بكتاب السياسة الشرعية ،لابن تيمية ،عندما ترجمه إلى اللغة الفرنسية . وقد تضمن مبحثه هذا خلاصة أرائه ،واستنتاجاته عن المذهب الحنبلي و أتباعه ،ثم ختمه بإبراز أهمية كتاب السياسة الشرعية ،و أثره في العلماء من زمن ابن تيمية إلى العصر الحديث[3] .

و له كتاب : Les schismes dans L islam موضوعه الانقسامات السياسية ،و الاجتماعية ،و المذهبية،و الحركات التجديدية التي شهدها المسلمون ،منذ صدر الإسلام إلى العصر الحديث ؛و قد أفرد فيه مؤلفه للحنابلة مباحث عديدة متفرقة ،تعرض فيها لأعمال كبار علمائهم،كابن عقيل ،و عبد القادر الجيلاني البغدادي(ت561هـ/1165م) ،و عبد الرحمن ابن الجوزي،و توسع في الترجمة لابن تيمية،و تأثيره في علماء الشافعية من أصحاب الحديث[4] .وكتابه هذا يعطي لنا نظرة عامة وشاملة للمذاهب الإسلامية ،و الحركات التجديدية ،و الانقسامات الطائفية ،التي حدثت بين المسلمين عبر تاريخهم الطويل.عير أنه يعاب على مؤلفه أنه كرر فيه كثيرا مما قاله في أبحاثه السابقة عن الحنابلة ،و أنه بالغ في اتباع طريقة التراجم ،مما جعله يكثر من النقل و السرد مع عدم التوسع في التحليل و المقارنات ،كما أنه لم يزو كتابه بوسائل الإيضاح كالصور ،و الخرائط .

و أما الباحث جورج مقدسي ،فمن أبحاثه عن الحنابلة مقال عنوانه : L islam Hanbalisant [5] نشره في مجلة الدراسات الإسلامية (R E I) ،تطرق فيه لموضوعات متنوعة ،منها الدراسات الاستشراقية في الإسلاميات ،و تحامل جولد تزهير على الحنابلة ، و مصنفات ابن الجوزي عن الصوفية[6] .

---

[1] عن هذه الأسر انظر ،المبحث الخامس من الفصل الأول .

[2] انظر Henri Laoust op cit P 1 et seq

[3] Ibn Taimiya Le traite du droit public Taduit par Henri Laoust Algerie ENAG EDITIONS 1990 P 3 12 14 15 16 32

[4] Les schismes dans L islam Paris Payot 1977 P 209 374 et seq

[5] هذه تسمية خاطئة ،لأنها تعني أن هناك إسلاما متعددا ،و هذا غير لأن الإسلام واحد ،و إنما المذاهب هب المتعددة .

[6] L islam hanbalisant R E I Paris Tome 2 1974 P 226 et Tome 1 1975 P 47 56 57

و لجورج مقدسي كتاب عن أبي الوفاء بن عقيل(ت513 هـ/1119م)،تطرق فيه لحياته ،و دوره العلمي و الاجتماعي في بغداد ،و ركز على مؤلفاته ،و على اشهر مصنفات كبار علماء الحنابلة المعاصرين له[1] .و قد أفادني كتابه فيما يخص حياة ابن عقيل ، وأعماله الفكرية ،و في التمهيد للحركة العلمية الحنبلية ،في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/11م . غير أنه يعاب علي المؤلف أنه أطنب كثيرا في التأريخ للطوائف الاجتماعية ،و المذهبية ببغداد في كتاب عن ابن عقيل ،و قد امتد هذا الفصل من ص:294 إلى ص :383[2] .

وأشير هنا إلى أن هناك كتبا فرنسية أخرى استفدت منها و رجعت إليها في مواضع متفرقة من الأطروحة، منها كتاب عن تعليم اللغة و الآداب العربية في المدرسة النظامية في بغداد ،للباحث محمد بوقمرة[3] .و الثاني كتاب عن الصوفي إسماعيل عبد الله الأنصاري الهروي الحنبلي(ت481 هـ/ 1088م) للمستشرق س د أ لوجي[4] . وبهذين الكتابين يصل مجموع المصنفات التي عرضتها في هذا المبحث إلى واحد و ستين مصنفا من بينها خمسة وثلاثون مصدرا ،و ستة وعشرون مرجعا .

التمهيد

---

[1] Ibn Aqil et La resurgence de L islam Traditionaliste Damas Institut Francais 1963 P241 265 293 529

[2] انظر ، I B I D P 294 et seq

[3] عنوان كتابه : L enseingnement de La langue et de La Litteratture Arabes A La Nizamiya de bagdad Tunis Centr D etudes et de Recherches economiques et sociales 1980

[4] عنوان كتابه : Khawdja Abdullah Anssari beyrouth Imprimerie Catholique

أوضاع الحركة العلمية الحنبلية في المشرق الإسلامي خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ 11م

أولا : مناطق تمركز النشاط العلمي الحنبلي

ثانيا : مؤسسات العلم الحنبلية

ثالثا : مجالس العلم عند علماء الحنابلة

رابعا : الإنتاج العلمي الحنبلي

أوضاع الحركة العلمية الحنبلية في المشرق الإسلامي خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ 11م

توفي الإمام احمد بن حنبل(ت 241هـ/855 م)، ولم يترك من بعده حركة حنبلية منظمة ،لكنه ترك بذرتها و مقوماتها ،فنمت و تقوت من بعده بفضل مجهودات أصحابه ،وتلامذته ،و أتباعه ،فلم ينته القرن الثالث الهجري/ 9م حتى أصبحت تمثل تجمعا طائفيا حركيا، له زعاماته و أنصاره[1] ، ثم ازدادت اتساعا و نفوذا في القرنين الثالث و الرابع الهجريين/ 10-11م ،و أصبح لها اتجاه علمي

[1] ابن الأثير : المصدر السابق ، (ط دار صادر 1965) ،ج 8 ص: 16 .

بارز،مثل الحركة العلمية الحنبلية في المشرق الإسلامي خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري[1] /11م .

أولا : مناطق تمركز النشاط العلمي الحنبلي(450-500هـ/ 1058-1106م)

تمركز النشاط العلمي الحنبلي في المشرق خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/11م في تسع مدن كبرى(انظر الخريطة رقم : 1) هي : بغداد ،و أصبهان ،و هراة ، حران ،و امد ،و همذان ،و بيت المقدس ، ودمشق ، و آمل طبرستان . فبالنسبة لبغداد ،فهي الموطن الأصلي للحنابلة،لهم فيها نفوذ قوي ، و أتباع كثيرون[2] ،و مؤسسات علمية ،و نشاط علمي مكثف[3] .و أما مدينة أصبهان فأكثر أهلها حنابلة[4] لهم فيها نفوذ كبير ،و تأثير علمي واجتماعي بارزين[5]، من كبار علمائهم بها ،أبو القاسم عبد الرحمن بن مندة (ت470هـ[6]/1077م)، والحافظ أبو زكريا يحيى بن مندة بن مندة(ت511هـ/ 1117م)[7] . وفيما يخص مدينة هراة فقد كانت من معاقل الحنابلة ،بفضل الدور الكبير الذي قام به الصوفي عبد الله بن محمد الأنصاري

---

[1] كان للحنابلة في بغداد نشاط اجتماعي وسياسي بارزين في القرنين/4-5هـ /10-11م ،وللتوسع في ذلك انظر لكاتب هذه السطور : الحركة الحنبلية و أثرها في بغداد ،ص :83 وما بعدها ،و 115 و ما بعدها .

[2] ابن الجوزي : المنتظم ،ج 8 ص :312 .

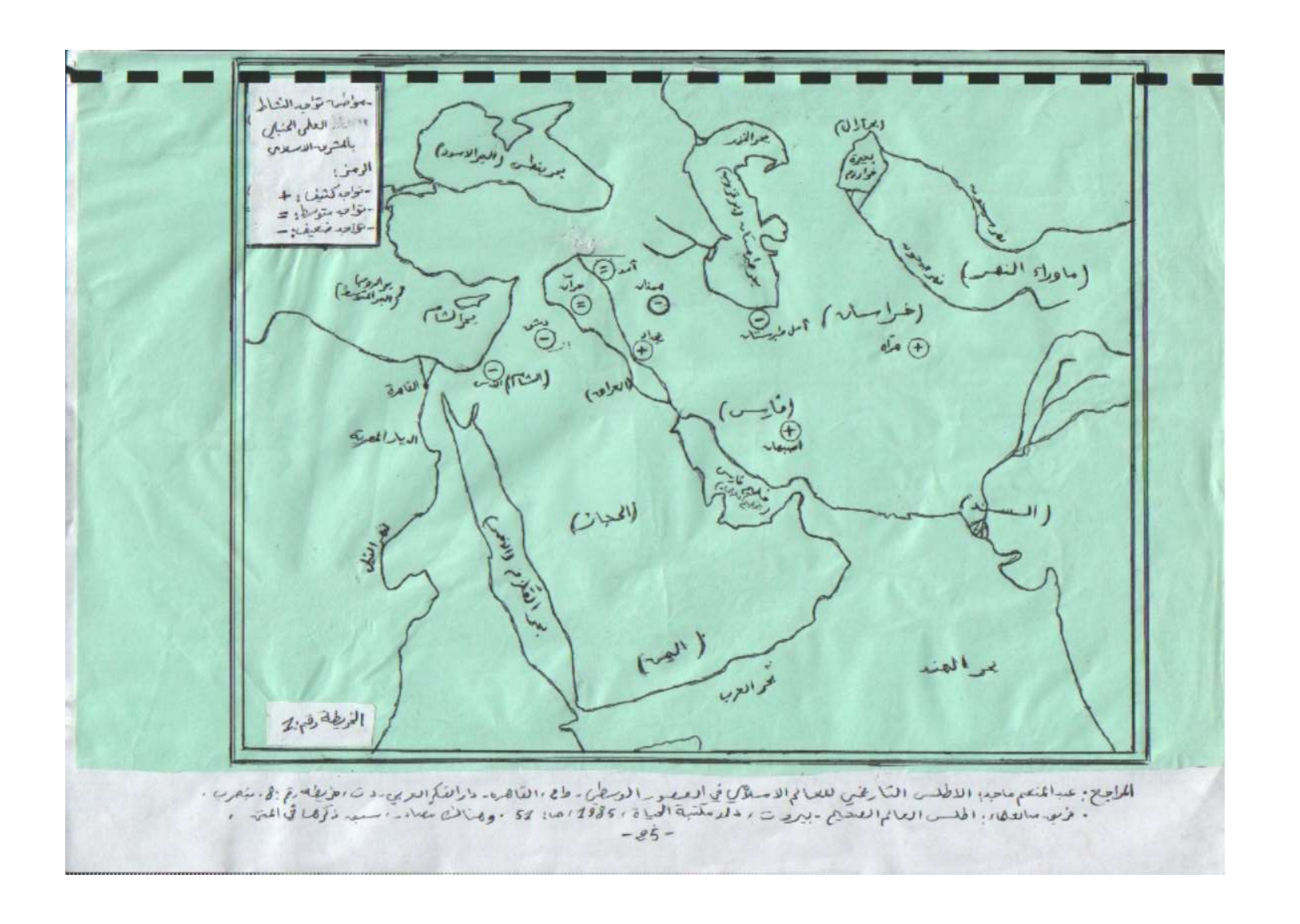
[3] سيأتي تفصيله قريبا من هذا التمهيد .

[4] أبو الحسين بن أبي يعلى : المصدر السابق ،ج 2 ص :247 248 .و مصطفى جواد : في التراث العربي ،حققه عبد الحميد العلوجي ،بغداد ،دار الحرية ،1975 ،ص :233 .

[5] ابن رجب : المصدر السابق ،ج 1 ص :34 ط د . وابن العماد الحنبلي :المصدر السابق ،ج 5ص :304 ط د .

[6] نفسه ،ج1 ص:34 .و نفسه ج5 ص :304 .

[7] بن رجب :نفس المصدر ج1 ص :154 155 .



المراجع: عبد المنعم ماجد: الاطلس التاريخي للعالم الاسلامي في العصور الوسطى. ط ٢، القاهرة. دار الفكر العربي، د ت، الخريطة رقم: 8. بتصرف.
• فؤاد صالح السيد: الطلس العالم الصحيح، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1985، ص: 51. وهناك مصادر سبق ذكرها في المتن.

الهروي(ت481هـ/1087م)في نصرة المذهب الحنبلي،والتمكين له، بما له من علم ،و جاه ،و مكانة في بلده، فقد كان له بها أصحاب،و أتباع ،ومجالس علم ،و مناظرات مع خصومه من الأشاعرة[1] و المعتزلة[2] .و أما مدينة حران[3] ،فكثير من أهلها على المذهب الحنبلي نشره فيها القاضي أبو الفتح عبد الوهاب بن جلبة البغدادي(ت476هـ/1083م) عندما تولى بها القضاء ،و الخطابة ،و الإفتاء ،و الوعظ ،و التدريس[4].

و في مدينة آمد[5] كانت بها جماعة حنبلية نشطة كونها الفقيه أبو الحسن علي بن محمد البغدادي(ت467هـ/1074م) عندما استوطنها 450هـ/1058م أصبح له بها أصحاب وتلاميذ ،درسوا على يده المذهب الحنبلي[6] . و أما في مدينة همذان قد سكنتها جماعة حنبلية كان لها نشاط علمي بارز ساهمت به في عقد مجالس العلم و المناظرات[7].

و في بيت المقدس كانت فيه جماعة حنبلية صغيرة ،كون نواتها الفقيه عبد الواحد بن محمد الشيرازي(ت486هـ/1093م)،و خلف فيها تلاميذ تخرجوا عليه[8] . و أما في مدينة دمشق فيعود الوجود الحنبلي فيها إلى القرن الرابع الهجري[9]/10م ،لكنه ظل ضعيفا إلى أن جاء إليها الفقيه عبد الواحد بن محمد الشيرازي ،فأصبح له فيها أصحاب ،و تلاميذ ،و أتباع نشطين ،و كانت له فيها مناظرات كثيرة مع الأشاعرة[10]. وهو جد بني الحنبلي المشهورين في دمشق بالرياسة و العلم[11] .

---

[1] هم فرقة كلامية ينتسبون إلى أبي الحسن الأشعري البصري(ت324هـ/936م) ،و سترد أفكارهم كثيرا فيما يأتي من فصول هذا البحث ،و للتعرف أكثر على مذهبهم انظر الشهرستاني : المصر السابق ،ص :106 وما بعدها .

[2] ابن رجب :المصدر السابق ج1 ص :66 71 ط د . و ابن العماد الحنبلي:المصدر السابق ج5 ص :349 ط د .

[3] عن موقعها انظر الخريطة رقم :1 ، و هي مدينة قديمة تقع على طريق الموصل و الشام .ياقوت الحموي :معجم البلدان ،بيروت دار صادر ،1968 ،ج 2 ص: 235 .

[4] أبو الحسين بن أبي يعلى:المصدر السابق ج 2 ص:87 . وابن رجب : المصدر السابق ج1 ص:54 ط د . وابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص: 327 328 ط د .

[5] عن موقعها انظر الخريطة رقم :1 ،و هي مدينة قديمة من أكبر مدن ديار بكر ،تقع على نهر دجلة .ياقوت الحموي :المصدر السابق ج1 ص: 56 .

[6] ابن رجب : المصدر السابق ج1 ص : 12 17 ط د . ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج5 ص : 281 ط د .

[7] ابن رجب : المصدر السابق ج1 ص : 171 ط د .

[8] نفس المصدر ،ج1 ص :87 ط د . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :369 ط د .

[9] أدخله إليها الفقيه عمر بن الحسين الخرقي البغدادي (ت334م/945م) و هو صاحب مختصر الخرقي في الفقه ،و هذا الكتاب من أشهر كتب الفقه الحنبلي .ابن كثير :المصدر السابق ج 11 214 .

[10] ابن رجب : المصدر السابق ج1 ص :87 ط د .

[11] عن بيت ابن الحنبلي انظر مبحث :الأسر العلمية الحنبلية من الفصل الأول .

و أخيرا مدينة طبرستان[1] سكنتها جماعة حنبلية صغيرة ،نشاطها العلمي فيها ضعيف ،وعلماؤها قليلون ،منهم :المقرئ أبو الحسن علي بن أبي القاسم الطبري(ت528هـ/1133م)[2] .و أشير هنا إلى إني لم أعثر على أي ذكر للحنابلة بمدينتي مصر والقاهرة،خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/11م في ظل الدولة الفاطمية،لكنهم سيظهرون بهاتين المدينتين في النصف الأول من القرن السادس الهجري[3]/12م .

و يتبين مما ذكرناه أنه كان للحنابلة في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/11م انتشار محدود في مدن المشرق الإسلامي،لهم في بعضها نشاط علمي مكثف كهراة ،و أصبهان ،ولهم في أخرى تأثير علمي و اجتماعي ضعيفين ،كما في همدان ،و آمل طبرستان ،و تأتي بغداد في مقدمة تلك المدن ،فهي موطنهم الأصلي ، ومعقلهم الحصين ، لهم فيها قدرات بشرية كبيرة ،و مؤسسات علمية كثيرة .

ثانيا : مؤسسات العلم الحنبلية (450-500هـ/1058-1106م)

قدر مجموع مساجد[4] الحنابلة في بغداد ،خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/11م ،بنحو أحد عشر مسجدا[5] ، منها مسجد المقرئ أبي بكر بن علي الخياط(ت468هـ/1075م) ،أقرأ فيه القرآن ، وأملى فيه الحديث في حضور جمهور غفير[6] ، ومسجد الفقيه أبي جعفر بن أبي موسى العباسي(ت470هـ/م1075م)، موقعه بسكة الخرقي ،بباب البصرة بالجانب الغربي من بغداد[7] ، و مسجد الفقيه أبي يعلى بن الكيال(ت471هـ/1078م)، و مسجد الفقيه أبي الوفاء بن القواس(ت476هـ/ 1083م)[8] ،و مسجد الثري محمد بن جرادة(ت476هـ/1083م)،بنهر المعلى

---

[1] عن موقعها انظر الخريطة رقم :1 .

[2] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج4 ص : 86 .

[3] عن ذلك انظر المبحث الرابع من الفصل الأول .

[4] كانت المساجد في بغداد على نوعين :مساجد سلطانية ،يتولى الخليفة رعايتها و تعيين أئمتها ، ومساجد عامية بناها العوام في شوارعهم ،ليس للخليفة فيها أن يعترض على أئمتها .أبو يعلى الفراء :الأحكام السلطانية ،حققه محمد حامد الفقي ،ط 1 مصر ،شركة البابي الحلبي ،1938 ،ص :78.

[5] جورج مقدسي :(رعاة العلم في بغداد) ،ترجمة إحسان عباس ،مجلة الأبحاث ،بيروت ،مج 14 ج4 1961 ص :500 .

[6] ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ،ج1 ص:13 ط د .

[7] نفس المصدر ،ج 1 ص:21 63 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج5 ص:347 ط د .

[8] نفس المصدر ج1 ص:47 50 .ونفس المصدر ج 5 ص:307 327 .

بالجانب الشرقي من بغداد ،أمّ فيه المقرئ أبو منصور الخياط(ت499هـ/1105م)،مدة طويلة ،و أقرأ فيه ألاف العميان[1] .

و أما مساجدهم في المدن التي لهم فيها وجود بارز كإصبهان ،و حران ،و هراة ، فإني لم أعثر لهم فيها على مساجد ،إلا على واحد فقط بمدينة هراة ،للفقيه عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي الصوفي[2] ،لكن لا شك أنه كانت لهم في تلك المدن مساجد كثيرة ،أغفلت المصادر التي وصلتنا ذكرها .

و هناك مساجد جامعة ليس لها صبغة مذهبية ،كان فيها للحنابلة نشاط علمي مكثف ، منها جامع المهدي-الرصافة-بالقسم الشرقي من بغداد ،درس فيه الفقيه أبو الغنائم علي بن زبيبا(ت460هـ/10567م)،و القاضي أبو منصور علي بن الأنباري(ت507هـ/1113م)[3] ، ومنها جامع القصر —الخليفة- بالجانب الشرقي من بغداد ،درس فيه المقرئ أبو علي ابن البناء(ت471هـ/1078م)،و الفقيه رزق الله بن عبد الوهاب التميمي[4](ت488هـ/1095م)، و جامع المنصور —المدينة-،بالقسم الغربي من بغداد ،درس فيه كذلك أبو علي بن البناء ،ورزق الله التميمي[5] .

و أما الجوامع خارج مدينة بغداد ،فمنها اثنان هما : جامع مدينة آمد ،و جامع حران ،الأول كانت فيه حلقة فقه لأبي الحسن بن محمد البغدادي ثم الآمدي[6] ، و الثاني درس فيه القاضي عبد الوهاب بن جلبة البغدادي ثم الحراني[7] .

و أما عن المؤسسات العلمية من غير المساجد ،كالأربطة ،و الزوايا ، والمدارس ،فإني لم أثر للحنابلة منها على أية مؤسسة ،خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/11م ،في حين كان

---

[1] ابن الجوزي :المصدر السابق ج9 ص :10 . وابن رجب :المصدر السابق ج1 ص :119 ط د . و ابن العماد الحنبلي :المصدر السابق ج5 ص:417 ط د .

[2] ابن رجب :المصدر السابق ،ج 1 ص:70 ط د .

[3] ابن الجوزي : المصدر السابق ج9 ص :176 . و ابن رجب :المصدر السابق <1 ص :9 ط د .

[4] ابن رجب :المصدر السابق ج 1 ص :43 ط د. و ابن كثير : المصدر السابق ج 12 ص :630 ط د المعرفة .

[5] نفسه ج1 ص:43 . و نفسه ج 12 ص :630 .

[6] ابن رجب : نفس المصدر ج1 ص:12 ط د . وابن العماد الحنبلي :المصدر السابق ،ج 5 ص :281 ط د .

[7] ابن رجب : نفس المصدر ،ج1 ص :52 53 ط د .

للحنفية ،و الشافعية عدة مدارس في بغداد و خارجها ،منها مدرستان في بغداد ،الأولى مدرس أبي حنيفة بناها السلطان السلجوقي ملكشاه(ت485هـ/1092م) للحنفية،والثانية المدرسة النظامية أنشأها الوزيرالسلجوقي نظام الملك(ت485 هـ/1092م)،و وقفها على الشافعية[1] . وحتى المدارس البيتية التي يبدو أنها كانت كثيرة ،لم أعثر منها للحنابلة إلا على واحدة ببغداد ،للمقريء أبي بكر محمد بن علي الخياط(تن468هـ/1075م)،كان يقريء فيها القرآن الكريم ،و يملي فيها الحديث النبوي الشريف[2] .

و أشير هنا إلى أمرين : الأول أنه اشتهر من بين علماء الحنابلة أربعة مدرسين كبار ،كانت لهم حلقات علم في مساجد الحنابلة ،و جوامع بغداد ،هم :القاضي أبو يعلى الفراء(ت458 هـ/1065م)[3] ،و الفقيه أبو جعفر بن أبي موسى العباسي(ت470 هـ/1077م) ، و المقرئ أبو منصور الخياط ، و أبو الوفاء بن عقيل[4] .

و الثاني هو أنه لا يعرف أنه كانت للحنابلة في النصف الثاني من القرن الخامس/11م ،مؤسسات علمية تنفق عليها الدولة ،أو لها أوقاف تمولها ، لذلك اعتمدوا في الإنفاق على أهل العلم على أموالهم الخاصة ، وعلى التبرعات ، والوصايا[5] ،وعلى ما يجود به الأغنياء ،فقد كان الثري أبو منصور بن يسف البغدادي(ت460 هـ/1067 م) ،كثير الإنفاق على الطلاب و مدرسيهم ،فيتحمل مؤنهم ،و يهتم بأمورهم[6] .

---

[1] عن هاتين المدرستين ،ومدارس الحنفية و الشافعية الأخرى انظر ،ابن كثير :المصدر السابق ج12 ص:42 ، و عبد القادر النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس ج 1 . و طه الولي :المساجد في الإسلام،ط 1 بيروت، دار العلم للملايين 1988 ،ص :85 86 . وجورج مقدسي : رعاة العلم في بغداد مجلة الأبحاث مج 14 ج 4 ص :500 .

[2] ابن رجب :المصدر السابق ج1 ص :13 ط د .

[3] شمس الدين الذهبي : تاريخ الإسلام و وفيات المشاهير و الأعلام ، حققه عمر عبد السلام تدمري ط1 بيروت،دار الكتاب العربي 1994. ج: 451 –460هـ ،ص:459 .

[4] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص:119 ط د ، وابن كثير : المرجع السابق ج12 ص :184 .

[5] نفسه ،ج1 ص :119 ، ونفس المصدر ج 12 ص :41 .

[6] الخطيب البغدادي :تاريخ بغداد ،بيروت دار الكتاب العربي ، د ت ،ج 10 ص :434 . وابن الجوزى :المصدر السابق ج9 ص :212-213 . والذهبي : المصدر السابق ج :451- 460هـ ،ص :486 .

و يتبن مما أوردناه عن مؤسسات العلم الحنبلية في المشرق الإسلامي ،خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/11م أنها كانت مقتصرة على المساجد و البيوت ،دون المدارس[1] ، والأربطة ،و الزوايا[2] ، و أن الحنفية و الشافعية قد سبقوا الحنابلة في إنشاء المدارس ،و بقوا هم –أي الحنابلة –محافظين على المساجد ،كأهم مؤسسة علمية تجمع بين عبادة ،الصلاة ،و النشاط العلمي .

ثالثا :مجالس العلم عند علماء الحنابلة (450-500هـ/1058-1106م)

كانت لعلماء الحنابلة في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/12م ،مجالس علم كثيرة ذات موضوعات متنوعة منها : المناظرات ، غلبت عليها قضايا الفقه ،و أصول الدين ،وكانت تعقد في المساجد ، والبيوت ، و مجالس الأعيان ،منها مناظرة بجامع المهدي للفقيه علي بن زيبيا البغدادي(ت460هـ/1067م)،و أخرى بجامع المنصور ،بالقسم الغربي من بغداد ،للفقيه أبي الحسن بن محمد البغدادي ثم الآمدي(ت467هـ/1074م)،واظب عليها مدة طويلة ،إلى أن رحل إلى مدينة أمد سنة 450هـ/1058م،[3] . و منها مناظرة للفقيه أبي جعفر بن أبي موسى العباسي(470هـ/1077م) ، يوم كل اثنين في مسجده بباب البصرة ،بالقسم الغربي من بغداد ،و يحضرها الفقهاء من مختلف المذاهب[4].

و للفقيه عبد الله الأنصاري الهروي الصوفي(ت481هـ/1088م) ،مناظرات كثيرة جرت بينه و بين مخالفيه من الحنفية و الشافعية ،في مسائل العقيدة ،منها أنه كان في مجلس بحضرة الوزير السلجوقي نظام الملك(ت485هـ/1092م)، فسأله أحد الشافعية : لم تلعن أبا الحسن الأشعري ؟ فسكت ،ثم قال: ((لا اعرف الأشعري ،و إنما العن من لم يعتقد أن الله –عز و جل –في السماء ، وأن القرآن في المصحف ، وأن النبي اليوم نبي)) ثم انصرف ،فقال الوزير لم معه : ((هذا أردتم ؟كنا نسمع أن يذكر هذا بهراة ،فاجتهدتم حتى سمعناه بأذاننا))[5] . و في مجلس أخر طلبه أئمة من الشافعية ، والحنفية للمناظرة ، فاستدعاه نظام الملك ، فلما حضر قال له الوزير : ((إن هؤلاء القوم قد اجتمعوا لمناظرتك ،فإن يك الحق معك رجعوا الى مذهبك ، وإن لم يكن الحق معك ،إما أن ترجع ،و إما أن تسكت عنهم))، فقال : ((أنا أناظر على ما في كمي ،فقال له : وما فيهما ؟ قال :كتاب الله في

---

[1] ستكون لهم مدارس في القرن الخامس الهجري/12م و ما بعده ، و عن أسباب تأخر ظهورها عند هم ،انظر مبحث المدارس من الفصل الثاني .

[2] ستظهر عندهم الأربطة ،و الزوايا في القرن الخامس الهجري/12م ، و ما بعده ، و عنها انظر مبحث الزوايا و الأربطة من الفصل الثاني .

[3] بن رجب : المصدر السابق ج 1 ص:9 10 12 ط د . وابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج5 ص:281 ط د .

[4] ابن رجب :نفس المصدر ج1 ص :21 ط د .

[5] نفس المصدر : ج1 ص :70 ط د .

اليمين ،و سنة رسوله في اليسار،)) فنظر الوزير إلى ((القوم كالمستفهم لهم ،فلم يكن فيهم من يمكنه أن يناظره من هذه الطريق))[1]

و لهم مجالس فقهية عامة كثيرة ،تعقد في المساجد الجامعة ،منها سبع حلقات في جامع المنصور بالجانب الغربي من بغداد ،الأولى حلقة البرامكة،للقاضي أبي يعلى الفراء(ت 458هـ/1065م)، داوم عليها عدة سنين ،و يحضرها جمهور غفير ،حتى أنه يحتاج إلى مبلغين ليسمعوا الحاضرين ،و عندما توفي خلفه في حلقته تلميذه أبو الوفاء بن عقيل،أجلسه فيها الثري أبو منصور بن يوسف[2] .و أما الحلقات الستة الباقية فهي للفقهاء الآتية أسماؤهم : أبو الحسن علي بن محمد الآمدي ،و أبو عبد الله بن عمر الباجسرائي[3](ت467هـ/1074م) ،و أبو علي بن البناء ، و أبو الوفاء بن القواس(ت476هـ/1083م)[4] ،و رزق الله بن عبد الوهاب التميمي(ت 488هـ/ 1095 م) و أبو منصور بن محمد الأنباري[5](ت507 هـ/1113م) .

و منها أربعة مجالس فقهية في جامع القصر بالجانب الشرقي من بغداد ،لأربعة فقهاء حنابلة ، هم : أبو علي بن البناء ، والقاضي يعقوب بن إبراهيم البرزبيني[6](ت486 هـ/10923م) ،و رزق الله التميمي ، أبو منصور الأنباري[7] . و من حلقاتهم الفقهية خارج بغداد حلقتان : الأولى للفقيه أبي الحسن بن محمد الآمدي بجامع مدينة امد درس فيها الفقه الحنبلي[8]، و الثانية للقاضي عبد الوهاب بن جلبة(ت476هـ/1083م) ،بجامع حران عندما تولى إمامته وخطابته[9] .

و من مجالسهم العلمية ،حلقات إقراء القرآن الكريم ،أذكر منها أربعة ،أولها حلقة المقرئ أبي محمد بن علي الخياط البغدادي0ت468 هـ/ 1075 م)،بجامع المنصور[10]،و الثانية للمقريء

---

[1] نفسه ج 1 ص :70 .

[2] أبو الحسين بن أبي يعلى : طبقات الحنابلة ج 2 ص :230 .و ابن الجوزي :المصدر السابق ج ص: 213 . وابن رجب : المصدر السابق ،ج 1 ص :13 117 129 ، ط د .

[3] ابن رجب المصدر السابق ، ج1 ص :12 13 .

[4] ابن الجوزي : المصدر السابق ج 9 ص :188 . وابن كثير :المصدر السابق ج 12 ص :357 ط د المعرفة .

[5] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :137 . و الذهبي : المصدر السابق ،ج : 481-490هـ / ص :242 .

[6] ابن الجوزي : المصدر السابق ج9 ص :188 . وابن رجب :المصدر السابق ج1 ص :43 93 143 ط د .

[7] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 93 97 ط د .و ابن كثير : المصدر السابق ج 12 ص :630 ط د المعرفة .

[8] ابن رجب : نفس المصدر ج1 ص :123 ط د .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :281 ط د .

[9] نفس المصدر ،ج1 ص:54 ط د . و نفسه ج 5 ص :327 328 ط د .

[10] ابن رجب : نفس المصدر ج 1 ص : 13 ط د .

احمد بن محمد الرزاز البغدادي(ت 470هـ/ذ1077 م) ،داوم عليها مدة طويلة ،وختم على يده القرآن أناس كثيرون[1] ،و الثالثة للمقريء أبي منصور بن احمد الخياط البغدادي(ت499هـ/1105م)،استمر عليها بضعا[2]وستين سنة يقريء فيها العميان القرآن الكريم ،لوجه الله ،بمسجد ابن جردة بحريم دار الخلافة ببغداد ،و كان يسأل لهم ،و ينفق عليهم ، و قد روي أنه علم من العميان سبعين ألفا، لكن بعض الناس أنكر ذلك ،و قال أنه مستحيل، وإنما أريد به سبعون نفسا ،و هذا القول لا يستقيم عند المؤرخين ابن رحب ،و ابن العماد الحنبلي،لأننا نرى أحاد المقرئين يختم عليه القرآن أثر من سبعين نفسا ،فكيف يبلغ من أقرأهم أبو منصور سبعين نفسا ؟ و هو قد داوم على الإقراء أثر من ستين سنة بمساعدة أصحابه، لذا فإن عدد سبعين ألفا عندهما صحيح[3]، واعتراضهما سديد و وجيه ،فلا شك أن أبا منصور قد أقرأ عشرات الآلاف من العميان بمساعدة أصحابه ،لكن عدد سبعين ألفا مبالغ فيه ! فهل وجد ذلك العدد الكبير من العميان في بغداد ؟ وهل في إمكان أبي منصور و مساعديه إقراء –مثلا– أكثر من ألف أعمى سنويا لمدة تزيد عن ستين عاما ،مع رعايتهم و الإنفاق عليهم ؟ يبدو لي أنه ليس في مقدورهم ذلك . وأما الحلقة الرابعة فهي للمقريء احمد بن علي العلثي(ت503 هـ/1109م) ،كان يعقدها ،بأحد مساجد بغداد[4] .

و كان لبعض علماء الحنابلة مجالس لتفسير القرآن الكريم ،أشهرها مجالس عبد الله الأنصاري الهروي الصوفي ،داوم على عقدها سنوات طوال ،بدأها سنة 436هـ/1044م ،إلى وفاته سنة 481هـ /1088م ، فسر فيها القرآن الكريم ولم يكمله ،لكثرة الانقطاعات ،و توسعه في تفسير بعض الآيات ،من ذلك أنه فسر قوله تعالى : ((والذين أمنوا أشد حبا لله)) – سورة البقرة /165– ، في مجالس عديدة ،و يقال أنه فسر قوله تعالى : ((إن الذين سبقت لهم منا الحسنى)) – سورة الأنبياء /101–في ثلاثمائة و ستين مجلسا،و في أواخر حياته أصبح يستعجل للإكمال تفسير القرآن الكريم،فأصبح يفسر في المجلس الواحد مقدار عشر ايات ، لكنه توفي و لم يكمله ، و توقف عند قوله تعالى : ((قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون))–سورة ص /67 ، و كان في تفسيره للقران يرجع إلى العشرات من كتب التفاسير قد تزيد عن المائة[5] .

---

[1] نفس المصدر ج 1 ص :40 ط د .

[2] البضع في العدد هو من الثلاث إلى التسع ،في غير العقود ،ومن العشر إلى التسعين في العقود ،و لا يستعمل مع المائة و الألف . علي بن هادية ،و آخران : القاموس الجديد ،ط 7 الجزائر ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،1991 ص :151 .

[3] ابن رجب :المصدر السابق ج 1 ص :119 ط د . و ابن العماد الحنبلي :المصدر السابق ج 5 ص:417 ط د .

[4] ابن رجب :نفس المصدر ج 1 ص :129 ط د .

[5] نفس المصدر ج 1 ص :73-74 ط د .

و لعلماء الحنابلة مجالس لإملاء الحديث النبوي الشريف ،منها مجالس القاضي أبي يعلى الفراء البغدادي(ت458هـ/1065م)،بجامع المنصور ،استمر في إملائها سنين طويلة ،و يحضرها جمهور غفير ،حتى أنه يحتاج إلى ثلاثة مبلغين عنه ليسمعوا الحاضرين المقدر عددهم بالآلاف[1] .و منها حلقات للمقريء أبي بكر بن علي الخياط البغدادي(ت 468هـ/1075 م)،أملا فيها الحديث في بيته ، و مسجده ،و جامع المنصور[2] .و كانت للحافظ إسماعيل بن احمد الهمذاني ثم البغدادي(ت 489هـ/1095 م)مجلس حديث أملاها بخراسان ،و بغداد[3] .و عندما قدم الحافظ يحيى بن مندة الاصبهاني(ت511هـ/1117م)إلى بغداد ستة 498هـ/1104م أملى مجالس حديث سمعها منه خلق كثير[4] .

و كانت لهم مجالس لقراءة الكتب والتحديث بها ،منها حلقات للفقيه أبي الوفاء طاهر بن القواس البغدادي(ت476هـ/ 1083م) بجامع المنصور خصصها لقراءة بعض المختصرات الفقهية من مصنفات شيخه أبي يعلى الفراء[5] . ومنها مجلسان للتحديث بالمصنفات ، الأول حدث فيه الفقيه أبو الحسن علي بن عمرو الحراني(ت488هـ/1095م) ،بكتاب الإبانة الصغرى لابن بطة العكبري[6] ،قرأه بحران سنة 484هـ[7]/1091م .و الثاني عقده الفقيه زياد بن علي البغدادي(ت493هـ/1096م) حدث فيه بكتاب الوجيز لابن خزيمة[8]،سمعه منه الفقيه أبو الحسن بن الزاغوني البغدادي الحنبلي(ت527هـ[9]/ 1132م .و عندما دخل الفقيه رزق الله بن عبد الوهاب التميمي(ت488م/1095م)مدينة سمرقند[10] ،وجد بعض أهل العلم يروون كتاب الناسخ والمنسوخ

[1] أبو الحسين بن أبي يعلى : طبقات الحنابلة ج 2 ص :230 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :18 ط د . و ابن العماد الحنبلي :المصدر السابق ج 5 ص:252 ط د .

[2] ابن رجب :المصدر السابق ج 1 ص :13 ط د .

[3] نفس المصدر ج 1 ص: 112 ط د .

[4] نفس المصدر ج 1 ص :216 ط د .

[5] نفس المصدر ج 1 ص :50 ط د . وابن كثير المصدر السابق ج12 ص :557 ط د المعرفة . وابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :327 ط د .

[6] هو الحافظ أبو عبد الله بن بطة العكبري الحنبلي المتوفى سنة 387هـ/997م . ابن كثير :المصدر السابق ج 11 ص :321-322 .

[7] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص:107 ط د .

[8] هو الحافظ الفقيه أبو بكر محمد بن خزيمة النيسابوري الشافعي المتوفى سنة 311هـ/923م . ابن العماد الحنبلي :المصدر السابق >4 ص :57-58 ط د .

[9] ابن رجب : المصر السابق ج1 ص :110 ط د .

[10] تقع بلاد خوارزم ،فيما وراء نهر جيحون . عبد المنعم ماجد ،وعلي البنا :الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي في العصور الوسطى ، ط 2 ،د م ن ،دار الفكر العربي ، د ت ص : خ رقم 8 .

لهبة الله[1]،عن خمسة رجال لكي يصل الإسناد[2] إلى مؤلفه،فقال لهم : ((الكتاب معي و المصنف جدي لأمي،ومنه سمعته ،و لكن ما أسمعكم[3] كل واحد منكم إلا بمائة دينار، فما كان الظهر حيى جاءني كيس فيه خمسمائة دينار،و الجماعة فسمعوا علي ،وسلموا إلي الذهب))[4].و كانت للفقيه أبي الخطاب الكلوذاني البغدادي(ت510هـ/1116م) جلسات علمية مع شيخه القاضي أبي يعلى الفراء، قرأ فيها عليه كثيرا من مصنفاته،في الفقه و الأصول[5] .

و أشير هنا إلى إني أحصيتُ- من خلال مجالس العلم الحنبلية –أكثر من تسعة عشر عالما ، ساهموا في تنشيط الحركة العلمية الحنبلية في المشرق الإسلامي،ومعظمهم من بغداد و قلة من خارجها ،أذكر منهم أربعة أولهم القاضي أبو يعلى الفراء،وهو أكبر شخصية علمية حنبلية ،في القرن الخامس الهجري/11م ،دون منازع بفضل تفرغه للعلم ،و نشاطه الدؤوب في نشره[6] ،فكانت مجالسه مكتظة بالحاضرين ،وتأتيه أسئلة المستفتين من مكة ،و اصبهان و غيرهما من المدن[7] ،منها ثلاثة أسئلة وردت إليه من مكة المكرمة،أولها : هل حركة اللسان بالقرآن قديمة ؟فأجاب : إن حركة اللسان محدثة ،ولا يجوز القول بأنها قديمة[8] .

و السؤال الثاني: هل يقال ، أفضل الناس بعد الرسول –صلى الله عليه وسلم –الخلفاء الأربعة ، ثم الزبير إلى أخر المبشرين بالجنة ؟ فأجاب : الأفضل الطف في الخلفاء الأربعة ،لأن ثم تستلزم الترتيب ، وليس لنا نقل في ذلك ، وعمر ابن الخطاب –رضي الله عنه – أمر هؤلاء العشرة أن يختاروا واحدا منهم ،و لم يعينه و ذلك ظاهر التساوي ، كما أن ثم تفيد الترتيب و هذا يعني تقديم طلحة على الزبير و الزبير على عبد الرحمن بن عوف–رضي الله عنهم –[9] .

---

[1] لم أجده .

[2] الإسناد في علم مصطلح الحديث هو سلسلة الرجال الموصلة للمتن . محمود الطحان : أصول التخريج و دراسة الأسانيد ، ط3 الرياض،مكتبة المعارف ،1417هـ ،ص : 1238 .

[3] كذا في الأصل .

[4] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 100 ط د .

[5] نفس المصدر ج 1ص :143 ط د .

[6] الذهبي : المصدر السابق ، ج :451-460هـ ص :459 . وابن كثير :المصدر السابق ج 12 ص : 94- 95 .

[7] أبو الحسين ابن أبي يعلى : المصدر السابق ج2 ص :205 230 . و الذهبي :المصدر السابق ج : 451 –460 هـ ص : 454 .

[8] ابن قيم الجوزية :بدائع الفوائد ،بيروت دار الكتاب العربي د ت ، مج ج 4 ص : 40 401 .

[9] نفسه مج 2 ج 4 ص :40 401 .

و الثالث هو :هل يجوز القول أن الله يرحم الكفار ؟ فرد بقوله : لا يجوز لأن الله تعالى يقول : ((إن الله لا يغفر أن يشرك به)) –سورة النساء/48و 116 – و((لا يخفف عنهم العذاب)) – سورة البقرة/ 162–،لكنه تعالى يخفف عذاب بعضهم ،لقوله : ((أدخلوا أ ل فرعون أشد العذاب)) – سورة غافر /46– و ((ربنا أتهم ضعفين من العذاب)) –سورة الأحزاب/68[1]– . و مما يزيد في شأن القاضي أبي يعلى و يرفع من مكانته ، أن معظم أعيان علماء الحنابلة في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/11م و ما بعده ،قد تخرجوا على يده أو على أيدي تلامذته ،و قد أحصيتُ منهم تسعة عشر طالبا هم من كبار تلامذته ،كما هو مبين في الشكل رقم : 1[2].

والعالم الثاني هو :أبو عبد الرحمن بن مندة الاصبهاني(ت470هـ/1077م) كان كثير السماع للحديث ،و واسع الرواية ،من بيت عريق في العلم و الحنبلية[3] ،واه جاه عريض ،و نفوذ قوي في بلده اصبهان،و له بها أصحاب و أتباع يقتفون أثره[4] ،و وينسبون إليه أقوالا لا تثبت عنه ،كقولهم أن التيمم بالتراب جائز مع القدرة على استعمال الماء ، و أن صلاة التراويح بدعة[5] .و قد اتهمه خصومه بالتشبيه لأنه كان مفرطا في إثبات الصفات ، مما جعلهم يتوهمون فيه التجسيم ، وهو منه بريء ،لأنه كان ينفي عن نفسه تلك التهمة ، ويصرح أنه متبريء إلى الله تعلى من التشبيه ، و المثل ، والضد ،و الند ، والجسم ،و الأعضاء ،و الآلات ،و من كل ما ينسب إليه و يدعى عليه[6] .

---

[1] نفس المصدر مج 2 ج 4 ص : 41 .

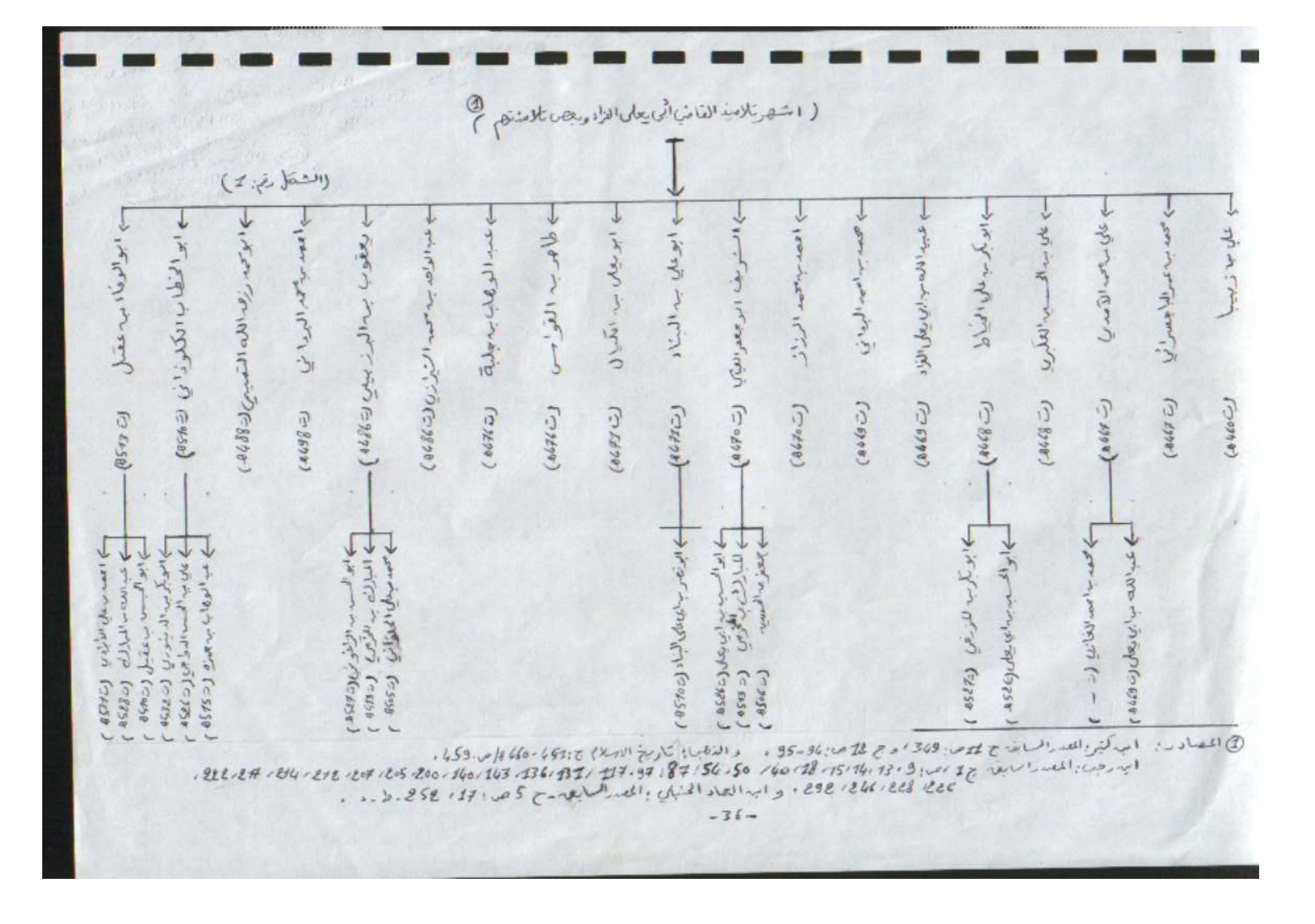
[2] ص : 42 .

[3] انظر شجرة نسبه في مبحث الأسر العلمية الحنبلية، من الفصل الأول .

[4] الذهبي : المصدر السابق ج: 461-470 هـ ص :480 . وابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 34 ط د . وابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص:304 ط د .

[5] ابن رجب : المصدر السابق ج1 ص :38 ط د .

[6] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 37 ط د . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :305 ط د .


(اشهر تلاميذ القاضي أبي يعلى الفراء وبعض تلامذتهم) ①
(الشكل رقم: 1)
ابو الوفا ابن عقيل (ت 513هـ)
احمد بن علي الأزدي (ت 571هـ)
عبد الله بن المبارك (ت 528هـ)
ابو الحسن بن عقيل (ت 510هـ)
ابو الخطاب الكلوذاني (ت 510هـ)
ابو بكر بن الدينوري (ت 532هـ)
علي بن الحسن الدواجي (ت 526هـ)
عبد الوهاب بن حمزة (ت 575هـ)
ابو محمد رزق الله التميمي (ت 488هـ)
احمد بن محمد البرداني (ت 498هـ)
يعقوب بن البرزبيني (ت 486هـ)
ابو الحسن بن الزاغوني (ت 527هـ)
المبارك بن المخرمي (ت 513هـ)
محمد بن علي الحلواني (ت 505هـ)
عبد الواحد بن محمد الشيرازي (ت 486هـ)
عبد الوهاب بن جلبة (ت 476هـ)
طاهر بن الغوامي (ت 476هـ)
ابو يعلى بن الكيال (ت 471هـ)
ابو علي بن البناء (ت 471هـ)
ابو نصر بن ابي علي البناء (ت 570هـ)
الشريف ابو جعفر العباسي (ت 470هـ)
ابو الحسين بن ابي يعلى (ت 526هـ)
المبارك بن المخرمي (ت 513هـ)
جعفر بن الحسين (ت 506هـ)
احمد بن محمد الرزاز (ت 470هـ)
محمد بن احمد البرداني (ت 469هـ)
عبيد الله بن ابي يعلى الفراء (ت 469هـ)
ابو بكر بن علي الخياط (ت 468هـ)
ابو بكر بن المزرفي (ت 527هـ)
ابو الحسين بن ابي يعلى (ت 526هـ)
علي بن الحسين العكبري (ت 468هـ)
علي بن محمد الآمدي (ت 467هـ)
محمد بن احمد الغاني (ت -)
عبد الله بن ابي يعلى (ت 469هـ)
محمد بن عمر الباجسرائي (ت 467هـ)
علي بن زبيبا (ت 460هـ)
① المصادر: ابن كثير، المصدر السابق، ج 11 ص: 369، و ج 12 ص: 94-95. والذهبي: تاريخ الاسلام ج: 461-460/ص 459.
ابن رجب: المصدر السابق ج 1 ص: 9، 13، 14، 15، 18، 40، 50، 54، 87، 97، 117، 131، 136، 143، 140، 200، 205، 207، 212، 214، 217، 222،
226، 228، 246، 292. وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ج 5 ص: 17، 252، د.ط.
-36-

و الثالث هو أبو علي بن البناء البغدادي(ت471هـ/ 1078م) كان متعدد الفنون ،جمع بين علم القراءات ،و الفقه ،و الحديث ،و الأدب ،و الوعظ ، وناظر ، ودرس ، وأملى الحديث و أفتى في جامعي المنصور و القصر ،و صنف عشرات الكتب في الفروع و الأصول ، و التاريخ و الأدب[1] . و أخرهم رزق الله بن عبد الوهاب التميمي البغدادي(ت488هـ/1095م) جمع علوما شتى كالفقه ، والحديث ، والتفسير ، واللغة ، وكانت له مجالس علم في بغداد ،و اصبهان ، و سمرقند[2] .

و يستنتج مما أوردناه عن مجالس العلم عند علماء الحنابلة ،في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/11م ،أنها اتخذت –في عمومها–من المساجد مقرا لها ، وشملت موضوعاتها العلوم الشرعية دون علوم الأوائل ،و تولى عقدها علماء كثيرون غالبيتهم من بغداد ،ومعظمهم من تلاميذ القاضي أبي يعلى الفراء أو من تلامذتهم ،فكان لهم الدور الكبير في الرفع من مكانة بغداد العلمية ، و في تفعيل الحركة العلمية الحنبلية ،و إثرائها بالمصنفات .

رابعا : الإنتاج العلمي الحنبلي(450 – 500هـ /1058–1106م)

أحصيتُ لعلماء الحنابلة في المشرق الإسلامي خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/11م خمسمائة و واحد و ستين كتابا[3]، منها خمسمائة مصنف لأبي علي بن البناء وحده ،و منها أربعون كتابا للقاضي أبي يعلى الفراء ، و المؤلفات المتبقية موزعة على ستة عشر عالما ، فبالنسبة لمصنفات ابن البناء فتشمل علوما شتى كالفقه والحديث ، والتاريخ والأدب ، وعلوم القرآن ، وكان قد شرع في التأليف في حياة شيخه القاضي أبي يعلى ،و عرض عليه مؤلفاته فكتب له بخطه عليها

---

[1] نفس المصدر ج 1 ص :412 43 ط د . و نفسه ج 5 ص :306 ط د .

[2] الذهبي : المصدر السابق ج :481 –490 هـ ص :242 . و ابن كثير : المصدر السابق ج 12 ص :360 ط د المعرفة .

[3] المصادر هي : الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج :451-460 هـ ص :459 ، ج :461-470 هـ،ص :262 459 ، ج :471-480 هـ ص :40 ، ج:481-490 هـ ص : 54 55 ج:491-500 هـ ص :316 516 517 .و ابن الجوزي : المنتظم ،ج 9 ص :151 . و ابن رجب :الذيل على طبقات الحنابلة ،ج1 ص :12 19 22 38 39 42 43 59 45 46 60 62 65 66 65 55 89 99 112 123 132 118 287 . و ابن كثير : البداية والنهاية ،ج 12 ص :655 ط د المعرفة . وابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج 5 ص : 302 303 304 305 306 317 329 ، ط د . و سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج 8 ص :21 . و أبو الحسين بن أبي يعلى : طبقات الحنابلة ،ج 2 ص :205 .و ابن قيم الجوزية : بدائع الفوائد <مج2 ج 4 ص :41 401 . و جعفر بن احمد السراج : مصارع العشاق ،بيروت دار بيروت 1980 ج1 ص :4و ما بعدها .و George Makdisi Ibn Aqil P 2 34 . S D E
Laugier khawadja Abdullah anssari P 270 .

بالإصابة و الاستحسان[1] .و أما كتب شيخه أبي يعلى ،فمعظمها في الفقه وأصول الدين ،و يؤخذ عليه فيها احتوائها على أحاديث باطلة كثيرة ،لأنه لم يكن خبيرا بعلل الحديث و رجاله[2] .

و منها ستة مصنفات في علوم القرآن ،اثنان في القراءات هما : القراءات السبع ،للمقريء أبي الخطاب بن علي الصوفي البغدادي(ت476 هـ/1083م)، والمهذب في القراءات ،للمقريء أبي منصور الخياط البغدادي(499هـ/1105 م)[3] .و منها أربعة كتب في تفسير القرآن الكريم ، الأول للقاضي أبي يعلى ، والثاني لأبي علي بن البناء ،توجد منهما نسختان مخطوطتان بالمكتبة الظاهرية[4] بدمشق[5] . و الثالث تفسير باللغة الفارسية ، للصوفي عبد الله الأنصاري الهروي[6] ،و آخرها كتاب الجواهر ، في ثلاثين مجلدة للفقيه أبي الفرج عبد الواحد بن محمد الشيرازي ثم الدمشقي(486هـ / 1093م)[7] .

و لهم أربعة وعشرون كتابا في الفقه وما يتصل به من أصول و خلاف ،منها ثلاثة في أصول الفقه ، و واحد في الجدل و المناظرة ، و الباقي في الفروع منه : شرح مختصر الخرقي ، والخلاف الكبير للقاضي أبي يعلى[8] ، و عمدة الحاضر و كفاية المسافر ، في أربعة مجلدات ،لأبي الحسين علي بن محمد الآمدي(467 هـ/1074 م)، وكتاب شرح مختصر الخرقي ، و الكامل في الفقه ، و الكافي المحدد في شرح المجرد ،لأبي علي بن البناء[9] ،و الإيضاح في الفرائض ، للفقيه أبي الفضل بن الحداد البغدادي(ت493 هـ/1096 م)،حرر فيه مذهب الحنابلة في الميراث تحريرا جيدا[10] .

---

[1] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :42 43 ط د . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :306 ط د .

[2] الذهبي : المصدر السابق ج :451-460هـ / ص :459 462 .

[3] ابن رجب :المصدر السابق ج 1 ص :59 118 ط د ز و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص : 287 329 ط د .

[4] كان ذلك قبل نقل مخطوطاتها إلى مكتبة الأسد .

[5] George Makdisi op cit P 234 .

[6] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :66 287 ط د .

[7] نفس المصدر ج 1 ص : 89 ط د .

[8] الذهبي : المصدر السابق ج :451-460هـ/ ص :459 .

[9] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :12 45 ط د .

[10] نفس المصدر ج 1 ص :112 ط د . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص : 405 ط د .

و عثرت لهم في علم الحديث على ثلاثة مصنفات ،أولها جزء في صلاة النبي –عليه الصلاة و السلام –خلف أبي بكر الصديق –رضي الله عنه –،و الثاني المنامات النبوية ، و هذان الكتابان لأبي علي احمد بن محمد البرداني البغدادي[1](ت498 هـ/ 1104 م) ،وآخرها السراجيات ،في خمسة أجزاء حديثية خرجها أبو بكر الخطيب البغدادي(ت463 هـ/1060 م)، للمقريء جعفر بن احمد السراج البغدادي الحنبلي[2] .

و لهم –من مجموع مصنفاتهم[3] – ثمانية عشر كتابا في أصول الدين و علم الكلام ،منها مسائل الإيمان ، و الرد على المجسمة ، والرد على الأشاعرة ، والرد على الباطنية ، وإبطال التأويلات لأخبار الصفات ، والمعتمد في أصول الدين ، و هي كلها من تأليف القاضي أبي يعلى الفراء[4] ،و لم يصل إلينا منها إلا كتابه المعتمد في أصول الدين[5] ، شرح فيه مذهب الحنابلة ، وأهل الحديث في مسائل أصول الدين ، و رد فيه على الأشاعرة ، والمعتزلة ، والشيعة[6] ، وأبان فيه عن كفاءة علمية عالية في إلمامه بمقالات عصره ، و غزارة علمه ، و تمكنه من المنهج الجدلي[7] . ومنها الفاروق في الصفات ، و ذم الكلام وأهله ، و هما للصوفي عبد الله الأنصاري الهروي ، و في كتابه الأول أحاديث باطلة أوردها دون تحقيق[8] ،و الثاني توجد منه نسخة مخطوطة كانت في المكتبة الظاهرية ، اتبع فيه مؤلفه طريقة المحدثين في ذكر النصوص الشرعية و الأخبار المسندة ، مع الاسترسال أحيانا في التعبير عما يجول في خاطره[9] .

ولهم في الوعظ و التربية و التصوف ستة كتب ، منها أدب العالم و المتعلم ، لأبي علي بن البناء ، و مما حكاه فيه أنه ورد في زمانه سؤال يقول : هل يجوز أن يقرأ على المحدث الثقة كتاب ذكر أنه من سماعه و ليس معه خط يشهد له ؟ فاتفق الفقهاء على الجواز ، وكتب الفقيهان أبو إسحاق الشيرازي الشافعي(476 هـ/1083 م)، و رزق الله بن عبد الوهاب التميمي(488 هـ/1095 م)،إن

---

[1] ابن رجب : نفس المصدر ج 1ص :118 ط د .

[2] نفس المصدر ج 1ص :123 ط د .

[3] التي سبق إحصاؤها .

[4] الذهبي : المصدر السابق ج :451-460هـ/ ص :459 . و عبد القادر أبو فارس :القاضي أبو يعلى الفراء و كتابه الأحكام السلطانية ،ط 2 ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ،1983 ،ص :246 .

[5] حققه الباحث وديع زيدان ، بيروت ، دار المشرق ، 1973 .

[6] المعتمد في أصول الدين ص :51 و ما بعدها و 259 و ما بعدها .

[7] نفس المصدر ،ص : 54 61 .

[8] الذهبي : المصدر السابق ج 481-490هـ / ص :54 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 65 ط د .

[9] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 هامش ص : 65 ط د . و أرم ضياء العمري : دراسات تاريخية ط 1 ، السعودية ،الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ،1983 هـ .

((الخط عادة محدثة ، استظهرها المحدثون من غير إيجاب لها)) ، و ذهب ابن البناء إلى القول بأن المحدث الثقة يصدق فيما قاله لأن السلف الأول كثير منهم كان يحدث من حفظه ، دون إظهار لخط من حدثه[1] . ومنها كتاب مجالس التذكير باللغة الفارسية ، و علل المقامات ، و منازل السائرين ، وهي للحافظ عبد الله الأنصاري الهروي الصوفي ، وكتابه الأخير شرحه الفقيه ابن قيم الجوزية الدمشقي الحنبلي(ت751 هـ/1350 م)، في كتابيه : مدارج السالكين ، و طريق الهجرتين[2] .

و في التاريخ والفضائل عثرت لهم على ثلاثة عشر مصنفا ،منها فضائل احمد بن حنبل ،للقاضي أبي يعلى الفراء[3] ،و كتاب فضائل الشافعي ، و أخبار الأولياء و العباد بمكة ، و طبقات الفقهاء ، و أصحاب الحديث الخمسة ، و أخبار القاضي أبي يعلى ، والتاريخ ،و هي كلها لأبي علي بن البناء[4] ،ولعل مصنفه التاريخ ، هو يومياته التي سجل فيها حوادث بغداد يوما بيوم طيلة ثلاثة أشهر من سنة 460هـ/1067م ،و سنة 461هـ/1068م بكاملها ، وقد استمر في تدوينها إلى سنة 471 هـ/1078م ، ولا تعرف السنة التي بدأ فيها كتابة يومياته[5]. ومنها كتاب طبقات الصوفية باللغة الفارسية ،للصوفي عبد الله الأنصاري الهروي، ترجم فيه لأعيان الصوفية كأبي القاسم الجنيد بن محمد البغدادي(298 هـ/ 910 م)، و أبي منصور الحسين الحلاج[6] البغدادي(ت309 هـ/ 921م.

في الأدب أحصيتُ لهم خمسة كتب ، منها مصارع العشاق للمقريء الأديب أبي محمد بن احمد السراج البغدادي(500 هـ/1106 م)، دون فيه أشعار وحكايات العشق وأهله ، بأسلوب عفيف[7] . و أما الأربعة الباقية فهي كتب منظومة ،ثلاثة منها لأبي محمد السراج ،هي : مختصر

---

[1] ابن رجب : نفس المصدر ،ج 1ص :52-53 ط د .

[2] هما مطبوعان و متداولان .

[3] الذهبي : المصدر السابق ج :451-460 هـ / ص : 459 .

[4] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص: 46 ط د .

[5] حققها المستشرق جورج مقدسي ،وترجمها إلى اللغة الإنجليزية ،و نشرها مع النص العربي ، في نشرة الدراسات الشرقية و الإفريقية التي تصدرها جامعة لندن (B S O A S) Tome 18 1956 P 9-31 239-260 Tome 19 1957 P 13-48 281-303 426-443 .

[6] حكم عليه علماء بغداد بالقتل ،لادعائه أن الله قد حل فيه ،و قتل في بغداد سنة 309هـ/921م . ابن كثير : المصدر السابق ج 11ص :132 .

[7] جعفر بن احمد السراج : مصارع العشاق ،بيروت ، دار بيروت ،1981 ،ج 1 ص : 4 و ما بعدها .و سبط بن الجوزي : المصدر السابق ج 8 ص :21 ،و ابن كثير : المصدر السابق ج12 ص :655 ط د المعرفة .

الخرقي في الفقه ، و مناسك الحج ، و التنبيه في الفقه لأبي إسحاق الشيرازي الشافعي[1] . و الرابع في عدد ايات القرآن الكريم ،للمقريء أبي الخطاب علي بن احمد الصوفي البغدادي(ت476 هـ/1083م) ومن نظمه كذلك ،قصيدة عينية في أثر من أربعين بيتا موضوعها مسائل الاعتقاد ، منها قوله :

حقيقة إيماني أقول لتسمعوا لعل به يوما إلى الله ارجع
بأن لا إله غير ذي الطول[2] وحده تعالى بلا مثل له الخلق خضع
و ليس بمولود و ليس بوالد يرى ما عليه الخلق طرا و يسمع[3]

و لأبي محمد بن احمد السرج أشعار كثيرة[4] ، منها قوله في مدح أصحاب الحديث:

لله در عصابة يسعون في طلب الفوائد
يدعون أصحاب الحديث بهم تجلت المشاهد
يتتبعون من العلوم بكل أرض كل شار
فهم النجوم المهتدى بهم إلى سبل المقاصد[5]

و لهم مصنفات أخرى متعددة الموضوعات ،منها خمسة كتب[6] ،من بينها أربعة للقاضي أبي يعلى الفراء ،هي: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،و الأحكام السلطانية ،و كتاب الطب ، و ردود وإجابات على أسئلة المستفتين[7] ،و الخامس كتاب حكم الصبيان ،للمقريء أبي محمد بن احمد السراج[8] . والكتاب الأول للقاضي أبي يعلى وصلت إلينا منه نسخة مخطوطة كانت في المكتبة الظاهرية بدمشق ،و قد ضم تسعة و عشرين بابا ،منها الباب الثالث أوجب فيه أبو يعلى الإنكار على السلطان إذا عطل الحدود ، و استأثر بأموال الفيء والغنائم ، مع عدم جواز شهر السيف عليه[9] ،و في

---

[1] ابن الجوزي : المصدر السابق ج 9 ص : 151 . و الذهبي : المصدر السابق ج :491-500 هـ/ ص :516-517 . وابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :123 ط د .

[2] مأخوذة من قوله تعلى ((شديد العقاب ذي الطول))-سورة غافر /3- معناها أن الله ذو الفضل و النعم المبسوطة ،على من يشاء من خلقه . محمد علي الصابوني ،و صالح احمد رضا : مختصر تفسير الطبري ، الجزائر مكتبة رحاب ،1991 ج 2 ص :287 .

[3] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 60 ط د .

[4] ذكر بعضها ابن رجب ، المصدر السابق ج 1 ص: 124 و ما بعدها .

[5] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 126 ط د .

[6] من ضمن المجموع العام المقدر بخمسمائة و واحد و تسعين مصنفا .

[7] أبو الحسين بن أبي يعلى : المصدر السابق ج 2 ص :205 . و الذهبي : المصدر السابق ج:451-460 هـ/ ص :459 . و ابن قيم الجوزية : المصدر السابق مج 2 ج 4 ص : 41 401 .

[8] سبط بن الجوزي :المصدر السابق ج 8 ص :21 . و ابن رجب البغدادي : المصدر السابق ج 1 ص : 123 ط د .

[9] عبد القادر أبو فارس : المرجع السابق ص :186 189 .

الباب الخامس والعشرين ، منع التسمي بملك الملوك ، وملك الأملاك ، و شاهنشاه[1] . و في كتابه الأحكام السلطانية ،تعرض للموارد المالية للدولة ، و لعلاقة الخليفة بالرعية و واجبات كل طرف نحو الأخر[2] ،و كتابه هذا هو أول كتاب في الفقه السياسي الإسلامي صنفه عالم حنبلي[3] ،و هو كذلك شديد الشبه بكتاب الأحكام السلطانية ،للقاضي أبي الحسن علي الماوردي البغدادي[4](ت 450 هـ/1058 م) .

و تلخيصا لما ذكرته عن تراث الحنابلة العلمي في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/11م ،أمثّل الأرقام الواردة أنفا في جدول(رقم:1ص:) و رسم بياني(رقم:1ص:)،و منهما يتبين أن أكثر العلوم نصيبا من حيث عدد المصنفات ،هو علم الفقه وأصوله ،بأربعة و عشرين كتابا بنسبة 30% ، ثم يليه علم أصول الدين،بثمانية عشر مصنفا ،بنسبة 22,5% ،ثم تأتي باقي العلوم تباعا ، أقلها علم الحديث بثلاثة كتب ،بنسبة 3,75% ،كما يتبين منهما غياب المؤلفات في علوم الأوائل ،من فلسفة وفلك ، و هندسة و كيمياء ، من تراث الحنابلة العلمي،مما يدل على إهمالهم لها ،و اهتمامهم الكبير بالعلوم الشرعية. كما أن الفارق كبير جدا بين ما صنفه ابن البناء ،و باقي العلماء ،فقد قدرت مصنفاته بخمسمائة كتاب ، ثم يليه أبو يعلى الفراء بأربعين مؤلفا ،و الواحد والخمسون كتابا المتبقية ،هي لستة عشر عالما حنبليا[5] .

ويتبين مما ذكرناه عن أوضاع الحركة العلمية الحنبلية في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/11م أنه كان للحنابلة انتشار محدود في مدن الشرق الإسلامي ، لهم في بعضها نشاط علمي بارز و مؤثر ،كبغداد ، واصبهان ،و هراة . و أنه لم تكن لهم أربطة ،و لا زوايا ،و لا مدارس،كما هو حال الحنفية و الشافعية ،مكتفين بالمساجد كمؤسسة جامعة بين الصلاة و العلم،فكانت مقرا لمجالسهم العلمية ، و معهدا لتخريج العلماء ،الذين أثروا التراث العلمي الحنبلي بمصنفات أحصيتُ منها خمسمائة و واحد و تسعين كتابا،الأمر الذي مهد الأرضية الفكرية ،للحركة العلمية الحنبلية في القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13 ،لتزداد اتساعا ، و عمقا ، و تنوعا ،و تأثيرا .

---

[1] نفس المرجع ص : 188 .

[2] أبو يعلى الفراء : الأحكام السلطانية ص : 3 و ما بعدها .

[3] عبد القادر أبو فارس : المرجع السابق ص :392 .

[4] نفس المرجع ص : 499 و ما بعدها .

[5] انظر الجدول رقم :1 ، و الرسم البياني رقم : 1 .

جدول تقريبي لمجموع مصنفات الحنابلة

(450-500هـ/1058-1106م)[1]

(الجدول رقم: 01)

الرمز	نوع العلم	مجموع كتب المتن	النسبة المئوية[2]	مجموع المصنفات
0	الفقه و أصوله	24	30	
.	أصول الدين	18	22,5	
×	التاريخ و الفضائل	13	16,25	500 [3]
+	علوم القرآن	06	7,5	+
=	تربية و تصوف	06	7,5	40 [4]
÷	أدب ولغة	05	6,25	51 [5]
v	علوم الحديث	03	3,75	
!	مصنفات أخرى	05	6,25	
المجموع	8	80[6]	100 %[7]	591

[1] المصادر سبق ذكرها في المتن .

[2] من الكتب المذكورة في المتن .

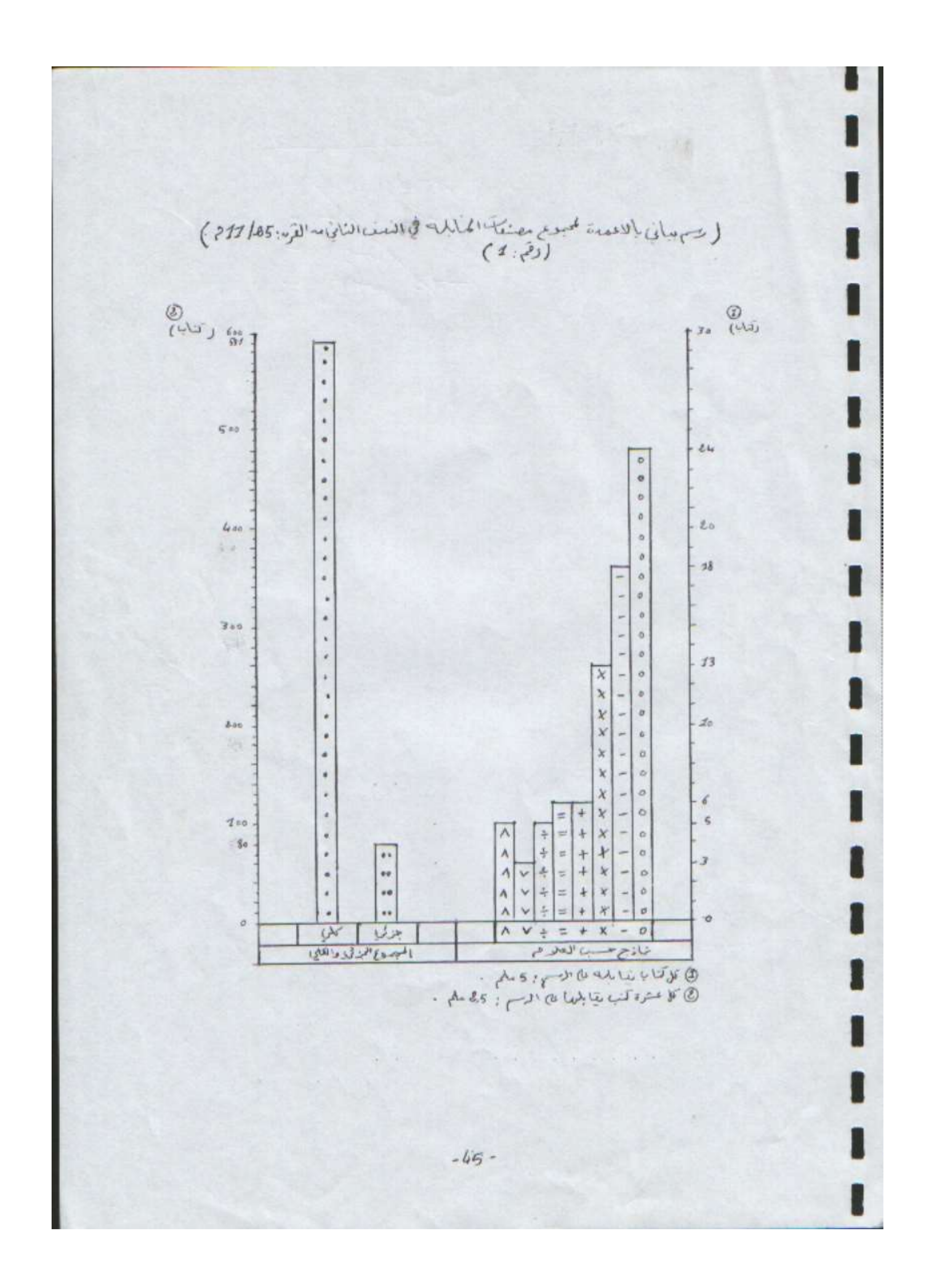
[3] هي مجموع مصنفات أبي علي ابن البناء .

[4] هي من مصنفات القاضي أبي يعلى الفراء .

[5] هذا الرقم هو حصيلة طرح كتب القاضي أبي يعلى ، وابن البناء التي ذكرت في المتن مع باقي الكتب ، و هي قد أدخلت في مجموع مؤلفاتيهما .

[6] يمثل الكتب المذكورة في المتن ، دون المجموع العام .

[7] أخذت النسبة من مجموع الكتب المذكورة في المتن حسب العلوم .



(رسم بياني بالأعمدة لمجموع مصنفات المالكية في النصف الثاني من القرن: 85/ 211 م)
(رقم: 1)
② (كتاب)
① (كتاب)
600
500
400
300
200
100
80
0
30
24
20
18
13
10
6
5
3
0
كلي
جزئيا
المجموع الجزئي والكلي
∧ ∨ ÷ = + x - o
نماذج حسب العلوم
① كل كتاب يقابله على الرسم: 5 ملم.
② كل عشرة كتب يقابلها على الرسم: 2.5 ملم.
-45-

الفصل الأول

جهود علماء الحنابلة في تحصيل العلم ونشره في المشرق الإسلامي في القرنيين: 6 ،7هـ/12-13م

المبحث الأول: رحلات علماء الحنابلة في طلب العلم و اجتهادهم فيه

المبحث الثاني: التكسب عند علماء الحنابلة

المبحث الثالث: التخصصات العلمية عند علماء الحنابلة

المبحث الرابع: نساء عالمات حنبليات

المبحث الخامس: الأسر العلمية الحنبلية

المبحث السادس: مجالس العلم عند علماء الحنابلة

المبحث السابع: دور علماء الحنابلة في نشر المذهب الحنبلي

بذل أعيان علماء الحنابلة-كغيرهم من علماء عصرهم- جهودا كبيرة في طلب العلم و تحصيله ، و التخصص و التمهر فيه ، ثم نشره و المشاركة في عقد مجالسه ،و استخدامه وسيلة لنشر مذهبهم و الدفاع عن . و قد برز منهم علماء كثيرون كأفراد و أُسر حنبلية اشتهرت بالعلم: تخصصا و توارثا . كل ذلك —و غيره- سيأتي ذكره تباعا فيما يلي:

المبحث الأول: رحلات علماء الحنابلة في طلب العلم واجتهادهم فيه

لم يضق مجال الرحلة في طلب العلم ،بعد تدوين العلوم الإسلامية في القرنين الثاني و الثالث الهجريين[1]/8-9م،بل اتسع نطاقها ، و ازدادت العناية بها في القرون التي تلت القرن الثالث الهجري/9م،لأنها توفر لأهل العلم فرصة لقاء الشيوخ و مذاكرتهم ،و تمكنهم من طلب علو الإسناد[2] ،و البحث عن أحوال الرواة جرحا و تعديلا[3] ،لذلك أولاها العلماء اهتماما بالغا جعل بعضهم[4] يمنع الإجازة[5] كوسيلة لأخذ العلم ،لأنها تبطل الرحلة[6] ،و تثبط العزائم على السفر وتحمل مشاقه ،كما تحولت الرحلة لديهم إلى تقليد علمي ثابت ،على اختلاف مذاهبهم و طوائفهم[7] .

أولا : نماذج من رحلات علماء الحنابلة:

كانت عادة الطلبة في العصر الإسلامي ،أخذ العلم عن شيوخ بلدهم أولا ،ثم التطلع إلى الرحلة خارجه ثانيا ، لمن أراد منهم الاستزادة من العلم ، و كان مستعدا للتضحية بماله ، و وقته ، و جهده ، وصابرا على مفارقة أهله و وطنه،لأجل بلوغ غايته ، وقد أكثر أهل العلم من الحنابلة من الترحال ، طلبا للعلم فكان منهم المقلون ، و المتوسطون ، و المكثرون ؛ فمن المقلين : الفقيه فتيان بن مياح الحراني الضرير (566 هـ/1170 م) رحل إلى بغداد و تفقه بها على الفقيهين الحنبليين :عبد

---

[1] انظر عمر سليمان الأشقر :تاريخ الفقه الإسلامي ، الجزائر ،قصر الكتاب ،1990،ص :86 و ما بعدها ،

[2] الإسناد العالي في علم مصطلح الحديث ،هو الذي قل عدد رجاله ، بالنسبة إلى إسناد أخر ورد فيه نفس حديث الإسناد الأول بعدد أكثر . محمود الطحان : تيسير مصطلح الحديث ،الجزائر دار رحاب ، د ت ،ص :180 .

[3] الخطيب البغدادي : الرحلة في طلب العلم ،حققه نور الدين عتر ،ط1 ،بيروت دار الكتب العلمية،1975 .

[4] منهم الإمام الشافعي(204هـ/819م)،و القاضي أبو الحسن الماوردي(450هـ/1058م)،و إبراهيم الحربي الحنبلي(285هـ/898م) . ابن الصلاح : مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ،حققه مصطفى ديب البغا ،الجزائر دار الهدى ،1991 ، ص :87 .

[5] الإجازة هي إذن بالرواية ،لفظا أو كتابة ، كأن يقول الشيخ لأحد طلابه : أجزت لك أن تروي عني صحيح البخاري ، والإجازة أنواع كثيرة . انظر : ابن الصلاح : المصدر السابق ص :86 و ما بعدها . و محمود الطحان : المرجع السابق ص :159 و ما بعدها .

[6] ابن الصلاح : نفس المصدر ص : 87 .

[7] سيتبين ذلك فيما يأتي من هذا المبحث .

الوهاب بن المبارك الأنماطي(538 هـ/1143 م) ،و صالح بن شافع الجيلي[1](543 هـ/1148م). ومنهم الواعظ زين الدين بن نجا الدمشقي(599 هـ/1202)،قدم إلى بغداد فتفقه و سمع بها الحديث ، ثم رجع إلى دمشق[2] .و ارتحل الفقيه نجم الدين بن عبد المنعم الحراني(ت601 هـ/1204م) إلى بغداد سنة 587هـ/1182م،فأخذ قسطا من العلم و رجع إلى بلده حران ،تم عاد إلى بغداد ثانية ومعه ولداه ،سنة 596هـ/1199م، فطلب علم الحديث ،و اسمع ابنيه معه ،و حصل و ناظر ولم يعد إلى حران[3] .

ومنهم ثلاثة من آل تيمية الحرانيين ،أولهم الفقيه فخر الدين بن تيمية(622 هـ/1225م) ،طلب العلم العلم في بلده أولا ،ثم ارتحل إلى بغداد ، فسمع الحديث من شيوخها ،كأبي الفضل بن شافع الحنبلي(ت563هـ/1167م) ، و شهدة فخر النساء بنت احمد الإبري الكاتبة(574 هـ/1178م)، وتفقه على الفقيهين الحنبليين أبي العباس بن بكروس(ت5731177م)، و ناصح الدين بن المني(ت583 هـ/1187م)،و لازم المؤرخ عبد الرحمن بن الجوزي ،فسمع منه كثيرا من مصنفاته ، و قرأ عليه كتابه زاد المسير في علم التفسير ،قراءة بحث و فهم ،ثم رجع إلى بلده و واصل فيه الطلب[4] . والثاني المفسر عبد الغني بن فخر الدين(639هـ/1241م)، أخذ العلم عن شيوخ بلده ،كوالده ،و الحافظ عبد القادر الرهاوي الحنبلي(612هـ/1215م) ،ثم رحل إلى بغداد ،فسمع الحديث من شيوخها ،كعبد الوهاب بن سكينة الصوفي(ت607هـ/ 1210م)،و أبي حفص بن طبرزد المؤدب(607هـ/1210م)، ثم رجع إلى حران وتفرغ للخطابة و التدريس و الوعظ[5] .

وثالثهم الفقيه مجد الدين أبو البركات بن تيمية(652هـ/1254م)،سمع الحديث من عمه فخر الدين،و الحافظ عبد القادر الرهاوي بحران ، ثم سافر إلى بغداد سنة 603هـ/1206م فسمع الحديث من شيوخها ،كعبد العزيز بن الأخضر(611هـ/ 1214م)، وابن طبرزد ،و أقام بها ست سنوات يشتغل بأنواع العلوم ،ثم عاد إلى بلده وجلس إلى عمه فخر الدين ، تم رجع إلى بغداد للمرة الثانية، وتفقه بها على الفقيهين الحنبليين أبي بكر بن غنيمة الحلاوي(611هـ/ 1214م)،و الفخر إسماعيل غلام بن المني[6](610هـ/1213م) .

---

[1] ابن رجب : المصدر السابق ج 1ص :315 ط د . وابن العماد الحنبلي :المصدر السابق ج 4 ص :219 .
[2] ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص : 35 .
[3] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 36 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5ص :3 .
[4] ابن رجب : نفس المصدر ج 2 ص:151-152 .
[5] نفس المصدر ج 2 ص:222 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص:205 .
[6] نفس المصدر : 2 ص:250 . و نفس المصدر ج 5 ص: 257 .

ومنهم جماعة من المقادسة[1] الدمشقيين انتقلوا إلى بغداد طلبا للعلم ،أذكر منهم : الفقيه عماد الدين إبراهيم بن عبد الواحد(ت614 هـ/ 1217م)،رحل إليها مرتين[2] . والفقيه الموفق بن قدامة المقدسي(ت620هـ/1223م)،و الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد(ت600هـ/1203م) ،بقيا فيها أربع سنوات،وقد دخلها الموفق ثلاث مرات[3] .والرابع المحدث عز الدين بن الحافظ عبد الغني(ت613هـ/1216م) دخل بغداد طلبا لعلم الحديث ،ومنها ارتحل إلى اصبهان و مصر ،و قد دامت رحلته أكثر من عشر سنوات[4] . و الخامس الفقيه شرف الدين بن أبي عمر بن قدامة(ت643هـ/1245م) سمع الحديث من شيوخ بغداد ،كابن الجوزي ، و عبد الوهاب بن سكينة[5] .والسادس سليمان بن الحافظ عبد الغني(643هـ/1245م ،سمع الحديث ببغداد من ابن الجوزي ،و طبقته[6] .وأخرهم زين الدين احمد بن عبد الدائم(ت686هـ/12569م)،أخذ العلم من شيوخ بغداد ،كابن الجوزي ،و أبي الفتح بن المني ،ثم انتقل إلى حران ،و سمع من خطيبها فخر الدين بن تيمية[7] .

ومن الرحالين الحنابلة ،بعض البغداديين أخذوا العلم في بلدهم ، ثم ارتحلوا إلى أقطار أخرى للاستزادة منه ، منهم الفقيه عبد الله بن كتيلة الصوفي(ت681هـ/1282)،حل بحران و تفقه بها على مجد الدين بن تيمية ،و محمد بن تميم(ت نحو615هـ/1218م)،تم انتقل إلى دمشق و أخذ عن القاضي شمس الدين بن أبي عمر(ت6812هـ/1283م)،ثم توجه إلى مصر و جالس الفقيه أبا عبد الله بن حمدان(ت695هـ/1295م)،و استفاد من علمه[8] . و الثاني الفقيه تقي الدين بن محمد الزريراني(ت729هـ/ 1328م)،رحل إلى دمشق سنة 690هـ/1291م)،فقرأ الفقه و الأصول

---

[1] عنهم انظر مبحث : الأسر العلمية الحنبلة ، من هذا الفصل .
[2] الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 22 ص :48 .
[3] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 5 113 .
[4] الذهبي :المصدر السابق ج 22 ص :43 . ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :90 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص : 57 .
[5] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص : 219 .
[6] نفس المصدر ج5 ص : 219-220 .
[7] نفس المصدر ج 5 ص :326 . وابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص:279 .
[8] نقس المصدر ج 5 ص: 373 . و نفس المصدر ج 2 ص: 301 .

على شيوخ المذهب الحنبلي، وحفظ كتاب الهداية ، و مختصر الخرقي ،و أكثر كتاب المغني[1]، ثم عاد إلى بلده[2].

و رحل المقرئ شمس الدين بن خروف الموصلي(ت727هـ/1326م) إلى بغداد –بعد تخريب المغول لها- سنة 662هـ/1263م طلبا للعلم ،فقرأ علم القراءات على المقرئ عبد الصمد بن أبي الجيش الحنبلي(ت676هـ/1277م)، و لازمه مدة طويلة ،ثم أقبل على طلب الحديث النبوي ،فسمع من شيخه الأول ،و من الصوفي علي بن الوجوهي الحنبلي(ت672هـ/1273م)،و من غيرهما من علماء بغداد[3] .

و أخرهم الفقيه أبو محمد بن عبد الكريم الحصني المصري(ت625هـ/1227م)،رحل إلى دمشق طلبا للعلم ،فتفقه بها على الشيخ الموفق بن قدامة المقدسي(ت620هـ /1223م) ،ثم انتقل إلى حران فسمع بها الحديث من عبد القادر الرهاوي(ت6112هـ/1215م) ، ثم توجه إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج ،فغرق في البحر في طريقه إليها ،لكنه نجا و ضاعت منه كل كتبه ،وعاد إلى مصر مجردا من كل متاعه[4] .

و أما علماء الحنابلة الذين توسطوا في الرحلة ،بين المقلين والمكثرين، فمنهم ستة ، أولهم الحافظ الأديب أبو العلاء العطار الهمذاني(ت569 هـ/1173هـ) ،رحل في طلب العلم إلى اصبهان ، و بغداد ، و واسط و خراسان،و أنفق ماله الذي ورثه عن والده في تحصيل العلم ، و سافر ماشيا إلى اصبهان و بغداد عدة مرات حاملا كتبه على ظهره، وكان يبيت في المساجد ،و قد شوهد في بعضها يكتب هو قائم على رجليه لأن السراج كان عاليا[5] . و الثاني عبد الله بن أبي الحسن الجبائي(ت605هـ/1208م) طلب العلم بدمشق ، ثم غادرها إلى همذان ونزل عند أبي العلاء

---

[1] عن هذه الكتب الثلاثة انظر المبحث الثالث من الفصل الخامس .

[2] ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة ، ج2 ص :289 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 6 ص: 90 ط د الأفاق .

[3] ابن رجب : المصدر السابق ج 2ص :381. و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج6 ص :78 ط د الأفاق .

[4] ابن رجب : المصدر السابق ،ج2 ص:172.

[5] الذهبي : تذكرة الحفاظ حققه عبد الرحمن المعلمي ،بيروت دار إحياء التراث العربي ،د ت ،ج 4 ص : 324 و ما بعدها . و محمد بن عبد الهادي :طبقات علماء الحديث ،ج 4ص :103 . وياقوت الحموي:معجم الأدباء ، حققه إحسان عباس ،بيروت دار الغرب الإسلامي ،1993 . و ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء ،حققه ج برجستراس ،مصر مكتبة الخانجي ، 1932 ج 1 ص :203 . و صلاح الدين الصفدي :كتاب الوافي بالوفيات ، سلسلة النشرات الإسلامية ،جمعية المستشرقين الألمانية ، دار فرانز شتايز ،ج 11 ص : 385 .

العطار ،فأخذ عنه علم القراءات ، وسمع منه الحديث ، و أصبح عنده مصدرا يقريء الناس ،ثم تركه و دخل بلاد العجم ،ومنها ارتحل إلى بغداد للاستزادة من العلم ، ثم استقر به المقام باصبهان[1] .

و الثالث الفقيه علي بن ثابت الطالباني البغدادي(ت618هـ/1221م) خرج في طلب العلم إلى الموصل ، و حران ، و دمشق ، و رأس العين بأرض الجزيرة ، ثم عاد إلى بغداد[2] . و الرابع المحدث عبد الرحمن بن شحانة الحراني(ت643هـ/1245م) ،عني بعلم الحديث ، وجد في طلبه ،فسمع بحران ، و دمشق ، و حلب ،و الموصل ، و مصر ،و بغداد ، وكتب بخطه كثيرا من الأجزاء ، و من كبار شيوخه : الحافظ أبو الفضل الأرموي البغدادي(ت574هـ/1052م)، المحدث مسمار بن العويس الموصلي ، و المحدث عبد القادر الرهاوي ثم الحراني[3] .

و الخامس هو المحدث أبو الحجاج يوسف بن خليل الدمشقي ثم الحلبي(ت648 هـ/1250م) ،تشاغل بالكسب إلى الثلاثين من عمره ،ثم تفرغ لطلب علم الحديث فاستفرغ فيه وسعه و طاقته ،و كتب كثيرا من الحديث بخطه المتقن المليح، و سمع الحديث بدمشق من الحافظ عبد الغني المقدسي(ت600 هـ/1203م)، ثم رحل إلى بغداد ، و اصبهان ، و مصر للاستزادة من العلم[4] .و أخرهم الفقيه تقي الدين إبراهيم بن الواسطي الدمشقي(ت692 هـ/1292م) ،سافر في طلب العلم إلى بغداد ، و حلب ، و حران ، و الموصل ،و اهتم بعلمي الحديث و الفقه ، وله إجازات كثيرة من جماعات من الإصبهانيين و البغداديين ، و تفرد بعلو الإسناد[5] .

وبخصوص المكثرين من الأسفار طلبا للعلم فمنهم اثنى عشر عالما ،من بينهم واحد حراني ،و أربعة بغاددة ،و سبعة دماشقة ، الأول هو الحافظ عبد القادر الرهاوي ثم الحراني(ت612 م1215م)،رحل إلى اصبهان ، و همذان ، وسجستان ،و مرو[6] ،وكان يمشي على رجليه طوال رحلاته و الناس يحملون له كتبه لعدم امتلاكه دابة تحمله،و قد التقى خلال اسفاره بكبار مشايخ

---

[1] ابن رجب : المصدر السابق ،ج 2 ص :45 .
[2] نفس المصدر ج 2ص : 125 .
[3] نفس المصدر ج 2ص :240 . و ابن العماد الحنبلي المصدر السابق ج 5 ص :220 .
[4] الذهبي :سير أعلام النبلاء ج23 ص:151 152 ، و تذكرة الحفاظ ج 2 ص: 1410 . و ابن طولون : القلائد الجوهرية ج 2 ص :317 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :244 245 .
[5] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :420 .
[6] انظر مواقع هذه المدن في الخريطة رقم : 2 .

عصره أخذ عنهم علم الحديث ،كأبي العلاء العطار الهمذاني ، و أبي طاهر السلفي الأسكندري[1](ت576 هـ/1180م) .

و أما البغداديون فمنهم الفقيه أبو الخير دلف بن عبد الله(ت577 هـ/1181م رحل في طلب العلم إلى خراسان ، ونيسابور ، و خوارزم ، ثم استقر به المقام بسمرقند[2] . والثاني الحافظ الفقيه أبو نصر عبد الرحيم بن النفيس(ت618 هـ/1221م) جد في تحصيل العلم و بالغ فيه فدخل الشام والجزيرة ،و مصر و العراق،و خراسان و سمرقند ،ثم حط عصا الترحال بخوارزم ، وبقي بها إلى أن قتله التتار عندما دخلوها سنة 618هـ[3]/1221م) .

والثالث الحافظ المؤرخ أبو بكر محمد بن عبد الغني المعروف بابن نقطة(ت629 هـ/1231م)،تردد على مشايخ بلده ثم سافر في طلب العلم إلى اصبهان ونيسابو ، و حران و دمشق ، و حلب و مصر ، و دمنهور و الأسكندرية ، و مكة و إربل ، و خراسان و الموصل ، وأشهر الذين أخذ عنهم العلم تاج الدين الكندي الحنفي الدمشقي(ت613 هـ/1212م) و عبد القادر الرهاوي ثم الحراني ، و أصحاب السلفي بالأسكندرية[4] . و أخرهم الحافظ عبد الرحمن بن كوكب الطائي(ت708 هـ/1308م)،أخذ العلم عن شيوخ بغداد ، ثم خرج في طلبه إلى مصر و الاسكندرية ،و البصرة وحلب ، و واسط و اصبهان, و قد دخل هذه الأخيرة –بعدما خربها المغول– طمعا في أن يجد فيها محدثين ،فلم يلق شيوخا و لا طلبة، فرجع و استقر بمصر، و قد حصل خلال أسفاره الأجزاء و الأصول ، وكتب العالي و النازل[5] من الحديث[6] .

---

[1] أبو شامة المقدسي:ذيل الروضتين حققه عزت العطار الحسيني،ط2 بيروت ،دار الجيل ،1974 ،ص:90 . و الذهبي : المختصر المحتاج إليه ،من تاريخ ابن الدبيثي ،حققه مصطفى عبد القادر عطا ط1 ،بيروت دار الكتب العلمية ،1997 ، ص :272 . و تذكرة الحفاظ ،ج 4 ص :1387 1388 . و ابن رجب البغدادي : المصدر السابق ج 2ص :83-84 .

[2] ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ،ج 1 ص : 350 ط ق .

[3] ابن الدمياطي : المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ،حققه مصطفى عبد القادر عطا ط1 ،بيروت دار الكتب العلمية ،1997 ،ص:120 . و الذهبي : سير أعلام النبلاء ،ج 22 ص :148 . وابن رجب : المصدر السابق ج 2ص :128 . و ابن العماد الحنبلي :المصر السابق ج 5 ص: 80-81 .

[4] ابن خلكان : وفيات الأعيان ، حققه محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة مكتبة النهضة المصرية ، د ت ج 4ص :26 .و الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 22 ص :347 . وتذكرة الحفاظ ج 4 ص : 1412 . و الصفدي : المصدر السابق ج 3 ص :267 . 268

[5] سبق تعريف الحديث الذي له إسناد عال (ص :) و أما الإسناد النازل فهو ((الذي كثر عدد رجاله بالنسبة إلى سند أخر يرد به ذلك الحديث بعدد أقل)) محمود الطحان : تيسير مصطلح الحديث ، ص:180-181 .

[6] ابن رجب :المصدر السابق ج 2 ص :355-356 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 6 ص : 17 18 ط د الأفاق .

و فيما يخص الدمشقيين فأولهم الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد(ت600 هـ/1203م)،أولى الرحلة لسماع الحديث اهتماما كبيرا ، و فضلها على الغزو و سائر النوافل[1] ،و رحل في طلب العلم إلى بغداد سنة 561 هـ/1165م ،فمكث بها أربع سنوات ،ثم سافر إلى مصر سنة 566 هـ/1170من ثم رجع إلى دمشق ، ثم توجه إلى الأسكندرية ، وبقي بها ثلاث سنوات عند الحافظ أبي طاهر السلفي(ت576هـ /1180 م)، ثم عاد إلى بلده ، و بعد فترة غادره إلى اصبهان سنة 570هـ/1174م ، ومنها دخل حران ، وبيت المقدس ، و همذان ،ثم رجع إلى بلده بعدما حصل علما غزيرا ، وكتبا كثيرة[2]، وأصبح يحرض طلبته على الرحلة لطلب العلم ،فقد حرض الضياء محمد بن عبد الواحد المقدسي(ت643هـ/1245م) على السفر إلى مصر وأرسل معه ابنه عبد الرحمن و عمره عشر سنوات ، و سفر إسماعيل بن مظفر[3] إلى اصبهان و خراسان ، و أعطاه مالا ليستعين به في سفره ، و حرض كذلك أبا الحجاج يوسف بن خليل ،على الرحلة لطلب العلم بعدما بلغ من العمر ثلاثين سنة[4] .

و الثاني الفقيه أبو العباس احمد بن عبد الواحد المعروف بالبخاري(ت623 هـ/1226م)،سافر لتحصيل العلم إلى بغداد و واسط ، وهمذان و بلاد فارس ، و نيسابور و توقف بمدينة بخارى مدة ، ثم رجع إلى دمشق و عرف بها بالبخاري[5] . و الثالث الحافظ أبو موسى بن عبد الغني المقدسي(ت629 هـ/1231م)، رحل في طلب العلم إلى بغداد و واسط ، و مكة و المدينة ، والموصل و اربل ، ومصر واصبهان ، ونيسابور و قد قاسى في طريقه هاتين الأخيرتين الشدائد ، والجوع ، والعري ،و مشى على رجليه مسافات طويلة ، ثم عاد إلى بغداد ثانية و سمع الحديث من شيوخها ،كأبي الفتح بن المني(ت583هـ/1187م) ، وعبد الرحمن بن الجوزي(ت597هـ/1200م)، ثم رجع إلى بلده دمشق محملا بالأصول و الأجزاء الحديثية الكثيرة[6] .

---

[1] ابن رجب : نفس المصدر ج 2 ص:10 .

[2] الذهبي : سير أعلام النبلاء ،ج 21 ص :440 446 ، وتذكرة الحفاظ ج 4 ص :1373 . و المنذري : التكملة لوفيات النقلة ،ج 3 ص :20 . وابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :5 6 . ابن عبد الهادي : المصدر السابق ج 4 ص :147 .

[3] سيأتي ذكره قريبا .

[4] الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ج 4 ص:1375 .

[5] الذهبي : سير أعلام النبلاء ،ج 22 ص :256 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص : 107 .

[6] محمد بن عبد الهادي : المصدر السابق ،ج 4 ص :192 193 . و الذهبي : تذكرة الحفاظ ج 4 ص:1408 ، و سير أعلام النبلاء ج .22 ص :318 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص:185 .

و أما الرابع فهو المحدث إسماعيل بن مظفر النابلسي ثم الدمشقي[1](ت639هـ/1241م)، رحل في طلب العلم إلى مكة و بغداد ، و مصر وحران ، و اصبهان و خراسان ، و نيسابور[2] ،و قد سمع –خلال أسفاره–الحديث الكثير من كبار حفاظ عصره ، كأبي الفرج بن كليب الحراني الحنبلي(ت596هـ/1199م)، و عبد القادر الرهاوي، و أ بي الفتوح بن الحصري البغدادي الحنبلي(619هـ/12112م)،و مع كثرة رحلاته و تضحياته ، فقد كان فقيرا فقرا مدقعا ،صبورا على شظف العيش ،مع صلاح ومروءة[3] . و الخامس المحدث تقي الدين بن محمد الصريفيني ثم الدمشقي(ت641 هـ/1243م) سافر طلبا للعلم إلى إلى بعداد والموصل ، و حران و نهاوند ، و بوشنج و نيسابور ، و هراه و تستر ، و دمشق و بيت المقدس[4] ،فسمع –خلال أسفاره– الحديث من أعيان حفاظ زمانه ،كأبي حفص بن طبرزد البغدادي(ت607هـ/1210م)، و عبد العزيز بن الأخضر الحنبلي(ت611هـ/ 1214م)[5] .

و السادس الحافظ الضياء محمد بن عبد الواحد المقدسي ثم الدمشقي(643هـ/1245م) دامت رحلته في طلب العلم خمس سنوات ،دخل خلالها مصر و بغداد ، و همذان و اصبهان ، و هراه و مرو[6] ، و سمع الحديث الكثير من كبار محدثي عصره كابن الجوزي ، و أبي طاهر بن المعطوش البغدادي(ت599هـ/1202)، وعبد الوهاب بن سكينة(ت607هـ/1210م)،فجمع علما غزيرا ، و أصبح حجة في علم الحديث رواية و دراية[7] . و أخرهم مسند الشام الفقيه فخر الدين علي بن البخاري(ت690 هـ/1291م)، أخذ العلم عن شيوخ بلده ، ثم رحل في طلبه إلى القدس و مصر ، و الأسكندرية و حلب ، و حمص و بغداد ، و ثم عاد إلى دمشق ، و تفرد بعلم الرواية[8] ، و رحل

---

[1] هو الذي حرضه الحافظ عبد الغني على الرحلة .

[2] عن مواقع تلك المدن انظر الخريطة رقم : 2 .

[3] الذهبي :سير أعلام النبلاء ،ج 23ص :82 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :224 .

[4] عنها و عن مواقع المدن الأخرى ، انظر الخريطة رقم :2 .

[5] الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 23 ص : 89 ، و تذكرة الحفاظ ج 4 ص :1433 1434 . و الصفدي : المصدر السابق ج 6 ص :141 . وابن رافع السلامي : تاريخ علماء بغداد المسمى منتخب المختار ،حققه عباس العزاوي ، بغداد مطبعة الأهالي ،1357هـ ،ص :15 16 . و ابن رجب البغدادي : المصدر السابق ، ج 2 ص :2128 . و ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبا ر من ذهب ، ج 5 ص : 210 .

[6] عن مواقع تلك المدن انظر الخريطة رقم 2 .

[7] الذهبي : سير أعلام النبلاء ج23 ص:127 و ما بعدها .و تذكرة الحفاظ ج 4 ص :1405 1406 . و النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ج 2 ص :92-93 . و الصفدي : ج4 ص :66 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :237 .

[8] لأنه عمر طويلا ، فقد ولد سنة 576هـ/1180 و توفي سنة 690هـ / 1291م .

إليه أهل الحديث لعلو إسناده[1] ، وهو أخر من كان بينه و بين النبي –عليه الصلاة و السلام– ثمانية رجال ثقاة بالسماع المتصل[2] .

وأشير هنا إلى أن القرنين السادس و السابع الهجريين/12–13/ قد شهدا علماء رحالين كثيرين من غير الحنابلة، ضربوا أمثلة رائعة في الصبر على تحصيل العلم ، و تحمل مشاقه ،منهم الحافظ أبو علي بن مسعود الحنفي العراقي(ت543هـ/1148 م)،اشتغل بالجندية ثم تركها وأقبل على طلب الحديث ،فرحل في سبيله إلى اصبهان ونيسابور ، و مرو و هراه ، وبلخ و بلاد الهند[3] .و الثاني المحدث أبو سع عبد الكريم السمعاني الشافعي(ت 562 هـ/1166م) ،طاف بالأقاليم شرقا و غربا ، شمالا و جنوبا،فدخل بلاد خراسان ، و ما وراء النهر[4] عدة مرات ، ورحل كذلك إلى اصبهان و همذان ، و الموصل و الجزيرة ، و الحجاز و الشام ، فزاد عدد شيوخه –الذين أخذ عنهم العلم– عن أربعة ألاف شيخ[5]. و الثالث الحافظ أبو طاهر السلفي الأسكندري الشافعي(ت576هـ/1180م)،خرج في طلب العلم ،و طاف ببلدان كثير حافيا لقلة ذات يده ،فدخل بغداد و الكوفة ، و البصرة و الحرمين، وهمذان و الري ،و الدينور و قزوين ،و أذربيجان[6] والشام و مصر ، تم استقر بالأسكندرية و استوطنها بضعا و ستين سنة[7] .و الرابع الفقيه عمر بن الحاجب المالكي الدمشقي(630هـ/1232م) رحل في طلب العلم إلى بغداد و مصر ، و الأسكندرية و اربل ، و الموصل و حلب ، و مكة و المدينة المنورة[8] .و الخامس الحافظ المؤرخ ابن النجار ا لبغدادي الشافعي(ت643هـ/1245م) خرج من بغداد–طلبا للعلم – وله خمس عشرة سنة،فسافر إلى الشام و مصر ،و الحجاز اصبهان ، و مرو و هراه ،و نيسابور ودامت رحلته سبعا وعشرين سنة وقيل ثماني وعشرين سنة،كتب خلالها عمن دب و درج، و حصل الأصول ، و عني بالحديث عناية بالغة[9] .و

---

[1] الذهبي : معجم محدثي الذهبي ص :112 . و ابن رجب : المصدر السابق ج2 ص :325 . و ابن طولون : القلائد الجوهرية ، ج 2 ًّ : 277 .

[2] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 328 .

[3] العماد الأصبهاني الكاتب : خريدة القصر و جريدة العصر ,قسم شعراء العراق ،حققه محمد بهجت الأثري ، بغداد ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي،ج 1 ص :284 .

[4] انظر الخريطة رقم : 2 .

[5] ابن خلكان : المصدر السابق ج 2 ص :378 .

[6] عن مواقع هذه المدن انظر الخريطة رقم :2 .

[7] سبط بن الجوزي : المصدر السابق ج 8 ص :361 . والذهبي :تذكرة الحفاظ ج 4 ص :1298 .

[8] الذهبي : تذكرة الحفاظ ج 4 ص :1455 .

[9] الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 23 ص :131 ، و تذكرة الحفاظ ج 4 ص : 1428 . و محمد بن عبد الهادي : المصدر السابق ج 4 ص :213. ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص : 169 .

أخرهم الحافظ أبو محمد عبد الحق الدمياطي الشافعي(ت705هـ/1305م) ، طاف بأقطار عديدة طلبا للحديث النبوي ،منها الديار المصرية ، و الشام و العراق ، و قد زاد مجموع شيوخه عن ألف وثلاثمائة شيخ[1] .

و يستنتج مما ذكرته عن رحلات علماء الحنابلة في المشرق الإسلامي خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/12-13م ، أنها كانت تقليدا علميا متبعا لدى أهل العلم للحنابلة فيه نصيب وافر . و أن نطاقها قد شمل أقاليم كثيرة و شاسعة، كالشام و العراق و بلاد فارس و خراسان . و أن معظم الرحالين كانوا من أهل الحديث ،اتخذوا الرحلة سنة متبعة ،و ضربوا من خلالها أمثلة رائعة في التضحية و الجد ،طلبا للحديث ، وخدمة للسنة النبوية الشريفة، و امضوا سنوات طوال في الترحال ، والتنقل بين الحواضر و الأمصار،كما هو موضح في الجدول رقم: 2[2]،و الرسم البياني رقم : 2 ،ومنهما يتبين التقارب في مدة رحلة الموفق و الضياء من جهة ، و التباين الكبير بينهما و بين عز الدين بن عبد الغني من جهة أخرى ،كما أنني لم أعثر على عالم حنبلي أخر استغرقت رحلته عقدا من الزمن ، أو أكثر خلال القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م بالمشرق الإسلامي ،و بذلك يكون ابن النجار الشافعي قد فاق هؤلاء بفارق كبير ، وأما ابن مندة فهو من أعلام القرن الرابع الهجري/10م ،ذكرته للمقارنة و الاعتبار فهو قدوة حسنة لأهل العلم ، فقد روي أنه طاف بأقطار العالم الإسلامي ،و عاد إلى بلده اصبهان شيخا ،و معه من الكتب و الأجزاء الحديثية ، ما حمولته أربعين جملا، جمعها في مدة أربعين سنة[3] .

كما تبين لي من إحصاء تقريبي قمت به[4] (الجدول رقم :3 و الرسم رقم : 3) لأكثر المدن جذبا للعلماء الرحالين الحنابلة ،في القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م ، أن بغداد هي أول المدن استقطابا لهؤلاء ، إذ استقبلت 45رحلة من مجموع 189 رحلة ،موزعة على 27 مدينة ، لأنها –أي بغداد –هي الموطن الأصلي و الرئيسي للحنابلة ، و لهم فيها قدرات بشرية ، و مادية ، ومعنوية كبيرة ، لذلك أمها طلاب العلم الحنابلة، لكنها فقدت الكثير من مكنتها بعد تخريب المغول لها سنة656هـ/1258م ،غير أن ذلك لم يظهر في الجدول و الرسم البياني لأن معظم العينات

---

[1] ابن كثير : :نفس المصدر ج 14 ص : 40.

[2] ص : .

[3] الذهبي : ميزان الاعتدال ، حققه محمد البجاوي ،بيروت دار المعرفة ، د ت ، ج 3 ص :497 .

[4] أخذت عينة من الرحالين الحنابلة ، مكونة من 59 رحالا عاشوا في القرنين السادس و السابع الهجريين ، ثم أحصيتُ المدن التي رحلوا إليها ،فكانت النتيجة كما هي مبينة في الجدول رقم : 3 ، و الرسم البياني رقم : 2 .

المأخوذة كانت رحلاتها قبل عام 656هـ/1258م . ثم تليها مدينة مصر بثماني عشرة رحلة بفارق كبير بينها و بين بغداد ، و مما جذب إليها الرحالين أنه كانت بها جماعة حنبلية نشطة مشهورة بالعلم[1] .

....

[1] عن ذلك انظر المبحث السابع من هذا الفصل .

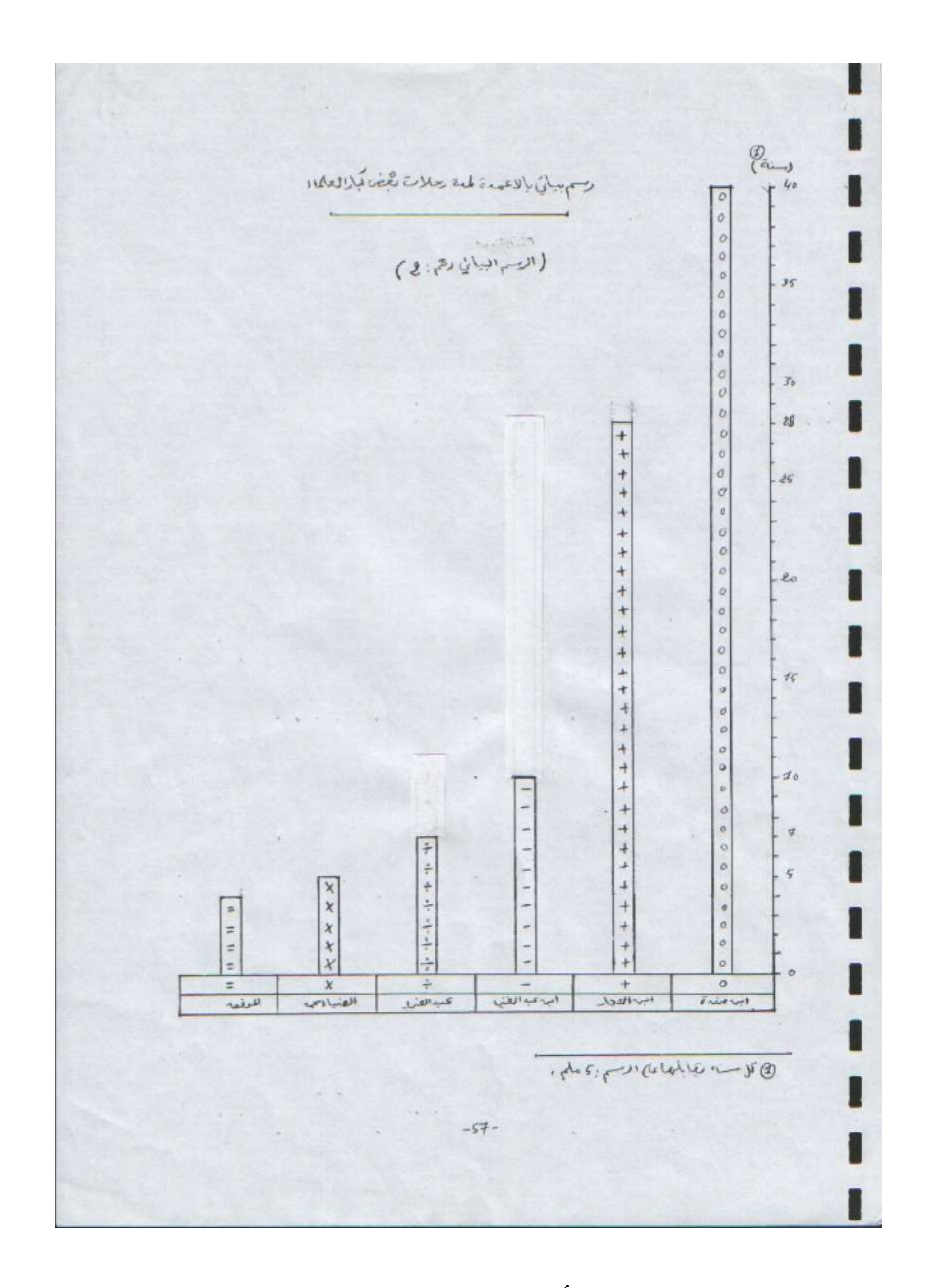
المدة الزمانية لرحلات بعض كبار العلماء[1]

الرمز	العالم	الموطن	مدة الرحلة بالسنة
0	ابن مندة ت395هـ/1004م[2]	أصفهان	40
+	ابن النجار (ت643هـ/1245م	بغداد	28
−	العز بن عبد الغني(ت613 هـ)	دمشق	10
÷	الحافظ عبد الغني (ت600 هـ)	=	07
×	الضياء بن عبد الواحد(ت643هـ)	=	05
=	الوفق بن قدامة(ت620هـ/1223	=	04

(الجدول رقم: 02)

[1] المصادر سبق ذكرها في المتن ، ما عدا فيما يخص ابن مندة ، و مصدره هو : الذهبي : ميزان الاعتدال ج 3 ص : 479 .

[2] هو من علماء القرن الرابع الهجري ذكرته هنا للمقارنة ، وكل العلماء الذين ذكرتهم من حنابلة ما عدا ابن النجار فهو شافعي .



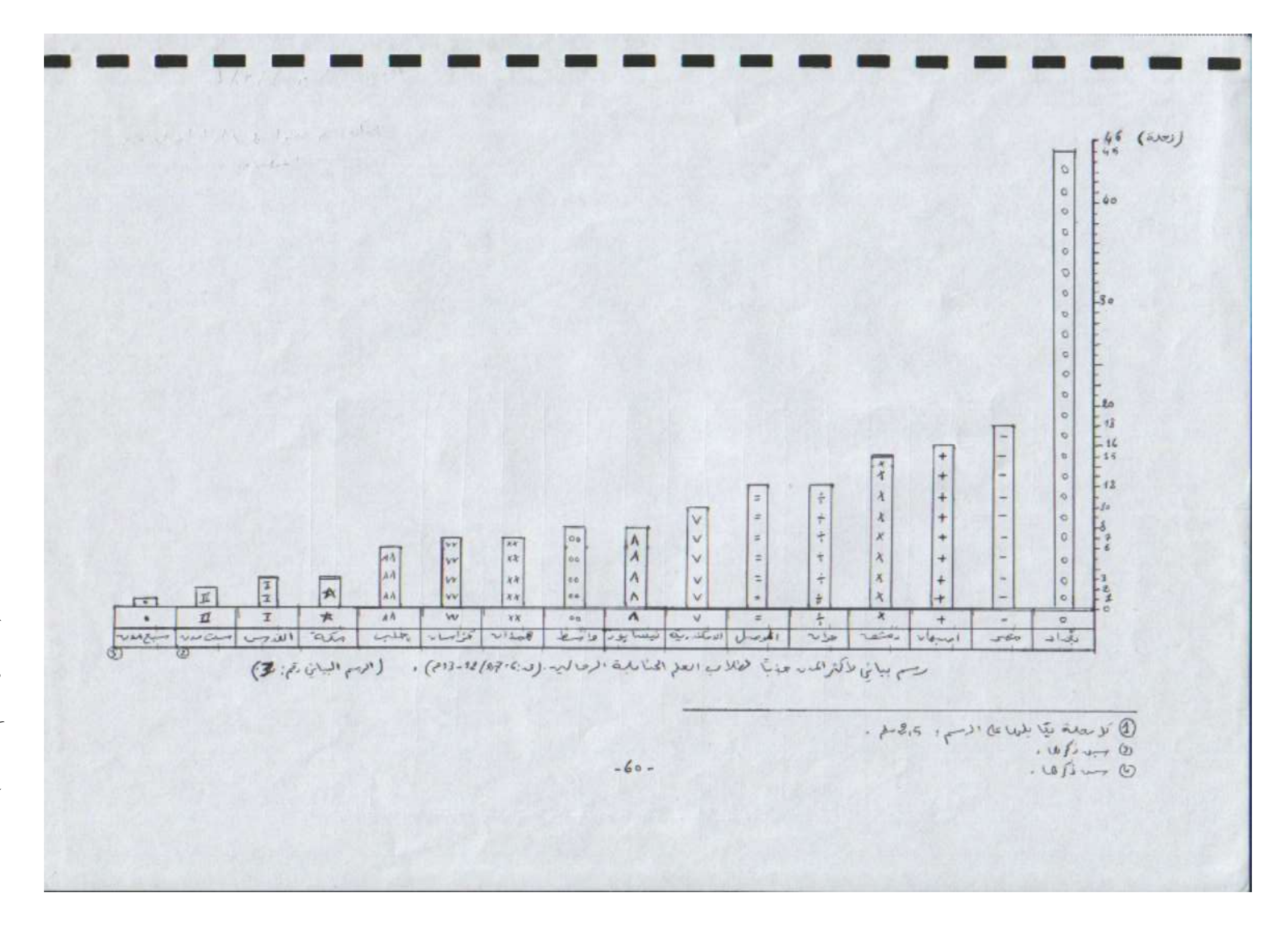
جدول تقريبي لأكثر المدن جذبا لطلاب العلم الحنابلة

(في القرنين:6-7هـ/12-13م)[1]

الرمز	المدينة	عدد الرحلات لكل مدينة	النسبة المئوية لكل مدينة
0	بغداد	45	23,81
-	مصر	18	9,53
+	اصفهان	16	8,47
×	دمشق	15	7,94
÷	حرّان	12	6,35
=	الموصل	12	6,35
v	الاسكندرية	10	5,29
×	نيسابور	08	4,42
00	واسط	08	4,24
××	همذان	07	3,71
vv	خراسان	07	3,71
××	حلب	06	3,18
*	مكة المكرمة	03	1,95
ا	بيت المقدس	03	1,59
اا	ست مدن أخرى	02لكل مدينة	1,06
.	سبع مدن أخرى	01 لكـــــل مدينة	0,52
المجموع	27	189	نحو : 100 0/0

[1] المصادر: ابن رجب : المصدر السابق ج1 ص : 35، 315،326 ، 447. ج2 ص :6، 36، 40،45، 62، 125 ، 128، 151، 152، 133، 172، 201، 222، 224، 228، 233، 201، 244، 245، 279،281، 324، 325، 301 ، 381، 434 . ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج4 ص: 335، 345 .ج5 ص : 3،10، 47،57،113، 204، 210، 211، 219، 220، 240، 257، 336، 363، 326، 340، 373. ج6 ص: 17، 18.ابن حجر : المصدر السابق ج2 ص: 289 .و النعمي :الدارس ج2 ص:70 .ابن طولون : القلائد ج1 ص:158-159.و ابن كثير : البداية ج13 ص:35.و المنذري : التكملة ج2 ص: 373 .و معجم محدث الذهبي :ص: 74، 112، 166.و سير أعلام النبلاء ج21 ص:40، 42.و ج22 ص:43، 48، 72، 148، 166،256، 318، 347.و ج23 ص:89، 127. محمد بن عبد الهادي :المصدر السابق ج4 ص:192، 213، 218، 299 .و الصفدي :الوافي ج3 ص:267. وابن الدبيثي : ذيل تاريخ مدينة السلام ج 1 ص :295 .و ابن النجار : ذيل تاريخ بغداد ج 17 ص : 17 ، 18 .

(الجدول رقم : 03)



ثم تأتي مدينة اصفهان بست عشرة رحلة ، وهي في عمومها كانت خاضعة لتأثير أهل الحديث و الحنابلة ،لكنها فقدت مكانتها بعد الاجتياح المغولي لها ،و فقد رحل إليها طالب حنبلي بعد سنة 656هـ/1258م ،فلم يجد فيها من أهل العلم من له اهتمام بعلم الحديث . ثم تليها مدينة دمشق بخمس عشرة رحلة ،لأن فيها للحنابلة جماعة كبيرة ، و لهم فيها مؤسسات علمية كثيرة[1] لكنها لم تصبح أهم مدينة للتواجد الحنبلي إلا بعد تخريب المغول لبغداد . ثم تأتي بعدها حران باثنتي عشر ة رحلة ، وهي مدينة فيها حنابلة كثيرون[2] لذلك أمها الطلاب الحنابلة . وأما المدن الأخرى فقصدها الطلبة لأنها كانت مراكز علم ، أو اشتهر فيها علماء كبار ، أو و صلوا إليها بحثا عن العلم و أهله .

كما أنني لم أعثر –من بين 59رحالة– على أي عالم حنبلي توجه في رحلته لطلب العلم ، إلى المغرب و الأندلس خلال القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م ،فأنهم لم يجاوزا الديار المصرية ، ربما لعلمهم بعدم وجود علماء بهما ،و لهيمنة المذهب الأشعري عليهما، وهم –أي الحنابلة– من خصومه التقليديين، و لمعرفتهم أن العلم بالمشرق أكثر ازدهارا منه في المغرب و الأندلس ،و مما يؤيد ذلك ان الرحالة ابن جبير (ت614هـ/1217م)عندها زار المشرق سنة 578هـ/ 1182م ،أبدى إعجابا كبيرا بمؤسساته العلمية و بظروفه المشجعة على العلم ، و أوصى المغاربة بالرحلة إليه لطلب العلم[3] .

و مما جناه هؤلاء الطلاب من رحلاتهم ، أنها مكنتهم من الاحتكاك المباشر بالعلماء ، الأمر الذي سهل حصول الملكات و ترسيخها ،و تصحيح المعلومات ،و معرفة مناهج البحث العلمي ،إذ لكل شيخ طريقته ، و لكل علم مصطلحاته[4]،كما أنها فتحت لهم مجالا واسعا للاطلاع على الجديد

---

[1] عن ذلك انظر المبحث الخامس من هذا الفصل ، و انظر مؤسسات العلم الحنبلية في الفصل الثاني .

[2] انظر المبحث السابع من هذا الفصل .

[3] ابن جبير : المصدر السابق ص :244 258 .

[4] عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة ،ط 1 بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1413هـ ص :464 . و احمد شلبي : التربيه و التعليم في الفكر الإسلامي ، ط2 القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية 1987 ،/ ص :325 .

من الأفكار و المذاهب ، وأثرت ثقافتهم بما حفظوه من أشعار وأقوال ، وحكم و نصوص ، و أكسبتهم صداقات جديدة بمخالطتهم للناس[1] ،و نمت فيهم الفضائل و كمالات النفس ، و علمتهم أخلاق الصحبة و الصبر ، و أدب المداراة ، واتساع الصدر ، وتقبل أراء الغير[2]، وساعدتهم على نشر العلم –الذي سبق وأن حصلوه–في المدن التي دخلوها ، فأعطوا و أخذوا ،كما أنها سمحت لهم بالتعرف على المسالك و الممالك ، ومشاهدة مختلف المظاهر الطبيعية و البشرية ، و فتحت لهم مجالا واسعا لجمع المصنفات القيمة و الأصول النادرة ، و بعثت فيهم حب العلم و تعظيمه ،لأنهم تعبوا كثيرا في طلبه ،و ضحوا من أجله بأموالهم ، و جهودهم ، و أوقاتهم .

و أشير هنا إلى أنه ليس كل من رحل في طلب العلم قد اكتسب تلك الفوائد و انتفع بها ، و انعكست إيجابا على معارفه و أخلاقه ، و إنما المقصود أن الرحلة قد فتحت له مجالا واسعا للترقي في العلوم ، و الأخلاق ، والتجارب ،ثم بعد ذلك كل يأخذ و ينتفع حسب قدراته ، و رغباته ، و ظروفه؛ فإذا كان الحافظ الضياء محمد المقدسي قد انتفع برحلاته ، وتفرد في عصره بعلم الحديث رواية و دراية[3]، فإن المحدث أبا حفص بن طبرزد البغدادي(ت607هـ/1210م) الذي رحل إلى الأقطار ، وسمع كثيرا من الحديث، وحصل الأصول ، و انفرد برواية كتب ، فقد رو ي أنه لم يكن يعرف شيئا[4] . ولنا في عبد الرحمن بن الجوزي مثال أخر للعالم البارع الذي لم يرحل في طاب العلم[5] ، إنه اكتفى بشيوخ بلده ، ومطالعاته الشخصية و لم يرحل خارج بغداد لطلب العلم[6] ، فهو و إن فاتته فضائل الرحلة و فوائدها ،فإنه قد جد في الطلب واستغل وقته–الذي تستغرقه منه الأسفار–في كثرة المطالعة ، و الحرص على مجالسة شيوخ بلده[7] ، فمكنته همته العالية من التفوق على كثير من أقرانه الرحالين،بغزارة العلوم و المصنفات ، و الاجتهاد و المثابرة .

ثانيا: اجتهاد علماء الحنابلة في التحصيل العلمي:

[1] الخطيب البغدادي : الرحلة في طلب العلم ص : 24 26 28 .

[2] نفس المصدر ،ص : 27 . و ابن خلدون : المصدر السابق ص : 464 .

[3] الذهبي : تذكرة الحفاظ ج 4 ص :1406 . و الصفدي : المصدر السابق ج 4 ص : 66 .

[4] ياقوت الحموي : معجم البلدان ج 2 ص :422 . و المنذري : المصدر السابق ج 3 ص:337 .

[5] لقد و هم الباحث حسن حلاق ، عندما ذكر أن الفقيه المحدث ابن الجوزي طاف ببلاد عديدة ، ثم استقر به المقام ببغداد . دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية ، ط 1 بيروت دار النهضة العربية ،1989 ، ص :173 .

[6] الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 21 ص : 366-367 .

[7] ستأتي نماذج عنه في هذا المبحث .

حث عبد الرحمن بن الجوزي ، العالم و المتعلم على تنظيم وقتهما، و تقسيمه بين المطالعة و النسخ و التصنيف ، على أن يجعلا همتهما في النسخ و الإعادة ، وأن يخصصا لهما أوقات الراحة في طرفي النهار و الليل ، و يوزعا باقي الأعمال على القراءة و الكتابة مع إعطاء البدن راحته ، و حذر من أن تجرهما نفسهما إلى ترك الإعادة الثقيلة على النفس ،و الإقبال على النسخ و المطالعة و التأليف[1].و يرى الفقيه بدر الدين بن جماعة الشافعي(ت733هـ/1332م)، أنه على طالب العلم[2] أن يجعل الحفظ في الأسحار ، والبحث و الكتابة وسط النهار و المطالعة و المذاكرة في الليل ،مع الإقلال من الطعام و القناعة بالرزق اليسير الحلال ، و أخذ النفس بالورع ، و إعطائها حقها من النوم بمقدار ثماني ساعات و الترويح عليها ، و على الذهن و البصر ، بشيء من الرياضة و التنزه ، و المزاح المباح[3] . وقوله هذا أكثر دقة و تفصيلا و فائدة مما قاله ابن الجوزي .

و لعلماء الحنابلة أخبار كثيرة في الحرص على الوقت ، و الجد في تحصيل العلم ، هي جديرة بالتأمل و التنويه ،منها أن المتكلم أبا الوفاء بن عقيل(ت 513هـ/ 1119م) كان لا يسمح لنفسه بتضييع ساعة من عمره ، حتى أنه إذا توقف عن مذاكرة أو مناظرة أعمل فكره قي حال راحته ، فلا ينهض إلا و خطر له ما يسطره[4] ، و إذا جلس للأكل تقلل منه ، و تناول سف الكعك بالماء بدلا من الخبز لما بينهما من تفاوت في المضغ ،ليوفر وقته للمطالعة و الكتابة[5] . و منها أن الفقيهين البغداديين قاضي المارستان(ت535هـ/1140م)،و عبد الوهاب الأنماطي(ت538هـ/1143م)، كانا من أكثر الناس حرصا على الوقت يمضيان يومهما في تحصيل العلم و نشره، ولا عمل لهما غيره[6] . و أظهر الحافظ أبو العلاء العطار همة عالية في الاجتهاد و الحرص على الطلب ،فقد كان كثير الأسفار ، يحمل كتبه على ظهره ، و يبيت في المساجد ، و يتناول الضروري من الأكل[7] ، و يسرع في المشي و يسابق الناقة في سيرها ، وقد روي أنه سار في ليلة و واحدة –طلبا للحديث –

---

[1] ابن الجوزي : صيد الخاطر : حققه محمد الغزالي ،الجزائر ، مكتبة رحاب ، 1988، ص : 205 206 261 262 311 .

[2] نبه ابن القيم الجوزيه ، طالب العلم من أفات قد تصيبه في طريقها و حذره منها ، فعليه ألا يقصر همتها على معرفة الخلاف ، وتتبع أقوال الناس و شواذ المسائل ،و القضايا التي قد لا تقع ، فقل أن ينتفع بعلمه من يفعل ذلك ،بل عليه أن يصرف جهده في معرفة الصحيح من الأقوال ،و أن يجعل همته في طلب علم الكتاب و السنة ، والفهم عن الله و رسوله . الفوائد ، حققه احمد راتب عرموش ،ط 4 بيروت ، دار النفائس 1983 ،ص :80 .

[3] ابن جماعة : المصدر السابق ص :117 .

[4] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص :37 .

[5] ابن رجب :ج 1 ص:177 ط د .

[6] ابن النجار : المصدر السابق ج 16 ص :227 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :232 ط د .

[7] اليافعي المكي: مراه الجنان و عبرة اليقظان ط2 بيروت ،منشورات الأعلمي ،1970 ، ج 3 ص :390 .

من جرباذقان[1] إلى اصبهان[2]،و عندما أنهى مرحلة التحصيل العلمي جلس للطلبة طول النهار ، لا يأخذ أجرا على التعليم و التحديث[3] .

ومنها أن عبد الرحمن بن الجوزي(597هـ/1200م) ،يعد قدوة لطالب العلم المجد ،الصبور على مشاق التحصيل و تكاليفه ، فلم يكن يشبع من المطالعة ، إذا رأى كتابا لم يقرأه كأنه عثر على كنز[4]،و أخبرنا عن نفسه أنه طالع أحمالا من الكتب ،و هو ما يزال طالبا ، قدرها بأكثر من عشرين ألف مجلد[5] ؛و قد شك في ذلك العدد الباحث محمد محفوظ[6]،و عد ما ذكره ابن الجوزي مبالغة منه[7]، وهو عدد كبير حقا ، لعل ابن الجوزي نسي ، أو أخطأ في تقديره لمجموع ما طالعه من المصنفات ،و مع ذلك فإنه يمكن تقبل ذلك العدد إذا تذكرنا أن ابن الجوزي كان شغوفا بالمطالعة ، متفرغا لها طول اليوم ، وأنه لم يرحل في طلب العلم ، ثم إذا افترضنا بعد ذلك أنه أمضى عشرين سنه في الطلب ،و أن قراءاته لم تكن قراءة بحث ، و نقد ، و تدبر ،و استقصاء[8]،و إنما هي قراءات خفيفة و سريعة . و أن المجلد في زمانه يضم نحو 150 صفحة[9]،يمكننا أن نقول أن في مقدوره مطالعة ثلاثة مجلدات في اليوم ، و هو ما يساوي مجلدا من 450 صفحة في وقتنا الحاضر ، وعليه فإنه يقرأ في السنة (365×3) 1095 مجلدا ، و يقرأ في ظرف عشرين سنة(1095×20) 21900 مجلدا ، و هو عدد يزيد عما ذكره ابن الجوزي أنه طالعه .

و انتقد ابن الجوزي طلاب زمانه في أنهم يميلون إلى السهل بإقبالهم على مطالعة المختصرات من الكتب ، وتركهم للمطولات ، مما أدى إلى إهمالها ، و اندثارها ، وعدم نسخها[10] . وأما هو فلم

---

[1] هي بلدة من نواحي اصبهان ،و تجد أخرى لها نفس الاسم قرب مدينة جرجان جنوب بحر طبرستان : عبد المنعم ماجد و علي البنا : المرجع السابق ص : خريطة رقم :8 ز و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :201 374 ط د .
[2] ياقوت الحموي :معجم الأدباء ج 2 ص:825 .
[3] نفس المصدر ج2 ص :831 . و ابن الجزري : المصدر السابق ج 1 ص : 205 .
[4] ابن الجوزي : صيد الخاطر ، ص :440 .
[5] نفسه ص : 440 441 .
[6] هو محقق مشيخة ابن الجوزي .
[7] ابن الجوزي : مشيخة ابن الجوزي حققه محمد محفوظ ،تونس ، الشركة التونسية للنشر و التوزيع ،1977 ،ص : 22 .
[8] لأن سنه لا يسمح له بذلك .
[9] عن ذلك انظر المبحث الأول من الفصل الخامس .
[10] ابن الجوزي : صيد الخاطر ص :440 .

يكن يضيع من وقته شيئا،فيومه كله في البحث و النسخ ، حتى أنه ينسخ في اليوم أربعة كراريس[1]، و عندما سجن بواسط واصل نشاطه العلمي مدة خمس سنوات ، وقد جاوز الثمانين من عمره ، و حين جاء ولده محي الدين يسف(ت 656هـ/1258م) لإخراجه من السجن قرأ معه شيئا من العلم ، ثم عاد معه إلى بغداد[2] . ومما يدل على حرصه الشديد على وقته لئلا يضيع من شيء ، أنه كان يتألم من كثرة زيارة الناس له ،لأنهم يأخذون منه وقتا ثمينا هو في أمس الحاجة إليه،فلما لم يجد بدا من استقبالهم أصبح يدافع لقاءهم ، و يقصر في الكلام معهم تعجيلا لفراقهم ،ثم أصبح يعد أعمالا يقوم بها عند لقائهم ، كقطع الكاغد ، و بري الأقلام ، وحزم الدفاتر ،و هي أعمال لابد منها لكنها لا تحتاج إلى فكر و حضور قلب[3] .

و من أخبار علماء الحنابلة الجديرة بالتأمل و الاعتبار ، أن المحدث أبا الفداء بن الخباز الدمشقي كان شغوفا بطلب علم الحديث ، فجد و اجتهد في تحصيله من سنة 654هـ/1256م إلى وفاته سنة 703 هـ/1303م ، فسمع الحديث ، و كتب الأجزاء مالا يوصف كثرة ،و خرج لنفسه مشيخة في مائة جزء عن أزيد من ألفي شيخ ، و دون الحديث العالي و النازل عمن دب و درج[4] ؛ لكنه مع كثرة تعبه ، و غزارة علمه ، فلم يبدع فيه و لا أتقنه ،بل كانت له دربة في الجملة مع قلة صواب و رداءة خط[5] . ومنها أن الأديب أبا البقاء العكبري البغدادي(ت 616هـ/1219) مع فقدانه لبصره فقد كان دائم الاشتغال بالمطالعة[6] و الكتابة ، و له مصنفات كثيرة تدل على ذكائه ، وعلو همته ، و غزارة علمه[7] . و لشدة حرص الفقيه مجد الدين بن تيمية الحراني(ت652هـ/1254م) على الوقت والعلم ، روي أنه كان إذا أراد دخول بيت الخلاء، جعل في الخارج من يقرأ عليه كتابا ما و يأمره برفع صوته ليسمعه[8] . و هذا من الغرائب في تاريخ العلم و العلماء ،و أما حفيده الفقيه تقي الدين بن تيمية الحراني ثم الدمشقي(ت728هـ/1327م)،فلم تكن له لذة في شهوات الدنيا من مأكل و ملبس و

[1] تضم الكراسة ما بين 10 –12صفحة . معهد الاستشراق السوفياتي : دراسات في تاريخ الثقافة العربية ، موسكو ، دار التقدم ،1989 ، ص :315 .

[2] الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 21 ص :377 .

[3] ابن الجوزي : المصدر السابق ص :227 228 .

[4] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 6 ص : 8 ، ط د الأفاق .

[5] الصفدي : المصدر السابق ج 9 ص: 65 .

[6] كان معه من يقرأ عليه الكتب .

[7] الصفدي : المصدر السابق ج 1 ص:232 .

[8] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص: 252 .

جنس، و إنما كانت لذته العلم فلا يشبع منه ، و لا يمل و لا يكل من البحث[1] ، حتى أنه قد يرجع في تفسير الآية الواحدة إلى نحو مائة تفسير، و عندما تنغلق عليه بعض المسائل العلمية يهرع إلى الدعاء ، فيختلي بنفسه و يمرغ وجهه في التراب و يبالغ في التضرع إلى الله –عز و جل–و يقول : ((يا معلم أدم ، وإبراهيم علمني))[2] .

و من العلماء غير الحنابلة ، الذين جدوا في طلب العلم و اجتهدوا فيه ،الحافظ أبو سعد عبد الكريم السمعاني(ت562هـ/1166م)، كان يذهب إلى شيخه المحدث زاهر بن طاهر المقدسي(ت533هـ/1138م) قبل طلوع الشمس ، فيقرأ عليه كتبا في مختلف العلوم طول اليوم إلى وقت الغروب[3] .و الثاني المتكلم فخر الدين الرازي الشافعي(ت606هـ/1209م)،عرف بحرصه الشديد على وقته ، حتى أنه كان يتأسف على الزمن الذي يقضيه في تناول الطعام ،لأنه أخذ منه وقتا عزيزا، و فوت عليه فرصة الاشتغال بالعلم[4] .والثالث هو الأديب الطبيب موف الدين عبد اللطيف البغدادي(ت6129هـ/1231م)،بذل جهودا مضنية في تحصيل العلم ،ففي النهار يواظب على حضور مجالس العلم عند شيوخ بغداد ، وفي الليل يمضي أكثره في الحفظ و الإعادة ، حتى أنه استظهر كتبا في الأدب ، و علوم الشريعة[5] .و أخرهم الفقيه محي الدين بن شرف النووي الشافعي(ت676هـ/1277م) كان لا يضيع من وقته شيئا ،و يقرأ في اليوم على مشايخه اثني عشر درسا شرحا و تصحيحا ، في مختلف العلوم الإسلامية، و داوم على ذلك نحو عشرين سنة ليلا و نهارا ، حتى فاق أقرانه[6] .

و أما فيما يخص حفظ العلوم ، فقد انتقد عبد الرحمن بن الجوزي طلاب زمانه في مبالغتهم في الحرص على نسخ ما يقرؤون ، فتضيع الأوقات ، ويذهب العمر ، و ما حصلوا من العلم إلا اليسير ، و الأولى بهم أن يصرفوها في الحفظ و الفهم ، و الطالب الموفق عنده هو الذي يكرس معظم وقته للحفظ و الإعادة ، و يخصص للنسخ و المطالعة و التصنيف ، الأوقات المناسبة لها،و عليه أن يجاهد نفسه ليحملها على الحفظ ،لأنه ثقيل عليها ، و تتهرب منه إلى أعمال أخف عليها منه ، و

---

[1] الذهبي :معجم محدثي الذهبي ص :26 . و ابن عبد الهادي : المصدر السابق ج 4 ص :228 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 390 395 .

[2] محمد بن عبد الهادي : العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام بن تيمية ،حققه محمد حامد الفقي ،القاهرة ، مطبعة حجازي ،1938م ص : 26 .

[3] ابن الدمياطي : المصدر السابق ص :88 .

[4] ابن أبي أصيبعة :عيون الأنباء في طبقات الأطباء ،بيروت ،دار الفكر ، 1956 ،ج 3 ص :34 .

[5] نفس المصدر ج3 ص:332 .

[6] الذهبي : تذكرة الحفاظ ج 4 ص :1470 1472 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :355 .

عليه أن يرسخه في زمن الصبا و الشباب ،و يحكمه بالإكثار من التكرار ، وإلا سيندم يوم يحتاج إليه عندما يمارس الاجتهاد و الإفتاء[1] .

و إيمانا منه–أي ابن الجوزي– بأهمية الحفظ صنف كتابا عنوانه : الحث على حفظ العلم و ذكر كبار الحفاظ ، حث فيه على الحفظ و بين صفة من هو أهلا له ، و ذكر الأدوية و المطاعم المعينة عليه و طرق إحكامه و كبار الحفاظ المبرزين فيه[2] ، لكنه نبه إلى عدم المبالغة و الانهماك فيه ليلا و نهارا ، لأنه قد يؤدي إلى الفتور و المرض ، فعلى الطالب أن يأخذ منه قدر طاقته ، و يعطي لبدنه قدرا من الراحة ،و يريح نفسه من الإعادة يوما في الأسبوع[3].

ويدل اهتمام ابن الجوزي بالحفظ وحثه عليه ، على أنه كان يري فيه هو الأساس الذي يقوم عليه التكوين العلمي، لأن الطالب الحافظ الذكي النبه يكون قد تحرر من الرجوع إلى المصنفات، وسهل عليه البحث ، و النقد ، و المناقشة و المقارنة ، على عكس نظيره الذكي النبه غير الحافظ فإنه يضطر إلى العودة إلى الكتب ، وتصعب عليه عمليه الهضم و البحث . و أما الطالب الحافظ المهمل للفهم و التدبر ،فهو من أهل الرواية لا الدراية ، فالخلل إذا يدخل على صنفين من أهل العلم : الأول من اهتم بالفهم و أهمل الحفظ ، و الثاني من حفظ و لم يبال بالفهم ، و الكامل من جمع بينهما .

و نصح ابن الجوزي الطلاب باختيار الأوقات المناسبة للحفظ و الإعادة ، أفضلها الأسحار ، وانتصاف النهار ، و الغدوات خير من العشيات ، وحالات الجوع خير من حالات الشبع ، و الخلوة هي أصل في الحفظ و جمع الهمة ، مع الابتعاد عن الشواطيء و أماكن الاخضرار لأنها تلهي و تشغل البال[4] ،و قوله هذا هو نفسه قرره الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي(ت463هـ/1070م) ، و الفقيه بدر الدين بن جماعة الشافعي(ت733هـ/1332م)[5] ،و هو صحيح مجرب لدى أهل العلم ، غير أنه تبقى للفروق الفردية بينهم ، و للظروف المحيطة بهم تأثيرها البارز في عملية الحفظ ، من حيث الأوقات و الأماكن ، و الإقبال و الادبار .

---

[1] ابن الجوزي : صيد الخاطر ص : 205 206 262 373 .

[2] ابن الجوزي : الحث على حفظ العلم و ذكر كبار الحفاظ ،حققه فؤاد عبد المنعم ،ط 2 الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، 1412 هـ، ص :33 و ما بعدها .

[3] ابن الجوزي : صيد الخاطر ص : 177 178 206 .

[4] ابن الجوزي : المصدر السابق ص :177 178 .

[5] انظر : ابن جماعة : تذكرة السامع و المتكلم ،ص:144 .

و في المشتغلين بالعلم من الحنابلة علماء كثيرون حفظوا مصنفات في شتى العلوم ، أذكر منهم عشرة ، أولهم المفسرة بنت عبد الواحد بن محمد الشيرازي الدمشقية[1] (ت ق6هـ/12م)، كانت عالمة بالتفسير تحفظ كتابا لوالدها عنوانه : الجواهر في التفسير ، في ثلاثين مجلدة[2] .و الثاني الأديب أبو العلاء العطار الهمذاني(ت 569هـ /1173م)، روي أنه حفظ القرآن الكريم ، و كتاب الجمهرة في اللغة لابن دريد[3] ، و الجمل لابن فارس[4]، و النسب للزبير بن بكار(ت256هـ/869م)، و يقال أنه حفظ كتابا في النحو في يوم واحد ، من الغداة إلى العصر[5] ، و هذا غيب جدا لا يكاد يصدق . و الثالث الفقيه وجيه الدين بن نباتةالدمشقي(ت قبل:580هـ/1184م)، حفظ كتاب أصل الفقه للبستي[6] ، و الهدايه في الفقه لأبي الخطاب الكلوذاني[7] . و الرابع هو المحدث الشهاب محمد بن خلف المقدسي ثم الدمشقي(ت618هـ/1221م)، أجهد نفسه في حفظ مقامات الحريري ،فاستظهرها في خمسين ليلة ن فتشوش خاطره[8] .و الخامس الحافظ الفقيه محمد اليونيني(ت 658هـ/1259م) اشتهر بقدرته على الحفظ السريع المتقن ،فيروى أنه يستظهر كتاب الجمع بين الصحيحين ، للحافظ أبي محمد الحميدي الأندلسي(ت488هـ/1095م)، وصحيح مسلم في أربعة أشهر ، و أكثر مسند الإمام احمد بن حنبل ، و يقال أنه حفظ سورة الأنعام-فيها :165أية- في يوم واحد ، و ثلث مقامات الحريري في بعض يوم ،و سبعين حديثا في جلسة واحدة[9] .

---

[1] لم أعثر على اسمها ، و هي والدة الواعظ زين الدين بن نجا الدمشقي الحنبلي(ت599هـ/1202م) . ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 440 ط ق .

[2] نفسه ج 1ص : 440 .

[3] هو أبو بكر محمد بن الحسين المعروف بابن دريد المتوفى سنة 321هـ/932م، كتابه الجمهرة هو من أقدم معاجم اللغة العربية ، كتبت مواده على حسب الحروف . محمد ماهر حمادة : المصادر العربية و المعربة ص :182 .

[4] هو أبو الحسن احمد بن فارس المتوفى سنة 395هـ/ 1004م من مصنفاته مقاييس اللغة وهو معجم ألفبائي . نفس المرجع ص 182: .

[5] ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج 2ص :825 . و الصفدي : المصدر السابق ج 11 ص :385 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص :232 .

[6] لعله الفقيه حمد بن محمد الخطابي البستي(ت388هـ/998م) .ابن العماد الحنبلي ك المصدر السابق ج 4 ص :471 .

[7] ابن رجب : المصدر السابق ج1 ص : 351 ، ط ق .

[8] أبو سامة المقدسي : ذيل الروضتين ص :130 . و ابن طولون : المصدر السابق ج 2 ص : 339 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :82 .

[9] قطب الدين اليونيني :المصدر السابق ج 2 ص : 40 58 71 . والذهبي : تذكرة الحفاظ ج 4 ص:1439 . و ابن عبد الهادي : طبقات علماء الحديث ج 4 ص : 225 . و ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص 228 . ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 269.

و أما السادس فهو الفقيه أبو طالب عمر بن أبي القاسم البصري ثم البغدادي الضرير(ت684هـ/1285م)، حفظ القرآن الكريم ، و كتابين في الفقه الحنبلي هما : مختصر الخرقي لعمر بن الحسين الخرقي ابغدادي(ت343هـ/945م)،و والهداية لأبي الخطاب الكلوذاني[1] . والسابع الفقيه فخر الدين بن يوسف البعلي ثم الدمشقي(ت688هـ/1280م)، استظهر كتاب علوم الحديث ، وعرضه على مؤلفه الحافظ تقي الدين عمرو بن الصلاح الدمشقي الشافعي(ت643هـ[2]/1245م). والثامن الفقيه نجم الدين بن عبد القوي الطوفي(ت716هـ/1316م)، حفظ ثلاثة كتب هي : مختصر الخرقي ، والمحرر في الفقه ، و اللمع في النحو لابن جني[3]. والتاسع هو الفقيه تقي الدين بن محمد الزريراني البغدادي(ت729هـ/1328م) ،كان يستظهر مختصر الخرقي في الفقه ، و الهداية لأبي الخطاب الكلوذاني ، أكثر كتاب المغني للموفق بن قدامة المقدسي،و قد طالعه ثلاث و عشرين مرة[4] . وأخرهم المقرئ الفرضي شرف الدين بن يوسف البغدادي(ت732هـ/1331م)،حفظ القرآن الكريم ، و كتاب المقنع فيالفقه للموفق بن قدامة ، و الشاطبية قي القراءات ، و ألفية ابن مالك في النحو ، و مقامات الحريري ، و و كتاب في العروض ،و مقدمة في الحساب[5] .

و اشتهرت جماعة من علماء الحنابلة،بقدرتها الفائقة على الحفظ المتقن السريع ،غير أنني لم أعثر لها على مصنفات محددة حفظتها ، منهم الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي(ت600هـ/ 1203 م)، تفوق على في الحفظ على كبار حفاظ عصره كأبي العلاء العطار الهمذاني ، و أبي طاهر السلفي الأسكندري(ت576هـ/1180م) ،و قال عنه النحوي تاج الدين أبو اليمن الكندي الدمشقي(ت613 هـ/1216م): إنه لم يكن بعد أبي الحسن الدارقطني البغدادي(ت385هـ/995م) مثله[6] ، و وصفه غيره بأنه : أمير المؤمنين في الحديث، لأنه كان أية في الحفظ ،فلا يكاد يسأل عن حديث إلا و ذكره و بينه ،ولا عن رجل إلا و قال : فلان ابن فلان[7] . و يروى أنه يحفظ أثر من مائة ألف حديث ، وقد سأله الناس-وهو على المنبر بجامع دمشق- أن يقرأ لهم أحاديث من غير جزء ، فقرأ لهم أحاديث بأسانيدها عن ظهر قلب ،فقيل له : لما لا تقرأ

[1] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص:313 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :259 386 387 .
[2] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :404 .
[3] نفس المصدر ج 6 ص :39 ط د الأفاق .
[4] نفس المصدر ج 6 ص :90 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص:411 .
[5] نفس المصدر ج6 ضصك99 . و نفس المصدر ج 2 ص :417 .
[6] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 8 .
[7] نفسه ج2 ص :8 .

من غير كتاب[1] ؟قال لهم : أخاف على نفسي العجب ، وعندما جاءه شخص و قال له : إن رجلا حلف بالطلاق إنك تحفظ مائة ألف حديث ،أجابه : لو قال أكثر لصدق[2]. وهذا يعني أنه كان يحفظ أكثر مما في كتب الحديث المعروفة كصحيحي البخاري و مسلم ، والسنن و المسند لأن مجموع ما فيها أقل من مائة ألف بكثير[3] .

و الثاني المفسر مجد الدين بن تيمية الحراني(ت652هـ/1254م) كان مفرط الذكاء قوي الذاكرة عجبا في حفظ مذاهب الناس و الأحاديث ، يسردها سردا بلا كلفة[4] .و الثالث شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية الحراني ثم الدمشقي(ت728هـ/1327م)، تفوق على جده مجد الدين–السابق الذكر– في سرعة الحفظ و كثرته ،و بطيء النسيان[5] ،و يروى أنه حفظ كتابا في صغره فلما أخبر والده ، تعجب منه كالمنكر فلما عرضه عليه قبله بين عينيه ، و أمره بالا يخبر أحدا خوفا عليه من العين[6] .و يقال أنه كان يطالع الكتاب مرة فينتقش في ذهنه ،فيذاكر به و ينقله في مصنفاته بلفظه و معناه[7] . و قد حضر الناس مجالسه في التفسير بجامع دمشق ،فيلقي عليهم من حفظه كراسين أو أكثر دون تلعثم[8] . وكثيرا ما كتب رسائل من حفظه في قعدة واحدة ، ردا على المستفتين دون الرجوع إلى الكتب[9] . و صنف كتابه الصارم المسلول على شاتم الرسول –و هو يومئذ في السجن بالقاهرة بعيدا عن مصنفاته– فأورد فيه الأحاديث و أقوال العلماء اعتمادا على حفظه و فهمه ، دون العودة إلى المصادر ،فلما أخرج كتابه للناس راجعه تلامذته فلم يجدوا فيه خللا[10] . وكان كذلك سريع الاستحضار للآيات القرانية ، والأحاديث النبويه للاستدلال بها ، حتى قيل عنه : إنه يغترف في علم الحديث من بحر ،و غيره من الأئمة يغترفون من السواقي، وأن كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس

---

[1] فضل الحافظ أبو سعد السمعاني التحديث من الكتاب على التحديث من الحفظ ،لأن الحفظ خوان ،و روى في ذلك أثرا عن احمد بن حنبل ، دعم به موقفه .أدب الإملاء و الإستملاء ص :113 .

[2] الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 21 ص :449 ، و تذكرة الحفاظ ج 4 ص :1375 . وابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص:7 . و السيوطي : طبقات الحفاظ ،ط 2 بيروت ، دار الكتب العلمية ،1988 ، ص : 488 .

[3] عمر سليمان الأشقر : المرجع السابق ص : 95 .

[4] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :258 .

[5] ابن ناصر الدين : الرد الوافر ،حققه زهير الشاويش ط1 بيروت ، المكتب الإسلامي ، 1393 ص :112 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 6 ص: 86 ط د الأفاق .

[6] ابن ناصر الدين : نفس المصدر ص :133 .

[7] نفسه ص : 133 .

[8] ابن الوردي : تتمة المختصر في أخبار البشر ،حققه احمد رفعت البدراوي ، ط 1 بيروت ،دار المعرفة ،1980 ج 2 ص :408 .

[9] ابن ناصر الدين : المصدر السابق ص:133 . .

[10] أبو حفص بن علي البزار :الأعلام العلية ص :24 25 .

بحديث[1] .و هذه أقوال مبالغ فيها قيلت في مدح الرجل ،لكنها تكشف عن قدرات ابن تيمية العلمية التي حباه الله بها ،فإنه قد جمع الذكاء و الفهم ، و الحفظ و قوة الاستدلال ، و كثرة العلوم و شجاعة النفس ، الأمر الذي أهله ليكون عبقريا من كبار عباقرة المسلمين .

ولما كان الحفظ سمة بارزة في الحياة العلمية بالمشرق الإسلامي خلال القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م ، وجد حفاظ كثيرون من غير الحنابلة ، منهم الحافظ أبو الخير بن محمد الأصفهاني (ت538هـ/1143م)ن حفظ صحيحي البخاري و مسلم ، وكان يقول : من أراد أن يقرأ الإسناد اقرأ له المتن ، ومن أراد أن يقرأ المتن اقرأ له الإسناد[2] . و الثاني اللغوي أبو علي بن الحظير الفارسي المعروف بالظهير(ت598هـ/1201م)،يقال أنه حفظ من كل فن كتابا من ذلك : كتاب التفسير لتاج القراء[3]، و الوجيز في الفقه لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي ، و الجامع الصغير في الفقه الحنفي ، لمحمد بن الحسن الشيباني، و نهاية الأقدام في علم الكلام ، لأبي الفتح الشهرستاني(ت 548هـ/1153م) ،و أرجوزة ابن سينا في المنطق ، و الجمهرة في اللغة لأبن دريد ، يسردها كما يسرد القارئ الفاتحة[4] . و الثالث الأديب الطبيب الموفق بن عبد اللطيف البغدادي(ت 629هـ/1231م)، من محفوظاته ستة كتب منها ثلاثة لعبد الله بن قتيبة(ت226هـ/889م) هي : أدب الكاتب ، و مشكل القرآن ، وغريب القران[5] .و الرابع النحوي شمس الدين احمد بن الخباز الشافعي(ت639هـ /1241م) استظهر خمسة كتب في اللغة ، منها الإيضاح لأبي علي الفارسي(ت377هـ/987م) ، و المفصل في النحو لمحمود بن عمر الزمخشري[6](ت538هـ/1143م). والخامس هو اللغوي فتح الدين بن عبد الحميد الوبري الخوارزمي(ت ق7هـ/13م)، من محفوظاته ثلاثة كتب في اللغة منها : مقامات الحريري ، و الجمهرة لأبن دريد ، و يقال أنه كان يكرر على 41 ألف بيت بالعربية[7] .

وأما السادس فهو الفقيه صدر الدين بن الوكيل الدمشقي الشافعي(ت716هـ/1316م)، يروى عنه أنه حفظ كتبا إذا وضعت على بعضها بلغت مقدار قامته ،منها المفصل استظهره في مائة يوم ، و

---

[1] ابن الوردي : المصدر السابق ج 2 ص : 409 . وابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 6 ص : 81 ط د الأفاق .
[2] ابن عبد الهادي : المصدر السابق ج 4 ص :99 .
[3] لم أجده .
[4] ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج 2 ص : 858 .
[5] ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ج 3 ص :332 .
[6] ابن كثير ك المصدر السابق ج 13 ص :157 .
[7] ابن الفوطي : المصدر السابق ق 3 ج 4 ص : 37 .

مقامات الحريري ، في خمسين يوما ، و ديوان المتنبي في جمعة واحدة[1] . و أخرهم أبو الخطاب بن دحية الكلبي الأندلسي ثم الدمشقي(ت633هـ /1235م)،كان كثير المحفوظات و غزير العلم ،لكنه صاحب مجازفات ، ودعاوى عريضة في النقل والحفظ ، فلما بلغ أمره إلى ملك دمشق الكامل محمد بن العادل الأيوبي(ت635هـ/1237م)،طلب منه أن يكتب له شيئا على كتاب في الحديث اختاره الملك بنفسه،فعلق ابن دحية على أسانيده و قدمه له ، و بعد أيام قال له الملك : إن الكتاب قد ضاع مني فعلق لي مثله ، ففعل ما طلبه منه ، فجاء الكتاب مختلفا عن الأول ، فعلم الملك صحة ما قيل عنه وعزله عن دار الحديث بدمشق[2] . و عندما ادعى أنه يحفظ صحيح مسلم ، و جامع الترمذي، امتحنه أحد المحدثين و هو لا يدري ،فأخذ خمسة أحاديث من الترمذي ، وأخرى من المسند ، و خمسة من الموضوعات و جعلها في جزء ، ثم عرضها عليه فلم يعرف منها شيئا[3] .

و يتبين مما ذكرناه عن اجتهاد علماء الحنابلة في الحفظ ، أن الكثير منهم قد أولاه اهتماما كبيرا ، و أن محفوظاتهم كانت متنوعة الموضوعات و متباينة الأعداد ، و أن هذه الظاهرة وجدت عند غيرهم من علماء الطوائف الأخرى ، كما هو موضح في الجدول(رقم:4 ص:) و الرسم البياني(رقم: 4 ص:)، ومنهما يتبين أن أقلهم قد حفظ ثلاثة كتب ، هو الفقيه محمد اليونيني الحنبلي، وأكثرهم حفظ سبعة مصنفات ،هما الأديب عبد اللطيف البغدادي ، والمقرئ شرف الدين بن يوسف البغدادي ، مما يدل على أن كل من هؤلاء قد حفظ حسب قدراته العقلية ، و ظروفه الاجتماعية . كما أنه بالنسبة لأشهر المصنفات التي حفظوها و أكثرها تداولا بينهم ، فقد تبين لي من إحصاء[4] قمت به (جدول رقم: 5 ، و رسم بياني رقم: 5) أن العينة المأخوذة قد اهتمت بحفظ كتب الفقه ، أكثر من اهتمامها بمصنفات العلوم الأخرى ، إذ مثلت 51,28% من مجموع الكتب المحفوظة ، ومن بين 24 عالما شملهم الإحصاء،يوجد واحد و عشرون حفظوا مؤلفات فقهية ،كمختصر الخرقي تكرر ست مرات ، و الهداية خمس مرات ، ثم المقنع للموفق بن قدامة أربع مرات ، ثم تأتي مصنفات اللغة و النحو و الأدب بنسبة 26,83% من مجموع كتب سبعة علوم ، وقد حفظها أحد عشر عالم من مجموع العينة ، و قد تكررت فيها مقامات الحريري ثلاث مرات ، ثم الألفية و اللمع كل منهما تكرر مرتين، ثم تليها مؤلفات علم الحديث ،بنسبة 9,72% من إجمالي المصنفات ، وقد

---

[1] ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ،حققه عبد العليم خان ،ط 1 ، بيروت عالم الكتب ،1987 ، ج 2 ص :233 . و ابن الوردي : المصدر السابق ج 2 ص :378 . و النعيمي : المصدر السابق ج 1 ص :28 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 6 ص :41 .

[2] الذهبي : تذكرة الحفاظ ج 4 ص : 1421 –1422.

[3] الذهبي : ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، ج 3 ص :188-189 ، و نفسه ج 4 ص :1422 .

[4] شمل الإحصاء 24 عالما و عدد ما يحفظونه من مصنفات في سبعة علوم ،و هو إحصاء تقريبي ، لكنه يعطي لنا فكرة عامة تقريبية .

حفظها أربعة علماء ،ثم تأتي باقي العلوم تباعا ،كما هو مبين في الجدول و الرسم البياني، و يتبين منهما كذلك ،أن الثقافة الفقهية هي التي كانت سائدة بين علماء الحنابلة ، في القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م، ثم تليها ثقافات أخرى بفارق كبير بينها و بين الثقافة الفقهية .

. . . . .

جدول مقارن لكبار الحفاظ و عدد محفوظاتهم[1]

(في القرنين:6-7هـ/12-13م)

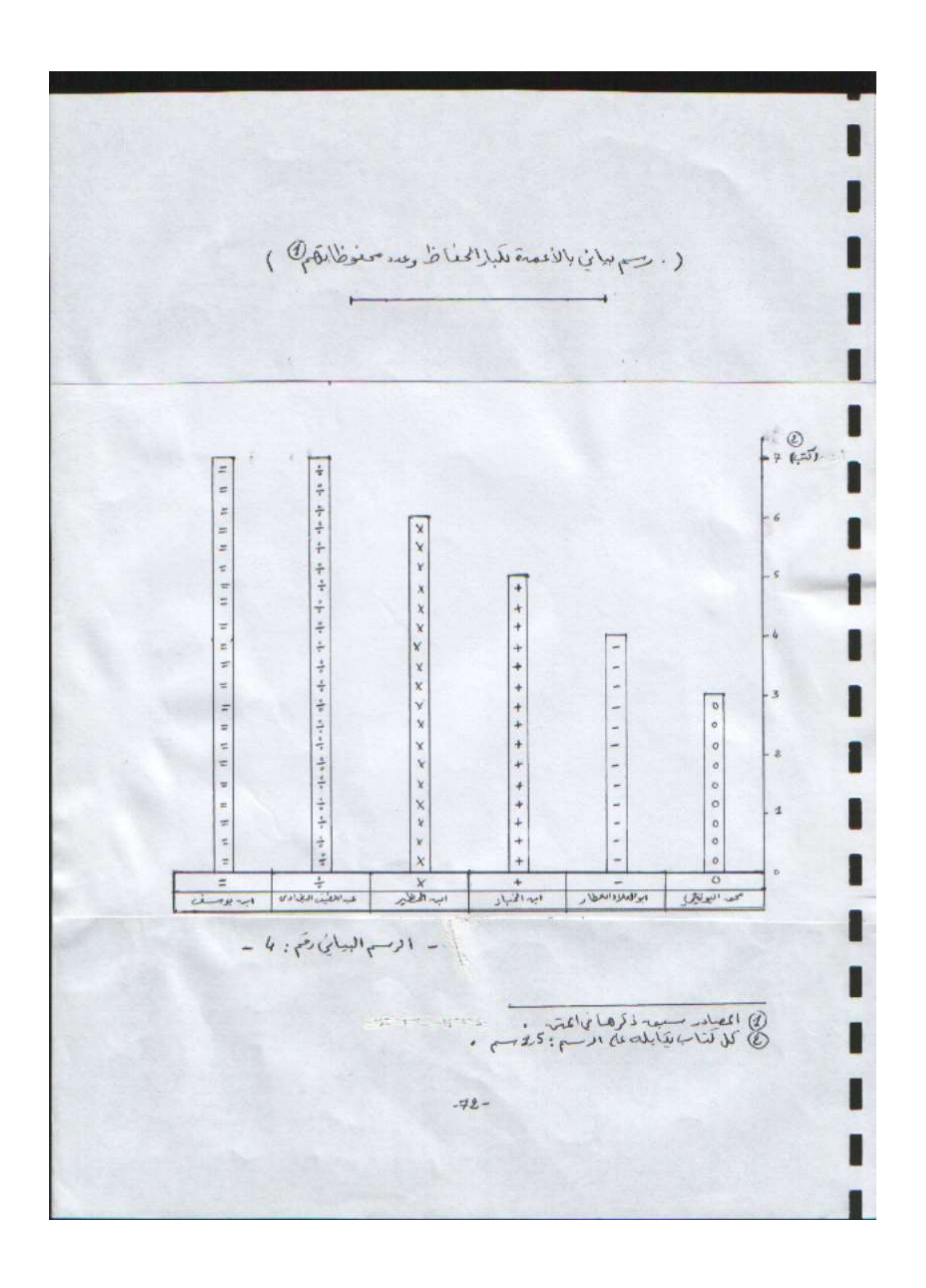
(الجـــدول رقـــم : 04)

الرمز	العالم	المذهب	الموطن	عدد الكتب المحفوظة
0	محمد اليونيني (ت658 هـ)	حنبلي	بعلبك	03
–	أبو العلاء العطار(ت569هـ	حنبلي	همدان	04

[1] المصادر سبق ذكرها في المتن .

+	ابن الخباز (ت 629هـ)	شافعي	–	05
×	ابن الحضير (ت588 هـ)	حنفي	–	06
÷	عبد اللطيف البغدادي ق:7 هـ	شافعي	بغداد	07
=	الشرف بن يوسف ت 732	حنبلي	بغداد	07

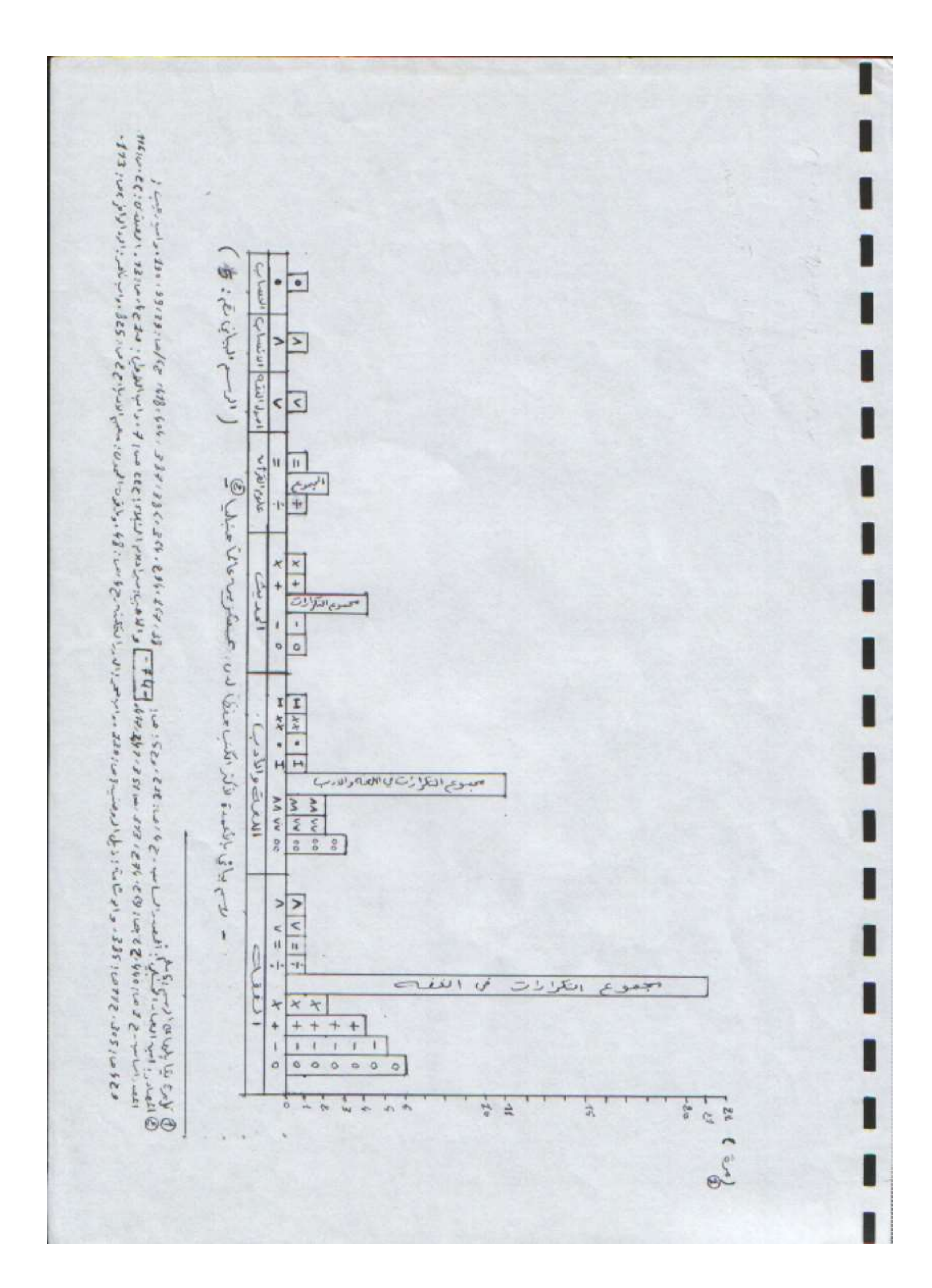
. . . .



جدول لأكثر الكتب حفظا لدى عشرين عالما حنبليا

(الجدول رقم:05)

نوع العلم	الرمز	الكتب المحفوظة	مرات الحفظ	0/0 لكل كتاب	0/0 لكل علم
الفقه	0	مختصر الخرقي	06	14,66	51,28
=	–	الهداية	05	12,23	=
=	+	المقنع	04	09,78	=
=	×	الروضة الفقهية	02	04,89	=
=	÷	عمدة الأحكام	01	02,43	=
=	=	العمدة	01	02,43	=
=	v	المحرر في الفقه	01	02,43	=
=	*	المغني	01	02,43	=
اللغة و الأدب	00	مقامات الحريري	03	07,33	26,83
=	vv	الألفية	02	04,89	=
=	**	اللمع	02	04,89	=
=	ا	الجمل في النحو	01	02,43	=
=	.	الجمهرة	01	02,43	=
=	××	الجمل لابن فارس	01	02,43	=
=	–	عروض ابن الحاجب	01	02,43	=
الحديث	0	مسند احمد	01	02,43	09,72
=	–	الجمع بين الصحيحين	01	02,43	=
=	+	صحيح مسلم	01	02,43	=
×	×	في علوم الحديث	01	02,43	=
علوم القرآن	÷	الشاطبية	01	02,43	04,86
	=	الجواهر في التفسير	01	02,43	=
أصول الفقه	v	أصول الفقه للبستي	01	02,43	02,43
حساب،أنساب	*–.	**النسب،الحساب**	1 لكل كتاب	2,43 لكل كتاب	2,43 لكل كتاب
المجموع	–	24 كتابا	41	نحو:100 0/0	نحو:100 0/0



و أما بالنسبة للأسباب و العوامل التي أدت بأهل العلم إلى الاهتمام بالحفظ و الإكثار منه ، فيبدو أن أهمها عشرة ، أولها طبيعة الحياة العلمية التي سادت القرنين السادس و السابع

الهجريين/12-13م ، حيث أعطيت فيها الأولوية للحفظ على الفهم و التأليف ،و قد حث عليه علماء كثيرون ، و خصصوا له أحسن الأوقات ، منهم : أبو بكر الخطيب البغدادي ، و ابن الجوزي ، و أبو سعد السمعاني ، و بدر الدين بن جماعة[1] . و الثاني هو أن الحفظ يعد من أساسيات العملية التعليمية و التربوية ، فلا يستغنى عنه في أي علم من العلوم ، و إن اختلفت درجة التركيز عليه حسب طبيعة كل علم . والثالث هو أن طالب العلم في حاجة ماسة إلى الحفظ ، لأنه يوفر له جهد حمل الكتب و الرجوع إليها، في بحوثه و مناظراته ، فيصبح العلم في رأسه لا في كراسه . و يرى بعض الباحثين أن العلم المحفوظ في الذاكرة فقد أهميته في عصرنا الحالي ،بعد انتشار الطباعة التي و فرت المجهودات التي كانت تبذلها الذاكرة قديما[2] ، و هذا التعليل لا يصدق على العصر الإسلامي ،في القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م،لأن الذي دفع أهل العلم إلى الاهتمام بالحفظ ليس هو خوف ضياع العلم ، لأن التدوين كان منتشرا بكثرة بين الناس، كما أن و سائل الطباعة الحديثة ، و الإعلام الآلي قد حلت بالدرجة محل النسخ باليد ، ولم تحل محل الحفظ ،فحاجتنا إليه ما تزال ماسة في التربية و التعليم ، والبحوث و التحاليل العلمية، فشتان بين العالم الذكي الحافظ لعلمه ، وبين نظيره الفاقد للحفظ ، المكثر من الرجوع إلى كتبه و حاسوبه ، فهل يستوي الاثنان ؟

و الرابع الخوف من ضياع المصنفات ، و هو سبب لم يكن عاما ، و إنما يخص بعض المشتغلين بالعلم ، كالأديب الطبيب عبد اللطيف البغدادي ، الذي كان يحث الطلاب على حفظ أي كتاب يطالعونه ، لاحتمال أن يعدم ، فيجدون أنفسهم مستغنين عنه[3] . و هذه مبالغة في الاحتياط ، و نصيحة غير عملية ، لأن احتمال فقدان كتاب بعد انتشاره في الأمصار بين الناس ، في عصر شاع فيه التدوين ضعيف جدا ، كما أنه ليس في مقدور كل طالب حفظ أي كتاب يقرأه . و الخامس هو طبيعة العلوم الشرعية و سيدتها على المجتمع ، فطالب العلم الشرعي عليه أ ن يحفظ القرآن الكريم ، و الأحاديث النبوية ، وأحكام التجويد ، و القراءات ، و أقوال العلماء في الأصول و الفروع ، فهذه العلوم تقوم على الحفظ أولا ، ثم الفهم ثانيا ، و يبدو أن الحفظ قد تغلب عليه في القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م.

و السادس هو الانتشار الواسع لعلوم اللغة و الأدب و هي بطبيعتها تعتمد أساسا على الحفظ ، فعلى الأديب والنحوي و اللغوي أن يستظهر كثيرا من الأشعار و الحكم ، و الأقوال و القواعد ، و

---

[1] سبق ذكر أقوالهم .

[2] عثمان موافي :منهج النقد التاريخي الإسلامي،و المنهج الأوربي ، الإسكندرية ، مؤسسة الثقافة الجامعية ،1976 ص :42-43 .

[3] ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ج 3 ص :342 .

الأمثال ليصبح عالما كبيرا . و السابع تشجيع المجتمع على الحفظ ، فقد كان له الأثر الفعال في دفع الطلبة إلى الاهتمام به ، من ذلك أن الملك المعظم عيسى بن العادل الأيوبي(ت624هـ/1226م)، كان يعطي كل من يخفظ كتاب المفصل في النحو لجار الله الزمخشري(ت538هـ/1240م) ،جائزة بثلاثين دينارا[1] .و كذلك الناس فقد حضروا مجالس الحفاظ و عظموهم و كافؤوهم[2] . و عندما تبين للملك الكامل يبن محمد العادل(ت635هـ/1237م)، أن المحدث أبا الخطاب بن دحية الكلبي ،كان كاذبا في دعواه كثرة محفوظاته عزله عن مشيخة دار الحديث عقابا له على كذبه[3] .

والثامن الاستعداد الفطري لدى الحفاظ وقدراتهم الذاتية ،كانت أحسن عون لهم في الحفظ الكثير ، حتى أن الباحث ليتعجب مما ترويه المصادر عما يحفظه هؤلاء ، فأحدهم يحفظ كتابا في أيام قليلة ، وأخر يحفظه في يوم واحد ، وأخر تبلغ محفوظاته سبعة كتب ، و أخر يستظهر أكثر من مائة ألف حديث ، نعم قد تبالغ المصادر فيما ترويه عن هؤلاء ، لكنها تظافرت في ذكر كثرة ما يحفظونه ، و قد خصص الذهبي كتابه : تذكرة الحفاظ ، لكبار حفاظ أهل الحديث ، و أورد أخبارا عن حفظهم ، وهو محدث و مؤرخ ثقة ، و ناقد محقق لا يتهم بتعمد الكذب . وعلى كل فإن قدرات هؤلاء على الحفظ ، ظاهرة غريبة عن عصرنا و تثير الإعجاب ، و تفصح عن قدرات العقل البشري على الحفظ . كما تعتبر الجهود الفردية المضنية التي يبذلها الطلبة فبي الصبر على الحفظ و الإعادة ، عاملا أساسيا في نبوغهم و كثرة محفوظاتهم ، فإذا قرأنا أن الفقيه بكر بن محمد الأنصاري الحنفي(ت512هـ/1118م) كان يحفظ مذهب الإمام أبي حنيفة ، و يلقي دروسه دون كتاب ، وأن علماء مذهبه يرجعون إليه إذا أشكل عليهم شيء ، فليكن في علمنا أن هذا الرجل كان في أيام طلبه للعلم يكرر بعض المسائل الفقهية أربعمائة مرة ليحفظها و يرسخها في ذهنه[4] .

و التاسع هو الدوافع الشخصية لدى بعض الحفاظ ، طلبا للمجد ، والكسب ، و المناصب ، و التباهي بكثرة المحفوظ ، فقد رحل الحافظ أبو الخطاب بن دحية الكلبي من الأندلس إلى دمشق و أشاع بين الناس أنه يستظهر صحيح مسلم و جامع الترمذي ،فكان ذلك من أسباب توليه مشيخة دار الحديث بدمشق[5] . و جاء رجل من بلاد خراسان إلى دمشق سنة 763هـ/1361م و ادعى انه يحفظ الصحيحين و جامع المسانيد لابن الجوزي ، و الكشاف للزمخشري ، فاجتمع العلماء

---

[1] ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص : 69 121 .

[2] نفس المصدر ج 14 ص : 294 و ما بعدها .

[3] الذهبي : تذكرة الحفاظ ج 4 ص : 1421-1422 .

[4] ابن كثير : المصدر السابق ج 12 ص : 183 .

[5] سبق ذكر تفاصيل الحادثة في هذا المبحث .

لامتحانه في حضور جمع غفير من الناس ،فتبين لهم أنه مبالغ في دعواه و لا يتقن حفظ الصحيحين ، لكنهم ابدوا إعجابهم به و أجازوه[1] .و آخرها هو أن بعض المشتغلين بالعلم قد تدفعهم حالتهم المادية الصعبة إلى حفظ المصنفات ليدخروا ثمن النسخ و الحبر و شراء الورق ، لتوفير حاجياتهم الضرورية، و قد حفل القرنان السادس و السابع الهجريان/12-13 م بالعلماء و الطلاب الذين لا كسب لهم[2] .

المبحث الثاني: التكسب عند علماء الحنابلة

أولا: ضرورة تكسب العلماء عند ابن الجوزي:

يعد المؤرخ عبد الرحمن ابن الجوزي(ت597 هـ/11200م) أكثر علماء الحنابلة اهتماما بالمسألة الاقتصادية لأهل العلم ، فقد كتب عنها فصولا قيمة نادرة في كتابه صيد الخاطر ،منها أنه أشار إلى أن العلماء قبل زمانه كان لهم نصيب من بيت المال ، ورفق من الإخوان ، و مساعدة من العوام ، و أما في أيامه هو فانقطع كل ذلك، و أصبح المتشاغل بالعلم و العبادة مسكينا، في زمن قبيح لا يجد قيه من يومئ إليه بمعونة ، ولا استقراض[3]. ثم أشار إلى حقيقة معروفة في تاريخ العلماء المسلمين هي أن أكثرهم فقراء ، لأن العلم قد شغلهم عن المكاسب في بداياتهم فلما احتاجوا لقوام أنفسهم ذلوا و هم أحق بالعز[4] ، و قد عبر ابن خلدون(ت808 هـ/1405م) عن هذه الفكرة بقوله: أن القائمين بأمور الدين و القضاء ، و الفتيا و التدريس ، والإمامة و الخطابة ، و نحو ذلك لا تعظم ثرواتهم في الغالب[5] . و وصف ابن الجوزي لأوضاع العلماء و الطلاب في زمانه بأنها متدهورة ، لا تصدق عليهم كلهم فقد وجدت مدارس كثيرة في بغداد و خارجها ، لمدرسيها و طلبتها مرافق متعددة و جرايات دارة[6] . وعندما زار ابن جبير المشرق سنة 578هـ/1182م أبدى إعجابه الشديد بما شاهده من ازدهار للحياة العلمية و كثرة مدارسها و أوقافها[7] .

ونظرا لأهمية المال للمشتغلين بالعلم ، فقد نصحهم ابن الجوزي ، بالقناعة باليسير و قلة النفقة ، و تقليل أفراد الأسرة ، و مزاولة عمل ما ، كالنسخ بالأجرة ، و حث من له مال منهم ، على الاجتهاد في تنميته و حفظه ، و هذا أفضل من التشاغل بفضول العلم ؛ فما بقي من يؤثر ، و لا من يقرض ،

---

[1] ابن كثير : المصدر السابق ج 14 ص : 294 .

[2] ستذكر منهم نماذج كثيرة في المبحث الثاني الآتي .

[3] ابن الجوزي : صيد الخاطر ص : 371 391 392 .

[4] نفس المصدر ص : 22 .

[5] ابن خلدون : المقدمة ص :309 .

[6] عن ذلك انظر الفصل الثاني .

[7] ابن جبير : رحلة ابن جبير ص : 11 244 .

فالناس قد صاروا عبيدا للمال ، لذا فالكسب ضروري للعالم لكي لا يستعبده أحد ، و لا يداري ظالما ، ولا يداهن جاهلا ، وأن لم يفعل ذلك و لم يقنع باليسير أفسد دينه بمخالطته للسلاطين و العوام[1] .

و صنف ابن الجوزي العلماء في تصرفهم تجاه المسألة المادية إلى أربع طوائف الأولى مالت إلى السلطان ، واتبعت طرقا تأولتها أنقصت من قلوبها و كمال دينها أكثر مما نالته من الدنيا ، و كان الأحسن لها الابتعاد عن ذلك المسلك، و الثانية دفعها فقرها إلى المداهنة ، و المدح بما لا يجوز ، و السكوت عن المنكرات[2] ، و الثالثة بعدما ضاق بها معاشها ن وقل ما تنشده لنفسها من الحظوظ ، سافرت في البلاد طلبا للدنيا عند الأراذل و السفلة ، و الرابعة نجت من فتنة الفقر ، و هي صنفان : الأول له مال و تجارة كعبد الله بن المبارك(ت181 هـ/797م) ، و سفيان الثوري(ت161 هـ/977م)، و الثاني شديد الفقر قنوع بالرزق القليل، كالإمام احمد بن حنبل[3](ت241 هـ/ 855م) .

وأشار ابن الجوزي إلى أن معظم أرباب الأموال في زمانه يستخدمن العلماء المعوزين ن ويستذلونهم ، ويمنون عليهم لما يعطونهم من شيء يسير من زكاة أموالهم ، فإذا كان لأحدهم ختمة قال : فلان ما حضر ، و إذا مرض قال : فلان ما تردد-أي لزيارته- ، لذا فعلى العلماء صيانة العلم بالقناعة باليسير ، و صرف بعض أوقاتهم في طلب الرزق ، ليرفعوا عن أنفسهم الذل و يحافظون على مكانة العلم[4] . وليس أنفع للعالم في الدنيا من جمع المال للاستغناء به عن الناس ، فإذا اجتمع المال و العلم حيز الكمال، لكن عليه أن يحذر أن يصبح جامعا للمال من وجه قبيحة ، و من شبهات قوية ، و بحرص شديد، و بذل في الطلب، تم يأخذ الزكوات و هي لا تحل له مع الغنى ثم يدخره و لا ينتفع به، حتى أن أحد شيوخ ابن الجوزي بلغ الثمانين وليس له أهل و لا ولد ،فلما مرض القى نفسه عند أحد أصدقائه ،فكان يوفر له الدواء و ما يشتهيه بعناء ، فلما توفي وجدت لديه أموال عظيمة[5] .

ويستخلص مما قاله ابن الجوزي أنه كان شديد الحرص على دعوه العالم بأن يتخذ لنفسه وظيفة يتقوت منها هو و أهله و أولاده ، ليحافظ على دينه و كرامته و علمه ، و نصحه بالصبر و الاقتصاد

[1] ابن الجوزي : المصدر السابق ص : 22 371 391 475 .

[2] ابن الجوزي : المصدر السابق ص : 161 .

[3] نفس المصدر ص : 162 166 .

[4] نفس المصدر ص :211 .

[5] نفس المصدر ص : 261 292 .

في النفقة ، و القناعة بالقليل ، و تنظيم النسل ، لتقليل أفراد الأسرة تجنبا للمزيد من النفقات و المتاعب في طلب الرزق[1] .

ثانيا :وظائف علماء الحنابلة و وضعياتهم المادية :

اتخذ كثير من علماء الحنابلة خلال القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م وظائف ومهن للارتزاق ، كالنسخ بالأجرة ، و ممارسة التجارة ، و تولي المناصب السلطانية ، فبخصوص الذين امتهنوا النسخ أذكر منهم عشرة ، أولهم المتكلم أبو الوفاء بن عقيل ، نسخ بالأجرة في فترة من حياته كان فيها محتاجا ، مع العفة و عدم المزاحمة لغيره[2] . و الثاني الفقيه عبد الوهاب أبو البركات الأنماطي البغدادي(ت 538هـ/1143م)، تفرغ للعلم و النسخ ، و من المصنفات التي نسخها : طبقات ابن سعد ، و تاريخ بغداد للخطيب البغدادي[3] . و الثالث المتكلم صدقة بن الحسين البغدادي(ت573 هـ/1177م) مارس النسخ بالأجرة و تقوت منه مدة طويلة ،و مع ذلك فيروى أنه كان يبالغ في الطلب من الناس مقيما وحده بمسجد له ، فلما مات خلف ثلاثمائة دينار[4] .

و أما الرابع فهو عفيف الدين بن المبارك البغدادي(ت575هـ/1179م)، ورق للناس بالأجرة و له خط حسن[5] .و الخامس المحدث الفقيه أبو العباس احمد بن عبد الدائم المقدسي ثم الدمشقي(ت668 هـ/1269م)، تخصص في النسخ ، و مارسه خمسين سنة ،و يكتب في اليوم إذا تفرغ تسعة كراريس أو اكثر ، و يقال أنه ينظر في الصفحة نظرة واحدة ثم يكتبها ،لذلك توجد له أخطاء كثيرة فيما يدونه ، و خطه لا نقط فيه ولا ضبط[6] ،و روي أنه نسخ في ظرف خمسين سنة ألفي مجلدة ، وقيل اقل من ذلك ، وقيل بل اكثر من ألفين ، ونقل عنه أنه انشد عندما عجز :

عجزت عن حمل قرطاس وعن قلم   من بعد إلفي بالقرطاس و القلم

---

[1] لأن ذلك يصرفه عن التفرغ للعلم .

[2] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص : 36 .

[3] الذهبي: تذكرة الحفاظ ج 4 ص:1283 و تاريخ الإسلام ج :521-540هـ/ ص:467 .

[4] ابن الجوزي : المنتظم ج 10ص :277 278 ، و صيد الخاطر ص : 292 . و الذهبي : المختصر المحتاج إليه ص :201 . و ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج 4 ص :1474 . ابن كثير : المصدر السابق ج 12 ص 298 .

[5] ابن النجار : المصدر السابق ج 17 ص :195 .

[6] الذهبي : العبر في خبر من غبر حققه السعيد بن زغلول ، بيروت دار الكتب العلمية ، د ت ج 3 ص :318 . و الصفدي : نكت الهميان في نكت العميان ، حققه احمد زكي بك ، مصر المطبعة الجمالية ، 1911م ص : 100 ، و كتاب الوافي بالوفيات ج 7 ص :34-35 .و ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، ج 1 ص :85 .و ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص:257 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :3126 .

كتبت ألفا و ألفا من مجلدة فيها علوم الورى من غير ألم[1]

وبعملية حسابية بسيطة يتبين أن احمد بن عبد الدائم كتب اكثر من ذلك بكثير ،فإذا كان يكتب تسعة كراريس في اليوم عند تفرغه للكتابة ، وأخذنا أربعة كمتوسط يومي ،لما ينسخه ، وعرفنا أن الكراسة الواحدة تضم ما بين :10-20 صفحة و افترضنا أنها تحتوي على خمس عشرة صفحة ، و أن المجلدة فيها نحو 150 صفحة ، فإن مجموع ما ينسخه في اليوم يبلغ ستين صفحة ،و إذا افترضنا كذلك أنه يشتغل ثلاثمائة يوم في العام فقط فيكون مجموع ما ينسخه سنويا: 300× 60= 18000صفحة ،و بالمجلدات يساوي : 18000÷150=120 مجلدا في السنة ، و في الخمسين عاما : 120×50 =6000مجلد ،و هذا عدد كبير يفوق ألفي مجلدة بكثير .

و السادس أبو القاسم علي بن عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي(ت630هـ/1223 م) تفرغ للنسخ فيكتب في اليوم عشرة كراريس ، وخطه لم يكن جيدا[2] .و السابع هو أبو محمد بن الطباخ البغدادي ثم المكي(ت675هـ/1276م)،كان يتكسب من كتابة مناسك العمرة ، يبيعها في المسجد الحرام لمن لا يعرف مناسكها[3] . والثامن الفقيه عماد الدين احمد بن إبراهيم الواسطي ثم الدمشقي(ت711هـ/1311م)، مارس النسخ ليتقوت به ، و لا يكتب إلا مقدار ما يدفع به الضرورة[4] .و التاسع هو المؤرخ الأديب عبد الرزاق بن الفوطي البغدادي(ت 723هـ/1323م) ، نسخ للناس بالأجرة و له خط منسوب في غاية الجودة ، و يكتب في اليوم أربع كراريس و هو مستلق على ظهره ،و لم يكن مدخوله من النسخ و من وظيفته يكفيه لينفق على أسرته ، لذلك رهن داره عندما أصابته ضائقة مالية[5] . و أخرهم الأديب شهاب الدين محمود ابن سليمان الدمشقي(ت 725هـ/1324م) ، نسخ للناس بالأجرة[6] مصنفات كثيرة ،و خطه منسوب أنيق ، و قد اشتغل كاتبا في ديوان الإنشاء نحو خمسين سنة بمصر و الشام[1] .

---

[1] الصفدي : الوافي بالوفيات ج7 ص:35 36 ، و نكت الهميان ص : 100 . و ابن رافع السلامي : المصدر السابق ص :30 . و قطب الين اليونيني : المصدر السابق ج 2 ص :437 . و الذهبي : العبر ج 3 ص :318 . و ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص :257 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :326 . و ابن شاكر الكتبي : عيون التواريخ ، ح20 ص:393.

[2] الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 22 ص : 353 .

[3] الذهبي : تاريخ الإسلام ج :571 –580 ص :186 .

[4] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 339 –340 .

[5] ابن الفوطي : المصدر السابق ق 1 ج 4 ص:20 42 81 126 . و ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ج 1 ص:567 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :374 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 6 ص : 60 ط د الأفاق .

[6] كان الشيخ أبو عمر بن قدامة المقدسي(ت607 هـ/ 1210م) من كبار النساخ ، لكنه ينسخ للناس مجانا ، و يكتب في اليوم كراسين كبيرين و قد نسخ لهم مصحف و كتبا كثيرة منها : مختصر القرقي في الفقه ، و حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني ، و

و أما عن النساخ من غير الحنابلة ، فأذكر منهم أربعة أولهم حجة الإسلام أبو حامد الغزالي(ت505هـ/ 1111م) ،اتخذ النسخ مصدرا للرزق بعدما تصوف[2] .و الثاني المقرئ أبو العباس بن الحطيئة الفاسي ثم المصري(ت560 هـ/1164م) نسخ للناس بالأجرة ، و خطه جيد مضبوط ، وقد علم زوجته و بنته الكتابة و تقليد خطه ،فإذا شر ع في نسخ كتاب ما أشركهما معه في النسخ ، فلا يفرق بين خطوطهم إلا الحاذق المدقق[3] . والثالث المحدث محمد بن مسلم القيسي الدمشقي(ت680هـ/ 1281م) كان سريع الكتابة ينسخ في اليوم ثلاثة كراريس[4] . وأخرهم المؤرخ احمد بن عبد الوهاب المصري الشافعي(ت733هـ/1332م) ناسخ بارع مطيق ، يكتب في اليوم ثلاثة كراريس ، و ينسخ المصنفات و يجلدها ثم يبيعها ، و قد صنف تاريخا في ثلاثين مجلدا و باعه[5] .

و يتبين مما ذكرناه عن هؤلاء النساخ أن كثيرا من أهل العلم اتخذوا النسخ مصدرا للرزق ، وهو يندرج ضمن نشاطهم اليومي كعلماء ، و قد مارسه بعضهم عقودا من الزمن ، وغالبهم له خط جيد أنيق . كما أنه قد تباين مقدار ما ينسخوه في اليوم من الكراريس تباينا واضحا ، حسب قدراتهم و ظروفهم ، في مقدمتهم أبو القاسم بن الجوزي ،ثم يليه احمد بن عبد الدائم ، ثم يأتي الباقون ، و هم متقاربون كما هو مبين في الجدول(رقم : 6) و الرسم البياني(رقم : 6) .

و أما الذين احترفوا التجارة من علماء الحنابلة ، فمنهم من خرج إلى الأمصار كالمؤرخ أبي الثناء حماد بن هبة الله الحراني(ت598 هـ/1201م) ،و الفقيه أبو زكريا بن الحبيرالبغدادي[6](ت598هـ/1201م)، و المحدث عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني(ت672 هـ /1273م) ، و الفقيه عبد العزيز بن باقا المصري[7](ت 6230هـ/1232م) ، و المحدث فخر الدين

الإبانة عن أصول الديانة لابن بطة العكبري الحنبلي . الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 22 ص :7 8 . و ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص :9 59 .

[1] ابن رجب : المصدر السابق ج 2ص : 378 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 6 ص :69 .

[2] ابن كثير : المصدر السابق ج 12ص 174 .

[3] الصفدي : الوافي بالوفيات ج 7 ص :324 .

[4] ابن كثير : المصر السابق ج 13 ص : 299 .

[5] ابن كثير : المصدر السابق ج 14 ص :164 . و ابن الوردي : المصدر السابق ج 2 ص :430 .

[6] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ، ج 4ص 335 ج5 ص: 31 . وابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 431 ط ق .

[7] ابن تغري بلدي : الدليل الشافي على المنهل الصافي ،حققه فهيم محمد شلتوت ، السعودية جامعة أم القرى ، د ت ، ج 1 ص :428 . و الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 22 ص :351 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :336 .

بن البخاري المقدسي ثم الدمشقي[1](ت690هـ/ 1291م) .و منهم من تاجر في الملابس ،كالفقيه أبي الفضل محمد بن زبيبا البغدادي(ت511هـ/1117م) ، و المحدث عبد العزيز بن الأخضر البغدادي(ت 611هـ/1214م)، مارس النسخ بالأجرة ، ثم أصبح بزازا يبيع الملابس في دكان له ، و يعقد فيه كذلك مجالس قراءة الحديث[2] . و منهم المقرئ عبد الرحمن بن الفويرة البغدادي(ت697هـ/1298م) له حانوت للملابس بسوق الثلاثاء بالجانب الشرقي من بغداد[3] .و تاجر أخرون في مواد اقتصادية أخرى ، منهم الفقيه عبد الرحمن بن محمد الحلواني البغدادي(ت546 هـ/1151م) اتجر في الخل[4] . و المقرئ عبد الوهاب بن محمد الصابوني البغدادي(ت 656هـ/ 1258م)كان يبيع خفاف النساء[5] . وأما الفقيه زين الدين علي بن احمد الآمدي ثم البغدادي(ت710هـ/1310م) فقد تاجر في الكتب ،

....

جدول لكبار النساخ و ما يكتبوه يوميا[6]

(في القرنين:6-7هـ/12-13م)

[1] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 326-327 .

[2] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص : 31 . و محمد بن عبد الهادي : طبقات علماء الحديث ج 4 ص : 164 . و الذهبي : تاريخ الإسلام ج :611-620 هـ/ص : 74 –75 .

[3] ابن رافع السلامي : المصدر السابق ص :83-84 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص:438 .

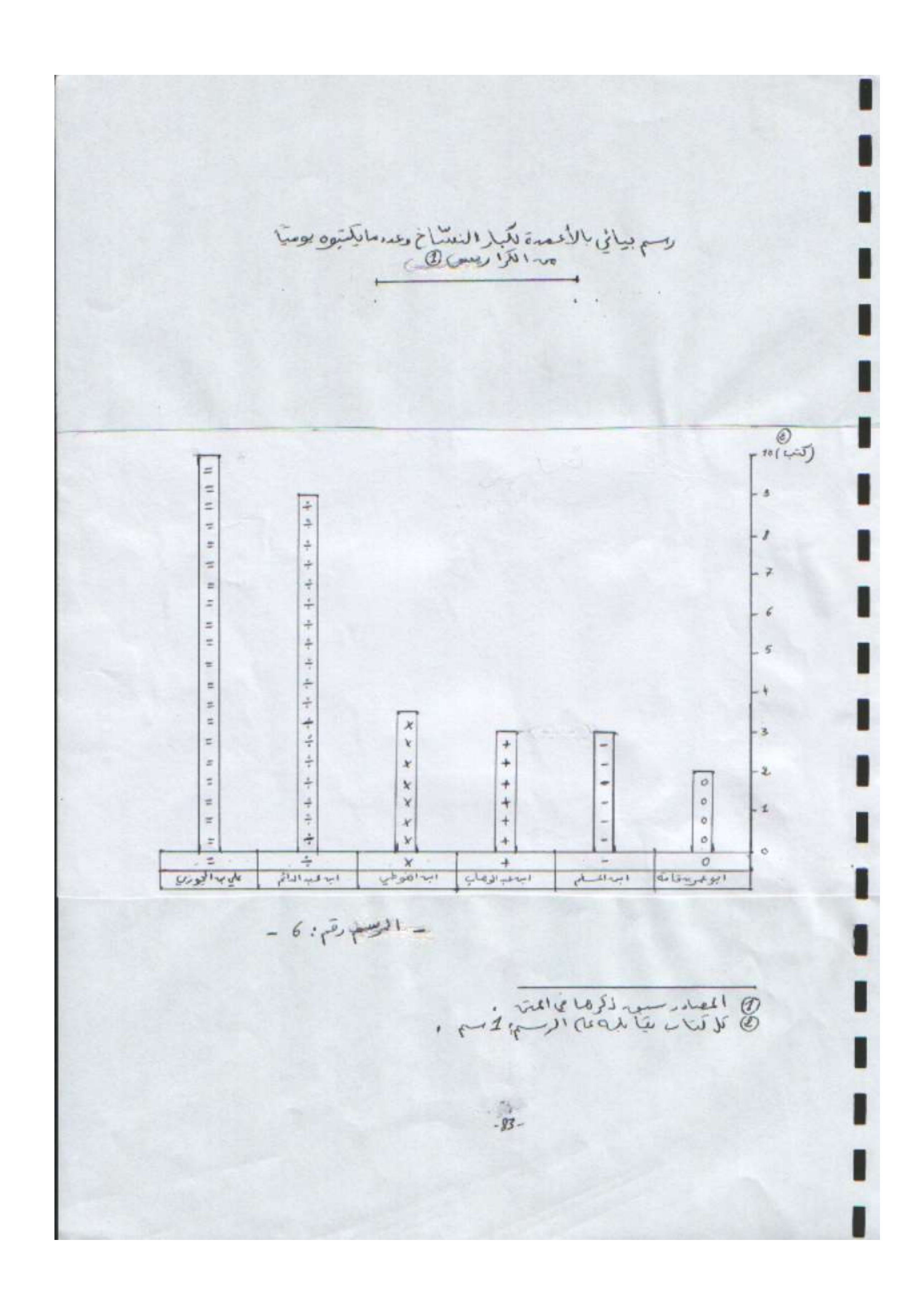
[4] العليمي : المصدر السابق ج 2 ص :263 . و الداودي : المصدر السابق ، ج 1 ص : 281 .

[5] ابن النجار : المصدر السابق ج 16 ص : 229 .

[6] المصادر سبق ذكرها في المتن .

الرمز	الناسخ	المذهب	الموطن	الكراريس المكتوبة
0	ابو عمر بن قدامة ت607هـ	حنبلي	دمشق	02
–	محمد بن مسلم ت 680هـ	–	=	03
+	احمد بن عبد الوهاب733هـ	شافعي	مصر	03
×	ابن الفوّطي ت 723	حنبلي	بغداد	04
÷	احمد بن عبد الدائم 668هـ	=	دمشق	09
=	علي بن الجوزي ت630هـ	=	بغداد	10

(الجدول رقم: 06)



- الرسم رقم: 6 -

(1) المصادر سبق ذكرها في المتن.
(2) كل كتاب يقابله على الرسم 1 سم.

و كانت له مكتبة عامرة يعرف كتبها باللمس، فإذا طلب منه كتاب ما استخرجه من الخزانة كأنه ينظر إليه ، و وضعه[1] .

ومارس بعضهم مهن وحرف أخرى ، منهم الفقيه أبو محمد خداداذ بن سلامة البغدادي(ت529هـ/1134م)، امتهن حرفة نقش المبارد، و قد خلفه فيها ولده الفقيه الكاتب أبو بكر[2](ت552 هـ/1157م) .و منهم ثلاثة تكسبوا من الخياطة ، أولهم الفقيه أبو حكيم بن دينار النهرواني البغدادي(ت556هـ/1160 م) ،كان إذا خاط ثوبا و أعطي الأجرة يأخذ منها قليلا و يرجع الباقي لصاحبها ، و يقول : ((خياطتي ل تساوي أثر من هذا))[3] . و الثاني المقرئ أبو بكر الحلاوي البغدادي[4](ت611 هـ/ 1214م) .و أخرهم المقرئ أب العباس بن إبراهيم الدمشقي(ت678هـ /1279م)، جمع بين الخياطة و الدلالة في الأسواق[5] . وأما المحدث الطبيب أبو بكر بن المارستانية البغدادي(ت599 هـ/1297م) ،فإنه عندما أخرج من السجن[6] شرع في تطبيب الناس في منازلهم، و صادف قبولا لديهم، وأثري من جديد و تحسنت أحواله كما كان من قبل[7] .وجمع الفقيه أبو الخير مكي بن شبيب المقدسي ثم المصري(ت634 هـ/1236م) بين الاشتغال في البناء و الإمامة في مسجد يعرف به بمدينة مصر[8] .

---

[1] وكان إذا اشترى كتابا يأخذ ورقة أو أكثر و يفتلها على هيئة حرف أبجدي , وفق حساب الجمل ، ثم يلصقها بإحكام في أعلى الورقة الأولى ، فإذا شذ عنه ثمن كتاب ما مس هذه الحروف البارزة فيعرف ثمنه . الصفدي : نكت الهميان ص :207 208 . و بهذا يكون هذا العالم المسلم الضرير قد سبق الفرنسي براي في اختراع الكتابة البارزة للعميان . نفس المصدر ص : ح ، (مقدمة المحقق) . ومثال على حساب الجمل ، أنه إذا أخذنا حرفين كرمز لثمن كتاب ، وهما : ر ب يكون السعر : 202 درهم –مثلا–، لأن حرف :ر يساوي :200 و حرف: ب يساوي :2 ، و لمعرفة المزيد عن حساب الجمل انظر : عبد الله الدفاع : العلوم البحتة في الحضارة العربية الإسلامية ،

[2] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :231 ط د . و العليمي : المصدر السابق ج 2 ص : 270 .

[3] الصفدي : الوافي بالوفيات ج 5 ص : 374 . و ابن الفوطي : المصدر السابق ق 3 ج 4 ص:582 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :239 ط ق .

[4] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :77 .

[5] النعيمي : المصدر السابق ج 2 ص : 123 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص : 360 .

[6] كان قد أصابته محنة على إثر مشاركته في إحراق كتب الركن عبد السلام بن عبد الوهاب بن الشيخ عب القادر الجيلاني وإبعاد صديقه عبد الله بن يونس من الوزارة ، لذلك أدخل السجن . بن النجار : المصدر السابق ج 17 ص : 67 68 . و ابن رجب : ج1 ص :443 ط ق .

[7] نفسه ج 17 ص : 66 76 86 . و نفسه ج 1 ص : 443 .

[8] الذهبي : تاريخ الإسلام ج : 631-640 هـ /ص :222 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :215 .

و أما علماء الحنابلة الذين تولوا مناصب سلطانية، فمنهم ثلاثة باشروا وظائف ديوانية ، أولهم الفقيه عبد الواحد بن شنيف البغدادي(ت528 هـ/ 1133م) ،اشتغل في ديوان التركات و جمع مالا كثيرا[1] . والثاني المتكلم الفخر إسماعيل غلام بن المني البغدادي(ت610 هـ/1213م) ، عين في ديوان السجون فلم تحمد سيرته ، وأبعد تماما من الخدمة في أجهزة الدولة ، وأقام في بيته خاملا يعيش من صدقات الناس إلى أن توفي[2] . و الثالث الأديب الموفق بن عبد القاهر الفوطي البغدادي(ت656 هـ/1258م)،تولى كتابة ديوان العرض[3]-الجيش- .

ومنهم ثلاثة تقلدوا مناصب عليا في الدولة ، اثنان توليا الوزارة[4] ، وهما : الفقيه عون الدين بن هبيرة البغدادي(ت 560 هـ/1164م) ،بقي في الوزارة نحو خمسة عشر عاما ، جمع خلالها أموالا طائلة ، أنفقها في خدمة العلم و العلماء و الفقراء[5] . والمتكلم عبد الله بن يونس البغدادي[6](ت593 هـ/ 1196م). و أما الثالث فهو الفقيه محي الدين يوسف بن عبد الرحمن بن الجوزي(ت656 هـ/ 1258م) ، تقلد منصب أستاذ دار الخلافة زمن الخليفة المستعصم بالله العباسي[7](640-656 هـ/1242-1258م) ، و كان قد تولى من قبل حسبة بغداد ، فلما أصبح أستاذا لدار الخلافة ، خلفه فيها بالتتابع ولداه شرف الدين(ت656هـ/ 1258م) و عبد الكريم[8](ت656هـ/ 1258م) .

ومنهم اثنان مكتبيان متخصصان في الإشراف على المكتبات ، أشرفا على أكبر خزائن الكتب بالمشرق الإسلامي في القرن السابع الهجري /13م ، أولهما المقرئ الناسخ عبد العزيز بن دلف البغدادي(ت637 هـ/1239م)، ولاه الخليفة المستنصر بالله(623-640 هـ/1226-

[1] سبط بن الجوزي : المصدر السابق ج 8 ص :150 :

[2] الذهبي : المصدر السابق ج :601-610 هـ/ ص :361 . و ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص : 65 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص: 61 .

[3] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص : 278 .

[4] لم أعثر في المصادر التي اطلعت عليها إلا على خمسة حنابلة تولوا الوزارة خلال القرنين :6 و 7هـ /12-13م ، أذكر منهم أربعة : ابن هبيرة ، وابن يونس ، و المؤرخ إسماعيل بن أبي سعد الشيباني الآمدي(ت673 هـ/1274م)كان وزيرا بماردين ، ثم خلفه ولده الأديب شمس الدين(ت704 هـ/ 1304م) في الوزارة .ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 6 ص:11 ط د الأفاق .

[5] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :251 252 . و سبط بن الجوزي : المصدر السابق ج 8 ص :256 . و ابن الطقطقى : الفخري في الآداب السلطانية و الدول الإسلامية ،مصر ، مكتبة عز للتوريدات ، د ت ، ص :252 و ما بعدها .

[6] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 6 ص :513-514 ، ط د .

[7] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :286 287 .

[8] نفسه ج 5 ص : 286 287 .

1242م)،أمر خزانة كتب المدرسة المستنصرية[1] . و الثاني الأديب المؤرخ عبد الرزاق بن الفوطي البغدادي(ت 723 هـ/ 1323م)، أشرف على مكتبة الرصد بمراغة[2] ، و خزانة كتب المدرسة المستنصرية في زمن دولة المغول،و قد أمضى فيهما اكثر من ست و خمسين سنة[3] .

ومنهم من تولى القضاء ، وهم قليل جدا فيما بين عامي:501-662 هـ/1107-1263م ، ثم كثر عددهم عندما تعدد القضاء في مصر و الشام[4] ، وأصبح للحنابلة قضاء خاص بهم كباقي الطوائف السنية الأخرى ، فمن الذين تقلدوه قبل تعدده ، الفقيه أبو الحسين بن أبي يعلى الفراء البغدادي(ت526 هـ/1131م)، و الفقيه أبو يعلى الصغير محمد بن أبي خازم الفراء البغدادي[5](ت560 هـ/1164م) ،و المحدث أبو صالح بن عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلاني(ت633 هـ/1235م) ، وهو أول حنبلي تولى قضاء القضاة[6] ،و أخرهم الفقيه عثمان بن أسعد بن المنجا الدمشقي[7](ت641 هـ/ 1243م) .

وأما الذين تولوا القضاء –بعد تعدده-بمصر ، فمنهم شمس الدين محمد المقدسي ثم المصري(ت676 هـ/1277م) ، و عز الدين بن عبد الله المصري ، تقلده سنة 678هـ[8] /1279م، و شرف الدين أبو محمد عبد الغني الحراني[9](ت709 هـ/ 1309 م) . و الذين تقلدوه بالشام فأولهم شمس الدين بن قدامة المقدسي ثم الدمشقي(ت682 هـ/1284م)، ثم خلفه ابنه

---

[1] الذهبي : تاريخ الإسلام ج:631-640 هـ/ ص:334-335 . وابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص:218-219 .

[2] أنشأها المتكلم نصير الدين الطوسي(ت672 هـ/1273م) في دولة المغول ، بمدينة مراغة بأذربيجان .ابن الفوطي : المصدر السابق ق 1 ج 4 ص :17 .

[3] ابن الفوطي : المصدر السابق ق 1 ج4 ص:280 ، و ق 3 ج 4 ص :333 . وابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، ج 1 ص:567 .

[4] تعدد القضاء حسب المذاهب السنية الأربعة ، في ظل الدولة المملوكية سنة 663هـ/1264م بمصر ، و سنة 664هـ/ 1265م بدمشق . ابن طولون : قضاة الشام حققه صلاح الدين المنجد ، دمشق مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، 1956 ، ص :187 .

[5] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :221 ط د . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص :190 .

[6] ابن الفوطي : الحوادث الجامعة و التجارب النافعة في المائة السابعة ن بيروت دار الفكر الحديث ، 1987 ، ص :48 . وابن رجب :المصدر السابق ج2 ص :190 .

[7] عثمان بن المنجا : كتاب وقف القاضي عثمان بن المنجا ، حققه صلاح الدين المنجد ، دمشق ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، 1949 ، ص :21 22 .

[8] ابن تغري بلدي : النجوم الزاهرة في تاريخ ملوك مصر و القاهرة ، مصر المؤسسة المصرية العامة للتأليف ، د ت ، ج 7 ص :134 135 .

[9] نفسه ج 7 ص : 135 .

نجم الدين احمد[1](ت689 هـ/ 1290م) ، تم جاء من بعده ابن عمه شرف الدين حسن بن قدامة المقدسي[2](ت695 هـ/1295م) .

ويتبين مما تقدم ذكره أنه كانت لطائفة من علماء الحنابلة ،وظائف يرتزقون منها جمعوا بينها و بين اشتغالهم بالعلم ، لإدراكهم أنه لابد لأهل العلم من عمل يتكسبون منه ، لينفقوا علة أسرهم ، وليحافظوا على كرامتهم و علمهم . كما أنهم قد مارسوا وظائف و حرف متنوعة حسب قدراتهم و ظروفهم ، و قد أخذت منهم عينة مكونة من 77عالما ، ثم أحصيتُ وظائفهم و مهنهم فانتهيت[3] إلى أن 31 عالما اشتغل في قطاع التجارة و الحرف ، بنسبة 40,259 % ، من مجموع الوظائف ، و 28 عالما تولوا مناصب سلطانية ، 36,363 % من إجمالي الوظائف والحرف ، ثم تأتي مهنة النسخ ، مارسها 28 عالما بنسبة 23,376 % من مجموع المهن و المناصب ، لكن حقيقة الأمر أن حرفة النسخ تأتي في المرتبة الأولى ،لأنها هي لوحدها مثلت ذلك الرقم ، في حين قطاع التجارة والحرف يضم العديد من الفروع كالخياطة و بيع الملابس ، و كذلك المناصب السلطانية فيها عدة وظائف ، كالوزارة و الحسبة ، لكن القضاء –و هو من المناصب السلطانية- يأتي في المرتبة الثانية بعد النسخ بنسبة 23,376 % من إجمالي الوظائف و الحرف كما هو مبين في الجدول رقم: 7 و الرسم البياني رقم: 7 .

و وجدت في مقابل هؤلاء طائفة –من علماء الحنابلة- لم تكن لها وظائف و حرف ترتزق منها ، لتفرغها للعلم و العبادة ، و اعتمادها على طرق أخرى تطلب بها الرزق ، منهم الحافظ أبو العلاء العطار الهمذاني(ت569 هـ/1173م) تفرغ للإشغال و الاشتغال[4] ، فكان ينفق على نفسه و تلامذته مما يعطيه له الناس، و قد يضطره الحال إلى الطلب و الاقتراض منهم ،له ولطلابه[5] . و الثاني المؤرخ عبد الرحمن بن الجوزي ، لم يكن له عمل يتقوت منه لأن العلم شغله عن التكسب[6] ، و قد

---

[1] ابن طولون : المصدر السابق ص :273 . و فضل الله الصفاعي : تالي وفيات الأعيان ،حققه جاكلين سوبلة ، دمشق المعهد الفرنسي للدراسات العربية ص : 106 .

[2] ابن طولون : نفس المصدر ص : 277 350 .

[3] انظر الجدول رقم : 7 ، و الرسم البياني رقم : 7 .

[4] هما مصطلحان كانا سائدين في القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م ، و يقصد بالأول التدريس ، و الثاني الطلب و البحث .

[5] الذهبي : سير اعلام النبلاء ج 21 ص :43 . و ابن رجب ج المصدر السابق ج 1 ص :326 .

[6] ابن الجوزي : صيد الخاطر ص : 38 .

سبق و أن ذكرنا نصحه لأهل العلم بضرورة ممارسة عمل ما، و هو نفسه لم تكن له وظيفة محددة ، و لعله أخذ العبرة من نفسه ،

و كانت له مكتبة عامرة يعرف كتبها باللمس، فإذا طلب منه كتاب ما استخرجه من الخزانة كأنه ينظر إليه ، و وضعه[1] .

ومارس بعضهم مهن وحرف أخرى ، منهم الفقيه أبو محمد خذاداذ بن سلامة البغدادي(ت529هـ/1134م)، امتهن حرفة نقش المبارد، و قد خلفه فيها ولده الفقيه الكاتب أبو بكر[2](ت552 هـ/1157م) .و منهم ثلاثة تكسبوا من الخياطة ، أولهم الفقيه أبو حكيم بن دينار النهرواني البغدادي(ت556هـ/1160 م) ،كان إذا خاط ثوبا و أعطي الأجرة يأخذ منها قليلا و يرجع الباقي لصاحبها ، و يقول : ((خياطتي ل تساوي أثر من هذا))[3] . و الثاني المقرئ أبو بكر الحلاوي البغدادي[4](ت611 هـ/ 1214م) .و أخرهم المقرئ أب العباس بن إبراهيم الدمشقي(ت678هـ /1279م)، جمع بين الخياطة و الدلالة في الأسواق[5] . وأما المحدث الطبيب

---

[1] وكان إذا اشترى كتابا يأخذ ورقة أو أكثر و يفتلها على هيئة حرف أبجدي , وفق حساب الجمل ، ثم يلصقها بإحكام في أعلى الورقة الأولى ، فإذا شذ عنه ثمن كتاب ما مس هذه الحروف البارزة فيعرف ثمنه . الصفدي : نكت الهميان ص :207 208 . و بهذا يكون هذا العالم المسلم الضرير قد سبق الفرنسي براي في اختراع الكتابة البارزة للعميان . نفس المصدر ص : ح ، (مقدمة المحقق) . ومثال على حساب الجمل ، أنه إذا أخذنا حرفين كرمز لثمن كتاب ، وهما : ر ب يكون السعر : 202 درهم –مثلا-، لأن حرف :ر يساوي :200 و حرف: ب يساوي :2 ، و لمعرفة المزيد عن حساب الجمل انظر : عبد الله الدفاع : العلوم البحتة في الحضارة العربية الإسلامية ،

[2] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :231 ط د . و العليمي : المصدر السابق ج 2 ص : 270 .

[3] الصفدي : الوافي بالوفيات ج 5 ص : 374 . و ابن الفوطي : المصدر السابق ق 3 ج 4 ص:582 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :239 ط ق .

[4] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :77 .

[5] النعيمي : المصدر السابق ج 2 ص : 123 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص : 360 .

أبو بكر بن المارستانية البغدادي(ت599 هـ/1297م) ،فإنه عندما أخرج من السجن[1] شرع في تطبيب الناس في منازلهم، و صادف قبولا لديهم، وأثري من جديد و تحسنت أحواله كما كان من قبل[2] .وجمع الفقيه أبو الخير مكي بن شبيب المقدسي ثم المصري(ت634 هـ/1236م) بين الاشتغال في البناء و الإمامة في مسجد يعرف به بمدينة مصر[3] .

و أما علماء الحنابلة الذين تولوا مناصب سلطانية، فمنهم ثلاثة باشروا وظائف ديوانية ، أولهم الفقيه عبد الواحد بن شنيف البغدادي(ت528 هـ/ 1133م) ،اشتغل في ديوان التركات و جمع مالا كثيرا[4] . والثاني المتكلم الفخر إسماعيل غلام بن المني البغدادي(ت610 هـ/1213م) ، عين في ديوان السجون فلم تحمد سيرته ، وأبعد تماما من الخدمة في أجهزة الدولة ، وأقام في بيته خاملا يعيش من صدقات الناس إلى أن توفي[5] . و الثالث الأديب الموفق بن عبد القاهر الفوطي البغدادي(ت656 هـ/1258م)،تولى كتابة ديوان العرض[6]-الجيش- .

ومنهم ثلاثة تقلدوا مناصب عليا في الدولة ، اثنان توليا الوزارة[7] ، وهما : الفقيه عون الدين بن هبيرة البغدادي(ت 560 هـ/1164م) ،بقي في الوزارة نحو خمسة عشر عاما ، جمع خلالها أموالا طائلة ، أنفقها في خدمة العلم و العلماء و الفقراء[8] . والمتكلم عبد الله بن يونس البغدادي[9](ت593 هـ/ 1196م). و أما الثالث فهو الفقيه محي الدين يوسف بن عبد الرحمن بن الجوزي(ت656 هـ/

---

[1] كان قد أصابته محنة على إثر مشاركته في إحراق كتب الركن عبد السلام بن عبد الوهاب بن الشيخ عب القادر الجيلانين وإبعاد صديقه عبد الله بن يونس من الوزارة ، لذلك أدخل السجن . بن النجار : المصدر السابق ج 17 ص : 67 68 . و ابن رجب : ج1 ص :443 ط ق .

[2] نفسه ج 17 ص : 66 76 86 . و نفسه ج 1 ص : 443 .

[3] الذهبي : تاريخ الإسلام ج : 631-640 هـ /ص :222 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :215 .

[4] سبط بن الجوزي : المصدر السابق ج 8 ص :150 :

[5] الذهبي : المصدر السابق ج :601-610 هـ/ ص :361 . و ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص : 65 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص: 61 .

[6] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص : 278 .

[7] لم أعثر في المصادر التي اطلعت عليها إلا على خمسة حنابلة تولوا الوزارة خلال القرنين :6 و 7هـ /12-13م ، أذكر منهم أربعة : ابن هبيرة ، وابن يونس ، و المؤرخ إسماعيل بن أبي سعد الشيباني الآمدي(ت673 هـ/1274م)كان وزيرا بماردين ، ثم خلفه ولده الأديب شمس الدين(ت704 هـ/ 1304م) في الوزارة .ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 6 ص:11 ط د الأفاق .

[8] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :251 252 . و سبط بن الجوزي : المصدر السابق ج 8 ص :256 . و ابن الطقطقى : الفخري في الآداب السلطانية و الدول الإسلامية ،مصر ، مكتبة عز للتوريدات ، د ت ، ص :252 و ما بعدها .

[9] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 6 ص :513-514 ، ط د .

1258م) ، تقلد منصب أستاذ دار الخلافة زمن الخليفة المستعصم بالله العباسي[1](640-656 هـ/1242-1258م) ، و كان قد تولى من قبل حسبة بغداد ، فلما أصبح أستاذا لدار الخلافة ، خلفه فيها بالتتابع ولداه شرف الدين(ت656هـ/ 1258م) و عبد الكريم[2](ت656هـ/ 1258م) .

ومنهم اثنان مكتبيان متخصصان في الإشراف على المكتبات ، أشرفا على أكبر خزائن الكتب بالمشرق الإسلامي في القرن السابع الهجري /13م ، أولهما المقرئ الناسخ عبد العزيز بن دلف البغدادي(ت637 هـ/1239م)، ولاه الخليفة المستنصر بالله(623-640 هـ/1226-1242م)،أمر خزانة كتب المدرسة المستنصرية[3] . و الثاني الأديب المؤرخ عبد الرزاق بن الفوطي البغدادي(ت 723 هـ/ 1323م)، أشرف على مكتبة الرصد بمراغة[4] ، و خزانة كتب المدرسة المستنصرية في زمن دولة المغول،و قد أمضى فيهما اكثر من ست و خمسين سنة[5] .

ومنهم من تولى القضاء ، وهم قليل جدا فيما بين عامي: 501-662 هـ/1107-1263م ، ثم كثر عددهم عندما تعدد القضاء في مصر و الشام[6] ، وأصبح للحنابلة قضاء خاص بهم كباقي الطوائف السنية الأخرى ، فمن الذين تقلدوه قبل تعدده ، الفقيه أبو الحسين بن أبي يعلى الفراء البغدادي(ت526 هـ/1131م)، و الفقيه أبو يعلى الصغير محمد بن أبي خازم الفراء البغدادي[7](ت560 هـ/1164م) ،و المحدث أبو صالح بن عبد الرزاق بن عبد القادر

1 ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :286 287 .

2 نفسه ج 5 ص : 286 287 .

3 الذهبي : تاريخ الإسلام ج:631-640 هـ/ ص:334-335 . وابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص:218-219 .

4 أنشأها المتكلم نصير الدين الطوسي(ت672 هـ/1273م) في دولة المغول ، بمدينة مراغة بأذربيجان .ابن الفوطي : المصدر السابق ق 1 ج 4 ص :17 .

5 ابن الفوطي : المصدر السابق ق 1 ج4 ص:280 ، و ق 3 ج 4 ص :333 . وابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، ج 1 ص:567 .

6 تعدد القضاء حسب المذاهب السنية الأربعة ، في ظل الدولة المملوكية سنة 663هـ/1264م بمصر ، و سنة 664هـ/ 1265م بدمشق . ابن طولون : قضاة الشام حققه صلاح الدين المنجد ، دمشق مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، 1956 ، ص :187 .

7 ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :221 ط د . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص :190 .

الجيلاني(ت633 هـ/1235م) ، وهو أول حنبلي تولى قضاء القضاة[1] ،و أخرهم الفقيه عثمان بن أسعد بن المنجا الدمشقي[2](ت641 هـ/ 1243م) .

وأما الذين تولوا القضاء –بعد تعدده–بمصر ، فمنهم شمس الدين محمد المقدسي ثم المصري(ت676 هـ/1277م) ، و عز الدين بن عبد الله المصري ، تقلده سنة 678هـ[3] /1279م، و شرف الدين أبو محمد عبد الغني الحراني[4](ت709 هـ/ 1309 م) . و الذين تقلدوه بالشام فأولهم شمس الدين بن قدامة المقدسي ثم الدمشقي(ت682 هـ/1284م)، ثم خلفه ابنه نجم الدين احمد[5](ت689 هـ/ 1290م) ، تم جاء من بعده ابن عمه شرف الدين حسن بن قدامة المقدسي[6](ت695 هـ/1295م) .

ويتبين مما تقدم ذكره أنه كانت لطائفة من علماء الحنابلة ،وظائف يرتزقون منها جمعوا بينها و بين اشتغالهم بالعلم ، لإدراكهم أنه لابد لأهل العلم من عمل يتكسبون منه ، لينفقوا علة أسرهم ، وليحافظوا على كرامتهم و علمهم . كما أنهم قد مارسوا وظائف و حرف متنوعة حسب قدراتهم و ظروفهم ، و قد أخذت منهم عينة مكونة من 77عالما ، ثم أحصيتُ وظائفهم و مهنهم فانتهيت[7] إلى أن 31 عالما اشتغل في قطاع التجارة و الحرف ، بنسبة 40,259 % ، من مجموع الوظائف ، و 28 عالما تولوا مناصب سلطانية ، 36,363 % من إجمالي الوظائف والحرف ، ثم تأتي مهنة النسخ ، مارسها 28 عالما بنسبة 23,376 % من مجموع المهن و المناصب ، لكن حقيقة الأمر أن حرفة النسخ تأتي في المرتبة الأولى ،لأنها هي لوحدها مثلت ذلك الرقم ، في حين قطاع التجارة والحرف يضم العديد من الفروع كالخياطة و بيع الملابس ، و كذلك المناصب السلطانية فيها عدة وظائف ، كالوزارة و الحسبة ، لكن القضاء –و هو من المناصب السلطانية– يأتي في المرتبة الثانية

---

[1] ابن الفوطي : الحوادث الجامعة و التجارب النافعة في المائة السابعة ن بيروت دار الفكر الحديث ، 1987 ، ص :48 . وابن رجب :المصدر السابق ج2 ص :190 .

[2] عثمان بن المنجا : كتاب وقف القاضي عثمان بن المنجا ، حققه صلاح الدين المنجد ، دمشق ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، 1949 ، ص :21 22 .

[3] ابن تغري بلدي : النجوم الزاهرة في تاريخ ملوك مصر و القاهرة ، مصر المؤسسة المصرية العامة للتأليف ، د ت ، ج 7 ص :134 135 .

[4] نفسه ج 7 ص : 135 .

[5] ابن طولون : المصدر السابق ص :273 . و فضل الله الصفاعي : تالي وفيات الأعيان ،حققه جاكلين سوبلة ، دمشق المعهد الفرنسي للدراسات العربية ص : 106 .

[6] ابن طولون : نفس المصدر ص : 277 350 .

[7] انظر الجدول رقم : 7 ، و الرسم البياني رقم : 7 .

بعد النسخ بنسبة 23,376 % من إجمالي الوظائف و الحرف كما هو مبين في الجدول رقم: 7 و الرسم البياني رقم: 7 .

و وجدت في مقابل هؤلاء طائفة –من علماء الحنابلة- لم تكن لها وظائف و حرف ترتزق منها ، لتفرغها للعلم و العبادة ، و اعتمادها على طرق أخرى تطلب بها الرزق ، منهم الحافظ أبو العلاء العطار الهمذاني(ت569 هـ/1173م) تفرغ للإشغال و الاشتغال[1] ، فكان ينفق على نفسه و تلامذته مما يعطيه له الناس، و قد يضطره الحال إلى الطلب و الاقتراض منهم ،له ولطلابه[2] . و الثاني المؤرخ عبد الرحمن بن الجوزي ، لم يكن له عمل يتقوت منه لأن العلم شغله عن التكسب[3] ، و قد سبق و أن ذكرنا نصحه لأهل العلم بضرورة ممارسة عمل ما، و هو نفسه لم تكن له وظيفة محددة ، و لعله أخذ العبرة من نفسه ،

[1] هما مصطلحان كانا سائدين في القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م ، و يقصد بالأول التدريس ، و الثاني الطلب و البحث .

[2] الذهبي : سير اعلام النبلاء ج 21 ص :43 . و ابن رجب ج المصدر السابق ج 1 ص :326 .

[3] ابن الجوزي : صيد الخاطر ص : 38 .

جدول لأكثر المهن و الوظائف ممارسة لدى علماء الحنابلة[1]

(في القرنين:6-7هـ/12-13م)

الرمز	المهنة	مجموع الوظائف	النسبة المئوية لكل نوع	النسبة المئوية للمجموع
0	تجارة و حرف = مجموعها	31 ، متنها :	[2]25,975	40,259
÷	تجارة و حرف = بيع الملابس	03	03,896	=
–	تجارة و حرف = الخياطة	04	05,194	=
×	تجارة و حرف = الأسفار	04	05,194	=
+	مناصب سلطانية= مجموعها	28 ، منها :	[3] 11,689	36,363
.	مناصب سلطانية = الوزارة	02	02,597	=
=	مناصب سلطانية = الحسبة	03	03,896	=
v	مناصب سلطانية =القضاء	14	18,181	=
*	النسخ	18	23,376	23,376
المجموع	–	77	نحو : 100 0/0	نحو:100 0/0

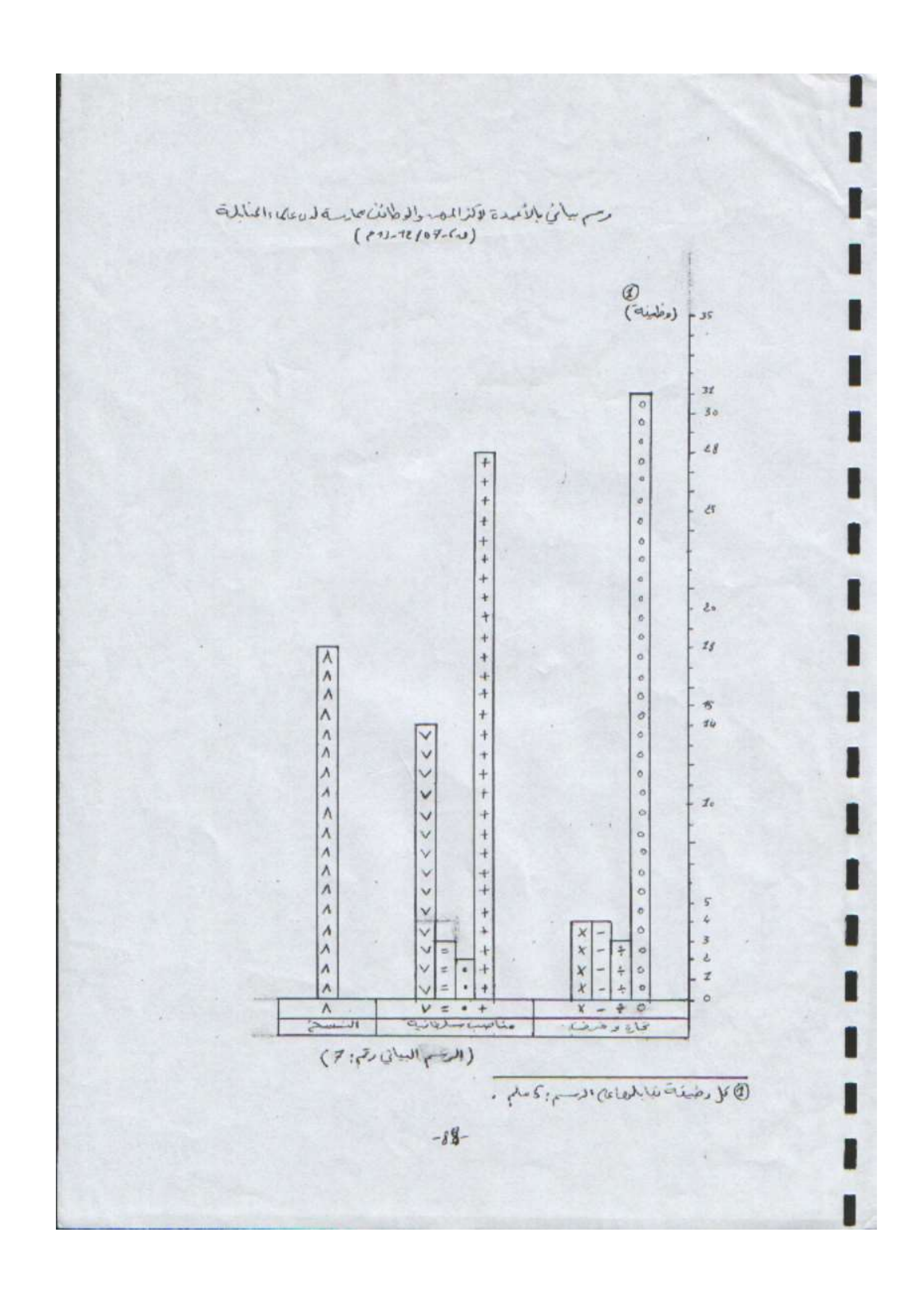
(الجدول رقم: 07)

. .

[1] المصادر : ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 221، 231 ،339، 377 ، 397 .و ج 2 ص : 6 ، 124 ، 218 ، 347 ، 359 ، 360 ، 374 ، 378 ، 434 .و الداودي : طبقات المفسرين ج 1 ص : 239 ، 281 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص : 31 ، 36 ، 190 .و ج 5 ص : 12 ، 31 ، 41 ، 163 ، 164 ، 169 ، 211 ، 212 ، 278 ، 287 ، 288 ، 317 ، 327 ، 328 ، و ج 6 ص : 3 ، 10 ، 45 ، 69 ، 93 .و ابن كثير : المصدر السابق ج 12 ص : 298 ، و ج 13 ص : 23 ، 65 ، 50 ، 257 ، و ج 14 ص : 150 .و ابن الفوّطي : المصدر السابق ق 1 ج 4 ص : 20 ، 40 ، و ق 3 ج 4 ص : 582 .و الحوادث الجامعة ص : 48 .و السبط بن الجوزي : المصدر السابق ج 8 ص : 150 ، 256 .و ابن تغري بلدي : النجوم الزاهرة ج 7 ص : 134 ، 134 .و الذهبي : سير أعلام ج 22 ص : 7 ، 8 ، 351 ، 353 .و تاريخ الإسلام ج : 571-580هـ/ ص : 186 .و ج : 631-640هـ/451 . و تذكرة الحفاظ ج 4 ص : 1384 .و ابن رافع السلامي : المنتخب المختار ص: 83 84 ، ، 111 ، 117 ، 118 ،. وابن طولون : قضاة دمشق ص :273 ، 277 ، 350 .و السيوطي : بغية و الوعاة ج 1 ص : 457 . وابن تغري بلدي : الدليل الشافي ج 1 ص : 428 .و محمد بن عبد الهادي : المصدر السابق ج 4 ص : 164 زو المنذري : المصدر السابق ج 2 ص : 205 .و الصفدي :الوافي : ج 4 ص : 91 ، 229 ،و ج 5 ص ك 347 .و نكت الهميان ص : 207 .و النعيمي : الدارس ج 2 ص : 114 .و ابن النجار : المصدر السابق ج 16 ص : 299 . و ابن شاكر الكتبي : عيون التواريخ ج 20 ص : 217 .

[2] تمثل باقي مهن التجارة و الحرف .

[3] تمثل باقي الوظائف السلطانية .


رسم بياني بالأعمدة لأكثر المهن والوظائف ممارسة لدى علماء الحنابلة
(وظيفة)
35
31
30
28
25
20
18
15
14
10
5
4
3
2
1
0
النسخ
مناصب سلطانية
تجارة وحرف
(الرسم البياني رقم: 7)
(1) كل وظيفة تقابلها على الرسم: 5 ملم.

ذلك حذر غيره من الوقوع فيما وقع هو فيه، ويبدو أنه كان يتقوت مما يهديه له الأعيان و الناس ،و مما يبيعه من مصنفاته التي جاوزت ثلاثمائة كتاب[1] .

و الثالث هو الفقيه أسعد بن عثمان بن مرزوق المصري ثم البغدادي(ت592 هـ/1195 م)، اعتزل الناس و تفرغ للعبادة ، و لم يكن يقبل من أحد شيئا ،و يتقوت من مال يرسل إليه من مصر كل عام ، فيكفيه طول السنة[2] . و الرابع الفقيه ضياء الدين بن عبد الملك الحموي ثم الدمشقي(ت643 هـ/1245م) اعتزل المجتمع و خلا بنفسه للعبادة ، و يأكل من مزروعات تصله من بلدة حوران-من بلاد الشام- إلى دمشق[3] .و الخامس الشيخ تقي الدين بن تيمية(ت728 هـ/ 1327م)،أمضى حياته في الاشتغال بالعلم و العبادات ، و لم تكن له وظيفة يتكسب منها ، وليس له من الدنيا إلا الضروريات، يفرها له أخوه لأمه التاجر أبو القاسم محمد بن خالد الحراني[4](ت717 هـ/ 1317م) .

و من علماء الحنابلة الذين عانوا الفقر والعوز[5] ، الحافظ أبو الفضل بن ناصر البغدادي(550 هـ/ 1155م) ،أقرأ الحديث النبوي مجانا ، و درس الشعر و اللغة بالأجرة[6] .و الثاني الفقيه عبد المنعم بن الصيقل الحراني ثم البغدادي(ت601هـ/1204م) عاش حياة فقر مدقع ، لكنه كان ورعا عفيفا[7]. والثالث المحدث عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلاني البغدادي(ت603 هـ/1206م) انقطع في بيته للعبادة ، صابرا على فقره قانعا من الدنيا باليسير، ولم يدخل فيما دخل فيه اخوته[8] في طلب المناصب .و الرابع الأديب عبد القاهر بن الفوطي(ت656هـ/1258م)، كان فقيرا صاحب عيال و لم يكن

---

[1] عنها انظر المبحث الأول من الفصل الثالث .

[2] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :385 ط ق .

[3] ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ج 5 ص :223 .

[4] ابن الوردي : المصدر السابق ج 2 ص : 410 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 6 ص :45 ط د الأفاق .

[5] من أشهر العلماء الأعلام الذين عانوا من الفقر الفقيه ابن دقيق العيد المالكي ثم الشافعي(ت702هـ / 1302م) كان في غالب في فاقة تلزمه الإضاقة ، و الاستدانة ، وقد تفضي به إلى بذل ماء وجهه ، حتى أنه أراد يوما شراء شمعه فما وجد درهما، ومن أسباب فقره كثرة أفراد أسرته ، و كثرة شرائه للكتب ، حتى أنه يستدين ليشتريها .، و يبدو أن الفقر اضطره إلى تولي القضاء في أخر حياته .
الأدفوي :الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد ، حققه سعد محمد حسن ،مصر الدار المصرية للنشر ، 1966 ص :595 . 596

[6] محمد ابن عبد الهادي : المصدر السابق ج4 ص :65 .و الذهبي : تاريخ الإسلام ج :541-550 هـ/ ص :409 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 226 .

[7] ابن النجار : المصدر السابق ج 16 ص : 18 .

[8] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :41 .

مدخوله من وظيفته من ديوان العرض يكفيه[1] .و الخامس المفسر الصوفي إبراهيم بن احمد الرقي ثم الدمشقي(ت703هـ/ 1303م) عاش منقطعا في زاوية صابرا على مر العيش[2] . و السادس الحافظ الحسن علي بن النفيس ا لموصلي ثم الدمشقي(ت704 هـ/1304م) ،كان مع قلة ماله يشتري أجزاء الحديث ، و يتحمل الجوع ويقنع بكسرة و يتعفف[3] .و أخرهم المتكلم الفخر إسماعيل غلام بن المني البغدادي ،جمع أموالا عندما تولى وظائف سلطانية ، ثم افتقر عندما عزل منها لسوء سيرته ، ولزم بيته خاملا يعيش من صدقات الناس إلى أن توفي[4] .

و في علماء الحنابلة أغنياء كثيرون جمعوا بين العلم و المال ،منهم أربعة من أسرة بني المنجا الدمشقية[5] أولهم الفقيه عثمان بن أسعد بن المنجا (ت641هـ/1243م) له ثروة طائلة ، من محلات و عقارات ، و بساتين و ممتلكات أخرى[6] . والثاني صدر الدين أسعد بن المنجا (ت657هـ/1259م) صاحب أموال و صدقات ، تولى نظر الجامع الأموي بدمشق ،واستثمر له أموالا كثيرة[7] . و الثالث الفقيه زين الدين أبو البركات بن المنجا(ت 695هـ/1395م)، جمع بين العلم و العمل وصحة الذهن[8] . و الرابع الفقيه وجيه الدين بن عثمان بن أسعد(ت701 هـ/1301م) ،له بر و صدقات ، و هيبة و جاه ، تولى نظر الجامع الأموي فأحسن فيه السيرة[9] . و الخامس العالمة أمة اللطيف بنت ناصح الدين بن الحنبلي الدمشقبة(ت653هـ/ 1255م) ، بنت مدرسة للحنابلة ، وكانت لها أموال طائلة ، و عندما توفيت وجدت لها ذخائر و جواهر ثمينة تقارب 600ألف درهم ، ماعدا الأملاك و الأوقاف[10] .و السادس الفقيه التاجر محمد بن خالد الحراني0ت717هـ/1317م) أخ تقي الدين بن تيمية لأمه[11] .

---

[1] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج5 ص : 278 .

[2] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص:349-350 .

[3] نفس المصدر ج 2 ص :352 .

[4] الذهبي : تاريخ الإسلام ج 601-610 هـ/ص :361 .

[5] عنها و عن باقي الأسر العلمية الحنبلية انظر المبحث الخامس من الفصل الأول .

[6] عثمان بن المنجا : المصدر السابق ص :21 22 23 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر ج 5 ص :211 212 .

[7] ابن العماد الحنبلي : نفس المصدر ج 5 ص :288 .

[8] ابن كثير : المصر السابق ج 13 ص :345 .

[9] الصفدي : المصدر السابق ج 4 ص :91 .و فضل الله الصفاعي : المصدر السابق ص:155 .وابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :347 .

[10] ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص : 170-171 . و النعيمي : المصدر السابق ج 2 ص :80 81 .

[11] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 6 ص : 45 ط د الأفاق .

وأشير هنا إلى أنه يروى أن الأديب أبا محمد بن الخشاب البغدادي (ت567 هـ/ 1171م)،كان ثريا له دكان خلفه فيه ولده بعد و فاته ، ثم أكثر تقول رويات أخرى أن ابن الخشاب ما تزوج و لم يتسر[1] ، فكيف يكون له ولد يرثه وهو ما تزوج و لا تسرى ؟! و أغلب الظن أن الرجل لم يكن غنيا ،و لا أسرة له ،لأن في حياته قرائن تدل على ذلك ، منها أنه لم يكن يجد المال الكافي لشراء الكتب حتى أنه رهن بيته لشراء كتاب ، و أن ملابسه كانت متسخة ، و مكتبته مبعثرة مليئة بالغبار و فضلات الطيور[2] ،فلو كان ثريا و متزوجا هل يحدث له كل ذلك ؟

وفي علماء الحنابلة الأغنياء من بالغ في التنعم بالدنيا ، منهم المحدث عبد المنعم بن أبي الفتح الحراني ثم البغدادي المعروف بابن كليب(ت596 هـ/1204م) ،كان تاجرا صاحب ثروة كثير التمتع بالجواري ،فيروى أنه اشترى 148 جارية[3] . و الثاني المفسر الواعظ زين الدين بن نجية الدمشقي ثم المصري(ت599هـ/ 1202م) ،جمع أموالا عظيمة من الملوك و الخلفاء ، و تنعم تنعما زائدا ، فبنى حماما في داره بالقاهرة ، وملك عشرين جارية حسناء ، و توسع في المأكل الفاخرة ، لكنه أذهب أمواله في تمتعه الزائد و افتقر في أخر حياته ، وضاق صدره من دين عليه فلما سمع به أحد الملوك أرسل إليه ما يزيد على أربعة الآف دينار مصرية[4] . و الثالث هو الأديب العقاقيري أبو طاهر إسماعيل بن عمر يبن شبيب الرومي المصري (ت 606 هـ/1209م)كانت له أموال طائلة و مائة غلام و مائة جارية[5] .

و بعضهم كان فقيرا ثم تغير حاله و أصبح ثريا ، منهم الأديب أبو الأمانة جبرائيل بن صارم المصري ثم البغدادي(ت601 هـ/ 1204م) ،دخل بغداد معوزا (سنة 584هـ/1188م) ، ثم دخل في خدمة الخلافة العباسية ، فمدح الخليفة الناصر لدين الله(575-622هـ/1179-1225م) ،و خرج في رسائل إلى الملوك فنبل قدره ، وجمع الأموال ، و حصل الغلمان[6].والثاني المحدث حنبل

---

[1] ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج 4 ص :1495 1496 1503 .و ابن الفرات :تاريخ ابن الفرات ،حققه حسن محمد الشماع ، بغداد دار الطباعة الحديثة ،1996 ق 4 ج 1 ص :191 205 .

[2] انظر : ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 320 . و مبحث المكتبات من الفصل الثاني .

[3] المنذري : المصدر السابق ج 2 ص : 205 . واليافعي المكي : المصدر السابق ج 3 ص : 488 . ابن العماد الحنبلي : ج 4 ص : 327 .

[4] أبو شامة المقدسي :كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، بيروت ، دار الجيل ، د ت ، ج 2 ص :21 58 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 439 .

[5] المقريزي :المقفى الكبير ، حققه محمد اليعلاوي ، ط 1 ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1411هـ /1991 م ج 2 ص : 106 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص : 19 .

[6] ابن الفوطي : المصدر السابق ق 2 ج4 ص :103 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص : 2-3 .

بـن عبـد اللـه البغـدادي الرصـافي(ت604هـ/ 1207م) ،كـان فقيـرا يعمـل دلالا فـي الأسـواق ، و متخصـص فـي روايـة مسـند الإمـام احمـد بـن حنبـل ، فخـرج إلـى مدينـة إربـل بشـمال العـراق ، ومنهـا استقدمه الملك المعظم عيسى بن العادل الأيوبي(ت624هـ/11227م) إلى دمشق فاسمع أهلها المسند ، فأعطوه ذهبا و أموالا كثيرة ،و عاد إلى بلده غنيا[1] .و الثالث الفقيه الصوفي محمد اليونيني البعلي(ت 6548 هـ/ 1259م) كـان لـه نفـوذ و جـاه لـدى بعض الأمـراء و الملـوك ، فحصـل منهـم على ثراء كبير ، ودنيا واسعة ، ورفاهة عيش بعد فقر و عوز ، وأصبح يقول : ((أنا لي في بيت المال أكثر من هذا))[2] .

و أشير هنا إلى أن كثيرا من علماء الحنابلة الفقراء ،و المحتاجين،و المتوسطي الحال،قد تحصنوا بسـلاح الصبـر و القناعـة و الزهـد ، للتغلـب علـى العـوز و مغريـات الـدنيا و شـهواتها ، فكانـت لهـم عبادات ، و ومجاهدات ،و أوراد زودتهم بطاقة روحية أشاعت فيهم الأمل، و الطمأنينة، و الرضى، و الاجتهـاد فـي العلـم و العبـادات ، مـنهم الفقيـه أبـو حكـيم بـن دينـار النهروانـي البغـدادي(ت556 هـ/1160م)، كان من العلماء العملين ، كثير الصوم و الأوراد ، والصلاة في الليل ، ومؤثر للخمول ن وشـديد التواضـع[3] .و الثـاني الفقيـه سـعد بـن عثمـان بـن مـرزوق المصـري ثـم البغـدادي)ت592 هـ/ 1195م)، انقطـع عـن النـاس فـي ربـاط ببغـداد ،و كـان خشـن العيـش غايـة فـي المجاهـدة و الـورع[4] .و الرابع الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقسي ثم الدمشقي،تفرغ للعلم ، و الصوم والصلاة ، و فعل الخيـرات ، و الإحسـان إلـى النـاس[5].و الرابـع الفقيـه أبـو عمـر بـن قدامـة المقدسـي(ت 607 هـ /1210م) لازم الأذكار و الصيام ، ولم يترك قيام الليل منذ شبوبيته ، وإذا خرج مع قوم في الليل ناموا و بقـي هـو يحرسـهم و يصـلي[6] .و الخـامس الفقيـه العمـاد إبـراهيم بـن عبـد الواحـد المقدسـي ثـم الدمشـقي(ت614 هـ/ 1210م) ،لا شـغل لـه إلا العلـم و العبـادة ، يقـريء النـاس طـول النهـار ، و يصـوم يومـا بيـوم مـع كثـرة الـدعاء و الابتهـال[7].و السـادس المحدثـة رابعـة بنـت احمـد بـن قدامـة

[1] ابن كثير : المصدر السابق ج 123 ص: 50 .ابن العماد الحنبلي : ج 5 ص :12 .
[2] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 271-272 . اليونيني : المصدر السابق ج 2 ص :44 .
[3] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 239 . و العليمي : المصدر السابق ج 2 ص :278 .
[4] و كانت فيه كذلك وسوسة و مبالغة في الطهارة . ابن رجب : المصدر السابق ج 1ص : 386 ط ق .
[5] أبو شامة : ذيل الروضتين ص :47 . والذهبي : سير أعلام النبلاء ج21 ص :452-453 ، وتذكرة الحفاظ ج 4 ص :1376 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 12 .
[6] أبو شامة : المصدر السابق ص :71 : و الذهبي : سير أعلام النبلاء ج22 ص : 6 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :53 . وابن طولون : القلائد الجوهرية ، ج2 ص : 421 .
[7] الذهبي : نفس المصدر ج 22 ص : 49 . و ابن طولون : نفس المصدر ج 2 ص : 336 .

الدمشقية(ت620 هـ/1223م) كانت كثيرة العبادات ، ملازمة للصوم و قيام الليل[1]. والسابع الأديب تقي الدين بن احمد الدمشقي الصالحي(ت718 هـ/1318م)كان زاهدا متقللا من الدنيا ، و يقال أنه ليس في بيته أثاث ، ولا طاسة ، و لا فراش ، و لا زبدية ، و لا سراج[2]، و إن صحت عنه هذه الأخبار فهي مبالغات لا مبرر لها شرعا و لا عقلا . وأخرهم شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية لم يكن له من الدنيا إلا القليل ، همته في العلم والعبادة[3] .

ويتبين مما ذكرناه عن التكسب عند علماء الحنابلة ، في القرنين السادس و السابع الهجريين/12/13م ، أن فيهم من لم تكن له وظيفة ولا مهنة يرتزق منها ، لكنه وطن نفسه على الصبر و القناعة باليسير .و أن منهم من كانت له دنيا واسعة بالغ في التمتع بملذاتها و شهواتها .و أن الكثير منهم قد جمعوا بين الاشتغال بالعلم و التكسب إدراكا منهم أن الجمع بينهما هو الطريق الصحيح و الأسلم ،ليعولوا أسرهم و يحافظوا على كرامتهم و رسالتهم في المجتمع ، فمارسوا وظائف و حرف متنوعة ،لكن أغلبهم امتهن النسخ و التجارة ، على اختلاف تخصصاتهم العلمية .

المبحث الثالث : التخصصات العلمية عند علماء الحنابلة

شارك علماء الحنابلة في الحياة العلمية بالمشرق الإسلامي خلال القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م مشاركة فعالة ، في كثرة عددهم و تنوع تخصصاتهم العلمية ،في عصر ازدهرت فيه المدارس و العلوم[4]،و كثر فيه أهل العلم الجامعين بين التخصص والموسوعية ، فما هي موافق العلماء من هاتين الظاهرتين ؟ و ما هي مظاهرهما عند علماء الحنابلة ؟

أولا: مواقف العلماء من التخصص و الموسوعية قي العلوم :

يعتبر الفقيه عبد الرحمن بن الجوزي من أكثر علماء الحنابلة دعوة إلى الموسوعية في العلوم ، وعد الاكتفاء بعلم واحد ، ويرى أنه ينبغي على كل متخصص في علم ما أن يلم بباقي العلوم و يطالع منها طرفا، لأن كل علم له تعلق بأخر ، و حث طالب الفقه على أن يأخذ من كل فن قسطا، لأن الفقيه يحتاج إلى جميع العلوم[5] . وبذلك يكون ابن الجوزي قد جعل الفقبه بمثابة عالم اجتماع يدرس و يفتي في كل الظواهر ،الاجتماعية و السياسة و الاقتصادية و العلمية ، و دعاه إلى الإلمام بالعلوم الشرعية و الإنسانية ، و لفت انتباهه إلى أن كل العلوم لها علاقة فيما بينها .

[1] الذهبي : تاريخ الإسلام ج: 611-620 هـ/ ص :480 .

[2] البن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 6 ص : 49 ، ط د الأفاق .

[3] الذهبي : معجم محدثي الذهبي ص :26 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :390 395.

[4] عن ذلك انظر الفصلين الثاني و الخامس .

[5] ابن الجوزي : صيد الخاطر ص :310 438 439 .

و أخذ ابن الجوزي على طائفة من الفقهاء جهلها بالتاريخ ، فذكر أن بعضهم قال: اجتمع الشبلي و القاضي شريك، و هذا عجيب كيف لم يدرك هذا القائل الفارق الزمني بين الرجلين[1]، وهو سبعون سنة[2] . و قبيح بالفقيه أن يقال له ك ما معنى قول الرسول –صلى الله عليه وسلم- في كذا . . . فلا يدري صحة الحديث ، ولا معناه ، و لا يليق كذلك بمحدث يسأل عن حادثة فلا يعرفها ، و قد شغله عنها جمع طرق الحديث[3] . و يقال ذلك لكل المشتغلين بالعلم المكتفين بتخصص واحد من قراء ، ولغويين ، ونحاة ، و قد سئل إمام النحو في زمانه أبو محمد ابن الخشاب البغدادي الحنبلي(ت567 هـ/1171م)،عن حكم رفع اليدين في الصلاة ن فقال : هو ركن، فاندهش الحاضرون من قلة فقهه[4] .لذلك حث ابن الجوزي الطلاب على الأخذ من كل علم طرفا ، ثم الاهتمام بالفقه و النظر في مقصود العلوم ، وهو المعاملة لله-عز و جل- و المعرفة به و الحب له[5]. فهو إذا يدعو إلى الجمع بين التخصص و المشاركة في العلوم و إعطاء الأفضلية للفقه و ما يوصل إلى معرفة الله و حبه .

و يرى القاضي أبو بكر بن العربي المغربي المالكي(ت543 هـ/1148م) ،أنه على طالب العلم أن يلم أولا بعدة علوم كالحساب ، و علوم القرآن ، و الحديث ، والطب ، ثم يتخصص في علم منها ، لأنه ليس المقصود من الاطلاع على العلوم بلوغ الغاية فيها[6] ، و عليه ألا يفرد نفسه ببعض العلوم فيكون : ((إنسانا في الذي يعلم ، و بهيمة فيما لا يعلم ، و لاسيما من أقام عمره حاسبا أو نحويا فقد هلك)) ، بل عليه أن يهتم بما هو واجب في حقه ، ويجعل الباقي تباعا[7] .و أما الذي يعيب الجمع بين التخصص و المشاركة ،و يدعوا إلى طلب كل العلوم فهو جاهل بها ، لأن الإحاطة بها غير ممكنة و المشاركة فيها ممكنة[8] .

---

[1] نفسه ص : 438 .

[2] لأن القاضي شريك بن عبد الله الكوفي توفي سنة 177هـ/793م و الصوفي أبو بكر الشبلي ولد سنة 247هـ/861م . ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 2 ص:346 و ج 4 ص : 189-190 ط د .

[3] ابن الجوزي : المصدر السابق ص :440 .

[4] نفس المصدر ص : 310 .

[5] ابن الجوزي : المصدر السابق ص : 310 .

[6] يرى ابن العربي أن بلوغ الغاية في العلوم لا يصل إليها إلا الأفراد . العواصم من القواصم ، حققه عمار طالبي ، الجزائر الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،1981 ص :491 496 497 . .

[7] نفسه ص :497 .

[8] نفسه ص :497 .

و للأديب الطبيب عبد اللطيف البغدادي(ت629 هـ/1231م)،وجهة نظر مغايرة لما قاله ابن العربي و ابن الجوزي ، هي أنه على المتعلم أن لا يطلب علمين دفعة واحدة ،بل عليه أن يتفرغ لعلم واحد و يواضب عليه سنة أو سنتين ،و بعد الانتهاء منه يمكن الانتقال إلى غيره ، مع الاهتمام بما تعلم بالمذاكرة و التفكر ، و مباحثة الأقران[1] . وعلى العكس منه يرى الفقيه عبد الباسط العلموي المقدسي (ت981 هـ/1573 م) أنه على الطالب الذي له قدرات تؤهله للتحصيل أن لا يترك علما نافعا إلا نظر فيه ، ثم يتوسع بعد ذلك في علم يتخصص فيه إن طالت حياته ، لأن العمر ((لا يتسع لجميع العلوم ، فالحزم أن يأخذ الطالب من كل علم أحسنه))[2] .

و الطريقة العملية السليمة في التحصيل العلمي هي ما ذهب إليه ابن العربي و ابن الجوزي و العلموي ، لأن الطالب المبتدىء يجب أن تكون له أولا نظرة عامة عن العلوم فيأخذ الضروري منها ، ثم يتخصص ثانيا ،و المرحلة الأولى هي التي تكون فيه قاعدة علمية عريضة وتظهر ميوله و طاقاته ،و من ثم العلم الذي يميل إليه و يرغب فيه ، وأما طريقة عبد اللطيف البغدادي فهي ليست عملية و غير مجدية في غالب الأحيان ،لأنها تحرم الطالب من النظرة الأولية العامة للعلوم التي تساعده على اختيار تخصصه المناسب له ، و قد يمضي الطالب –على طريقة عبد اللطيف البغدادي- سنوات في طلب علم أو أكثر ، ثم يتبين له أن كان من الأولى له أن يبدأ بعلم أخر .

و أما المؤرخ شمس الدين الذهبي فقد دافع عن التخصص من خلال انتقاده لظاهرة الموسوعية في العلوم ، فيرى ان كثرة الاطلاع و التبحر تحول دون التمهر و الإتقان لأي علم من العلوم ،كما حال عبد الرحمن بن الجوزي ، الذي فرق نفسه في بحور العلم[3] .و وافقه الأديب أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي(ت745 هـ/1344م)، حين أكد أن الموسوعي المشارك في العلوم هو صاحب نتاتيف ينظر في علوم كثيرة و لا يبلغ الإمامة في شيء منها ،وقد قال العقلاء : ((ازدحام العلوم مضلة للمفهوم)) ،لذلك كان من بلغ الإمامة من المتقدمين في علم من العلوم ،لا يكاد يشتغل بغيره و لا ينسب إلا إليه[4] .

---

[1] ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ج 3 ص :342 .

[2] العلموي : المعين في أدب المفيد حققه شفيق زيغور ، ط1 بيروت دار اقرأ 1986 ص :131 132 .

[3] الذهبي : تاريخ الإسلام : ج:591-600هـ/ ص : 300 .

[4] ابن مفلح المقدسي :الآداب الشرعية و المنح المرعية ،حققه محمد رشيد رضا بيروت دار العلم للجميع ،1972 ، ج 2 ص : 134 .

وأقول–تعقيبا على هؤلاء– إن الغالب على المتبحرين في العلوم قلة الإبداع وضعف الإتقان ،لأنهم فرقوا جهودهم في معارف شتى ، لكن ليس من الضروري أن تؤدي الموسوعية بكل من خاضها إلى نفس النتائج، فقد يوجد بعض الموهوبين من له قدرات فطرية خلاقة ، و له ظروف اجتماعية مشجعة على العلم ، فيقبل عليه بقوة ، ويتبحر في علوم كثيرة ، ثم يتمهر و يختص في أكثر من علم مع الإتقان والإبداع . كما أن المبالغة في التخصص دون الاطلاع العام على باقي العلوم ، تضر بصاحبها و توقعه فيما يعرف بأمية المتعلمين ، والطريق الأنفع و الأسلم هو أن يتلقى الطالب مباديء العلوم الضرورية ، من شرعية ، واجتماعية ، و طبيعية ، و عقلية ، ثم يتخصص في العلم الذي يميل إليه و يرغب فيه و له فيه قدرات ، ثم له بعد ذلك أن يوسع مطالعاته إن كان يريد المزيد . كما أنه في امكان الذي له ثقافة عامة أن يجتهد لكي يتمهر في علم له فيه قدرات ، فيتقنه و يبدع فيه . و مع ذلك فإن المسألة تبقى نسبية حسب طاقات كل طالب و رغباته و ظروفه في القدرة على الجمع بين التخصص و الموسوعية .

ثانيا:مظاهر التخصص و الموسوعية عند علماء الحنابلة

جمع كثير من علماء الحنابلة بين التخصص و المشاركة في العلوم ، منهم طائفة غلب عليها تخصص واحد مع ثقافة واسعة في معارف شتى ، أذكر منهم سبعة أولهم أبو محمد بن الخشاب البغدادي(567 هـ/1171م) كان إمام أهل زمانه في النحو و اللغة ، وله معرفة بالحديث ، و المنطق و الفلسفة ، و الحساب والهندسة، و التفسير و القراءات ، و الأنساب و الفرائض ، لكنه قليل البضاعة في الفقه ، فقد سئل عن رفع اليدين في الصلاة فقال: هو ركن فضحك الناس عليه[1] . والثاني محمد بن عبد الباقي البغدادي المعروف بقاضي المارستان(ت 535 هـ/ 1140م) برع في الهندسة و الحساب وما يتصل به من جبر و مقابلة ، و شارك في فنون أخرى كالفقه و الحديث ، مع ضعف في النحو[2] . و الثالث الفخر إسماعيل غلام بن المني البغدادي(ت 610 هـ/ 1213م)، تخصص في علم الكلام ، مع معرفة بالفقه و المنطق و الفلسفة و الجدل[3] .و الرابع أبو البقاء محب الدين العكبري البغدادي الضرير(ت616 هـ/1219م) تمهر في النحو و الأدب ، وله مشاركة قوية

[1] ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج 4 ص : 1494 .و السيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة حققه محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط1 القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، 1965 ، ج 2 ص : 29 . و ابن رجب البغدادي : المصدر السابق ج 1 ص :319 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص :221 .

[2] ابن الأثير : المصدر السابق ج 2 ص : 369 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 319 ط ق . و اليافعي المكي : المصدر السابق ج 3 ص :263 .

[3] الذهبي : العبر ج 3 ص :152 ، و سير أعلام النبلاء ج 22 ص : 29 ، و المختصر المحتاج إليه ص :138 . و الصفدي : الوافي بالوفيات ج 9 ص : 158 .

في الفقه و الأصول ، والفرائض والتفسير[1] . والخامس هو الوزير عبد الله بن يونس البغدادي(ت593 هـ/ 1196م) تخصص في علم الكلام وأصول الدين ،مع اطلاع واسع على الفقه و الحساب و الهندسة[2] . و السادس الأمير شمس الدين محمد بن إسماعيل الشيباني(ت704 هـ/1304م) ، برع في الأدب وشارك في الحديث و التاريخ، و النحو و اللغة[3] .و أخر هم عبد الرزاق بن الفوطي البغدادي(ت723 هـ/ 1323م)، تخصص في التاريخ و الأنساب ، مع ثقافة عامة في الفلسفة و الأدب العربي و الفارسي[4] .

و منهم طائفة اتقنت علمين و لها مشاركة في علوم أخرى ، منهم موق الدين بن قدامة المقدسي تخصص في الفقه و علم الخلاف و تمهر فيهما ، مع مشاركة قوية في الحديث و التفسير، و النحو و الحساب،و النجوم السيارة و منازلها[5] .و الثاني صدقة بن الحسين الحداد البغدادي(ت573 هـ/1177م)، برع في الفقه و علم الكلام ، و شارك في التاريخ و الأدب و الفرائض و الحساب[6] .والثالث عبدالرزاق بن رزق الله الرسعني(ت661 هـ/1262م) تمهر في الحديث و التفسير ، و تفنن في الفقه وعلوم أخرى نقلية و عقلية[7] .و الرابع جلال الدين عبد الجبار بن عبد الخالق البغدادي(ت681 هـ/ 1282 م) اتقن الفقه والتفسير ، و شارك في الأدب و الطب و الوعظ[8] .

و برزت من بين علماء الحنابلة فئة اتقنت ثلاثة علوم فأكثر ، ولها مشارة قوية في فنون أخرى ، منهم ثلاثة من أل تيمية أولهم أبو محمد عبد الحليم بن محمد بن تيمية الحراني(ت603 هـ/1206م) برع في الفقه و الأصول و الخلاف و الحساب و الهندسة، وله معرفة واسعة بالفلسفة و غيرها من علوم الأوائل[9].و الثاني مجد الدين أبو البركات بن تيمية الحراني(ت652 هـ/1254م)، اتقن الربية و الحديث و القراءات و التفسير و الحساب وما يتصل به من جبر و مقابلة ، وكان رأسا

---

[1] ابن خلكان : المصدر السابق ج 2 ص : 286 . و والصفدي : نكت الهميان ص :18 179 . وابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص : 68 .

[2] ابن تغري بلدي : النجوم الزاهرة ، 6 ص : 142 .

[3] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 6 ص : 11 ط د الأفاق .

[4] الذهبي : معجم محدثي الذهبي ص : 102 ، و تذكرة الحفاظ ج 4 ص :1493 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :374 .

[5] الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 22 ص : 167 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :89 .

[6] ياقوت الحموي : المصدر السابق ج 4 ص : 1447 . والذهبي : المختصر المحتاج إليه ص :201 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص : 245 .

[7] ابن العماد الحنبلي : نفس المصدر ج 5 ص :305 .

[8] نفس المصدر ج 5 ص : 374 .

[9] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 40 .

في الفقه و أصوله حتي قيل عنه : ألين له الفقه كما ألين الحديد لداود-عليه السلام[1]-. وأخرهم تقي الدين بن تيمية الحراني ثم الدمشقي(ت728 هـ/ 1327م)، فاق كل أل تيمية بكثرة تخصصاته و مشاركته القوية في العلوم ،فقد تمهر في الحديث و الفقه و التفسير ، وأحكم علم أصل الفقه ، و الفرائض و الحساب و ما يتصل به من جبر و مقابلة ، وبرع في التاريخ و علم الكلام و المنطق و الفلسفة[2] .

ومنهم طائفة غلب عليها تخصصها العلمي ،و ضعفت ثقافتها العامة ،منها أبو منصور موهوب بن الجواليقي البغدادي(ت540 هـ/ 1145م) ،كان إماما بارعا في الأدب و اللغة ، وله حلقة لإقراء الأدب في جامع القصر ببغداد ، وقد سئل يوما-وهو مع طلبته- عن أبيات شعرية في علم النجوم فلم يعرف معناها ، واعترف أمامهم بجهله لها و استحى منهم ، ثم أخذ على نفسه ألا يجلس في حلقته حتى يقرأ علم النجوم ، فلم يرجع إليها حتى طالعه[3] .و الثاني ناصح الإسلام أبو الفتح بن المني البغدادي(ت584 هـ/ 1187م) كان فقيه العراق و شيخ الحنابلة في زمانه ، ما تزوج و لا تسرى ، و صرف كل همته لعلم الفقه أصولا و فروعا ،مذهبا و خلافا ، و إشغالا و اشتغالا ، وقصده طلاب الحنابلة من مختلف الأمصار[4] .و الثالث جمال الدين يوسف بن جامع البغداي الضرير(ت 682 هـ/1283م) تخصص في ثلاثة علوم حتى أتقنها كلها هي : النحو و الفرائض و القراءات[5] .و الرابع فخر الإسلام بن عبد الرحمن البعلي ثم الدمشقي(ت 699 هـ/ 1299م)تفرغ لدراسة الفقه الحنبلي فروعا و أصولا حتى تمهر فيه، ولم يتفرغ لغيره من العلوم[6] . و من هذه الطائفة سبعة من كبار علماء الحديث تخصصوا فيه و غلب عليهم ، و امضوا حياتهم في تحصيله و تدريسه ، حتى برعوا فيه وأتقنوه ، هم : عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي ، و عبد القادر الرهاوي ثم الحراني ، و أبو موسى بن عبد العني المقدسي(ت 629 هـ/1231م)،و عبد اغني بن نقطة البغدادي(ت629 هـ/ 1231م) ، و تقي الدين بن محمد الصريفيني ثم الدمشقي(ت541 هـ/ 1243م)، و الضياء

---

[1] نفس المصدر ج 2 ص : 249 . وابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج5 ص : 257-258 .

[2] نفس المصدر ج 2 ص :389 . و نفس المصدر ج 6 ص : 80 ط د الأفاق .

[3] ابن خلكان : المصدر السابق ج 4 ص :425 .

[4] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص : 277 .

[5] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 301 .

[6] الذهبي : معجم محدثي الذهبي ص :161 .

محمد بن عبد الواحد المقدسي(ت643 هـ/ 1245م)، و أبو الحجاج يوسف بن خليل الدمشقي ثم الحلبي(ت648 هـ/ 1250م)[1] .

و من بين علماء الحنابلة فئة لها مشاركة قوية في العلوم ،لكنها لم تبلغ درجة التخصص المتقن المبدع ، منها تقي الدين طلحة بن غانم العلثي(ت593 هـ/ 1196م) ، برع في الفقه و الحديث ، و التفسير و الفرائض[2] . و الثاني عبد الرحمن بن الجوزي ،كان عالما بالتفسير و التاريخ ، و الفقه و الحديث ، و له مشاركة في الطب ،و تدل مؤلفاته الكثيرة و المتنوعة على مدى سعة ثقافته العامة[3] ، ويرى شمس الدين الذهبي أن ابن الجوزي –مع كثرة اطلاعه– لم يكن مبرزا في علم من العلوم ، لأنه فرق نفسها في بحورها[4] ،لذا فهو متوسط في الفقه ، و ليس له في علم الحديث ذوق في الكلام على صحيحه و سقيمه ،و لا له نقد الحفاظ المتقنين، لأنه كثير الاحتجاج بالأحاديث الضعيفة[5] من جهة و كثير الذكر لها في الأحاديث الموضوعات[6] من جهة أخرى ، و التحقيق في ذلك أنه لا يحتج بها لأنها ضعيفة ، ولا تذكر في الموضوعات لأنها ليست موضوعة[7] . و الثالث أبو بكر بن الماريستانية البغدادي)ت599 هـ/1202 م)، له اطلاع واسع على علوم كثيرة ،كالحديث و الحديث ، والفلسفة و المنطق ، وعلم النجوم ، و الطب[8] . و الرابع شهاب الدين عبد الحليم بن تيميةالحراني ثم الدمشقي(ت682 هـ/1283م)، له مشاركة قوية في الفقه و الفرائض ، والحساب و الهيئة[9] . و الخامس إبراهيم بن احمد الرقي ثم الدمشقي(ت703 هـ/1303م) ، عني بالتفسير و الفقه ، و شارك في الطب و علوم أخرى[10] .و أخرهم شرف الدين بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ثم

---

[1] عن هؤلاء السبعة انظر : الذهبي : تذكرة الحفاظ ج 4 ص : 1373 1388 1405 1406 1409 1411 1413 1443.

[2] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :390 ط ق .

[3] الذهبي :سير أعلام النبلاء ج 21 ص :376 ، و تذكرة الحفاظ ج 4 ص :1346 1347 . و عبد الحميد العلوجي : مؤلفات ابن الجوزي ص :222 و ما بعدها .

[4] الذهبي : تاريخ الإسلام ج:591-60 هـ/ ص : 300 .

[5] الحديث الضعيف هو ما فقد شرطا من شروط الحديث الحسن ، وهي :العدالة ، و الضبط ، واتصال الإسناد ، و الخلو من الشذوذ و العلة . انظر : محمد الزفزاف : التريف بالقرآن و الحديث ، ط 4 الكويت ، مكتبة الفلاح ،1984 ، 251 ز ومحمود الطحان : تيسير مصطلح الحديث ص :45 62 .

[6] الحديث الموضوع هو الذي ((طعن في راويه بالكذب فيه و الاختراع له)) محمد الزفزاف : المرجع السابق ص :262 .

[7] الذهبي : المصدر السابق ج : 591-600 ص :300 .

[8] ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ج 2 ص : 333 . و الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 21 ص : 398 ، و المختصر المحتاج إليه ص : 230 . و تاريخ الإسلام ج: 591-600 هـ/ص :395 . وابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 443 ط ق .

[9] النعيمي : المصدر السابق ج 1 ص : 75 . وابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص : 376 .

[10] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :349- 350 .

الدمشقي(ت727هـ/1326م) ،كان عالما بالفقه و النحو ، و الأصلين و الحساب ،و التاريخ والفرائض ، و العربية و الحديث[1] .

وأشير هنا إلى أن ظاهرة الموسوعية ، لم تكن قاصرة على علماء الحنابلة دون غيرهم ، بل كانت منتشرة بين علماء كل الطوائف ، خلال القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م ،أذكر منهم خمسة أولهم الحسن بن الحظير الفارسي المعروف بالظهير(ت 598 هـ/ 1201م) له معرفة بالقراءات و التفسير، وو الفقه والخلاف، و علم الكلام و المنطق ، و الحساب و الهيئة ،و الطب والنحو ، و التاريخ و اللغة ، ويناظر أهلها فيها[2]. وو الثاني وجيه الدين المبارك البغدادي الشافعي المعروف بابن الدهان(ت612 هـ/1215م) تضلع في النحو و اللغة ، والصرف و العروض ، و التفسير و الفقه ،و الطب و علوم الأوائل، ويقال أنه كان يتقن ثماني لغات[3] .و الثالث الموفق عبد اللطيف البغدادي ، شارك في علوم كثيرة ،منها اللغة والأدب، و علوم القرآن ، والحديث و الطب ، والفلسفة و الأصول ، لكنه كان يبالغ في مدح نفسه ، و دعاويه أكثر من علومه ،و يستنقص الفضلاء المتقدمين منهم و المتأخرين[4] .و الرابع الطبيب علاء الدين بن النفيس الدمشقي(ت687 هـ/ 1288م)، برع في الطب و انتهت إليه مشيخته بالديار المصرية،و كانت له معرفة بالفقه و الأصول ، و الحديث والعربية ، والمنطق[5] . وأخرهم الوزير جمال الدين بن يوسف القفطي ثم الحلبي(ت646 هـ/1248م)،له ثقافة واسعة و شارك في علوم كثيرة ، منها اللغة والفقه ، وعلوم القران، و الحديث و الأصول ،و المنطق و الفلسفة ،و التاريخ والهندسة ، و علم النجوم، و قد تفرغ للمطالعة و البحث ، إذ لم يكن يحب في الدنيا إلا الكتب ، و يقال أنه لم يكن يملك دارا و لا زوجة[6] .

و أما عن أسباب كثرة انتشار الموسوعية بين العلماء على اختلاف طوائفهم ، فأهمها أربعة ، أولها طبيعة الحياة العلمية في المشرق الإسلامي ، التي أعلت من شأن الحفظ و التبحر في فنون العلم[7] ،مما جعل الطلاب يرون أن العالم البارع هو الذي يحفظ كثيرا و يعرف علوما شتى ،فما عليهم

---

[1] ابن الوردي : المصدر السابق ج 2 ص :401 . و البن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 6 ص : 76 77 .

[2] ياقوت الحموي : معجم الأدباء : ج 2 ص ك 857 858 .

[3] الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 22 ص : 87 .

[4] ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ج 3 ص :331 332 334 . والسيوطي : بغية الوعاة ج 2 ص :106 ، و حسن المحاضرة في تاريخ مصر و القاهرة ، حققه أبو الفضل إبراهيم ، ط 1 القاهرة دار إحياء الكتب العربية ، 1967 ج 1 ص :541 .

[5] ابن الوردي :المصدر السابق ج 2 ص :334 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص : 401 .

[6] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :236 .

[7] انظر مبحث الاجتهاد في طلب العلم من هذا الفصل .

إذا إلا السعي لبلوغ ذلك . و الثاني تداخل العلوم واختلاطها فيما بينها ، فطالب الفقه مثلا يجد نفسه مدفوعا إلى معرفة أصول الفقه ، وعلوم القرآن ، والحديث النبوي، لكي أن يفتي في مختلف الظواهر الاجتماعية ، بل وعليه ان يجتهد لقراءة علم الحساب لتقسيم الميراث ، وأن يلم بطرف من علم النجوم ، لتحديد أوقات الصلوات و المواسم و مطالع الشهور ؛ و كذلك طالب الفلسفة يجد نفسه أمام علوم عديدة ، من منطق و طبيعيات ، و فلك و رياضيات، و إلهيات ؛ كما أن كل من العلوم الشرعية و العلوم العقلية قد تداخلت فيما بينها وامتزجت[1] ،فساهم هذا التداخل في انتشار الموسوعية . و الثالث رغبات و ميول بعض أهل العلم الذين لهم همم عالية و قدرات فطرية في الإقبال على العلم ، فتجدهم يجتهدون و يكدون ليلا ونهارا لبلوغ الغاية في العلوم كما هو حال كبار العلماء .و السبب الأخير رغبة كثير من المشتغلين بالعلم في التفوق على الأقران و الظهور أمام الناس بكثرة العلوم ، فعندما سئل أبو منصور الجواليقي عن أبيات في علم النجوم ولم يعرفها استحى من الحاضرين معه –في حلقته– و أخذ على نفسه ألا يرجع إليها حتى يطالع علم النجوم ، فلم يعد إليها حتى ألم به[2] .

و يستنتج مما ذكرناه عن التخصصات العلمية عند علماء الحنابلة في القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م ،أن كثيرا منهم جمع بين التخصص و الموسوعية ، وبعضهم تمهر في أكثر من علمين و أخرون اكتفوا بالمشاركة في العلوم . و أن معظمهم أقبل على طلب علم الفقه ، ثم الحديث كما هو موضح في الجدول(رقم: 8 ص:) و الرسم البياني[3](رقم: 8 ص:)، ومنهما يتبين أن العلوم الشرعي[4]ة قد مثلت 61,27 % من مجموع العلوم المدروسة، ثم تليها علوم الأوائل[5] بنسبة 23,036 % ثم تأتي اللغة و الأدب و التاريخ بنسبة 16,685 % و هذه الأخيرة هي التي تحتل المرتبة الثانية في حقيقة الأمر لأنها تضم ثلاثة علوم فقط ، مقابل علوم الأوائل المكونة من ستة علوم ، وقد رفع نسبتها علم الحساب لأن له علاقة مباشرة بعلم الميراث، مما دفع علماء الحنابلة إلى الإقبال عليه .كما يستنتج منهما(الجدول و الرسم البياني) أن الفقه هو أكثر العلوم جذبا لعلماء الحنابلة ، إذ طلبه ثمانية و ثلاثون من مجموع خمسين عالما ، ثم يليه علم الحديث ، بثماني وعشرين مرة ، ثم اللغة و الحساب كل منهما بخمس عشرة مرة ، و أما الفلسفة و المنطق فقد درسهما ثلاثة عشر عالما ، من مجموع خمسين عالما ، ثم يليهما علم النجوم و الهندسة بست

---

[1] الذهبي : الأمصار ذوات الآثار ، حققه قاسم علي سعد ، ط1 بيروت دار البشائر 1986 ص :235 .

[2] ابن خلكان : المصدر السابق ج 4 ص :225 .

[3] أقمتهما على إحصاء شمل العلوم التي طلبها خمسون عالما حنبليا ، فانتهيت إلى النتائج المبينة أعلاه ،و هي و إن كانت تقريبية فإنها تعبر عن ظواهر علمية قريبة من الواقع .

[4] لاحظ إنها ضمت 7 علوم .

[5] لاحظ إنها مكونة من 6 علوم .

مرات ، و آخرها علم الهيئة درسه عالمان فقط ، مما يشير إلى أن علوم الأوائل لها مكانة دنيا عند علماء الحنابلة ،مقابل علوم الشريعة التي أولوها اهتماما كبيرا ،لأنها هي التي تحكم المجتمع ، و الغالبة على المشتغلين بالعلم رجالا و نساء .

....

جدول لأكثر العلوم طلبا لدى طلاب العلم الحنابلة[1]

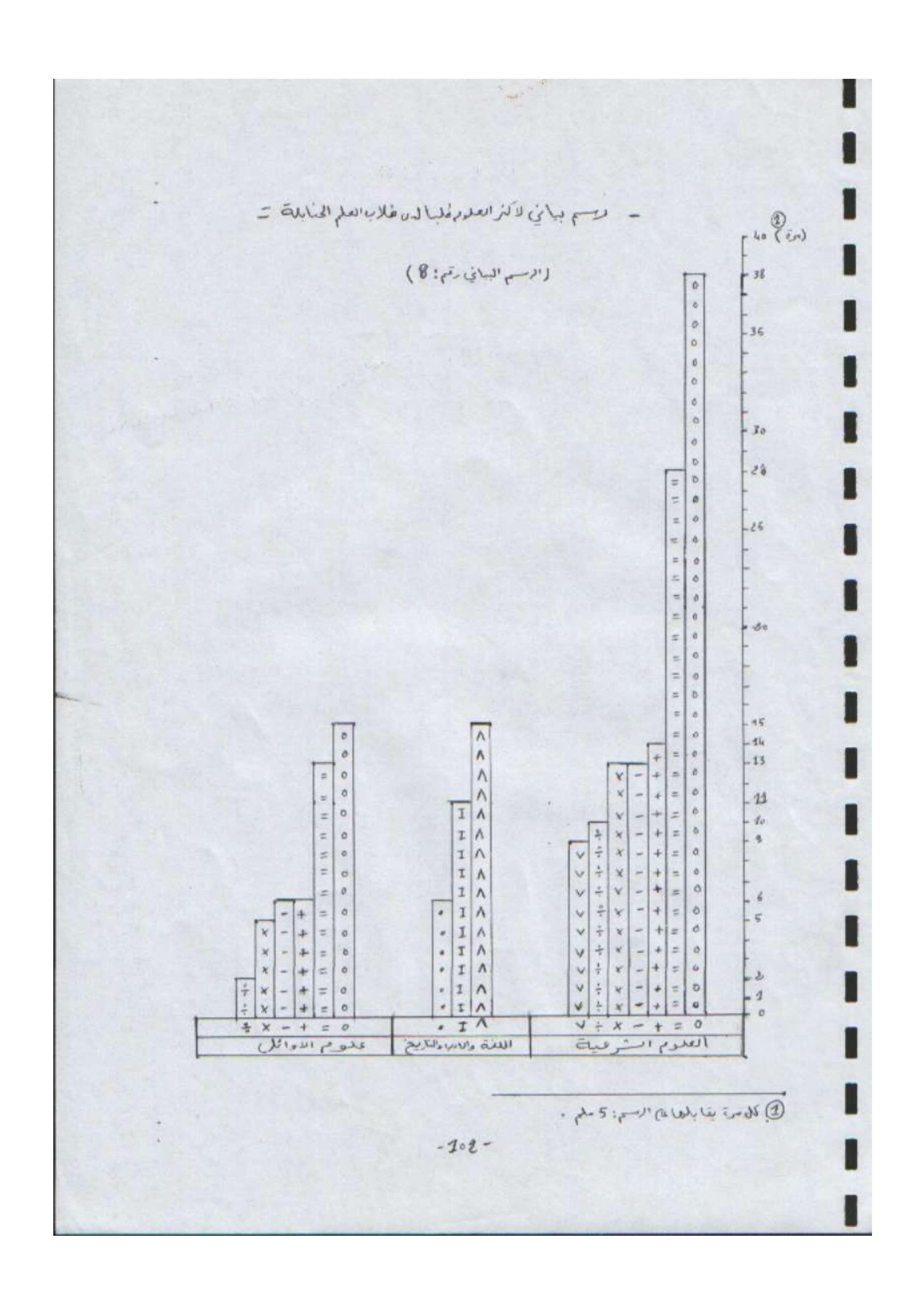
(في القرنين:6-7هـ/12-13م)

[1] المصادر : ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 126 ، 232 ، 390 ، 434 ، 449 .و ج 2 ص : 40 ، 77 ن 215 ، 249 ، 301 ، 322 ، 349 ،350 ، 359 ، 374 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص : 32 ، 36 ، 169 ، 245 ، 277 ، 293 ، 336 ، 438 ، ج 5 ص : 41 ، 89 ، 68 ، 305 ، 370 ، 374 ، 376 .و ج 6 ص : 7 ، 11 ، 13 ، 67 ، 77 ، 80 ، 81 ،.و الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 21 ص : 22 ، 29 ، 367 .و العبر ج 3 ص : 152 .و معجم محدثي الذهبي : ص : 161.و تذكرة الحفاظ ج 4 ص : 1373 ، 1388 ، 1405 ، 1406 ، 1409 ، 1411، 1413، 1434 .و ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج 4 ص : 1447 ، 1494 .و ابن خلكان : المصدر السابق ج 2 ص : 286 و ج 4 ص : 425 .و ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص : 35 ، 45 ، 257 .و اليافعي المكي : مرآة الجنان ج 3 ص : 263 ، 488 .و السبط بن الجوزي : ج 8 ص : 32 ، 256 .و ابن ناصر الدين : الرد و الوافر ص : 109 .و ابن تغري بلدي : النجوم الزاهرة ج 6 ص : 142 .

الشعب العلمية	الرمز	نوع العلم	عدد الكرارات	0/0 لكل علم	0/0 لكل شعبة
العلوم الشرعية	0	الفقه	38	18,627	61,27
=	=	الحديث	28	13,725	=
=	+	أصول الدين، ع الكلام	14	06,862	=
=	−	أصول الفقه	13	06,372	=
=	×	التفسير	13	06,372	=
=	÷	علم الخلاف	10	04,901	=
=	v	القراءات	09	411 ,04	=
اللغة، الأدب ، التاريخ	*	اللغة	15	352 ,07	15,685
=	ا	التاريخ	11	05,392	=
=	.	الأدب	06	02,941	=
علوم الأوائل	0	الحساب و المقابلة	15	07,352	23,036
=	=	الفلسفة	13	06,352	=
=	+	علم النجوم	06	02,941	=
=	−	الهندسة	06	02,941	=
=	×	الطب	05	02,450	=
=	÷	الهيئة	02	0,980	=
المجموع	− − −	15 علما	204	نحـــو : 100 0/0	نحـــو: 100 0/0

(الجدول رقم :08)

. . . .



المبحث الرابع : نساء عالمات حنبليات

ذكر الفقيه عبد الرحمن بن الجوزي أن النساء في زمانه أحوج إلى العلم من الرجال لأنهن معرضات عنهن إلا القليل منهن[1] ،فهل ما قاله يصدق على كل نساء الأمصار بالمشرق الإسلامي خلال القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م ، أم هو خاص ببغداد و بزمنه هو فقط ؟ و هل هو مبالغ فيما ذكره ؟ و ما هي أسباب إعراض المرأة عن العلم إن صح ما قاله ؟

و للتوسع في الموضوع و الإجابة عن هذه التساؤلات ، قمت بإحصاء تقريبي[2] شمل عينة مكونة من واحد و خمسين عالمة حنبلية ،انتهيت إلى نتائج هامة-انظر الجدول رقم:9 و الرسم البياني رقم:9 - منها أن من بينهن خمس و أربعون امرأة طلبن علم الحديث ، و اثنتان فقيهتان ، و ست مقرئات للقران الكريم ، و مفسرة واحدة ، و كاتبة ، و واعظتان ، فبلغ المجموع من حيث التخصص سبعة و خمسين ، من مجموع واحد و خمسين عالمة ، وهذا يعني أن من بينهن من لها أكثر من تخصص . ومنها –أي النتائج-أن أغلبهن دمشقيات بأربع و عشرين عالمة ، ثم البغداديات باثنتي عشرة ، و اثنتان حرانيتان ، و الباقيات من مدن أخرى متفرقة . ومنها كذلك أن علم الحديث قد غلب على العالمات الحنبليات ، بفارق كبير بالمقارنة إلى العلوم الأخرى ، و هذه الظاهرة لا تخصهن وحدهن ، بل هي تشمل العالمات من الطوائف السنية الأخرى ، فقد تبين لي من إحصاء قمت به[3] أنه من بين ثماني و أربعين عالمة-من غير الحنبليات- توجد سبع و أربعون محدثة ، و اثنتان مقرئتان للقران ، و ثلاث فقيهات ، و واعظتان ، و مفسرة ، و نحوية[4] .و لعل السبب في إقبال معظمهن على الحديث ، سهولته عليهن لأنهن تفرغن له رواية لادراية ، فكن من أوعيته لا من نقاده المحققين[5]

.

. . .

. .

جدول مقارن لإحدى و خمسين عالمة حنبلية[6]

[1] ابن الجوزي : أحكام النساء ، الجزائر ، دار الشهاب د ت ، ص :4 .

[2] انظر الجدول رقم: 9 . و الرسم البياني رقم : 9 .

[3] مصادر هذا الإحصاء هي مع مصادر الإحصاء الأول الخاص بالنساء الحنبليات .

[4] بذلك يبلغ مجوع تخصصاتهن 56 تخصصا من مجموع 48 لأن لبعضهن أكثر من تخصص .

[5] لم أعثر على عالمة عاشت في القرنين 6و 7 هـ/ 12-13 م ، تمهرت في تحقيق الحديث و نقده إسنادا و متنا .

[6] المصادر : ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص : 69 ن 70 ، 100 ، 123 ، 141 ، 47 ، 141 و ج 5 ص : 24 ، 25 ، 42 ، 212 ، 221 ، 252 ، 383 ، 385 ، 404 ، 421 ، 438 ، 447 ، 449 ، 454 . و ج 6 ص : 8

حسب التخصص و الأسر و البلدان

(ق: 6-7هـ/12-13م)

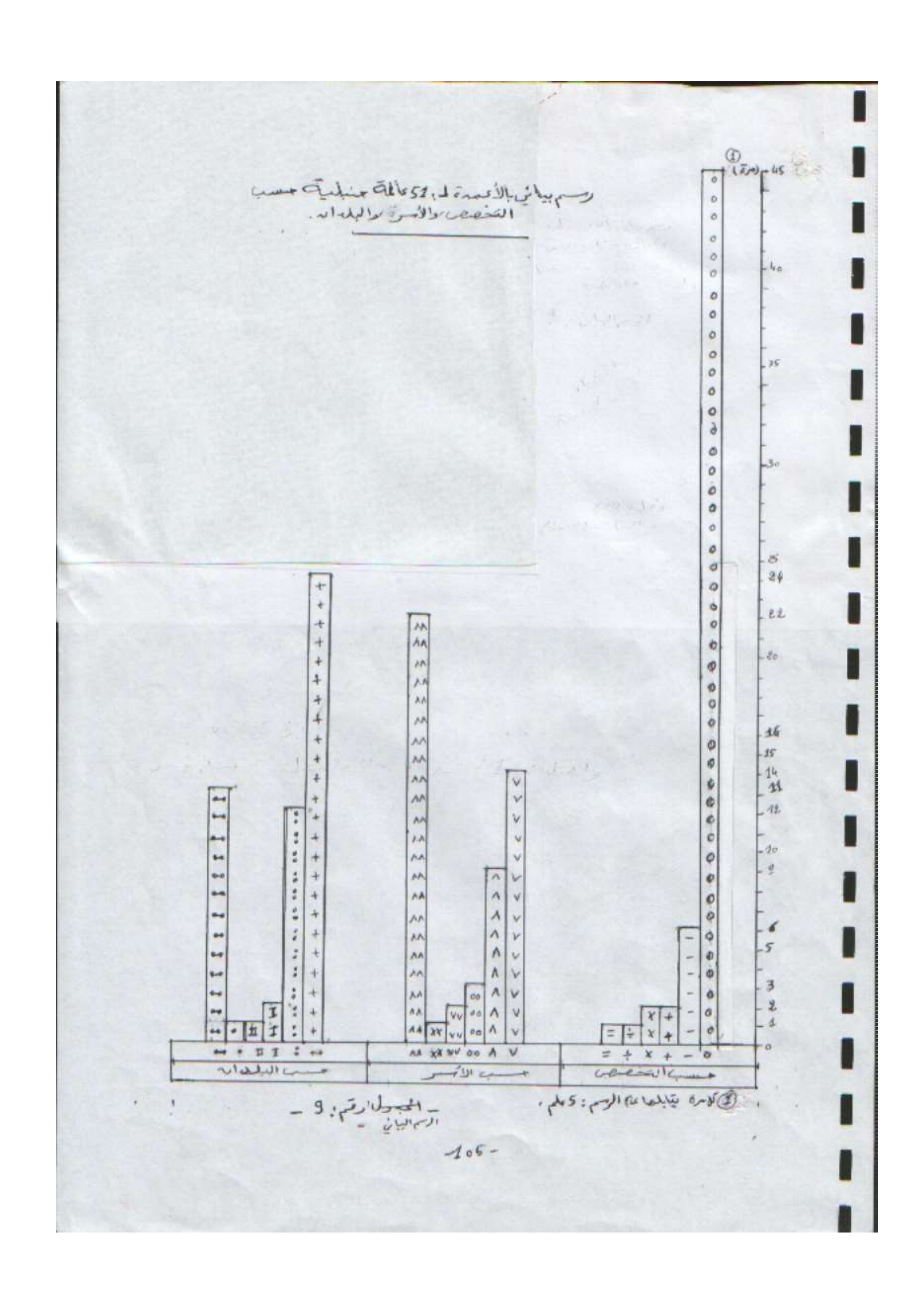
حسب التخصص	حسب التخصص	حسب التخصص	حسب الأسر	حسب الأسر	حسب الأسر	حسب البلدان	حسب البلدان	حسب البلدان
الرمز	العلم	العدد	الرمز	الأسرة	العدد	الرمز	البلد	العدد
0	حديث	45	v	بنو قدامة	14	+	دمشق	24
-	إقراء القرآن	06	*	سعديون، سروريون	09	÷	بغداد	12
+	فقه	02	00	بنو الحنبلي	03	ا	حرّان	02
×	وعظ	02	vv	بنو راجح	02	اا	همدان	01
÷	الكتابة	01	××	بنو المنجّا	01	.	مصر	01
=	تفسير	01	**	أسر أخرى	22	.-.	بلدان أخرى	11
المجموع	-	57[1]	المجموع	-	51	المجموع	-	51

(الجدول رقم :09

)

، 17 ، 20 ، 354 ، 71 ، 113 ، 126 .و المنذري : المصدر السابق ج 2 ص : 109 ، 223 ، 357 ، 358 ، .و ج 3 ص : 238 ، 339 ، 342 زو ج 4 ص : 228 .و ابن رجب: المصدر السابق ج 1 ص : 193 ، 218 ، 218 ، 221 ، 232 ، 321 ، و ج 2 ص : 48 ، 193 ، 244 ، 245 .و الذهبي : العبر ج 3 ص : 130 ، و 389 .و معجم شيوخ الذهبي : ص : 176 ، 177 ، 181 ، 183 ، 184 .و سير أعلام النبلاء ج المفقود ص : 221 .و تاريخ الإسلام ج : 611-620هـ/ص : 480 ، و ج :621-630هـ/ص : 57 ، 59 .و ج : 631-640هـ/ص : 134 ، 431 ، 433 . و ابن كثير : المصدر السابق ج 12 ص /: 143 ،و ج 13ص : 169 ، 170 .و ج14ص : 42 ، 79 ، 114 ، 189 . و ابن طولون : القلائد ج 2 ص : 287 ، 306 ، 307 ، 308 .و ابن النجار : المصدر السابق ج 17 ص : 195 .و علم الدين البرزالي : مشيخة أبي بكر بن عبد الدائم ص : 98 .و ناجي معروف : عالمات بغداديات ص : 20 ، 21 .و السبط : المصدر السابق ج 8 ص : 75 ، 126 ، 352 .و ابن القاضي المكناسي : ذيل و فيات الأعيان ج 2 ص : 278 .و ابن حجر العسقلاني : الدرر ج 2 ص : 5 ،و ج 3 ص : 125 ، 127 ، 220 ،223 ، 224 ، 226 .و الصفدي : الوافي ج 3 ص : 387 ،و ج 11 ص : 304 .و اليافعي : ج4 ص : 232 .و ابن تغري بلدي : الدليل الشافي ج 1 ص : 312 .

[1] بلغ المجموع ذلك العدد ، لأن لبعض العالمات لهن اكثر من تخصص .


رسم بياني بالأعمدة لـ: 51 عائلة حنبلية حسب
التخصص والأسرة والبلدان.
حسب البلدان
حسب الأسر
حسب التخصص
① كل أسرة يقابلها في الرسم: 5 ملم.
- الجدول رقم: 9 -
الرسم البياني
-105-

و من هؤلاء العالمات الحنبليات اللائي شملهن الإحصاء ، خمس بغداديات أولهن المحدثة ست الناس زينب بنت عبد الوهاب بن الحسين الصابوني[1](ت588 هـ/1188م) ، و الثانية الفقيهة المحدثة أمة الرحيم بنت عفيف بن المبارك الخياط(ت 621هـ/1224م) ،سماها الذهبي سيدة العلماء ، سمعت الحديث و أجازت للمقريء كمال الدين بن الفويرة البغدادي الحنبلي(ت697 هـ/1297م)، و روى عنها المؤرخ محب الدين ابن النجار البغدادي(ت643 هـ/ 1245م)[2].والثالثة المحدثة امنة بنت عبد العزيز بن الأخضر(ت633 هـ/ 1235م)، روت الحديث عن الكاتبة شهدة فخر النساء البغدادية(ت574 هـ/ 1178م) و المحدث عبد الحق بن عبد الخالق اليوسفي البغدادي(ت575 هـ/1179م)، وغيرهما من المحدثين[3] .و الرابعة مسندة العراق عجيبة بنت محمد بن أبي غالب الباقداري الحنبلي(ت647 هـ/1249م)، هي من أسند شيوخ بغداد ، سمعها والدها الحديث ، واستجاز لها من كبار الحفاظ ، ولها مشيخة[4] في عشرة أجزاء[5] .و الأخيرة الفقيهة المحدثة ست الملوك بنت علي بن الحسين الواسطية ثم البغدادية(ت710 هـ/1310م) سمعت كثيرا من الحديث و روته ، وأجاز لها المؤرخ ابو الحسن بن القطيعي الحنبلي البغدادي[6](ت634 هـ/1236م) .

ومن المحدثات الهمذنيات عاتكة أم العلاء بنت الحافظ أبي العلاء العطار الهمذاني(ت609 هـ/ 1212م)، سمعت الحديث في بلدها ، و أجازت للحافظ عبد العظيم المنذري المصري الشافعي(ت656 هـ/1258م) من بغداد سنة 608هـ/ 1211م، و من تلاميذها الذين أخذوا عنها الحديث الحافظ المؤرخ ابن الدبيثي البغدادي(ت637 هـ/1239م) ، وهي من بيت مشهور بالعلم و الرواية ، أبوها و اخوتها محدثون[7] .

---

[1] المنذري : المصدر السابق ج 1 ص : 323 .

[2] الذهبي :تاريخ الإسلام ج: 621-630 هـ/ ص : 57 . وابن النجار : المصدر السابق ج 17 ص :195 .

[3] نفس المصدر ج :631-640 هـ/ص: 143 .

[4] عن معنى المشيخة انظر المبحث الثاني من الفصل الخامس .

[5] الذهبي : المصدر السابق ج:571-580 هـ/ ص :252 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :346 ط ق . و ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ج 5 ص :238 .

[6] ابن رافع السلامي : المصدر السابق ص : 242 . و السيد فؤاد صالح : معجم الألقاب و الأسماء المستعارة في التاريخ العربي الإسلامي ط 1 بيروت دار العلم للملايين 1990 ص: 158 .

[7] الذهبي : المختصر المحتاج إليه ص :397 ، وتاريخ الإسلام ج :601-610 هـ/ ص :332 . و ابن الدبيثي : ذيل تاريخ مدينة السلام ،حققه بشار عواد بغداد دار الرشيد 1979 ، ج:2 ص :83 . والمنذري : المصدر السابق ج 4 ص :30 .

و أما الدمشقيات فهن كثيرات ، أذكر منهن ثلاث عشرة عالمة ، الأولى رابعة بنت احمد بن قدامة المقدسية الصالحية(ت620 هـ/1223م) ، حفظت القرآن الكريم و روت بالإجازة عن المحدث أبي الفتح بن البطي البغدادي(ت564هـ/1168م) ، وروى عنها الحافظان المقدسيان الضياءمحمد(ت643هـ/1245م) ،و الفخر بن البخاري(ت690 هـ/1291م)[1] . و الثانية-أخت السابقة- المحدثة رقية بنت احمد بن قدامة (ت621 هـ/1224م)،روت الحديث بالإجازة ، و روى عنها حفيدها الفخر بن البخاري ، و تعد مصدرا تاريخيا للمقادسة[2] في المواليد و الوفيات[3] . و الثالثة المقرئة المحدثة امنة بنت أبي عمر بن قدامة المقدسية (ت631 هـ/1233م) حفظت القرآن الكريم ، و أقرأت البنات في دير الحنابلة[4] بصالحية دمشق ، و روى عنها الحديث أخوها شمس الدين ، والفخر بن البخاري[5] .و الرابعة أسية بنت الشهاب محمد بن خلف المقدسية الصالحي(ت631 هـ/ 1233م) ،حفظت كتاب الله ، و سمعت الحديث و روته[6] . والخامسة المدرسة الحافظة أسية أم محمد بنت عبد الواحد المقدسية(ت640 هـ/1242م) حفظت القرآن ، ودرست النساء و روت الحديث ، و كانت كثيرة الصوم و الصلاة[7].

وأما السادسة فهي الفقيهة أمة اللطيف بنت ناصح الدين بن الحنبلي الدمشقية653 هـ/1255م)، عالمة ثرية ، أنشأت مدرسة للحنابلة بدمشق ، وهي التي أشارت على أخت صلاح الدين الأيوبي ربيعة خاتون(ت643 هـ/1245م) ،ببناء مدرسة للحنابلة بصالحية دمشق ، و يروى أنها كانت مؤلفة لها مصنفات ، لم تذكر المصادر موضوعاتها ولا عناوينها[8]. والسابعة المحدثة المقرئة حبيبة بنت أبي عمر بن قدامة المقدسية(ت674 هـ/1275 م) حفظت القرآن الكريم ، ولقنته للنساء في دير الحنابلة، و روت الحديث عن حنبل بن عبد الله ، و أبي حفص بن طبرزد ، و عبد الوهاب بن سكينة[9] . و الثامنة المفسرة والدة الواعظ بن نجية و بنت أبي الفرج عبد الواحد

---

[1] الذهبي : تاريخ الإسلام ج :611-620 م/ص : 480 .

[2] عنهم انظر مبحث الأسر العلمية الحنبلية ، من هذا الفصل .

[3] و كانت تفصل بين الناس في خصوماتهم ، و تنكر على الرجال والنساء .الذهبي : المصدر السابق ج : 621-630 هـ/ص : 59 .

[4] عنه انظر المبحث الثاني من الفصل الثاني .

[5] الذهبي : المصدر السابق ج :631-640 هـ/ص :56 .

[6] نفس المصدر ج: 631-640 هـ/ ص :143 /

[7] نفس المصدر ج : 631-640 هـ/ ص:431 .

[8] ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص : 170 . وابن طولون : المصدر السابق ج 1 ص :84 .

[9] الصفدي : الوافي بالوفيات ج 11 ص : 304 .

الدمشقية(ت ق12/6م) ، كانت عالمة بالتفسير تحفظ كتاب والدها الجواهر في تفسير القرآن في ثلاثين مجلدا[1].

و التاسعة هي الكاتبة المحدثة أمة الكريم بنت ناصح الدين بن الحنبلي الدمشقية(ت679 هـ/1280م)،سمعت الحديث من والدها ، و كتب عنها المحدث إبراهيم بن الخباز الدمشقي الحنبلي ، و الحافظ علم الدين البرزالي الشافعي الدمشقي(ت739 هـ/1238م) ، و سمعت صحيح البخاري بمدينة اربل[2].و العاشرة المقرئة المحدثة خديجة بنت احمد بن عبد الدائم المقدسية (ت685 هـ/1286م) لقنت النساء القرآن الكريم في دير الحنابلة ، و لها إجازة من المحدثة عفيفة الأصفهانية(ت606 هـ/1209م) ،و لم يوجد لها سماع عال رغم أنها ولدت سنة 598هـ/1201م فكان في مقدورها السماع من ابن طبرزد(ت607هـ/1210م) ،و أبي اليمن الكندي الدمشقي(ت613 هـ/1216م) ومن والدها المتوفى سنة 668 هـ/1269م)، لكنها تهاونت في الطلب[3] . و الحادية عشرة هي المسندة ست الوزراء وزيرة بنت عمر بن أسعد بن المنجا الدمشقية(ت716 هـ/1316م)، روت صحيح البخاري و مسند الشافعي عدة مرات بدمشق ومصر ، وكانت طويلة النفس على سماع الحديث، و هي خاتمة من روى عن والدها بالسماع[4] .

وأما الثانية عشرة فهي المحدثة زينب بنت الكمال احمد بن عبد الرحيم المقدسية(646-740هـ/1248-1339م) سمعت كثيرا من الحديث ، و روت بالإجازة عن عجيبة الباقدارية البغدادية، وعن أبي الحجاج يوسف بن خليل ، و روت كتبا كبارا ، و تفردت بقدر وقر بعير من الأجزاء و الإجازات ، وتكاثر عليها طلبة الحديث ، و قرؤوا عليها أكثر النهار[5] .و الأخيرة هي الفقيهة المقرئة الواعظة أم زينب فاطمة بنت عباس البغدادية ثم المصرية(634-714هـ/1236-1314م)، أقرأت النساء القرآن الكريم ، وحفظت أكثر كتاب المغني للموفق بن قدامة، وحضرت مجالس الشيخ

[1] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص:440 ط ق . وابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص :341 .

[2] الصفدي : المصدر السابق ج 9 ص :387 .

[3] الذهبي : معجم شيوخ الذهبي ص :181 .

[4] الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 23 ص :80 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :226 . وابن كثير : المصر السابق ج 14 ص :79 . و ابن تغري بلدي : الدليل الشافي ج 1 ص :312 . و ابن حجر : الدرر الكامنة ج 2 ص :129 .

[5] الذهبي : معجم شيوخ الذهبي ص :199 ، و سير أعلام النبلاء ج 23 ص:153 . ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :48 244 245 253 ز و ابن حجر : المصدر السابق ج2 ص :117 .

تقي الدين بن تيمية ، واستفادت منه كثيرا ، و كان هو يثني عليها ، ويصفها بالفضل والعلم ، و يستعد لها من كثرة أسئلتها[1] .

و أما بخصوص العالمات غير الحنبليات[2] ،فأذكر منهن طائفة ، أولهن أم الخير فاطمة بنت علي بن دعبل البغدادية ثم النيسابورية (ت532 هـ/1137م)،لقنت النساء القرآن الكريم ، و روت صحيح البخاري[3] .و الثانية الكاتبة الفقيهة شهدة بنت الإبري البغدادية(ت 574هـ/1178م)، لها مشاركة في كثير من العلوم ، كالفقه والتفسير و الحديث، و كانت لها مجالس لرواية الحديث[4] .و الثالثة المحدثة عفيفة بنت احمد الفارقانية[5] الاصفهانية(ت606 هـ/ 1209م)،سمعت كثيرا من الحديث باصفهان و بغداد ، و لها إجازات عالية يقال أنها عن أكثر من 500شيخ من بغداد و اصفهان[6] .والرابعة المحدثة عائشة بنت أبي محمد بن عبد الواحد الاصفهانية(ت606 هـ/ 1209م) سمعت الحديث و روته ، وأجازت للحافظ عبد العظيم المنذري من اصفهان سنة 606هـ[7]/11209م .و الخامسة المحدثة جمال النساء بنت احمد بن أبي سعد البغدادية(ت640 هـ/1242م) ، سمعها والدها من شيوخ بغداد ، و روت عنهم الحديث ، و أجازت للحافظ أبي بكر بن عبد الدائم المقدسي(ت718 هـ/1318م) و غيره من الحفاظ[8] .

ويتبين مما تقدم ذكره أنه ظهرت عالمات كثيرات ساهمن في تنشيط الحياة العلمية بالمشرق الإسلامي ،على اختلاف تخصصاتهن و مذاهبهن ، و قد رحل الطلبة إلى بعضهن من مختلف الأمصار طلبا للعلم . فلماذا إذا قال ابن الجوزي(ت597 هـ/1200م) أن النساء في عصره معرضات عن العلم، إلا القليل منهن ؟ لعله قصد جمهور نساء بغداد و ليس خواصهن ، لأنه قد استثناهن من حكمه ، و قد يصدق قوله على بغداد في فترة من تاريخها قلت فيها طالبات العلم ؛ و

[1] إلى جانب نشاطها العلمي ،كانت تنكر على الصوفية مؤاخاتهم للنساء و المردان ، وتنكر عليهم أحوالهم و بدعهم . ابن كثير : المصدر السابق ج 14 ص :42 . و ابن حجر : المصدر السابق ج 3 ص : 226 .

[2] اللواتي شملهن الإحصاء السابق الذكر .

[3] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص: 100 .

[4] ابن الجوزي :المنتظم ج 10 ص : 288 .و سبط ابن الجوزي : المصدر السابق ج 8 ص :352 . و الذهبي: المختصر ص :394.

[5] نسبة لقرية فارقان ، و هي من قرى اصفهان . المنذري : المصدر السابق ج 3 ص :314 .

[6] المنذري : المصدر السابق ج 3 ص :313-314 . و ابن رجب : المصدر السابق ج2 ص :232 . وابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص : 19-20 .

[7] المنذري : المصدر السابق ج 3 ص :329 .

[8] الذهبي : تاريخ الإسلام ج:631-640 هـ/ص : 433 .

مما يزيد الأمر وضوحا أن الحافظ ابن النجار البغدادي(ت643 هـ/1245م) ،بلغ مجموع شيوخه ثلاثة ألاف شيخ من بينهم أربعمائة امرأة[1] .و عددهن هذا ليس بقليل يدل على كثرة النساء العالمات اللواتي كن زمن ابن الجوزي و القريبات منه ، كما أنه يدل من جهة أخرى على الفارق الكبير بينهن و يبين الرجال الذين بلغ مجموعهم 2600شيخ أخذ عنهم ابن النجار العلم و يمثلون ما نسبته 86,666 % مقابل 13,333 % للنساء من مجموع شيوخه ،الأمر الذي يبين أن نسبة انتشار التعليم بين الرحال أكبر من انتشاره بين النساء ، فما هي أسباب هذه الظاهرة ؟

هي عند الباحث محمد منير سعد الدين تتمثل في الظروف القاسية التي يعانيها الطالب المسلم في تحصيله للعلم ،فهي التي أعاقت المرأة المسلمة من الرحلة في طلب العلم ،كما أن نظرة المجتمع لها كانت أسمى و أعلى من أن تسمح لها من أن تعرض نفسها لنصب العيش و شظف الحياة[2] .و هي عند المؤرخ احمد شلبي محصورة في سببين رئيسيين ، أولهما عدم سماح المجتمع للمرأة بتحمل مشاق الرحلة في تحصيل العلم ،و ثانيهما ضيق مجال تعليمها ، فعليها أن تتعلم في البيت على يد والدها ، أو أحد محارمها أو على يد معلم خاص ، و هتان الوسيلتان لا تتيسران للجمهرة العظمى من النساء، عكس الرجل الذي كان مجال تعليمه واسعا في الكتاتيب و المساجد[3] . و قول هذين الباحثين له جانب من الصحة لكنه لم يتناول الظاهرة من أساسها ، لأن سببها العميق هو نظرة المجتمع لأدور المرأة في الحياة ، وحاجتها إلى التعليم و الجدوى من تعليمها ،و قد أفصح ابن الجوزي عن ذلك بوضوح عندما قرر : إن المرأة مكلفة كالرجل ، يجب عليها طلب علم الواجبات يعلمها أبوها ، أو أخوها ، أو زوجها ، أو محرمها ، أو امرأة ،فإن لم تجد تعلمت على أيدي الشيوخ من غير خلوة ، وتقتصد قدر اللازم[4] . فقد سبق وأن ذكرنا عنه–أي ابن الجوزي– إنه اشتكى من قلة إقبال النساء على العلم ،ثم ها هو هنا يضيق عليها مجال التعليم، ويحثها على عدم التوسع فيه ، و الاقتصار على الضروري فقط، وهذه نظرة ضيقة لا تشجع على توسيع مجال تعليم المرأة ، وتفجير قدراتها العقلية ، كما أنها لا تسمح بتوفير فرص التعليم لكل النساء ؛ لقد كان في مقدور المجتمع أن ينشأ مؤسسات تعليمية نسوية ، في المدن و القرى ، تلتحق بها النساء جماعيا بطريقة نظامية دون أن تضطر إلى تحمل مشاق الرحلة طلبا للعلم ، لكنه–أي المجتمع – لم يفعل ذلك ، في حين بنى

[1] ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص :169 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :227 228 .
[2] محمد منير سعد الدين : العلماء عند المسلمين ،و مكانتهم في المجتمع ط1 ، بيروت دار المناهل ، 1992 ص :62 .
[3] احمد شلبي : المرجع السابق ص :337 340 –341 .
[4] ابن الجوزي : المصدر السابق ص : 12 .

للرجال العشرات من المدارس المجهزة بمختلف المرفق المشجعة على العلم[1] ؛ فنظرته هذه من عدم جدوى توسيع تعليم المرأة ، هي التي جعلت الناس في القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م يسمحون للنساء بالخروج إلى الأسواق ، و حضور مجالس الغناء و الرقص لدى الصوفية[2] ، ولا يسعون إلى بناء مدارس لهن تتكفل بتربيتهن و تعليمهن جماعيا ، و نحن لا ننكر أنه وجدت بعض الأماكن لتعليم المرأة ، كدير الحنابلة و الأربطة ،لكن هذا الأمر لم يكن عاما ،و لا سياسة متبعة من قبل المجتمع و الدولة ، فإنهما لم يتكفلا بتعليم المرأة كما تكفلا بتعليم الرجل .

و يستنتج مما ذكرناه أن القرنين السادس و السابع الهجريين/13/12م قد شهدا حركة علمية نسوية نشطة ، ساهمت فيها عالمات من مختلف الطوائف المذهبية ، من بينهن حنبليات كثيرات كان لهن دور فعال في تنشيط الحياة العلمية عامة و النسوية خاصة ، و معظمهن ينتسبن إلى أسر عريقة في العلم و الحنبلية ، كبني المنجا ، و بني الحنبلي ، و بني قدامة

المبحث الخامس : الأسر العلمية الحنبلية

برزت في التاريخ الإسلامي أسر توارثت العلم و المهن و المكانة ، من الكتاب و الأطباء و الفقهاء والقضاة[3] ؛ من بينها أسر حنبلية عريقة في العلم، زاد عددها عن ثلاثة وعشرين أسرة ، ظهرت في بغداد ، و حران ، ودمشق ، وهمذان ، وغيرها من مدن المشرق الإسلامي ،أذكرها فيما يأتي حسب مواطنها ، مبتدءا ببغداد مركز الطائفة الحنبلية .

أولا: في بغداد

ظهرت في بغداد بيوت علمية حنبلية كثيرة اشهرها ثمانية ، أولها بيت التميميين ، عرف بالفقه و الحديث ، و التقدم و الرياسة ،خلال القرنين السادس و السابع الهجريين/10-11م ، من أعلامه : الفقيه عبد العزيز بن الحارث التميمي(ت371 هـ/981م)، و ولداه عبد الواحد (ت410 هـ/1019م) ، وعبد الوهاب(ت415 هـ/1024م)، وحفيده المحدث رزق الله بن عبد الوهاب(ت488 هـ/1095م) ،و قد استمرت هذه الاسرة في العطاء العلمي أكثر من 150 سنة ،ثم

[1] عن ذلك انظر المؤسسات العلمية الحنبلية في الفصل الثاني .

[2] ابن الجوزي :المصدر السابق ص :74 .

[3] منها آل أثردي من الأطباء ببغداد و ال السمعاني بمرو و بغداد ، و ال ابن عساكر من المحدثين بدمشق . شاكر مصطفى : موسوعة دول العالم الإسلامي و رجالها ، ط 1 بيروت ، دار العلم للملايين 1993 ص :833 و ما بعدها .

توقف عند أخر أفرادها الواعظ عبد الواحد بن رزق الله(ت493 هـ/1099م) ،و به ختم بينه ، ولم يعقب[1] .فلم يكتب لهذه الأسرة العريقة في العلم من ولوج القرن السادس الهجري/12م .

و الثاني بيت بني الفراء ، مؤسسه شيخ الحنابلة القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء[2](ت458 هـ/1065م) ،عرف بالفقه و الحديث ، والقضاء و التأليف[3] ،استمر في نشاطه العلمي نحو قرنين من الزمن (انظر الشكل رقم: 2)،و أثرى التراث العلمي الحنبلي بمصنفات لها مكانة معتبرة عند الحنابلة ، منها المعتمد في أصول الدين لأبي يعلى الفراء ، و المفردات في الفقه ، و طبقات الأصحاب ، لأبي الحسين بن أبي يعلى[4].ومن أعلام هذه الأسرة بعد هذين الاخيرين ، الفقيه أبو خازم محمد ، و ابنه القاضي عماد الدين ، ، وحفيده الفقيه المطفر أبو منصور(انظر الشكل رقم: 2).

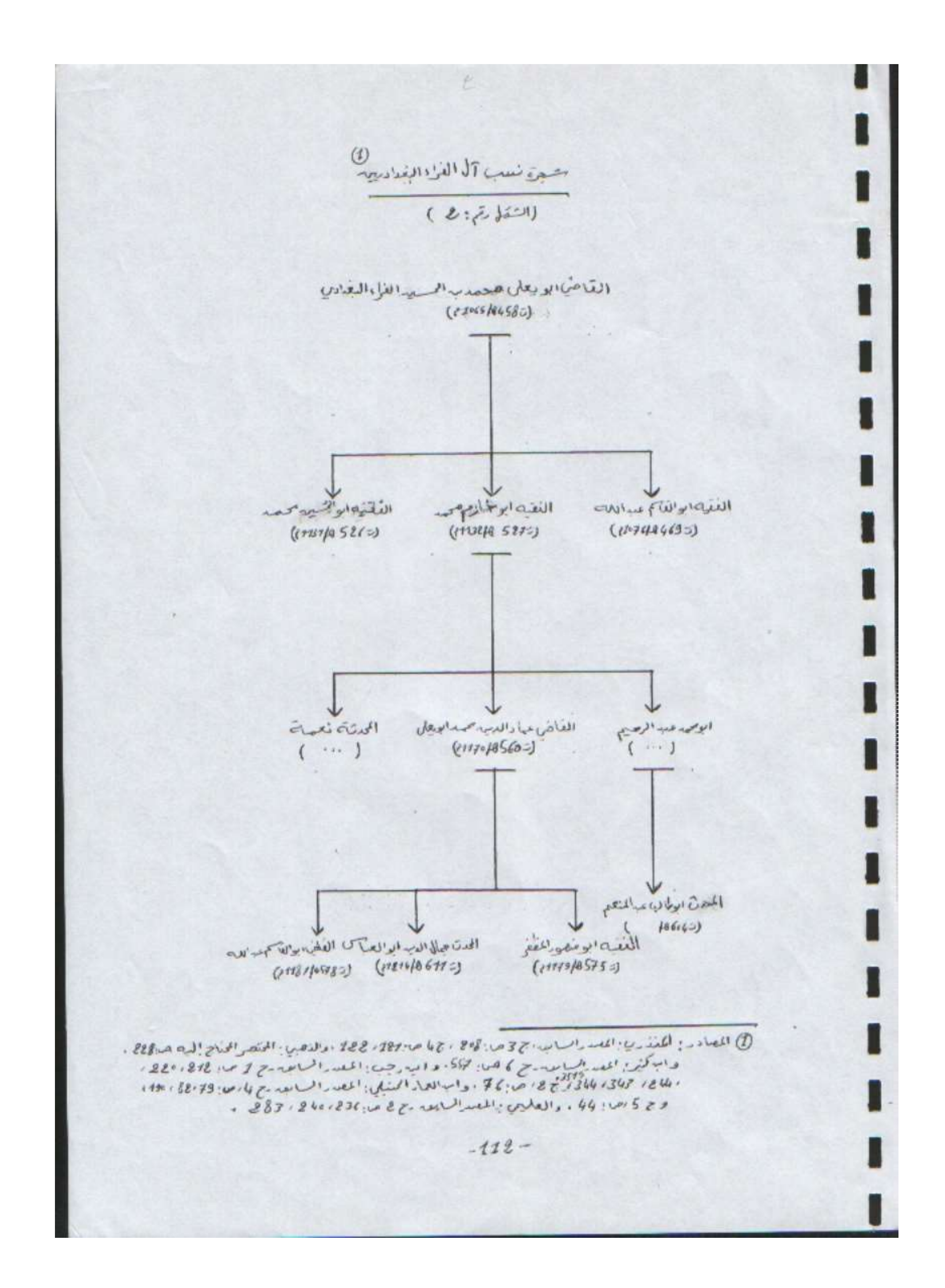
---

[1] أبو الحسين بن أبي يعلى: المصدر السابق ج 2 ص:188 . و ابن كثير : المصدر السابق مج 6 ص :358 630 ط د المعرفة .و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :96 107 ط د .

[2] كان والده الحسين بن محمد بن خلف ، حنفي المذهب . ابن أبي الوفاء القرشي : الجواهر المضية في طبقات الحنفية ،حققه عبد الفتاح محمد الحلو ، ط2 بيروت مؤسسة الرسالة ،1993 ج 2 ص :128-129 .

[3] المنذري : المصدر السابق ج 3 ص : 209 و ج 4 ص :221 222 .

[4] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص :79 . و عن باقي تراث الأسرة العلمي أنظر الفصل الخامس .



و الثالث بيت ابن البناء ، نسبة للفقيه أبي علي بن البناء(ت471 هـ/1078م) ، له ولدان عالمان هما : الفقيه أبو نصر محمد(ت510 هـ/1116م) ، و المدرس أبو عبد الله يحي(ت531

هـ/1136م) ،و لهـذا البيـت مسـاهمة كبيرة فـي إثـراء المكتبـة الحنبليـة بكثيـر مـن المصـنفات ، وقـد قاربت مؤلفات أبي علي الخمسمائة كتاب[1] ،كما كانت له –أي أبو علي–حلقتان للتدريس في جامعي القصر و المنصور ،خلفه فيها–بعد وفاته– ولده أبو نصر محمد[2] . و يبدو أن هذه الأسرة توقف عطاؤها العلمي بعد أبي عبد الله يحي، إذ لم أعثر على أي عالم أخر انتسب إليها .

وأما الرابع فهو بيت آل شافع [3]،مؤسسه الفقيه شافع بن صالح بن حاتم الجيلي البغدادي(ت480هـ/1087) ، واشتهر بالحديث والفقه و العدالة ،و ينسب إليه مسجد ببغداد يعرف بمسجد ابن شافع،و من أعلامه الفقيه أبو المعالي صالح بن شافع ،و ابنه المحدث المؤرخ أبو الفضل احمد صاحب كتاب تاريخ بغداد[4] ،ومجالس قراءة الحديث النبوي زمن الوزير عون الدين بن هبيرة[5] و أخرهم المحدث فخر الدين محمد(انظر الشكل رقم: 3) .

و الخامس بيت آل هبيرة[6] ، معروف بالعلم و الأدب و التقدم ، في مقدمة أفراده : الوزير الفقيه عون الدين بن هبيرة الشيباني ،اشتهر بين الناس بالعدل و العلم والحزم ،كانت له في أيامه مجالس علم عامرة يحضرها العلماء و الأعيان و العوام[7]، وله مصنفات عديدة منها : الإفصاح عن المعاني الصحاح ، و العبادات في مذهب احمد[8]،و له أبناء (انظر الشكل رقم: 4) أدباء شعراء ذكرهم العماد الكاتب (ت597 هـ/1200م) في الخريدة[9] ، و من أحفاده الأديب أبو الفتح بن ظفر(ت620 هـ/1223م) ، وقد ضعف النشاط العلمي لأسرته لنكبة حلت بها بعد وفاته هو مباشرة سنة 560هـ/1164[10] .

---

[1] سيق ذكر بعضها في التمهيد .

[2] ابن رجب : المصدر السابق ج1 ص : 227 ط د . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص :28-29 .

[3] انظر الشكل رقم: 3 .

[4] انظر المبحث الخامس من الفصل الخامس .

[5] عنها انظر المبحث الخامس من هذا الفصل .

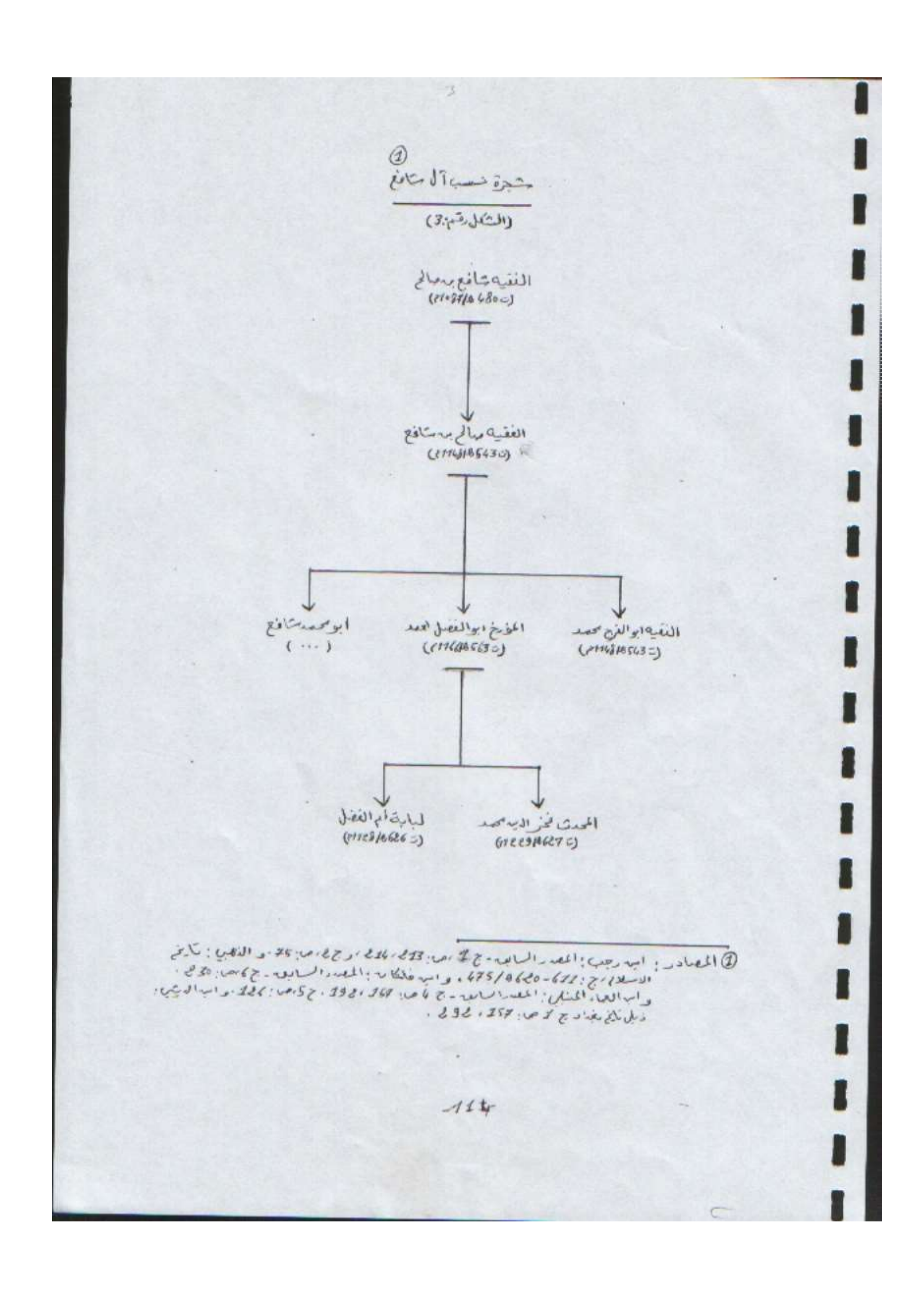
[6] انظر الشكل رقم: 4 .

[7] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص :314 .

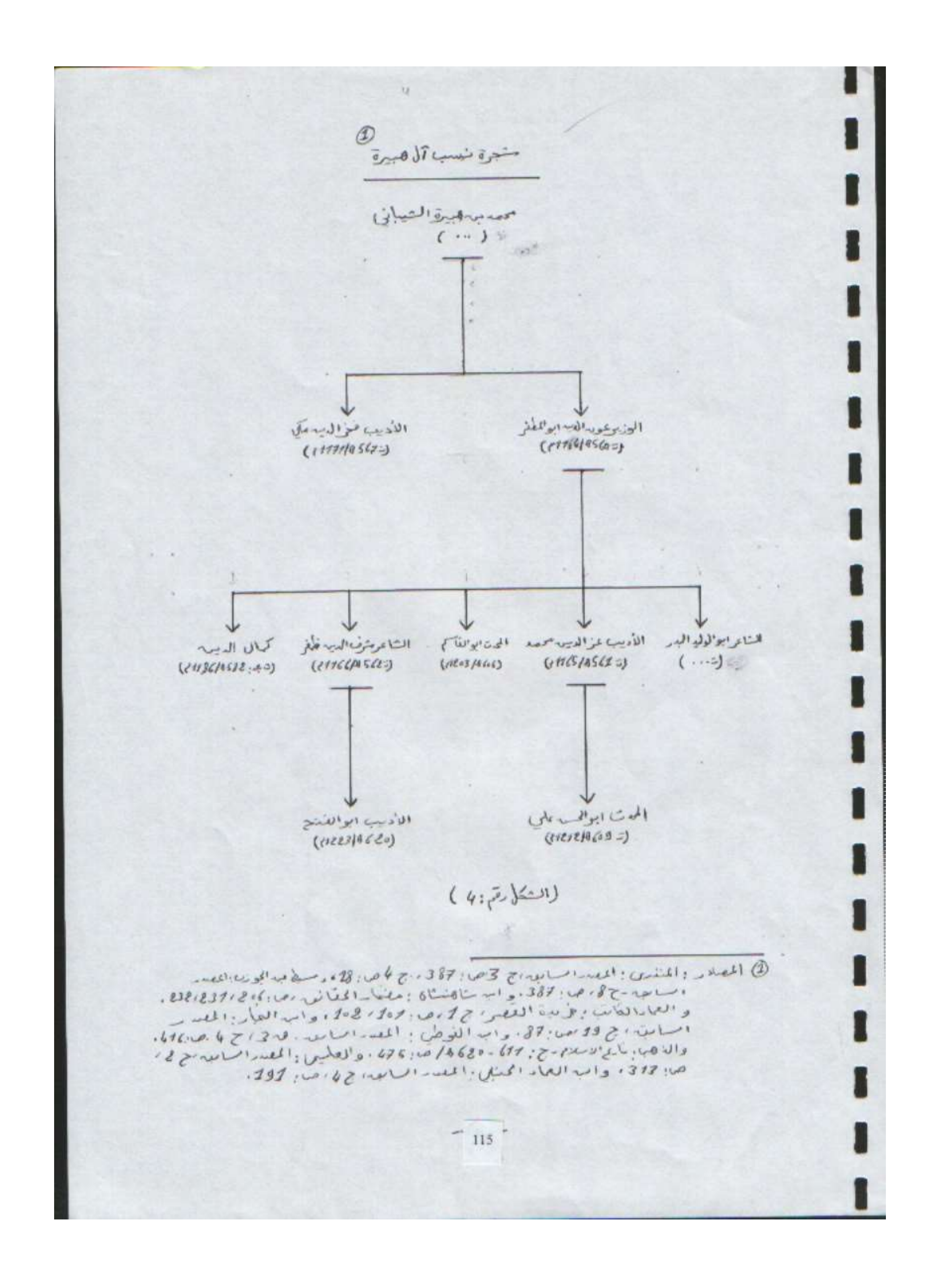
[8] ابن خلكان : المصدر السابق : ج 6 ص :230 . و ابن العماد الحنبلي : نفس المصدر ج4 ص :191 192 .

[9] ج 1 ص : 101 و ما بعدها .

[10] عندما توفي نكل خصومه في الدولة بأسرته . ابن الجوزي : المصدر السابق ج 10 ص : 218 220 .



①
شجرة نسب آل شافع
(الشكل رقم: 3)
الفقيه شافع بن صالح
(ت 480هـ/1087م)
الفقيه صالح بن شافع
(ت 543هـ/1148م)
الفقيه ابو الفرج محمد
(ت 543هـ/1148م)
المؤرخ ابو الفضل احمد
(ت 563هـ/1168م)
ابو محمد شافع
(...)
المحدث فخر الدين محمد
(ت 627هـ/1229م)
لبابة ام الفضل
(ت 626هـ/1229م)
① المصادر: ابن رجب: المصدر السابق، ج 1، ص: 213، 214، وج 2، ص: 75. والذهبي: تاريخ الاسلام، ج: 611-620هـ/475. وابن خلكان: المصدر السابق، ج 6، ص: 30.
وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج 4، ص: 167، 198، ج 5، ص: 126. وابن الدبيثي:
ذيل تاريخ بغداد ج 1 ص: 157، 292.
114



①
شجرة نسب آل هبيرة
محمد بن هبيرة الشيباني
(...)
الوزير عون الدين أبو المظفر
الأديب فخر الدين مكي
الشاعر أبو الوليد البدر
(...)
الأديب عز الدين محمد
المحدث أبو القاسم
الشاعر شرف الدين ظفر
كمال الدين
المحدث أبو الحسن علي
الأديب أبو الفتح
(الشكل رقم: 4)
① المصادر: المنذري: المصدر السابق، ج 3، ص: 387، ج 4، ص: 28، وسبط ابن الجوزي: المصدر السابق، ج 8، ص: 387، وابن شاهنشاه: مضمار الحقائق، ص: 216، 231، 232، والعماد الكاتب: خريدة القصر، ج 1، ص: 101، 102، وابن النجار: المصدر السابق، ج 19، ص: 87، وابن الفوطي: المصدر السابق، ق 3، ج 4، ص: 616، والذهبي: تاريخ الإسلام، ج: 611-620هـ، ص: 476، والعليمي: المصدر السابق، ج 2، ص: 317، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج 4، ص: 191.
115

و السادس بيت الشيخ عبد القادر الجيلاني[1] ، معروف بالعلم و التصوف ، مؤسسه الفقيه الصوفي عبد القادر بن أبي صالح الجيلي ثم البغدادي(ت561 هـ/1165م) ، الذي تفرغ للعلم و التربية ، واتخذ من مدرسته و رباطه مقرا له ،فقصده الطلاب و المريدون من مختلف الأمصار ، و له مصنفات في التصوف و الوعظ منها : الغنية لطالبي الحق ، و فتوح الغيب[2]،بعد وفاته خلفه أولاده و أحفاده (انظر الشكل رقم: 5) في إدارة مدرسته و رباطه[3] ، ومن أبنائه النجباء الفقيه أبو بكر عبد الرزاق ،و الفقيه أبو محمد عبد الوهاب ، ومن أحفاده المشهورين فاضي القضاة عماد الدين نصر بن عبد الرزاق[4] .

و السادس بيت ابن الجوزي ، مشهور بالعلم و التقدم و ذائع الصيت في العراق ، مؤسسه الفقيه المؤرخ عبد الرحمن بن الجوزي ،له مشاركة قوية في العلوم ، و زادت مصنفاته عن 350 كتابا[5]، وأشهر أولاده(انظر الشكل رقم:6 ص:) الفقيه محي الدين يوسف ،تولى مناصب في الدولة العباسية منها : الحسبة ،و أستاذ دار الخلافة ،. و درس للحنابلة في المستنصرية ، والبشيرية ، والشاطئية[6] هو وأبناؤه الثلاثة : حمال الدين و شرف الدين و تاج الدين[7]، لكن أسرته لم تستمر في نشاطها العلمي طويلا لأن المغول نكبوها في واقعة بغداد سنة 656 هـ/1258م ،قتلوه هو و أولاده الثلاثة[8] .

و آخرها بيت طلحة العلثي[9]نسبة للفقيه المفسر تقي الدين طلحة بن مظفر العلثي (ت593 هـ/1196 م)، له زاوية و أتباع كثيرون يشرف عليهم ، و له ثلاثة أولاد كلهم محدثون هم : عبد

---

[1] انظر الشكل رقم: 5 .

[2] ابن كثير : المصدر السابق مج 6 ص :798 ط د المعرفة .

[3] عنهما انظر مبحث المدارس من الفصل الثاني .

[4] انظر الشكل رقم: 5 .

[5] عنها انظر المبحث الأول من الفصل الخامس .

[6] عن هذه المدارس انظر مبحث المدارس من الفصل الثاني .

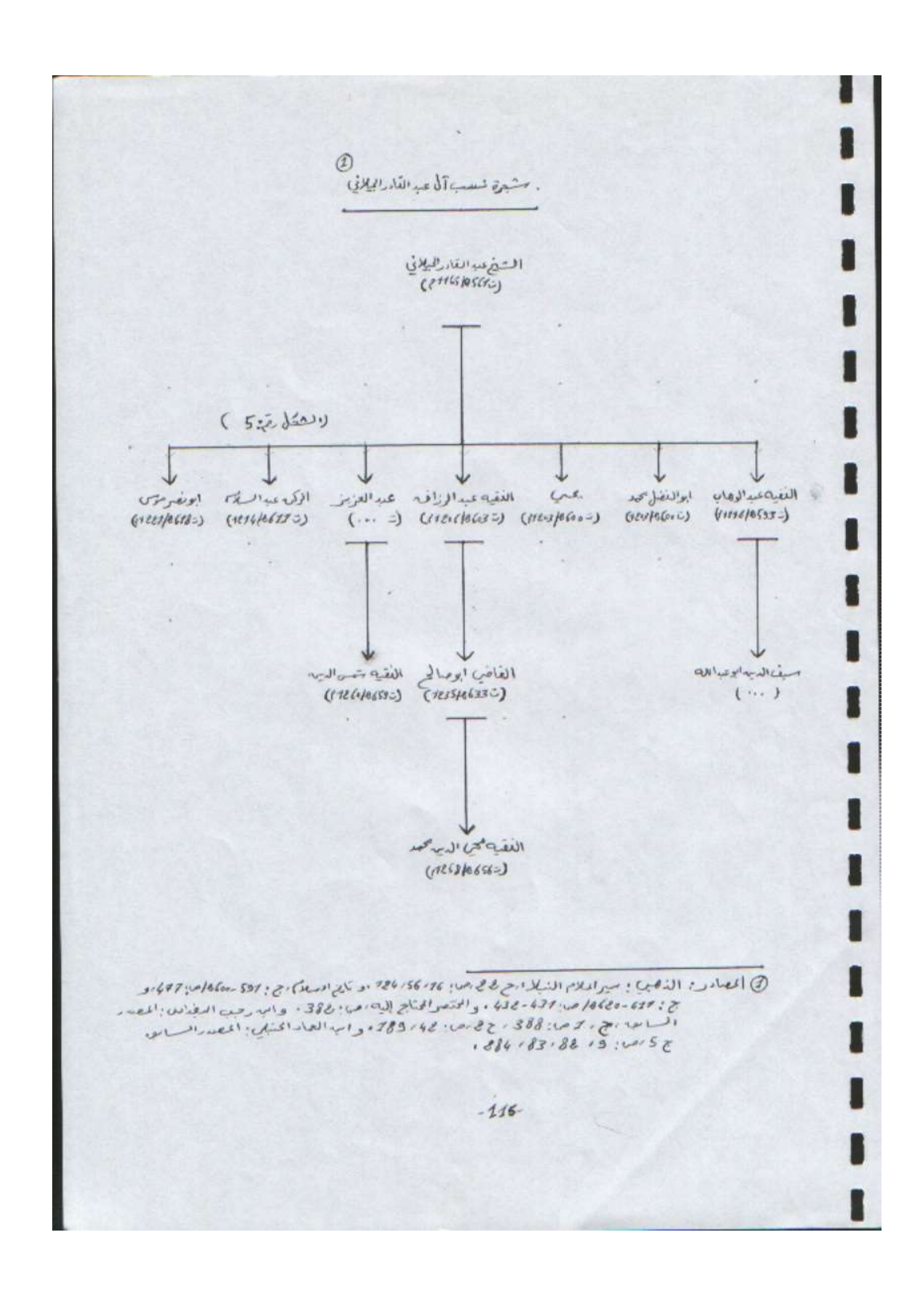
[7] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :259 252 .

[8] ذلك هو المشهور عن هؤلاء ،انظر مثلا :الذهبي :سير أعلام النبلاء ج 23 ص:375 . و اليونيني : المصدر السابق ج 1 ص :340-341 . و ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص :211 . لكن مؤرخ المغول رشيد الدين ذكر أن المغول لم يقتلوا شرف الدين ، وإنما أخذوه معهم عندما غادروا بغداد ، و لام يذكر مصيره . جامع التواريخ : ق 2 ج 1 ص :269 270 296 .

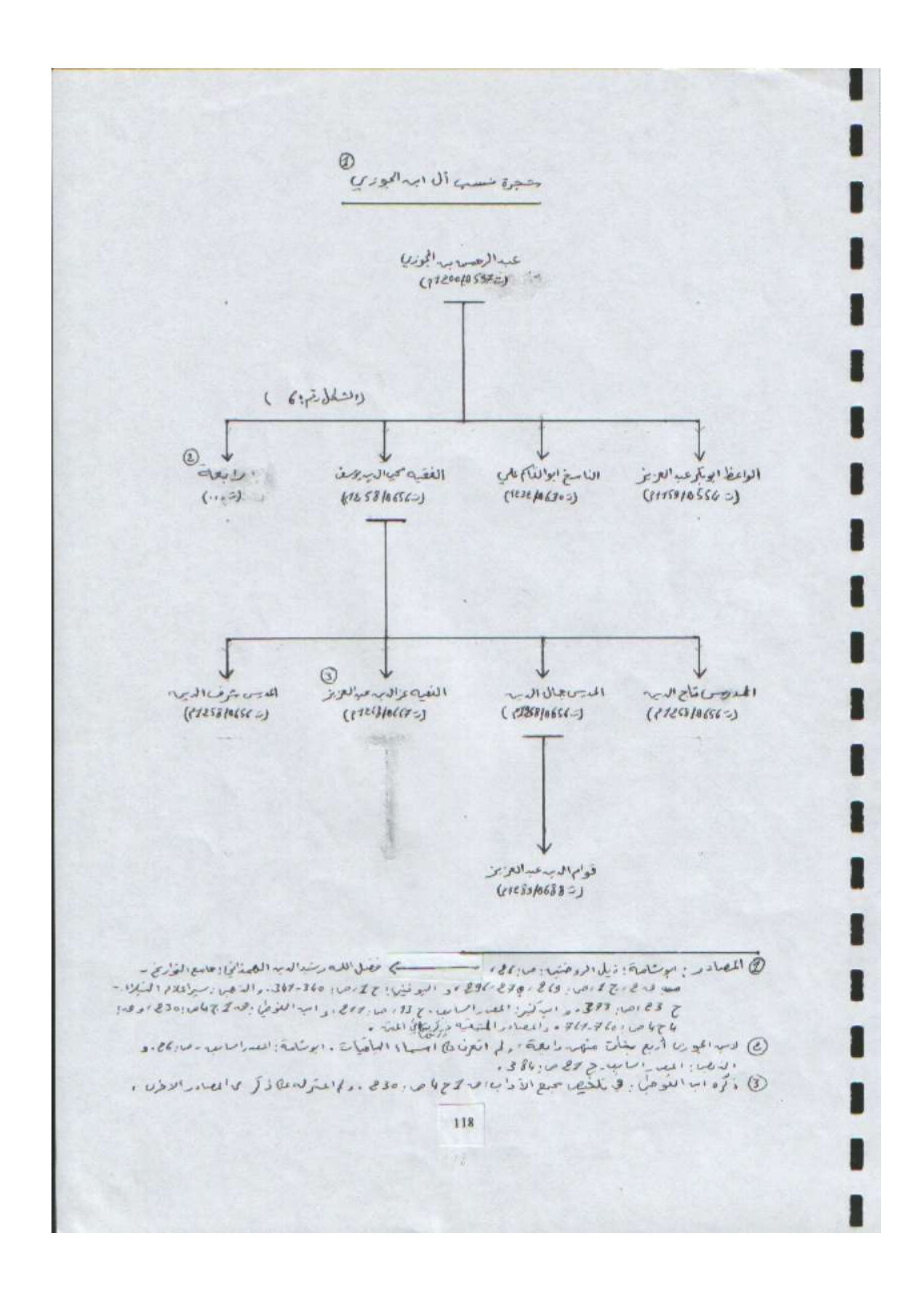
[9] نسبة لقرية العلث ، من قرى ضواحي بغداد .ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص:390 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص : 313 .

الرحمن ، و مظفر ، و مكارم[1]. وهذا بيت صغير لم اعثر له على إنتاج علمي،و لا على أفراد أخرين من المشتغلين بالعلم .

[1] ابن رجب : المصدر السابق ج1 ص :391 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص :313 .



①
شجرة نسب آل عبد القادر الجيلاني
الشيخ عبد القادر الجيلاني
(الشكل رقم 5)
الفقيه عبد الوهاب
أبو الفضل محمد
يحيى
الفقيه عبد الرزاق
عبد العزيز
الركن عبد السلام
أبو نصر موسى
سيف الدين أبو عبد الله
القاضي أبو صالح
الفقيه شمس الدين
الفقيه محيي الدين محمد
-116-


(1)
شجرة نسب آل ابن الجوزي
عبد الرحمن بن الجوزي
(ت: 597هـ/1200م)
(الشكل رقم: 6)
الواعظ أبو بكر عبد العزيز
(ت: 556هـ/1159م)
الناسخ أبو القاسم علي
(ت: 630هـ/1232م)
الفقيه محيي الدين يوسف
(ت: 656هـ/1258م)
(2) رابعة
(ت: ...)
المدرس تاج الدين
(ت: 656هـ/1258م)
المدرس جمال الدين
(ت: 656هـ/1258م)
(3) الفقيه عز الدين عبد العزيز
(ت: 667هـ/1268م)
المدرس شرف الدين
(ت: 656هـ/1258م)
قوام الدين عبد العزيز
(ت: 688هـ/1289م)
(1) المصادر: أبو شامة: ذيل الروضتين: ص: 26، فضل الله رشيد الدين الهمذاني: جامع التواريخ، ... اليونيني: ج 2، ص: 360-367، والذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 23، ص: 372، وابن كثير: المصدر السابق، ج 13، ص: 211، وابن الفوطي: ج 1، ق 4، ص: 230 ... والمصادر المتبقية ... المتن.
(2) لابن الجوزي أربع بنات منهن رابعة، لم أتعرف على أسماء الباقيات. أبو شامة: المصدر السابق، ص: 26، والذهبي: المصدر السابق، ج 21، ص: 384.
(3) ذكره ابن الفوطي: في تلخيص مجمع الآداب، ج 1 ق 4 ص: 230، ولم أعثر له على ذكر في المصادر الأخرى.
118

و أشير هنا إلى أن علماء الحنابلة البغداديين المنتسبين إلى الأسرتين العلوية و العباسية قليل جدا ،إذ لم أعثر على من ينتسب منهم إلى العلويين إلا على اثنين فقط ،واحد متفق على حنبليته ، و الأخر مختلف فيها، الأول هم المقرئ الفقيه أبو الحسن علي بن ما شاء الله العلوي الحسيني المعروف بابن الجصاص[1](ت642 هـ/1246م) .و الثاني الفقيه تاج العارفين أبو الوفاء محمد بن محمد العلوي الحسيني(ت501 هـ/1107م) اختلف في مذهبه ، أهو حنبلي ، أم شافعي ؟ و التحقيق في الأمر أنه هو شخصيا لم يذكر لنفسه مذهبا ، وله شيوخ من الحنابلة و الشافعية ، و لم يترجم له ابن رجب الحنبلي في كتابه الذيل على طبقات الحنابلة ، لاضطراب أمره ،لكن مجير الدين العليمي ترجم له في كتابه المنهج الاحمد في تراجم أصحاب الإمام احمد ،و ترجح لديه أنه حنبلي ، لأن كبار علماء الحنابلة اعتنوا بأمره وبالغوا في الثناء عليه ، وذكروا له مناقب لم يذكرها عنه أحد من الشافعية، ولأن من تلاميذه الصوفي الحنبلي جاكير محمد بن دشم الكردي[2](ت590 هـ/1193م) .

و أما عن علماء الحنابلة من البيت العباسي فهم أكثر عددا من العلويين ، منهم شيخ الحنابلة أبو جعفر بن أبي موسى(ت470 هـ/1077م)، و الفقيه الأديب أبو علي الحسن بن جعفر (ت554 هـ/1159م)،و الأديب الخطيب أبو المظفر محمد بن احمد (ت 555 هـ/1160م) ،و الفقيه الخطيب أبو العباس احمد بن أكمل بن مسعود [3](ت634 هـ/1236م) .

و يستنتج مما ذكرناه عن أشهر الأسر العلمية الحنبلية في بغداد ، أن معظمها لم يعمر طويلا ، ولم يبرز فيها علماء كبار كثيرون ،ما عدا أسرة ابن الجوزي ، فهي و إن لم تستمر طويلا في نشاطها العلمي فإن كبيرها عبد الرحمن بن الجوزي قد خلد اسمها بإنتاجه العلمي الغزير الذي ما يزال الناس ينتفعون به إلى اليوم . وأما بيت عبد القادر الجيلاني فأن ذريته ما تزال تشرف على مدرسته إلى وقتنا الحاضر[4] .

ثانيا : في حران

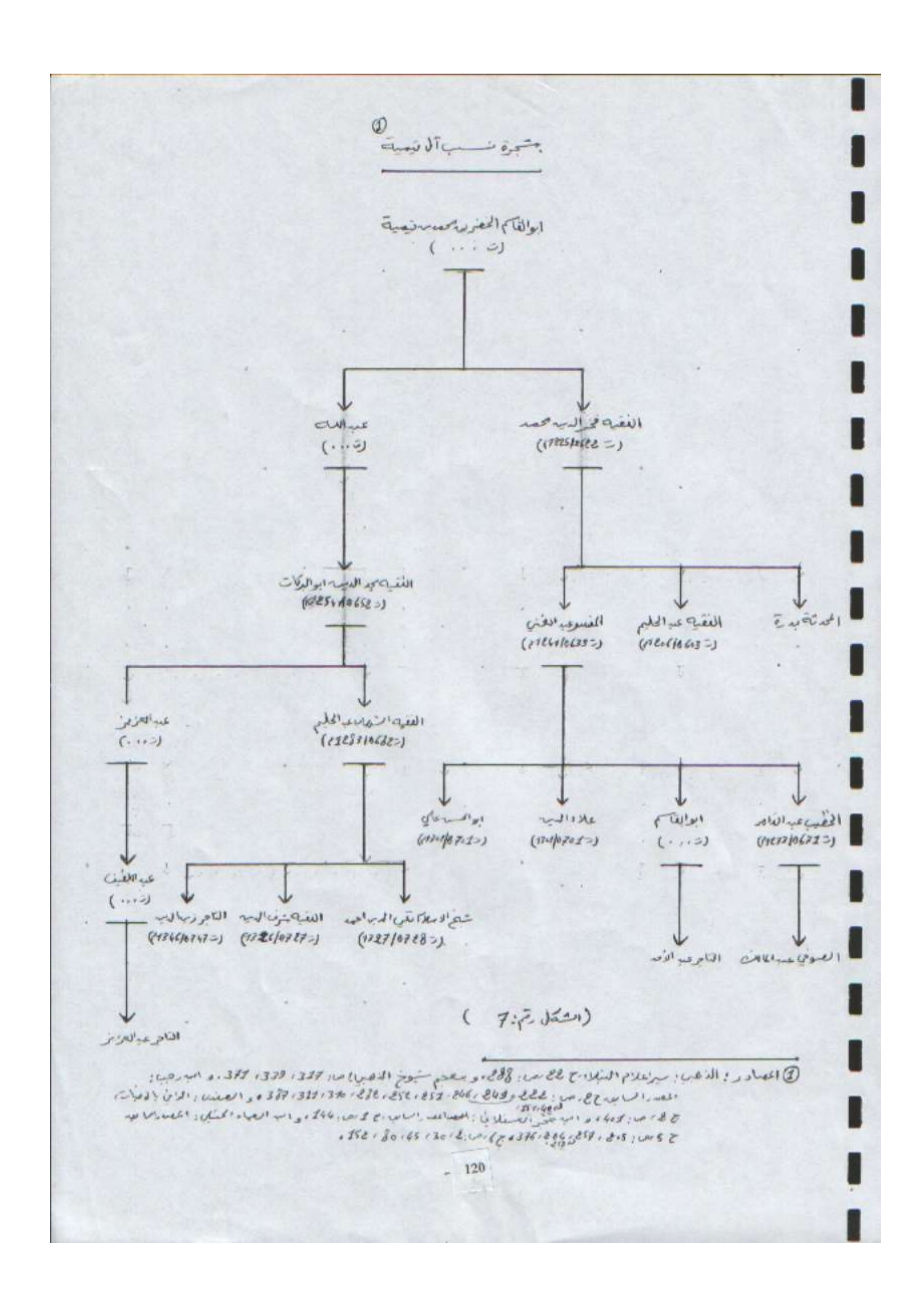
تعد أسرة ال تيمية اشهر الأسر العلمية الحنبلية بمدينة حران، عرفت بالفقه و الحديث ، و الخطابة و مشاركتها القوية في مختلف العلوم ، وقد برز فيها أعلام كبار(انظر الشكل رقم: 7 ص:)،ساهموا

[1] العليمي : المنهج الأحمد ج 2 ص :186 .

[2] نفسه ج 2 ص :186 .

[3] عن هؤلاء انظر ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :20 233 238 و ج 2 ص :201 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص :167 171 175 .

[4] عن ذلك انظر المبحث الثاني من الفصل الثاني .


شجرة نسب آل تيمية
ابو القاسم الخضر بن محمد بن تيمية
(ت ...)
الفقيه فخر الدين محمد
(ت 622هـ/1225م)
عبد الله
(ت ...)
الفقيه مجد الدين ابو البركات
(ت 652هـ/1254م)
المفسر عبد الغني
(ت 639هـ/1241م)
الفقيه عبد الحليم
(ت 603هـ/1206م)
المحدثة بدرة
عبد العزيز
(ت ...)
الفقيه شهاب الدين عبد الحليم
(ت 682هـ/1283م)
ابو الحسن علي
(ت 701هـ/1301م)
علاء الدين
(ت 701هـ/1301م)
ابو القاسم
(ت ...)
الخطيب عبد القاهر
(ت 672هـ/1273م)
عبد اللطيف
(ت ...)
التاجر زين الدين
(ت 747هـ/1346م)
الفقيه شرف الدين
(ت 727هـ/1326م)
شيخ الاسلام تقي الدين احمد
(ت 728هـ/1327م)
التاجر عبد الأحد
الصوفي عبد الخالق
التاجر عبد العزيز

(الشكل رقم: 7)

فاعلية في ازدهار الحياة العلمية بحران ، و تولوا إمامة و خطابة جامع حران ،واثروا المكتبة الإسلامية عامة و الحنبلية خاصة بمؤلفات قيمة كمنتقى الأخبار ،و المحرر في الفقه ، و المسودة في أصول الفقه ، ومنهاج السنة النبوية ، ودرء تعارض العقل و النقل[1] ، منهم الفقيه فخر الدين بن تيمية ،و ولداه الفقيه أبو محمد عبد الحليم ، و المفسر عبد الغني ، و الفقيه مجد الدين أبو البركات ، و ابنه شهاب الدين عبد الحليم ، و حفيده شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس(انظر الشكل رقم: 7) .

و تعد أسرة آل تيمية الوحيدة من بين الأسر العلمية الحنبلية، التي جمعت بين العلوم الشرعية و العقلية–علوم الأوائل–، و جعلت المرجعية للكتاب و السنة في توجيه الفكر و السلوك و التحكم فيهما بطريقة سليمة حكيمة تثير الاعجاب و التقدير ، و قد تجلى ذلك بوضوح في كتاب موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول لتقي الدين ابن تيمية . كما يلاحظ على هذا البيت قلة نسائه العالمات المشهورات إلى المقادسة الصالحيين مثلا[2] إذ لم أعثر إلا على اثنتين فقط هما المحدثة بدرة بنت فخر الدين ، و المحدثة زينب بنت عبد الله بن عبد الحليم [3] .و قد اضطر ال تيمية إلى ترك بلدهم حران و الهجرة إلى دمشق هربا من المغول سنة 667 هـ[4]/1268م ،فلما استقروا بها ساهموا بقوة في تنشيط الحياة العلمية بها ،في مقدمتهم تقي الدين بن تيمية و تلامذته[5]،لكن دور هم العلمي ضعف كثيرا ، ولم يبرز فيهم عالم بارع بعد وفاة تقي الدين بن تيمية سنة 728 هـ/1327م .

ثالثا: في دمشق

اشتهرت في مدينة دمشق عشر اسر علمية حنبلية ، أولها بيت ابن الحنبلي[6] مؤسسه الفقيه عبد الواحد بن احمد الشيرازي ثم الدمشقي نشر المذهب الحنبلي بدمشق ، وعرف أحفاده بها ببني الحنبلي(انظر الشكل رقم: 8) نسبة لابنه الفقيه شرف الإسلام عبد الوهاب المعروف بابن الحنبلي[7].و قد ظهر في هذا البيت علماء كبار كان لهم أثر كبير في الحياة العلمية بدمشق ، منهم القاضي عبد الملك بن عبد الوهاب ، و ناصح الدين بن عبد الوهاب الذي انتهت إليه رئاسة المذهب

---

[1] عن ذلك انظر تراث الحنابلة العلمي في الفصل الخامس .

[2] انظر مبحث نساء عالمات حنبليات من هذا الفصل .

[3] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص:258-259 ، و ج 6 ص :358 .

[4] ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص :255 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 311 .

[5] الذهبي : الأمصار ذوات الآثار ص:166 .

[6] انظر الشكل رقم: 8 .

[7] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :237 . و العليمي : المصدر السابق ج 2 ص :249-250 .

الحنبلي بعد الموفق بن قدامة المقدسي[1] ،ومن مفاخر بيت ابن الحنبلي أن فيه عالمتين معروفتين هما : الفقيهة الثرية أمة اللطيف بنت ناصح الدين ،أنشأت مدرسة للحنابلة و كانت لها مصنفات[2] . و الثانية المحدثة الكاتبة أمة الكريم بنت ناصح الدين،تولت مشيخة رباط بلدق بدمشق[3] .و من ماثره كذلك أنه أقدم أسرة علمية حنبلية بدمشق ، و أول من بني مدرسة للحنابلة بها [4] ،و استمر في نشاطه العلمي أكثر من 250 سنة ابتداء من مؤسسه و انتهاء بالفقيه يوسف بن يحيى بن ناصح الدين(ت751 هـ/ 1350م)[5] .

و الثانية ال ابن المنجا نسبة لجدهم المنجا بركات بن المؤمل التنوخي، وقد ظهر فيهم أعلام مشهورون[6] جمعوا بين العلم و الدين ، و الرياسة و الثروة ، منهم القاضي الثري صدر الدين أسعد، واقف المدرسة الصدرية[7]،و الفقيه التاجر زين الدين بن المنجا ،و الفقيه الثري أبو المعالي وجيه الدين ناظر جامع دمشق ، و المحدثة ست الوزراء بنت عمر ، روت كتبا في الحديث منها صحيح البخاري[8]، و قد استمر بيتهم في نشاطه العلمي أثر من 200 سنة ،ابتداء من القاضي أسعد بن المنجا ، إلى قاضي القضاة صلاح الدين محمد(انظر الشكل رقم: 9) .

و الثالثة أسرة ال قدامة من المقادسة الصالحيين ،أصلهم من قرية جماعيل بنابلس ، هاجروا إلى دمشق هربا من الصليبيين، يتقدمهم كبيرهم الفقيه الخطيب أبو العباس احمد بن محمد بن قدامة المقدسي[9](558 هـ/1162م) ، وصلوا إلى دمشق سنة 551هـ/1156م ، ومعهم عبد الواحد بن علي ين سرور و

---

[1] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :195 .

[2] ابن كثير : البداية ج 13 ص :170 171 .

[3] الصفدي : الوافي بالوفيات ج 9 ص :387 .

[4] عنها انظر مبحث المدارس من الفصل الثاني .

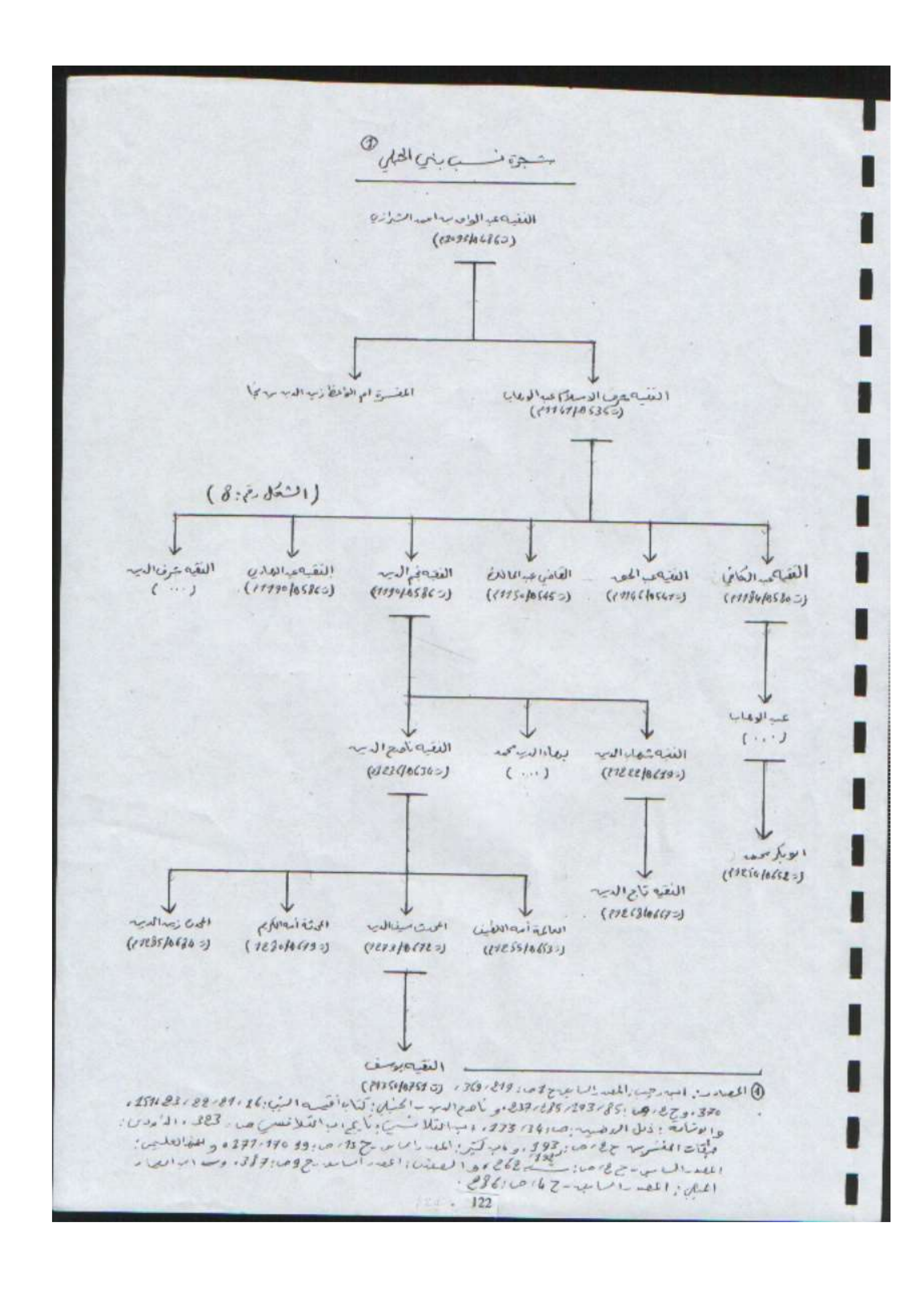
[5] ناصح الدين بن الحنبلي : أقيسة النبي (ص) حققه احمد حسن جابر و علي احمد الخطيب ،ط 1 القاهرة ، دار الكتب الحديثة ، 973 ص : 23 .

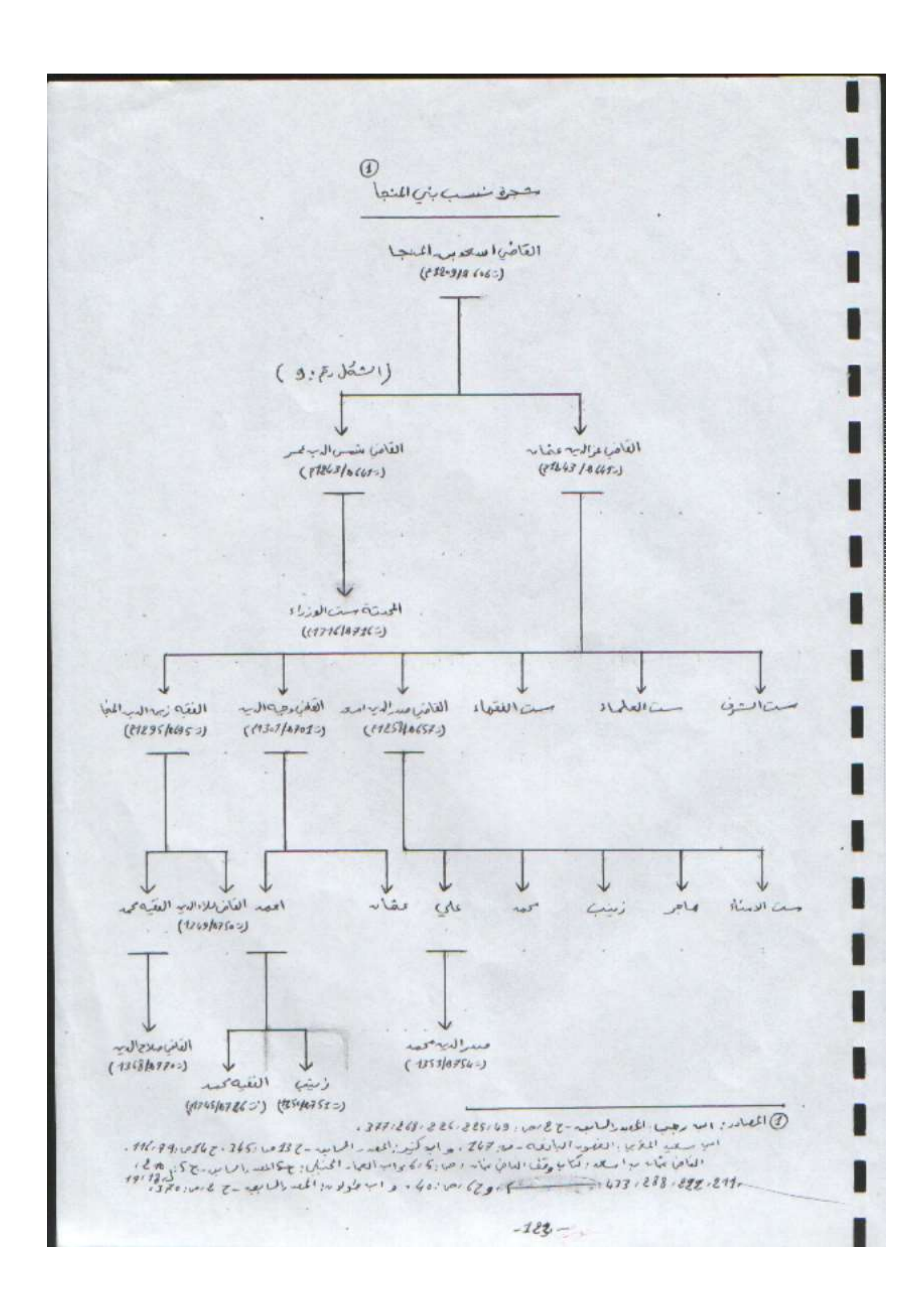
[6] انظر الشكل رقم : 9 .

[7] عنها انظر مبحث المدارس من الفصل الثاني :

[8] الذهبي : سير أعلام النبلاء –الجزء المفقود – حققه عبد السلام محمد عمر علوش ط1 بيروت دار الفكر 1997 ص :421 .وابن تغري بلدي : الدليل الشافي ج 1 ص : 312 .

[9] فر من الصليبيين لأنهم حدوا من نشاطه ، وسعوا في قتله ابن رجب : المصدر السابق ج 2 57 61 . وابن طولون : المصدر السابق ج 1 ص :27 29 30 . وابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :386 .


شجرة نسب بني الحنبلي
الفقيه عبد الواحد بن أحمد الشيرازي
الفقيه شرف الإسلام عبد الوهاب
(الشكل رقم: 8)
الفقيه نجم الدين
القاضي عبد الملك
الفقيه شرف الدين
الفقيه ناصح الدين
بهاء الدين محمد
الفقيه شهاب الدين
عبد الوهاب
أبو بكر محمد
الفقيه تاج الدين
المحدث زين الدين
المحدثة أمة الكريم
المحدث سيف الدين
العالمة أمة اللطيف
الفقيه يوسف
122


شجرة نسب بني المنجا
(الشكل رقم: 9)
القاضي أسعد بن المنجا
القاضي عز الدين عثمان
القاضي شمس الدين عمر
ست الوزراء
ست الشرف
ست العلماء
ست الفقهاء
زينب
علي
عثمان
أحمد
الفقيه محمد

أولاده ، ثم التحق بهم مقادسة أخرون سنة 552هـ/1157[1]م ، و نزلوا في دمشق بمسجد أبي صالح ،ثم انتقلوا إلى الصالحية و فيها استقر بهم المقام[2].و يمثل بنو قدامة مع ال سرور و ال السعدي أكثر المقادسة الصالحيين ،عددا و تأثيرا ، و هم متداخلون أسريا بالمصاهرة[3] ،وكان لهم دور كبير في تنشيط الحركة العلمية الحنبلية بدمشق وتقويتها ، فنشروا المذهب الحنبلي، و بنوا المدارس و المساجد ، و تولوا القضاء ،و أعطوا دفعا قويا لعلوم الأثر[4]،و استمر عطاؤهم العلمي نحو 350 عاما من أواسط القرن السادس الهجري/12م ، إلى العاشر الهجري/16م برز فيهم خلالها أكثر من 115 عالما و عالمة[5] .

و ينقسم بنو قدامة إلى فرعين رئيسيين ، الأول فرع من ذرية يوسف بن محمد بن قدامة ، ويعرف بال عبد الهادي[6] ، و الثاني فرع من ذرية احمد بن محمد بن قدامة ، ويعرف بال قدامة ، فالفرعان ينتهيان إلى الأخوين يوسف و احمد ابني محمد بن قدامة كما هو مبين في الشكلين رقم: 10 و 11 . فبالنسبة لبني قدامة فقد ظهر فيهم أكثر من 25 عالما و عالمة في نحو قرنين من الزمن ، و تولى بعضهم قضاء القضاة بمصر و الشام[7] ، و أكثرهم تأثيرا من حيث الانتاج العلمي الفقيه موفق الدين ، فهو و إن كان نسله قد انقطع مبكرا ،فقد أثرى الفقه الحنبلي بمصنفات لها مكنة مرموقة عند الحنابلة ، كالمغني في شرح مختصر الخرفي ، و المقنع .[8]

والرابعة أسرة بني عبد الهادي ، نسبة للفقيه عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة [9]، و هم من بيت الحديث و الفقه ،من أعلامهم المعرفين عماد الدين عبد الحميد ، و الفقيه الخطيب أبو عبد الله محمد بن عبد الهادي ، و المحدثة هدية بنت عبد الحميد ، و الفقيه المحقق محمد بن اجمد بن عبد الهادي[10] ،و يعد هذا الأخير أكثرهم شهرة و تأليفا إذ زادت مصنفاته عن سبعين كتابا[11] .

---

[1] ابن طولون : نفس المصدر ج 1 ص : 29-30 32 33 .

[2] الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 22 ص: 5 6 .

[3] الذهبي : تاريخ الإسلام ج:621-630هـ/ ص : 59 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :143 .

[4] الذهبي : الأمصار ذوات الآثار ص :163 .

[5] شاكر مصطفى : المرجع السابق ص : 883 .

[6] انظر شجرة نسبهم في الشكل رقم : 11 .

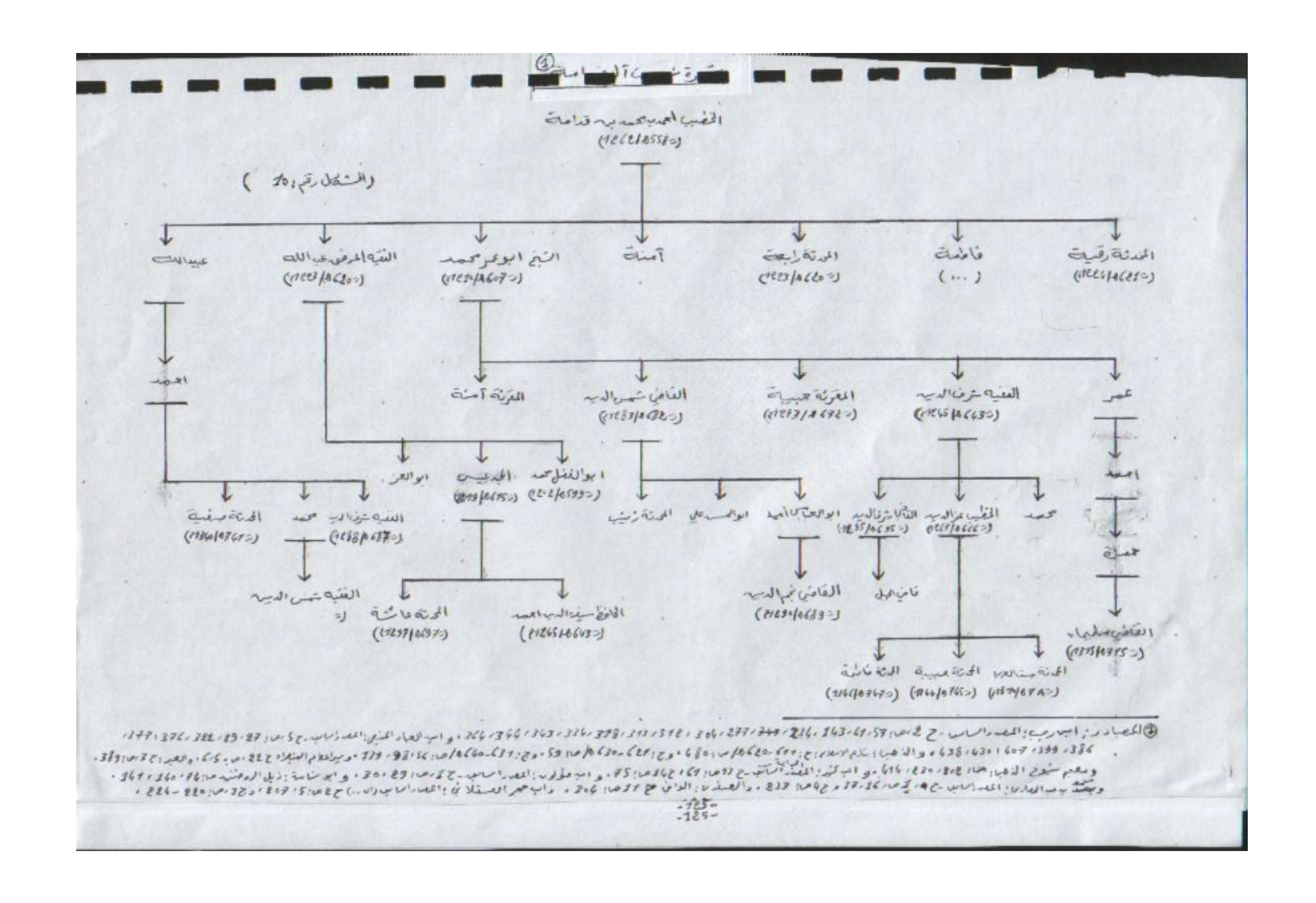
[7] انظر شجرة نسبهم في الشكل رقم : 10 . و انظر كذلك الجدول العام عن الأسر العلمية الحنبلية رقم : 10 .

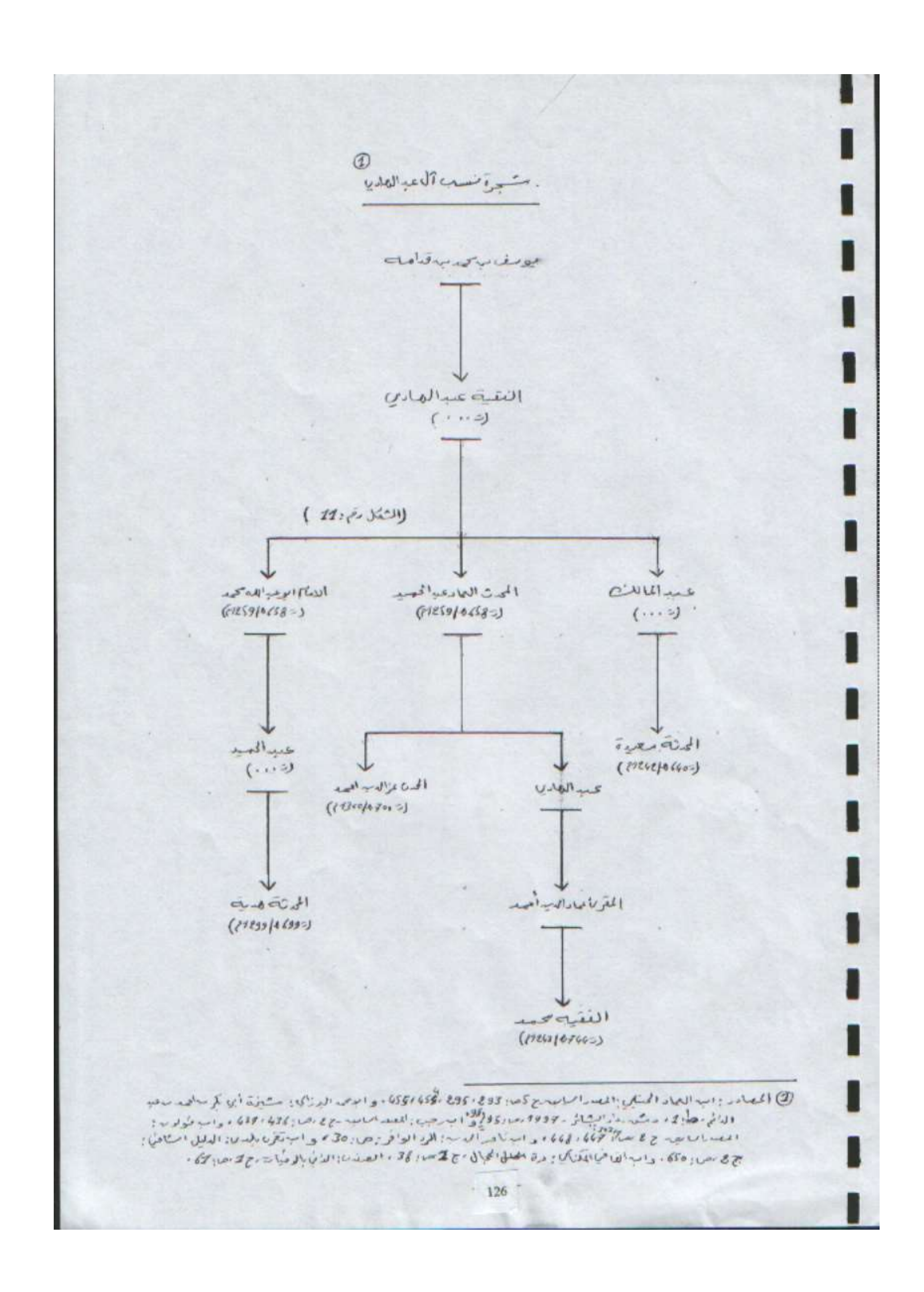
[8] عنها انظر المبحث الثالث من الفصل الخامس .

[9] كان من بين المقادسة الدين هاجروا إلى دمشق ، وتوفي بها لكنني لم أعثر على سنة وفاته . ابن طولون : المصدر السابق ج2 ص 447:

[10] انظر الشكل رقم : 11 .

[11] محمد بن عبد الهادي : المصدر السابق ج 1 ص :32 33 41 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :437 .


الخطيب أحمد بن محمد بن قدامة
(الشكل رقم: 15)
عبدالله
الفقيه الموفق عبدالله
الشيخ أبو عمر محمد
آمنة
المحدثة رابعة
فاطمة
(...)
المحدثة رقية
أحمد
المقرئة آمنة
القاضي شمس الدين
المقرئة حبيبة
الفقيه شرف الدين
عمر
أبو العز
أبو الفضل محمد
المحدثة صفية
أبو العباس أحمد
أبو الحسن علي
المحدثة زينب
محمد
أحمد
حمزة
الفقيه شمس الدين
المحدثة عائشة
الحافظ سيف الدين أحمد
القاضي نجم الدين
القاضي سليمان
المحدثة حبيبة
المحدثة ست العرب


①
شجرة نسب آل عبد الهادي
يوسف بن محمد بن قدامة
الفقيه عبد الهادي
(ت: ...)
(الشكل رقم: 11)
الإمام أبو عبد الله محمد
(ت: 658هـ/1259م)
المحدث العماد عبد الحميد
(ت: 658هـ/1259م)
عبد الملك
(ت: ...)
عبد الحميد
(ت: ...)
المحدث عز الدين أحمد
(ت: 700هـ/1300م)
عبد الهادي
(ت: 640هـ/1242م)
المحدثة هدية
(ت: 699هـ/1299م)
المقرئ عماد الدين أحمد
الفقيه محمد
126

و أما الخامسة هي أسرة آل سرور فرع عبد الواحد (انظر الشكل رقم: 12)، نسبة لعبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي ثم الدمثقي ، و هو الذي بأهله و أولاده مع بني قدامة إلى دمشق ، و قد أخرجت أسرته أكثر من ثلاثة عشر عالما ، في مقدمتهم الحافظ الرحال عبد الغني ، و أخوه الفقيه عماد الدين إبراهيم ، و ابنه المحدث أبو موسى ، و من النساء المحدثة خديجة بنت القاضي شمس الدين ،و المحدثة حبيبة بنت تقي الدين احمد[1] .

و السادسة أسرة ال السعدي[2] نسبة لعبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور السعدي المقدسي ، وهو من المقادسة الذين هاجروا إلى دمشق في الدفعة الثانية سنة 552هـ/1257م وأسرته هذه هي بيت فقه و حديث و أثر ظهر فيها أكثر من عشرة علماء ، في نحو قرنين من الزمن منهم الحافظ الرحال الضياء محمد ، و مسند الشام أبو العباس احمد المعروف بالبخاري ،و ابنه المحدث فخر الدين المعروف بابن البخاري ، و المحدثة المعمرة زينب بنت الكمال ، و أختها المحدثة فاطمة(انظر الشكل رقم:13) .

و السابعة هي أسرة ال عبد الدائم من المقادسة الصالحيين ، ينتسبون للمحدث تاج الدين عبد الدائم بن نعمة بن احمد المقدسي ، و اشتهر بيته بالحديث والرواية ،من أعلامه[3] المحدث الناسخ المعمر زين الدين احمد(575-668هـ/1179-1269م) ،رحل إليه الطلاب من مختلف الأمصار ، و عرف برحلة الشام ، ثم ابنه المسند أبو بكر له مشيخة مشهورة[4] ،ومنهم محدثتان من شيوخ الحافظ شمس الدين الذهبي هما خديجة ملقنة النساء(ت685 هـ/1286م)، و حرمة[5](ت705 هـ/1205) (انظر الشكل رقم 14)

و الثامنة أسرة ال راجح[6] ينتسبون إلى الفقيه الواعظ شهاب الدين محمد بن خلف بن راجح المقدسي ثم الصالحي(550-618 هـ/1155-1221م)، فيهم الفقهاء و المحدثون منهم كبير الأسرة الشهاب محمد ، و الفقيه صلاح الدين موسى و المحدثة اسية بنت الشهاب محمد ، و المحدثة زينب بنت العماد إبراهيم (انظر الشكل رقم: 15)، و هذه الأسرة و إن عمرت أكثر من مائة عام فإن عدد علمائها قليل بالمقارنة إلى الأسر المقدسية الأخرى[7] .

---

[1] انظر الشكل رقم : 12 .

[2] انظر الشكل رقم : 13 .

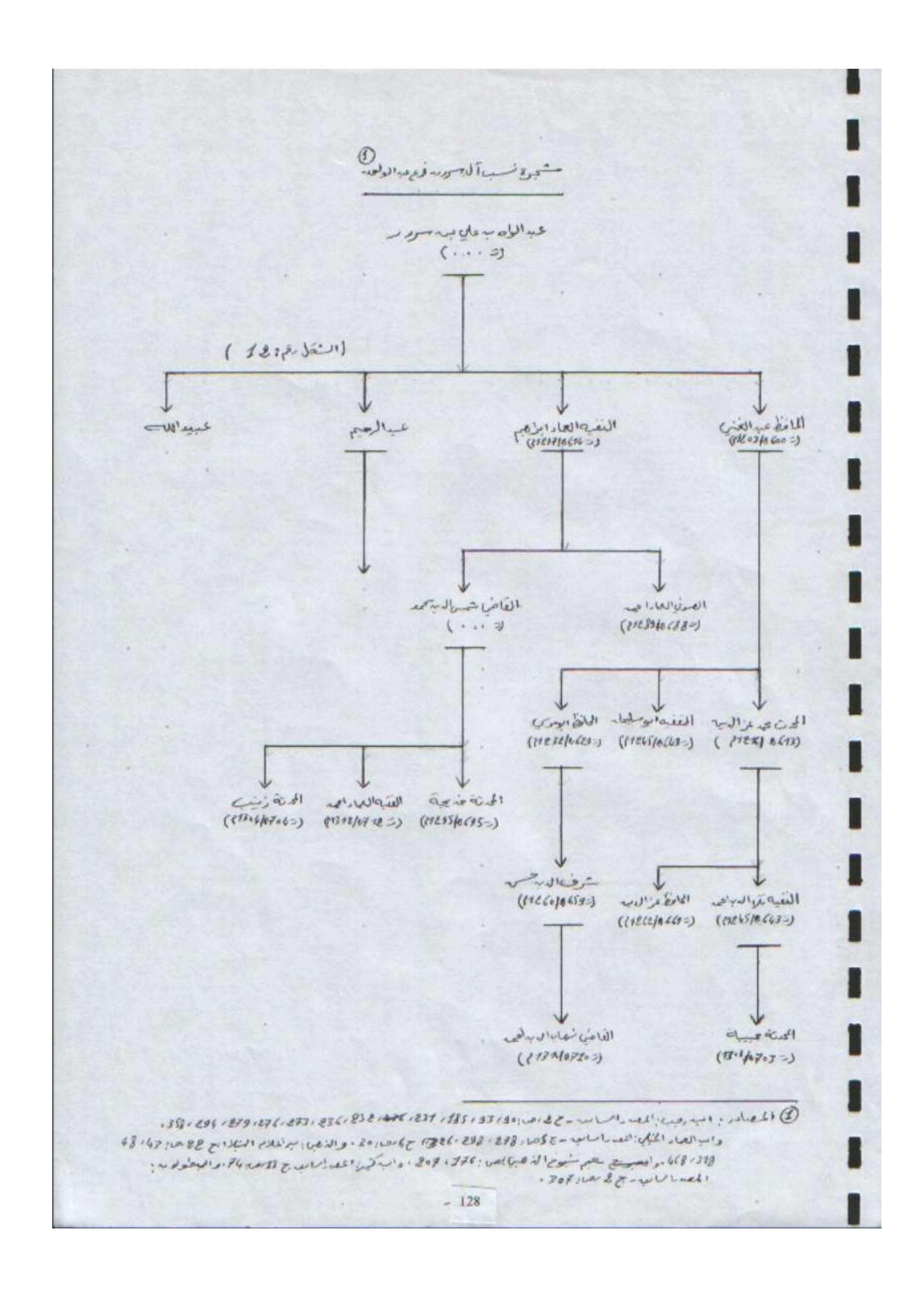
[3] انظر الشكل رقم : 14 .

[4] عنها انظر المبحث الثاني من الفصل الخامس .

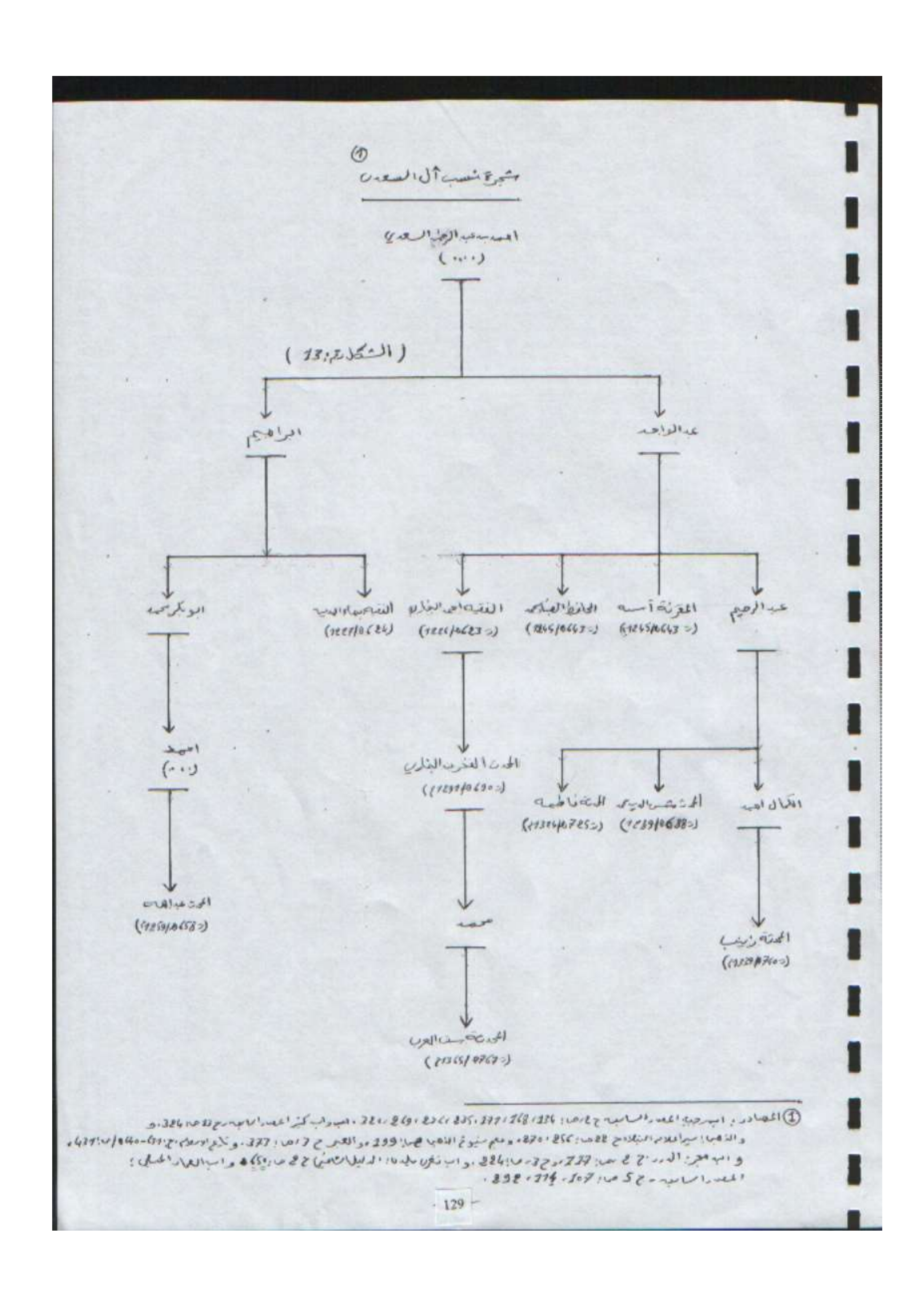
[5] الذهبي : معجم شيوخ الذهبي ص :177 181 .

[6] انظر الشكل رقم : 15 .

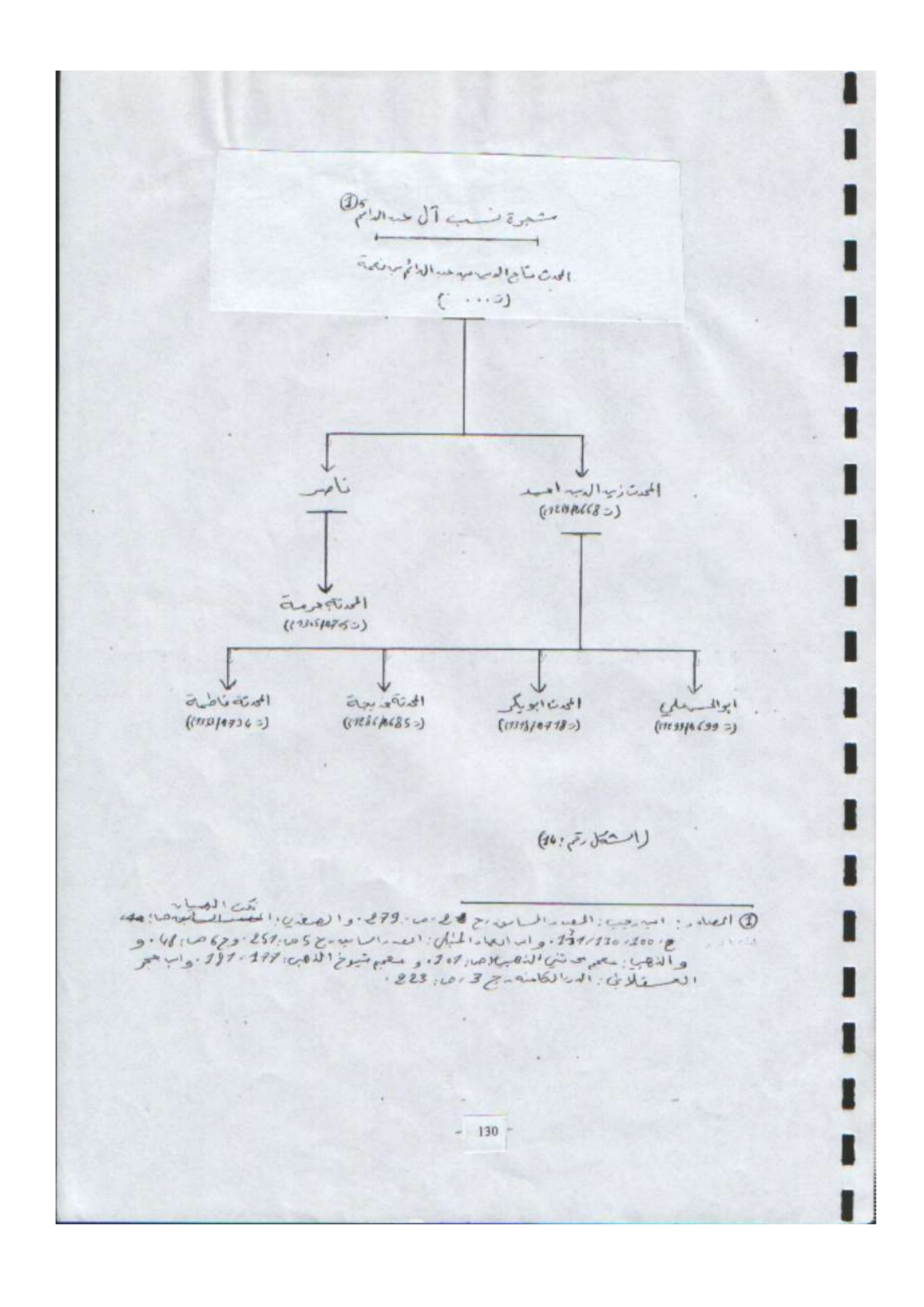
[7] قارن بينها وبين الأسر الأخرى .



شجرة نسب آل سرور فرع عبد الواحد (1)
عبد الواحد بن علي بن سرور
(ت ....)
(الشكل رقم: 12)
الحافظ عبد الغني
(ت600هـ/1203م)
الفقيه العماد إبراهيم
(ت614هـ/1217م)
عبد الرحيم
عبيد الله
الصوفي العماد أحمد
(ت688هـ/1289م)
القاضي شمس الدين محمد
(ت ...)
المحدث محمد عز الدين
(ت613هـ/1216م)
الفقيه أبو سليمان
(ت643هـ/1245م)
الحافظ أبو موسى
(ت629هـ/1232م)
المحدثة خديجة
(ت695هـ/1295م)
الفقيه العماد أحمد
(ت712هـ/1312م)
المحدثة زينب
(ت704هـ/1304م)
الفقيه تقي الدين أحمد
(ت643هـ/1245م)
الحافظ عز الدين
(ت661هـ/1262م)
شرف الدين حسن
(ت659هـ/1260م)
المحدثة حبيبة
(ت703هـ/1303م)
القاضي شهاب الدين أحمد
(ت720هـ/1320م)
(1) المصادر: ابن رجب: المصدر السابق - ج2، ص: 90، 93، 185، 231، 232، 236، 273، 276، 279، 296، 358، وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق - ج5، ص: 278، 298، 326، ج6، ص: 20، والذهبي: سير أعلام النبلاء ج22، ص: 47، 48، 318، 468، وابن ... معجم شيوخ الذهبي: 176، 207، وابن كثير: المصدر السابق ج13، ص: 74، والمخطوط نفسه: المصدر السابق - ج2، ص: 207.
- 128



شجرة نسب آل السعدي
(الشكل رقم: 13)
عبد الواحد
ابراهيم
عبد الرحيم
ابو بكر محمد
احمد
الكمال احمد
المحدثة زينب
الحافظ العلائي
(1245/0643=)
(1239/0688=)



(الشكل رقم: 14)

(1) المصادر: ابن رجب: المصدر السابق، ج 2، ص 279. والصفدي: نكت الهميان، ص 100، 110/ 131. وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج 5، ص 251. وج 6، ص 48. والذهبي: معجم محدثي الذهبي، ص 201. ومعجم شيوخ الذهبي: 196، 197. وابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج 3، ص 223.

و أما التاسعة فهي أسرة ال جبارة[1] نسبة لعبد الولي بن جبارة بن عبد الولي المقدسي ثم الدمشقي ،كانت لهم مساهمة في الحياة العلمية بدمشق ، من أعلامهم المحدث الفرضي أبو محمد عبد الله ،برع في الفرائض و الجبر و المقابلة ، و الثاني الفقيه تقي الدين محمد (انظر الشكل رقم: 16)، و هم من أصغر البيوت العلمية الحنبلية المقدسية ،وأقل تأثيرا من الناحية الثقافية ،إذلم أعثر لهم على أي أثر علمي .

وآخرها بيت ابن الواسطي[2] مؤسسه الفقيه علي بن احمد الواسطي ثم الدمشقي ،له بنتان محدثتان هما :زينب ، و صفية ، وله ابن فقيه هو : تقي الدين إبراهيم الذي له ثلاثة بنات محدثات هن : زينب ، و ست الفقهاء ، وفاطمة ، وقد روى عنهن الحافظ شمس الدين الذهبي في معجم شيوخه[3]، و يعد والدهن تق الدين من كبار المدرسين الحنابلة ،فقد درس في المدرستين العمرية و الصاحبية[4] ، و ولي في أخر عمر مشيخة دار الحديث الظاهرية بدمشق ، وتفرد بعلو الإسناد و كثرة الرويات[5] .

رابعا : في مدن أخرى

وجدت أسر علمية حنبلية أخرى ،سكنت اصفهان ، و نابلس، و همذان، و مصر و القاهرة، و البصرة ، و بعلبك ، فبالنسبة لمدينة اصفهان ، فقد اشتهر فيها بيت ال مندة ،و هو عريق في العلم و الحنبلية، يعود إلى القرن الثالث الهجري[6]/9م، دام نشاطه العلمي أكثر من ثلاثة قرون ،أول أعلامه المحدث عبد الرحمن بن يحيى بن مندة(ت320 هـ/932م)[7]،و أخرهم المسند أبو الوفاء محمود بن إبراهيم قتله المغول

---

[1] انظر الشكل رقم :16 .

[2] انظر الشكل رقم : 17 .

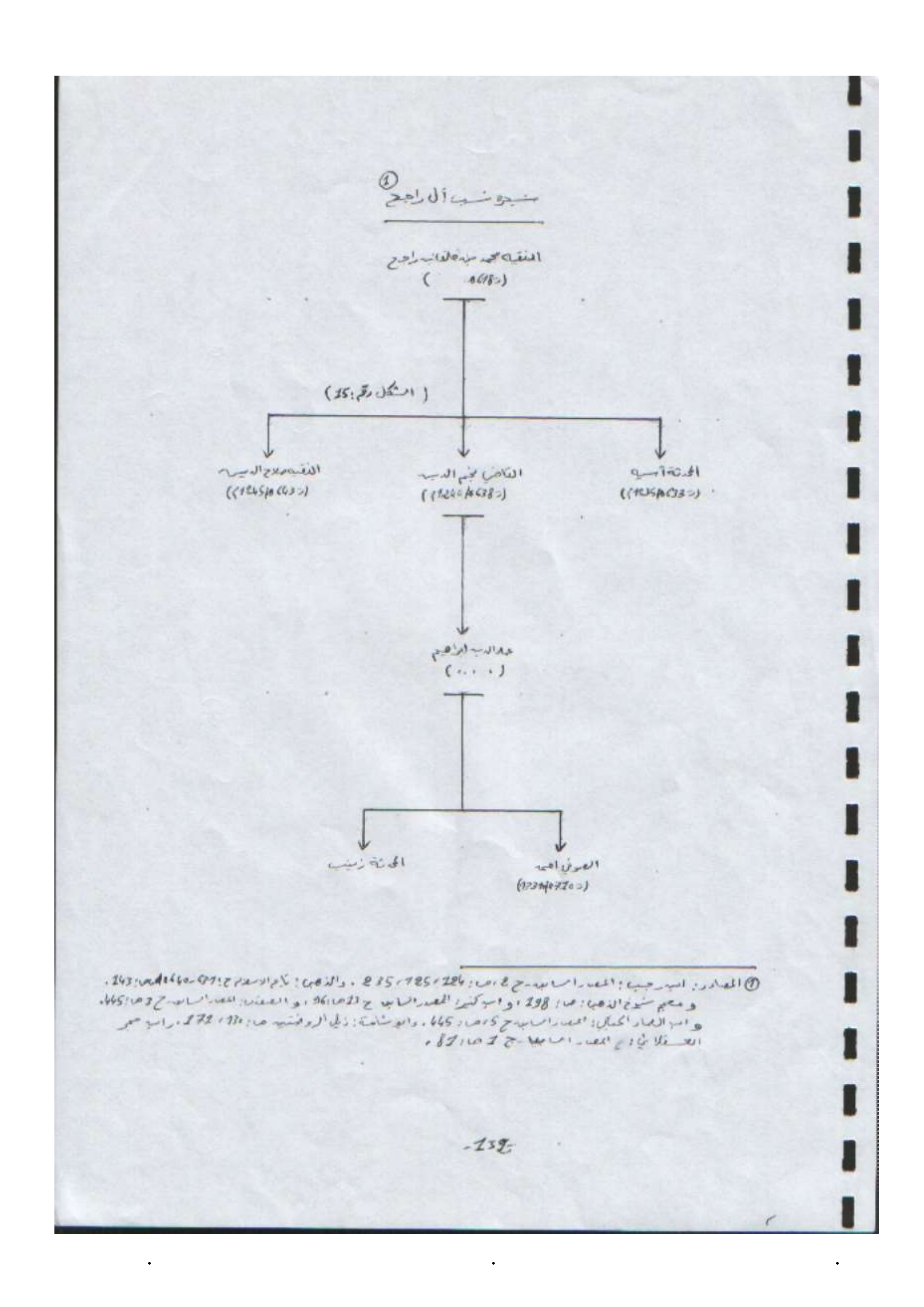
[3] ص : 176 ، و سير أعلام البلاء الجزء المفقود ص :214 .

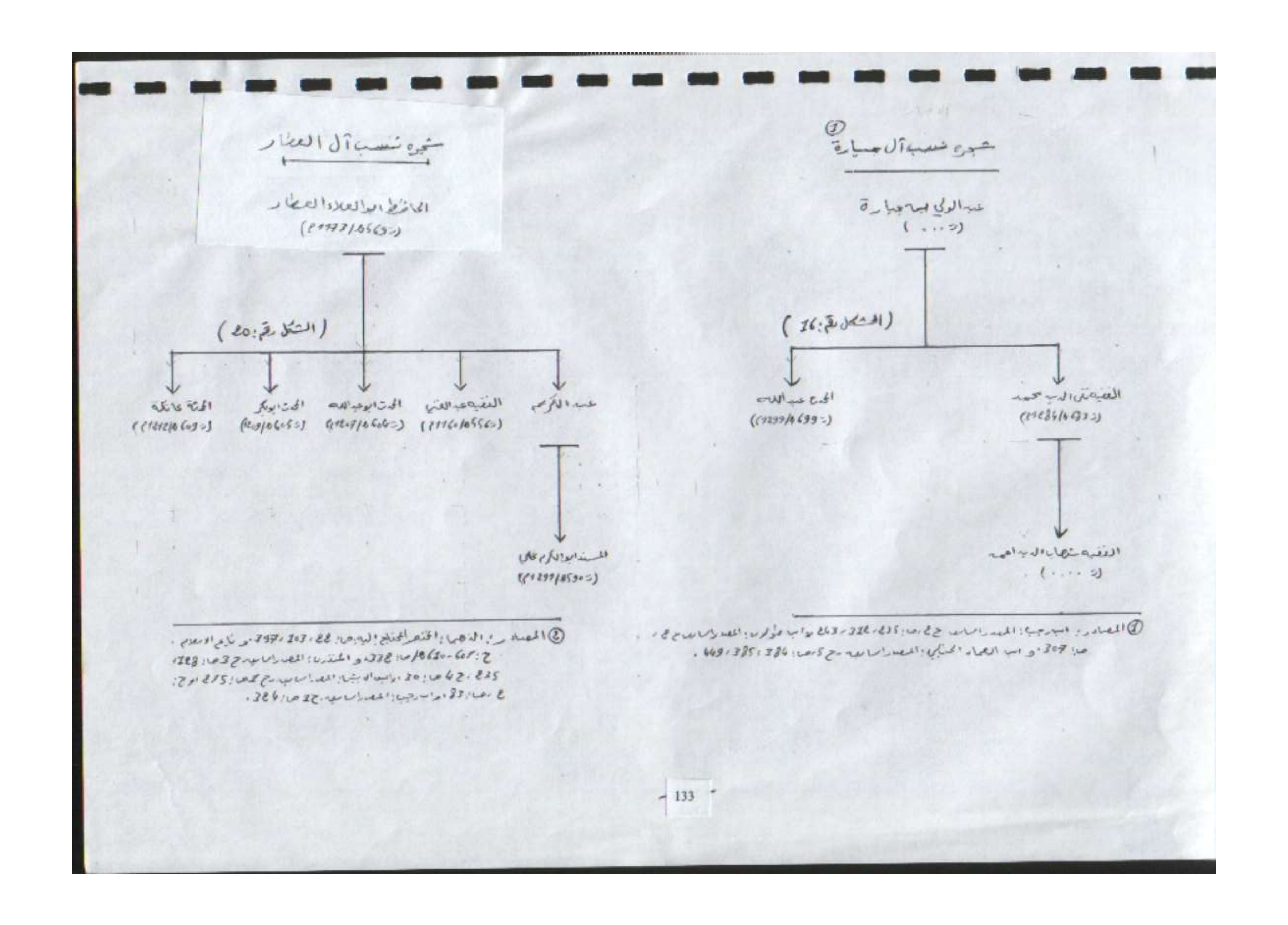
[4] هما مدرستان حنبليتان ، وعنهما انظر المبحث الثاني من الفصل الثاني .

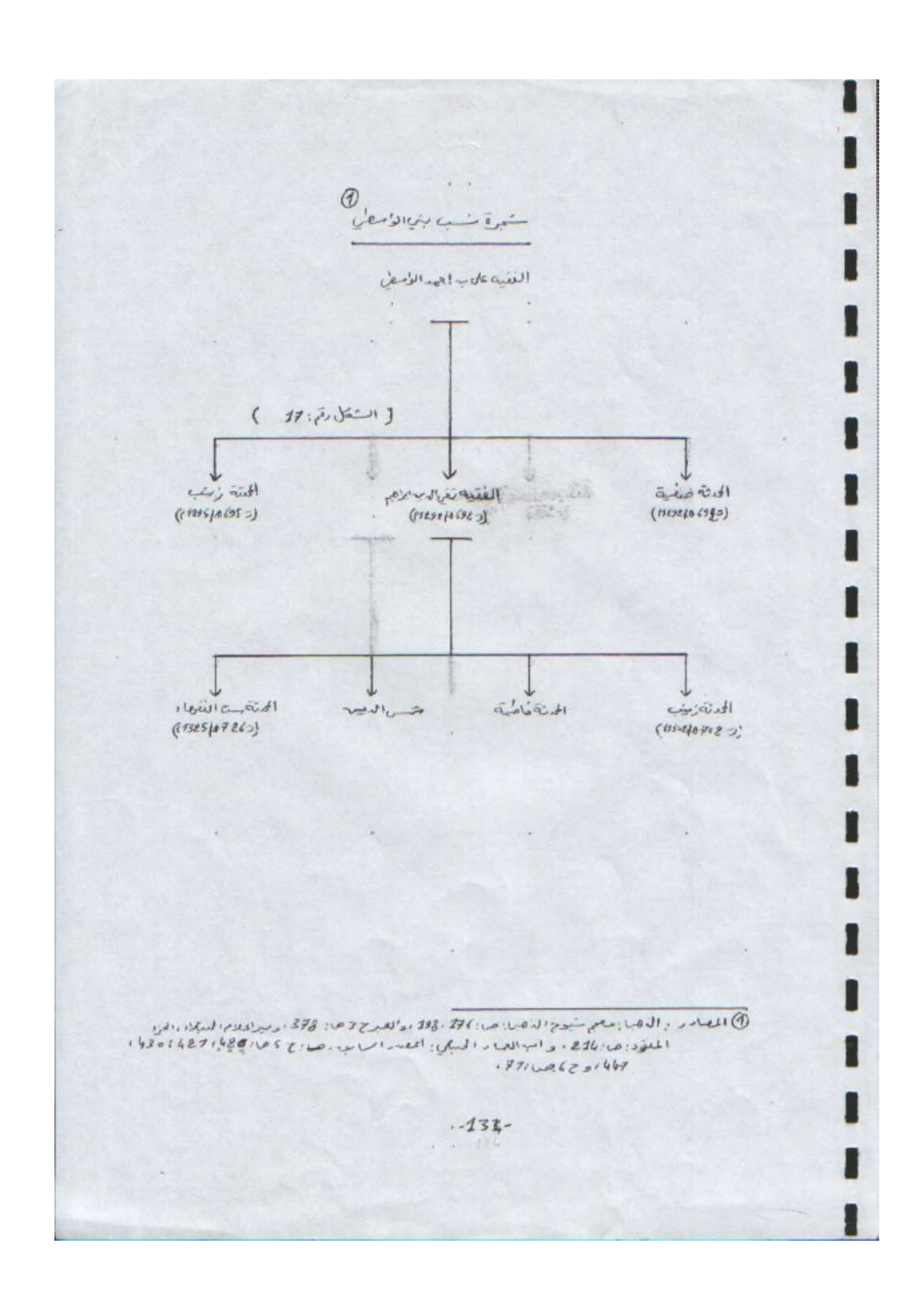
[5] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :420 .

[6] أبو نعيم الاصفهاني : كتاب ذكر أخبار اصفهان ،ليدن ، مطبعة بريل ، 1934 ج 2 ص :117 .

[7] نفسه ج 2 ص :117 .


شجرة نسب آل راجح (1)
الفقيه محمد بن خلف بن راجح
(618هـ)
(الشكل رقم: 15)
المحدثة آسية
(633هـ/1235م)
القاضي نجم الدين
(638هـ/1240م)
الفقيه صلاح الدين
(643هـ/1245م)
عماد الدين ابراهيم
(. . . .)
الصوفي احمد
(720هـ/1320م)
المحدثة زينب
(1) المصادر: ابن رجب: المصدر السابق ج 2، ص: 224، 225، 235. والذهبي: تاريخ الإسلام ج: 47، ص: 143. ومعجم شيوخ الذهبي: ص: 198، وابن كثير: المصدر السابق ج 13 ص: 96، والصفدي: المصدر السابق ج 3 ص: 445. وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ج 5 ص: 445. وابو شامة: ذيل الروضتين ص: 170، 172. وابن حجر العسقلاني: المصدر السابق ج 1 ص: 87.
-139-


شجرة نسب آل العطار
الحافظ أبو العلاء العطار
(الشكل رقم: 20)
شجرة نسب آل جبارة
(الشكل رقم: 16)
133


شجرة نسب بني الواسطي
الفقيه علي بن احمد الواسطي
(الشكل رقم: 17)
المحدثة زينب
الفقيه تقي الدين ابراهيم
المحدثة صفية
المحدثة ست الفقهاء
(د 726هـ/1325م)
شمس الدين
المحدثة فاطمة
المحدثة زينب

سنة 632هـ/ 1234م[1]،و من كبار محدثيه الحافظ أبو زكريا يحيى بن مندة ى بن عبد الوهاب بن محمد بن اسحاق بن محمد بن يحيى بن مندة العبدي ، ومعنى أخر هو المحدث بن المحدث بن المحدث بن المحدث بن المحدث بن المحدث[2](انظر الشكل رقم: 18)، وقيل عن مكانة بيته : ((بيت ابن مندة بديء بيحي، وختم بيحي))[3]،و يلاحظ على هذا البيت أن نشاطه العلمي ضعف جدا بعد أبي زكريا يحيى بن مندة ى بن عبد الوهاب المتوفى سنة 511هـ/1117م، إذ لم أعثر على أي عالم مشهور ينتمي إليه ،إلا المسند محمود بن إبراهيم المقتول سنة 632هـ/1234م ، كما أنه لم تبرز فيه نساء عالمات أعلام رغم عراقته في العلم و توارثه له ، على عكس ما رأيناه في الأسر الدمشقية من بني الحنبلي ، وبني المنجا ، و بني قدامة التي ظهرت فيها عشرات النساء العالمات ، وعن تراثه العلمي فمنه الصحيح على كتاب مسلم بن الحجاج ، و تاريخ اصفهان،و مناقب العباس ، و مناقب الإمام احمد ، و هي كلها لأبي زكريا يحيى بن مندة ى بن مندة[4] .

و أما في نابلس فقد مكث فيها-بعد هجرة المقادسة إلى دمشق- بيت عبد المنعم من ال سرور[5]، وظل يمارس نشاطه العلمي و اشرافه على مسجد الحنابلة بها ، أثناء الوجود الصليبي و بعده[6]. و مؤسسه هو عبد المنعم بن نعمة بن سلطان بن سرور المقدسي ، و من أولاده الأعلام الفقيه المحدث أبو عبد الله يوسف ، و الفقيه جمال الدين(انظر الشكل رقم: 19)، ومن احفاده الفقيه شمس الدين بن محمد أم بمسجد الحنابلة بنابلس سبعين سنة[7] .

و في مدينة همذان نجد أسرة ال العطار[8] ، نسبة للحافظ أبي العلاء بن احمد العطار، شيخ همذان في زمانه له أصحاب واتباع و تلاميذ ، و غلب على بيته علم الحديث و الأثر ، وله أولاد محدثون(انظر الشكل رقم: 20) منهم : ابو بكر محمد سمع منه الطلاب في بغداد الحديث النبوي ،وأجاز للمؤرخ ابن

---

[1] الذهبي : سير أعلام النبلاء ج22ص :382 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج ص :155-156 .

[2] محمد بن عبد الهادي : المصدر السابق ج 4 ص :24 . و ابن الوردي : المصدر السابق ج 2 ص :41 .

[3] ابن الدمياطي : المصدر السابق ص :195 . و ابن رجب : المصدر السابق ج1 ص : 155 .

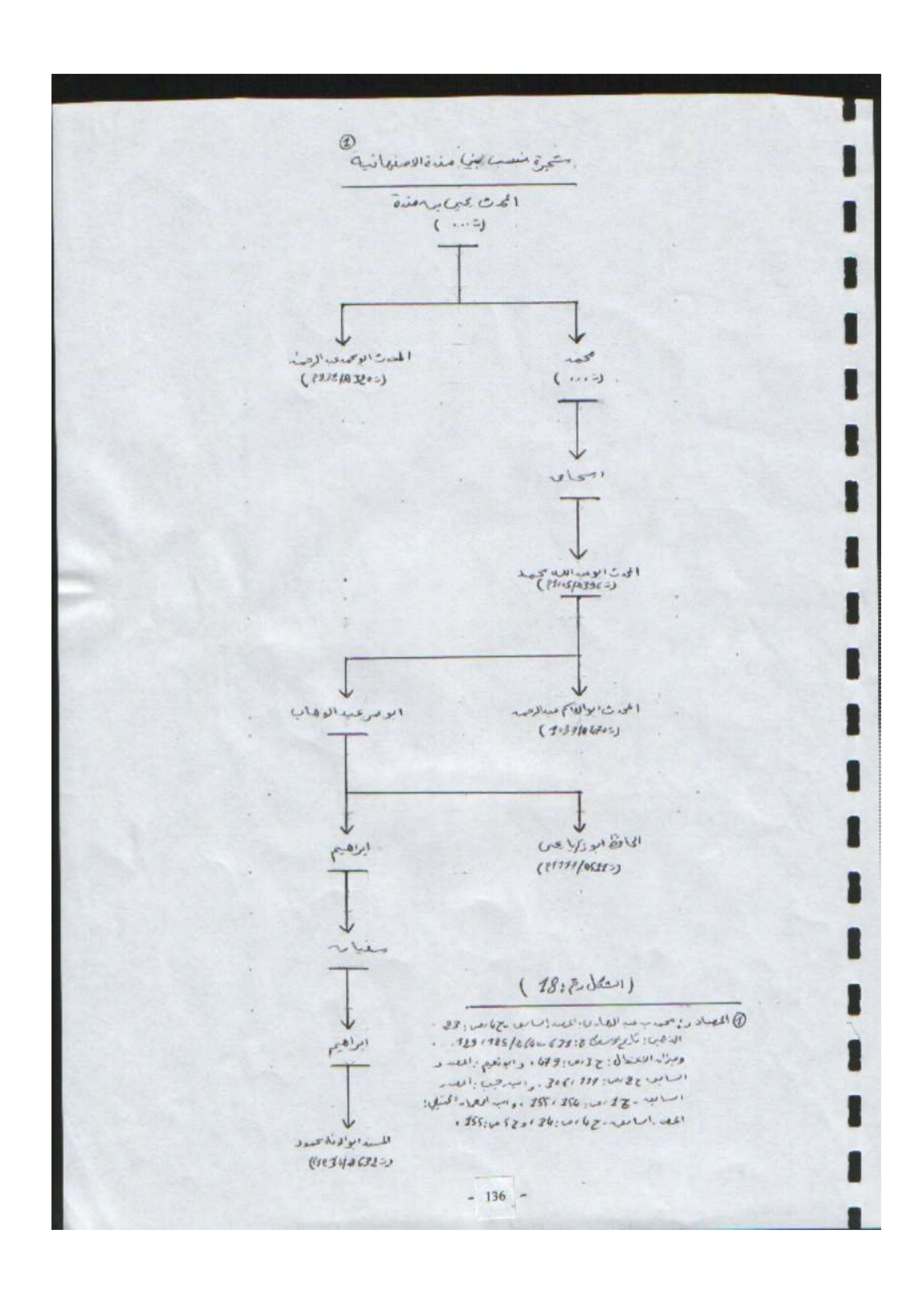
[4] ابن رجب : ج 1 ص : 154 ط د .

[5] انظر الشكل رقم : 19 .

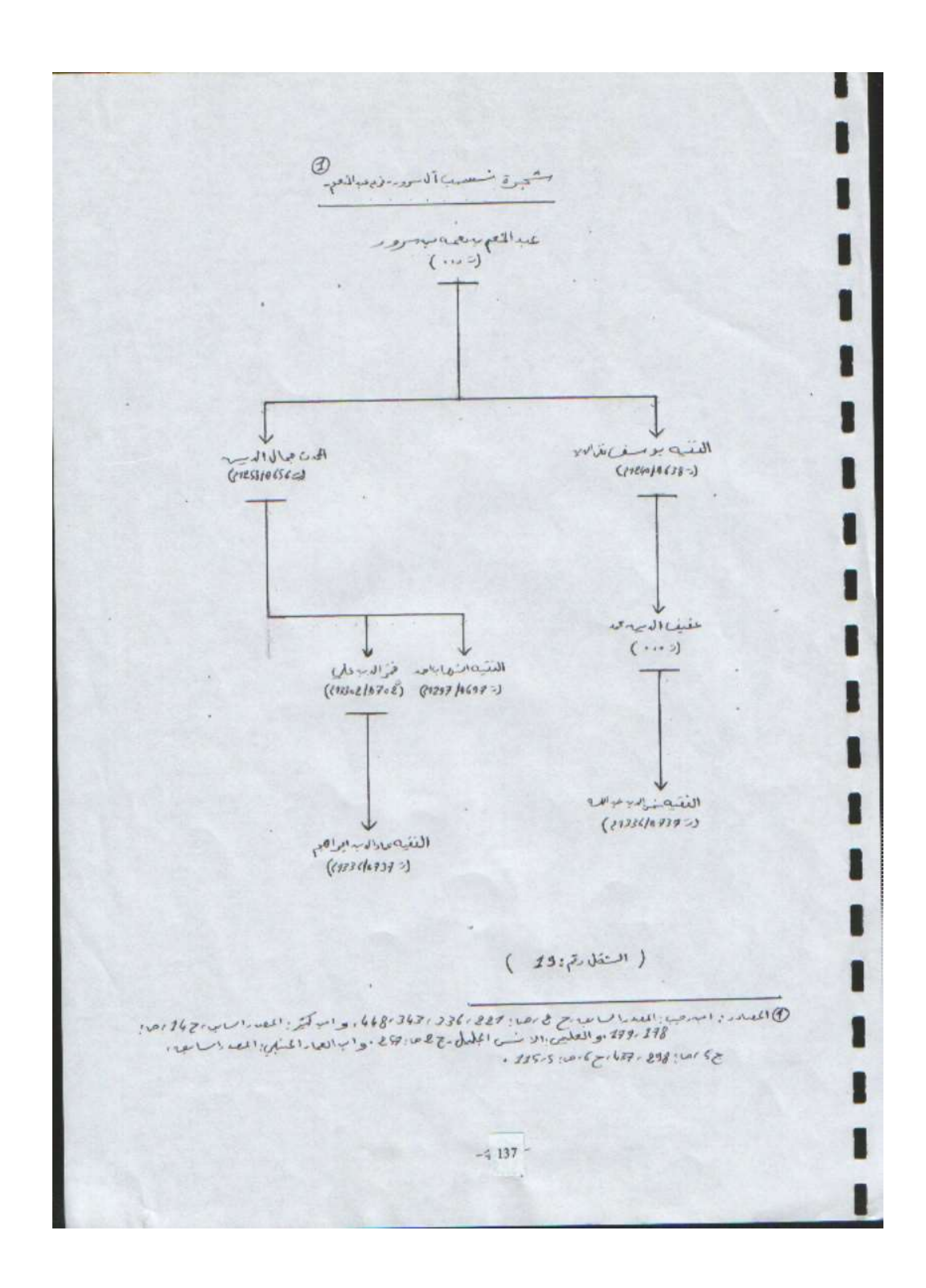
[6] أنهى السلطان صلاح الدين الأيوبي الوجود الصليبي بنابلس على اثر تحريره للقدس الشريف سنة 583هـ . ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 6 ص : 452 ط د .

[7] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :428 .

[8] انظر الشكل رقم : 20 .


شجرة نسب بني منده الاصبهانية
المحدث يحيى بن منده
المحدث ابو محمد عبد الرحمن
محمد
اسحاق
المحدث ابو عبد الله محمد
ابو عمرو عبد الوهاب
المحدث ابو القاسم عبد الرحمن
ابراهيم
الحافظ ابو زكريا يحيى
سفيان
ابراهيم
- 136 -

(الشكل رقم: 18)


شجرة نسب آل سرور
عبد المنعم بن نعمة بن سرور
المحدث جمال الدين
الفقيه يوسف
عفيف الدين محمد
فخر الدين علي
الفقيه شهاب الدين احمد
الفقيه عماد الدين ابراهيم
الفقيه شمس الدين محمد
(الشكل رقم: 19)
137

الدبيثي(ت637 هـ/1239م)[1] ، ومنهم عاتكة أم العلاء ، سمعت كثيرا من الحديث ، وحدثت به بهمدان و بغداد[2]،و ببيت العطار ختم علم الأثر بهمذان ، ثم استباحها المغول[3]،و من تراثهم العلمي النادر كتاب زاد المسافر في الحديث و القراءات ، في خمسين مجلدا ، لأبي العلاء العطار[4] .

و أما بخصوص مدينتي مصر و القاهرة فلم أعثر فسهما على أية أسرة علمية حنبلية كبيرة ، و عريقة في العلم و النسب ، عاشت بهاتين المدينتين خلال القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م، غير أنه وجدت بيت علمية حنبلية صغيرة ،كبيت عثمان بن مرزوق ، وابن الصيقل ، وابن حمدان، فبالنسبة لأسرة ابن الصيقل (انظر الشكل رقم : 21) فهي تنتسب إلى الفقيه الواعظ عبد المنعم بن علي الحراني ثم البغدادي المعروف بابن الصيقل ،طلب العلم فيبغداد ،ثم رجع إلى بلاده ، ثم عاد بأهله إلى بغداد و استقر بها[5] ،لكن ولديه المحدثين عبد اللطيف و عبد العزيز رحلا إلى مصر و أقاما بها[6] .و أما أسرة ابن حمدان(انظر الشكل رقم: 22) ،فهي بيت فقه و أدب و طب ،تنتسب إلى شبيب بن حمدان الحراني، هاجر و ولداه إلى القاهرة و استقرا بها ، أحدهما القاضي نجم الدين بن حمدان، تمهر في الفقه و أصوله و له مصنفات لها تأثير واضح في الفقه الحنبلي منها الرعاية الكبرى ، و الرعاية الصغرى، و كتاب الوافي[7] .و الثاني تقي الدين شبيب كان طبيبا كحالا ، وأديبا شاعرا[8] .

و في مدينة البصرة فإن البيوت الحنبلية العلمية بها قليلة جدا ،اشهرها بيت بني دويرة (انظر الشكل رقم: 23) نسبة لأبي الحسن بن دويرة البصري ،وكبيرهذه الأسرة شيخ الحنابلة المقرئ أبو علي الحسن، له زاوية و اتباع ، وتخصص في التربية و إقراء القرآن الكريم ، و من اشهر تلاميذه الفقيه المفسر أبو طالب نور الدين بن عمر البصري ثم البغدادي الضرير [9](ت684 هـ/ 1285م)، ومن افراد أسرته أخوه

---

[1] ابن الدبيثي : المصدر السابق ج1 ص :215 .

[2] نفس المصدر ج 2 ص :83 . و المنذري : المصدر السابق ج 4 ص :30 .

[3] الذهبي : الأمصار ذوات الأثار ص : 197 .

[4] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :326 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص :232 .

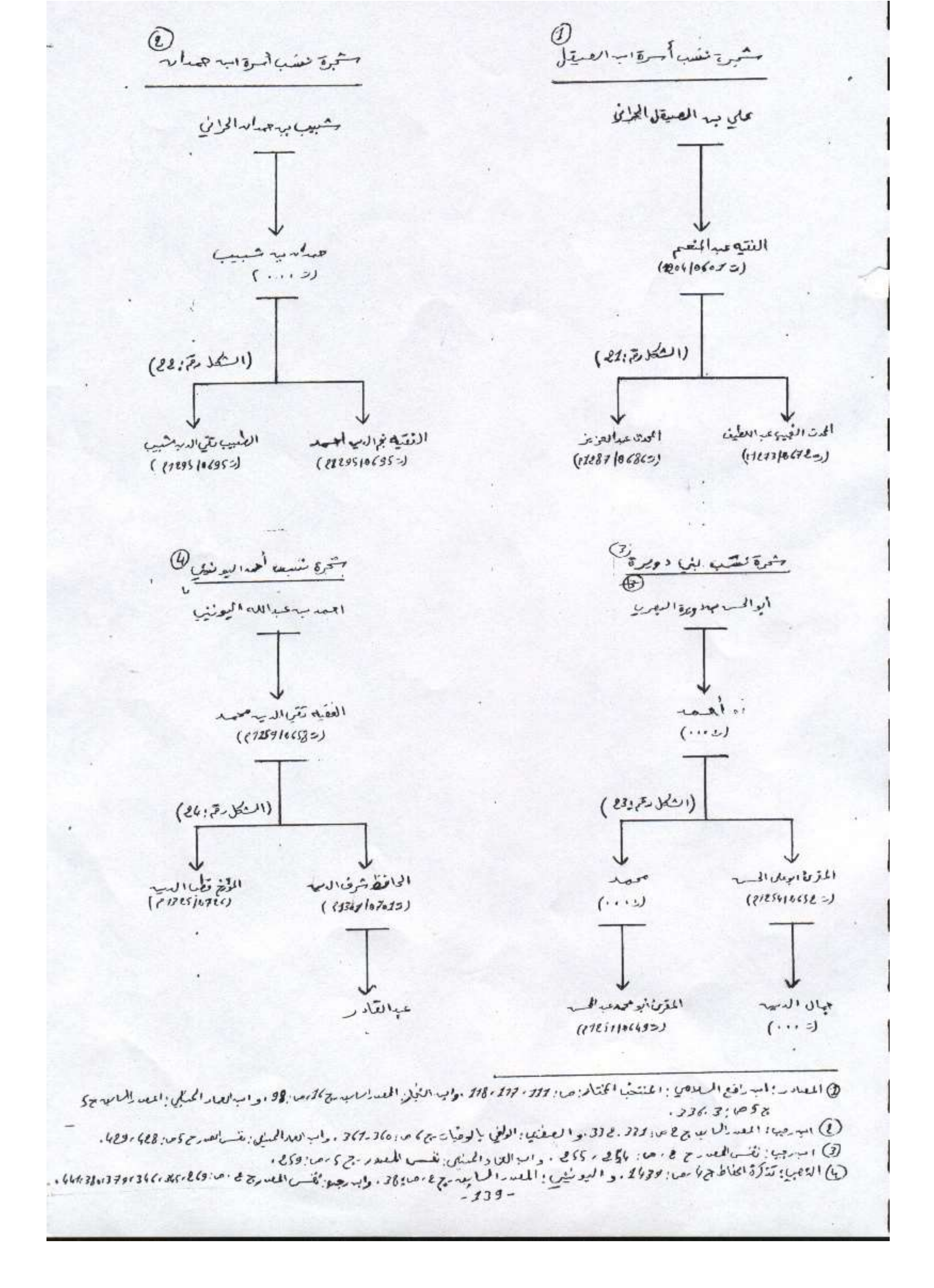
[5] ابن النجار : المصدر السابق ج 16 ص :98 . وابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :3 .

[6] ابن رافع السلامي : المصدر السابق ص :111 117 118 . ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :336 .

[7] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 331 .

[8] نفس المصدر ج 2 ص : 332 .

[9] ابن رجب " المصدر السابق ج2 ص :154 254 314 .



شجرة نسب أسرة ابن الصيقل
علي بن الصيقل الحراني
الفقيه عبد المنعم
(الشكل رقم: 21)
المحدث الفقيه عبد اللطيف
المحدث عبد العزيز
شجرة نسب أسرة ابن حمدان
شبيب بن حمدان الحراني
حمدان بن شبيب
(الشكل رقم: 22)
الفقيه نجم الدين أحمد
الطبيب تقي الدين شبيب
شجرة نسب بني دويرة
أبو الحسن بن دويرة البصري
أحمد
(الشكل رقم: 23)
المقرئ أبو علي الحسن
محمد
جمال الدين
المقرئ أبو محمد عبد المحسن
شجرة نسب أحمد اليونيني
أحمد بن عبد الله اليونيني
الفقيه تقي الدين محمد
(الشكل رقم: 24)
الحافظ شرف الدين
المؤرخ قطب الدين
عبد القادر

المقرئ أبو محمد عبد المحسن ، وابنه جمال الدين الحسن[1] ، ولم أعثر لهذا البيت على أية مصنفات رغم أنه ظهر فيه علماء .

وأما في بعلبك فللحنابلة فيها وجود ظاهر ،من أسرهم العلمية المشهورة بها ،أسرة الفقيه محمد بن أبي الحسين اليونيني البعلي (انظر الشكل رقم: 24)،وهو صوفي حافظ فقيه ، له دنيا واسعة وجاه عريض بين الناس[2] ،و له ولدان من أهل العلم أحدهما الحافظ الرحال شرف الدين أبو الحسين ، و الثاني المؤرخ قطب الدين موسى صاحب كتاب ذيل مراة الزمان[3] .

وختاما لمبحث الأسر العلمية الحنبلية في القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م أورد جدولا لعلماء ثلاث وعشرين أسرة علمية حنبلية ،وأمثله في رسم بياني[4] ، ومنهما يتبين أن أكثر الأسر عددا من حيث العلماء هي :ال قدامة بستة وعشرين عالما، بنسبة 14,285 % ،ثم بنو الحنبلي بسبعة عشر عالمابنسبة 9,341 % ثم ال سرور –فرع عبد الواحد- بأربعة عشر عالما ن بنسبة 7,692 % ،ثم ال تيمية باثني عشر عالما ، بنسبة 6.594 % ،وأما العالمات الحنبليات فتأتي أسرة ال قدامة في المقدمة بإحدى عشرة عالمة ، ثم ال الواسطي بخمس عالمات ، ثم ال سرور-فرع عبد المنعم بنابلس-بأربع عالمات ، ثم تأتي الأسر الأخرى كما هو مبين في الجدول و الرسم البياني ، و بعضها لا يعرف أنه ظهرت فيها عالمات .

و أما فيما يخص المجموع العام فقد بلغ 182 عالما أنجبتهم ثلاث و عشرون أسرة، من بينهم اثنتان و أربعون عالمة، تأتي مدينة دمشق في المقدمة ب 107 علماء بنسبة 58,787 %، من بينهم أربع وثلاثون امرأة ، بفضل الدور الكبير الذي لعبه المقادسة الصالحيون في الحياة العلمية بدمشق أولا ، ثم بنو الحنبلي ، وبنو المنجا ،و ال الواسطي ثانيا ،و قد بلغ عدد علماء المقادسة 71 عالما من مجموع 107علماء دمشقيين،ثم تأتي بعد دمشق بغداد بأربعة و ثلاثين عالما بنسبة قدرها 18,679 % ، من بينهم امرأة واحدة من ال الفراء[5] ، ثم مدينة حران باثني عشر عالما بنسبة 6,594 % من بينهم امرأتان ، ثم نابلس بعشر علماء ،بنسبة 5,494 %من بينهم أربع نساء ، ثم تليها باقي المدن بأعداد متقاربة كما هو مبين في الجدول و الرسم البياني ، و بذلك تكون كل الأسر

[1] نفسه ج 2 ص : 255
[2] نفس المصدر ج 2 ص :269 و ما بعدها .
[3] سبق الكلام عنه في مبحث نقد المصادر و المراجع .
[4] انظر الجدول رقم : 10 ، و الرسم البياني رقم : 10 .
[5] قد تكون وجدت عالمات بغدادبات لا ينتمين للأسر التي دخلت في الإحصاء .

العلمية الحنبلية بهذه المدن قد ساهمت في نشر العلم ، و دعم المذهب الحنبلي ، و تفعيل الحركة العلمية الحنبلية ، ببنائها لمؤسسات العلم ، و تأليفها للمصنفات ، و عقدها لمجالس العلم و المناظرات .

.

. . .

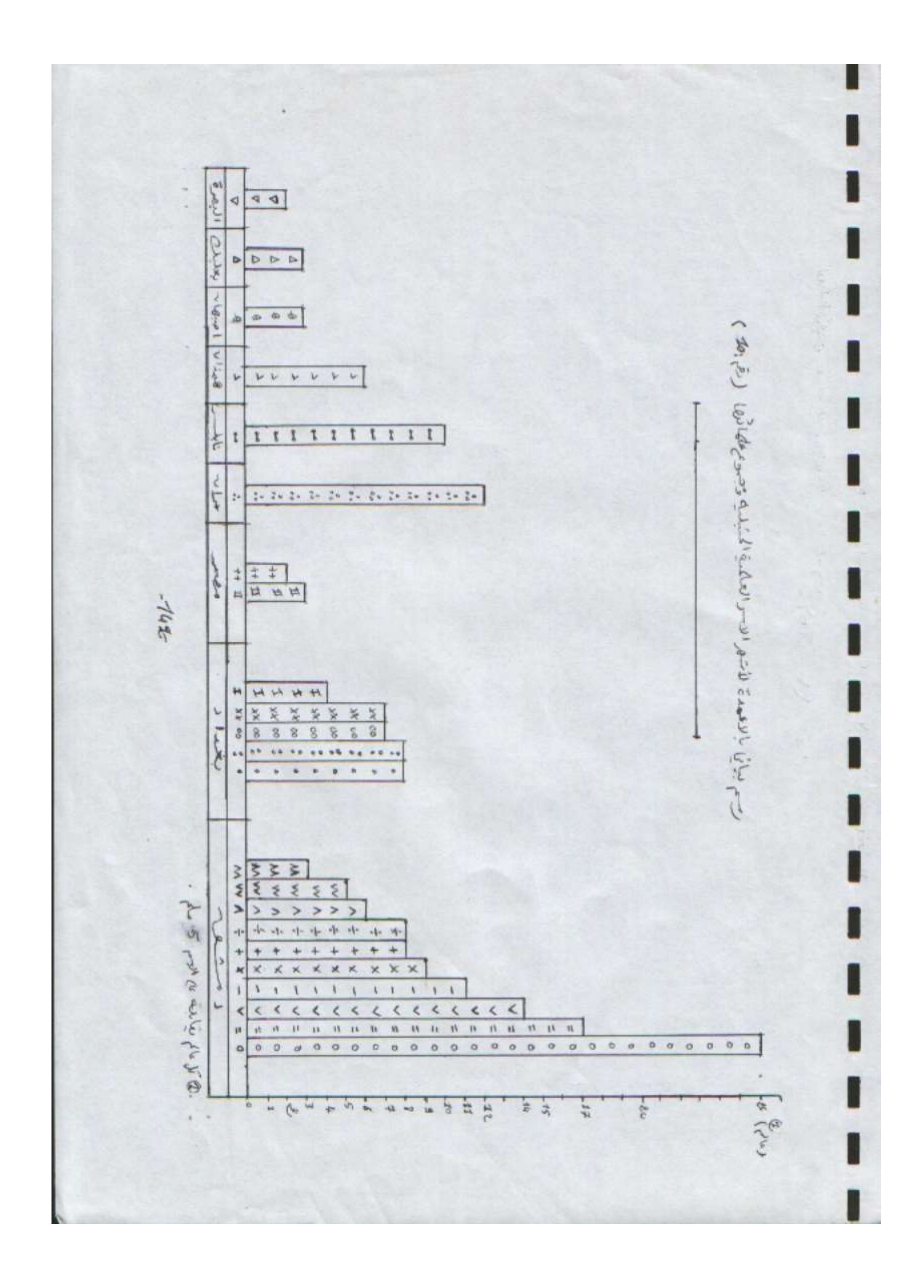
جدول مقارن لأشهر الأسر العلمية الحنبلية[1]

(ق :6-7هـ/12-13م) (الجدول رقم :10)

[1] المصادر : سبق ذكرها في المتن .

المدينة	الرمز	الأسر	عدد العلماء	عدد العالمات	مجموع العلماء و العالمات	0/0 للأسرة	0/0 للبلد
دمشق	0	آل قدامة	15	11	26	14,285	58,787
=	=	بنو الحنبلي	14	03	17	09,341	=
=	v	آل سرور ع واحد	11	03	14	07,692	=
=	–	بنو المنجّا	09	02	11	06,043	=
=	×	آل السعدي	06	03	09	04,945	=
=	+	بنو ع الهادي	06	02	08	04,395	=
=	÷	آل الواسطي	03	05	08	04,395	=
=	*	آل ع الدائم	03	06	06	03,296	=
=	vv	آل راجع	03	05	05	02,747	=
=	**	آل جبارة	03	–	03	01,648	=
بغداد	.	بنو الفراء	07	01	08	04,395	18,679
=	. .	آل هبيرة	08	–	08	04,395	=
=	00	آل الجيلاني	07	–	07	03,846	=
=	××	آل ابن الجوزي	07	–	07	03,846	=
=	ا	آل شافع	04	–	04	02,197	=
مصر	اا	آل الصيقل	03	–	03	01,648	02,746
=	++	آل حمدان	02	–	02	01,098	=

حرّان	...	آل تيمية	10	02	12	06,594	06,594
نابلس	.–.	آل سرور ع المنعم	06	04	10	05,494	05,494
همدان	د	آل العطار	05	01	06	03,296	03,296
أصفهان	هـ	آل مندة	03	–	03	01,648	01,648
بعلبك	*	آل اليونيني	03	–	03	01,648	01,648
البصرة	*	آل دويرة	02	–	02	01,098	01,098
المجموع	23	23	42	42	182	نحـــو 100 0/0	نحـــو 100 0/0



المبحث السادس : مجالس العلم الحنبلية

كثرت مجالس العلم في المشرق الإسلامي خلال القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م، و تنوعت موضوعاتها و تعددت أماكن انعقادها ، فمنها ما هو للحديث و الفقه و إقراء القرآن الكريم ، و منها ما هو للتفسير و المناظرات و قراءة المصنفات على مؤلفيها ، ومنها مجالس عامة تحضرها جماهير غفيرة تعقد في المدارس و المساجد و البيوت .

أولا : مجالس الحديث النبوي

تخصص محدثون حنابلة في رواية الحديث النبوي ، و تفرغوا له عقودا من الزمن[1] ،أشهرهم سبعة الأول المحدث يحيى بن أسعد البغدادي المعروف بابن الخباز(ت593 هـ/1196م) حدث نحو أربعين سنة[2]،و الثاني المسند حنبل بن عبد الله البغدادي(ت604 هـ/11207م)، اختص في رواية مسند احمد بن حنبل ،عن المحدث أبي القاسم بن الحصين البغدادي(ت525 هـ/1130م)، سمعه منه بكامله في نيف و عشرين مجلسا سنة 523هـ/ 1128م بقراءة أبي محمد بن الخشاب البغدادي الحنبلي[3] .و الثالث الحافظ عبد العزيز بن الأخضر البغدادي(ت 611هـ/1214م) له مجالس حديث كثيرة بجامع القصر و حانوته ، و قد استمر في عقدها نحو ستين عاما[4] .

و الرابع المحدث الرحال أبو الحجاج يوسف بن خليل الدمشقي ثم الحلبي(ت648 هـ/1250م) بدأ في عقد مجالس الحديث فبل سنة 600هـ/1203م) ،و استمر عليها إلى وفاته ، و روى عنه كبار المحدثين كابن نقطة البغدادي الحنبلي، و محب الدين بن النجار ، وأخر من روى عنه بالإجازة زينب بنت الكمال المقدسية[5] .

و الخامس الفقيه المحدث شمس الدين محمد بن عبد الرحيم المقدسي ثم الدمشقي(ت688 هـ/1289م)،حدث قرابة أربعين عاما[6] .و السادس الفقيه المحدث احمد بن عبد الدائم المقدسي ثم الدمشقي(ت668 هـ/1267م) داوم على عقد مجالس الحديث بضعا و خمسين سنة ، و انتهى

---

[1] بلغ مجموع مجالس بعض المحدثين 300 مجلس ، وعند أخرين 1000، وعند غيرهم 3000 . الذهبي : تاريخ الإسلام ج: 520-540 هـ/ ص : 407 . و ابن كثير : المصدر السابق ج 12 ص : 211 215 217 ، و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص :106 .

[2] المنذري : المصدر السابق ج 2 ص :100 .

[3] ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص :50 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص : 12 .

[4] الذهبي : تذكرة الحفاظ ج 4 ص :1384 ، و تاريخ الإسلام ج: 611-620 هـ/ ص : 74 75 . و محمد ابن عبد الهادي : المصدر السابق ج 4 ص :164 .

[5] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص : 243-244 .

[6] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ، ج 5 ص :406 .

إليه علو الإسناد و رحل إليه الطلبة من شتى أقطار المشرق ،و روى عنه الحديث الفقيه محي الدين بن شرف النووي الدمشقي (ت676 هـ/1277م) و الفقيه ابن دقيق العيد الشافعي المصري (ت702 هـ/1302م) و الشيخ تقي الدين بن تيمية الحراني ثم الدمشقي[1] . وأخرهم الفقيه فخر الدين بن البخاري المقدسي ثم الدمشقي(ت690 هـ/1291م) كانت له مجالس حديث داوم على عقدها ستين سنة ، و تفرد في زمانه بعلو الإسناد[2] .

و من المحدثين المتفرغين لرواية الحديث من غير الحنابلة ، محمد بن الفضل الصاعدي الخوارزمي الشافعي(ت530 هـ/1135م)تخصص في رواية صحيحي البخاري و مسلم ، أسمع الأول نحو عشرين سنة، وزادت مجالسه عن ألف مجلس[3] .و الثاني الحافظ المفسر إسماعيل بن محمد الأصفهاني الشافعي(ت535 هـ/ 1140م) أمضى سنين طويلة في رواية الحديث بجامع اصفهان ،فبلغت مجالسه 3000مجلس[4] .و أخرهم الحافظ الرحال أبو طاهر بن محمد السلفي الأصفهان ثم الأسكندراني(ت576 هـ/1177م) داوم على عقد مجالس الحديث نيفا و ثمانين سنة[5] ؛ و بذلك يكون أبو طاهر السلفي أكثر الحفاظ المذكورين تحديثا ،كما هو مبين في الجدول(رقم:11 ص:) و الرسم البياني(رقم: 11 ص:)، ثم يليه الحافظ عبد العزيز بن الأخضر ، و الفخر بن البخاري ،و أخرهم المحدثان يحيى بن أسعد البغدادي و محمد بن عبد الرحيم المقدسي ثم الدمشقي .

وأما بخصوص مجالس سماع الحديث التي أملاها علماء الحنابلة ، فمنها أن الحافظ أبا الفضل بن ناصر البغدادي (ت550 هـ/1155م) ، أملى بجامع القصر أربعين مجلسا على امتداد عشرة أشهر مرة في كل أسبوع

جدول لأكثر الحفاظ تحديثا من الناحية الزمنية[6]

(ق :6-7هـ/12-13م)

---

[1] ابن رجب :الذيل على طبقات الحنابلة ج 2 ص :279 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :326 .

[2] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 325 .

[3] ابن كثير : المصدر السابق ج 12 ص:211 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص :96 .

[4] نفس المصدر ج 12 ص :217 .و نفس المصدر ج 4 ص :106 .

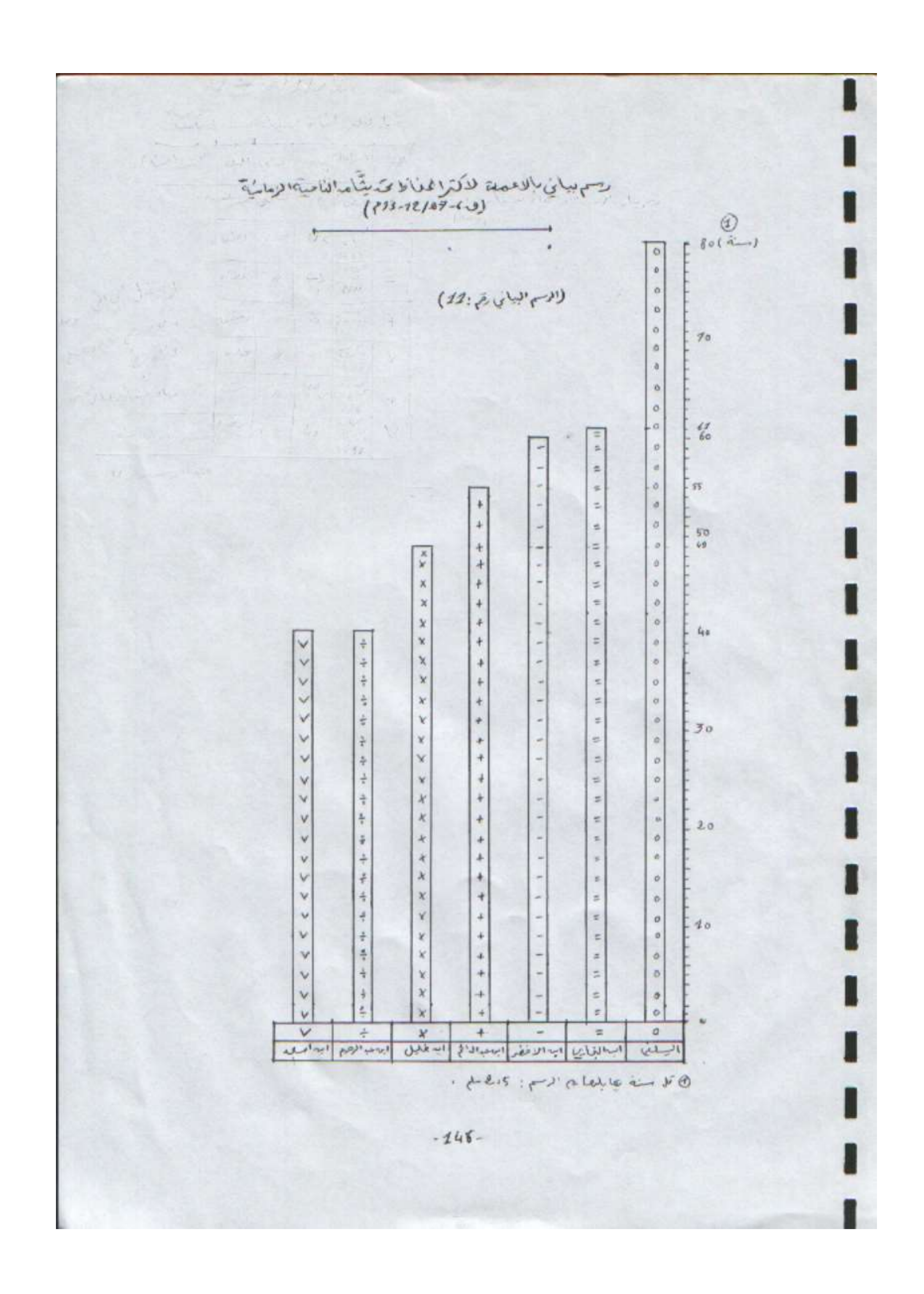
[5] لأنه عمر طويلا فقد جاوز المائة سنة . ابن العماد الحنبلي : نفس المصدر ج 4 ص :255 .

[6] المصادر سبق ذكرها في المتن .

الرمز	اسم العالم	مدة التحديث بالسنة	المذهب	البلد
0	أبو طاهر السلفي ت576هـ	80	شافعي	الأسكندرية
=	الفخر بن البخاري ت690هـ	61	حنبلي	دمشق
–	ابن الأخضر ت611هـ	60	=	بغداد
+	احمد بن ع الدائم ت668هـ	55	=	دمشق
×	يوسف بن خليل ت648هـ	49	=	حلب
÷	ابن ع الرحيم ت 688	40	=	دمشق
v	ابن أسعد البغدادي ت593هـ	40	=	بغداد

(الجدول رقم :11)

. . .


(الرسم البياني رقم :12)
80
70
60
50
40
30
20
10
-148-

،و قد كتبها الناس و رووها عنه[1] و منها حلقة لقراءة الحديث بجامع القصر ببغداد ،لأبي اسحاق بن أبي القاسم الغراد البغدادي(ت 593هـ/1196م)، وقد طعن فيه بعض المحدثين اتساهله و كثرة أخطائه ،و إلحاق اسمه بوثيقة سماع لم يكن اسمه فيها مذكورا ، ولأنه إذا قرأ الحديث و بجانب حلقته أناس يتحدثون يكتبهم ضمن الحاضرين معه في مجلسه[2] .و منها إنه عندما قدم المحدث أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الاصفهاني(ت595 هـ/1198م) إلى بغداد أملى بجامع القصر عشرة مجالس لسماع الحديث[3] .و كانت لأبي بكر بن المارستانية البغدادي(ت 599 هـ/1202م) حلقة حديث بجامع القصر ببغداد يوم الجمعة ، و يحضرها الناس للسماع منه ، وقد اتهمه الحافظ المؤرخ ابن النجار بالكذب و اختلاق الرويات ، والتحديث عن جماعة لم يلقهم،و أخبر عن نفسه أنه راه كثيرا و لم يجلس إليه و لم يأخذ عنه شيئا[4] .

ومنها حلقة عبد العزيز بن الأخضر بجامع القصر ،كان يقرأ فيها الحديث كل جمعة ، وهذه الحلقة هي حلقة الحافظ أبي الفضل بن ناصر ثم انتقلت من بعه لتلميذه المحدث أبي الفضل بن شافع الجيلي(ت563 هـ/1167م) ،ثم انتهت إلى عبد العزيز بن الأخضر و بقيت بيده سنين طويلة[5] . وكانت للمحدث أبي المعالي محمد بن احمد بن شافع البغدادي(ت627 هـ/1229م) حلقتان للحديث ، الأولى بمسجد له بدرب المصنع ببغداد ، والثانية بجامع القصر[6] .

و من مجالسهم لسماع الحديث بمساجد دمشق ، حلقتان للحافظ عبد الغني المقدسي بالجامع الأموي ،الأولى ليلة الخميس ، والثانية يوم الجمعة بعد الصلاة ،يقرأ فيهما الحديث على الناس فحصل له عندهم قبول ، لرقة قلبه و سرعة دموعه[7] . وعندما استقدم أهل دمشق المسند حنبل بن عبد الله البغدادي(ت604 هـ/1207م) إليهم ، أملى عليهم مجالس حديث ، و اسمعهم مسند الإمام احمد بن حنبل ، فازدحموا عليه و أعطوه مالا كثيرا[8] .و كانت للحافظ محمد بن عبد الغني

---

[1] كان هو الأخر قد سمعها من أبي القاسم بن الحصين في أربعين مجلسا . الذهبي : تاريخ الإسلام ج :520-540 هـ/ ص :138 . و ابن الدمياطي : المصدر السابق ص :191 .

[2] الذهبي : تاريخ الإسلام ج :591-600 هـ/ ص :148 . و ابن رجب : المصدر السابق ج1 ص :388 ط ق .

[3] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :397 ط ق . و الصفدي : المصدر السابق ج 4 ص : 43 .

[4] ابن النجار : المصدر السابق ج 17 ص : 66 67 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :443 .

[5] الذهبي : تذكرة الحفاظ ج 4 ص :1384 . و محمد بن عبد الهادي : المصدر السابق ج 4 ص :164 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 79-80 .

[6] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :176 .

[7] أبو شامة : ذيل الروضتين ص :46 . و الذهبي:تاريخ الإسلام ج : 591-600 هـ/ص :448 .

[8] ابن كثير : البداية ج 13 ص :61 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :12 .

المقدسي(ت613 هـ/1216م) حلقة حديث بمسجد السلالين[1] بدمشق ليلة كل جمعة ،ثم انتقل إلى الجامع الأمويبعد وفاة والده سنة 600هـ/1203م ، وأصبح يقرأ الحديث على الناس يوم الجمعة بعد الصلاة ، فانتفعوا بمجالسه لما له من تأثير وجداني كوالده[2] . وعقد المحدث جمال الدين بن الصيرفي الحراني ثم الدمشقي(ت678 هـ/1279م) ،مجالس حديث بالجامع الأموي ،حدث فيها بجامع الترمذي[3] .

و من مجالسهم الحديثية خارج المساجد ،حلقة الحافظ أبي الفضل بن ناصر في داره ببغداد ،فكان يجلس على سرير أنيق ، ويقعد طلابه على الحصير و يملي عليهم الحديث ،و فد روى تلميذه عبد العزيز بن الأخضر أنه لم ير شيخه ابن ناصر يجلس أحدا معه على سريره إلا المحدث عبد الوهاب بن سكينة الشافعي[4] .و منها أن القاضي عبد الله بن أبي الفرج بن القاضي أبي خازم الفراء البغدادي(ت580 هـ/ 1184م)،جعل داره مجمعا لأهل العلم ، لقراءة الحديث و دراسة الفقه ، فيحضر عنده الفقهاء و المحدثون و العوام ، و ينفق عليهم بسخاء نفس ، وسعة صدر ، ولطف معاشرة، فأوصله كرمه إلى استدانة أموال طائلة لم يقدر على الوفاء بها ،فغلبه الدين وباع معظم كتبه و أملاكه و انقطعت مجالسه العلمية، و اختفى في بيته مهموما[5] . و ما كان له أن يفرط في بسط يده ، حتى بقي ملوما محصورا ، بل كان عليه أن يقتصد و يتخفف ، و يستثمر أمواله لينميها و يستطيع مواصلة نشاطه العلمي، و ألم يكن في وسع الذين حضروا مجالسه، و الناس عامة أن يساعدوه على الخروج من أزمته ؟ إنه لا يعرف أنهم ساعدوه .

وكان للحافظ عبد العزيز بن الأخضر البغدادي(ت611 هـ/1214م)،دكان للملابس يقريء فيه الحديث ، وممن قرأ عليه فيه المؤرخ محب الدين بن النجار البغدادي الشافعي ،و قد سمع منه أكثر ما جمعه[6] .و أملى القاضي أبو صالح نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلاني(ت633 هـ/1235م) ،الحديث على الناس من حفظه في أماكن متعددة ، منها مجالس قضائه[7] .

---

[1] ويعرف كذلك بمسد دار البطيخ .ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :91 .

[2] ابن رجب : المصدر السابق : ج2 ص :91 .

[3] نفس المصدر ج 2 ص :297 .

[4] ابن النجار : المصدر السابق ج 16 ص :217 .

[5] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :352-353 .

[6] الذهبي : تاريخ الإسلام ج :611-620 هـ/ ص : 75 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :79 –80 .

[7] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :189-190 .

و أشير هنا إلى ثلاثة أمور عن مجالس قراءة الحديث ، أولها إنها كانت تفتح في غالب الأحيان بطريقة واحدة متعارف عليها ،يتولى افتتاحها المستملي[1]، فيبدأ باستنصات الحاضرين ، ثم يقرأ شيئا من القرآن الكريم ،ثم يدعوا للشيخ و يذكر الطلبة باسمه ونسبه و كنيته ،ثم يقول له –أي للشيخ–: من حدثك رحمك الله، فيأخذ منه الكلمة و يشرع في التحديث[2] ؛ و ليس لمجالس الحديث مدة زمنية محددة فقد تستغرق ساعتين ، وقد تستمر طول النهار ، مع التوقف في أوقات الصلاة[3] .

و الأمر الثاني أنها متباينة في عدد الحاضرين ،فقد يصل عددهم إلى سبعين نفسا ، و قد ينخفض إلى ثلاثة أشخاص[4] ، وقد يرتفع إلى أرقام لا تكاد تصدق ،تقدر بالآلاف في المجلس الواحد ،لأنها لا تقتصر على طلب الحديث فقط ، بل يحضرها كذلك العوام ربما طلبا للأجر و البركة ، والمزاحمة وتكثير العدد ،فعندما انتقل الفقيه المحدث سراج الدين بن الزبيدي الحنبلي البغدادي(ت631 هـ/1233م) إلى دمشق و شاع ذكره بها قصدته جماهير غفيرة و ازدحمت عليه للسماع منه مسند الشافعي و صحيح البخاري[5] .و كانت مجالس الحافظ تقي الدين بن أبي الثناء محمود الدقوقي ثم البغدادي الحنبلي (ت663-733هـ/1262-1332م) لسماع الحديث تقدر بألاف الحاضرين[6] ،ورغم كثرة مجالس الحديث و ازدحام الناس عليها في القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م ،فإن الحافظ الذهبي كان متشائما من وضعية علم الحديث و أهله في عصره ، فيقول : ((وقد قل من يعتني بالأثار و معرفتها في هذا الوقت في مشارق الأرض و مغاربها ،على رأس السبعمائة))، ثم يضيف أن المحدثين في زمانه قد تراجعت حالتهم بالمقارنة إلى السلف ، فقد كان يحضر مجالسهم أكثر من عشرة ألاف طالب ، وأما اليوم فهم قد تلاشوا و تفانوا ، وطلبة الحديث يهزأ بهم خصومهم و يسخرون منه[7] .

---

[1] هو المعيد و المساعد للشيخ المملي،يقوم بدور الوسيط بين الشيخ المحدث وطلاب الحديث عندما تكون المجالس مزدحمة ، فدوره إذا هو التبليغ عن الشيخ ليسمع البعيدين الذين لا يسمعونه ،بتكرار ما يقوله الشيخ المملي ،و يشترط أن يكون المستملي محصلا يقضا ، و أن يستملي على موضع مرتفع ،أو يستملي واقفا . السمعاني : المصدر السابق ص :34 36 165 166 186 . و ابن الصلاح : المصدر السابق ص : 141 .

[2] نفس المصدر ص :36 55 123 124 . و نفسه ص : 141 .

[3] ابن النجار : المصدر السابق ج 20 ص :119 .

[4] ابن عساكر : تاريخ دمشق حققه صلاح الدين المنجد ،دمشق مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ،1951 ج 1 ص : 624 ، 629 .

[5] الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 22 ص :359 .

[6] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 6 ص :36 .

[7] الذهبي : تذكرة الحفاظ مج 2 ج 4 ص : 530 1485 .

تلك هي إذا صورة قاتمة لوضعية علم الحديث وأهله كما يراها الذهبي ،فما السبب في ذلك و المساجد عامر بمجالس إملاء الحديث ،و في بغداد و دمشق و القاهرة مدارس مخصصة لعلم الحديث[1]؟ نعم لا يخفى ذلك عن الذهبي لأنه واقع معيش ، لكنه يريد أن يكون الوضع أحسن من ذلك بكثير رواية و دراية ليعود الاهتمام بعلوم الاثر كما كان عليه في عهد السلف ،من ذلك فقد روي أن مجلسا لسماع الحديث ببغداد زمن الخليفة المعتصم بالله (218-227هـ/833-842م) ،حضره نحو 120 ألف مستمع[2] .

و الأمر الثالث أنه جرت العادة قي مجالس الحديث أن تختم بكتابة طباق السماع ، وهي بيان و وثيقة حضور يسجل فيها اسم الكاتب و القارئ و الحاضرين ، ومكان السماع و تاريخه كاملا ، باليوم و الشهر و السنة[3] . كما أن بعضها –أي المجالس-كان يعقد لسماع كتب حديث معينة على أيدي محدثين مختصين فيها ، من ذلك أن المسند حنبل بن عبد الله اختص في رواية مسند احمد بن حنبل[4] ، والمحدث سراج الدين بن الزبيدي تخصص في رواية صحيح البخاري و مسند الشافعي[5] .

و من أشهر كتب الحديث التي عقدت لها مجالس لقراءتها ، كتاب الإفصاح عن معاني الصحاح للوزير الفقيه عون الدين بن هبيرة البغدادي الحنبلي (ت560 هـ/ 1164م) ، جمع له العلماء من الأمصار لدراسته ، و عقد له مجالس في المساجد و المدارس ببغداد ، و أنفق على ذلك أموالا طائلة[6] ،و اختار 1800طالب لحفظه ،وجعل عليهم 140 معيدا ، ليحفظونه لهم و يفقهونهم فيه ، ومن حفظه منهم له مكافئة[7] ؛ و في أحد مجالس روايته قرأ المحدث أبو الفضل بن شافع ، رواية منه ، و توجه إلى الوزير قائلا له : وأما رواية عاصم فإنك قرأت بها عن مسعود بن الحسين الحنبلي البغدادي –كان من بين الحاضرين- فقال مسعود : قرأت بها على المحدث بن سوار ، فقام من بين المستمعين المقرئ أبو الحسن علي بن عساكر البطائحي الحنبلي الضرير (ت572 هـ/1176م)،

[1] عنها انظر المبحث الثاني من الفصل الثاني .

[2] و قدرت مجالس أخرى بسبعين ألفا ، و بثلاثين ألفا ، و بعشرين ألفا .السمعاني : المصدر السابق ص :75 76 . و حتى إذا افترضنا المبالغة في تقدير الحاضرين ، فإن العدد يبقى كذلك كبيرا ،و يبدو أن مجالس سماع الحديث في ذلك الزمان ،كانت تشبه المقابلات الرياضية في وقتنا الحاضر ،من حيث إقبال الجماهير الغفيرة عليها .

[3] ابن عساكر : المصدر السابق ج 1 ص : 624 626 627 629 697 699 705 .

[4] ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص :50 61 .

[5] الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 22 ص :359 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :144 .

[6] ابن رجب : ج 1 ص :252 255 .

[7] ابن الدمياطي: المستفاد ص :197 . العليمي : المصدر السابق ج 2 ص : 287 288 290 .

وقال رافعا صوته: هذا كذب و خرج ،فبلغ الوزير الخبر ،فطلبه وأحضر مسعود بن الحسين ، و حاققه في القضية ،فتبين له أن مسعودا كذب عليه في روايته لأنه-أي مسعود- لم يدخل بغداد إلا سنة 506هـ/1112م ، وكان ابن سوار قد توفي قبل ذلك بعشر سنوات ، ثم أحضر البطائحي كتابا بخط ابن سوار ،فقوبل بالخط الذي مع مسعود -الذي قيل أنه من خط ابن سوار- فبان الفرق بينهما،ثم قال البطائحي : هذا خط مزور بخط الكاتب أبي رويح،لأن خطه يشبه خط ابن سوار ،فتوجه الوزير إلى مسعود و أهانه و منعه من الصلاة بالناس و قال له : لولا أنك شيخ كبير لنكلت بك ، ثم قرأ -أي الوزير- على البطائحي و أسند عنه القراءات[1] . ويتبين من هذه الحادثة أن الشغف بالرواية وطلب علو الإسناد أوقعا مسعود ابن الحسين في الكذب و التزوير ، و أن موقف البطائحي الضرير يدل على فطنته و ذكائه و قدرته على كشف التزييف رغم أنه كان ضريرا[2] .

ثانيا : مجالس قراءة المصنفات في علوم أخرى

لم تقتصر مجالس قراءة الكتب عند علماء الحنابلة على مصنفات علم الحديث دون سواها ، بل شملت مؤلفات في مختلف العلوم ، من فقه و تصوف و حساب و فلك و تاريخ ،فمن ذلك أن الفلكي أبا الحسن علي بن الحسن الدولعي البغدادي (ت526هـ/1131م) صنف كتابا في علم النجوم و حدث به ، فكتب له على غلافه للغوي أبو محمد بن الخشاب البغدادي(ت567 هـ/ 1171م) ما يأتي: ((هذا أبو الحسن الدولعي صديقنا ، وقد أوقفته على أشياء وافق عليها))، ثم ضرب على حواشي الكتاب في غير موضع بخطه[3].

ومنها أن جماعة من الحنابلة قرأت على عبد الرحمن بن الجوزي ، طائفة من مصنفاته ،منهم الفقيه مجد الدين بن محمد الاصفهاني قرأ عليه مناقب الإمام احمد بن حنبل[4] و المؤرخ أبو الحسن محمد بن القطيعي البغدادي(ت634 هـ/1236م)،درس عليه كثيرا من كتبه و لازمه مدة[5] .و الفقيه الفخر بن تيمية الحراني(ت622 هـ/1225م) ،قرأ عليه مصنفه زاد المسير في علم التفسير ، قراءة بحث و مراجعة[6] ،و عندما ألف الفقيه عبد الرحمن بن الجوزي كتابه أعمار الأعيان سنة

---

[1] الذهبي : معرفة القراء الكبار ج 2 ص :430-431 .
[2] يبدو أنه كان يميز الخطوط بيده .
[3] ابن النجار : الصدر السابق ج 18 ص :197 .
[4] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :384 ط ق .
[5] نفس المصدر ج 2 ص :212 .
[6] نفس المصدر ج 1 ص : 425 .

585هـ/1189م، عقد له مجلسا بداره للتحديث به ،فحضر عنده بعض العلماء و قرأه عليهم عبد الوهاب بن وشاح البغدادي في حضور مؤلفه[1].

و عندما صنف الوزير المتكلم جلال الدين بن يونس البغدادي(ت 593 هـ/1196م) كتابا في المقالات و أصول الدين،جمع له العلماء و أسمعهم أياه ، و حدث به في ولايته الأخيرة مرة في الأسبوع و لم يتمه[2] . ومنها أن الفقيه نجم الدين بن حمدان الراني ثم المصري (ت695هـ/1295م) قرأ كتبا في الحساب و الجبر و المقابلة، على مؤلفها سلامة بن صدقة الحراني الحنبلي[3](ت627 هـ/ 1229م) . وأشير هنا إلى أن إقدام المصنفين على جمع العلماء لعرض عليهم مؤلفاتهم الجديدة ، هو تقليد علمي جيد يستحق التنويه و الإعجاب ،لأنه مما يدفع المؤلف إلى إتقان عمله ،و التهيؤ لليوم الذي يجتمع فيه هؤلاء ليقرأ عليهم كتابه و يناقشونه فيه. كما أن قراءة الطالب لكتاب ما على مؤلفه تسهل عليه الفهم وتوفر له فرصة طرح الأسئلة على مصنفه ،ليرد عليه فورا .

ومن مجالسهم لقراءة كتب الفضائل و التراجم و التاريخ ،أن طائفة منه اجتمعت بمسجد ابن شافع ببغداد سنة 559 هـ/ 1163م) ، لقراءة كتاب فضائل الإمام احمد و محنته لأبي زكريا بن مندة الأصفهاني ، فحدث نزاع بين اللغوي أبي محمد بن الخشاب ، و رجل يعرف بأبي المحاسن الدمشقي ،في أمر يتعلق بالفقهاء ، ثم انتهى بهم الأمر إلى الخصومة ، فوشي بهم الرجل الدمشقي إلى الخليفة المستنجد بالله (555-566هـ/1160-1170م)، وقال له أنهم يقرؤون كتابا في مثالب الفقهاء، فتقدم بأخذه منهم ، هذا ما رواه ابن الجوزي[4] عن هذه الحادثة . وأما المؤرخ ياقوت الحموي(ت626 هـ/ 1228م)، فذكر ان المجلس تحول إلى سب لخلفاء بني العباس ، وإلى ذم للإمام أبي حنيفة ، وأبي الحسن الأشعري، فلما أنكر عليهم أبو المحاسن صنيعهم و نبههم إلى عدم جواز ما يقولونه في حق أئمة المسلمين و فقهائهم سبوه و هموا به ، فلما وصل خبرهم إلى الخليفة أمر بأخذهم و اركابهم بقرا ، والتشهير بهم في البلد فقبض على بعضهم و هرب ابن الخشاب إلى خارج بغداد[5] .فرواية ابن الجوزي أوجزت الخبر ، و رواية ياقوت الحموي فصلته ، و بينت كيف تحول مجلس علم إلى مجلس ذم و خصام ، و مطاردة و عقاب .

---

[1] ابن الجوزي : أعمار الأعيان حققه محمود محمد الطناجي ، ط1 القاهرة مكتبة الخانجي 1994 ص :3 .

[2] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :395 . و ابن النجار : المصدر السابق ج 17 ص :118 .

[3] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :24 .

[4] ابن الجوزي : المنتظم ج 10 ص :208 .

[5] يروى أنه لم يدخل بغداد إلا بعدما شفع فيه و كتب إلى الخليفة يستعطفه . ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج 4 ص:1501-1502.

و منها أن المؤرخ حماد بن هبة الله الحراني(ت 598هـ/1101م) صنف كتابا في التاريخ و عقد له مجلسا للتحديث به[1]. و سمع الفقيه عبد الله بن أبي الحسن الجبائي ثم الأصفهاني (ت605هـ/ 128م) كتاب حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني ، على شيخه أبي الفضل بن ناصر البغدادي[2] . وأثناء تواجد الفقيه ناصح الدين بن الحنبلي الدمشقي(ت634 هـ/1236م) ببغداد طلبا للعلم سمع كتاب طبقات الحنابلة لأبي الحسين ابن الفراء ،على المحدث عبد المغيث بن علوان الحنبلي(ت583 هـ/1187م) ، بقراءة الفقيه أبي محمد طلحة بن غانم العلثي الحنبلي)[3]ت 593هـ/1196م) . وعندما صنف المحدث الفخر بن البخاري الدمشقي(ت690 هـ/ 1291م) مشيخته قرئت في ثلاثة مجالس بدمشق ، بلغ عدد الحاضرين في الأخير نحو ألف شخص أو أكثر وهذا جمع غفير لم يعهد في ذلك الزمان[4] .

ومن مجالس علماء الحنابلة لقراءة كتب الفقه ،أنه لما تولى وجيه الدين أسعد بن المنجا الدمشقي(ت606 هـ/ 1209م) قضاء مدينة حران وأمر المؤذنين بالجهر بالتسليمتين في الصلاة – كانوا من قبل يجهرون بالأولى خاصة- رد عليه الفقيه نصر بن عبدوس الحراني(ت 600هـ/1203م) ، في كتاب : تعليم العوام ما السنة في السلام ، و حدث به في عدة مجالس بحضور علماء البلد ، وبين فيه أن الجهر بالأولى هو المعتمد في مذهب الحنابلة ، وأورد فيه أحاديث نبوية ، و أقوالا لأحمد بن حنبل و أصحابه تدعيما لما ذهب إليه[5] . و تخصص القاضي تقي الدين يحيى بن حمزة بن قدامة المقدسي(ت715 هـ/1315م) ،في تدريس كتاب المقنع في الفقه للموفق بن قدامة المقدسي ،فعقد مجالس كثيرة لإقرائه ، وكان عرفا به متقنا له [6] . و سمع المؤرخ عبد الرزاق بن الفوطي البغدادي(ت723 هـ/1323م) كتاب الغنية لطالبي الحق للشيخ عبد القادر الجيلاني ، على الفقيه جمال الدين بن الدباب البغدادي الحنبلي(ت685 هـ/1286م) في رباط الخلاطية ببغداد سنة [7]684هـ/1285م . و عندما انتقل الفقيه عفيف الدين بن الدواليبي البغدادي(ت728

---

[1] بن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :434 ط ق . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج4 ص :335 .

[2] ابن رجب : نفس المصدر ج 2 ص:46 .

[3] نفس المصدر ج 1 ص :355 .

[4] نفس المصدر ج 2 ص : 327 .

[5] نفس المصدر ج 1 ص : 447 ط ق .

[6] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 6 ص :36 .

[7] ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ق 3 ج 4 ص :379 .

ﻫ/ 1327م) إلى دمشق عام 698ﻫ/ 1298م سمع كتاب الأحكام في الفقه على مؤلفه شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية[1] .

و يتبين مما تقدم ذكره أن مجالس قراءة المصنفات قد شملت مصنفات في مختلف العلوم ، في مقدمتها كتب الحديث و التاريخ و الفقه . و أن ظاهرة قراءة الكتب على مؤلفيها أو على غيرهم من المختصين هي طريقة نافعة و مجدبة ، من طر ق التربية والتعليم التي كانت سائدة عند المسلمين في القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م ،و هي تسمح للطالب أن بأخذ عن شيخه علمه و أخلاقه مباشرة .

ثالثا: مجالس الفقه والتفسير و الأدب و علم الكلام

بالنسبة لمجالس الفقه عند الحنابلة فمنها حلقة بجامع القصر ببغداد تعرف بحلقة الفقهاء يحضرها فقهاؤهم و بعض المشتغلين بالعلم من المذاهب السنية الأخرى، كل يوم جمعة و ممن تردد إليها الفقيه الموفق بن قدامة المقدسي[2] ،ربما حضرها أيام كان طالبا ببغداد ، ولم أعثر لها عن أخبار أخرى رغم أهميتها . و كانت للقاضي عبد الله بن أبي الفرج بن أبي خازم الفراء البغدادي (ت580ﻫ/1184م) حلقة فقه يعقدها في بيته يحضرها أهل العلم و العوام ، وينفق عليهم بسخاء[3] . ومنها مجلس علم للفقيه زين الدين أبي البركات بن المنجا الدمشقي(ت 695ﻫ/1295م) ،بالجامع الأموي بدمشق ، خصصه للفقه و الفتوى و علوم أخرى، داوم عليه ثلاثين سنة ولم يكن يأخذ عنه أجرا[4] .

وأما مجالسهم في تفسير القرآن الكريم[5] ،فأشهرها ثلاثة أولها مجالس عبد الرحمن بن الجوزي ، شرع فيها صمن نشاطه الدؤوب في التدريس و الوعظ ، على امتداد لأكثر من أربعين سنة ،أتم خلالها تفسير القرآن كله سنة 570ﻫ/1174 م ، وذكر عن نفسه أنه ما عرف واعظا فسر القرآن

[1] ابن حجر : الدرر الكامنة ج 4 ص 28 .
[2] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :329 ط ق .
[3] نفس المصدر ج 1 ص :352-353 .
[4] نفس المصدر ج 2 ص : 333 .
[5] كانت للحنابلة بجامع دمشق حلقة دائمة لتحفيظ القرآن الكريم ،يزيد عدد أفرادها عن مائة شخص ، وقد صلتنا عنها وثيقة مخطوطة نشرها الباحث دومنبك سوردال في نشرك الدراسات الشرقية (B E O ترجع إلى مطلع القرن السابع الهجري/13م ،فيها قائمة باسماء فقراء الحنابلة المنتمين للحلقة ، و عنها انظر النشرة السابقة Tome 27 1972 P 147-148

الكريم كله على المنبر إلا هو[1] . و الثانية مجالس الفقيه فخر الدين بن تيمية الحراني(ت 522هـ/1225م)، شرع فيها منذ سنة 588هـ/1192م صباح كل يوم بجامع حران ، و واظب عليها حتى فسر القرآن خمس مرات ، على امتداد ثلاث و عشرين سنة ، آخرها سنة 610هـ[2]/ 1213م .

و الثالثة مجالس الشيخ تقي الدين ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي (ت728 هـ/1327م) بدأها و عمره نحو اثنتين وعشرين سنة على اثر وفاة والده عبد الحليم بن عبد السلام سنة 682 هـ/ 1283م فجلس مكانه بدار الحديث السكرية بدمشق[3] و بالجامع الأموي بدمشق ،ففسر البسملة في مجلسه الأول بالسكرية ،فكان درسا جيدا استحسنه كبار العلماء[4] ،و في الجامع الأموي فقد شرع في تفسير القرآن الكريم من أوله يوم كل جمعة بعد الصلاة ، واستمر على ذلك الحال سنين طويلة في حضور الجمع الغفير من الناس لكثرة ما يورده من العلوم المحررة ،بصوت جهوري فصيح من غير توقف و لاتلعثم[5] ،و قد يطول مجلسه إلى ربع النهار دون الرجوع إلى كتاب و لا إلى قاريء يعينه ، وقد يضطر إلى إنهاء مجلسه حفاظا على مصالح المستمعين له ، و قد أملى في قوله تعالى ((الرحمن على العرش استوى)) –سورة طه/5- نحو خمس وثلاثين كراسة ، و في سورة الإخلاص أملى مجلدا كبيرا[6] .

ومن مجالسهم الأدبية ، حلقة الأديب أبي منصور موهوب بن الجواليقي البغدادي (ت 540هـ/ 1145م) ،كان يقريء فيها الأدب[7] ،يوم كل جمعة بجامع القصر ببغداد[8] ،و قد سئل فيها إحدى المرات عن أبيات شعرية في علم الفلك فلم يعرفها ، فاستحى من طلابه و أصحابه ، ولم يرجع إليها –أي حلقته–إلا بعدما اطلع على طرف من علم الفلك ، و عندما توفي خلفه فيها ولده

[1] ابن الجوزي : المصدر السابق ج 10 ص :251 . و المنذري : المصدر السابق ج 2 ص :293 . و سبط بن الجوزي : المصدر السابق ج 8 ص :326 .

[2] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :152 . و الداودي : المصدر السابق ج2 ص :144 .

[3] عنها انظر المبحث الثاني من الفصل الثاني .

[4] منهم قاضي القضاة بهاء الدين الزكي الشافعي ، و شيخ الشافعية تاج الدين الفزاري ، و زين الدين بن المنجا الحنبلي ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص :341 ط د المعرفة . و ابن ناصر الدين : المصدر السابق ص :87/86 .

[5] محمد بن عبد الهادي : المصدر السابق ج 4 ص :483 486 487 . و أبو حفص البزار : الأعلام العلية ص : 23 . و ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص :349 ط د المعرفة . و ابن الوردي : تتمة المختصر ج 2 ص :408 .

[6] أبو حفص البزار : المصدر السابق ص : 23 24 .

[7] كان للنحويين حلقة بجامع القصر ببغداد ،. ابن الجوزي : المنتظم ج9 ص :165 . ولم أعثر على أي حنبلي درس فيها .

[8] ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج 2 ص :736 . و ابن كثير : المصدر السابق ج 12 ص :220 222 .

إسماعيل(ت575 هـ/1179م) و كان أديبا بارعا كأبيه[1] . وللغوي أبي محمد بن الخشاب البغدادي (ت567 هـ/1171م) مجالس نحو عامرة بالطلاب، وكثيرة الزحام[2] ،ومن غرائبه أنه كان ضنينا بعلمه على طلبته ، و يتعبهم في الوصول إليه ،فلم يكن له مكان معروف يقصد فيه،و إنما يجلس كل يوم أينما اتفق ، وأحيانا يتركهم ويختلف إلى العوام في الطرقات و الأسواق ، وقد كان تلميذه مصدق بن شبيب الواسطي يضايقه و يتتبعه أينما حل ،حتى يتذمر منه ابن الخشاب وينهره لعله يتركه[3] .و عندما فرغ الأديب أبو السعادا بن الشجريالعلوي البغدادي (ت542هـ/1147م) من املاء كتاب الأمالي في الأدب جاء إليه ابن الخشاب والتمس سماعه عليه فأبى ، فعاداه ابن الخشاب و انتقده في مواضع من كتابه و نسبه فيهل إلى الخطأ ،فرد ابن الشجري على انتقاداته و جمعها في كتاب سماه : الانتصار وقرأه على الناس[4] .و يبدو أن هذا التنافر بين الأديبين سببه التحاسد، الذي كثيرا ما يكون بين الأقران ذوي الصنعة الواحدة .

و أما بخصوص المجالس ذات الصبغة الكلامية و الفلسفية ، فلم أعثر للحنابلة منها إلا على القليل خلال القرنين السادس و السابع الهجريين[5]/12-13م ،منها حلقة المتكلم الفخر إسماعيل غلام بن المني البغدادي(ت 610هـ/1213م) خصصها للمناظرة و الجدل و علم الكلام[6] . و في مجلس للعلماء بدار الخلافة ببغداد تساءل الوزير أبو الفرج العباس بن رئيس الرؤساء : هل العلم واحد أم متعدد ؟ فأجابوه أن العلم واحد ، من بينهم عبد الرحمن بن الجوزي ،ثم سأل الوزير عن علماء أخري من غير الذي معه ، فدله بعض الناس على المتكلم صدقة بن الحسين الحداد الحنبلي(ت 573هـ/1177م) ، فأرسل إليه السؤال و فيه خطوط العلماء السابقين، ففكر طويلا ثم تعجب من اتفاقهم على ما لا أصل له في رأيه و كتب يقول : إن العلم علمان ، علم غريزي ، وعلم مكتسب ، فأما الغريزي فهو الذي يدرك على الفور من غير فكر ، كقولنا واحد زائد واحد ، يعلم ضرورة إنه اثنان

---

[1] ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج 2 ص :736 . و السيوطي : بغية و الوعاة ج 1 ص :457 . الذهبي : المختصر المحتاج إليه ص :139 .

[2] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :316-317 .

[3] ياقوت الحموي : المصدر السابق ج ص : 1497 1502 . و ابن الفرات : المصدر السابق ق 4 ج 1 ص :190 .

[4] اليافعي المكي : المصدر السابق ج 3 ص :275-276 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص :132 .

[5] ذكر أبو الوفاء بن عقيل مجالس كثيرة في كتابه الفنون ناقش فيها قضايا كلامية و فلسفية كثيرة غير أنها خالية من الإطار الزمني ، و هو –أي ابن عقيل – قد عاش معظم حياته في القرن الخامس الهجري/11م .

[6] الذهبي : العبر ج 3 ص :152 .

،و علم مكتسب هو ما يدرك بالبحث و الطلب و الفكر ،ثم أرسل جوابه إلى الوزير ، فأعجبه و استدعاه إليه و أكرمه ، وخلع عليه خلعة حسنة و أعطاه أربعين دينارا[1] .

و جوابه –أي صدقة بن الحسين– لا يتناقض مع ما ذهب إليه العلماء ، و تعجبه من إجابتهم ليس في محله ، فهو نظر لطريق تحصيل العلم ،و هو طريقان : غريزي بديهي ، و استنباطي مكتسب ، وهم نظروا إلى العلم في ذاته ، وهو واحد نسميه الحقيقة ،فالإحساس الغريزي يعرفنا ببعض الحقائق ،و النظر العقلي هو كذلك يوصلنا إلى معرفة كثير من الحقائق، و جواب صدقة بن الحسين ، لا اعتقد أن هؤلاء العلماء كانوا يجهلونه ،لأنه معروف و مروى عن الإمام احمد بن حنبل ، فإنه قسم العلم إلى علمين ، ضروري ، و استدلالي ، الأول هو ما وقع تحت الحواس الخمس ، و هذا لا يدفع و لا شبهة في وجوده ، ومنه كذلك علم لا يدرك بالحواس الخمس ، كالأخبار المتواترة[2] ، والأنباء السائرة عن الأمم السالفة و البلاد القاصية و الملوك الخالية ، و هو كذلك يلتحق بالعلم الضروري ،و منه علم الإنسان بنفسه و ما يجده من باطن حاله من صحة و سقم ، و لذة و ألم ، و هذا جميعه لا سبيل إلى دفعه عن القلوب ، ولا اعتراض للشك فيه ، و أما الثاني فهو علم يكشف بالطلب و الاستنباط ، و الجدال و النظر[3] .

رابعا : المناظرات

مثلت المناظرات في المشرق الإسلامي خلال القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م جانبا هاما من الحياة العلمية ، فكانت تعقد في المساجد و المدار س و البيوت ، و في الغزوات و مناسبات العزاء[4] ، فمن ذلك أنه في عزاء الفقيه أبي الخطاب الكلوذاني البغدادي الحنبلي(ت510 هـ/1116م) جرت مناظرة بين الفقيه ابن عقيل البغدادي و الفقيه أبي بكر الشاشي البغدادي الشافعي(ت507 هـ/1113م) ، في مسألة اهداء الثواب إلى الأموات[5] . و في غزوة للسلطان صلاح الدين الأيوبي(ت589 هـ/1193م) في حربه للصليبيين ،خرج معه فقهاء من الحنابلة م المذاهب السنية الأخرى ، فاجتمع بعضهم في خيمة للحنابلة و شرعوا في المناظرة بحضور الفقيهين

---

[1] ياقوت الحموي : المصدر السابق ج 4 ص :1447 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :341 ط ق .
[2] الخبر نوعان : أحاد ، و متواتر ، و للمزيد انظر المبحث الثالث من الفصل الثالث .
[3] ابن تميم الحراني : مقدمة ابن تميم في أصول مذهب احمد بن حنبل ، ملحقة بكتاب بطبقات الحنابلة ، ج 2 ص : 281 .
[4] انظر : ابن عقيل : كتاب الفنون ج 1 ص : 22 27 35 85 165 168 ج 2 ص : 652 .و الذهبي : تاريخ الإسلام ج:581-590 هـ/ص :240 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :372 .
[5] ابن عقيل : المصدر السابق ج 2 ص :652 .

الحنبليين المقدسيين : الموفق بن قدامة ، و أبي القاسم سيف الدين ،و لم يذكر موضوعها و لا تفاصيلها[1] .

و يعد المتكلم أبو الوفاء بن عقيل(513 هـ/1119م) من أكثر علماء الحنابلة اشتغالا بالمناظرات ، وقد ضمن كتابه الفنون عشرات المناظرات التي جرت بينه و بين علماء بغداد على اختلاف مذاهبهم[2] ، تناولت موضوعات شتى في الفقه و أصول الدين ،كمسألة المرتد هل يرثه أقاربه المسلمون أم لا ؟ و قضيهة الهداية و الضلال ، و هل يجوز عتق الكافر في مسألة الظهار ؟ و غيرها كثير جدا[3] . وقد جرت بينه و بين الفقيه أبي سعد المخرمي البغدادي الحنبلي(ت513 هـ/1119م) مناظرة مطولة موضوعها : هل يجوز بيع الوقف إذا تخرب و تعطل نفعه ؟ فاختار هو عدم الجواز ، و قال المخرمي بالجواز ، واحتج كل منهما لرأيه بأدلة كثيرة ، و دخلا في مسائل فقهية معقدة[4] ، و يبدو أن رأي أبي سعد المخرمي هو الأصح ، بالنظر إلى المصلحة ، وذلك أنه يلتزم بأحكام الوقف في أنه لا يباع و لا يوهب و يورث[5] ، إذا كان يؤدي وظيفته التي وقف من أجلها ، وأما إذا تعطل و تخرب وفقد مهمته ، فإنه من المصلحة أن يباع و تستخدم أمواله في مجالات خيرية أرى .

و كانت لخمسة من كبار فقهاء الحنابلة مواعيد ثابتة ، للمناظرة بجامع القصر في بغداد ، أولهم ابو الحسن الزاغوني(ت527 هـ/1133م) ، حلقته يم الجمعة قبل الصلاة[6] . والثاني القاضي أبو يعلى الصغير عماد الدين بن الفراء (ت560 هـ/1164م) له مجلس للمناظرة بنيت له فيه دكة قبل سنة 533هـ[7]/1138م .و الثالث ناصح الإسلام أبو الفتح بن المني(ت583هـ/ 1187م) أذن له الخليفة المستضيء بأمر الله (566-575هـ/1170-1189م) بالتدريس و المناظرة[8]. و الرابع الفخر غلام بن المني(610 هـ/ 1213م)[9] .و أخرهم أبو محمد عبد المنعم الباجسرائي (ت612 هـ/1215م)[10] .

---

[1] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :372 . و الذهبي : تاريخ الإسلام ج: 581-5- 590 هـ/ ص :240 .

[2] انظر –مثلا- ج 1 ص :143 180 199 275 .

[3] انظر –مثلا- ج1 ص :9 8 22 26 27 35 38 143 165 168 180 199 .

[4] عن تفاصيلها انظر ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :201 و ما بعدها ط د .

[5] السيد سابق : فقه السنة بيروت القاهرة ،دار الجيل و الفتح للإعلام العربي ، 1995 ج 3 ص : 309 .

[6] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 217 ط د .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص : 81 .

[7] ابن رجب : نفس المصدر ج 1 ص :245 .

[8] نفس المصدر ج 1 ص :362 .

[9] الذهبي : العبر ج 3 ص :152 . و ابن الفوطي : المصدر السابق ق 3 ج 4 ص :115 .

[10] ابن رجب : المصر السابق ج 2 ص :87 .

و من كبار المناظرين الحنابلة الدمشقيين ، اثنان أولهما الفقيه الموفق بن قدامة المقدسي ثم الدمشقي(ت620 هـ/1223م) ، له مجلس للمناظرة في الجامع الأموي بدمشق يوم الجمعة بعد الصلاة ،ناظر فيها مدة طويلة ثم تركها في أخر عمره[1] ،و كان في مناظراته يبتسم ولا يقلق ، ولا يتحرج ، في حين خصمه يصيح و يرتعد ، حتى قيل :هذا شيخ يقتل خصمه بتبسمه[2] . و قد جرت بينه وبين عالم أشعري دمشقي مناظرة مشهورة ، في مسألة القرآن الكريم : هل هو كلام الله حقيقة لفظا و معنى كما يقول الحنابلة ، أم هو حكاية و عبارة عنه على رأي الأشاعرة ؟ فطالت المناظرة بينهما[3] و تشعبت موضوعاتها ، وقد لخصها الموفق في كتابه مناظرة في القرآن العظيم[4] . و الثاني الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، له مناظرات كثيرة[5] ،منها اثنتان جرتا بينه و بين الفقيه صدر الدين بن الوكيل الدمشقي الشافعي(ت716 هـ/1316م) موضوعهما الحمد و الشكر ، و قد أوردهما بطولهما محمد بن عبد الهادي الدمشقي(ت744 هـ/ 1343م) في كتابه العقود الدرية[6] .

و أشير هنا إلى أن المناظرات التي كانت مظهرا من مظاهر الحركة العلمية الحنبلية بالمشرق الإسلامي، قد ساهمت في التكوين النوعي للعلماء ، لأنها تشحذ الأذهان ، و تنمي المعارف ، و تمر على السرعة في الرد ، و تبعث الثقة في النفس ، وتمكن من القدرة على الارتجال في الكلام ، و تدرب على حسن التفكير و جودة التعبير ،لذلك أشار إليها العلماء في مصنفاتهم و عدوها من طرق التعليم[7] ،لكنها قد تكون من جهة أخرى سبيلا إلى إثارة الفتن ، وبث الشحناء و البغضاء بين أبناء المجتمع الواحد ، و تبعث في المتناظرين التعصب و الاعتداد الزائد بالنفس ، و التكبر على الأقران و عدم الخضوع للحق ،كما أنها طريق لكثرة الجدال ، و اتباع الهوى ،و تبادل السب و الشتم انتصارا للمذهب و تعصبا له ، وقد جرت بحوث و مناظرات كثيرة بين الفقيهين الدمشقيين شرف الإسلام بن عبد الواحد الحنبلي(536 هـ/1141م) ،وأبي الحجاج الفندلاوي الأشعري(ت 544 هـ/1149م)

---

[1] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :137 . و ابن طولون : المصدر السابق ج 2 ص :342 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :89 .

[2] الذهبي : العبر ج 3 ص :181 . و ابن طولون : المصدر السابق ج 2 ص :342 . و ابن رجب : المصدر السابق ج2 ص :137.

[3] سنذكر بعض موضوعاتها في الفصلين الرابع و الخامس .

[4] عنه انظر المبحث الرابع من الفصل الخامس .

[5] عنها انظر محمد بن عبد الهادي : العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية .

[6] ص : 95 و ما بعدها ، و 107 و ما بعدها .

[7] محمد عطية الأبراشي :التربية الإسلامية و وفلاسفتها ، الكويت دار الكتاب الحديث ، د ت ص :191 192 .

،كانت تنتهي إلى السب و النزاع و الفرقة[1]،و أما إذا تجرد المتناظران للحق و جعلوه غايتهما ، و تخلوا عن تعصبهم و تخلقوا بأداب الجدال الحسن ، فإنهما سيجنيان ايجابيات المناظرة و يتجنبان سلبياتها .

و يتبين مما أوردناه عن المجالس العلمية الحنبلية في المشرق الإسلامي ،خلال القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م ،أنها كانت كثيرة و مزدهرة ، شملت مختلف العلوم ،كالحديث و الفقه و التفسير . وأنها اتخذت أشكالا متعددة ،كالمناظرات ، و الدروس ، و قراءة المصنفات على مؤلفيها أو المختصين فيها ؛ الأمر الذي أعطى دفعا و فعالية للحركة العلمية الحنبلية، في الإعلاء من شأن المذهب الحنبلي ونصرته و إثرائه و نشره بين الناس .

المبحث السابع : دور علماء الحنابلة في نشر المذهب الحنبلي(ق6،7هـ/12،13م)

انتشر المذهب الحنبلي قبل الفرن السادس الهجري/12م في عدة مدن من المشرق الإسلامي، كبغداد و دمشق ، و اصفهان و حران[2]، ثم واصل توسعه على أيدي علمائه و أتباعه ، خلال القرنين السادس و السابع الهجريين/ 12- 13م،فأعطوه دفعا قويا، و مكنوا له في مناطق جديدة .

---

[1] الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 20 ص :104 .

[2] عن ذلك انظر التمهيد ص : .

أولا :مناطق انتشار المذهب الحنبلي(ق6،7هـ/12،13م)

للمذهب الحنبلي في المشرق الإسلامي مناطق نفوذ رئيسية انتشر فيها بكثرة ، له فيها وجود جماعي فعال ، و له مناطق ثانوية له فيها وجود فردي و ليس له فيها تأثير جماعي بارز (انظر الخريطة رقم : 3) ،فبخصوص المناطق الرئيسية ، فمنها ست مدن في العراق وبلاد فارس ،أولها بغداد غلب عليها المذهب الحنبلي قي القرن الخامس الهجري[1]/11م ، ثم ازداد ازدهارا و اتساعا في القرن السادس الهجري/12م ،على أيدي علمائه النشطين، الذين صنفوا الكتب ، و عقدوا مجالس العلم و الوعظ ، و بنوا المدارس ، منهم : أبو الوفاء بن عقيل ، و أبو الفضل بن ناصر ، و الوزير عون الدين بن هبيرة ، و عبد القادر الجيلاني ، و أبو الفتح بن المني ، و عبد الرحمن بن الجوزي[2] .

و يرى الباحث جولد تزهير أن النصر الذي تحقق في بغداد خلال القرن الخامس الجري و ما بعده كان للأشاعرة على حساب المعتزلة[3]، وليس للحنابلة ، و خالفه الباحث جورج مقدسي ،وأكد أن النصر الذي تحقق في بغداد كان للحنابلة و أهل الحديث ،الأمر الذي مكنهم من قهر محولات الأشاعرة للحلول مكان المعتزلة ،و قد تجلى نصرهم في ازدهار مدارسهم في القرن السادس الهجري/12م[4] ،و قوله هذا هو الصحيح لأن الغلبة كانت للمذهب الحنبلي في بغداد ،لكن الأشعرية هي الأخرى بدورها

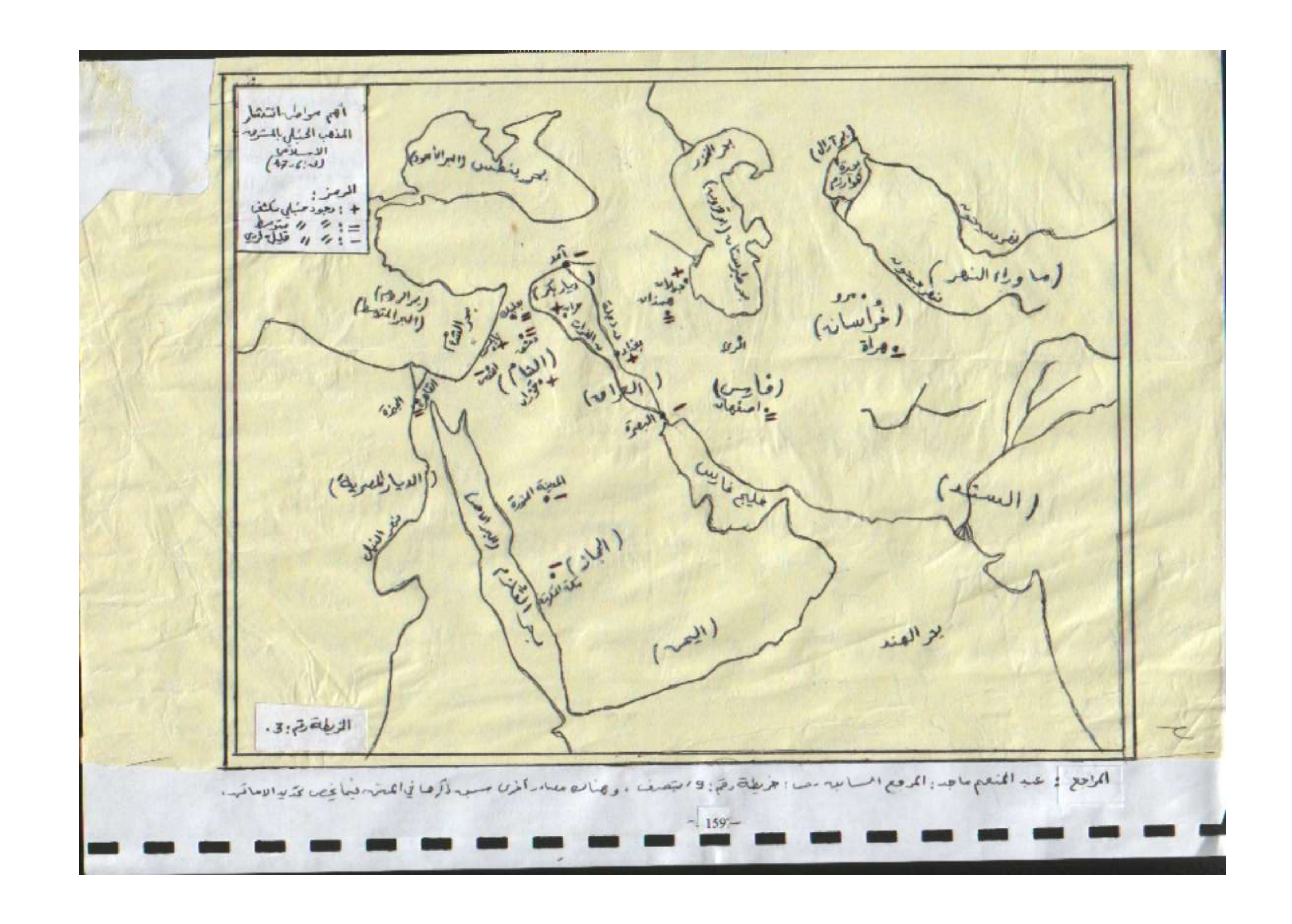
. . .

[1] ابن الجوزي : المصدر السابق ج 12 ص :312 .

[2] سبق ذكر بعض نشاط هؤلاء العلمي و سيأتي المزيد في المباحث الآتية .

[3] جواد تزهير : العقيدة و الشريعة فب الإسلام ،ترجمة محمد يوسف موسى، وعبد العزيز عبد الحق ، وحسن عبد القادر ،بيروت دار الرائد العربي ، د ت ص :108 .

[4] جورج مقدسي : ((رعاة العلم في بغداد)) ترجمة إحسان عباس ،مجلة الأبحاث ،بيروت مج 14 ج 4 1961 ص: 505 .



المراجع : عبد المنعم ماجد: المرجع السابق، ص: خريطة رقم: 9، بتصرف. وهناك مصادر أخرى سبق ذكرها في المتن فيما يخص تحديد الأماكن.

-159-

حققت نصرا متواضعا بدعم من الوزير السلجوقي نظام الملك(ت485 هـ/1092م) الذي مكنها من إيجاد موقع لها في بغداد بعد مصادمات عنيفة بينها و بين الحنبلية[1] .

و أما الباحث محمود صبحي فيرى أن أفول المعتزلة من بغداد و خارجها ،ترك فراغا فكريا ، أدى إلى نشأة الأشعرية التي ملأته ،لأن فكر الحنابلة غير ملائم ليكون عقيدة للعامة لتطرفهم[2]. وكلامه هذا ينطوي على مغالطات و أخطاء تاريخية فادحة ، فمتى كان مذهب المعتزلة عقيدة عامة الناس في المشرق الإسلامي ،لكي نقول أنه ترك فراغا عند أفوله ؟! إنه منذ أن وضع الخليفة العباسي المتوكل بالله (232-247هـ/847-861م) حدا لمحنة خلق القرآن ، وكسر شوكة المعتزلة[3]، و عامة العلماء و الناس على مذهب أهل الحديث ، وعندما جاء المتكلم أبو الحسن الأشعري(ت324 هـ/935م) إلى بغداد انتسب إليهم[4] ، و استمر الأمر على هذا الحال إلى القرن الخامس الهجري/11م أين بدأت الشعرية في التحرك لنشر أفكارها ، و دخلت في نزاع مع الحنبلية في بغداد ، فأين الفراغ المزعوم الذي تركه المعتزلة ؟ وأما قوله أن فكر الحنابلة لا يصلح للعوام لتطرفهم ، فهو ادعاء لا دليل عليه فمتى كان العوام يختارون مذاهبهم و عقائدهم ؟ إنهم تبع لملوكهم و علمائهم ، فعندما ملك الفاطميون مصر أصبح عامة الناس على مذهبهم الإسماعيلي بعدما كانوا سنيين ، وعندما أطاح بهم صلاح الدين الأيوبي رجع هؤلاء إلى المذاهب السنية . و اعتقد شخصيا أن أي باحث منصف له اطلع على المذهبين الحنبلي و الأشعري ، يتبين له أن المذهب الحنبلي هو الأقرب إلى فطرة عامة الناس من المذهب الأشعري ، الذي طغى عليه علم الكلام ، وخاض في مسائل أبعدته عن الفطرة ، كمسألة الكلام النفسي ، والتأويل ، والجبر و الكسب[5] .

وظل المذهب الحنبلي محافظا على مكانته في بغداد خلال النصف الثاني من القرن السابع الهجري/12م بفضل نشاط علماءه و مؤسساته ،حتى أصبحت بغداد قبلة طلاب الحنابلة يأتونها من الأمصار لدراسة مذهبهم[6] ،لكنه فقد كثيرا من نفوذه وقوته عندما استولى المغول على بغداد و نكبوا

---

[1] عنها انظر لكاتب هذه السطور : الحركة الحنبلية و أثرها في بغداد 192 و ما بعها .

[2] محمود صبحي :في علم الكلام : الأشاعرة ط5 بيروت دار النهضة العربية 1985 .ص : 37-38 .

[3] انظر ابن كثير :المصدر السابق ج 10 ص :316 .

[4] ابن تيمية : موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول حققه محمد محي الدين عبد الحميد و حامد الفقي ط2 القاهرة ، مطبعة السنة المحمدية 1950 ج2 ص :10 . و مجموع الفتاوى جمع وترتيب محمدبن قاسم ، الرباط مكتبة المعارف د ت ج 3 ص : 228 .

[5] سيأتي ذكر نماذج من تلك المسائل في الفصلين الثالث و الرابع .

[6] عن ذلك انظر رحلات علماء الحنابلة في طلب العلم ، من هذا الفصل .

أهلها سنة656هـ/ 1258م فقل بذلك أتباعه في بغداد و كثروا في الشام[1]، غير أنه سرعان ما استرد كثيرا مما فقده ، فعندما زار الرحلة ابن بطوطة بغداد سنة 727هـ/1326 وجد أكثر أهلها حنابلة و لهم فيها الدور الكبير و المؤثر[2] ومما يثبت ذلك أنه عندما اعتنق السلطان المغولي محمد خربندة (ت716 هـ/1316م) المذهب الشيعي الاثنى عشري و سعى إلى فرضه على مملكته كان الحنابلة أكبر قوة معارضة له في بغداد ، و حملوا السلاح في وجهه[3] .

و الثانية مدينة الموصل ،كان فيها التأثير الحنبلي بارزا ، تجلى في علمائه الموصليين النشطين ،كالفقيه أبو العباس بن الوتارة(ت 622هـ/1225م)، اشتهر بين الناس بالزهد و الورع ، و الجاه العريض و الحرمة الوافرة بينهم[4] . و المقرئ الأديب محمد بن احمد شعلة الموصلي(656هـ/ 1258م) ، برع في القراءات و الأدب ، وهو القائل :

كن حنبليا ما حييت ،فإنني أوصيك خير وصية الإخوان
ولقد نصحتك إن قبلت فاحمد زين التقاة و سيد الفتيان[5]

ومنهم المقرئ الفرضي ضياء الدين عبد الله بن إبراهيم(ت 679 هـ/1280م)، شيخ القراء بالموصل، قرأ عليه علم القراءات و الفقه الحنبلي المقرئ الفقيه ابن خروف الموصلي(ت 727هـ/1326م)[6] .

و الثالثة مدينة جيلان[7] ،للمذهب الحنبلي فيها نفوذ قوي ، و غالبية سكانها حنابلة ، و الباقي من المذاهب السنية الأخرى ، ولا يستطيع أن يسكن معهم من يخالفهم في المذهب[8] .ومن الأسر العلمية الحنبلية ذات الأصل الجيلاني، أسرة عبد القادر الجيلاني و آل شافع [9] .

وأما الرابعة فهي مدينة حران ، تعد معقلا حصينا من معاقل الحنبلية ،تجذر فيها المذهب الحنبلي في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري[1]/11م ،وأخرجت علماء كبارا منهم :فخر الدين بن

---

[1] ابن خلدون : المقدمة ط1 بيروت دار الكتب العلمية 1993 ص 355 .
[2] ابن بطوطة : المصدر السابق ج 1 ص :214 238 .
[3] ابن بطوطة : المصدر السابق ج 1 ص: 214 238 . و الصفدي : المصدر السابق ج 21 ص :185 .
[4] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :164 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص : 100 .
[5] نفس المصدر ج 2 ص :256 . و نفس المصدر : ج 5 ص :281 .
[6] نفس المصدر ج2 ص :298 . و نفس المصدر ج 5 ص :336 .
[7] يقال كذلك كيلان ، و هي مدينة حصينة تقع بأرض الديلم شمال العراق و جنوب أذربيجان . ابن كثير : المصدر السابق ج 14 ص : 45 . و عبد المنعم ماجد و علي البنا : الأطلس التاريخي ص : خريطة رقم 7 .
[8] ابن كثير : نفس المصدر ج14 ص : 45 .
[9] عنهما انظر مبحث الأسر العلمية الحنبلية من هذا الفصل .

تيمية (ت622 هـ/1225م) ،و ابنه عبد الغني (ت639 هـ/1241م)، و ابن عمه مجد الدين أبو البركات(ت 652هـ/1254م)،و عبد المنعم بن الصيقل[2](ت 601هـ/1204م) ،لكن الوجود الحنبلي ضعف بجران عندما هاجر كثير من أهلها إلى دمشق فرارا من المغول سنة 667 هـ/1268م[3] .

و الخامسة مدينة همذان[4]،كان فيها المذهب الحنبلي متجذرا ظاهر التأثير خلال القرن السادس الهجري/12م،على يد الحافظ المقرئ أبي العلاء العطار (ت569هـ/1173م) و أولاده العلماء ،و قد كان له نفوذ قوي و جاه عريض في بلده و خارجه ،يأتيه طلاب العلم من شتى الأمصار ، فيستقبلهم و يسكنهم و ويدرسهم وينفق عليهم مجانا ،مما زاد في التمكين للمذهب الحنبلي في همذان وضواحيها ، لكنه –أي المذهب الحنبلي- تراجع فيها و ربما انقرض ،عندما اجتاحها المغول و أزالوا من كان فيها من أهل الحديث و الأثر[5] .

و آخرها مدينة اصفهان دخلها المذهب الحنبلي مبكرا[6] ،وتمذهب به كثير من أهلها[7] منهم ال مندة ، كالحافظ أبي زكريا يحيى بن مندة (ت511هـ/117م) و أبي الوفاء محمود (ت 632 هـ/1234م) ، ويرى الباحث مصطفى جواد أن المذهب الحنبلي فقد أغلبيته باصفهان في القرن السادس الهجري/ 12م ،لأن السلاجقة أضعفوه و مكنوا للشافعية ،على حساب الحنابلة ،الأمر الذي أدى إلى النزاع بينهم –أي الشافعية- وبين الحنفية[8] ،و مما يدعم رأيه أن علماء الحنابلة في اصفهان قل عددهم كثيرا في النصف الثاني من القرن السادسالهجري/12م و ما بعده ، بالمقارنة إلى علمائهم في بغداد و دمشق[9] ، كما أن الفتن المذهبية التي اشتدت بين طوائف اصفهان في الربع الأول من

---

1 أبو الحسين بن أبي يعلى الفراء : المصدر السابق ج 2 ص : 87 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :165 .

2 عن هؤلاء انظر مبحث الأسر العلمية الحنبلية من هذا الفصل .

3 ابن شاكر الكتبي : المصدر السابق ج 1 ص :63 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :311 .

4 تقع في بلد فارس إلى الشمال الشرقي من بغداد ، و هي اليوم تابعة لإيران . عبد المنعم ماجد و علي البنا : المرجع السابق ص :خريطة رقم 8 . و أطلس العالم الصحيح ، بيروت دار مكتبة الحياة ،1985 ص :67 .

5 الذهبي : الأمصار ذوات الأثار ص :197 . و السخاوي : الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، حققه فرانز روزنتال بيروت دار الكتب العلمية د ت ص :297 .

6 انظر التمهيد ص : .

7 ابن رجب المصدر السابق ج 1 ص :38 .

8 مصطفى جواد : في التراث العربي ص : 233 .

9 تبين لي ذلك من خلال تراجم ابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة .

القرن السابع الهجري/13م ، لا ذكر للحنابلة فيها[1] .و يبدو أنهم انقرضوا من اصفهان عندما خربها المغول ، وقضوا على من كان فيها من أصحاب الحديث[2]،لأنه عندما رحل الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن الطائي المصري الحنبلي(ت708 هـ/1308م) إلى اصفهان طلبا لعلم الحديث ن لم يجد فيها شيوخا ولا طلبة فرجع من حيث أتى[3] .

وأما في الشام ، فقد انتشر المذهب الحنبلي في بعض مدنه(انظر الخريطة رقم:) ، منها بيت المقدس أدخله إليه أبو الفرج عبد الواحد الشيرازي[4](ت486 هـ/1093م).و أصبح للحنابلة فيه مقاما للصلاة بالمسجد الأقصى، كباقي المذاهب السنية الثلاثة الأخرى في القرن السابع الهجري[5]/13م . ومنها نابلس ، كان للحنابلة فيها وجود مؤثر في القرن السادس الهجري/12م ، على أيدي بني قدامة و ال سرور و ال السعدي ،وعندما هاجروا إلى دمشق هربا من الصليبيين ، بقي من ال سرور بيت عبد المنعم في نابلس محافظا على مذهبه الحنبلي . و من أعلامه المشهورين الفقيه المحدث تقي الدين يوسف بن عبد المنعم(ت638 هـ/1240م)، والفقيه جمال بن عبد المنعم[6] (ت 656هـ/1258م) .

وأما في مدينة دمشق، فقد تقوى فيها المذهب الحنبلي خلال القرن السادس الهجري/12م و ما بعده على أيدي الأسر العلمية الحنبلية الدمشقية ، من بني الحنبلي ، و بني المنجا ، و المقادسة، و ال تيمية ،الذين بنوا المدارس و المساجد ، وصنفوا الكتب ، و عقدوا مجالس العلم ، وقد حولوا ضاحية الصالحية إلى مدينة للعلم و العلماء ، و معقلا حصينا لهم[7] .كما كان للحنابلة تأثير بارز في

---

[1] العماد الكاتب : المصدر السابق ج 1 ص :15 .

[2] السخاوي : المصدر السابق ص :295 .

[3] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 336 .

[4] انظر التمهيد ص : .

[5] عن مقام الحنابلة في المسجد الأقصى انظر المبحث الثاني من الفصل الثاني .

[6] العليمي : الأنس الجليل قي تاريخ القدس و الخليل ،العراق ، المطبعة الحيدرية و مكتبتها 1968 ، ج 2 ص :257 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :202 278 .

[7] عن ذلك انظر المؤسسات العلمية الحنبلية في الفصل الثاني .

بعض قرى الشام ، منها دومة بغوطة[1] دمشق ،و حوارى، و كفر بطنا، وبيت لهيا،و بلبيس،و يونين ببعلبك[2] .

و فيما يخص انتشار المذهب الحنبلي في مصر فقد ادعى المؤرخ جلال الدين السيوطي الشافعي(ت911هـ/1505م)، أن فقهاء الحنابلة بمصر قليلون جدا ، وأنه لم يسمع بخبر عنهم إلا بعد القرن السابع الهجري/13م و ما بعده،و أن أول إمام منهم ورد مصر –حسب علمه- هو الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي(ت600 هـ/1203م) ؛لأن مذهب الإمام احمد بن حنبل لم يبرز خارج العراق إلا في القرن الرابع الهجري/10م ، وفيه ملك العبيديون –الفاطميون- مصر ، فحال ذلك دون دخوله إليها[3].و قد ردد ما قاله السيوطي الباحثان محمد أبو زهرة[4]،و عمر سليمان الأشقر[5] ،و خالفه الباحثان محمود بن عرموس ، و عبد العزيز الأهل ، وأكدا أن مذهب أحمد بن حنبل ، خرج من العراق في زمن مؤسسه ، ودخل الأندلس في القرن الثالث الهجري/9م على يد تلميذه المحدث الفقيه بقي بن مخلد(ت276 هـ/889م) ، فعندما رجع من المشرق إلى الأندلس ، درس فيها المذهب الحنبلي بمسجد قرطبة ، فثار عليه علماء المالكية و أغروا به عوامهم و منعوه من التدريس ،لكنه لم يوقف نشاطه و ظل يقوم إلى أن توفي ، فخلفه ابنه في الرواية عن احمد بن حنبل[6]. و وافقهما الباحث محمد زينون عندما ذكر أن مذهب احمد وصل إلى القيروان في القرن الثالث الهجري/9م،عن طريق رجل مشرقي[7] من أصحاب الإمام احمد ، و حدث بها على مارواه القاضي عياض في ترتيب المدارك[8]. وذهب الباحث هنري لاوست إلى القول بأن جلال الدين السيوطي ،تعمد إغفال أهمية المذهب الحنبلي في مصر ليبرز دور الأشعرية و الصوفية الذين ينتمي إليهم[9] .و تعقيبا

---

[1] الغوطة هي كل ما أحاط بدمشق من قرى شجراء ، و كان من الأراضي المطمئنة التي تروى من نهر بردى . محمد كرد علي : غوطة دمشق ،ط 2 دمشق مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ،1952 ،ص :14 .

[2] انظر –حسب ترتيب تلك القرى- محمد كرد علي:نفس المرجع ص :35 .و ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص :246 . و سير أعلام النبلاء الجزء المفقود ص :82 182 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :223 267 .

[3] السيوطي : حسن المحاضرة ج 1 ص :480 .

[4] أبو زهرة : ابن حنبل ، القاهرة دار الفكر العربي ، د ت ،ص :399 .

[5] عمر سليمان الأشقر : المدخل إلى دراسة المدارس و المذاهب الفقعية ،ط 2 الأردن دار النفائس 1998 ، ص :168 .

[6] محمود بن عرموس : تاريخ القضاء في الإسلام القاهرة المطبعة الهلية الحديثة د ت ص :60 . و عبد العزيز الأهل : شيخ الأمة احمد بن حنبل ، ط1 بيروت دار العلم للملايين ، 1972 ص:347 .

[7] أن دخول ذلك الرجل إلى القيروان لايعني أن المذهب الحنبلي قد أنتشر فيها .

[8] محمد زينون : ((العلاقات الثقافية بين القيروان و مراكز الفكر في المشرق حتى منتصف القرن 4 هـ ،)) مجلة كلية العلوم الإجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض ج 1 1977 ، ص :373 .

[9] Ibn Taimiya du Letraite P 13 droit puublic .

عليهم أقول : أوافق الأربعة الأخيرين فيما قالوه ، وأضيف :إن مذهب احمد بن حنبل قد خرج من العراق إلى بلاد فارس ، و خراسان ، والشام في الفرن الثالث الهجري/9م على أيدي أصحابه وتلامذته[1] .

وأما دخوله إلى مصر فقد تبين لي ، أنه رسخ وجوده فيها و كون بها جماعة نشطة في النصف الأول من القرن السادس الهجري/12م في ظل الدولة الفاطمية[2] ، و ما قاله السيوطي ليس بصحيح تماما للدلائل الآتية، أولها إن المدرس أبا النجا صالح بن الحسين الحنبلي(ت بعد540هـ/1145م) ،كان يدرس في الأزهر زمن الفاطميين[3] .و الثاني أن الفقيه أبا بكر عبد الرحمن بن النفيس البغدادي ثم المصري الحنبلي ، انتقل إلى دمشق سنة 542 هـ/1147م فبقي فيها مدة، ثم دخل مصر واستوطنها إلى أن توفي بها سنة 560هـ/1164م[4] .و الثالث أن الفقيه أبا الخير مكي بن عمر بن شبيب المقدسي ثم المصري الحنبلي(634هـ/1236م) ولد بمصر سنة548هـ/1153م ،وكان والده حنبليا[5] ؛ وهذا يعني أنه كان للحنابلة وجود بمصر سنة 548هـ/1153م على أقل تقدير .و الربع أن الفقيه الصوفي عثمان بن مرزوق القرشي المصري الحنبلي(494-564هـ/1100-1268م) دخل مصر زمن الفاطميين ، و استوطنها إلى أن توفي بها ، وكان له فيها اتباع يبلغون ستمائة شخص[6] .

ومما يدل على الوجود المؤثر للحنابلة في مصر ، أنه عندما فتح صلاح الدين الأيوبي مصر سنة567هـ/1171م ، وعزم على بناء مدرسة على قبر الإمام الشافعي ، و نبش الفقيه نحم الدين الخبوشاني الأشعري(ت587 هـ/1191م) ،قبر المحدث ابن الكيزاني(ت560هـ/1164م)، لكي

---

[1] ابو الحسين بن أبي يعلى الفراء : المصدر السابق ج 1 ص :173 ، ج 2 ص : 44 . و ابن كثير : المصدر السابق ج 11ص :40 .

[2] سقطت نهائيا سنة 567هـ/1268م .

[3] يوسف بن اسماعيل النبهاني : جامع كرامات الأولياء حققه إبراهيم عطوة عوض ، بيروت دار الثقافة 1991ج 2ص :126 .

[4] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :330-331 .

[5] نفس المصدر ج 2 ص :215 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5ص :214 .

[6] ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج 3 ص:281 و ج 4 ص :421 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 309 310 .و المناوي :الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ،حققه محمد أديب الجاد ،ط1 بيروت دار صادر ،1999 ج 2 ص :268 .

لايجاورقبر الشافعي[1] ،ثار عليه الحنابلة و حدثت مواجهات بالسلاح[2] . ومنها ان المفسر الواعظ زين الدين بن نجية الحنبلي الدمشقي(ت599 هـ/ 1202م) دخل مصر و استقر بها سنة564هـ/1168م ،و كان له فيها نفوذ قوي بين أهل السنة من العامة و رجال الدولة[3]، و قد ترجم له السيوطي في كتابه حسن المحاضرة ، و ذكر عنه أنه صحب السلطان صلاح الدين الأيوبي[4] . فيتبين من هذه الرويات من هذه الروايات ، أن المذهب الحنبلي قد تجذر بمصر في النصف الأول من القرن السادس الهجري/12م قبل سقوط الدولة الفاطمية ؛وأن ما قاله السيوطي عنه ليس بصحيح

و أما بالنسبة للمناطق الثانوية ذات الوجود الحنبلي الضعيف(انظر الخريطة رقم: 4)، فمنها ست مناطق ، أولها البصرة سكنتها جماعة حنبلية ، المعرفون منها قليلون ، في مقدمتهم شيخهم المقرئ الحسن بن دويرة(ت 652 هـ/1245م) ، و تلميذه المفسر نور الدين أبو طالب البصري ثم البغدادي الضرير (ت684هـ/[5] 1285م) .و الثانية مكة المكرمة لم يكن فبها للحنابلة وجود معروف قبل القرن السادس الهجري/12م ،ثم هاجر إليها بعض علمائهم في هذا القرن و ما بعده ، و أصبح لهم مقام في الحرم المكي يصلون فيه لوحدهم ، على غرار الطوائف السنية الأخرى[6] . غير أنهم ظلوا يمثلون أقلية بالمقارنة إلى فئات المجتمع الأخرى ، بدليل أن المؤرخ تقي الدين محمد بن احمد الفاسي المالكي(ت832 هـ/1428م) لم يذكر في كتابه العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، إلا القليل من أعلام الحنابلة ،و الغالبية العظمى من تراجمه للشافعية و الحنفية و المالكية[7] .

و الثالثة المدينة المنورة ،لم أعثر للحنابلة فيها على أي ذكر خلال القرنين الخامس و السادس الهجريين/11-12م، لغلبة الشيعة الإمامة عليها ، و قمعهم لأهل السنة بها[8] ، ثم تغير حالهم في

[1] كان ابن الكيزاني شافعيا كالخبوشاني ، لكنه ليس أشعريا بل هو على مذهب الحنابلة في الأصول ،لذلك نبش الخبوشاني قبره وقال فيه: لا يرقد زنديق بجوار صديق . الذهبي : العبر ج 4 ص :263 و تاريخ الإسلام ج :581-590هـ/ ص : 280 . و اليافعي : المصدر السابق ج 3 ص :433-434 ز و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص :288 .

[2] الذهبي : نفسه ج4 ص :263 . و نفشه ج 581-590 هـ/ص :280 . و نفسه : ج 3 ص :433-434 . و نفسه ج 4 ص :288 .

[3] أبو شامة : ذيل الروضتين ص :35 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :438 . و ابن الوردي : المصدر السابق ج 2 ص :115 . و السيوطي : المصدر السابق ج 1 ص :551 .

[4] ذكر عنه أنه ولد 580 ، وتوفي 599، وهذا خطأ بين ، ولعله سهو منه ، لأن ابن نجية ولد سنة 508هـ ، و حتى المحقق لم يصحح هذا الخطأ و لعله خطأ مطبعي . السيوطي : نفس المصدر ج 1 ص :551 .

[5] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :254 255 313 314 .

[6] عن مقامهم في الحرم المكي انظر المبحث الأول من الفصل الثاني .

[7] راجع كتاب العقد الثمين .

[8] علي بن عبد الله الحسيني السمهودي : الوفاء بما يجب لحضرة المصطفى ، ضمن مجموع رسائل في تاريخ المدينة ، جمعة حامد الجاسر ،ط 1 الرياض ، دار اليمامة ، 1972 ص :141 142 .

النصف الثاني من القرن السابع الهجري/13م ، وأصبح لهم فيها مدرسة مشتركة بينهم و بين الشافعية[1] ، بعد زوال هيمنة الشيعة الإمامية عليها[2] .

و الرابعة منطقة الجبال باليمن[3] سكنتها طائفة كبيرة حنبلية الأصول شافعية الفروع ، ولم تكن أشعرية الأصول على غرار باقي شافعية اليمن ،فهي لاتأول الصفات ، وتقول بالحرف و الصوت[4] ؛و من كبار علمائها أبو زكريا يحيى بن مندة ى بن أبي الخير اليمني(ت558 هـ/1162م) ، له كتاب مشهور ، في العقائد و المقالات ، عنوانه : البيان[5] . و الخامسة مدينة امد (انظر الخريطة رقم: 3)،وجدت فيها جماعة حنبلية في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري[6]/11م، غير أن المشهور من أعلامها في القرنين السادس و السابع الهجريين/112-13م اثنان ، هما الوزير الأديب إسماعيل بن أبي سعد الشيباني(ت673 هـ/1274م) ، و ابنه الأديب شمس الدين أبو عبد الله(ت704 هـ/1304م)[7]. و السادسة مدينة هراة ببلاد خراسان (انظر الخريطة رقم: 3) ،كان للحنابلة فيها وجود جماعي مؤثر في القرن الخامس الهجري[8]/11م، غير أنه يبدو أن أمرهم بها قد ضعف جدا ، أو انقرضوا تماما في القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م ،لأنني لم أعثر على أي عالم منهم عاش في هذين القرنين بمدينة هراة ، التي غلب عليها المذهب الحنفي[9]

وأما في مدينة الري ببلاد فارس(انظر الخريطة رقم: 4)،فقد روى الرحالة ياقوت الحموي —و تابعه المؤرخ الصفدي- أن المتكلم الواعظ فخر الدين الرازي (ت606هـ/1209م) ، كان ينال من الكرامية[10] و ينالون منه ، ثم أنه يقال: إن الرازي —أثناء عقده لمجالس و عظه- كان الحنابلة

[1] عنها انظر المبحث الثاني من الفصل الثاني .

[2] السمهودي : نفس المصدر ص :124 .

[3] لم أهتد إلى تحديد موقعها على خريط اليمن .

[4] عن ذلك انظر الفصل الثالث .

[5] اليافعي : المصدر السابق ج 3 ص "318 324 325 326 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص :186 .

[6] راجع التمهيد ص : .

[7] البن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 6 ص :11 ط د الأفاق .

[8] راجع التمهيد ص : .

[9] ابن بطوطة : المصدر السابق ج 2 ص :33 .

[10] هي فرقة كلامية تنتسب إلى أبي عبد الله محمد بن كرام السجستاني (ت255 هـ/869م) ، وهي تعتقد التشبيه في ذات الله تعالى،وتشبهه بمخلوقاته . انظر : عبد القاهر البغدادي : المصدر السابق ص :215 و ما بعدها . و الشهرستاني : المصدر السابق ص :123 و ما بعدها .

يكتبون إليه قصاصات يشتمونه فيها ، ويلعنونه ، و يطعنون في شرفه ، فكان يرد عليهم و يتهمهم بالتجسيم و التشبيه ، و يشنع عليهم[1] .

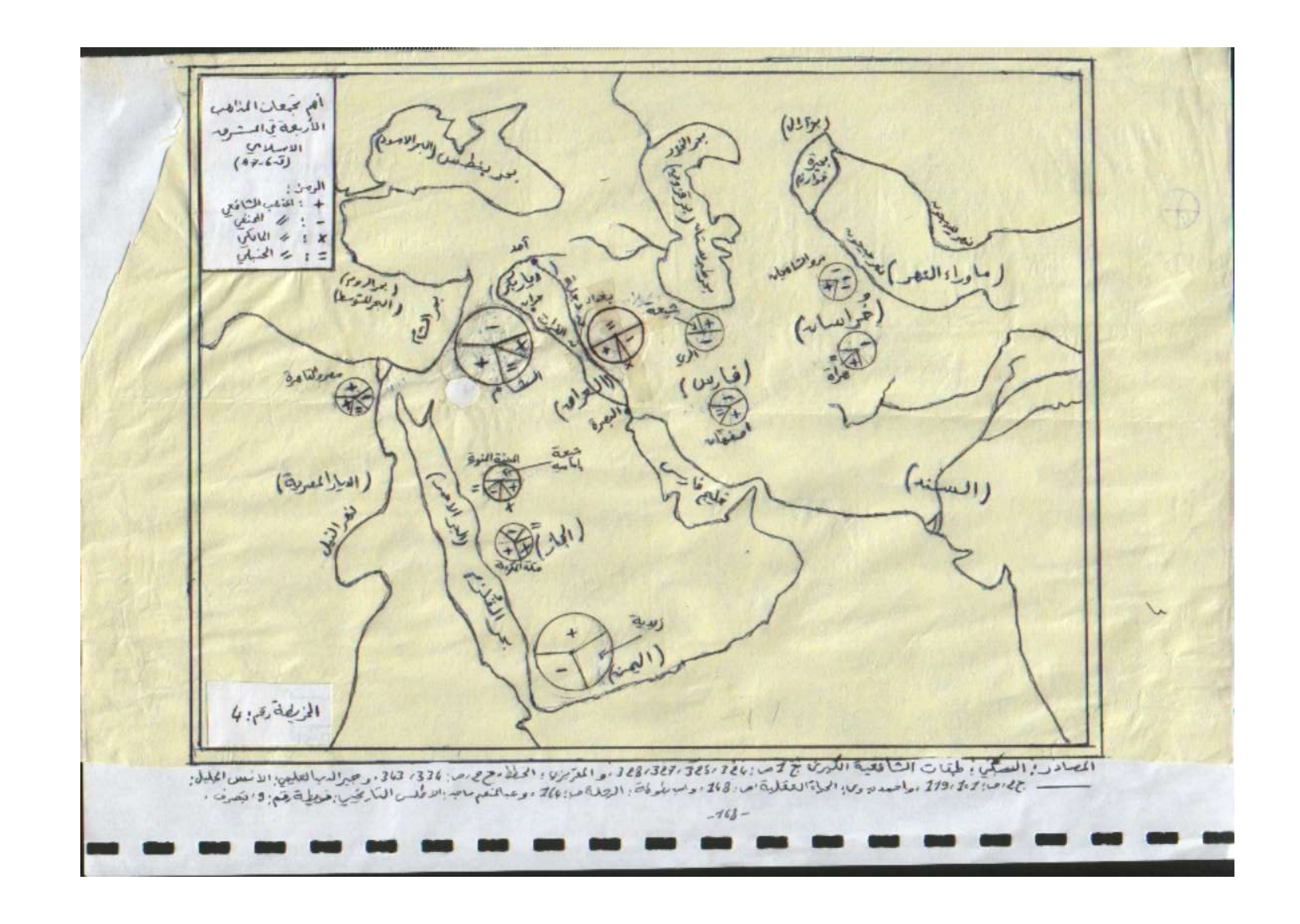
و ذلك يعني أن للحنابلة في مدينة الري، وجود جماعي مؤثر و بارز ،لكنني اعتقد أن هذا ليس بصحيح ، و أن ياقوت الحموي واهم فيما رواه بصيغة التمريض : يقال ،و إنما كان يقصد طائفة الكرامية–هم حنفية في الفروع–، لا الحنابلة ، لخمسة اعتبارات ، أولها أنه روي الخبر بصيغة يقال ، وهذا يعني أنه غير متأكد منه ،. و الثاني أن أهل مدينة الري في القرن السابع الهجري/13م هم من الحنفية و الشافعية، وقليل من الشيعة[2] .

و الثالث أن ياقوت الحموي ذكر أن الفتن الطائفية في الري كانت تقع بين تلك الطوائف الثلاثة، ولم يذكر الحنابلة بين هؤلاء اطلاقا[3] . و الرابع أن المؤرخين ابن الأثير و الذهبي ، تعرضا للفتنة التي حدثت بين الفخر الرازي و الكرامية سنة 595 هـ/1198م ، دون أية إشارة للحنابلة[4] . وآخرها إنه من المستبعد جدا أن يكون للحنابلة وجود جماعي بارز في مدينة الري ، ثم لا أعثر على أية شخصية منهم عاصرت الفخر الرازي ، أو شاركت فيما حدث له .

و تكرر نفس الأمر في مدينة مرو ببلاد خراسان(انظر الخريطة رقم: 4ص:156) ،فقد روى المؤرخان ابن الأثير و ابن كثير ، أنه كان للشافعية بمرو جامع كبير بناه لهم الوزير نظام الدين مسعود بن علي الشافعي(ت596 هـ/1199م)، فحسدهم الحنابلة بزعامة كبيرهم المعروف بشيخ الإسلام ،فيقال أنهم

. . .

[1] ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج 6 ص :2586 . و الصفدي : المصدر السابق ج 4 ص :249-250 .
[2] القزويني : أثار البلاد ص : 376 . و ياقوت الحموي : معجم البلدان ط2 بيروت دار صادر ، 1995 ، ج 3 ص :117 .
[3] ياقوت الحموي : نفس المصدر ج 3 ص : 117 .
[4] ابن الأثير : المصدر السابق ج 9 ص :249 . و الذهبي : تاريخ الإسلام ج : 591-600 هـ/ ص :22 .



أهم تجمعات المذاهب
الأربعة في المشرق
الاسلامي
(ق 6-7 هـ)
الرمز:
+ : المذهب الشافعي
- : // الحنفي
x : // المالكي
= : // الحنبلي
بحر بنطس (البحر الأسود)
بحر الخزر
بحر الروم (البحر المتوسط)
بحيرة خوارزم
ما وراء النهر
خراسان
فارس
العراق
بغداد
البصرة
الشام
مصر القاهرة
الديار المصرية
نهر النيل
الحجاز
مكة المكرمة
المدينة المنورة
اليمن
زبيد
الخليج الفارسي
السند
آمد
أصفهان
الري
هراة
مرو الشاهجان
الخريطة رقم: 4
المصادر: السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ج 1 ص: 324، 325، 327، 328، والمقريزي: الخطط ج 2 ص: 334، 343، وعبد الله العليمي: الأنس الجليل: ج 2 ص: 101، 119، وأحمد بدوي: الحياة العقلية ص: 168، وابن بطوطة: الرحلة ص: 164، وعبد المنعم ماجد: الأطلس التاريخي: خريطة رقم: 9، بتصرف.
-168-

أحرقوه –أي الجامع– ،فأغرمهم السلطان علاء الدين خورارزم شاه الحنفي(ت596 هـ/1199م) أموالا ، مقدار ما صرف في بنائه[1] . ويبدو أن المؤرخين هما كذلك واهمان ، فيما ذكراه عن الحنابلة بصيغة التمريض: يقال ،وإنما يقصدان الحنفية ، لأنه لا يوجد بمرو حنابلة[2] .كما أنه من الغريب جدا[3] أن يكون لهم –أي الحنابلة– وجود مكثف بهذه المدينة في النصف الثاني من القرن السادس الهجري/12م ، ولا نجد لعلمائهم و أعيانهم ذكرا، في كتب التراجم و التواريخ .

و يستنتج مما ذكرناه عن انتشار المذهب الحنبلي في المشرق الإسلامي خلال القرنين السادس و السابع الهجريين/12–13م ،أنه قد شهد توسعا في مصر و الشام لم يعهده من قبل، بفضل جهود علمائه النشطين . وأنه حافظ على مكانته في بغداد ، و لم يعرف انتشارا جديدا في بلاد فارس و خراسان و خوارزم ، بل تراجع عن مواقع كان حصينا بها ، كاصفهان و هراه ، فما هي العوامل التي ساعدت على انتشاره ، والتي أعاقته ؟

ثانيا: عوامل انتشار المذهب الحنبلي و تراجعه

يرى الفقيه المتكلم أبو الوفاء بن عقيل البغدادي الحنبلي(ت513 هـ/ 1119م) ، أنه لا عبرة بالمذاهب التي تنتصر بدعم من الدولة، و الكثرة ، وحشمة الإنعام ؛ و إنما العبرة بالمذهب الذي ينصره دليله ؛فهو كالجوهر الذي لا يحتاج إلى صقالة ، وتزويق، و كالحسن الذي لايحتاج إلى تحسين ؛ وأما غيره فإذا زال ناصره أفلس[4] .و هو هنا يتحدث عن واقع المذاهب الفقهية و الأصولية في زمانه ، و يريد أن يقول لنا :أن مذهبه الحنبلي ليس له دولة تتبناه و تحميه ، وإنما هو ينتصر بدليله، و بمجهودات أتباعه الذاتية ، عكس المذهبين الشافعي و الحنفي المدعومين من السلاجقة[5] . وقوله هذا يشهد له ما سبق ذكره عن المذهب الحنبلي، فإن كل المناطق التي انتشر فيها دخلها على أيدي اتباعه ، وبإمكانياتهم الخاصة –في غالب الأحيان– ، فهم الذين نشروه في العراق و الشام و مصر ، و بنوا له معظم مؤسساتهم العلمية ، من مساجد ، ومدارس ، و زوايا و أربطة[6] ؛ الأمر الذي

---

[1] ابن الأثير : المصدر السابق ج 9 ص :250 . و ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص :23 .
[2] إلى هذا أشارت الهيئة العلمية المشرفة على نشر كتاب البداية و النهاية لابن كثير ، ج 13 هامش ص : 23 .
[3] يوحي مقدار الغرامة المدفوع ، أن الذين احرقوا جامع الشافعية ، هم الحنفية على مذهب السلطان علاء الدين ،لذلك خفف عقوبتهم و غرامتهم ، لأن جرمهم يستدعي أن تكو ن عقوبتهم أكبر مما دفعوه ،عقابا لهم ، وعبرة لغيرهم .
[4] ابن عقيل : المصدر السابق ج 1 ص :237 .
[5] سيجد هذان المذهبان الدعم القوي ، في دولة الزنكيين ، والأيوبيين ، و المماليك .
[6] عن ذلك انظر الفصل الثاني .

يثبت ان العامل في انتشاره هو جهود اتباعه الذاتية[1] ؛ لكنه من جهة أخرى لا يعرف لأنه اكتسب مناطق نفوذ جديدة ، في بلاد فارس ، وخراسان ، و خوارزم خلال القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م ،بل فقد مدنا كان منتشرا فيها بكثرة ، كاصفهان ، و هراه . و ظل يمثل الأقلية في مصر و دمشق و البصرة ، و لم تكن له الأغلبية إلا في مناطق قليلة ، كبغداد ، و حران و جيلان (انظر الخريطتين رقم: و رقم:)، فما هي العوائق التي عرقلت انتشاره ؟ هي كثيرة، أذكر منها ستة ، أولها ابتعاد الغالبة العظمى من علماء الحنابلة و أعيانهم ، عن تولي المناصب السلطانية العليا في الدولة وعدم طلبهم لها ؛ إذ لم أعثر على من تولى منهم الوزارة إلا على نحو خمسة فقط[2] ،من وفاة الإمام احمد ابن حنبل(ت 241هـ/855م) ،إلى نهاية القرن السابع الهجري/13م، الأمر الذي فوت عليهم فرصا كثيرة لخدمة مذهبهم والتمكين له بقوة السلطان .

و الثاني ضعفهم الاقتصادي ، أثر فيهم سلبا في توسيع نشر مذهبهم ، لأن كثيرا من أعيانهم تفرغوا للعلم و العبادات و لم يهتموا بجمع الأموال[3] ؛ حتى أن خصومهم من الطوائف الأخرى كانوا يعيرونهم بالفقر و قلة المناصب[4] . و الثالث مقاومة الشافعية و الحنفية و المالكية لهم[5] ،دفاعا عن مذاهبهم ، وتحجيما للمذهب الحنبلي[6] . و الربع دور السلاجقة في إضعاف الوجود الحنبلي في اصفهان و بغداد وغيرهما من المدن لنشر المذهب الشافعي .

وآخرها تضييق الأشاعرة على الحنابلة إلى حد الاضطهاد ، وقد أشار إلى ذلك الموفق بن قدامة المقدسي(620 هـ/1223م) عندما ذكر أن الحنابلة في زمانه ، غرباء مستضعفون في أكثر

---

[1] هذا لا ينفي وجود عوامل خارجية ثانوية ،كدعم بعض رجال الدولة لعلماء من الحنابلة وتشجيعهم في نشاطهم العلمي ،كما حدث لابن الجوزي زمن الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله . انظر ابن الجوزي : المصدر السابق ج 10 ص :253 257 258 263 .

[2] سبق ذكرهم .

[3] ابن الجوزي : مناقب الإمام احمد بن حنبل ، ط 3 بيروت ، دار الأفاق الجديدة ، 1982م/1402هـ ص :505 .

[4] لذلك صنف المقرئ احمد بن الحسين البغدادي الحنبلي (ت588 هـ/1192م) ،كتابا ردا على من اتهم الحنابلة بالفقر و قلة المناصب . ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :377 .

[5] لإظهار اهمية هذا العامل اضرب على ذلك مثالا بانتشار الطريقة القادرية والمذهب الحنبلي ،فالقادرية تنتسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني الصوفي البغدادي الحنبلي(ت 561هـ/1165م) ،انتشرت في مختلف العالم الإسلامي ،في حياة مؤسسها و بعده وهي اليوم منشرة في القارة الإفريقية و باكستان . (زيدان محمد طه : الطريق الصوفي و فروع القادرية في مصر، ط1 بيروت دار الجيل 1991 ، ص :178 . و Henri Laoust Les schismes dans L islam P 212 .) لكن المذهب الحنبلي الذي ينتمي إليه مؤسس القادرية لم يعرف ذلك الانتشار ، لأن القادرية طريقة تربويه صوفية ، لاتمثل خطرا على المذاهب الأخرى ، وأما هو فيمثل خطرا عليها لأنه ينافسها و ينازعها في الفروع و الأصول .

[6] عن ذلك انظر : ابن كثير : المصدر السابق ج 11 ص :33 39 و ج 12 ص :124 132 134 .

الأمصار ، ويضامون[1]، ويخوفون ، و يضطهدون[2] . ومما يؤيد قوله أن المؤرخ المقريزي (ت845 هـ/1441م) ذكر أن المذهب الأشعري قد عم ديار مصر ، والشام، و الحجاز ، و اليمن ، و بلاد المغرب ، و من خالفه ضرب عنقه[3] . والحنابلة هم الطائفة الوحيدة التي كانت تعارض الأشعرية علنية و تهاجمها بقوة[4] .

و للمؤرخ عبد الرحمن بن خلدون(ت808 هـ/1405 م)، رأي مفاده أن سبب قلة اتباع الإمام احمد بن حنبل هو بعد مذهبه عن الاجتهاد ، لأن أصالته معاضدة الرواية و الأخبار بعضها ببعض[5] ؛ لكن الباحث محمد أبو زهرة رد عليه و وخطأه فيما ذهب إليه ، و بين أن العامة لا تختار من تقلده انطلاقا من البحث و الموازنة بين الأدلة ، و إنما تخضع في اتباعها لمذهب ما، إلى الملابسات السياسية ولاجتماعية، كما أنه لا دخل لكثرة الاجتهاد و قلته في شيوع المذاهب و تراجعها ، ثم ختم كلامه بقوله: ((و ما كان لمثل ابن خلدون أن يقحم مقدار الاجتهاد في ذلك المقام))[6] . انه حقا لغريب جدا أن يقول ذلك عن المذهب الحنبلي ، و فيه مجتهدون كبار قل نظيرهم في المذاهب السنية الأخرى ، و كان لهم الفضل الكبير في كسر قيد التقليد المذهبي ، وممارسة الاجتهاد بأنفسهم ، ومقاومة دعوى إغلاقه ، في عصر عم فيه الجمود الفكري، و التعصب المذهبي ، خلال القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م و ما بعدهما [7] .

و يستنتج مما ذكرناه عن جهود علماء في تحصيل العلم و نشره ، بالمشرق الإسلامي خلال القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م ،أنهم رحلوا في طلب العلم إلى شتى الأمصار ، وضحوا في سبيله بأموالهم ، و جهودهم ،و أوقاتهم ، وفارقوا أهاليهم وأوطانهم . وأن مدينة بغداد كانت أكثر المراكز العلمية جذبا لهم ،قبل تدمير المغول لها . وأنهم ضربوا أمثلة رائعة، في الجد و

---

[1] الضيم هو الظلم . محمد بن أبي بكر الرازي : مختار الصحاح ، حققه مصطفى ديب البغا ،ط4 الجزائر دار الهدى ، 1990، ص :521 .و يرى الباحث جميل الشطي أن سبب تراجع المذهب الحنبلي في القرون الأخيرة ، هو تعرض اتباعه للفتن و المحن ، دون أن يفصل ما أراده أن يقوله . جميل الشطي : ((ذيل على طبقات الحنابلة)) مجلة المقتبس ،دمشق مج 6 سنة 1329هـ/1911م، ص :171 172 .

[2] ابن قدامة المقدسي :كتاب البرهان في بيان القرآن ، مجلة البحوث الإسلامية ،الريض العدد 19 ، رجب، شعبان، رمضان، شوال ، 1407 ، ص :280 .

[3] المقريزي : المواعظ و الاعتبار في ذكر الخطط و الأثار ، ج 2 ص :443 .

[4] تبين لي ذلك من خلال بحثي هذا ، و سترد موضوعات وحوادث كثيرة عارض فيها الحنابلة خصومهم الأشاعرة .

[5] ابن خلدون : المصدر السابق ص :355 .

[6] محمد أبو زهرة : ابن حنبل ، ص :353 .

[7] للتوسع في ذلك انظر : مبحث قضية الاجتهاد و التقليد المذهبي ، من الفصل الثالث .

الاجتهاد في الحفاظ على الوقت والإقبال على العلوم حفظا و فهما .و أن الكثير منهم جمع بين الاشتغال بالعلم و التكسب ،و بعضهم عانى الفقر و الحرمان ،لكنه وطن نفسه على الصبر و القناعة بالقليل ، وفيهم من تنعم بالدنيا تنعما زائدا . كما أن كثيرا منهم قد جمع بين التخصص و المشاركة في العلوم ، و بعضهم اكتفى بالثقافة العامة دون تخصص متقن. وأن معظمهم أقبل على طلب الفقه و الحديث ،و اللغة و الأدب ،و قلة منهم طلبت علوم الأوائل . وأنه ظهرت من بينهم عالمات حنبليات كثيرات ، اقرأن القرآن الكريم ، و درسن الفقه ، و روين الحديث ، وأن معظمهن ينتمين إلى أسر حنبلية عريقة في العلم ، زاد عددها عن اثنين وعشرين أسرة . و أنهم بفضل نشاطهم الدؤوب في تأليف الكتب ، و عقد مجالس العلم، ساهموا في نشر مذهبهم وتقويته ، و أعطوا دفعا قويا للحركة العلمية الحنبلية ، و زادوها عمقا و حيوية بإنشائهم للمدارس ، والمساجد ، و باقي مؤسسات العلم الأخرى .

الفصل الثاني

مؤسسات العلم الحنبلية في المشرق الإسلامي خلال القرنين:6-7 هـ/12-13م

المبحث الأول: المساجد الحنبلية

المبحث الثاني: المدارس الحنبلية

المبحث الثالث: المكتبات الحنبلية

المبحث الرابع: الأربطة و الزوايا و الترب الحنبلية

مؤسسات العلم الحنبلية في المشرق الإسلامي

خلال القرنين:6-7 هـ/12-13م

تنوّعت مؤسسات العلم و التعليم الحنبلية في المشرق الإسلامي حسب ما كان سائدا منها في القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13-، أهمها : المساجد ،و المدارس ، المكتبات ،و الأربطة ،و الزوايا ،و التُرب . و سيأتي تفصيل ذلك فيما يلي:

المبحث الأول : المساجد الحنبلية

تعد المساجد أهم مؤسسة علمية، جمعت بين عبادة الصلاة و مهمة التعليم طوال التاريخ الإسلامي ،و قد تحول بعضها إلى ما يشبه الجامعات في عصرنا الحاضر ،كالجامع الأزهر بالقاهرة ، و الجامع الأموي بدمشق[1] ، وقد كان لكثير منها-خلال القرنين 6-7هـ/ 12-13م –صبغة مذهبية تميزها عن غيرها من المساجد . وقد اختص الحنابلة-كباقي الطوائف الأخرى- بمساجد نسبت إليهم، في بغداد ، و دمشق ، و بعلبك، ونابلس ، وغيرها من المدن التي يكثرون فيها .

أولا: مساجد الحنابلة في بغداد

أحصيتُ للحنابلة اثنين وعشرين مسجدا في بغداد ،معظمها يقع بالجانب الشرقي من المدينة، منها مسجد ابن جردة[2] ،أم فيه ثلاثة من كبار القراء الحنابلة ،أولهم سبط أبي منصور الخياط(ت541 هـ/1146م)، اقرأ فيه الناس القرآن الكريم ، من سنة 487هـ/1094م إلى وفاته فنسب المسجد إليه[3] . و الثاني أبو المظفر احمد بن احمد (ت576 هـ/1180م) ، قصده الناس من بعيد لسماع قراءته في صلاة التراويح[4] . و الثالث فخر الدين أبو الفوارس حماد بن مزيد(ت 596 هـ/1199م) اقرأ فيه الناس ، وكانت له معرفة تامة بوجوه القراءات ، و طريقة مليحة في الأداء و التجويد[5] . و الثاني هو مسجد ابن شافع ، تولى إمامته المحدث أبو المعالي صالح بن شافع الجيلي(ت543 هـ/1148م) خلفا لشيخه

---

[1] سيأتي الكلام عنه في هذا المبحث .

[2] عنه انظر التمهيد ص : .

[3] ابن الجوزي : المنتظم ج 10 ص :122 . و الذهبي : معرفة القراء الكبار ج 2 ص :404 . و جمال الدين القفطي : انباه الرواة ، ج 2 ص :122 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :409 .

[4] الذهبي : المختصر المحتاج إليه ص : 99 .

[5] ابن الفوطي : المصد السابق ق 3 ج 4 ص : 164 .

الشريف أبي جعفر[1]، فنسب إليه[2] ؛ و حدث فيه من آل شافع [3] ، أبو المعالي محمد ابن احمد (ت 627 هـ/1229م) ، و واظب على ذلك إلى أخر عمره[4] .

والثالث مسجد أبي المظفر محمد بن احمد العباسي(ت 555هـ/1160م)، كان مسجدا جامعا ، وخطب فيه صاحبه[5] . و يبدو أن هذا هو الجامع الوحيد الذي نسب للحنابلة ببغداد .و الرابع مسجد ابن حمدي ، نسبة للزاهد أبي الفرج بن حمدي البغدادي (ت563هـ/1167م)، لازمه ، وأم فيه بالناس في أوقات الصلاة[6] .و وعظ فيه الفقيه و وعظ فيه الفقيه عبد المنعم بن الصيقل الحراني ثم البغدادي (ت601هـ[7]/1204م) .و استمر في نشاطه إلى ما بعد واقعة بغداد سنة 656هـ/1258م ، إذ انقطع فيه المقرئ محمد بن احمد الصرصري البغدادي الضرير (ت686 هـ[8]/1287م) .

و الخامس مسجد الفقيه المتكلم صدقة بن الحسين الحداد (ت573 هـ/1177م)، سكنه و أم فيه بالناس في الصلوات ،و اقرأ فيه فنون العلم نحو سبعين سنة[9] . و السادس مسجد الفقيه أبي العباس احمد بن بكروس الدينوري المعروف بابن الحمامي (ت 573 هـ/ 1177م)، أم فيه بالناس ، ثم خلفه بعد وفاته الفقيه احمد بن أبي غالب الحبابيني الضرير [10](574هـ/1178م) . و السابع مسجد المقرئ أبي منصور بن ثابت الخياط (ت596هـ/1199م) ،تولى إمامته ، و اقرأ فيه القرآن الكريم خلقا كثيرا[11] .

---

[1] عن ذلك راجع التمهيد ص : .

[2] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :213 214 . و ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج 4 ص :1501 .

[3] عن آل شافع انظر الشكل رقم : 3 .

[4] ابن رجب : نفس المصدر ج 2 ص :176 .

[5] ا نفس المصدر ج 1 ص :138 . و العليمي : المصدر السابق ج 2 ص :277 .

[6] ابن الدبيثي : المصدر السابق ج 1 ص :102 .

[7] ابن النجار : المصدر السابق ج 16 ص :98 .

[8] الصفدي : نكت الهميان ص :246 .

[9] ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج 4 ص :1447 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :339 .و الذهبي : المختصر المحتاج إليه ص :201 . و البن كثير : المصدر السابق ج 12 ص : 228 .

[10] الصفدي : المصدر السابق ص :114 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 338 343 .

[11] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :398 .

و من مساجدهم في محلة المأمونية[1] ببغداد ثلاثة ، أولها مسجد الفقيه أبي الفتح بن المني (ت 583هـ/1187م) ،كان عامرا بالفقهاء و القراء ، و تفرغ فيه صاحبه للإشغال و الاشتغال مدة طويلة ، ثم خلفه فيه –بعد وفاته– تلميذه المتكلم الفخر غلام بن المني(ت610هـ/1213م) ، فنسب المسجد إليه[2] . ثم درس فيه من بعده ،تلميذه الفقيه عبد المنعم بن محمد الباجسرائي[3](ت612 هـ/1215م) .و الثاني مسجد الفقيه المقرئ أبي بكر بن غنيمة الحلاوي (ت611هـ/1214م) ، لازمه و تفرغ فيه للعلم و إقراء الناس القرآن الكريم مجانا[4] . و الثالث مسجد المحدث نور الدين عبد اللطيف بن النفيس[5] (ت647هـ/ 1249م) .

و أما مساجدهم في الجانب الغربي ببغداد –خلال القرنين 6-7هـ/12-13م –فلم أعثر منها إلا على مسجد واحد فقط ،هو مسجد المقرئ احمد بن أبي غالب الوراق المعروف بابن الطلاية (ت548هـ/1153م) بمحلة الحربية[6] ،لازمه أكثر من عشرين سنة ، للعبادة وإقراء الناس القرآن الكريم ، و لا يغادره إلا لضرورة[7] .

ومن المساجد التي بنيت للحنابلة في القسم الشرقي من بغداد ، مسجدان ألهما بناه الخليفة المستضيء بأمر الله (566-575هـ/1170-1179م) سنة 573هـ/1177م و سلمه لهم ، فتولى إمامته صهر ابن الجوزي عبد الوهاب بن العيني ، و أم فيه ابن الجوزي بالناس في صلاة التراويح في جمع غفير من الخلق ،فحسد أهل المذاهب الأخرى الحنابلة في تسلمهم لهذا المسجد ، لأنه كان يرجف به لغيرهم[8] .و الثاني بنته أم الخليفة[9]الناصر لدين الله (575-622هـ/1179-

[1] تقع بالجانب الشقي من بغداد ، انظر الخريطة رقم : 5 .

[2] المنذري : المصدر السابق ج 4 ص :60 61 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :359 ج 2 ص :66 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص :253 2 76 277 . و الذهبي : المختصر المحتاج إليه ص :138 .

[3]ابن النجار : المصدر السابق ج 16 ص :101 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 51 .

[4] الصفدي : الوافي بالوفيات ج 5 ص :40 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :77 .

[5] ابن رجب : 2 ص :247 .

[6] تقع شمال القسم الغربي من بغداد . انظر مصطفى جواد و احمد سوسة : خارطة بغداد ص :72 . و الخريطة رقم:5 ص: .

[7] سبط بن الجوزي : المصدر السابق ج 8 ص :216 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص :145 .

[8] ابن الجوزي : المصدر السابق ج 10 ص : 272 .

[9] لم أعثر على اسمها .

1225م) على شاطيء دجلة في سنة 580هـ/1184م ، و سلمته للواعظ أبي محمد عبد الغني (ت 583هـ/1187م) فتولى إمامته و الوعظ فيه[1] .

و تولى بعض علماء الحنابلة إمامة مساجد ببغداد ، يبدو أنها ليست لهم[2] إنما هي لغيرهم ، منها جامع دار القز ، أم فيه الفقيه سعد بن شنيف البغدادي الحنبلي[3](ت554 هـ/1150م) . و الثاني مسجد ابن الثعلبي ، أم فيه المقرئ أبو علي بن جعفر العباسي[4](ت554 هـ/1159م) . و الثالث مسجد ابن حمدون ، تولى إمامته الأديب الفرضي أبو البقاء محب الدين العكبري الضرير[5] (ت 616هـ/1219) . و الربع المسجد الجديد ، صلى فيه بالناس الفقيه الشاعر عبد الوهاب بن قطينة(ت 612هـ/1215م) ، ثم نسب إليه و عرف بمسج قطينة[6] . و الخامس مسجد قمرية بناه الخليفة العباسي المستنصر بالله (623-640هـ/1126-1242م) ،و اختار لإمامته المحدث عبد الصمد بن أبي الجيش[7] (ت676هـ/1277م) .

و يتبين مما ذكرناه عن مساجد الحنابلة في بغداد خلال القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م ، أن مساجدهم التي عثرت عليه بلغت اثنين و عشرين مسجدا ، مقابل أحد عشر مسجدا أحصيتُها لهم في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري[8]/11م . و أن معظمها يقع بالجانب الشرقي من بغداد لعمارته و ازدهاره اكثر من القسم الغربي ، و قد شهد كثيرا منها نشاطا علميا مكثفا على أيدي مؤسسيها ،كمسجد صدقة بن الحسين ، و أبي الفتح بن المني .

ثانيا: مساجد الحنابلة في دمشق

قُدر مجموع مساجد الحنابلة بدمشق –خلال القرنين 6-7هـ/12-13م-بنحو ثمانية و خمسين مسجدا ، أذكر منها أربعة عشر ، ثمانية داخل دمشق ، و ستة بضاحية الصالحية .فبالنسبة

---

[1] ابن شاهنشاه : مضمار الحقائق ص :179 .و الذهبي : المختصر المحتاج إليه ص :274 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :184 .

[2] لم أتحقق من نسبتها إليهم .

[3] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 37 . و العليمي : المصدر السابق ج 2 ص :276 .

[4] نفس المصدر ج 1 ص :233 . و نفس المصدر ج 2 ص :273 .

[5] ياقوت الحموي : المصدر السابق ج 4 ص :1515 .

[6] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 88 .

[7] ابن رافع السلامي : المصدر السابق ص :95 . و ابن رجب : نفس المصدر ج 2 ص :291-292 .

[8] انظر التمهيد ص : .

لمساجدهم بداخل المدينة ، فأولها مقامهم في الجامع الأموي[1] ، يصلون فيه لوحدهم على غرار الحنفية و الشافعية و المالكية . و لم أهتد إلى تحديد سنة ظهوره ، غير أنه كان قائما سنة 528هـ/1133م ، و يقع بالرواق الغربي الثالث من الجامع[2] .و يصلي فيه إمامهم بعد إمام الشافعية، ثم سمح له بالصلاة معه في وقت واحد ،فحدث خلط و تشويش في الصلاة ، فجاءهم الأمر بالصلاة قبله في سنة 694هـ/1294 ، فبقي الوضع على ذلك الحال إلى عام 720هـ/1320م ، ثم تغير وأصبح ترتيب صلوات الأئمة الربعة يبدأ بالشافعي ، ثم المالكي ، ثم الحنفي ،ثم ينتهي بالحنبلي[3] .

و لم يكن لهم فيه محراب قبل سنة 617هـ/1220م ، إذ كانت في موضعه خزانتان مجتمعتان يصلون إليهما، ثم وضع لهم في عام 617هـ/1220م ، عندما أمر السلطان المعظم عيسى بن العادل الأيوبي (ت624هـ/1227) بجمع كل خزائن الكتب التي في الجامع ، و وضعها في مكان واحد بداخله، فنقلت معها خزانتا الحنابلة ، بقي مكان صلاة إمامهم مكشوفا ، فعمل لهم أمير يعرف بالركن المعظمي محرابا، و لما ردت خزانتاهم جعلتا على يمين المحراب ويساره[4] .

ومن علمائهم الذين تولوا الإمامة في مقامهم بالجامع الأموي ثمانية ، هم : الفقيه أبو بكر بن النفيس البغدادي ثم الدمشقي[5](ت560 هـ/1164هـ) .و المحدث بن إبراهيم الحذاء الدمشقي(ت594 هـ/1197م)[6] .و الفقيه الموفق بن قدامة المقدسي(ت620 هـ/1223م) .و القاضي شمس الدين بن عبد الوهاب الحراني ثم الدمشقي(ت575هـ/ 1179م)[7] . والفقيه عبد الرحمن بن سليمان البغدادي ثم الدمشقي[8](ت670 هـ/1271م). و القاضي نجم الدين بن عبد

---

[1] الذي بنى الجامع الأموي هو الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك بن مروان(ت 96هـ/714م) ، وقد شرع في بنائه سنة 87هـ /705م .ابن العماد الحنبلي ك المصدر السابق ج 1 ص : 353 388 ط د .

[2] ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص :339 .

[3] ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص :339 . و ابن بطوطة : المصدر السابق ج 1 ص :92 . و عبد القادر النعيمي : ج 2 ص :394 .

[4] أبو شامة :ذيل الروضتين ص :106 . و النعيمي : المصدر السابق ج 2 ص :121 122 393 . و الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 22 ص :36 . و ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص : 77 .

[5] ابن رجب :المصدر السابق ج 1 ص :330 331 .

[6] نفس المصدر ج 1 ص :330 331 397 .

[7] نفس المصدر ج 2 ص :17 231 288 و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :348 .

[8] ابن رجب : نفس المصدر 2 ص :281 .

الرحمن المقدسي(ت 689هـ/1290م).و المحدث محمد بن أبي الفتح البعلي ثم الدمشقي (ت709 هـ/1309م)[1] .

وكان للحنابلة فيه نشاط علمي متنوع ، من فقه، وحديث ،و تفسير ،و حفظ للقران الكريم[2] ؛و لهم فيه كذلك حلقة أسبوعية تعرف بحلقة الثلاثاء[3] ،و قد درس فيها علماء كثيرون ، منهم : القاضي شمس الدين بن عبد الوهاب الحراني ثم الدمشقي، اقرأ فيها الفقه سنين طويلة[4] .و الفقيه أبو الحسن علي بن شمس الدين المقدسي ثم الدمشقي[5](ت 699هـ/ 1299م).و المحدث محمدبن أبي الفتح البعلي ثم الدمشقي ،جمع بين الإمامة و التدريس لزمن مديد[6] .

و لمقامهم بالجامع الأموي أوقاف يشرف عليها إمامهم فيه، بمساعدة نوابه[7] ؛ و يبدو أنه هو الذي يتولى توزيع المعاليم–المنح و الجرايات– على فقراء الحنابلة في حلقتهم الدائمة لتحفيظ القرآن الكريم ، المكونة من أزيد من مائة شخص[8] . وقد نص القاضي عثمان بن المنجا في وقفيته ، أنه في حالة انعدام من يشرف على أوقافه من أسرته ، يتولى إمام مقام الحنابلة في الجامع الأموي أمر أوقافه[9] .

وأشير في هذا المقام إلى أته كانت في الجامع الأموي –خلال القرنين6-7هـ/12-13م– أربعة محاريب ، حسب الطوائف السنية الأربعة[10] ؛ إذ لكل منها محرابها الذي تصلي فيه . وقد أوصلها إلى هذه الوضعية الغريبة المنكرة سببان رئيسيان ، أولهما غلبة التعصب المذهبي على علماء ذلك

---

[1] نفس المصدر ج 2 ص :281 322 357 .و ابن طولون : قضاة دمشق ص :274 .و ابن العماد الحنبلي: نفس المصدر ج 5 ص :332 .

[2] قطب الدين اليونيني : المصدر السابق ج 4 ص :203 .و النعيمي : المصدر السابق ج 2 ص :217 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :15 .

[3] اليونيني : نفس المصدر ج 3 ص :193 .و النعيمي : نفس المصدر ج 2 ص :107 .

[4] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :288 .

[5] نفس المصدر ج 2 ص :344 .

[6] نفس المصدر ج 2 ص :344 357 .و ابن طولون : القلائد الجوهرية ج 1 ص :172 .

[7] القاضي عثمان بن المنجا :كتاب وقف القاضي عثمان بن المنجا ص :33 .

[8] انظر الوثيقتين اللتين نشرهما الباحث دومينيك سوردال عن حلقة الحنابلة بدمشق ، في نشرة الدراسات الشرقية بدمشق(B E O) Tome 25 1972 P 147 148 .

[9] القاضي عثمان بن المنجا : المصدر السابق ص :33 .

[10] تغير الحال في وقتنا الحاضر ، فإن الصلاة فيه واحدة وراء إمام واحد ، لكن المحاريب الأربعة ما تزال قائمة ، و قد رأيتها في زيارتي للجامع الأموي في ربيع سنة 2001 .

العصر ،و تضخيمهم للخلافات الفقهية على حساب أخوتهم و وحدتهم ، حتى أن كثيرا من فقهاء الحنفية أفتوا ببطلان صلاة الحنفي وراء إمام شافعي ؛ و في المقابل لم يجز بعض الشافعية اقتداء الشافعي بالحنفي في الصلاة[1] . و الثاني أن من كان في يدهم الأمر من الخلفاء و السلاطين و الأمراء ،لم يقوما بواجبهم الشرعي لجمع شمل المسلمين ،بل الكثير منهم شجع التعصب المذهبي ، و نصر طائفة معينة على طوائف أخرى[2] ؛و كان في مقدورهم –بالتعاون مع العلماء- توحيد الأمة في الصلاة و خارجها ، والناس سيتبعونهم لأنهم على دين ملوكهم وعلمائهم .

و المسجد الثاني للحنابلة في مدينة دمشق ، هو مسجد أبي صالح بظاهر باب شرقي من المدينة[3] ، لازمه ابن سند حمدويه، ثم خلفه فيه صاحبه أبو صالح بن مفلح النبلي الصوفي(ت530 هـ/1135م)، فنسب إليه ، ثم هو الذي وقف المسجد و جعل النظر فيه للحنابلة[4] .و عندما هاجر بنو قدامة إلى دمشق نزلوا في هذا المسجد ، وتولى كبيرهم الشيخ احمد بن قدامة إمامته و إقراء القرآن فيه ، فخاف بنو الحنبلي أن يأخذوا منهم وقف المسجد ، وطلبوا منهم أن يكتبوا بخطوطهم أنهم نزلوا عندهم وأنهم تحت أيديهم ، ففعلوا ذلك[5] .و بتأثير من القاضي ابن أبي عصرون الشافعي(585 هـ/1189م) –وغيره من الأعيان- كتب السلطان نور الدين محمود (ت569 هـ/1173م) كتابا لبني قدامة بتسلم مسجد أبي صالح و النظر في وقفه، فضاق صدر الشيخ احمد من ذلك عندما وجد نفسه ينافس الناس على دنياهم ، فكان هذا من أسباب تركه لمسجد أبي صالح و الانتقال إلى الصالحية بسفح حبل قاسيون[6] . وقد اندثر هذا المسجد في وقتنا الحاضر و لم يبق منه أثر[7] .

و الثالث مسجد الوزير ، انتزعه الفقيه عبد الكريم بن نجم الين بن الحنبلي الدمشقي(ت619 هـ/1221م)، من يد المقرئ علم الدين بن محمد السخاوي الشافعي(ت643هـ/1245م) و سلمه

---

[1] عمر سليمان الأشقر : تاريخ الفقه الإسلامي ص : 167 169 .

[2] عن ذلك انظر مبحث الاجتهاد و التقليد من الفصل الثالث .

[3] ابن طولون : المصدر السابق ج1 ص :167 . و النعيمي : المصدر السابق ج 2 ص :102 .

[4] ابن شداد : المصدر السابق ص :136-137 . يوسف بن عبد الهادي: ثمار المقاصد في ذكر المساجد ص :108 .النعيمي :نفس المصدر ج 2 ص :102 103 . و ابن طولون : نفس المصدر ج 1 ص :167 .

[5] ابن طولون : المصدر السابق ج 1 ص :36 .

[6] نفسه ج 1 ص : 36-37 .

[7] نفس المصدر ج 1 ص : هامش ص : 25 .

للحنابلة[1] . و لم أعثر على أية معلومات عن هذا المسجد ، ولا عن خلفيات النزاع عليه .و الرابع مسجد ابن الصيرفي ، نسبة لفخر الدين بن الصيرفي الحنبلي(ت بعد 660هـ/1261م) ،وكان يتقاضى من الدولة–على إمامته لهذا المسجد– ستين درهما كجراية شهرية[2] .و الخامس مسجد ابن شقير ، الأديب شرف الدين بن عبد المنعم الدمشقي المعرف بابن شقير(ت73 هـ/1274م)، و تأنق في عمارته[3] .و المساجد الثلاثة المتبقية كل منها يوجد في مدرسة من مدراس الحنابلة بدمشق وهي: الحنبلية ،و الجوزية،و المسمارية[4] .ويبدو أن نشاطها العلمي كان ضعيفا ، لأنها تقع داخل مؤسسات تعليمية .

و تولت طائفة من علماء الحنابلة ،إمامة مساجد بمدينة دمشق لم أتمكن من التعرف على أصحابها ، منها مسجد الخشابين ، أم فيه المقرئ احمد بن الحسين البغدادي ثم الدمشقي المعروف بالعراقي([5]ت588 هـ/1192م) . ومسجد السلالين ، تولى إمامته جمال الدين بن إبراهيم المقدسي ثم الدمشقي[6](ت597 هـ/1200م). و مسجد الرماحين أم فيه الأديب محمد بن عبد الرزاق الرسعني ثم الدمشقي(ت 689هـ[7]/1193م) .

وأما في ضاحية الصالحية ، فإن معظم مساجدها للحنابلة، والقليل منها للطوائف السنية الأخرى[8] ؛و قد زاد عددها عن 154مسجدا زمن الفقيه يوسف بن عبد الهادي[9](909 هـ/1503م)،و يبدو أن معظمها كان قائما في القرنين السابع و الثامن الهجريين/13–14م ، لأن أوضاع الصالحية بعدهما

---

[1] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :132 . و ابن طولون : نفس المصدر ج 1 ص :340 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :85 .

[2] الصفدي : المصدر السابق ج 9 ص :458 459 .

[3] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق 5 ص :341 .

[4] ابن شداد : المصدر السابق ص :110 119 . و يوسف بن عبد الهادي : المصدر السابق ص :97 159 . و محمد كرد علي : المرجع السابق ص :178 .

[5] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 377 .

[6] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :442 .

[7] ابن شاكر الكتبي : المصدر السابق ج 2 ص :446 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :324 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :404 410 .

[8] لكن معظم المساجد داخل مدينة دمشق ، هي للشافعية و الحنفية ، و القليل للحنابلة ، و النزر اليسير للمالكية .(يوسف بن عبد الهادي :المصدر السابق ص :159.و محمد كرد علي : المرجع السابق ص :178 .) و بلغ مجموع مساجد دمشق زمن المؤرخ ابن شداد(684 هـ/1285م) ،نحو 288مسجدا ، و قدر مجموع المساجد التي بظاهرها و ضواحيها 329مسجدا ،فأصبح إجمالي مساجدها يقدر ب 617 مسجدا . ابن شداد : المصدر السابق ص : 10 و ما بعدها ،و 129 .

[9] يوسف بن عبد الهادي : المصدر السابق ص :145 و ما بعدها .

أخذت في التدهور و الانحدار[1] .و لما كان مجموع مساجد الصالحية عند نهاية القرن السابع الهجري/13م ،يقدر بثمانين مسجدا كحد أدنى ؛ وأن غالبيتها للحنابلة ،فيمكن القول أن لديهم-أي الحنابلة- خمسين مسجدا على أقل تقدير[2] ، أذكر منها ستة فقط .

أولها جامع الحنابلة[3] ، شرع في بنائه الشيخ أبو عمر بن قدامة المقدسي(ت607 هـ/1210م) سنة 598هـ/1201م ، على نفقة رجل يقال له الشيخ أبو داود محاسن الفامي ، فلما بلغ المسجد قدر قدم نفد المال ، فلما سمه به ملك اربل أبو المظفر سعيد كوكبوري (ت630 هـ/1232م) أرسل ثلاثة الاف دينار لإتمامه ، وشراء بما تبقى من المال أوقاف له، ثم بعث مرة أخرى ألف دينار ليساق إليه الماء من قرية مردا المجاورة له، فمنع ذلك ملك دمشق المعظم عيسى بن العادل(ت624 هـ/1227م)، بحجة أن في طريقه قبورا كثيرة للمسلمين ،وحفر له بئر عليه مدار ، و وقفت عليه أوقافا أخرى ، و عندما اكتمل جعل فيه الشيخ أبو عمر منبرا على ثلاثة مراقي ، والرابعة للجلوس كمنبر النبي –عليه الصلاة والسلم[4] – .

و قد تولى إمامة هذا الجامع وخطابته ،علماء من أسرة بني قدامة المقدسية الصالحية–خلال القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13 – منهم : الشيخ أبو عمر محمد ، و أخوه موفق الدين عبد الله (ت620 هـ/1223م)، و ابناه شرف الدين عبد الله (ت643 هـ/1245م)،و قاضي القضاة شمس الدين عبد الرحمن (ت682هـ/1283م)،و ولد هذا الأخير أبي الحسين علي[5](ت699 هـ/1299م) .

---

[1] حولت كثير من مساجد الصالحية و مدارسها إلى مساكن ، وأخذت أوقافها ، واندثر الكثير من عمرانها في القرن8هـ/15م . أبو البقاء بن محمد البدري : نزهة الأنام في محاسن الشام ، بغداد ، القاهرة ،المكتبة العربية ، المطبعة السلفية 1341 ،ص : 321 .

[2] ورغم ذلك فإني لم أتعرف إلا على القليل من مساجده بالصالحية .

[3] مايزال يعرف إلى اليوم بهذا الاسم ، لأنهم هم الذين شرعوا في بنائه و اشرفوا عليه و على أوقافه ،و يعرف كذلك بجامع الجبل نسبة لجامع قاسيون ، و بالجامع المظفري نسبة للملك المظفر كوكبوري التركماني(ت630 هـ/1232م)، الذي اكمل بناءه ، و يعرف بجامع الصالحيين نسبة للمقادسة الصالحيين الذين عمروا الصالحية . أنظر : ابن شداد : المصدر السابق ص :86 .و ابن عبد الهادي : المصدر السابق ص :152 . و ابن طولون : المصدر السابق ج 1 هامش ص :49 . و النعيمي : المصدر السابق ج 2 ص :435 . و عبد القادر بدران : المرجع السابق ص :373 .

[4] ابن شداد المصدر السابق ص :86 . و ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص : 32 59 .و النعيمي : المصدر السابق ج 2 ص :435 436 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص :316 .

[5] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :135 305 307 343-344 . و النعيمي : المصدر السابق ج ج2 ص :436 .

وكانت في جامع الحنابلة حلقات علم متنوعة ، منها حلقة لقراءة الحديث النبوي يوم الجمعة ، للمحدث الشهاب محمد بن خلف بن راجح المقدسي[1](ت618 هـ/1221م) .و ثانية لإقراء القرآن الكريم ، للمقريء أبي محمد عبد الرحمن بن احمد المقدسي(ت635 هـ/1237م)، لقن فيها القرآن خلقا كثيرا نحو أربعين سنة دون مقابل[2] .و ثالثة للفقيه الفرضي شرف الدين احمد بن قدامةالمقدسي(ت687 هـ/1288م) ،درس فيها الفقه بغير معلوم[3] .و هذا يعني أن للمدرسين في جامع الحنابلة أجور مقررة ، تدفع لهم من أوقافه .

وأشير هنا إلى أن جامع الحنابلة ما يزال قائما إلى اليوم في حالة جيدة[4] (انظر الصورة رقم: 1)،و هو يشبه في مخططه العام الجامع الأموي ،و له إيوانان كبيران، و صحن مربع ،و مئذنة مربعة تتوسط جداره الشمالي، و محراب حجري رائع الصنع، مغطى بالمقرنصات، و يعلوه قوس له ظفيرة ،و سلسلة منقوشة في الحجر ، وليس له شبيه في المحاريب الأخرى .وله-أي الجامع-منبر خشبي غني بالنقوش و الزخارف .و له كذلك نوافذ جصية مليئة بالزخارف النباتية[5] .

وأما المساجد الخمسة المتبقية ، فكل منها يقع في مدرسة من مدار س الحنابلة في الصالحية ، وهي: العمرية، والعالمية، و الصاحبية، و الضيائية، و الأشرفية البرانية[6]. و لهذه المساجد مشرفون و أئمة فقهاء ،يسهرون على أداء و ظيفتها ، و هي في الأصل من مرافق الطلبة في مدارسهم ، يؤدون فيها الصلوات[7] .

و يتبين مما أوردناه عن مساجد في مدينة دمشق —خلال القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13- أنه كان لهم منها نحو ثمانية وخمسين مسجدا ، ذكرت منها أربع عشر ، من بينها مسجدان رئيسيان فيهما نشاط علمي متنوع ،الأول مقامهم في الجامع الأموي ، والثاني جامعهم المعروف بهم

---

[1] ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص : 96 .

[2] الذهبي : تاريخ الإسلام ج: 631-640 هـ/ ص :246 .

[3] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :319 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :399 .

[4] جدد سنة 1408هـ/1986م و طلي بالدهان .(أكرم حسن العلبي : خطط دمشقط1 دمشق دار الطباع ، 1989 ص :320 .) و قد زرته في ربيع سنة 2001 ، وكانت فيه الأشغال جارية في قسم منه .

[5] عبد القادر الريحاوي : العمارة العربية في سوريا ،دمشق منشورات وزارة الثقافة ، 1979 ، ص :12 .

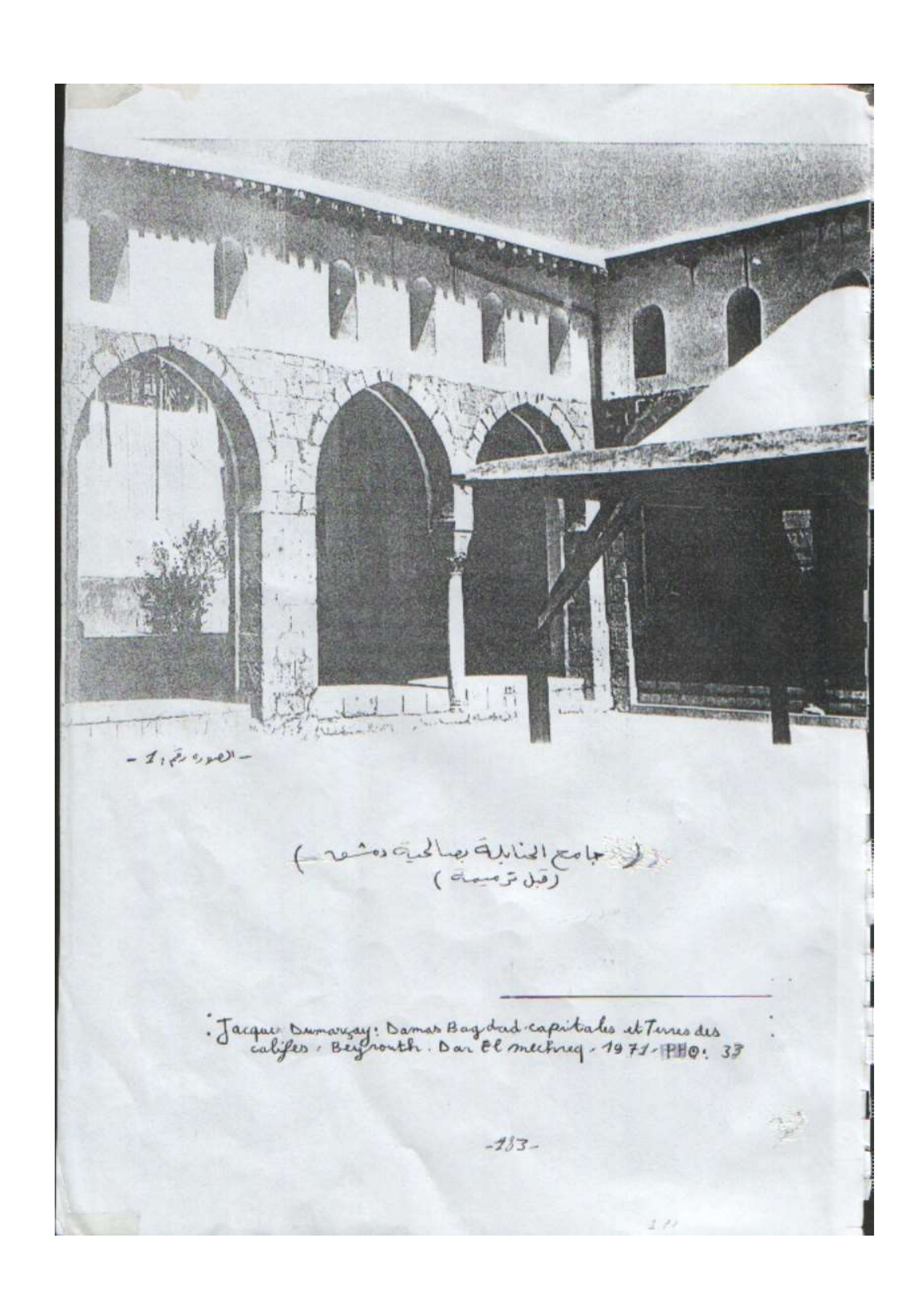
[6] عن هذه المدارس انظر المبحث الثاني من هذا الفصل .

[7] ابن شداد : المصدر السابق ص :158 .و يوسف بن عبد الهادي : ثمار المقاصد ص :103 149 153 160 . و الذهبي :معجم شيوخ الذهبي ص :489 .

في الصالحية بجبل قاسيون .و عليه تكون مدينة دمشق أكبر من بغداد من حيث مجموع مساجد الحنابلة فيها ، و أكبر كذلك من كل المدن الأخرى التي يسكنها الحنابلة .

ثالثا : مساجد الحنابلة في مدن أخرى

للحنابلة مساجد في مدن أخرى بالمشرق الإسلامي، منها مكة المكرمة ،و مصر ،و نابلس ،و بيت المقدس ،و بعلبك،و حران،و همذان . فبالنسبة لمكة ،فلم أعثر لهم فيها على مساجد ، إلا مقامهم في



- الصورة رقم : 1 -

(جامع الحنابلة بصالحية دمشق)
(قبل ترميمه)

: Jacques Dumarçay : Damas Bagdad capitales et Terres des califes, Beyrouth. Dar El mechreq - 1971 - PHO : 33

-183-

الحرم المكي[1] ،خصصه لهم الوزير عون الدين بن هبيرة البغدادي الحنبلي[2](ت560 هـ/1164) .و ولهم فيه إمام و مؤذن على غرار الشافعية،و الحنفية،و المالكية، و يصلي الشافعي أولا ،ثم المالكي، ثم الحنفي، ثم الحنبلي ؛ ثم تغير الحال اصبح الحنبلي يصلي قبل الحنفي ، وربما صلى مع المالكي في وقت واحد[3] ؛لكنهم في صلاة المغرب يصلي كل بطائفته في وقت واحد ، لضيق الوقت ،فيحدث تشويش ،و سهو،و تخليط، في القراءة و الركوع و التسليم[4] .و هذا كله من المنكرات المستحدثة في الحرم المكي التي لم يعرفها السلف الصالح[5] ،و التي هي كذلك ثمر مرة للإنقسامات الطائفية ، وما أوصلهم إليه تعصبهم المذهبي في الأصول و الفروع .

و تولى إمامة الحنابلة في الحرم المكي ،علماء ساهموا في تفعيل الحياة العلمية فيه ،وتمثيل المذهب الحنبلي و الحفاظ عليه ، منهم خمسة ، أولهم أبو محمد المبارك بن الطباخ البغدادي ثم المكي (ت575 هـ/1179م) جمع بين الإمامة ، و عقد مجالس الحديث ،و كتابة مناسك العمرة ، وبيعها للذين لا يعرفون مناسكها[6] .و في زمانه ابطل الخادم مرجان[7] ،إمامة الحنابلة في الحرم المكي– أثناء تواجده هناك لأداء فريضة الحج –،لأنه كان شديد التعصب عليهم ،ثم أعيدت إمامتهم بعد وفاته سنة 560هـ[8]/1164م . و الثاني المحدث محمد بن عبد الله الهروي ثم المكي(ت591 هـ/1194م)، قصد مكة طلبا للعلم ، ثم استقر بها و تولى إمامة الحنابلة في الحرم المكي سنين طويلة ، كانت له خلالها مجالس علم كثيرة[9] .و الثالث المقرئ أبو الربيع سليمان بن شاذي البغدادي

[1] إلى جانب مقامات الطوائف الأخرى، وقد ظهت هذه المقامات زمن سيطرة الفاطميين على الحرم المكي ، في القرنين الرابع و الخامس الهجريين/10-11م،و بقي هذا التعدد قائما إلى زمن المماليك حيث الغي على اثر إفتاء بعض العلماء بتحريمه ، ثم أعيد العمل به إلى أن ألغته نهائيا الدولة السعودية . احمد السباعي : تاريخ مكة ،ط2 ، مكة المكرمة ، مطابع دار قريش ،1380هـ ج 1 ص :198 .

[2] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :431 ط ق .

[3] ابن جبير: المصدر السابق ص : 71 72 .و التجيبي : المصدر السابق ص :295 296 297 . و ابن بطوطة : المصدر السابق ج 1 ص :164 .

[4] نفسه ص : 71 .و نفسه ص :296 .و نفسه ج 1 ص : 164 .

[5] التجيبي: المصدر السابق ص :296 .

[6] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :346 . و الفاسي : المصدر السبق ، ج 4 ص :606 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص :253 .و الذهبي : تاريخ الإسلام ج : 571-580 هـ/ص : 186 .

[7] هو خادم الخليفة العباسي المستنجد بالله (555-566هـ/1160-1170م) .

[8] ابن الجوزي : المصدر السابق ج 10 ص :213 .و سبط بن الجوزي : المصدر السابق ج 8 ص :255 .

[9] المنذري : المصدر السابق ج 1 ص :397 .و الفاسي : المصدر السابق ج 2 ص :52 . و ابن رجب : المصدر السابق :ج 1 ص :381 382 .

(ت608هـ/1211م) أم بالحنابلة في المسجد الحرام مدة ، ثم رجع إلى العراق[1]،ولا تعرف عنه أخبار أخرى .

و الإمام الرابع المقرئ الأديب برهان الدين بن الحصري البغدادي ثم المكي(ت619هـ/ 1222م) ، نزل مكة سنة 598هـ/1201م ،و جاور الحرم المكي و أم بالحنابلة فيه مدة عشرين سنة[2] .كانت له فيها حلقات حديث كثيرة ، حضرها كبار الحفاظ كمحمد بن الدبيثي ، و محب الدين بن النجار ، و الضياء محمد المقدسي، و أبي الحجاج يوسف بن خليل الدمشقي[3] . و إمامهم الخامس الفقيه عثمان بن موسى الطائي الآمدي(ت674هـ/1275م)،جاور الحرم ،و أم بالحنابلة فيه نحو خمسين سنة[4] .

وأما مساجد الحنابلة في مدينة مصر ، فإني لم أعثر لهم فيها إلا على ثلاثة مساجد فقط–خلال القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13- هي: مسجد المقرئ أبي الثناء محمد بن مطروح المصري الحنبلي(ت594 هـ/1197م)،أم فيه بالناس ، و اقرأ القرآن الكريم ، وأدب فيه الأطفال[5] . و الثاني مسجد أبي الحرم مكي بن عمر المقدسي ثم المصري الحنبلي (ت634 هـ/1236م) بدرب البقالين من المدينة ،تولى إمامته و كان يتقوت من عمل يده[6] . و آخرها مسجد قاضي القضاة شمس الدين بن العماد احمد المفدسي ثم المصري[7](ت 712هـ/1312م) .و أعتقد أن للحنابلة في مدينتي مصر و القاهرة ، مساجد أخرى كثيرة ،و إن لم تذكرها المصادر التي اطلعت عليها، لأن لهم فيهما وجود بارز ومؤثر منذ النصف الأول من القرن السادس الهجري/12م .[8]

و لهم في نابلس مسجد يعرف بمسجد الحنابلة، أم فيه الفقيهان أبو محمد عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسي[9](ت624 هـ/ 1227م) ،و شمس الدين عبد الله بن محمد بن يوسف النابلسي(

---

[1] الفاسي : نفس المصدر ج 4 ص :606 .

[2] أبو شامة : المصدر السابق ص :133 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :130 ، وابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص : 83 .

[3] ابن رجب : نفس المصدر ج 2 ص :131 .و ابن العماد الحنبلي: نفسه ج 5 ص :83 .

[4] الفاسي : المصدر السابق ج 6 ص :63 . و ابن العماد الحنبلي : نفس المصدر ج 5 ص :373 .

[5] المنذري: المصدر السابق ج 2 ص :129-130 .

[6] ابن رجب ج المصدر السابق ج 2 ص :215 . و ابن العماد الحنبلي :المصدر السابق ج 5 ص : 169 .

[7] الذهبي : سير أعلام النبلاء ، الجزء المفقود ص :402 .و الصفدي : المصدر السابق ، ج 7 ص :319 .

[8] عن ذلك انظر المبحث الأخير من الفصل الأول .

[9] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :171 .

649-737 هـ/ 1251-1336م) ،تولى إمامته قرابة سبعين سنة[1] .و لهم كذلك مسجدان في بلدتي ساوية ،و مردا ، من عمل نابلس[2] .

و لم أعثر للحنابلة في بيت المقدس ،على أي مسجد لهم-خلال القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م- ما عدا مقامهم في المسجد الأقصى ،وقد تأخر ظهوره عن مقامات الطوائف السنية الأخرى ،إذ لم يظهر إلا في زمن ملك دمشق المعظم عيسى بن العادل(ت624 هـ/1227م) ، عندما طلب منه الحافظ عز الدين بن عبد الغني المقدسي(ت613 هـ/1216م) ، أن يجعل للحنابلة محرابا في القدس الشريف ، فأعطاهم مهد عيسى-عليه السلام- ليتخذوه مقاما لهم[3] .وكان إمامهم فيه أخر الأئمة صلاة، و أولهم المالكي ، ثم الشافعي،ثم الحنفي[4] .

و لهم في بعلبك مسجد يعرف بمسجد الحنابلة ،ما يزال قائما إلى اليوم بنفس الاسم ، و هو جامع البلد الكبير تقام فيه صلاة الجمعة و الجماعات[5] ؛و عليه كتابة تجديد بنائه في سنة 682هـ/1283م ، زمن السلطان المملوكي أبي المعالي سيف الدين قلاوون[6] .و ممن تولى إمامته الفقيه عبد الرحمن بن يوسف البعلي(ت688هـ/1289م)، قدمه للصلاة فيه بالناس شيخ الحنابلة محمد اليونيني الصوفي)ت 658م/1259م) ، فظل به إماما إلى أن انتقل إلى دمشق[7] .

و أما في مدينة حرّان —ذات الأغلبية الحنبلية- فقد كانت فيها مساجد كثيرة ،و متعددة المرافق[8] . لكنني لم أتعرف إلا على اثنين منها فقط ، الأول الفقيه ناصح الدين بن أبي الفهم الحراني الحنبلي(ت634هـ/1236م) ،تفرغ فيه للعلم و العبادة سنين طويلة، و ورفض تولي القضاء[9] . و الثاني جامع حران ، له أربع قباب ،و تسعة عشر بابا ،منها تسعة على اليمين ، و تسعة على اليسار ، و التاسع

---

[1] نفس المصدر ج 2 ص :428 .

[2] نفس المصدر ج 2 ص :267 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :195 .

[3] الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 22 ص :43 .

[4] العليمي : الأنس الجليل في تاريخ القدس و الخليل ، ج 2 ص :32 . و المهدي عبد الجليل حسن : الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى في العصر الأيوبي و المملوكي ،ط1 الأردن ، مكتبة الأقصى 1980 ص :232 .

[5] قاسم الشماعي الرفاعي : بعلبك في التاريخ ،بيروت ، المكتب الإسلامي،1984 ص :48 123 . و اليونيني : المصدر السابق ، ج 2 ص :63 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :346 .

[6] ابن طولون : المصدر السابق ج 1 ص :4 .و محمد كرد علي : خطط الشام ج 6 ص :58-59 .

[7] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :319 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج5 ص :404 .

[8] ابن جبير : المصدر السابق ص :220 .

[9] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :202-203 .

عشر باب كبير يتوسط هذه الأبواب[1] .و قد تولى إمامته ،و خطابته ،و التدريس فيه ، علماء حنابلة كثيرون ، منهم : الفقيه أبو الحسن علي بن عبدوس (ت559 هـ/1163م) .و الفقيه أبو الفضل حامد بن أبي[2](ت570 هـ/1174م) .و المفسر فخر الدين بن تيمية(ت622 هـ/1224م)،و منه انتقلت خطابة الجامع إلى ال تيمبة ، منهم : المفسر عبد الغني بن فخر الدين (ت639 هـ/1241م) .و شهاب الدين عبد الحليم بن عبد السلام (ت682 هـ[3]/1283م) .

وفي مدينة همذان كان للحنابلة فيها وجود قوي و نشط–خلال القرنين السادس و السابع الهجريين[4]/12-13م–لكنني لم أعثر لهم فيها إلا على مسجد واحد فقط، هو للمقريء الحافظ أبو العلاء العطار الهمذاني(ت569 هـ/1173م) ،كان يصلى فيه بالناس ، و يسكن فيه الطلبة الذين يدرسون عليه في مدرسته البيتية[5] .

وللوزير عون الدين بن هبيرة الحنبلي(ت560 هـ/1164م)،رأي في ظاهرة تعدد المساجد حسب الطوائف المذهبية ، مفاده أن اختصاص المساجد ببعض أرباب المذاهب بدعة محدثة ، فلا يقال : هذه مساجد أصحاب احمد ، فيمنع منها أصحاب الشافعي ، ولا العكس ؛ و قد قال الله تعالى في المسجد الحرام ((سواء العاكف فيه و الباد))[6] –سورة الحج/25– ،وقوله هذا صحيح فيما يخص اختصاص جماعة بمساجد دون غيرها ، لكنني لم أعثر على ما يشير إلى أن طائفة من السنيين منعت غيرها من دخول مساجدها . لكنه وجد فيهم–أي من السنيين–من امتنع من الصلاة مع غير إمامه و أصحابه، كما هو الحال في الحرم المكي، و المسجد الأقصى، و الجامع الأموي، إذ كان لكل طائفة محرابها و إمامها ،و هذا كله ثمرة مرة للتعصب المذهبي الذميم المسيطر على العقول أولا ؛و نتيجة لعجز وتخاذل أولي الأمر و العلماء ، من القيام بواجباتهم الشرعية تجاه أمتهم ثانيا .

---

[1] ابن جبير : المصدر السابق ص :219 .

[2] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :242 3 333 334 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص :184 . 237

[3] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 222 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :376 .

[4] انظر المبحث الأخير من الفصل الأول .

[5] محمد بن عبد الهادي: المصدر السابق ج 4 ص :99 . و عن مدرسته و مكتبته انظر مبحثي :المدارس ، و المكتبات ، من هذا الفصل .

[6] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :279-280 . والعليمي : المصدر السابق ج 2 ص : 307 .

وأشير هنا إلى أن هناك مناطق سكنها الحنابلة، كاصفهان ، وجيلان ،و البصرة ،كانت لهم فيها مساجد ،لكن المصادرلم تذكرها . كما أن معظم المدن التي سبقت الإشارة إليها ، لم نتعرف على كل المساجد الحنبلية فيها ؛ و عليه فإن المساجد المذكورة آنفا ، و التي بلغت اثنين و تسعين مسجدا [1] مجموعها تقريبي ، ليعبر عن الحقيقة كما هي في الواقع ، لكنه يعطي لنا فكرة عامة عن مساجد ، كما هو موضح في الجدول (رقم:12ص: و الرسم البياني رقم:12ص:) ،ومنهما يتبين أن دمشق هي أكثر المدن عددا من حيث المساجد بفارق كبير ،ثم تليها بغداد ، ثم تأتي باقي المدن بعدد أقل ؛ و هي كلها –أي المساجد– قد ساهمت في خدمة المذهب الحنبلي، و تنشيط الحركة العلمية الحنبلية و دفعها إلى الأمام ، و جمعت بين عبادة الصلاة و مهمة التعليم حتى بعد ظهور المدارس و انتشارها .

[1] انظر الجدول رقم ص : 12 .و الرسم البياني رقم : 12 .

جدول تقريبي لمجموع مساجد الحنابلة في المشرق الإسلامي[1]

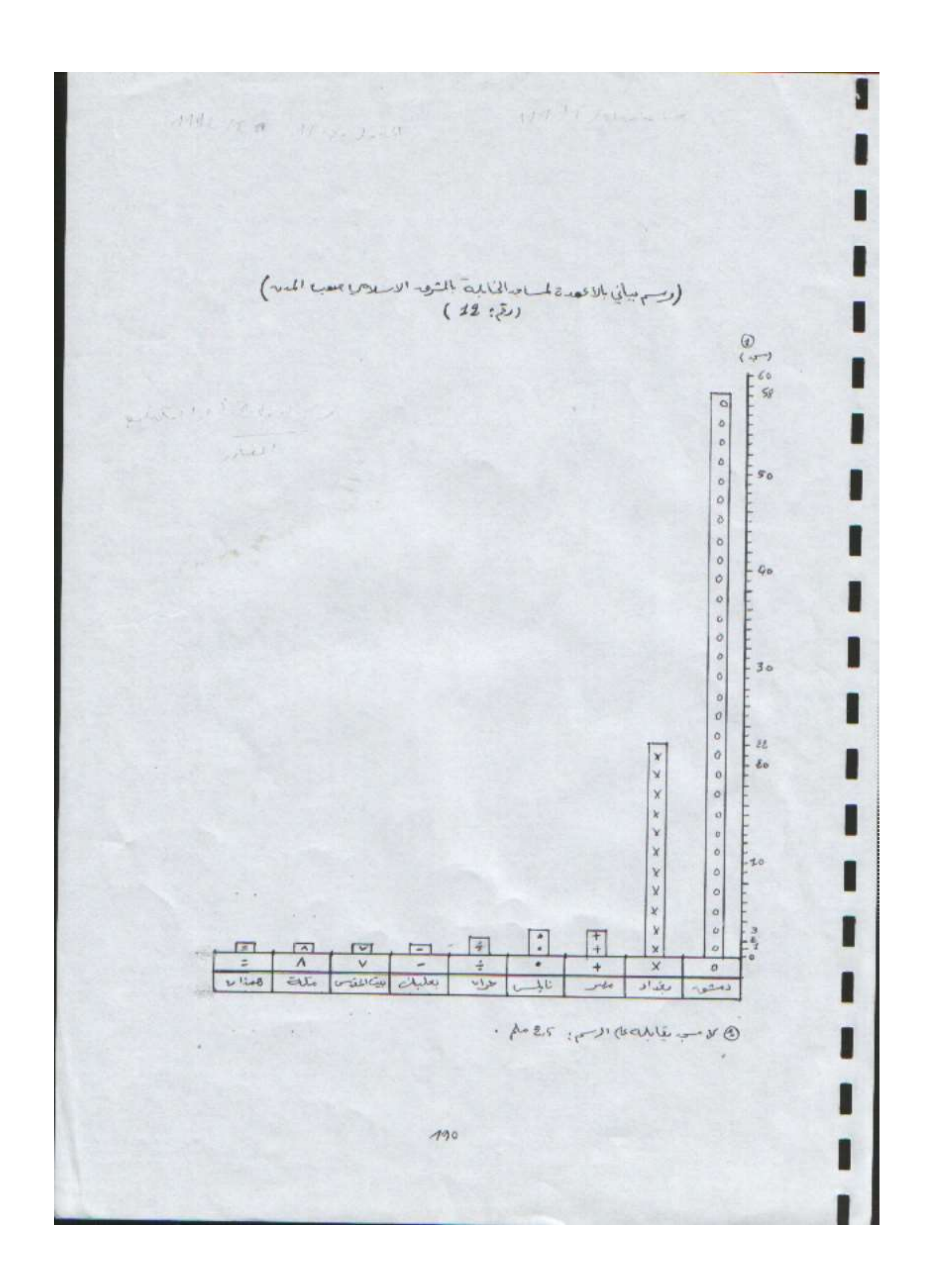
(ق:6-7هـ/12-13م)

الرمز	البلد	العدد	النسبة المئوية
0	دمشق	58	63,043
×	بغداد	22	23,913
+	مصر	03	03,260
.	نابلس	03	03,260
÷	حرّان	02	02,173
−	بعلبك	01	01,086
v	بيت المقدس	01	=
*	مكة المكرمة	01	=
=	همدان	01	=
المجموع	09	92	نحو: 100 0/0

(الجدول رقم :12)

. . .

[1] المصدر : ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 118 ، 119 ، 237 ، 354 ، 401 .و ج 2 ص : 244 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص : 274 ، و ج 5 ص : 240 .و ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص : 28 . و العليمي : المصدر السابق ج 2 ص : 272 . و الذهبي : المختصر المحتاج إليه ص : 79 .و ابن رافع السلامي : المصدر السابق ص : 88 .و جورج مقدسي : مؤسسات العلم في بغداد ، تحقيق إحسان عباس ، مجلة الأبحاث ، بيروت مج 14 ، ج 3 1961 . و هنال مصادر آخرى سبق ذكرها في المتن .



المبحث الثاني : المدارس الحنبلية

ظهرت المدارس[1]عند المسلمين في المشرق الإسلامي ،خلال الربع الأخير من القرن الرابع الهجري/10م[2] ، ثم كثرت في القرن الخامس الهجري/11م وما بعده ،كمدارس الوزير السلجوقي نظام الملك(ت485 هـ/1092م) المعروفة بالنظاميات[3] .و لا يعرف للحنابلة مدارس أنشئت في القرن الخامس الهجري/11م ، وإنما اشتهرت مدارسهم في القرن السادس الهجري/12م وما بعده، في بغداد ، و دمشق، و نابلس ، وفي غيرها من المدن التي ينتشر فيها مذهبهم .

أولا : مدارس الحنابلة في بغداد

تعد بغداد أول مدينة ظهرت فيها المدارس الحنبلية ، و قد أحصيتُ لهم فيها أربع عشرة مدرسة، خلال القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م ، أولها مدرسة أبي سعد المخرمي ،بباب الأزج في الجانب الشرقي من بغداد (انظر الخريطة رقم:)، بناها الفقيه أبو سعد المبارك بن علي المخرمي البغدادي الحنبلي(ت513 هـ/1119م)،ثم نسبت لتلميذه الشيخ عبد القادر الجيلاني(ت561 هـ/1165م) و عرفت به،عندما سكنها ،و وسعها ،و عمرها بمساعدة الناس له[4] .

وبقيت مدرسة عبد القادر الجيلاني بأيدي أولاده و أحفاده ، إلى أن أخذت من حفيده الركن عبد السلام بن عبد الوهاب(ت611 هـ/1214م) ،في سنة 588هـ/1192م ، عندما اتهم بحيازة كتب فيها الزندقة و عبادة النجوم ،و رأي الأوائل ، و أعطيت-أي المدرسة- لخصمه عبد الرحمن ابن الجوزي ، فدرس فيها مدة ثم نزعت منه ، عندما قبض على صديقه الوزير العباسي عبد الله بن يونس الحنبلي(ت593 هـ/1196م)، وردت إلى والد الركن عبد السلام الفقيه عبد الوهاب(ت593 هـ/1196م) .و عندما عين عبد السلام عميدا على بغداد في سنة 600هـ/ 1203م) ، وساءت

---

[1] بمعناها الحديث ، أي أنها في بنايات مستقلة ، وفيها كل المرافق الضرورية .

[2] محمد كرد علي : خطط الشام ج 6 ص :68 . و حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي و الاجتماعي و الثقافي ، بيروت القاهرة ، دار الجيل ، مكتبة نهضة مصر ،1991 ج 4 ص :402 .

[3] في مقدمتاه النظامية في بغداد ، و وعنها انظر : Mohamed Bougamra op cit P 44 47 131

[4] ابن الأثير : المصدر السابق ج 9 ص :94 .و الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 20 ص :450 .و ابن كثير : المصدر السابق ج 12 ص :185 252 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :200 201 291 .و العليمي : المصدر السابق : ج2 ص :214 215 .

سيرته و قبض عليه في عام 603 هـ/1206م ، استصفيت أمواله ،و أخذت منه مدرسة والده و أعطيت لابن عمه قاضي القضاة نصر بن عبد الرزاق(ت633 هـ/1235م)[1] .

و تعتبر هذه المدرسة هي أول مدرسة حنبلية ظهرت في المشرق الإسلامي،و لا يعرف تاريخ بنائها بالضبط ؛ لأن المصادر سكتت عنه ، لكنه من المرجح أنها بنيت في نهاية القرن الخامس الهجري/11م ،أو في مطلع القرن السادس/12م[2] . مما يعني أنه مر على الحنابلة أكثر من قرن من الزمان من ظهور المدارس عند المسلمين ، لكي بنوا أول مدرسة لهم في المشرق الإسلامي. فلماذا تأخروا عن غيرهم من الحنفية و الشافعية في بناء المدارس ؟ يبدو أنهم لم يكونوا في حاجة ماسة إلى المدارس عند ظهورها و بدايات انتشارها ، لأن مساجدهم و بيوتهم كانت تغنيهم عنها . كما أنهم ربما اتخذوا منها موقف رفض و استنكار لأنها أصبحت في نظرهم تنافس المساجد ، وتصد عنها طلاب العلم[3] . لكنه من المؤكد أنهم غيروا موقفهم منها ، و تنافسوا في بنائها خلال القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م ؛بعدما تبينت لهم إيجابياتها في خدمة العلم و نصرة المذهب ،و أنه يمكن الجمع بينها وبين المساجد .و رأوا بأعينهم أن خصومهم قد استخدموا مدارسهم في مهاجمتهم ،و محاصرة مذهبهم[4] .

و من مدرسيها ، الشيخ عبد القادر الجيلاني ،و ولده عبد الوهاب ، درس فيها نيابة عنه في حياته ، ثم استقل بها بعد وفاته ؛ ثم تولاها حفيده قاضي القضاه نصر بن عبد الرزاق ، فدرس ،و أفتى ،و أملى فيها مجالس الحديث[5] .ثم خلفه فيها ولده الفقيه محي الدين(656 هـ/1258م) ، فلزمها- بعد ما رفض القضاء- و تفرغ فيها للعلم إشغالا و إشتغالا[6] . وما تزال مدرستهم هذه قائمة ببغداد إلى

---

[1] سبط بن الجوزي : المصدر السابق ج 8 ص :415 , وابن رجب :المصدر السابق ج1 ص:291 389 ،ج2 ص: 72 73 .

[2] سبقني إلى هذا الاستنتاج الباحث جورج مقدسي ، انظر جورج مقدسي : ((مؤسسات العلم في بغداد)) مجلة الأبحاث مج 14 ج3 1961 ص :315 . و Ibn Aqil P 256 257

[3] ابن الجوزي : صيد الخاطر ص :362 .

[4] كان من أهداف الشافعية من بناء مدارسهم ، نصرة مذهبهم ،و التصدي للحنابلة و الشيعة . عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية في مصر في العصر الأيوبي و المملوكي ، ط 8 ، د م ن ، دار الفكر العربي ،1968 .و Mohamed Bougamra op cit P44

[5] ابن الفوطي : المصدر السابق ق 2 ج 4 ص :873 874 .و الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 22ص :398 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 189 398 .و المنذري : المصدر السابق ج 2 ص :97 .

[6] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :266 . وابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :284 .

يومنا هذا ، تعرف بجامع الشيخ عبد القادر ، و قد ضم إليها رباطه و قبره[1](انظر الصورة رقم: 2) ،و فيها

. . .

مكتبة حافلة بالتراث العلمي الإسلامي ،و يشرف عليها القادرية من ذرية الشيخ عبد القادرالجيلاني[1] .و بذلك تكون أطول المدارس الحنبلية عمرا ،و أولهم إنشاء .

وأما الثانية فهي مدرسة أبي شجاع ، بباب الأزج عند باب كلواذى بالقسم الشرقي من بغداد(انظر الخريطة رقم:) ، بناها الثري أبو شجاع بهرام بن بهرام البغدادي(ت520 هـ/1126م)، وقفها على الحنابلة[2] . و لم يحدد تاريخ تأسيسها ،و لا تعرف عنها أخبار أحرى[3] ،غير أنه يبدو أنها هي ثاني مدرسة حنبلية بنيت في بغداد .

و الثالثة مدرسة ابن الأبرادي ،بحي البدرية بالجانب الشرقي من بغداد ، وهي في الأصل دار للفقيه احمد بن علي الأبرادي البغدادي الحنبلي (ت 531 هـ/1136م)،جعلها مدرسة و وقفها على الحنابلة[4] . ولم أعثر على من اشرف عليها ، ولا على من درس فيها بعد مؤسسها ،و لم استطع تحديد سنة إنشائها ، ولعلها بنيت بعد مدرسة أبي شجاع .

و الرابعة مدرسة أبي حكيم ، بباب الأزج بالقسم الشرقي من بغداد ، أسسها الفقيه أبو حكيم إبراهيم بن احمد النهرواني البغدادي الحنبلي (ت 556هـ/1160م) بماله الخاص ، ثم اتخذ فيها مسكنا له ،و تفرغ للعلم والعبادة ، و اثر الخمول و القناعة بالقليل[5] .و عندما حضرته الوفاة اسندها لتلميذه عبد الرحمن بن الجوزي (ت597 هـ/ 1200م)،و كان قد اشتغل عنده معيدا في حياته[6] .

و الخامسة مدرسة ابن الشمحل بباب الأزج بالجانب الغربي من بغداد(انظر الخريطة رقم:)،بناها أبو القاسم عمر بن ثابت البغدادي المعروف بابن الشمحل(ت561 هـ/1165م)،و وقفها على الحنابلة و اسند التدريس فيها إلى الفقيه أبي حكيم النهرواني ؛ فدرس فيها مدة شهرين ومات ،

---

[1] بشير فرنسيس: نفسه ص :16 .و عماد عبد السلام :المرجع السابق ص :153 . و بشار قويدر : بغداد مدينة السلام ص:81 . و زيدان يوسف طه : المرجع السابق ص : 183 .

[2] ابن الجوزي : المنتظم ج 9 ص :262 .و ابن كثير : المصدر السابق ج 12 ص :197 .

[3] بناء على المصادر التي اطلعت عليها .

[4] ابن الجوزي : المصدر السابق ج 9 ص :262 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :226 ط د .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج4 ص :97 .

[5] ابن الجوزي : المصدر السابق ج 10 ص :201 .و ابن رجب :المصدر السابق ج 1 ص :239 404 .و الصفدي: المصدر السابق ج 5 ص :347 . و الذهبي :العبر ج 4 ص :159 .و المختصر المحتاج إليه ص : 130 .

[6] ابن الجوزي : المصدر السابق ج 10 ص :201 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :404 ط د .

فردت إلى تلميذه عبد الرحمن بن الجوزي[1] . لكنها لم تعمر طويلا ،لأن مؤسسها ابن الشمحل لما تولى أعمالا ديوانية ،و خالط السلطان و ساءت سيرته ، قبض عليه في سنة 561هـ/1165م و صودرت أمواله ،و بيعت مدرسته ،و قلعت منها القبلة،و أخذت خزانة كتبها ،و أخرج ما كان فيها بأقبح وجه ،و قيل أن وقفيتها لم تثبت[2] . وهذا ينفي ما ذهب إليه الباحث عماد عبد السلام ،من أن هذه المدرسة بقيت عامرة إلى نهاية القرن السادس الهجري/12م[3] .

وأما السادسة فهي مدرسة ابن البل،بمحلة الريان بالجهة الشرقية من مدينة بغداد (انظر الخريطة رقم : 5)،وقفها أبو المعلي بن البل البغدادي على الحنابلة ،و فوض أمرها للقاضي عماد الدين بن أبي خازم الفراء (ت560 هـ/1164م) .و درس فيها الفقيه أبو العباس احمد بن عمر القطيعي الحنبلي[4](ت563هـ/1167م)،و هي مدرسة أهلية صغيرة قليلة الشأن نادرة الخبر .

و السابعة مدرسة ابن هبيرة بباب البصرة بالجانب الغربي من بغداد (انظر الخريطة رقم: 5)، بناها الوزير عون الدين بن هبيرة ، و وقففها على أصحابه الحنابلة سنة 557هـ/1162م ،و رتب فيها الفقهاء و القراء ،و أجرى عليهم المعاليم ،و أسند التدريس فيها إلى أبي الحسن بن محمد الزيتوني البراندسي[5](ت586 هـ/1190م) .و درس فيها كذلك الفقيه سراج الدين بن المبارك الزبيدي الحنبلي[6](ت631 هـ/1233م) .و روى المؤرخ سبط بن الجوزي (ت654 هـ/1256م) أن هذه المدرسة خربت عندما نكل بأسرة الوزير بن هبيرة ،فأخذت أوقافها ،و بيعت كتبها بأبخص الأثمان[7] .و بما أن أسرته شتت في سنتي 561هـ/1165م،و 562هـ/[8] 1166م ،و مدرسته فتحت في عام 557هـ/1161م ، فهذا يعني أنها عمرت نحو ست سنوات ،فكيف يدرس فيها الفقيه سرج الدين

[1] ابن الجوزي:المصدر السابق ج 10 ص :201 200 218 .و ابن النجار : المصدر السابق ج 20 ص :36 37 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :239 .ابن كثير : المصدر السابق ج12 ص:245 .

[2] ابن الجوزي : نفسه ج 10ص :218 .و ابن النجار : نفسه ج 20 ص : 36 37 .و الذهبي: تاريخ الإسلام ج :561-570 هـ/ص : 104 .

[3] عماد عبد السلام : المرجع السابق ص : 159 .

[4] ابن رجب :المصدر السابق ج 1 ص :245 302 ط ق .و العليمي : المنهج الأحمد ج 2 ص :284 .

[5] ابن الجوزي : المصدر السابق ج 10 ص :203 .و أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ج 3 ص :42 .و ابن الفوطي : المصدر السابق ص : ق 3 ج4 ص :581 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :286 359 .

[6] ابن الفوطي : المصدر السابق ق 3 ج4 ص :581 .الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 22ص :358 .و المختصر المحتاج غليه ص :173 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :186 188 . ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :14

[7] السبط : المصدر السابق ج 8 ص : 141 262 .

[8] انظر ابن الجوزي : المصدر السابق ج 10 ص : 218 220 .

بن الزبيدي (546-631هـ/1151-1233م)،و له من العمر نحو ستة عشر عاما ؟! ،و هذا أمر –لو حدث–من شأنه أن تذكره المصادر التي ترجمت لابن الزبيدي وتنوه به ، لأنه من النوادر في تاريخ المدرسين ، لكنها لم تشر إلى ذلك[1] . مما يدفعنا إلى افتراض أنه –ربما– أعيد بناء هذه المدرسة بعد زوال محنة ال هبيرة، فدرس فيها ابن الزبيدي .

و للوزير ابن هبيرة رأي في تعدد مدارس الطوائف السنية و مساجدها ،مفاده أنه لا يحبذ تعدد مساجدها ، لكنه لا يرى مانعا في تعدد مدارسها ، على أن لا يضيق في شروطها على المسلمين لينتفعوا بها ،و حكى عن نفسه أنه امتنع من دخول مدرسة لم تتوفر فيه شروطها، ولو دخلها ربما وجد فيها ما ينفعه[2] . وهو بموقفه هذا يقر بالانقسامات المذهبية التي كانت سائدة في زمانه ،و يكرسها بموافقته إنشاء مدارس طائفية ، مع المطالبة بعدم تضييق مجال الانتفاع بها ؛ سعيا منه للتخفيف من حدة التعصب المذهبي ، لا لاقتلاعه من جذوره .

و الثامنة مدرسة ابن بكروس ، بدرب القيار بالقسم الشرق من بغداد(انظر الخريطة رقم: 5)،بناها الفقيه أبو العباس احمد بن بكروس الدينوري الحنبلي(ت573 هـ/1177م)،وهو أول من درس فيها[3] . ثم خلفه –بعدوفاته– الفقيه احمد بن أبي غالب الحبابيني الحنبلي الضرير(ت574 هـ[4]/1178م) . ثم درس من بعده أخ الواقف الفقيه أبو الحسين علي(ت576 هـ/1180م) .و ثم خلفه ابن أخيه الفقيه أبو محمد شمس الدين[5](ت 611هـ/ 1214م) . ويبدو أن هذه المدرسة بقيت عامرة نحو ثلاثين سنة ثم اندثرت، لأنني لم أعثر على أي خبر عنها ، بعد مدرسها أبي محمد شمس الدين .

وأما التاسعة فهي المدرسة الشاطئية[6] ، بباب الأزج على شاطيء نهر دجلة بالجانب الشرقي من مدينة بغداد (انظر الخريطة رقم : 5) ،و قفتها على الطائفة الحنبلية السيدة بنفشا بنت عبد لله (ت

---

[1] سبق ذكرها في الصحة السابقة .

[2] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :280 .و العليمي : المصدر السابق ج 2 ص :307 .

[3] الذهبي : المختصر المحتاج إليه ص : 118 .و ابن رجب : النصدر السابق ج 1 ص :338 .و الصفدي : نكت الهميان ص :114 .

[4] ابن رجب : نفس المصدر ج 1 ص : 343 .و الصفدي : نفسه ص :114 .

[5] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :348 ج 2 ص :69 .

[6] سماها ابن رجب الشاطبية(الذيل على طبقات الحنابلة ج 2 ص :226)،ولعله خطأمن الناسخ ،أو من الطابع ، و ذكر الباحث عماد عبد السلام أنه وجدت في بغداد مدرستان لهما نفس الاسم هما :مدرسة بنفشا الشاطئية ،و المدرسة الشاطئية ،(مدارس بغداد ص :184 166 190 192) ويبدو أنه واهم في ذلك،و إنما هما اسمان لمدرسة واحدة ،لأن المصادر لم تذكر للشاطئية واقفين .

598هـ[1]/1201م)،و سلمتها لعبد الرحمن بن الجوزي في سنة 570هـ/1174م) .و كانت في أول الأمر قد أعطت مفتاحها لأبي جعفر الصباغ[2] ، فبقي عنده أياما ثم استعادته منه و سلمته لابن الجوزي دون طلب منه[3] .و عندما افتتحت ألقى فيها دروسا في الأصول و الفروع ،في حضرة الأعيان و الجماهير الغفيرة ،فدخل على ((قلوب أهل المذهب غم عظيم)) حسب ما رواه ابن الجوزي[4] . و عند المؤرخين ابن كثير و البن الجوزي أنه دخل ((على أهل المذاهب غم عظيم))[5] .و عند السبط بن الجوزي و دخل على((أصحاب أهل المذهب يعني الحنابلة ،من ذلك غم عظيم لأنهم حسدوني))[6] . و رواية ابن كثير و ابن رجب ،هي التي تتفق مع سياق النص ، ومعناها هو المتبادر إلى الذهن ، لأن أصحاب المذاهب الأخرى هم الذين يحسدونه و يدخلهم الغم قبل غيرهم ، لأن المدرسة أعطيت للحنابلة لا لهم . فكيف لا يحسده هؤلاء ،و تحسده طائفته كلها –لا بعضها– و المدرسة لها ؟! لذا يبدو أن كلمة : المذهب ، التي ذكرها ابن الجوزي أصلها : المذاهب ، سقط منها حرف الألف إما سهوا منه وإما من الناسخ .و أما السبط فهو قد بالغ في توجيه النص ، وزاد فيه ما لم يقله صاحبه ،و ما لا يتفق مع السياق العام للخبر .

و في سنة 571هـ/1175م كتب على حائط المدرسة الشاطئية، ما يأتي :((وقفت هذه المدرسة الميمونة الجهة المعظمة الشريفة الرحيمة ، بدار الرواشني في أيام سيدنا و مولانا الإمام المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين ، على أصحاب الإمام احمد بن حنبل ،و فوضت التدريس بها إلى ناصر السنة أبي الفتح[7] بن الجوزي))[8] . ثم درس فيها من بعده ،بعض أهل بيته كحفيده تاج الدين عبد الكريم بن محي الدين يوسف (ت656 هـ/1258)[9] .

. . .

[1] هي جارية الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله ،و كانت كثيرة فعل الخيرات . المنذري: المصدر السابق ج 2 ص :344 .و ابن الجوزي : المصدر السابق ج 10 ص :152 .

[2] لم أجده .

[3] ابن الجوزي : المصدر السابق ج 10 ص :253 . و سبط بن الجوزي : المصدر السابق ج 8 ص : 326 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :406 ط ق .

[4] ابن الجوزي : المصدر السابق ج 10 ص :253 .

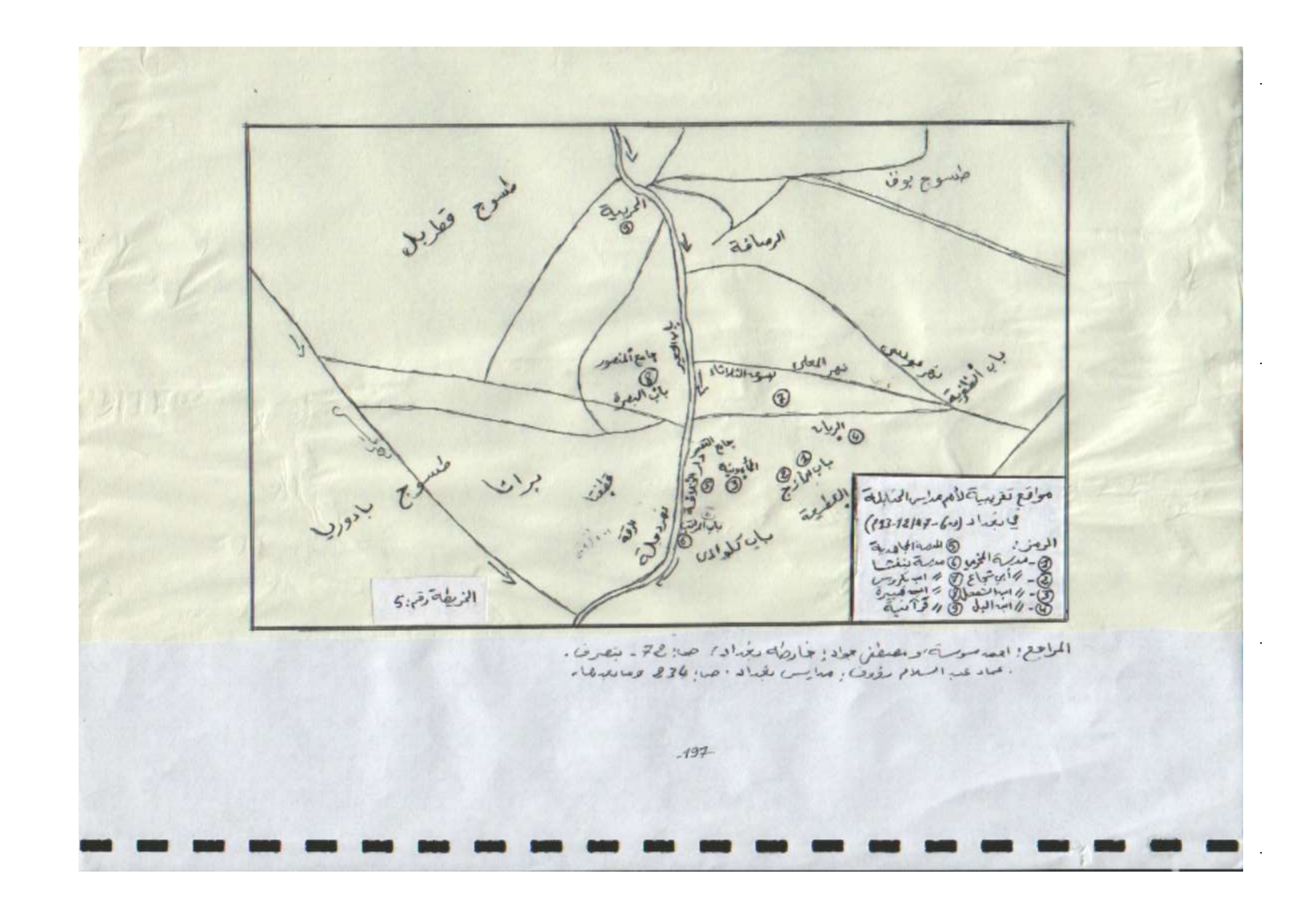
[5] ابن كثير : المصدر السابق ج 12 ص :291 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :406 .

[6] السبط : المصدر السابق ج 8 ص :326 .

[7] كذا بالأصل ،و هو خطأ ،و صوابه : أبو الفرج .

[8] ابن الجوزي : المنتظم ج 10 ص :258 .

[9] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 262 .


مواقع تقريبية لأهم مدارس الحنابلة
في بغداد (ق6-7هـ/12-13م)
الرمز:
الخريطة رقم: 5
طسوج قطربل
الحربية
الرصافة
طسوج بوق
جامع المنصور
باب البصرة
باب الشعير
نهر الصراة
نهر عيسى
براثا
طسوج بادوريا
نهر دجلة
باب كلواذي
باب الأزج
الظفرية
المراجع: احمد سوسة، ومصطفى جواد: خارطة بغداد، ص: 72 - بتصرف.
. عماد عبد السلام رؤوف: مدارس بغداد، ص: 234 وما بعدها.
-197-

و العاشرة مدرسة عبد الرحمن بن الجوزي ،بدرب دينار بالقسم الشرقي من بغداد ، بناها لنفسه في سنة 570 هـ/1174م ، ذكر فيها يوم افتتاحها أربعة عشر درسا ، من مختلف فنون العلم[1]. وبها يصل ما كان تحت يده من المدارس خمس ، على ما ذكره هو عن نفسه، ثم قال: ((وهذا شيء ما راه الحنابلة إلا في زمني))[2] .و هي: مدرسة أبي حكيم ،و ابن الشمحل، و الشاطئية ،و الربعة هي التي نحن في صدد الكلام عنها ، و أما الخامسة أجدها ،و قد يقال انها مدرسة عبد القادر الجيلاني التي عادت إلى ابن الجوزي ، لكن هذا لا يستقيم لأنه تسلمها في سنة 588هـ/1184م عندما نكب الركن عبد السلام، ولم يتسلمها في عام 574هـ/1278م .

و أشير هنا إلى أن ابن الجوزي ،رغم دخوله في زمرة بناة المدارس وكبار المدرسين، فإنه قد نبه إلى أن بناءها قد أصبح في زمانه مخاطرة ، لأن أكثر الطلاب انعكفوا على علم الجدل و اعرضوا عن علوم الشريعة،و تركوا التردد إلى المساجد ،و اقتنعوا بالمدارس و الألقاب[3] .و هذه شهادة منه ، لها أهمية تاريخية معتبرة ، لأنها صادرة عن شاهد عيان ،و تصور جانبا من الوضعية التعليمية التي ألت إليها أحوال غالبية الطلبة في زمانه ببغداد .

وأما الحادية عشرة ، فهي مدرسة ابن الصقال ، بناها الفقيه المناظر أبو اسحق إبراهيم بن محمد بن الصقال الطيبي الحنبلي(ت599 هـ/1202) ببغداد ، وقد أعاد فيها صاحبة أبو محمد عبد المنعم بن محمد الباجسرائي الحنبلي(ت612 هـ/1215م)[4] . و يبدو أنها كانت مدرسة أهلية صغيرة ليست ذات شأن كبير، لذلك كانت أخبار نشاطها العلمي نادرة جدا .

و الثانية عشرة المدرسة المجاهدية، بدار الخلافة العباسية بالجانب الشرقي من بغداد (أنظر الخريطة رقم : 5) ،وقفها على الحنابلة مجاهد الدين أيبك المستنصري ، المعروف بالدويدار الصغير(ت 656هـ/1258م) في سنة 637هـ/1239م ،وهي من أكبر المدارس في المدينة[5] . و

---

[1] ابن الجوزي : المصدر السابق ج 10 ص :250 .و ابن رجب : المصدر السابق 1 ص :405 .

[2] ابن الجوزي: نفس المصدر ج 10 ص :248 . و المصباح المضيء في خلافة المستضيء ، حققته ناجية عبد الله إبراهيم ، بغداد و زارة الأوقاف ، 1976 ج 1 ص :38 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :409 .

[3] ابن الجوزي : صيد الخاطر ص :362 .

[4] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص:86 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص : 51 .

[5] ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ص :68 .و ابن رافع السلامي: المصدر السابق ص : 153 .و عماد عبد السلام : المرجع السابق ص : 195 .

قد استمرت في نشاطها العلمي إلى تخريب المغول لبغداد في عام 656هـ/1258م ،ثم استعادته بعده[1] . فقد درس فيها الفقيه عي بن وضاح الشهرياني الصوفي الحنبلي(ت672 هـ/1273 م)، و استمر في التدريس فيها إلى أن توفي[2] .و قد حضر فيها المؤرخ عبد الرزاق بن الفوطي الحنبلي(ت723 هـ/1323م)،مجلسا لسماع الحديث النبوي في سنة 692 هـ/ 1292م)، بقراءة صدر الدين احمد بن الكسار الحنبلي[3] .

ومن اللافت للانتباه في أمر هذه المدرسة ، أن مؤسسها مجاهد الدين أيبك لم يوقف عليها شيئا[4] ؛ لكنها بقيت عامرة عصورا أطول من المدارس التي أوقفت عليها الأوقاف الكثيرة ، وهذا من النوادر في تاريخ المدارس[5] . لأنها وجدت من الحنابلة دعما ،و حرصا، و جدية في تسييرها ،و الإنفاق عليها ،و إلا ما كان في مقدورها الحفاظ على نشاطها العلمي دون أوقاف .

و الثالثة عشر المدرسة القرانية ، بمحلة الحربية في القسم الغربي من مدينة بغداد (انظر الخريطة رقم : 5)،بناها الفقيه أستاذ دار الخلافة محي الدين يوسف بن عبد الرحمن بن الجوزي (ت656 هـ/1258م)، و جعل فيها مدفنا[6] .كما أنه شرع في بناء مدرسة أخرى بمحلة الحلبة في الجهة الشرقية من المدينة، لكنه لم يتم بناءها[7] . ربما لأن الموت قد داهمه على يد المغول في سنة656 هـ/1258م .[8]

---

[1] الذي أعاد لبغداد نشاطها بعد الواقعة ، هو حاكم العراق الفقيه علاء الدين أبو منصور بن محمد الجويني (ت681 هـ/1287م) . ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ق 2 ج 4 ص :1035 .

[2] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :283 .و ابن رافع السلامي: المصدر السابق ص :153 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :337 .

[3] ابن الفوطي : المصدر السابق ق 1 ج 4 ص :167 .

[4] ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ص :68 .

[5] عماد عبد السلام : المرجع السابق ص : 195 .

[6] ابن رجب :ج 2 ص : 259 .و الداودي : المصدر السابق ج 2 ص :381 .

[7] نفسه ج2 ص : 259 .و نفسه ج 2 ص : 381 .

[8] قتلوه هو و أولاده ،مع أعيان الدولة العباسية ، عن ذلك انظر شجرة نسب ابن الجوزي في المبحث الخامس من الفصل الأول .

و آخرها [1] المدرسة المستعصمية ، وقفها الخليفة العباسي المستعصم بالله (640-656 هـ/1242-1258م) ،وقفها على الطائفة الحنبلية .و قد استعادت نشاطها بعد تخريب التتار لبغداد ، فدرس فيها الفقيه شرف الدين داود بن كوشيار البغدادي الحنبلي[2](ت 700 هـ/1300م) .و أشير هنا إلى أنني لم اهتد إلى تحديد موقعها في بغداد ، لم أعثر لها على أية أخبار أخرى عن نشاطها العلمي .

و يستخلص مما ذكرناه عن مدارس الحنابلة في بغداد ،خلال القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م ، أنها بلغت أربع عشرة مدرسة ،مقابل ثلاث عشرة مدرسة للشافعية ،و تسع للحنفية[3] . و أن معظمها بني في القرن السادس الهجري/12م ، وكلها يقع بالجانب الشرقي من مدينة بغداد ، ما عدا مدرسة ابن هبيرة ،و المدرسة القرانية لمحي الدين يوسف .و أن غالبيتها العظمى هي من إنشاء الحنابلة أنفسهم ، و أولها تأسيسا مدرسة عبد القادر الجيلاني ، التي هي أطولها عمرا من كل المدارس الحنبلية بالمشر الإسلامي .

ثانيا : مدارس الحنابلة في دمشق

ظهرت أول مدرسة حنبلية بمدينة دمشق ، في النصف الأول من القرن السادس الهجري/12م ،ثم كثر عددها في القرن السابع الهجري/13م، عندما اتسعت ضاحية الصالحية عمرانيا ، و ازدهرت علميا . ففيما يخص مدارسهم داخل المدينة، فقد أحصيتُ لهم فيها ستا ، أولها المدرسة الحنبلية شمال الجامع الأموي ، بناها [4] الفقيه شرف الإسلام عبد الوهاب بن عبد الواحد الشيرازي ثم الدمشقي(ت536 هـ/1141م) .و يروى أنه عندما شرع في بنائها، سعى بعض الشافعية إلى أم

[1] ذكر عماد عبد السلام مدرسة للحنابلة ببغداد تعرف بمدرسة بني العطار بناها أبو عمر بن العطار الحراني ثم البغدادي(595 هـ/1198م(.(المرجع السابق ص :193) لكنني لم أعثر لها على أي خبر ،و إنما وجدت مدرسة في حران لبني العطار . العماد الحنبلي: المصدر السابق ج 5 ص: 167 .

[2] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 344 . و عماد عبد السلام المرجع السابق ص : 203 .

[3] لا تعرف للمالكية مدارس خاصة بهم في بغداد . عماد عبد السلام : المرجع السابق ص : 32 و ما بعدها و ص : 36 و ما بعدها .

[4] ذكر المؤرخ ابن شداد (ت684 هـ/1285م) أن أخ صلاح الدين الملك سيف الإسلام طغتكين هو الذي بنى المدرسة الحنبلية .(الأعلاق الخطيرة ص :255) و هو واهم فيما قاله ، لأنه انفرد به عن المؤرخين الذين اطلعت على مصنفاتهم و نصوا على أن شرف الإسلام بن عبد الاواحد هو الذي بنى المدرسة . أنظر الذهبي: العبر ج 4 ص :100 .و سير أعلام النبلاء ج 20 ص : 104 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :238 ط د .و العليمي : المضصدر السابق ج 2 ص : 249-250 .و النعيمي : المصدر السابق ج 2 ص : 64 65 .و يوسف بن عبد الهادي : المصدر السابق ص : 87 .

الملك شمس الملوك زمرد خاتون[1] ، و قال لها : إن ابن الحنبلي ينبي مدرسة للحنابلة، وهذا بلد عامته شافعية ، فيؤدي عمله هذا فتن و ضرركبير .فأرسلت إليه بالتوقف عن البناء فاستجاب .و في الليل احضر البنائين وأصحابه و واصلوا البناء ن فلما بلغ خبره إلى زمرد خاتون بعثت إليه جماعة تذكره بنهيها له، فقال لهم : ((قدبنيت بيتا من بيوت الله تعالى-عز و جل-،و نصبت محرابا، فإن كانت هي تهدمه فتبعث تهدمه ، وصاح على الصناع : اعملوا))، فبلغها ما قاله ، فقالت: ((صدق ، أنا مالي و للفقهاء))[2] .و هو في رده عليها استخدم التورية،لأنه بنى في الأصل مدرسة لامسجدا ، و جعل بداخلها مسجدا .كما يدل سعي بعض الشافعية لمنعه ، واستنجادهم بالسلطان عليه ،على حسدهم للحنابلة و تخوفهم من نمو نفوذهم بدمشق .

و روى المؤرخ ابن أبي أصيبعة الدمشقي(ت668 هـ/1269م) أن الخليفة العباسي المستنصر بالله (623-640 هـ/ 11226-1242م) ، أرسل الطبيب عبد العزيز بن عبد الجبارالسلمي(ت644 هـ/1246م) إلى دمشق ليتولى عمارة المدرسة الحنبلية[3] . فما المقصود بالعمارة ؟ فإذا قصد بها التأسيس فهو خطأ بين ، لأن المدرسة بنيت في النصف الأول من القرن السادس الهجري/12م ،وهذا الطبيب أرسل في أيام حكم الخليفة المستنصر .و أما إذا قصد بها التوسيع و الترميم فهذا ممكن .

ومن الذين درسوا فيها –أي المدرسة الحنبلية- من بيت ابن الحنبلي ، بهاء الدين عبد الملك بن عبد الوهاب(ت545 هـ/1150م) ،و أخوه نجم الدين (ت586 هـ/1190م)،و ناصح الدين بن نجم الدين (ت 634 هـ/1236م)[4] .و درس فيها من خارج أسرة بني الحنبلي الفقيه زين الدين أبو البركات بن المنجا الدمشقي (ت695 هـ/1295م) ،و الشيخ تقي الدين بن تيمية الحراني ثم الدمشقي(ت728 هـ/1327م)[5] .

و الثانية المدرسة المسمارية ، بناها التاجر الحسن بن مسمار الحوراني ثم الدمشقي الحنبلي(ت564 هـ/1151م) و وقف عليها أوكثيرة ،و أسند التدريس فيها لشيخ الحنابلة وجيه

[1] كان حكمها نافذا في دمشق . ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 238 . و لم أعثرلها عن أجبار أخرى .
[2] ابن رجب : المصدر السابق ج1 ص : 239 .
[3] ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ج 3 ص :315 .
[4] النعيمي :المصدر السابق ج 2 ص : 67 و ما بعدها . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :165 .
[5] نفس المصدر ج 2 ص : 73 74 . ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :132 133 .

الدين أسعد بن المنجا الدمشقي(519-606 هـ/1125-1209م) ،ولذريته من بعده[1] . و يبدو أنها هي ثاني مدرسة حنبلية بنيت في دمشق لأن الأولى –أي الحنبيلة – توفي مؤسسها سنة 536 هـ/1141م ، و الثانية بناها الشيخ مسمار– المتوفى في سنة 546هـ/ 1151م– لوجيه الدين أسعد المولود في عام 519هـ/1125م ، فيكون قد بناها له في أخريات حياته و له من العمر نحو سبعة وعشرين عاما . وعليه فإن هذا المدرسة تعد أطول مدارس الحنابلة في دمشق عمرا ، لأنها كانت ما تزال قائمة في سنة 1353هـ/1934م ، اتخذتها الشرطة مخفرا لها ؛و لكن الأولى–أي الحنبلية– فلا اثرلها في وقتنا الحاضر[2] .

و من مدرسيها من بني المنجا ، وجيه الدين أسعد ، و ولداه القاضي شمس الدين عمر (ت641 هـ/1243م) ،و الفقيه عز الدين عثمان(ت 641 هـ/1143م)[3] . وقد شاركهم في التدريس فيها كذلك بيت ابن الحنبلي مدة من الزمن ، ثم استقل بها بنو المنجا نهائيا في سنة 625 هـ/1228م ، بحكم أن نظر المدرسة لهم[4] . و ناب عنهم فيها الفقيه فخر الدين عبد الرحمن بن يوسف البعلي الحنبلي(ت688 هـ/1289م) ،و ابنه شمس الدين أبو عبد الله (ت699 هـ/1299م)[5] .

و أما الثالثة فهي المدرسة الصدرية ،بدرب الريحان بالقرب من الجامع الأموي ،و هي في الأصل دار للثري صدر الدين أسعد بن عثمان بن المنجا (ت657هـ/1258م) ،ثم حولها إلى مدرسة و وقفها على الحنابلة[6] . درس فيها من بني المنجا الفقيه زين الدين المنجابن أسعد (ت6954 هـ/1295م) ،و وجيه الدين محمد بن عثمان[7].و من غيرهم المحدث أبو محمد عبد الرحمن بن

---

[1] ابن شداد : المصدر السابق ص :256 .و الذهبي : سير أعلام الانبلاء ج 21 ص : 437 .و النعيمي : المصدر السابق ج 2 ص :114 115 120 . و ابن بدران الدمشقي: منادمة الأطلال ص : 249 .

[2] ابن بدران الدمشقي : المصدر السابق ص :234 .و الحصني : منتخبات تواريخ دمشق ج 3 :960 .

[3] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :225 226 . و النعيمي : المصدر السابق ج 2 ص :115 .

[4] ابن رجب : نفس المصدر ج 2 ص :194 195 . و الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 21 ص :437 ،و ج 22 ص :116 .

[5] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :319 .و النعيمي : المصدر السايبق ج 2 ص : 118 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :452 .

[6] ابن شداد : المصدر السابق ص :257 .و الكتبي : عيون التواريخ ج 20 ص:217 .و الذهبي سير أعلام النبلاء ج 23 ص :375 .

[7] ابن شداد :نفس المصدر ص :257 .و وابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :232 .و النعيمي : المصدر السابق ج2 ص :88 .

يوسف البعلي[1] . وكانت معالمها الأثرية ما تزال قائمة في سنة 1346هـ/1927م ، وقد حولت إلى دور للسكن[2] .

و الرابعة المدرسة الجوزية ، بسوق القمح ، قرب الجامع الأموي ، بناها الفقيه محي الدين يوسفبن عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي(ت656 هـ/1258م)، بالأموال التي جمعها من الملوك في سفرياته إليهم من الخليفة العباسي المستعصم بالله (640-656هـ/1242-1258م) ،و وقفها على الحنابلة في سنة652 هـ/1254م [3] ؛و كلف صاحبه الفقيه عبد الرحمن بن رزين الحوراني ثم الدمشقي بتولي أمر بنائها ، فلما اكتملت في عام 656 هـ/ 1258م جاء إلى بغداد ليرفع إليه حسابها ، فلما وصلها وجد المغول قد دخلوها، فقتلوه مع صاحبه محي الدين يوسف[4] . وكانت وقفية المدرسة مكتوبة على عتبة بابها ،و فيها البسملة ، و اسم واقفها ،و ومذهب الذين اوقفت عليهم ،و سنة الانتهاء من بنائها ،و أوقافها ،من قرى و عقارات[5] .

و من مدرسيها الفقيه نجم الدين احمد بن قدامة المقدسي ثم الدمشقي(ت689 هـ/1290م) .و الفقيه شهاب الدين احمد بن عبد الرحمن احمد المقدسي (ت 697 هـ/ 1297 م) .و الفقيه عز الدين بن تقي الدين سليمان ، و عقد فيها مجلسا للقضاء نيابة عن والده في 697 هـ/ 1297م[6] .و أعاد فيها القاضي شمس الدين محمد بن عبد الوهاب الحراني ثم الدمشقي(ت 675 هـ/12756م)[7] . وقد استمرت هذه المدرسة في نشاطها العلمي إلى القرن العشر الهجري/16م[8] .

و الخامسة المدرسة المنجائية ، تقع بداخل الجامع الأموي ،أنشأها الفقيه زين الدين أبو البركات المنحا بن القاضي عز الدين عثمان الدمشقي(ت695 هـ/ 1295م) ، و هو أول من درس فيها[9] .

---

[1] ابن رجب :نفس المصدر ج 2 ص :319 .و النعيمي :نفسه دج 2 ص : 88 .

[2] ابن بدران الدمشقي : المرجع السابق ص :239 .

[3] ابن شداد : المصدر السابق ص :256 .و ابن رجب :المصدر السابق ج 2 ص :259 .و الداودي : المصدر السابق ج 2 ص : 381 . و النعيمي : المصدر السابق ج 2 ص :29 .

[4] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :264 .

[5] النعيمي : المصدر السابق ج 2 هامش ص :29 .

[6] الصفدي : المصدر السابق ج 7 ص :49 . والنعيمي : المصدر السابق ج2 ص :33-44 .ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص :352 .

[7] اليونيني : المصدر السابق ج 3 ص :207 .و ابن رجب :المصدر السابق ج 2 ص :288 .

[8] النعيمي : المصدر السابق ج 2 ص :61 .

[9] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :333 . والنعيمي : المصدر السابق ج 2 ص :121 .

وأما المدرسة الأخيرة فهي دار القرآن الوجيهية ،بناها التاجر وجيه الدين محمد بن عثمان بن المنجا (ت 701 هـ/1301م)،و جعل فيها حجرات كثيرة ،و وقف عليها بعض أملاكه[1] .و قد اندرست معالمها في وقتنا الحاضر ،و كانت قد حولت إلى مخازن و دكاكين في سنة 1353هـ/1934م[2] .

وأما مدارسهم بضاحية الصالحية ، فقد أحصيتُ لهم فيها سبعا ، أولها المدرسة العمرية تقع على شاطيء نهر يزيد ، جنوب جامع الحنابلة و بالقرب من ديرهم ،وقيل بل في وسطه ؛ بناها[3] الشيخ أبو عمر محمد بن قدامة المقدسي ثم الدمشق[4](ت607 هـ/ 1210م) . و روي المؤرخ السبط بن الجوزي (ت 654 هـ/1256م) أن الشيخ أبا عمر بني مدرسته على أساس مدرسة صغيرة ، بناها السلطان نور الدين محمود(ت 569 هـ/1173م) على نهر يزيد بجوار دير الحنابلة، و أنه -أي السلطان- كان يزور فيها والد أبي عمر الشيح أحمد بن قدامة ؛وفي إحدى المرات وجد خشبة مكسورة في سقف المسجد ، فبعث من أصلحها بعد انصرافه[5] .لكن المؤرخين محمد بن طولون (ت953 هـ /1576م) و عبد القادر النعيمي (ت927 هـ/1520م) خلفاه فيما رواه ، وبينا أن قوله : سقف المسجد ، دليل على أن التي سماه مدرسة صغيرة ، هي مسجد و ليست مدرسة ،و هو المعروف بمسجد ناصر الدين غرب العمرية ؛و قوله أنها مجاورة للدير دليل أخر على أنها ليست هي المدرسة، لأن العمرية ليست مجاورة للدير ،و انما هي مقابلة له ،يفصل بينهما الطريق ،كما أنه وصفها الصغيرة ،و العمرية ليست صغيرة[6] .و قد حقق الباحث عبد القادر بدران في المسألة بالمعاينة والتنقيب في أثار العمرية المتبقية وما جاورها ،فتبين له صدق ما قاله النعيمى و ابن طولون ، وخطأ ما رواه السبط بن الجوزي[7] .

و جعل الشيخ أبو عمر مدرسته وقفا على تلقين القرآن الكريم و الفقه ، على أن يعطى لطلبتها و معلميها ،كفايتهم من المأكل و الملبس بالمجان .و و قد كانت مدرسته تقدم -في أعز أيامها-

---

[1] الصفدي : المصدر السابق ج 4 ص :91 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :347 .و ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق ج 3 ص :238 .و النعيمي : المصدر السابق ج 2 ص :17 .

[2] ابن بدران الدمشقي : المرجع السابق ص :22 23 .و الحصني : المرجع السابق ص :938 .

[3] لم اهتد إلى معرفة سنة بنائها .

[4] النعيمي: المصدر السابق ج 2 ص : 100 .و ابن طولون : المصدر السابق ج 1 ص :165 .و ابن بدران الدمشق : المرجع السابق ص :244 .و الحصني : المرجع السابق ج 3 ص : 960 .و محمد كرد علي : غوطة دمشق ص : 172 173 . الريحاوي : المرجع السابق ص : 103 .

[5] السبط بن الجوزي : المصدر السابق ج 8 ص:314 .

[6] النعيمي : المصدر السابق ج 2 ص :103 104 .و ابن طولون : المصدر السابق ج 1 ص: 169 .

[7] ابن بدران : المرجع السابق ص : 246-247 .

100 رغيف خبز كل يوم ،و توزع الصابون على المجاورين و تفرق الزبيب و الحلويات كل جمعة على النازلين بها ، وتجري عمليات الختان لأطفال فقراء الصالحية أيتامها سنويا ، دون أي مقابل ، بفضل أوقافها الكثيرة ، من أملاك ، و عقارات ،و حقول ن في دمشق ،و بيروت ،و طرابلس ،و غيرها من قري الشام[1] .

و من مكوناتها العمرانية و مرافقها الداخلية : صحن -فناء-، و مئذنة[2] ، و إيوان كبير ،ومضيأة واسعة، و مقصورة لقراءة القرآن الكريم في الليل ،و فرن لتسخين الماء[3] .و كان فيها عند تأسيسها عشر حجرات للفقراء ، ثم ارتفع عددها عندما وسعت المدرسة ،و اصبح لها ثلاثة طوابق: سفلي ،و أوسط ،و علوي ، فبلغ أكثر من ثلاثمائة حجرة[4] .

وكانت المدرسة العمرية ذات صبغة مذهبية في الإشراف عليها ،و في تدريس المذهب الحنبلي فقط؛ لكنها فتحت أبوابها لأهل العلم دون تمييز طائفي ،في الالتحاق بها لحفظ القرآن الكريم[5] .ثم فقدت صبغتها المذهبية الحنبلية في القرن التاسع الهجري/15م ، عندما أصبحت مشتركة بين الطوائف السنية الأربعة[6] ، إشرافا و تدريسا ، ابتداء من سنة 847 هـ[7]/1443م .

ومن مدرسيها الفقيه تقي الدين احمد بن محمد المقدسي ثم الصالحي(ت643 هـ/1245م)،و ولده الحافظ عز الدين عبد الرحمن(ت661 هـ/1262م)،و القاضي شمس الدين عبد الرحمن بن

---

[1] الذهبي: تاريخ الإسلام ج : 591 –600 هـ/ ص :278 .و ابن بطوطة : المصدر السابق ج 1 ص :101 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :55 .و النعيمي : المصدر السابق ج 2 ص :109 .و ابن طولون : المصدر السابق ج 1 ص :178 179 .

[2] سقطت على المسجد العتيق المجاور لها في سنة 680 هـ/1281م ، فمات شخص واحد فقط .ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص :216 .

[3] ابن طولون : المصدر السابق ج 1 ص : 169 181 182 .و النعيمي ك المصدر السابق ج 2 ص : 111 112 .

[4] ابن طولون : المصدر السابق ج 1 ص :183 و ج 2 ص : 109 .

[5] ابن حجر العسفلاني : المصدر السابق ج 2 ص :156 166 .

[6] عارض الحنابلة عندما حولت المدرسة العمرية إلى مدرسة مشتركة ، لأكن الأمر فرضته عليهم السلطة القائمة انداك .و قد ذكر المؤرخ يوسف بن عبد الهادي الدمشقي الحنبلي(ت909 هـ/1503م ، أنه هو شخصيا لم يسؤه جعل العمرية على المذاهب الأربعة ، لأن فضل الشيخ أبي عمر قد تعدى الحنابلة ليشملا غيرهم من السنيين . ابن طولون : المصدر السابق ج1ص :169 171 174 175 .و النعيمي : المصدر السابق ج 2 ص :109 .

[7] نفسه ج1 ص :169 و ما بعدها .و نفسه ج 2 ص : 109 .

الشيخ أبي عمر المقدسي(ت682 هـ/1283م)[1] ،و الخطيب نجم الدين احمد بن قدامة(ت689 هـ/1288م)،و الفقيه أبو الحسن علي بن القاضي شمس الدين المقدسي(ت699 هـ/1299م)[2] .و درس فيها من غير المقادسة ، الفقيه تقي الدين إبراهيم بن علي الواسطي ثم الدمشقي الحنبليي(ت692 هـ/1292م)[3] .و بلغ عدد شيوخها الملقنين للقران الكريم ، سبعة شيوخ في بعض الأوقات[4]

و تعد العمرية من فضائل الصالحية و من أقدم مدارسها ،و هي أكبر مدرسة في مدينة دمشق على الإطلاق، وتمثل نموجا كاملا للمدرسة الجامعة[5] .و قد تهدمت معظم معالمها العمرانية ، ولم يكن باقيا منها في سنة 1369 هـ/1949م، إلا طابقها السفلي ،و بابها الرئيسي الغربي المقوس (انظر الصورتين رقم:3 و 4) .و قد أجرت عليها السلطات الفرنسية ترميمات ، في عام 1361 هـ/1942م[6] .و قد شرع في إعادة بنائها من جديد في وقتنا الحاضر[7] .

و أما المدرسة الثانية بضاحية الصالحية ، فهي دار الحديث الأشرفية البرانية ، تقع على شاطيء نهر يزيد بسفح جبل قاسيون ، بناها للحنابلة ملك دمشق الاشرف مظفر الدين موسى بن العدل الأيوبي(ت635 هـ/1237م)[8] ،و أسندها للحافظ جمال الدين بن أبي موسى بن عبد الغني المقدسي[9] (ت 629 هـ/1231م) ،و جعل له فيها مسكنا ،و رزقا معلوما له و لذريته.و وقف عليها ضيعات : الدير ،و الدويرة، و التليلا ،و المنصورة،و الشرفية[10] .

---

[1] ابن شداد ك المصدر السابق ص : 259 .و النعيمي : المصدر السابق ج 2 ص :106 206 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :217 .

[2] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :343-344 .و النعيمي : المصدر السابق ج 2 ص :106 107 .

[3] نفس المصدر ج 2 ص :330 .و نفسه ج 1 ص :357 و ج 2 ص :83 .

[4] النعيمي : المصدر السابق ج2 ص :109 .

[5] العلبي : خطط دمشق ص :237 .و الحصني : المرجع السابق ص :960 .و ابن طولون : المصدر السابق ج 2 ص :377 382 و ما بعدها .

[6] الريحاوي: المرجع السابق ص :103 .و ابن طولون /: المصدر السابق ج 1 هامش ص :183 .

[7] رأيتها في زيارتي لهتا في ربيع 2001 .

[8] هو الذي بني دار الحديث الأشرفية الجوانية للشافعية ،وهي بداخل مدينة دمشق .ابن كثير : طبقات الفقهاء الشافعيين حققه احمد عمر هاشم ومحمد عزب ، القاهرة مكتبة الثقافة الدينية، 1993 ج 2 ص : 844 845 .و النعيمي : المصدر السابق ج 1 ص 19:

[9] لكنه توفي قبل اتمام بنائها .ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :19 189 .

[10] ابن طولون: المصدر السابق ج 1 ص :95 96 .و ابن رجب : ج 2 ص :19 186 .و ابن :ثير : المصدر السابق ج 2 ص:844 845 .و ابن بدران الدمشقي : المرجع السابق ص : 331 .

و من مدرسيها القاضي شمس الدين بن أبي عمر المقدسي(ت682 هـ/1283م)، و الفقيه محمد بن الكمال عبد الرحمن السعدي المقدسي(ت688 هـ/1289م)،و قاضي القضاة شرف الدين الحسن بن أبي عمر المذقدسي695 هـ/1295م)[1] ،و ابنه عز الدين ، ثم تغير الأمر من بعده ،و أصبح التدريس فيها لكل من ولي قضاء الحنابلة، حتى و إن لم يكن أهلا للتدريس فيها[2] .

و من مكوناتها العمرانية : صحن واسع-فناء-،و ثلاثة أبواب أوسطها كبير ،و حجرات تحتية و فوقية،و قاعة واسعة ،و بئر و مسجد و شبابيك[3] .و هي أتقن بناء ،و أتم هندسة ، من دار الحديث

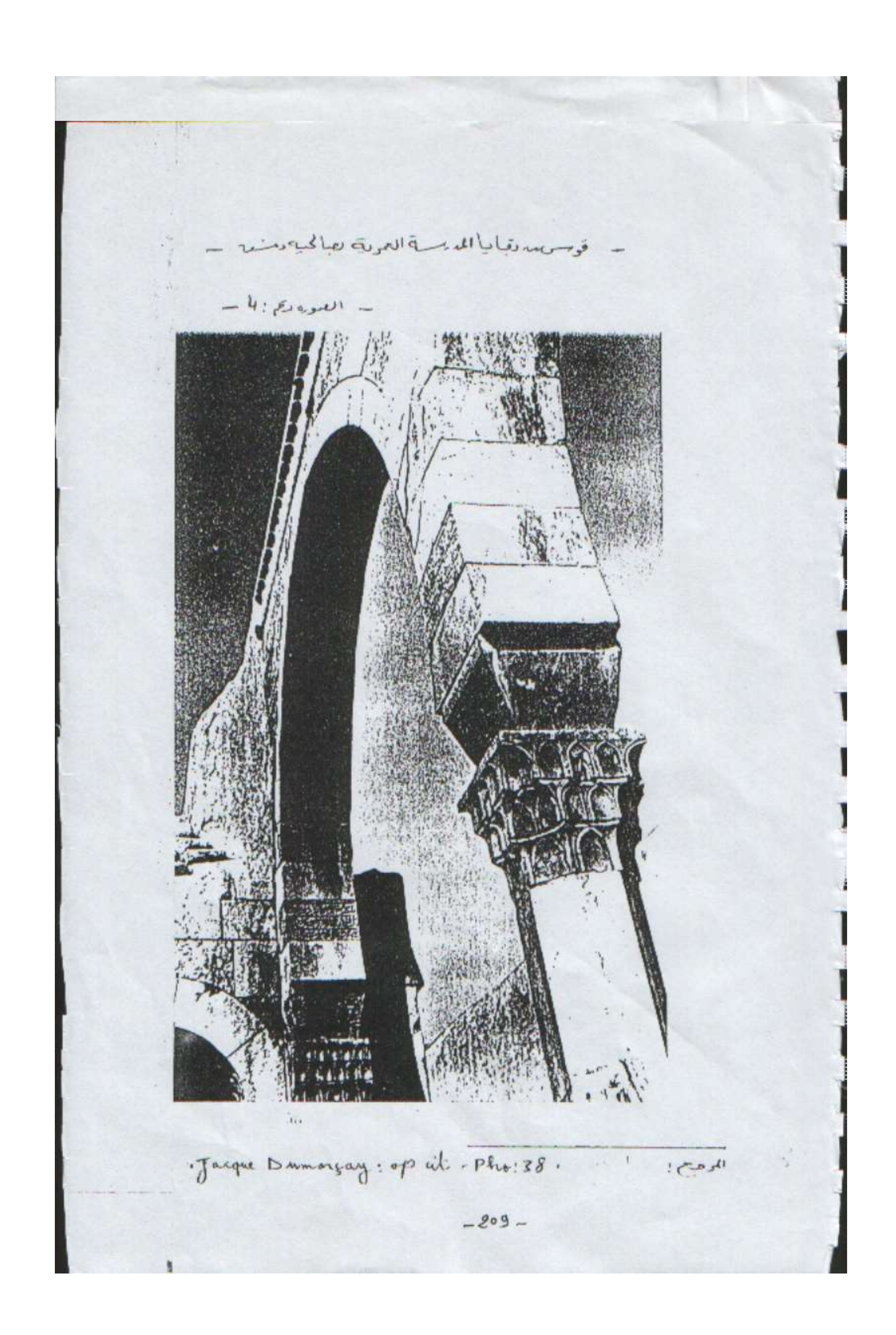
. . .

. . .

[1] ابن طولون : المصدر السابق ج 1 ص : 96 97 .و ابن رجب : 2 ص :320 321 .و النعيمي : المصدر السابق ج 1 ص:49.

[2] ابن طولون : نفس المصدر ج 1 ص :96 .و النعيمي: نفس المصدر ج 1 ص :51 52 .و ابن بدران الدمشقي المرجع السابق ص :33

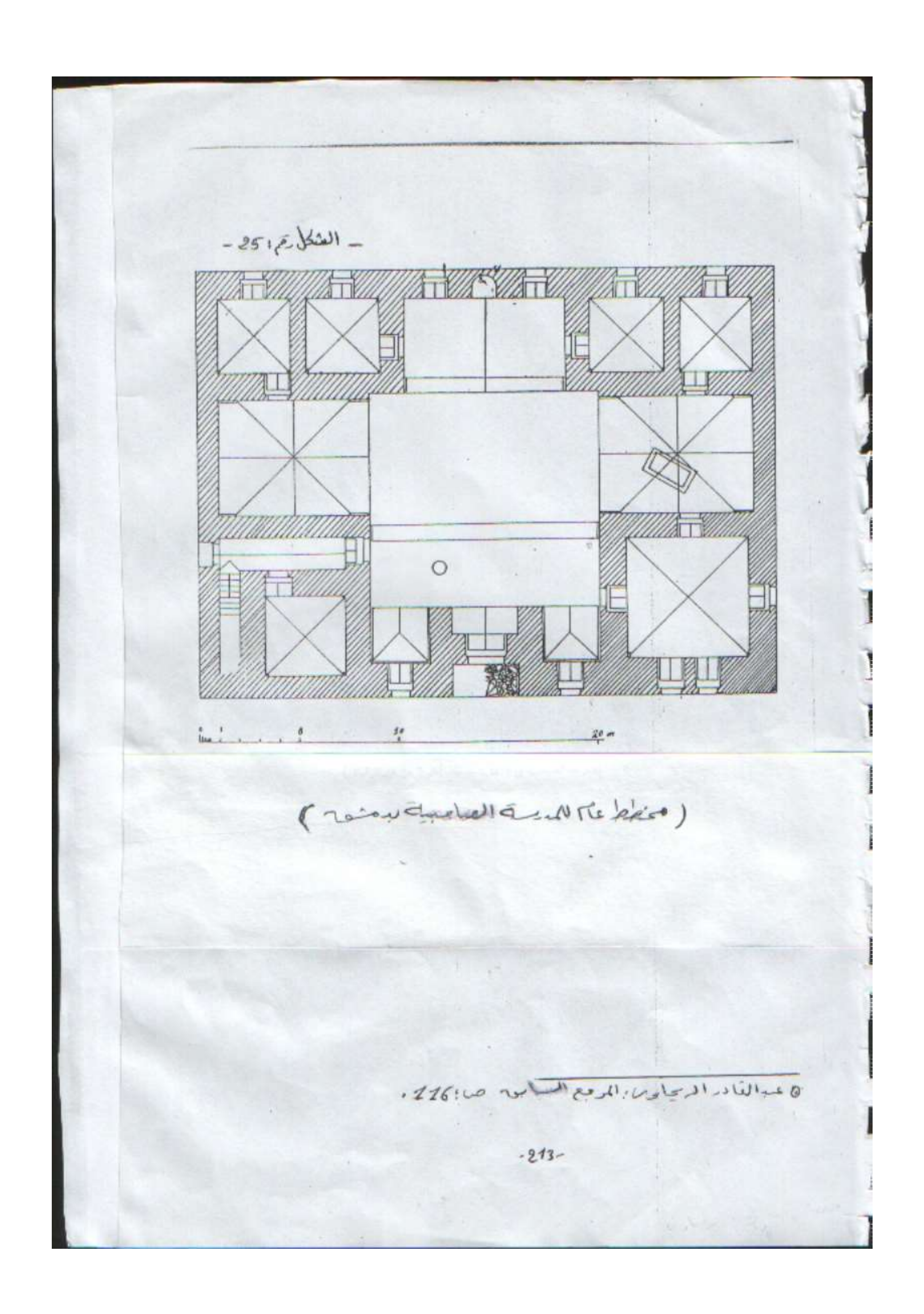
[3] ابن طولون : المصدر السابق ج 1 ص :102 .



- قوس من بقايا المدرسة العمرية بصالحية دمشق -

- الصورة رقم: 4 -

المرجع: Jacque Dumarçay: op cit. Pho: 38.



- الشكل رقم: 25 -

(مخطط عام للمدرسة الصاحبية بدمشق)①

① عبد القادر الريحاوي: المرجع السابق، ص: 116.

-213-

الأشرفية الجوانية الموقوفة على الشافعي بداخل دمشق[1] . ولم يكن باقيا من اثارها في الربع الثاني من القرن العشرين إلا القليل ، منها باب المدرسة،و قسم من أساسها الشمالي[2] .

و الثالثة المدرسة المنجائية ،بسفح جبل قاسيون ، بناها التاجر الفقيه عز الدين عثمان بن أسعد بن المنجا الحنبلي(ت641 هـ/ 1243م)،و عندما توفي دفن فيها[3] .و أخبارها نادرة جدا ،إذ لم أعثر على ذكر لها إلا عند المؤرخين أبي شامة المقدسي(ت665 هـ/1266م)،و الرحالة ابن بطوطة (ت776 هـ/1377م) الذي روى أنه عندما دخل دمشق في سنة726 هـ/1325م رأى في الصالحية مدرسة ابن المنجا[4] .

و المدرسة الرابعة، هي دار الحديث الضيائية المحمدية ، الواقعة شرق جامع بسفح جبل قاسيون، أسسها الحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي (ت643 هـ/1245م)، و وقفها على المحدثين و الفقهاء و الغرباء الوافدين عليها[5] .و قد اندرست أثارها العمرانية في وقتنا الحاضر كلية[6] .

و روى ابن رجب البغدادي ، أن الضياء عندما بنى مدرسته كان يبني جانبا منها ثم يتوقف حتى يجمع مالا أخر،فإذا جمعه واصل بناءها ،و يعمل فبها بنفسه ،و كان–مع فقره وحاجته للمال– لا يقبل من أحد شيئا تورعا[7] . و لم يتساءل –أي ابن رجب– هل في مقدور الضياء أن يجمع مالا لبناء مدرسة مع حاجته إليه و قلة ذات يده ، دون أن يستعين بالناس ؟! ومن أين جاء بالأوقاف التي وقفت على مدرسته ؟! . ثم ذكر رواية أرى تناقض ما قاله و لم ينتبه لتناقضه ، فقد روى أن أهل الخير قد أعانوا الضياء في بناء مدرسته[8] . لكنه–أي ابن رجب– ربما أراد أن يقول : إن الضياء مع فقره كان حريصا على أن يبني مدرسته بمال حلال ، لا أنه لم يقبل مالا من أحد ، وإنما لم يأخذ ملا مشبوها تورعا منه .

[1] النعيمي : المصدر السابق ج 1 ص :19 .

[2] النعيمي : المصدر السابق ج 1 ص :19 و هامش ص : 47 .و ابن بدران الدمشقي : المرجع السابق ص : 33 .

[3] أبو شامة : ذيل الروضتين : 173 .

[4] ابن بطوطة : المصدر السابق ج 1 ص :101 .

[5] ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات ج 2 ص :471 .و الذبي : سير أعلام النبلاء ج 23 ص :128 .و الصفدي : المصدر السابق ج 4 ص :66 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :238 .

[6] ابن بدران الدمشقي : المرجع السابق ص :223 .

[7] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :238 .و ابن العماد الحنبلي: المصر السابق ج 5 ص :225 .

[8] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :238 .و قد روى هذا الخبر مؤرخون اخرون كالصفدي و ابن شاكر الكتبي . ،انظر الوافي بالوفيات ج ج4 ص :66 .و فوات الوفيات ج 2 ص :471 .

و أما أوقافها فقد كانت كثيرة بفضل تبرعات المحسنين ، منها معظم دكاكين السوق الفوقاني ، و ثلث قمح ضيعات مدرسة دار الحديث الأشرفية البرانية ،و هي: الدير ، والدويرة ، والمنصورة،و التليل،و الشرفية[1] . وأوقف عليها المحدث التاجر فخر الدين بن البخاريالمقدسي(ت690 هـ/1290م) ، شيئا من ماله ، وهي مدرسة عمه[2] .

و من مرافقها ومكوناتها العمرانية : مسجد ،و صحن ،و بئر ، و ميضأة ،و مكتبة ،و خلاوي- حجرات- سفلية و علوية ،و صفة داخلية[3] . وأما مدرسوها فمنهم مؤسسها الضياء محمد ، و الفقيه شمس الدين محمد بن الكمال عبد الرحمن السعدي(ت688 هـ/1289م)،و المحدث أبو العباس احمد بن عبد الله السعدي الدمشقي(ت703 هـ/1303م)[4] .

وأما الخامسة فهي المدرسة الضيائية المحاسنية ، بسفح جبل قاسيون ، بناها الفقيه ضياء الدين محسن بن عبد الملك الجموي ثم الدمشقي الحنبلي(ت643 هـ/1245م)،و وقفها على الحنابلة، ونص في وقفيتها على أن يدرس فيها من كان أميرهم[5] .و لا يعرف موقعها بالضبط في الصالحية ، وقد حاول الباحث ابن بدران الدمشقي تحديده في تنقيبه عنها ن فلم يهتد إليه[6] .و قد أخلط الباحث حسن شميساني بين المدرستين الضيائية المحمدية ،و الضيائية المحاسنية ، فذكر أن هذه الأخيرة تقع شرق الجامع المظفري-جامع الحنابلة- بجبل قاسيون[7] . وهذا موقع المحمدية لا المحاسينية التي لا يعرف موقعها .

و السادسة مدرسة دار الحديث الصاحبية ،بسفح جبل قاسيون ، بنتها أخت السلطان صلاح الدين الأيوبي الصاحبة ربيعة خاتون(ت643 هـ/1245م) ، و وقفتها على الحنابلة ؛و أسندتها

---

[1] ابن طولون : المصدر السابق ج 1 ص :83 ، و النعيمي : المصدر السابق ج 2 ص :99 .

[2] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص ك327 .

[3] ابن طولون : المصدر السابق ج 1 ص :83 .

[4] الذهبي: معجم شيوخ الذهبي ص :161 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :321 .و النعيمي : المصدر السابق ج 2 ص :96 97 .

[5] ابن شداد : المصدر السابق ص :58 59 .و النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ج 2 ص :94 .و ابن طولون : المصدر السابق ج 1 ص :164 .

[6] ابن بدران الدمشقي : المرجع السابق 243 .

[7] حسن شميساني: مدارس دمشق في العصر الأيوبي ، ط1 بيروت دار الأفاق ، 1983 ، ص :169 .

للفقيه ناصح الدين بن الحنبلي[1](ت634 هـ/1236م)، بإشارة من ابنيه العالمة أمة اللطيف (ت653 هـ/1255م) خادمة ربيعة خاتون[2] .و وقفت عليها وقفا يسيرا -منه بستان وطاحون-، لأنها لم تحسن التدبير ، وذلك أنها بدأت أولا في بناء المدرسة ، فلما أتمتها لم يبق معها من المال إلا القليل ، اشترت به وقفا يسيرا ؛ وكان من الأولى أن تشتري الوقف أولا ، ثم كلما تحصلت شيء منه بنت به[3] .و مع قلة أوقافها فإنها المدرسة الدمشقية الوحيدة التي ما تزال قائمة إلى اليوم ، محافظة على كافة مرافقها بحارة الآكراد ،و هي من أجمل مدارس المدينة ، لها بناء كبير يدل على الأبهة و الجلالة ، وعلى مدى ارتقاء الفن المعماري زمن تأسيسها في القرن السابع الهجري/13م[4] .

و من مكوناتها العمرانية ، أنتها ذات شكل مستطيل(انظر الشكل رقم: 25) ،و لها باب كبير ،و ثلاثة أواوين ، وقاعات في جوانبها الأربعة ،و حجرات علوية ،و مدفن للواقفة ،و جبهة حجرية جميلة جدا ،و مقرنصات حجرية رائعة[5] .و من مدرسيها الفقيه ناصح الدين بن الحنبلي ، درس فيها يوم افتتاحها في سنة 628 هـ/1230م بحضور الواقفة-من وراء حجاب- و جمهور غفير من الناس[6] . ومنهم ولدا ناصح الدين هما : سيف الدين يحي(ت 672 هـ/1273م) ،و زين الدين عبد الله (ت 684هـ/ 1285م)[7] .و ناب عن بني الحنبلي -في التدريس فيها- الفقيه تقي الدين إبراهيم بن الواسطي ثم الدمشقي

---

[1] على اثر استقلال بنو المنجا بالتدريس في المسمارية و ابعاد بني الحنبلي عنها .ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :95 . وابن طولون : المصدر السابق ج 1 ص :158 .

[2] ابن كثير : البداية و النهاية ج 13 170 و ج 14 ص :158 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :195 . و ابن طولون : المصدر السابق ج 1 ص :123 .و خير الله العمري : مهذب الروضة الفيحاء في تواريخ النساء ،حققه رجاء السامرائي، العراق وزارة الثقافة ،1966 ص :239 . و عبد القادر الريحاوي : المرجع السابق ص :116 126 .و عبد القادر ابن بدران الدمشق : المرجع السابق ص :238 .

[3] ابن طولون : المصدر السابق ج 1 ص :163 .

[4] العلبي : المرجع السابق ص :237 .و ابن بدران الدمشقي : المرجع السابق ص : 238 .و يوسف بن عبد الهادي : المصدر السابق هامش ص :149 .و ابن طولون : المصدر السابق ج 1 هامش ص :163 .

[5] عبد القادر الريحاوي: المرجع السابق ص : 116 126 .و ابن طولون: نفس المصدر ج 1 ص :163 .و يوسف ببن عبيد الهادي : المصدر السابق ، تذييل المحقق ص :149 .

[6] ابن شداد : المصدر السابق ص :227 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :125 .و ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص :128 .و النعيمي : المصدر السابق ج 2 ص /71 .و ابن طولون : المصدر السابق ج 1 ص :158 159 .

[7] ابن شداد : المصدر السابق ص :257 258 .و النعيمي : نفس المصدر ج 2 ص : 81 و ما بعدها .

الحنبلي(ت692 هـ/ 1292 م) ، مدة عشرين سنة[1] .و الشافعي تاج الدين عبد الغفار السعدي(ت732 هـ/1331م)[2] ، سمح له بالتدريس فيها لأنها دار حديث[3] وليست مدرسة فقه ذات صبغة مذهبية .و كانت هذه المدرسة تدفع يوميا درهمين للمدرس ، و درهما واحدا للمعيد ،و نصف درهم للطالب ، و مجموع طلابها عشرين طالبا[4] .

و المدرسة السابعة ، دار الحديث العالمية ، قبالة جامع الأفرم بسفح جبل قاسيون ، أنشأتها العالمة أمة اللطيف بنت ناصح الدين بن الحنبلي الدمشقية(ت653 هـ/1255م)،و وقفت عليها أوقافا ، منها بستانان بجسر البطة و الغيضة ،و حددت عدد طلابها بعشرين طالبا من المتفوقين في دراستهم[5] . لكن مدرستها لم تعمر طويلا ، إذ كان نشاطها العلمي قد تعطل في القرن العشر الهجري/16م ،و اندرست معالمها كلية ،و حول موقعها إلى بستان في الأربعينيات من القرن العشرين[6] .

و يتبين مما ذكرناه عن مدارس الحنابلة في مدينة دمشق ، أن مجموعها بلغ –عند نهاية القرن السابع الهجري/13م– ثلاث عشرة مدرسة[7] في حين ذكر لهم المؤرخ ابن شداد(ت684 هـ/1285م) عشرا فقط ، مقابل أربعين للشافعية ، و أربع وثلاثين للحنفية ، و ثلاث للمالكية[8] . وأنهم –أي الحنابلة– هم الذين بنوا كل مدارسهم بأنفسهم ، ما عدا مدرستان : الأشرفية و الصاحبية ، و اثنتان منها–الصاحبية و العالمية– بنتهما امرأتان .

---

[1] نفسه ص 258 .و نفس المصد ج 1 ص :158 و ج 2 ص : 83 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :330 .

[2] ابن كثير : المصدر السابق ج 14 ص :158 .و النعيمي : نفس المصدر ج 1 ص : 162 163 .

[3] ابن كثير : نفسه ج 14 ص :158 .و نفس المصدر ج 2 ص :85 86 .

[4] خير الله العمري: المرجع السابق ص : 239 .

[5] النعيمي : المصدر السابق ج 2 ص :111 112 113 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :348 .و ابن طولون : المصدر السابق ج 1 ص :85 .

[6] ابن بدران الدمشق : المرجع السابق ص :248 .و ابن طولون : المصدر السابق ج 1 هامش ص :85 .و النعيمي : المصدر السابق ج 2 : هامش ص :112 .

[7] ذكر لهم الباحث أكرم حسن العلبي ،اثنتي عشرة مدرسة . المرجع السابق ص : 233 و ما بعدها .

[8] ابن شداد : المصدر السابق ص :119 و ما بعدها ،و 229 و ما بعدها ،و 253 وما بعدها .

ثالثا : مدارس الحنابلة في مدن أخرى

للحنابلة مدارس في مدن أخرى من المشرق الإسلامي ، كبيت المقدس ، ونابلس ، ومصر ، و حران ، والبصرة ، ففي القدس الشريف فإني لم أعثر للحنابلة فيها على أية مدرسة في القرن السادس الهجري/12م ، إلا على واحدة فقط[1] ربما أسست في نهاية القرن السابع الهجري/13م ، تعرف بالوجيهية ، بناها التاجر الفقيه وجيه الدين بن عثمان بن أسعد بن المنجا الدمشقي(ت701 هـ/1301م)، وتقع بالقرب من المسجد الأقصى[2] ،و كانت ما تزال قائمة في النصف الثاني من القرن العشرين، اتخذها بعض الناس سكنا لهم[3] . و للحنابلة مدرسة صغيرة في جامعهم بنابلس ، بناها عماد الدين بن عبد الحافظ بن بدران النابلسي(ت698 هـ/1298م)[4] .

و أما في مدينتي مصر و القاهرة ، فإني لم أعثر للحنابلة فيهما على أية مدرسة خاصة بهم[5]– خلال القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م- ؛ إلا ما روي أن الفقيه عز الدين عبد الهادي بن شرف الإسلام بن الحنبلي الدمشقي(ت586 هـ/1190م)، لما نزل بمصر شرع في بناء مدرسة ، لكنه توفي قبل أن يتم باءها[6] ؛ ويبدو أنها أهملت ولم يكملها أحد، لأن أخبارها انقطعت . و إنه من الغريب جدا أن تكون للشافعية و الحنفية و المالكية مدارس كثيرة في مصر و القاهرة[7] ، و لا تكون للحنابلة أية مدرسة في هاتين المدينتين ، و وجودهم بهما يرجع إلى النصف الأول من القرن السادس الهجري/12م فهل اكتفوا بالمساجد و استغنوا عن إلى المدارس ، أم كانت لهم مدارس و أغفلت المصادر ذكرها ؟ . لم أجد جوابا شافيا عن هذا التساؤل ، لكنه يوجد ما يشير إلى أنه كانت لهم

---

[1] قدر مجموع مدارس بيت المقدس بأكثر من عشر مدارس ، منها واحدة للحنابلة ، و ثلاث للشافعية ،و فيها مدارس للحديث و النحو وعلوم القرآن الكريم . رشاد سالم الإمام : مدينة القدس في العصر الوسيط ، تونس الدار التونسية للنشر 1976 ص : 188 وما بعدها .و قد أصبح للحنابلة مدرسة ثانية في بيت المقدس ، بناها لهم ناءب الشام الأمير بيدمر في سنة781 هـ/1379 . العليمي : الأنس الجليل ج 2 ص :44 . ويذكر أن المسجد الأقصى كان محاطا بالمدارس على اختلاق مذاهبها و تخصصاتها : نفس المصدر ج 2 ص : 31 41 .

[2] العليمي : نفسه ، ج 2 ص :42 44 .

[3] رشاد سالم الإمام : المرجع السابق ص :192 .

[4] الذهبي : سير أعلام النبلاء الجزء المفقود ص :98 .و العبر : ج 3 ص :392 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 341 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :442 .

[5] كانت لهم مدارس مشتركة بينهم و بين الطوائف السنية الأخرى ، و سيأتي الكلام عنها قريبا .

[6] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :370 . و ابن العماد الحنبلي / المصدر السابق ج 4 ص :286 .و النعيمي: المصدر السابق ج 2 ص :71 .

[7] عنها انظر السيوطي : حسن المحاضرة ج 1 و ج2 .و المقريزي : المصدر السابق ج 2 .

مدارس لم تشر إليها غالبية المصادر ، فمن ذلك أنه رويت أخبار بعضها يوحي بوجود مدرسة للحنابلة ، و بعضها الأخر صريح في ذلك ، لكنه يفتقد إلى الدقة و الوضوح و التحديد الزمني .

فبالنسبة للنوع الأول ، فمنه رواية تقول أن المفسر جمال الدين محمد بن سليمان البلخي ثم الدمشقي الحنبلي (ت698 هـ/1298م) درس في المدرسة العاشورية بالقاهرة[1] . وهذا يعني أنها كانت قائمة في النصف الثاني من القرن السابع الهجري/13م ،و أن حنبليا درس فيها ؛ وبما أنها هي من المدارس التي لم يحدد المذهب المدرس فيها ،و لا الطائفة التي تملكها ، و لا هي من بين المدارس السنية المشتركة[2] ؛ فإنه من الممكن جدا أن تكون دار قران ، بناها حنبلي أو يشرف عليها الحنابلة .

و روي في خبر أخر ، أنه وجدت في مدينة مصر مدرسة تعرف بمدرسة بني مزيبل ، نسبة لساكنها الرشيد بن المزيبل الحنبلي وأولاده ، و كانت أوقافها قد خربت زمن المؤرخ إبراهيم بن دقمان العلائي(ت790 هـ/1388م) ، ويقال : إن الذي بناها رجل كردي مدفون في قبة بجانب المدرسة[3] . فمن الجائز جدا أن يكون هذا الرجل اوقف مدرسته على الحنابلة منهم ابن المزيبل و أولاده .

و أما النوع الثاني ، فهو ما رواه المؤرخ أبو الحسن علي بن احمد السخاوي الحنفي(ت ق9هـ/15م)، من أنه كانت في مصر مدرسة تعرف بمدرسة بني مرسل ، بناها أمير الجيوش للفقيه أبي اسحق إبراهيم بن مرعيل الحنبلي المصري[4] . فهذه الرواية صرحت ببناء مدرسة للحنابلة بمصر ،لكنها لم تحدد زمن إنشائها ،و لا عرفتنا بأمير الجيوش الذي أسسها ، ولا ذكرت سنة وفاة الواقف و الموقوفة له ؛ و قد اجتهدت لإزالة هذا الغموض فلم أوفق في ذلك .

و في مدينة حران ، أحصيتُ للحنابلة فيها أربع مدارس ، أولها المدرسة النورية ، بناها السلطان نور الدين محمود بن زنكي (ت 569 هـ/1173م) ، للفقيه أبي الفضل حامد بن أبي

---

[1] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص : 442 .

[2] احمد فكري : مساجد القاهرة و مدارسها القاهرة دار المعارف ، 1969 ،ج 2 ص :54 55 .و عبد اللطيف حمزة : المرجع السابق ص :162 164 165 .

[3] ابن دقمانالعلائي : الانتصار لواسطة عقد الأمصار – في تاريخ مصر و جغرافيتها – ، بيروت ، دار الأفاق الجديدة د ت ، ج 1 ص :98 .

[4] علي بن احمد السخاوي : تحفة الأحباب و بغية الطلاب في الخطط و المزارات ، حققه محمود ربيع و حسن قاسم ، ط 1 القاهرة ، امطبعة العلوم و الآداب ، 1937 ص :386 .

الحجر الحراني الحنبلي(ت570 هـ/1174 م)،و اسندها إليه[1] . وكان ابن أبي الحجر حازما في تسيرها و الحفاظ على أوقافها ، حتى أنه إذا غاب ولده إلياس عن الدروس لا يعطيه خبزه في اليوم الذي غاب فيه ،و يقول : هو كالمستأجر [2]. وقد درس فيها من بعده ، فخر اليد بن تيمية الحراني(ت 622 هـ/1225م) ،و الفقيه الموفق حمد بن احمد الحراني(ت 634 هـ/ 1234م)[3] .

و المدرسة الثانية في مدينة حران ، هي للفقيه فخر الدين بن تيمية ، بناها لنفسه[4] ؛ و أخبارها نادرة جدا . و الثالثة مدرسة بني العطار ، بنوها للفقيه ناصر الدين بن أبي الفهم الحراني الحنبلي(ت634 هـ/1236م)[5] .و آخرها مدرسة المقرئ أبي الحجاج يوسف بن فضل الله السكاكيني الحراني الحنبلي(ت بعد661هـ/1262م)، كانت داره ثم حولها إلى دار للحديث ، و وقف فيها كتبه[6] .

و في البصرة ، للحنابلة فيها مدرسة بني دويرة ، نسبة لشيخهم المقرئ حسن بن دويرة البصري(ت652 هـ/1254م) ، لقن فيها القرآن الكريم أكثر من عشرين سنة ، و حفظه على يده أزيد من ألف شخص[7] . منهم تلميذه النجيب الفقيه المقرئ نور الدين بن عمر الضرير (ت 684 هـ/1285م) ، حفظ على يده القرآن في سنة 631 هـ/1233م ، ثم خلفه في مدرسته بعد وفاته ، فدرس فيها مدة من الزمن ، ثم تركها و انتقل إلى بغداد[8] . وذكر الباحث ناجي معروف أن الخادم باتكين بن عبد الله الرومي الناصري (ت640 هـ/1242م)، هو الذي بنى للحنابلة مدرسة في البصرة ،ولم يكن يعرف لهم بها مدرسة قبلها[9] .فإن صح هذا الخبر ففيه احتمالان ، إما أنه كان للحنابلة في البصرة مدرستان ،و إما أن باتكين بنى مدرسته و سلمها لشيخ الحنابلة حسن بن دويرة

---

[1] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 333 ط ق . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص :237 .
[2] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :334 .
[3] الذهبي: تاريخ الإسلام ج : 631-640 هـ / ص : 185 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :152 .
[4] ابن رجب : نفس المصدر ج 2 ص : 152 .
[5] نفس المصدر ج 2 ص : 203 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :167 .
[6] ابن رجب : نفس المصدر ج 2 ص :179 .
[7] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :254 255 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :259 .
[8] الصفدي : نكت الهميان ص :189 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :254 255 313 314 .و الدودي : المصدر السابق ج 1 ص :284 .
[9] ناجي معروف : تاريخ علماء المستنصرية ج 1 ص :170 ،و هامش ص :136 .

وأما في الحرمين الشريفين ، فإنه بالنسبة لمكة المكرمة ، فإن المدارس فيها لم تظهر إلا في النصف الثاني من القرن السادس الهجري[1]/12م ، ثم كثر عددها في القرن الذي تلاه ، فبلغ احدى عشرة مدرسة كلها للشافعية و الحنفية و المالكية ، و ليس للحنابلة فيها أية مدرسة[2] ؛ وليس صحيحا ما ذكرته الباحثة عائشة بن عبد الله باقاسي، من أن المدرسة الزنجيلية بمكة هي للحنابلة [3] . لأن هذه المدرسة هي للحنفية بنيت في سنة 579 هـ/1183م[4] . و أما في المدينة المنورة ، فلم يكن فيها لأهل السنة نشاط علمي بارز ، خلال القر نين السادس و السابع الهجريين[5]/12-13م ، لأنها كانت بيد الشيعة الإمامية الاثنى عشرية الذين تحكموا في البلد و ضيقوا على السنيين[6] . لذا لم يكن للحنابلة فيها أية مدرسة خاصة بهم ، ما عدا مدرسة مشتركة بينهم و بين الشافعية بنيت في نهاية القرن السابع الهجري/ 13م[7] .

و أخيرا مدارسهم في اليمن ، و الموصل ،و حلب ، ففي اليمن فيبدو أنه لم تكن لهم فيها مدارس ، لأن مدارسها كانت موزعة بين الشافعية ،و الحنفية ،و الزيدية ، دون سواهم[8] . و أما في الموصل ، فرغم كثرة مدارسها[9] ،و انتشار المذهب الحنبلي فيها ، فإنني لم أعثر للحنابلة فيها على أية

---

[1] بعد اسقاط الأيوبيون للفاطميين الذين كانوا مسيطرين على مكة المكرمة .

[2] الفاسي : المصدر السابق ج 1 ص :117 118 .و عبد الله صالح عبد الرحمن : تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، ط1 جدة ، دار الشروق ،1982 ص :59 60 78 و ما بعدها .و احمد السباعي : المرجع السابق ص :116 و ما بعدها .و طه الولي : المساجد في الإسلام ص :86 .

[3] نسبتها للحنابلة مرتين ، لكنها في مرة أخر ى نسبتها للحنفية . انظر : عائشة بن عبد الله باقاسي: الحجاز في العصر الأيوبي ص: 104 107 .

[4] الفاسي : المصدر السابق ج 1 ص :117 .

[5] تغير حال أهل السنة في المدينة المنورة و ترجحت كفتهم منذ سنة 701هـ /1301م ، و ضعف أمر الشيعة ، فتظاهروا بأنهم من أل السنة تقية . السمهودي : الصدر السابق ص :142 .و السخاوي : الإعلان بالتوبيخ ص :292 .و علي السيد عللي : الحياة الثقافية في المدينة المنورة في عصر المماليك ، د م ن ، مركز عين للدراسات و البحوث الإنسانية ، 1994 ص :122 .

[6] السمهودي : المصدر السابق ص :141 142 .و السخاوي : نفس المصدر ص :292 .و علي السيد علي : نفس المرجع ص : 122 .

[7] عنها انظر المبحث الخامس من هذا المبحث .

[8] علي بن الحسن الخزرجي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية حققه محمد بسيوني ، مصر مطبعة الهلال 1911، ج 1 ص :84 276 . و إسماعيل بن الأكوع : المدارس الإسلامبة في اليمن ، صنعاء منشورات جامعة صنعاء ، رقم: 1 1980 ، ص 9: 10 51 217 .

[9] فيها أكثر من عشرين مدرسة . سعيد الديوه جي : المرجع السابق ص : 343 390 .

مدرسة، وإن تولى بعضهم مشيخات دور الحديث بها[1] .و في مدينة حلب ، فإن معظم مدارسها هي للشافعية و الحنفية ، و ليس للحنابلة فيها إلا واحدة ، أو اثنتان[2] .

و يُستخلص مما أوردناه عن مدارس الحنابلة في المشرق الإسلامي-خلال القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م- أن مجموع مدارسهم بلغ ستا وثلاثين مدرسة(انظر الجدول رقم:13 ص: و الرسم البياني رقم: 13 ص:)،منها خمس عشرة في بغداد ،و ثلاث عشرة بدمشق ،و أربع في حران[3] .و لهم من بينها ثلاث مدارس أنشأتها ثلاث نساء ، هن : الجهة بنفشا ،و الصاحبة ربيعة خاتون ،و العالمة أمة اللطيف .و أن مدارسهم كانت بمثابة مدارس عليا بتعبيرنا المعاصر ، لها نظامها الداخلي[4] ،و بناياتها المستقلة، ومرافقها المتنوعة،و مصادر تمويلها المتعددة .

رابعا : مدارس الحنابلة البيتية

اتخذ بعض علماء الحنابلة بيوتهم مقرا لنشاطهم العلمي و التعليمي ،فيستقبلون فيها العلماء و الطلاب ، و يعقدون فيها مجالس العلم ،و لم يحولونها إلى مدارس -كالتي سبق ذكرها- ، أشهرهم أربعة ، أولهم المقرئ أبو العلاء العطار الهمذاني(ت569 هـ/1173م)،درس تلامذته في بيته ، و أسكنهم في مسجده ،و أنشأ لهم مكتبة ،و خصص لهم نصف النهار الأول للحديث النبوي ، و النصف الثاني للقران الكريم و علوم أخرى[5] . و كان ينفق عليهم مما يعطيه له الناس ، ومما يقترضه منهم عندما لا يكفيه ما يقدمونه له من الأموال ، ولا يقبل منهم ما فيه شبهة[6] . فهو بأعماله هذه يعد مثالا نادرا ، للعالم المدرس المجد المسؤول ،و المحب لطلبته ومهنته ،و المضحي بوقته و ماله خدمة للعلم .

---

[1] انظر المطلب السادس من هذا المبحث .

[2] ابن الشحنة: تاريخ حلب ، حققه كيكو سبتمبر ا ، طوكيو معهد الدراسات الثقافية و اللغوية لأسيا و افريقيا ، 1990 ،ص :118 .و محمد كرد علي : خطط الشام ج 6 ص :115 .

[3] انظر الباقي في الجدول رقم 13 ، و الرسم البياني رقم : 13 .

[4] يتمثل في وقفية المدرسة التي يكتبها واقفها .

[5] الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 21 ص :43 .و تذكرة الحفاظ ج 4 ص :1326 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 324 327 .و السيوطي : بغية الوعاة ج 1 ص :495 .و الدودي : المصدر السابق ج 1 ص :134 .و محمد بن عبد الهادي: المصدر السابق ج 4 ص : 103 .

[6] الذهبي : تذكرة الحفاظ ج 4 ص : 1325 1326 .و ابن رجب : نفس المصدر ج 1 ص :326 ط ق .

جدول مقارن لمجموع مدارس الحنابلة الخاصة بالمشرق الإسلامي[1]

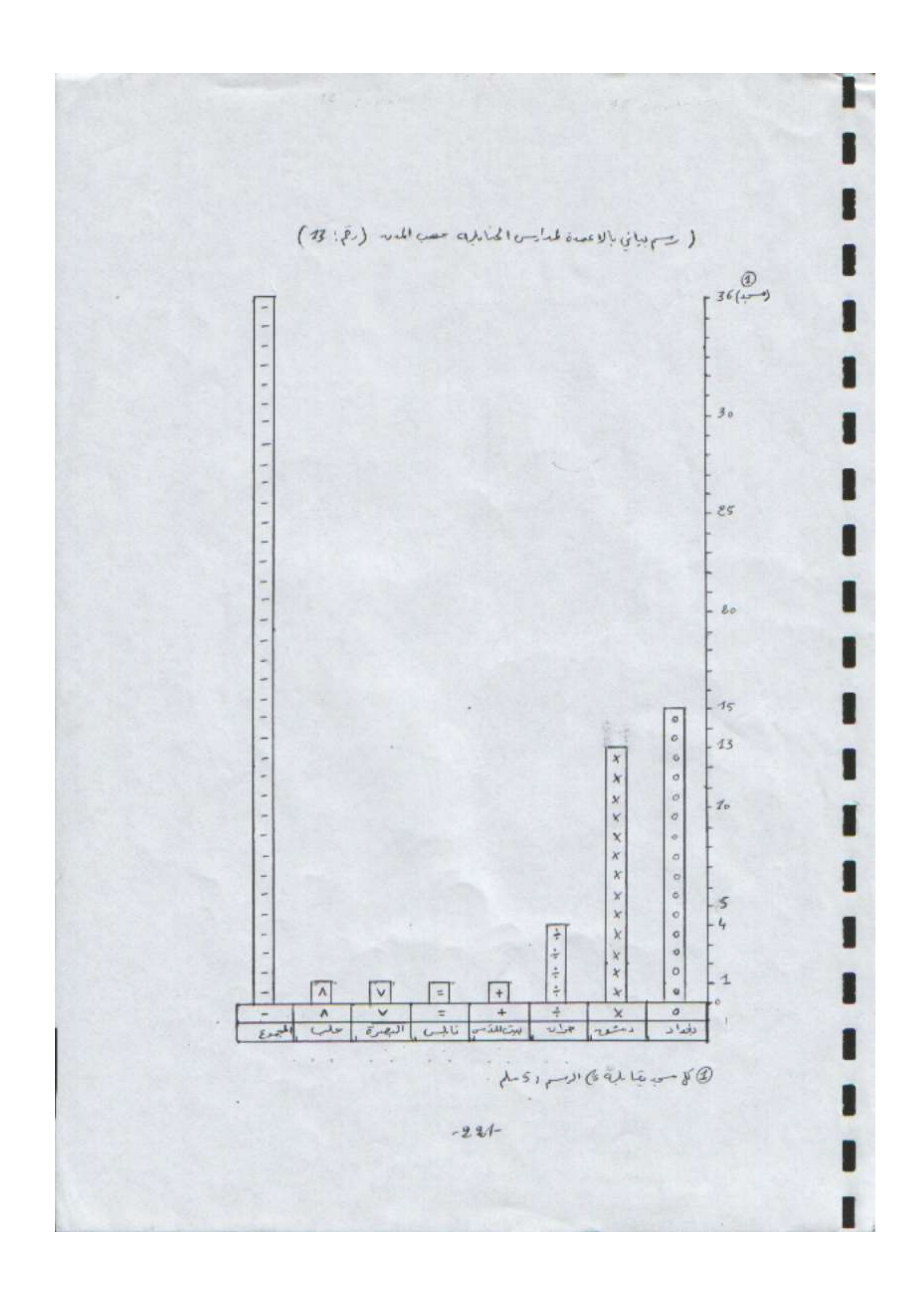
(ق: 6-7هـ/12-13م)

الرمز	البلد	العدد	النسبة المئوية
0	بغداد	15[2]	41,666
×	دمشق	13	36,111
÷	حرّان	04	11,111
+	بيت المقدس	01	02,777
=	نابلس	01	=
v	البصرة	01	=
*	حلب	01	=
المجموع	07	36	نحو :100 0/0

(الجدول رقم :13)

[1] المصادر سبق ذكرها في المتن .

[2] أضيفت إليها مدرسة بني العطار التي ذكرها الباحث عماد عبد السلام .


(رسم بياني بالاعمدة لمدارس الحنابلة حسب المدن (رقم: 13)
(مسجد) ①
36
30
25
20
15
13
10
5
4
1
0
بغداد
دمشق
حران
بيت المقدس
نابلس
البصرة
حلب
المجموع
① كل مسجد يقابله في الرسم 5 ملم
-221-

و الثاني المحدث الفقيه أبو القاسم عبد الله بن القاضي أبي الفرج الفراء البغدادي(ت578 هـ/ 1182م) جعل بيته مجمعا للعلماء ، يدرسون فيه الفقه والحديث في حضور المشايخ و العوام ،مع الإنفاق عليهم بسخاء نفس و سعة صدر ، حتى أفلس و غابه الدين ؛ فأوقف نشاطه العلمي و اختفى في بيته بعدما باع معظم كتبه و متاعه[1] . فأوصله كرمه و حبه للعلم إلى نفاد ثروته ، فلا هو تصرف فيه بحكمة ، ولا وجد من يساعده لإنفاذه من أزمته و الحفاظ على نشاطه العلمي،و لا وقف الناس بجانبه على غرار أبي العلاء العطار الذي وجد الدعم المالي من مجتمعه .

و الثالث هو الفقيه أبو اسحق إبراهيم بن الصقال البغدادي_(ت599 هـ/1202م) فتح داره للفقهاء و غيرهم من المشتغلين بالعلم ، مع التواضع و العفة و حسن السيرة[2] .كما أنه عمر لنفسه مدرسة في بغداد[3] ، لكنني لا أدري أهي داره التي كان يجتمع فيها العلماء حولها إلى مدرسة ، أم هي مستقلة عنها ؟ . و أخرهم المتكلم الفخر إسماعيل غلام بن المني البغدادي(ت610 هـ/1213م) ، اتخذ بيته مقرا لنشاطه العلمي ، فعقد فيه حلقات علم كثيرة في حضرة الفقهاء[4] .

و للحنابلة في صالحية دمشق دار كبيرة تعرف بدير الحنابلة[5]،فيه مدرسة بيتية للنساء .و من مدرساتها اللواتي أقران فيها القرآن الكريم : المقرئة المحدثة أمنة بنت الشيخ أبي عمر المقدسية)ت631 هـ/1233م)،و أختها المقرئة حبيبة(ت6734 هـ/1275م)[6] . وأشير هنا إلى أنني لم أعثر للحنابلة على أية مدرسة بيتية أخرى لتعليم النساء في كل مناطق انتشارهم بالمشرق الإسلامي . كما أنهم–رغم كثرة مدارسهم – فإنهم لم يخصصوا لنسائهم و بناتهم أية مدرسة من مجموع مدارسهم المقدرة بست وثلاثين مدرسة، بنوها كلها للرجال فقط[7] .و الغريب في الأمر أن كثيرا

---

[1] الذهبي: المختصر المحتاج إليه ص :228 .و ابن النجار : المصدر السابق ج 17 ص :63 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :352 ط ق .

[2] الصفدي : المصدر السابق ج 6 ص :137 .

[3] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :51 .

[4] الصفدي : المصدر السابق ج 9 ص :158 .و ابن رجب : ج 2 ص : 66 67 .و ابن الفوطي : المصدر السابق ق 3 ج 4 ص :115 .

[5] هو دار واسعة يضم عدة حجرات ، بناه الشيخ أبو عمر المقدسي ، قبل سنة 558 هـ/1161م ، ثم توسع تدريجيا ، وقد سماه ابن كثير رباط الحنابلة . ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 51 .و ابن كثير : المصدر السابق ج 18 ص : 8 .

[6] الذهبي: تاريخ الإسلام ج :631-640 م/ص :56 .و الصفدي : المصدر السابق ج 11 ص :304 .

[7] و هذا يصدق على كل الطوائف السنية ، إذ لم أعثر لهم على مدارس خصصوها للنساء.و قد أشار الباحث رشاد الإمام إلى وجود مدرسة للبنات بمدينة القدس في القرن الخامس الهجري/12م . المرجع السابق ص :180 .و يبدو أنها كانت مكتبا لتعليم البنات و ليست مدرسة عليا كالمدارس المشهورة المخصصة للرجال ، لأنه لا يعرف للنساء مدرسة من هذا النوع .

من النساء في بغداد و دمشق وقفن المدارس على الرجال ،ولم يوقفن–ولا واحدة منها– على بنات جنسهن .

و أشير في هذا المقام إلى أنه وجدت في المشرق الإسلامي مدارس لتعليم الصبيان عرفت بمكاتب الأطفال، يتلقون فيها مبادئ الأخلاق و القراءة ،و الخط والحساب ،و يحفظون فيها شيئا من القرآن الكريم[1] . و هي بمثابة المدارس الابتدائية في وقتنا الحاضر . منها مكتب المؤدب إسماعيل بن الخباز الدمشقي (ت 703 هـ/1303م)، بباب توما بمدينة دمشق ، تفرغ فيه لتأديب الأطفال سنوات طويلة ، و شهد له بالكفاءة المهنية أزيد من ألف شخص ،و وقعوا على ذلك بخطوطهم[2] .و لم أعثر على مكاتب أخرى للحنابلة رغم كثرة انتشارها في المدن[3] . و هي و المدارس البيتية كانت تفتقد إلى معظم المرافق التي تتمتع بها المدارس العليا الخاصة و المشتركة بين الطوائف السنية .

خامسا :المدارس المشتركة بين الحنابلة و الطوائف السنية الأخرى

تعد المدرسة المستنصرية في بغداد أول مدرسة وقفت على المذاهب السنية الأربعة في العالم الإسلامي ،و جمعت بينها في بناية واحدة[4] .و ذهب الباحث ناجي معروف إلى القول بأن الخليفة العباسي المستنصر بالله (623-640 هـ/1226/1242م) هو أول من ابتكر فكرة المدارس على المذاهب الأربعة[5] . وهذا لا أوافقه علية ، لأن صاحب حلب بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار أرتق جدد مدرسة بني العجمي في حي الزجاجين بمدينة حلب في سنة 516 هـ/1122م ، وعزم على أن يوقفها على الفرق الأربع[6] . و لا أدري انفذ فكرته أم لا ، كما أنه عندما بنى السلطان نور الدين محمود (ت569 هـ/1273م) المدرسة النورية في بعلبك نص في كتاب وقفها أنها موقوفة على

[1] ابن الدبيثي : المصدر السابق ج 1 ص :122 277 .و تاج الدين السبكي : معيد النعم و مبيد النقم ص : 130 .

[2] الصفدي: المصدر السابق ج 9 ص :65 .و ابن حجر : المصدر السابق ج 1 ص : 363 .

[3] انظر : ابن الدبيثي : المصدر السابق ج 1 ص :122 277 .و تاج الدين السبكي : المصدر السابق ص :130 .و الصفدي : المصدر السابق ج 9 ص :65 .و ابن حجر : المصدر السابق ج 1 ص :363 . و يوسف بن عبد الهادي: المصدر السابق ص :62.

[4] احمد فكري: المرجع السابق ج 2 ص : 115 120 .و ناجي معروف : المرجع السابق ج 1 ص :28 .و عبد العزيز محمد الحسني: الحياة العلمية في الدولة الإسلامية الكويت وكالة المطبوعات د ت ، ص : 63 .

[5] ناجي معروف : المرجع السابق ج 1 ص :28 .

[6] ابن العديم: زبدة الحلب من تاريخ حلب حققه سامي الدهان ، دمشق المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ، 1954 ،ج 2 ، ص : 574 .

الشافعية بمشاركة الحنفية والحنابلة و المالكية لهم فيها[1] . فهذان الخبران يثبتان أن ما قاله الباحث ناجي معروف ليس بصحيح ،و أن فكرة المدارس المشتركة بين المذاهب الأربعة ، ليست من ابتكار الخليفة المستنصر بالله ، فقد سبق إليها منذ أكثر من مائة سنة ، وإذا كان بدر الدولة قد نفذ ما عزم عليه فإنه يكون قد سبقه فكرة و تطبيقا .

و للحنابلة في المشرق الإسلامي-في القرنين/6-7 هـ/12-13م- مدارس ثنائية و رباعية مشتركة بينهم و بين الطوائف السنية الأخرى ، في بعلبك ،و بغداد، و القاهرة،و دمشق ،و المدينة المنورة ، ففيما يخص بعلبك ،فقد روي أنه في سنة 664 هـ/ 1265م ظهر كتاب وقف المدرسة النورية ببعلبك ، وفيه أنه يحق للحنفية و الحنابلة و المالكية أن يشاركوا الشافعية فيها[2] ؛ وكان بنو عصرون[3] الشافعيون المشرفون على المدرسة و أوقافها هم الذين أخفوه منذ تأسيسها ، فلما شاع أمره جددت كتابته و أخذت منه نسخة كتبت عليها فتاوى العلماء ،و مراسيم نواب السلطنة ، فالتحق بالمدرسة من أراد الاشتغال بالعلم ، من الحنابلة و الحنفية و المالكية[4] .

فكيف استطاع بنو عصرون إخفاء وقفية المدرسة قرابة قرن من الزمن[5] ؟ وألم تفتح المدرسة في حياة مؤسسها ،و يقرأ على الناس كتاب وقفها ؟ ،و ألم يسمع نور الدين محمود أن مدرسته ليست مفتوحة لكل السنيين ؟ إنه يبدو أنها فتحت في غياب واقفها قريب من وفاته ، أو بعد موته ، مما مكن القائمين عليها من إخفاء ما يريدون من شروط وقفها . و يلاحظ عليها أنها أسندت للشافعية أولا ، ثم أشرك معهم فيها باقي السنيين ثانيا .و أنه لم يطبق فيها التعدد إلا بعد نحو مائة عام من إنشائها ، بخلاف المدرسة المستنصرية التي وقفت على المذاهب الأربعة بالتساوي دون تمييز من يوم افتتاحها في سنة 631هـ/1233م .

وأما في مدينة بغداد فللحنابلة فيها ثلاث مدارس مشتركة مع الشافعية و الحنفية و المالكية ،و هي : المستنصرية ،و البشيرية ،و العصمتية ؛ فالأولى بناها الخليفة العباسي المستنصر بالله (ت623-640 هـ/1226-1242م) ،على شاطئ نهر دجلة بالجانب الشرقي من بغداد ، مما يلي دار

---

[1] اليونيني : المصدر السابق ج 2 ص :337 .

[2] انفرد قطب الدين اليونيني بهذا الخبر عن غيره من المؤرخين الذين اطلعت على مصنفاتهم ، و هو شاهد عيان فيما يريه ،و من أبناء بعلبك.

[3] هم أولاد قاضي القضاة شرف الدين بن أبي عصرون الشافعي(ت585 هـ/1189م) . النعيمي : المصدر السابق ج 1 ص : 399 .

[4] اليونيني : المصدر السابق ج 2 ص :337 .

[5] من وفاة مؤسسها (سنة569 هـ/1173 م) إلى اكتشاف كتاب وقفها في سنة664 هـ/1265 م .

الخلافة ، و وقفها على المذاهب الأربعة [1] ؛و فتحها في حفل بهيج حضره هو شخصيا مع رجال دولته ،و أعيان البلد و فقهائه[2] .

و للمستنصرية شكل مستطيل(انظر الشكل رقم: 26)، و مساحة قدرت بنحو 4836 متر مربع ،و في وسطها صحن-فناء- واسع مكشوف محاط بمرافق السكن والدراسة(انظر الصورة رقم: 5) ودوره إدخال الهواء و الضوء إلى كافة أقسام البناية ، مع استخدامه للصلاة أيام الجمع و الأعياد[3] .و لها كذلك أربعة أواوين و احد لكل طائفة ،و في كل منها مسجد و مكان لجلوس المدرس[4].و على بابها الرئيسي ساعة رائعة متقنة الصنع[5] .

وهي مقسمة إلى أربعة أرباع حسب المذاهب الأربعة (انظر الشكل رقم:) للحنابلة الربع الغربي ،و للشافعية الربع الجنوبي ،و للحنفية الربع الجنوبي الشرقي ،و للمالكية الربع الشمالي الشرقي ، على يسار الداخل من الباب الرئيسي للمستنصرية[6] .و فيها مرافق متنوعة في خدمة الطلبة ، منها : الحمام ،و المطبخ ،و المستشفى ،و مزولة للماء البارد ،و مخزن للأطعمة ،و أخر للأشربة و الأدوية . وفيها كذلك ، مكتبة ،و دارحديث ،و دار قران. و لطلبتها في غرفهم الحصير ،و البسط ،و الزيت ،و الورق،و الحبر[7] .و لهم فيها كذلك مشاهرات نقدية و جرايات عينية يومية ، فلكل منهم دينار في الشهر[8]،مع كفايته التامة من الخبز و اللحم ، والطبيخ و الحلوى ، و الفاكهة في كل يوم[9] .

---

[1] الذهبي :سير أعلام النبلاء ج 23 ص : 156 159 .و ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ص :33 .و الإربلي : خلاصة الذهب المسبوك ، حققه مكي السيد جاسم ، بغداد ، مكتبة المثنى د ت ، ص :287 .و المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : الآثار الإسلامية في الوطن العربي ، تونس 1985 ،ص :62 63 . وابن العبري : تاريخ الزمان ص :271 .

[2] ابن الفوطي : نفس المصدر ص : 33 .و ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص :139 140 .

[3] أمد فكري : المرجع السابق ص 115 120 .و المنظمة العربية للتربية : المرجع السابق ص :63 64 .و عبد العزيز الحسني : الحياة العلمية في الدولة الإسلامية ص :63 .و سليمان الكروي: المرجع في الضارة اللإسلامية مصر مركز الإسكندرية للكتاب 1997 ص : 476 .

[4] ابن بطوطة : المصدر السابق ج 1 ص :236 .

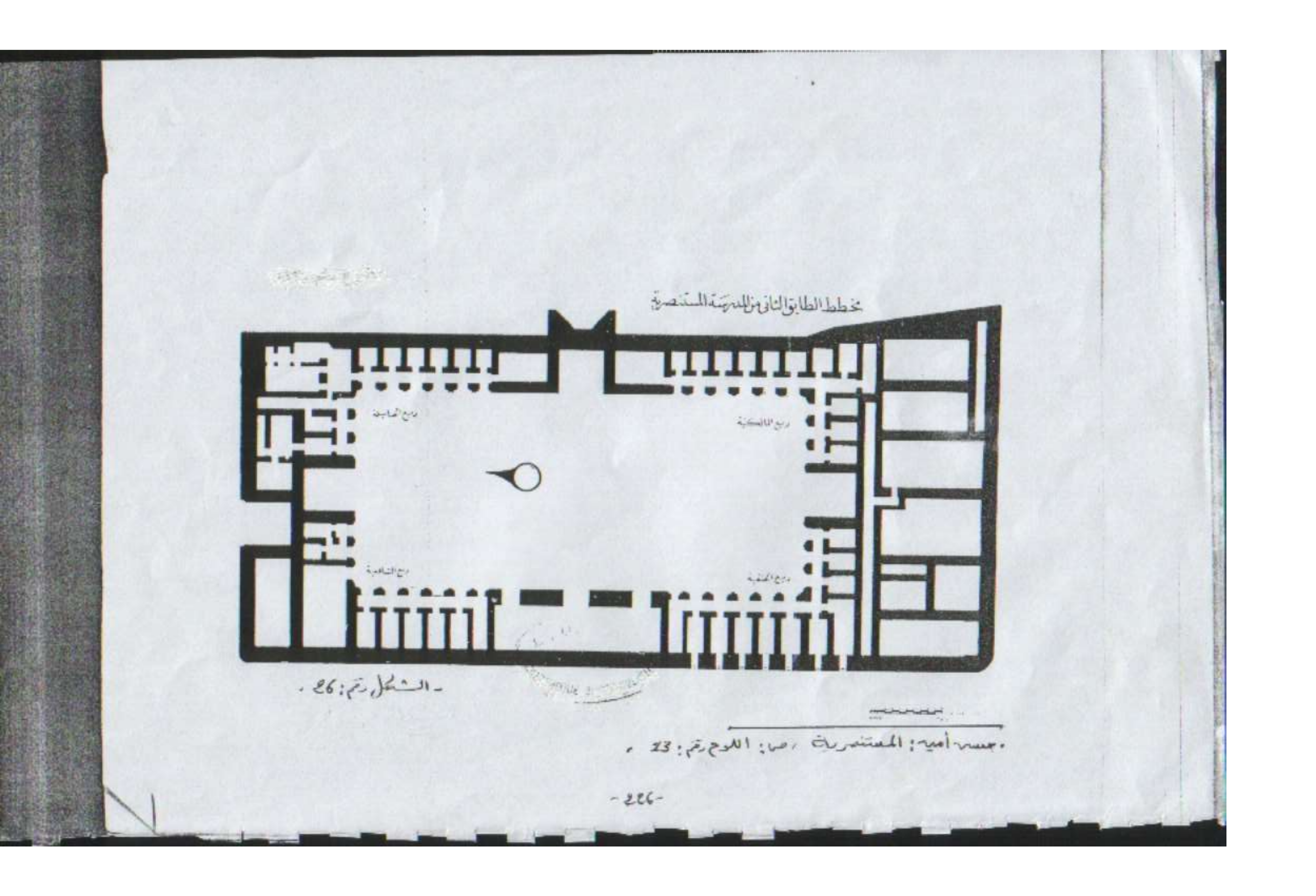
[5] الإربلي : المصدر السابق ج 1 ص : 287 .و القزويني : أثار البلاد و أخبار العباد ، بيروت دار صادر 1969 ص : 316 .

[6] ناجي معروف : المرجع السابق ج1 ص : 109 110 .

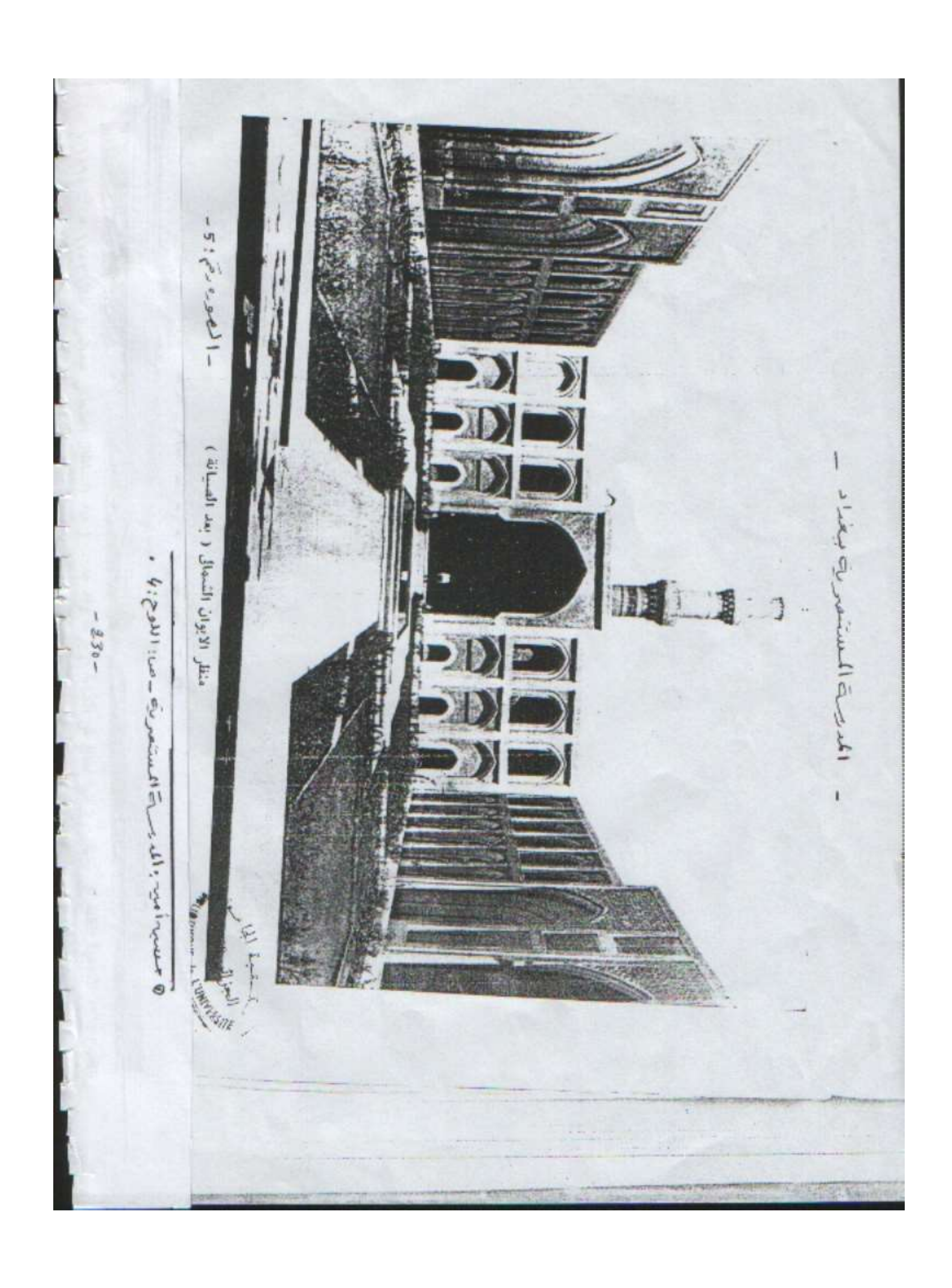
[7] الإربلي : نفس المصدر ص : 287 .

[8] و للمعيد ثلاثة دنانير في الشهر .وأما المدرس فلم أعثر على مقدار أجره الشهري .و كان الدينار العراقي يساوي 12 درهما بوجه عام في القرن السابع الهجري/13م ،و قد ينزل إلى عشرة دراهم . ناجي معروف: المرجع السابق ج 1 ص : 58 و ما بعدها و 229 .

[9] الإربلي : المصدر السابق ص :286 و ما بعدها .و ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص : 139 140 .و الذهبي : المصدر السابق ج:631-640 هـ/ص :6 .و السيوطي : تاريخ الخلفاء ص :369 .و وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ج 5 ص : 209 .و ناجي معروف: المرجع السابق ج 1 ص : 31 .و عبد العزيز الحسني: المرجع السابق ص : 64 .و ومحمد راغب الطباخ : المدرسة المستنصرية ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق السنة الرابعة ، مج 4 ،1924 ،ص: 41 .


مخطط الطابق الثاني من المدرسة المستنصرية
ربع الحنابلة
ربع المالكية
ربع الشافعية
ربع الحنفية
حسين أمين: المستنصرية، ص: اللوح رقم: 23 .
-226-

- الشكل رقم: 26 .



و للمدرسة المستنصرية أوقاف كثيرة ، من ضيعات ، و عقارات ، وأملاك متنوعة ، و قد كتبت وقفيتها في خمس صفحات ذكر بعضها المؤرخ شمس الدين الذهبي ، و قدر ما أوقف عليها بمليون

دينار[1].و هي أعظم أوقافا من المدرسة المنصورة بالقاهرة [2]،و الجامع الأموي بدمشق ، لكن دخلها السنوي انخفض كثيرا في النصف الأول من القرن الثامن الهجري/14 ، إذ اصبح أقل من عشر ما يدخل الجامع الأموي من أوقافه[3] .

وتعد المستنصرية –في أساسها– مدرسة فقه على المذاهب الأربعة ، لكنها أصبحت تمثل فيما بعد كلية متعددة الأقسام و التخصصات ، فيها دراسة الفقه و ، والقرآن الكريم ، والحديث النبوي ،و الأصول ،و الحساب و المساحات ،و الطب و منافع الحيوان ،و تقويم البلدان[4] . وفيها أربعة مدرسين للفقه ، واحد من كل مذهب ، ولكل منهم أربع معيدين[5] ، و فيها كذلك شيوخ أخرين ، للحديث ، والقرآن ،و الطب ،و النحو ،و الفرائض .و عدد طلابها في قسم الفقه اثنين و ستين طالبا من كل مذهب[6]،و مجموعهم مائتين و ثمانية وأربعين طالبا[7] .

و من أشهر مدرسيها الحنابلة خمسة ، أولهم محي الدين يوسف بن عبد الرحمن بن الجوزي(ت 656 هـ/1258م) ، كان غائبا يوم افتتاحها[8] ، فناب عنه ابنه عبد الرحمن[9] .و الثاني عفيف الدين يوسف بن القصاب البغدادي(ت 656هـ/ 1258م) .و الثالث المفسر جلال الدين عبد الجبار بن

---

[1] الذهبي : تاريخ الإسلام ج: 631-640 هـ/ص : 7 و ما بعدها .و سير أعلام النبلاء ج 23 ص :163 .

[2] سيأتي ذكرها قريبا .

[3] الذهبي : نفس المصدر ج: 631-640 هـ/ ص :456 .

[4] الإربلي : المصدر السابق ص :287 .و ناجي معروف : المرجع السابق ج 1 ص : 27 28 .و حسين أمين : المدرسة المستنصرية ، بغداد ،مطبعة شفيق ،1960 ص : 50 53 55 .و Henri Laoust Les schismes dans L islam P 225

[5] عندما زار ابن بطوطة بغداد في سنة 726 هـ/1325 م ،و جد في المستنصرية أن لكل مدرس فقه معيدان ، واحد على يمينه و الأخر على يساره . المصدر السابق ج1 ص :236 .

[6] ذلك هو العدد المشهور لكن ابن العبري ذكر أن عددهم 75 طالبا من كل مذهب ، فيصل مجموعهم إلى 300طالب . ابن العبري: تاريخ الزمان ص :271 .و مختصر الدول ص :243 . و أما السيوطي فذكر أن مجموعهم 148 طالبا ، فيكون لكل طائفة 37 طالبا . السيوطي: المصدر السابق ص :369 . و واضح أن هذا سهو منه ، أو من الناسخ ، أو هو خطأ مطبعي ،فبدلا من كتابة 248 ، كتب 148 .

[7] الإربلي: المصدر السابق ص : 287 .و الذهبي : تاريخ الإسلام ج : 631 –640 هـ/ص :6 7 .و سير أعلام النبلاء ج 23 ص :163 .و ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ص :34 35 .و ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص :139 .و ناجي معروف : المرجع السابق ج 1 ص :229 .و محمد راغب الطباخ: المرجع السابق السنة الربعة مج 4 1924 ص :41 .

[8] خرج في بعض الرسليات إلى الملوك . ابن كثير : المصدر السبق ج 13 ص :140 .

[9] نفسه ج 13 ص :140 .

عبد الخالق العكبري (ت681 هـ/ 1282م)،درس فيها بعد[1] تخريب المغول لمدينة بغداد[2] .و الرابع المقرئ نور الدين عبد الرحمن بن عمر البصري ثم البغدادي الضرير)ت684 هـ/ 1285م) .و أخرهم شرف الدين محمد بن كوشيار البغدادي(ت 700هـ/1300م)[3] .و قد بلغ مجموع مدرسي الحنابلة في المستنصرية خمسة عشرة مدرسا[4] من سنة 631هـ/ 1233م إلى 770 هـ/1368م ، و قد تسلسلت أخبارهم بشيء من الانتظام نحو 140 سنة ، ثم انقطعت أخبارهم نهائيا[5] رغم استمرار المدرسة في نشاطها العلمي نحو 399 عاما ، من سنة 631 هـ/ 1233م ، إلى 1030 هـ/1620م [6] .

ومن اشهر طلابها الحنابلة ثلاثة ، أولهم جلال الدين عبد الجبار بن عبد الخالق العكبري(ت681 هـ/1282م) ، رتب فيها طالبا قبل سنة656 هـ/ 1258م ، ثم عين بها مدرسا بعد اجتياح المغول لبغداد[7] .و الثاني عز الدين يوسف الموصلي المعروف بابن العجمي(ت بعد 683 هـ/1284م)[8] .و أخرهم نور الدين أبو طالب بن عمر البصري ثم البغدادي الضرير (ت684 هـ/1285م) التحق بها طالبا قبل سنة 648 هـ/1250م ، ثم عين فيها مدرسا في عام 681 هـ/1282م [9] .

و ما تزال كثير من المعالم الأثرية للمدرسة المستنصرية قائمة إلى وقتنا الحاضر ، شاهدة إلى تاريخها العريق ، و قد رممتها مديرية الأثار القديمة في العراق أحسن ترميم ، فأعادت لها بعض جمالها و فخامتها (انظر الصورة رقم: 5) ،و هي تتكون من طابقين : سفلي و علوي ، و في كل

[1] استعادت المدرسة المستنصرية نشاطها –بعد تخريب المغول لها- في سنة657هـ/1258م على ما ذكره المؤرخ ابن الفوطي في كتابه تلخيص مجمع الآداب ق 2 ج 4 ص :819 .و ليس في نحو سنة 659 هـ/1260م على ما ذهب إليه الباحث يعقوب سركيس ، في كتابه : مباحث عراقية ،بغداد دار شركة التجارة و الطباعة 1948 ج 1 ص :167 174 175 .

[2] ابن الفوطي: نفس المصدر ق 2 ج 4 ص :760 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :300-301 . و الداودي : المصدر السابق ج 1 ص :264 .

[3] ابن رجب : نفس المصدر ج 2 ص :314 .

[4] بناء على الإحصاء الذي قام به البحث ناجي معروف ، وذكر أنه لم يعثر من الحنفية إلا على 7 مدرسين من سنة 631هـ/1233م ،إلى نهاية القرن السابع الهجري ، ومن المالكية سبعة ،و من الشافعية أحد عشر. المرجع السابق ج 1 ص :117 193 203 .

[5] نفس المرجع ج 1 ص :143 .

[6] نفس المرجع ج 1 ص : 9 .

[7] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :300 . و الداودي : طبقات القراء ج 1 ص :264 .

[8] ابن الفوطي : المصدر السابق ج ق 1 ج 4 ص :112 .

[9] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :313 314 .

ربع منها رواق علوي لا يزال كله-تقريبا- في ربع الحنفية ، ونحو نصفه في ربعي الحنابلة و المالكية ، لكن أكثره قد زال في ربع الشافعية[1] .

و أما المدرسة المشتركة الثالثة فهي البشيرية ، التي تقع على شاطئ نهر دجلة بالجانب الغربي من مدينة بغداد ، أنشأتها السيدة باب بشير(ت652 هـ/1254م) زوجة الخليفة العباسي المستعصم بالله ،و وقفتها على المذاهب السنية الأربعة ، و فتحت-بعد وفاتها- في عام 653 هـ/1255م[2] .و هي ثاني مدرسة مشتركة بين كل السنيين في بغداد ، وليست الثانية في العالم الإسلامي على ما ذهب إليه الباحث عماد عبد السلام[3] ،لأن الثانية في العالم الإسلامي هي المدرسة الصالحية بالقاهرة التي اكتمل بناؤها في سنة 641 هـ/1243م[4] ،و ليست البشيرية التي فتحت في سنة 653 هـ/ 1255م .

و من مدرسيها الحنابلة -بعد واقعة بغداد[5]- الفقيه تقي الدين مظفر بن علي الجوسقي البغدادي (ت683 هـ/1284م)، و المقرئ أبو طالب نور الدين بن عمر البصري ثم البغدادي[6] ،و القاضي عماد الدين بن الكواز البصري ثم البغدادي(ت بعد687 هـ/ 1288م) درس في البشيرية ،ثم انتقل إلى التدريس في المستنصرية ، فخلفه في مكانه الفقيه شمس الدين الأصفهاني ، فلما رجع الفقيه شرف الدين الجيلي الحنبلي(ت699 هـ/1299م) من بلده والتحق بمنصبه في المستنصرية عاد ابن الكواز إلى البشيرية ، و رجع شمس الدين الأصفهاني إلى الإعادة في المستنصرية التي كان فيها قبل مجيئه إلى البشيرية[7] .

---

[1] ناجي معروف : المصدر السابق ج 1 ص :110 .و ابن الفوطي: المصدر السابق ق 1 ج4 ص : هامش ص :88 .

[2] ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ص :149 .و تلخيص مجمع الآداب ق 1 ج4 ص :562 ،و ق 2 ج4 ص :343 344 .و الصفدي : نكت الهميان ص :100 . و ناجي معروف : عالمات بغدديات ص :29 .

[3] عماد عبد السلام : المرجع السابق ص :205 .

[4] سيأتي ذكرها قريبا .

[5] بعد تخريب المغول لبغداد ، أعاد متولي العراق عماد الدين عمر بن صدر الدين القزويني(ت 660هـ/1267م) ، تعمير مساجدها و مدارسها و أربطتها و مشاهدها .و أجرى الجريات عاى العلماء و الصوفية .ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ق 2 ج 4 ص : 801 .و رغم هذه الأعمال فإن بعض الباحثين المعاصرين يبالغون جدا في تصوير سوء أحوال بغداد و العراق ، بعد انتهاء الغزو المغولي ، فمن ذلك قول الباحث جعفر الخياط ،من أنه خيم على العراق بعد الغزو التتري ظلام دامس و دخل في سبات عميق . جعفر الخياط : صورتان من تاريخ العراق في العصور المظلمة ، بيروت مطبعة دار الكتب 1971 ج 1 ص : 7 .

[6] الصفدي : المصدر السابق ص :189 .و ابن رجب : ج2 ص : 3111 313 314 .

[7] ابن الفوطي : المصدر السابق ق 2 ج 4 ص :760 .

و الثالثة هي المدرسة العصمتية ، وقفتها عصمت شاه لبنى بنت عبد الخالق الأيوبية على المذاهب الأربعة في سنة 671 هـ/1272م[1] .و درس فيها من الحنابلة الفقيه شرف الدين الجيلي (ت699 هـ/1299م) عند افتتاحها في عام 671 هـ/1272م .و الفقيه أبو محمد شرف الدين بن كوشيار البغدادي(699 هـ/1299م)[2] .و لم أعثر لها عن أخبار أخرى عن الحنابلة لأنها نادرة الذكر في التواريخ.

وأشير هنا إلى أنه وجدت في مدينة بغداد مدارس للحديث و القرآن الكريم ، كداري الحديث و القرآن في المستنصرية ،و داري القرآن و الحديث بمسجد قميرية[3]، و دار القرآن البشيرية[4] .و هي كلها موقوفة على أهل السنة ، وليست ذات صبغة مذهبية ، فهم مشتركون فيها كلهم قلبا و قالبا ، خلافا للمدارس المشتركة السابق ذكرها ، فهم مشتركون في بنايتها و مرافقها ، لكنهم منقسمون بداخلها إلى أربعة طوائف ، لكل منها قسمها ،و مذهبها ،و أساتذتها ،و طلابها ،و استقلاليتها ،و مقرراتها الدراسية . فهذه المدارس وإن هي خدمت العلم و المذاهب السنية من جهة ، فإنها جمعت الطوائف الأربعة و جسمت خلافهم و كرسته من جهة ثانية .

وأما في مدينة القاهرة ، فقد أنشئت فيها ثلاث مدارس مشتركة بين كل الطوائف السنسة في خلال القرن السابع الهجري/13م ، أولها المدرسة الصالحية[5] ،بناها الملك الصالح نجم الدين أيوب (ت 648 هـ/1250م) ،و وقفها على المذاهب الأربعة في سنة 641 هـ/1243م ،و هي متكونة من أربع مدارس في بناية واحدة ، لذا تسمى-أحيانا- المدارس الصالحية [6] ؛ فهي بذلك تشبه كلية تضم أربعة أقسام .و لها باب رئيسي واحد مشترك يوصل إلى بابين متقابلين على جانبي المدخل ،

---

[1] ابن الفوطي : نفس المصدر ق 1 ج 4 ص : 478 479 و ق 2 ج 4 ص :760 .و الحوادث الجامعة ص : 179 180 196 .و ناجي معروف : عالمات بغداديات ص :30 . و جواد مصطفى : في التراث العربي ج 1 ص :135 .

[2] ابن الفوطي: نفس المصدر ق 2 ج4 ص :760 .و نفسه ص :179 180 . وابن رجب المصدر السابق ج 2 ص :344 .

[3] يقع على نهر دجلة ، بناه الخليفة العباسي المستنصر بالله ، و قد أعيد تجديده في الوقت الحاضر . عبد الوهاب مرزوق : العراق بلد التراث و المقدسات الإسلامية ، بغدا وزارة الأوقاف ، د ت ص :44 .

[4] الاربلي : المصدر السابق ص : 288 . و ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص :159 .و الذهبي : تاريخ الإسلام ج 631-640 هـ/ ص :6 7 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :221 291 .و ناجي معروف : تاريخ علماء المستنصرية ج 1 ص :3-01 302 .و عالمات بغداديات ص : 29 .

[5] سبقتها المدرسة الكاملية في الظهور بمدينة القاهرة ، فقد بنيت في سنة 622هـ /1225م ، لكنها كانت دار حديث ثم حولت إلى الشافعية ولم تكن موقوفة على المذاهب الأربعة . المقريزي: المصدر السابق ج 2 ص :375 . و احمد فكري : المرجع السابق ج 2 ص :52 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :172 .

[66] المقريزي : الخطط ج 2 ص : 374 .و وابن رجب : ج 2 ص : 294 –295 . و السيوطي : حسن المحاضرة ج 2 ص :263 .و السخاوي الحنفي: تحفة الأحباب ص :80 .و احمد فكري: المرجع السابق ج 2 ص : 60 61 .و ناجي معروف : تاريخ علماء المستنصرية ج 1 ص : 38 .

أحـدهما يـؤدي إلـى المدرسـتين الشـافعية و المالكيـة ، و الثـاني يوصـل إلـى المدرسـتين الحنفيـة و الحنبليـة[1] .و مـا يـزال بعـض أطلالهـا قائمـا إلـى اليـوم ، كمـدخلها الرئيسـي(انظـر الصـورة رقـم: 6)و واجهتها الشمالية و مئذنتها(انظر الصورة رقم : 7) .و أما مرافقها فقد اندثرت، ماعدا قاعة مجاورة لقبة الملك الصالح نجم الدين أيوب[2] .

واشترط الملك الصالح نجم الدين أيوب فيمن يتولون التدريس في مدرسته ، أن يكونوا قضاة للقضاة من المذاهب السنية الأربعة[3] .و من مدرسيها الحنابلة ثلاثة قضاة ، أولهم شمس الدين بن العماد المقدسي الصالحي(ت676 هـ/1277م)،و هو أول من درس فيها للحنابلة[4] ،و هذا يعني أنه كان قاضيا عند افتتاحها في عام 641 هـ/1243م حسب شرط واقفها[5] .و الثاني شرف الدين عبد الغني بن يحي الحراني ثم المصري(ت709 هـ/1309م)،أوصله القضاء إلى التدريس في الصالحية و هو مزجى البضاعة في العلم[6]. و الثالث الفقيه عماد الدين احمد بن شمس الدين المقدسي ثم المصري(ت 712 هـ/1312م)[7] .

و الثانيـة المدرسـة المنصـورية ، موقعهـا عنـد مـدخل المستشـفى المنصـوري الكبيـر بجانـب القبـة المنصـورية، بناهـا السـلطان المملـوكي المنصـور سيف الـدين قـلاوون(ت689 هـ/1290م) فـي عـام 684هـ/1285م ،و وقفها على المذاهب السنية الأربعة،و جعل فيها دروسا في التفسير و الحديث و الطب ،و لهـا مـن الناحيـة العمرانيـة إيوان واحـد فقـط قبالـة المسـجد[8] . و لـم أتعـرف علـى علمـاء الحنابلة الذين درسوا فيها .

---

[1] احمد فكري : المرجع السابق ج 2 ص :62 72 .و كامل حيدر : العمارة العربية الإسلامية : نشوء المدارس الإسلامية ، بيروت دار الفكر اللبناني ، 1995 ، ص :114 .

[2] نفس المرجع ج 2 ص :55 60 61 .و نفس المرجع ص :115 .

[3] كيف يشترط ذلك و القضاء في مصر لم يتعدد إلا في سنة 663 هـ/1264م ، والمدرسة الصالحية لم تفتح إلا في سنة 641 هـ/1243م ؟ ربما كان في ذلك الوقت نواب من المذاهب الأربعة ، لكبير القضاة الشافعي ،و لم تكن لهم استقلالية مطلقة عنه إلا في سنة 663 هـ و ما بعدها .

[4] اليونيني: المصدر السابق ، ج 3 ص :280 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :294 295 .و المقريزي : المصدر السابق ج 2 ص : 374 .و الصفدي : المصدر السابق ج 2 ص : 10 .

[5] ثم عندما تعدد القضاء كان هو أول من تولى قضاء قضاة الحنابلة . ابن رجب : نفسه ج 2 ص :294 295 .

[6] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :358 .

[7] الذهبي : سير أعلام النبلاء ، الجزء المفقود ص :402 .

[8] السيوطي : المصدر السابق ج 2 ص :264 .و عبد اللطيف حمزة : المرجع السابق ص :164 .و احمد بدوي : الحياة العقلية ص : 51 . و ناجي معروف : تاريخ علماء المستنصرية ج 1 ص :39 .

جانب من واجهة المدارس الصالحية وبوابتها .

- الصورة رقم : 6 -

- جانب من واجهات المدارس الصالحية وبوابتها -

(1) احمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها ، ج : 2 ، ص : لوحة رقم : 29 .

- واجهات المدارس الصالحية بالقاهرة - القسم الشرقي -



واجهة المدارس الصالحة - القسم الشرقي.

(الصورة رقم: 7)

(1) أحمد فكري: المرجع السابق - ص: اللوحة رقم: 28.

و الثالثة مدرسة جامع ابن طولون ، حوله إلى مدرسة السلطان المملوكي حسام الدين أبو الفتح لاجين (ت 698هـ/1298 م) ، و وقفها على الطوائف السنية الأربعة ،و أجرى فيها الأرزاق الدارة على طلابها و مدرسيها، وعين فيها ثلاثين طالبا و فقيها من كل مذهب ، ومجموعهم 120 طالبا و أربعة فقهاء . إلى جانب ثلاثين طالبا لدراسة الحديث ،و عشرة للاشتغال بالطب[1] .و لم أعثر على أي نشاط علمي للحنابلة في هذه المدرسة .

وأما المدرسة الظاهرية ، فقد أنشأها السلطان المملوكي الظاهر بيبرس البندقداري (ت 676هـ/1277م)،في القاهرة سنة 662هـ/ 1264م ،و وقفها على الشافعية و الحنفية ،و جعل فيها درسا للحديث وأخر للقران الكريم[2] .و ليس بصحيح ما قاله المؤرخ ناجي معروف من أن هذه المدرسة كانت على المذاهب الأربعة ، لكل منها إيوان من أواوينها الأربعة[3] . لأن مؤسسها لم يجعل للحنابلة و المالكية نصيبا في مدرسته[4] .

و فيما يخص مدينة دمشق ، فلم تظهر فيها المدارس المشتركة بين المذاهب الأربعة خلال القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م ، و لعل أول مدرسة رباعية عرفتها دمشق هي المدرسة العمرية التي كانت حنبلية ، ثم حولت لتشمل السنيين كلهم في سنة847 هـ/1443م [5] . غير أنه يمكن اعتبار الجامع الأموي(انظر الصورة رقم: 8) مؤسسة تعليمية كبرى مشتركة بين السنيين ، يضم أربعة مقامات و محاريب للصلاة ،و ثماني مدارس منها ثلاث للحنفية ،و واحدة لكل من الحنابلة و المالكية ، و الباقي للشافعية كله للشافعية على ما يبدو[6] .و فيه كذلك دار للحديث ،و خزائن كتب ،و عشر حلقات للفقه ،و أخرى لتلقين القرآن الكريم التي قد يصل عدد طلابها إلى 420 نفرا [7].

---

[1] التجيبي : المصدر السابق ص : 7 .

[2] اليونيني : المصدر السابق ج 1 ص :550 551 .و ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص :242 .و السخاوي الحنفي: المصدر السابق ص :81 .

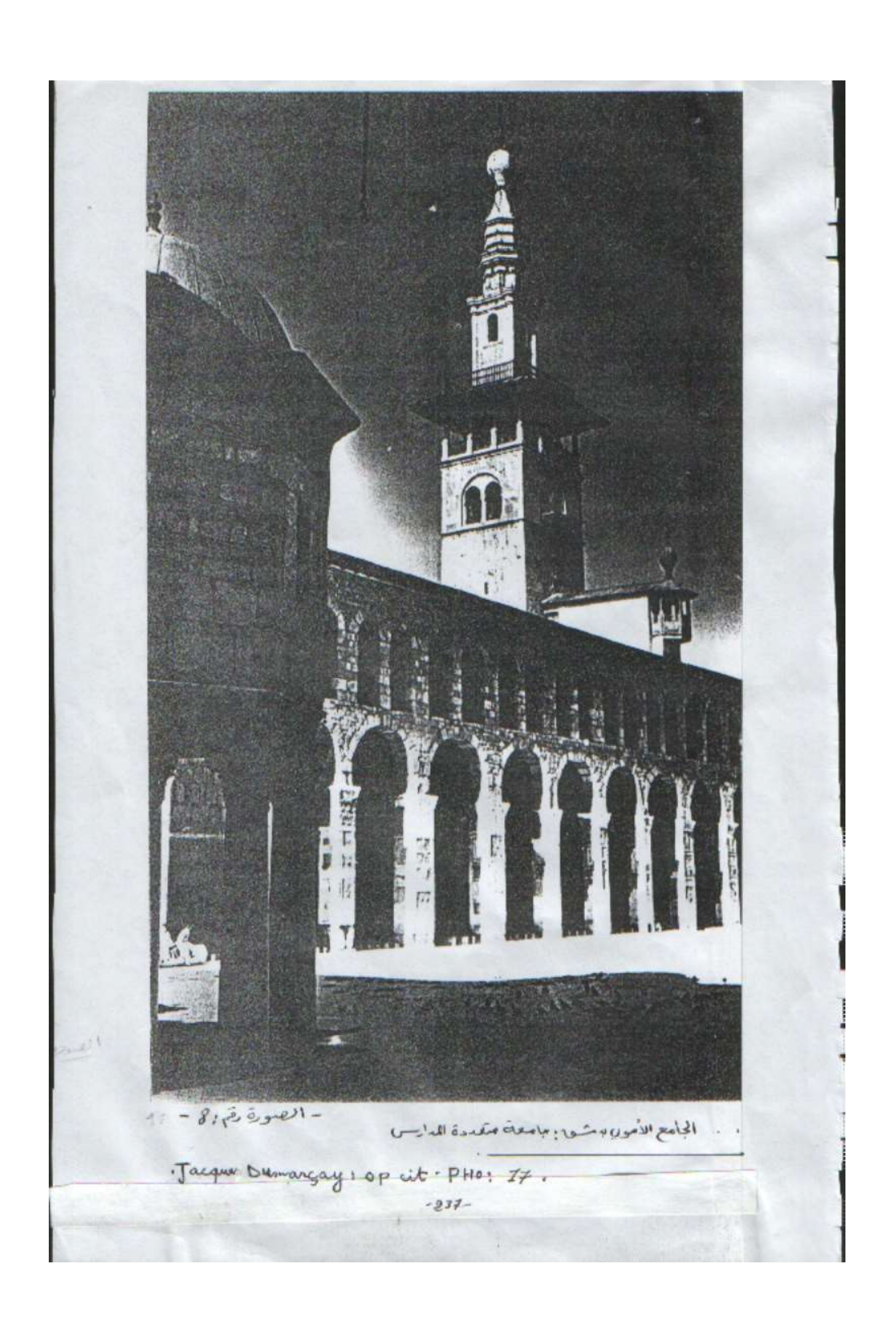
[3] ناجي معروف: المرجع السابق ج 1 ص : 38 .

[4] اليونيني : المصدر السابق ج 1ص :551 ج2 ص :230 .و ابن كثير : المصدر السابق 13 ص :242 .و المقريزي : السلوك في معرفة دول الملوك ، حققه محمد مصطفى زياد ، ط2 القاهرة ، لجنة التأليف و النشر ، 1956 ج1 ق 2 ص :503 .

[5] ابن طولون : المصدر السابق ج 1 ص :174 175 .

[6] النعيمي: المصدر السابق ج 2 ص : 412 .

[7] ابن ناصر الدين: المصدر السابق هامش ص :38 .و النعيمي : نفس المصدر ج 1 :82 ،و ج 2 ص : 120 411 412 . و ابن جبير : المصدر السابق ص :244 .



- الصورة رقم: 8 -

الجامع الأموي بدمشق: جامعة متعددة المدارس

.Jacque Dumarçay: op cit. PHO: 17.

-237-

و كانت للجامع الأموي أوقاف كثيرة تدر عليه أموالا طائلة ، يصرف منها على نشاطه العلمي ، فمن ذلك أنه كان لطلابه ومدرسيه جرايات يومية كافية[1].و وجدت فيه- زمن المؤرخ ابن شداد (ت 684 هـ/1285م)- مائة وعشرون حلقة لقراءة القرآن الكريم وتعليمه ، ولكل طالب من روادها راتب يأخذه من ديوان الجامع [2] .

و للحنابلة فيه نشاطات علمية متنوعة ، منها مجلس حديث للحافظ عبد الغني المقدسي(ت 600هـ/ 1203م) ،و حلقتان للفقه واحدة لشرف الدين بن احمد المقدسي(ت694 هـ/1294م) ،و الثانية لزين الدين بن المنجا (ت695 هـ/1295م) ،و حلقة لتدريس اللغة العربية للنحوي مجد الدين بن علي الاربلي ثم الدمشقي (ت657 هـ/1258م)[3] .و لهم فيه كذلك مجلس لتلقين الكبار و الصغار القرآن الكريم ، يعرف بسبع الحنابلة ،و يصرف عليه من الوقف العام ،و قد يصل عدد رواده إلى 400قارئ[4] . فيتبن من ذلك أن الجامع الأموي قريب الشبه بالمدرستين المستنصرية و الصالحية ، من حيث أنه جمع المذاهب الأربعة في بناية واحدة مع تعدد مدارسها ، لكنه يختلف عنهما في أن مهمته الأساسية هي الصلاة أولا، لأنه مسجد بالدرجة الأولى ، أما هما فوظيفتهما الرئيسية التعليم أولا، لأنهما مدرستان .و هو أكثر نشاطا و تنوعا منهما ،كأنه جامعة متعددة المذاهب ،والمدارس، و التخصصات العلمية ، و كثيرة الأوقاف و الجرايات .

وأما المدارس الثنائية[5] بين الحنابلة وغيرهم من أهل السنة ، فلم أعثر لهم منها إلا على ثلاث مدارس فقط ؛ الأولى في المدينة المنورة ، بينهم و بين الشافعية تعرف بالشهابية ، بنيت في النصف الثاني من القرن السابع الهجري/13م .درس فيها للحنابلة الفقيه عفيف الدين عبد السلام بن مزروع البصري ثم المديني(ت 696هـ/1296م)[6] .و الثانية و الثالثة هما بين الحنابلة و المالكية بمدينة

---

[1] ابن شداد : المصدر السابق ص : 83-84 .و ابن جبير : نفسه ص : 244 .و النعيمي: نفس المصدر ج 1 ص :333 .

[2] ابن شداد : نفس المصدر ص : 85 .

[3] الذهبي: تذكرة الحفاظ ج 4 ص : 375 .و ابن شداد : المصدر السابق ص :83-84 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :333 .و النعيمي: المصدر السابق ج 2 ص :411 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :288 .

[4] النعيمي : نفسه ج 2ص : 410 411 .

[5] لم أعثر على أية مدرسة ثلاثية بين السنيين في القرنين/6-7هـ/12-13م . وفي القرن التاسع الهجري ظهرت مدرسة ثلاثية بدمشق بين الحنابلة و الحنفية و المالكية . ناجي معروف : تاريخ علماء المستنصرية ج 1 ص :35 .

[6] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :335 .و ناجي معروف : نفسه ج 1 ص : 35 280 282 .

حلب ، الأولى وقفها عليهما السلطان نور الدين محمود (ت569 هـ/1170م) ، والثانية بناها لهما الأمير سيف الدين بن حيدرة (ت 617 هـ/ 1220م)[1] .

و لم أعثر للحنابلة على أية مدرسة ثنائية بينهم و بين الحنفية ، في حين وجدت مدارس ثنائية كثيرة بين الطوائف السنية الأخرى -دون الحنابلة- ،فمن ذلك أنه كان للشافعية و الحنفية أزيد من واحد و عشرين مدرسة ثنائية في مدن المشرق الإسلامي، كالعادلية الكبرى و القطبية اليوسفية[2] . و كانت للشافعية و المالكية أكثر من سبع مدارس ثنائية ، بمصر و القاهرة وحلب ، و غيرها من المدن[3]. ولم أعثر للحنفية و المالكية إلا على مدرسة مشتركة واحدة فقط ، بناها لهم الأمير سيف الدين منكوتمر بالقاهرة في سنة 698هـ/1298م[4] . و يبدو أن السبب الرئيسي في قلة المدارس الثنائية بين الحنابلة و الطوائف السنية الأخرى ، هو الخلاف المذهبي في مسائل الصفات و غيرها من قضايا أصول الدين ، لأن الحنابلة في هذه المسائل غالبيتهم على مذهب أهل الحديث ،و والآخرون معظمهم على المذهب الأشعري ، فكان ذلك سببا في تباعد الطرفين و تنازعهم[5] .

و يتبين مما ذكرناه عن المدارس المشتركة بين السنيين ،أنه كانت للحنابلة ثماني مدارس رباعية مشتركة، بينهم وبين الطوائف السنية الأخرى (انظر الجدول رقم: 14 ص:)؛ أنشئ معظمها في القرن السابع الهجري/13م ؛ منها ثلاث في كل من بغداد و القاهرة ، و واحدة في دمشق، و أخرى في بعلبك .و أن مدارسهم الثنائية قليلة لا يعرف منها إلا ثلاث فقط، كما هو مبين في الجدول و الرسم البياني .كما أن كل مدارسهم المشتركة أسسها غيرهم من الخلفاء و السلاطين و الأمراء ؛ ولم يشارك علماؤهم في إنشائها ، فغيرهم بناها و هم درسوا فيها خدمة لمذهبهم .

---

[1] ابن الشحنة : المصدر السابق ص :118 .و محمد كرد علي : خطط الشام ج 6 ص :107 .

[2] ابن كثير : المصدر السابق ج 12ص :311 ج 13 ص :242 .و طبقات فقهاء الشافعيين ج 2 ص :623 .و المقريزي : الخطط ج 2 ص :361 369 .و اليونيني: المصدر السابق ج 3 ص: 236 :249 . و النعيمي : المصدر السابق ج 1 ص :152 236 373 374 496 543 604 .و ابن الأثير : المصدر السابق ج 9 ص :23 .و ابن خلكان : المصدر السابق ج 4 ص : 375 .و سبط بن الجوزي : المصدر السابق ج 8 ص :204 .و ابن واصل : مفرج الكروب ج 3 ص :22 .و وابن الشحنة ص :106 107 108 .و ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية في السيرة النورية ص:131 .و محمد كرد علي: المرجع السابق ج 6 ص:105 107 .و احمد فكري:المرجع السابق ج2 ص:112 . ناجي معروف المرجع السابق ج 1 ص :33 34 . و ابن بدران الدمشقي: المرجع السابق ص :119 .

[3] المنذري : المصدر السابق ج 1 هامش ص : 385 .و ابن كثير: المصدر السابق ج 13 ص :24 .و ابن الشحنة : المصدر السابق ص : 109 .و ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية ج 1 ص :30 .و ابن دقمان : المصدر السابق ج 1 ص:97 98 100 .و ناجي معروف : المصدر السابق ج 1 ص :34 .

[4] ناجي معروف : نفسه ج 1 ص:34 .

[5] عن ذلك الخلاف انظر الفصل الثالث .

جدول لمدارس الحنابلة المشتركة مع غيرهم من السنيين[1]

(ق :6-7هـ/12-13م)

نوع المدرسة	المدرسة	المدينة	المؤسس	سنة البناء	المجموع
رباعية	المستنصرية	بغداد	الخليفة المستنصر ت640	631هـ/1265م	
=	البشيرية	=	السيدة باب بشير 652	653هـ/1255م	
=	العصمتية	=	عصمت شاه ت678هـ	671هـ/1272م	
=	الصالحية	القاهرة	الصالح نجم الدين 648هـ	641هـ/1243م	08
=	المنصورية	=	الملك المنصور ت689هـ	684هـ/1285م	
=	الطولونية	=	المنصور لاجين 698هـ	قبل696هـ/1296م	
=	الجامع الأموي	دمشق	الوليد بن ع الملك ت96هـ	بعد87هـ/705م	
=	النورية	بعلبك	نور الدين محمود 569هـ	-	
ثنائية	السيفية،حنبلية-مالكية	حلب	السيف بن حيدرة617هـ	في مطلع ق:7هـ/13م	
=	الزاوية-حنبلية-مالكية	=	نور الدين محمود569هـ	-	03
=	الشهابية،حنبلية-شافعية	المدينة المنورة	-	منتصف القرن7هـ/13م	

(الجدول رقم :14)

[1] المصادر سبق ذكرها في المتن .

سادسا: كبار المدرسين الحنابلة و جوانب من حياتهم العلمية

اشتهر من بين علماء الحنابلة-خلال القرنين6-7هـ/12-13م- مدرسون كثيرون تفرغوا للتدريس في البيوت، و المساجد، و المدارس ، فمنهم من أوقف نفسه للحديث النبوي ، ومنهم من تخصص في الفقه ،و منهم من تفرغ لإقراء القرآن الكريم ،و منهم من درس علوما أخرى . فبالنسبة للمحدثين فسأذكر منهم خمسة ،أولهم أبو البركات عبد الوهاب الأنماطي البغدادي(ت 538هـ/ 1143م) كان يجلس طول النهار لمن يطلب عنده العلم ، صبورا على الإقراء و سريع الدمعة، يبكي عندما يقرأ عليه طلابه الحديث النبوي[1] . و الثاني أبو محمد طغدي بن ختلع البغدادي ثم الدمشقي(ت 585هـ/1293م)،تمهر في معرفة صحيح البخاري و تدريسه ، عارف برجاله و غريب ألفاظه وشرح معانيه[2] .و الثالث الحافظ عبد الغني المقدسي(ت 600هـ/1203م)، تفرغ للعلم و العبادة ففي كل صباح يقرئ الحديث و ويلقن القرآن الكريم ؛و له حلقتان للحديث في الجامع الأموي كل أسبوع[3] .و الرابع المسند الفخر علي بن احمد المقدسي المعروف بابن البخاري (ت690 هـ/1291 م) ، روي الحديث أكثر من ستين عاما، و ازدحم علية الطلاب بعد سنة 680هـ/1281م فجعل لهم ثلاثة مواعيد في اليوم[4] .و الخامس المحدثة زينب بنت احمد المقدسية المعروفة بزينب بنت الكمال(ت 646-740م/1248-1339م)تفرغت لرواية الحديث سنين طويلة ، وكانت صبورة على التحديث به ، حتى أنه قد تسمع طلبتها-في بعض الأحيان- أكثر النهار[5] .

وأما الفقهاء فمنهم ستة مدرسين ،أولهم القاضي أبو بكر محمد بن الحضري البغدادي (ت 564هـ/ 1168م) اتخذ من مسجده مقرا لإقراء الفقه و القرآن الكريم ، من الصباح الباكر إلى الضحى، ثم يدخل إلى بيته للمطالعة و البحث حتى يحين وقت الصلاة ، فيخرج إلى المسجد

---

[1] ابن الجوزي : المنتظم ج 10 ص :113 . و ابن النجار : المصدر السابق ج 16 ص :227 . وابن رجب : المصدر السابق ج1 ص : 241 ط د .

[2] ابن رجب : نفس المصدر ج 1 ص :379 ط ق .

[3] الذهبي: سير أعلام النبلاء ج 21 ص :452 453 .و تذكرة الحفاظ ج4 ص :375 .

[4] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 325 و ما بعدها .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :414 416 .

[5] ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق ج 2 ص :117 .

للصلاة و الإقراء . فهو على هذا الحال يوميا ،لا ينقطع عنه إلا لضرورة[1] .و الثاني الفقيه صدقة بن الحسين الحداد البغدادي(ت573 هـ/1177م) انقطع في مسجده للإمامة و الإفتاء و التدريس قرابة سبعين سنة[2] .و الثالث الفقيه أبو الفتح بن المني البغدادي(ت583 هـ/1187م)،تخصص في الفقه الحنبلي فروعا و أصولا ،و إشغالا و إشتغالا ،أكثر من ستين عاما، و قصده الطلاب الحنابلة من مختلف الأقطار[3] .و الرابع الفقيه العماد إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي(ت614 هـ/1217م) تفرغ لتعليم الفقه طول يومه في الجامع الأموي، فإذا لم يبق أحد يشتغل عليه قام للصلاة[4] .و الخامس زين الدين المنجا بن أسعد المقدسي(ت695 هـ/1295م) درس في الجامع الأموي و في المدرستين الحنبلية و الصدرية ،و أفتى نحو ثلاثين سنة[5] . وأخرهم مجد الدين محمد بن الفراء الحراني ثم الدمشقي(ت 645-739هـ/1247-1338م) ،تخصص في إقراء كتابي المقنع و الكافي للموفق بن قدامة المقدسي،و ليس له كلام إلا في العلم ، ولا يخالط أحدا ، حتى أنه يجلس للإقراء يوم العطل و الأعياد ، إذا جاءه أحد اقرأه[6] .

و فيما يخص المقرئين ، فمنهم أبو عبد الله سبط الخياط البغدادي(ت 541هـ/1143م)، تفرغ لإقراء القرآن الكريم في مسجد له ، أكثر من أربعين سنة[7] .و الثاني أبو حفص بن نعمة المقدسي ثم المصري المعروف بابن البناء(ت 584 هـ/1188م)، تصدر لتلقين القرآن الكريم مدة طويلة في مسجد له ، مع الصبر على التلقين طول النهار[8] . والثالث العماد ابراهيم بن عبد الواحد المقدسي(ت614 هـ/1217م) عمله اليومي إقراء القرآن و تدريس الفقه في الجامع الأموي ، دون مقابل[9] .و الرابع المقرئة اسية بنت عبد الواحد المقدسية (ت640 هـ/1242م)، أقرأت النساء القرآن الكريم[10] .و أخرهم أبو الفرج عبد الرحمن بن الفويرة البغدادي(ت679 هـ/1297م) تصدر للإقراء

[1] ابن رجب :المصدر السابق ج 1 ص :306 ط ق .
[2] نفس المصدر ج 1 ص :339 .
[3] نفس المصدر ج 1 ص : 359 360 .و ابن العماد الحنبلي: ج 4 ص : 277 .
[4] نفس المصدر ج 2 ص :94 95 .و نفس المصدر ج 5 ص :58 .و ابن طولون: المصدر السابق ج 2 ص : 336 .
[5] ابن رجب: نفس المصدر ج 2 ص :333 .
[6] نفس المصدر ج 2 ص :409 .و البن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 6ص :89 .
[7] ابن الجوزي : المصدر السابق ج 10 ص :122 .و الذهبي: سير أعلام النبلاء ج 20 ص :131 .و ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء ج 4 ص :435 . وابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :206 210 ط ق .
[8] المنذري : المصدر السابق ج 1 ص :166 . و ابن رجب : نفس المصدر ج 2 ص :215 .
[9] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :94 95 .و ابن طولون : المصدر السابق ج 2 ص :336 .
[10] الذهبي : تاريخ الإسلام ج: 631- 640 هـ/ص : 431 .

سنين طويلة ، وانتهى إليه علو الإسناد في القراءات و الحديث ، ورحل إليه الطلاب من مختلف الأمصار[1] ،حتى أن الحافظ شمس الدين الذهبي تحسر كثيرا عندما فاتته الرحلة إليه[2] .

ومن أعيانهم المتخصصين قي تدريس الأدب و اللغة و النحو، اثنان هما : أبو منصور موهوب بن الجواليقي البغدادي (ت540هـ/ 1145م) ،و ابنه إسماعيل(ت575 هـ/1279م) كانت لهما حلقة لإقراء الأدب في جامع القصر ببغداد[3].و درس الأب اللغة في المدرسة النظامية ببغداد مدة ،بعد شيخه أبي زكريا التبريزي الشافعي(ت502 هـ/1108م)[4].و لا يعرف سبب سماح الشافعية له بالتدريس فيها وهو حنبلي[5]، و من شروط التدريس فيها أن يكون المدرس شافعيا[6] . ربما سمحوا له بذلك لحاجتهم الماسة إليه ، ثم صرفوه عنها بعد مدة ؛ و هو الحنبلي الوحيد المعروف بأنه درس في نظامية بغداد .

و يوجد من بين كبار المدرسين الحنابلة أربعة أضراء ، أولهم المقرئ الحسين بن أبي الحسن الدرزبيني البغدادي(ت 597 هـ/1200م) اقرأ نساء الخلفاء ،و الجواري ،و الخواص بدار الخلافة ، وكان مجودا للقران حسن التلاوة طيب الصوت[7].و الثاني الأديب محب الدين أبو البقاء العكبري البغدادي(ت616 هـ/1219م) تفرغ للتدريس و البحث طول اليوم ، يقرأ عليه تلامذته المصنفات التي يريد مطالعتها ،و يملي عليهم الكتب التي يؤلفها[8] .و الثالث المقرئ نور الدين أبو طالب بن عمر البصري ثم البغدادي(ت684 هـ/1285م) ، كف بصره وله عشر سنوات ، ودرس للحنابة في المستنصرية و البشيرية ببغداد[9] .و الرابع اللغوي زين الدين أبو الحسن بن احمد الآمدي ثم البغدادي(ت بعد 712هـ/1312م) أوقف نفسها للتدريس و الطلب لا يفارقهما إلا لضرورة[10] .

---

[1] ابن الجزري: المصدر السابق ج 1 ص :382 –383 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :438 .

[2] لأن والده منعه من الرحلة خوفا عليه . الذهبي : معرفة القراء الكبار ج 2 ص :556 .

[3] ابن الجوزي: ج 10 ص :118 .و الذهبي: سير أعلام النبلاء ج 20 ص :90 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :347 .و السيوطي : بغية الوعاة ج 2 ص :308 .

[4] ابن الجوزي : نفسه ج 10 ص : 118 .و السيوطي : نفسه ج 2 ص :308 .

[5] لم أعثر على تفسير لذلك في المصادر التي اطلعت عليها .

[6] اليافعي المكي : المصدر السابق ج 4 ص :24 .

[7] الصفدي : نكت الهميان ص :139 .

[8] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :109 111 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :68 .

[9] نفس المصدر ج 2 ص : 254 255 .و نفس المصدر ج 5 ص :387 .

[10] الصفدي : المصدر السابق ص :206 و ما بعدها .

ومن مدرسي الحنابلة حفاظ مشهورون تولوا مشيخات دور الحديث بالمشرق الإسلامي ،منهم أبو الفضل الياس بن أبي الحجر الحراني ثم الموصلي(ت593 هـ/1196م) أسندت إليه مشيخة دار الحديث بالموصل.و الثاني عبد القادر الرهاوي ثم الحراني(ت 612 هـ/ 1215م) تولى هو الأخر مشيخة دار الحديث بمدينة الموصل[1].و الثالث المحدث أبو الحسن القطيعي البغدادي(634هـ/ 1236م) هو أول من عين شيخا لدار الحديث المستنصرية ببغداد[2] .و الرابع الرحال أبو العباس تقي الدين الصريفيني ثم الدمشقي(ت641 هـ/1243م) تولى مشيختي دار الحديث بمدينة منبج[3] ،ودار الحديث لابن شداد بحلب[4].و الخامس المحدث نجم الدين بن إبراهيم الشقراوي ثم الدمشقي(ت702 هـ/1302م) أسندت إليه مشيختي العالمية بسفح جبل قاسيون ، والمعزية بداخل مدينة دمشق[5].و أخرهم فخر الدين بن يوسف البعلي ثم الدمشقي(ت688 هـ/1289م) تولى مشيخة دار الحديث النورية[6] بمدينة دمشق[7] .

و يوجد من بينهم مدرسون تفانوا- أكثر من غيرهم- في تعليم طلابهم ،و الإحسان إليهم ،و إكرامهم ،و الحرص على مصالحهم ،و رعايتهم ،أذكر منهم خمسة ، الأول الحافظ أبو العلاء العطار الهمذاني(ت569 هـ/1173م) درس تلاميذه في بيته ، و اسكنهم في مسجده ،و أنشأ لهم مكتبة ،و انفق عليهم دون مقابل[8].و الثاني الفقيه أبو الفتح بن المني البغدادي(ت583 هـ/1187م) أهتم بطلابه اهتماما كبيرا ، فكان يكرمهم، و يعود مرضاهم،و لا يستغلهم لخدمة نفسه،و لا يثقل عليهم،و يرفض أن يقدموا له نعله ،ففي إحدى المرات قدمه له تلميذه ناصح الدين بن الحنبلي(ت634 هـ/12236م) ، فشق عليه ذلك و قال له: إيش هذا ؟ إيش هذا ؟ مثلك لا نسامحه في هذا[9] .و كان ينفق عليهم و يقبل الهدايا ولا يدخرها ، و إن ناله منها شئ أعاده عليهم ،و يتفقدهم عند غيابهم

---

[1] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :378 و ج 2 ص :84 .و ابن النجار : المصدر السابق ج 20 ص :128 .

[2] ابن رجب :نفس المصدر ج 2 ص : 213 .و الذهبي : العبر ج3 ص :220 .

[3] تقع ببلاد الشام شمال مدينة حلب . عبد المنعم ماجد و علي البنا : الأطلس التاريخي ص : الخريطة رقم 5 .

[4] الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 23 ص :90 .و تذكرة الحفاظ ج 4 ص : 1434 . والصفدي : الوافي بالوفيات ج 6 ص :141 .

[5] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :348 .

[6] هي أول دار حديث بدمشق بناها السلطان نور الدين محمود ، ومعظم شيوخها شافية من أسرة بني عساكر . النعيمي : المصدر السابق ج 1 ص :102 و ما بعدها .

[7] الذهبي : معجم شيوخ الذهبي ص :307 .و النعيمي: نفس المصدر ج 1 ص:111 ،وج 2 ص : 88 .

[8] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 324 326 327 ط ق . ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء ج 1 ص : 111 205 . و الصفدي : المصدر السابق ج 11 ص :385 .و الذهبي: تذكرة الحفاظ ج 4 ص : 1325 1326 .

[9] ابن رجب : نفس المصدر ج 1 ص :361 .

، فعندما قدم الحافظ عبد الغني المقدسي(ت600 هـ/1203م) إلى بغداد و حضر دروسه ثم انقطع عنها ، ذهب إلى أصحابه وسألهم عن سبب غيابه– ظنا منه أنه انقطع لضيق صدره– فأخبروه أنه مشغول بطلب علم الحديث[1] . وقد أمضى ابن المني أكثر من خمسين سنة من عمره ، متفرغا للتدريس و خدم تلاميذه ،و ما نافس على دنيا، و ما تزوج ،و لا تسرى[2] . فكان ذلك مما ساعده على التفرغ للتدريس و التفاني فيه .

و الثالث الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي ، كان يحسن إلى طلابه و يكرمهم ،و يفرح بتفوقهم العلمي ، ويحثهم على الرحلة لطلب العلم ، ويوصي بهم و يزودهم بالمال والكتب[3] .و الرابع الفقيه العماد إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي(ن614 هـ/1217م) له تلاميذ كثيرون يحبهم و يقضي حوائجهم،و يطعم الفقراء منهم في بيته ،و يتواضع لهم و يصبر عليهم،و قد صحبته جماعة من غير الحنابلة فتخلت عن مذاهبها واتبعته[4].و أخرهم[5] الموفق بن قدامة المقدسي(ت620 هـ/1223م) كان يمازح طلابه ،و لايوجع قلب أحد منهم ،و ينبسط لهم ولا يتضجر منهم وإن في نفسه ،و يطعم الفقراء منهم في بيته،و قد كلموه عن صبيان يشتغلون عليه فقال لهم: ((هم صبيان ،ولابد لهم من اللعب ، فأنتم كنتم مثلهم))[6] .

فهذا الجد و الاهتمام البالغ من هؤلاء المدرسين بطلابهم و اختلاطهم بهم ،هو الذي يزيد في مردودية العملية التربوية وفعاليتها ،و يرفع من مستوى الطالب علما و أخلاقا ،و يقوم لسانه ، وينمي ملكاته ،و يولد بينه و بين شيخه علاقة حب و صداقة و احترام .

و أما عن عدد الطلاب الذين يحضرون حلقات المشايخ ، فقد اختلف عددهم اختلافا بينا ؛ فمجالس المحدثين هي في الغالب كبيرة العدد ، قد يصل بعضها إلى ألف طالب[7] .ثم تأتي بعدها

---

[1] نفسه ج 1 ص :361 362 .

[2] نفس المصدر ج 1 ص : 360 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص :277 .

[3] الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 21 ص :450 .

[4] نفس المصدر ج 22 ص :48 و ما بعدها .و ابن رجب: المصدر السابق ج 2 ص :95 .و ابن طولون: المصدر السابق ج2 ص:336 .

[5] ومن العلماء غير الحنابلة الذين اشتهروا باهتمامهم الكبير بطلابهم ، الفقيه محمد بن الكيزاني الشافعي المصري)ت 560 هـ/1164م) كان إذا جاءه طالب فقير ليقرأ عنده ، يطعمه و يكسيه ،و يخرز له نعله إذا وجد فيه شيئا مقطوعا ، ثم يدرسه . السخاوي الحنفي: المصدر السابق ص :385 .

[6] الذهب : المصدر السابق ج 22 ص :170 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 :136 .

[7] انظر مبحث المجالس العلمية من الفصل الأول .

حلقات المقرئين ثم الفقهاء ، فحلقة سبع الحنابلة لإقراء القرآن بجامع دمشق ، يزيد عدد روادها عن ثلاثمائة قارئ[1] ،و حلقة محرابهم -في نفس الجامع- مجموع طلابها أكثر من مائة طالب[2].و أما عددهم في المدارس فمحدد و قليل، لأن لها وقفيات هي بمثابة قانونها الأساسي الذي يحدد لها نظامها الداخلي من حيث تسييرها و تمويلها ،و مجموع طلابها و مستخدميها[3] ؛ فقد حدد عدد الطلبة في كل من المدرستين الحنبليتين الصاحبية و العالمية بعشرين طالبا[4] .و قد يزيد أو يقل عن ذلك في مدارس أخرى ، كما هو مبين في الجدول رقم: 15ص: ،و الرسم البياني رقم: 14ص: ، إذ يصل عددهم في النظامية إلى مائتين ،و في المستنصرية إلى مائتين و ثماني وأربعين مدرسة ، لامتلاكهما قدرات استعابية مادية وبشرية كبيرة .و مع ذلك فإن عدد الطلاب في هذه المدارس(انظر الجدول و الرسم البياني) يبقى قليلا ، الأمر الذي يسهل على المدرسين و المعيدين مهمتهم التعليمية و التربوية ، و يجعلهم قريبين جدا من تلاميذهم .

وكان المدرسون الحنابلة-كغيرهم من مدرسي زمانهم- هم الذين يمنحون لطلابهم إجازات التخرج- المعروفة في عصرهم بطباق السماع- وهي بمثابة شهادات علمية لا تمنحها المدارس كما هو معمول به في وقتنا الحاضر . ويسلم هؤلاء المدرسون لطلابهم طباق السماع بناء على ما سمعوه منهم من روايات و دروس ،و على ما قرؤوه عليهم من مصنفات . فمن ذلك أن المحدث أبا بكر بن كامل الخفاف البغدادي الحنبلي(ت543 هـ/1148م) اجتهد في طلب الحديث النبوي ، فسمع العلي و النازل ، و تتبع الشيوخ حتى سمع من نحو ثلاثة الاف شيخ ، فحصل منهم على المئات من طباق السماع ، جمعها و احتفظ بها[5] .و كتب الحافظ أبو الفضل بن ناصر البغدادي الحنبلي(ت550 هـ/1155م) لتلميذه عبد الرحمن بن الجوزي سماعاته كلها بخطه[6] عندما بكر به أهله للسماع منه و

---

[1] النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس ج 2 ص :410 411 .

[2] انظر مبحث المجالس العلمية من الفصل الثالث .

[3] ذكرت نماذج منها عند الحديث عن المدارس الحنبلية .

[4] كثير من المدارس كان عدد طلابها عشرين طالبا كالعادلية الصغرى بدمشق و الخليلية بمصر . النعيمي : المصدر السابق ج 1 ص :368 . ابن كثير: المصدر السابق ج13 ص :129 .و المقريزي : الخطط ج 2 : 400 .

[5] ابن الجوزي: المصدر السابق ج 10 ص :137 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :215 .

[6] يوجد نوعان رئيسيان من الإجازات ، الأول إجازة السماع أو طباق السماع ،و هو يقابل الشهادة في الوقت الحاضر ، يمنحها الشيخ للطالب ، بعدما يتعلم عليه و يسمع منه دروسا ، أو روايات ، أو كتبا .و الثاني هو إجازة إذن دون سماع ، لا يوجد فيها تعلم ،كأن يأذن الشيخ لشيخ مثله أن يروي عنه كتابا لم يسمعه منه .و في النوع الأول يكتب الشيح في الطباق العلم المدروس ،أو الرواية المسموعة، أو الكتاب المقروء ،و يسجل فيه اسمه و أسماء الحاضرين ، مع تحديد الزمان و المكان و الختم على الطباق . ابن طولون : المصدر السابق ج 1 ص :14 .و ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ج 5 ص :227 228 .و صلاح الدين المنجد :

هو صغير[1]. و وجد للمحدث أبي الحسن علي بن القواس البغدادي(ت601 هـ/1204م) طباق سماع ملحق بكتاب حل الإشكال قي الرقوم و الأشكال لصدقة بن الحسين الحداد ، كتبه له الحافظ أبو الفضل بن ناصر لسماعه منه الحديث[2].و عندما قدم الفقيه ناصح الدين بن الحنبلي(ت 634 هـ/1236م) إلى بغداد لطلب العلم ، وحضر دروس بن الجوزي

....

جدول مقارن لعدد الطلاب في بعض مدارس المشرق الإسلامي[3]

(ق :6-7هـ/12-13م)

إجازات السماع ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية ، رمضان/ماي مج1 ج 2 1375 هـ/1955م ، ص :232 . و احمد شلبي: المرجع السابق ص :266 270 .و احمد بدوي: المرجع السابق ص :89 90 .

[1] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :401 ط ق .

[2] ابن النجار : المصدر السابق ج 18 ص :34 .

[3] المصادر : سبق ذكر معظمها ، و التي لم تذكر فهي : ابن كثير : المصدر السابق ج 12 ص : 193 .و ابن دقمان : الانتصار لواسطة عقد الأمصار بيروت دار الأفاق الجديدة د ت ق :1 ص : 97 ، 98 .و الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، القاهرة ، مطبعة السنة المحمدية ، ج 1 ص : 117 .

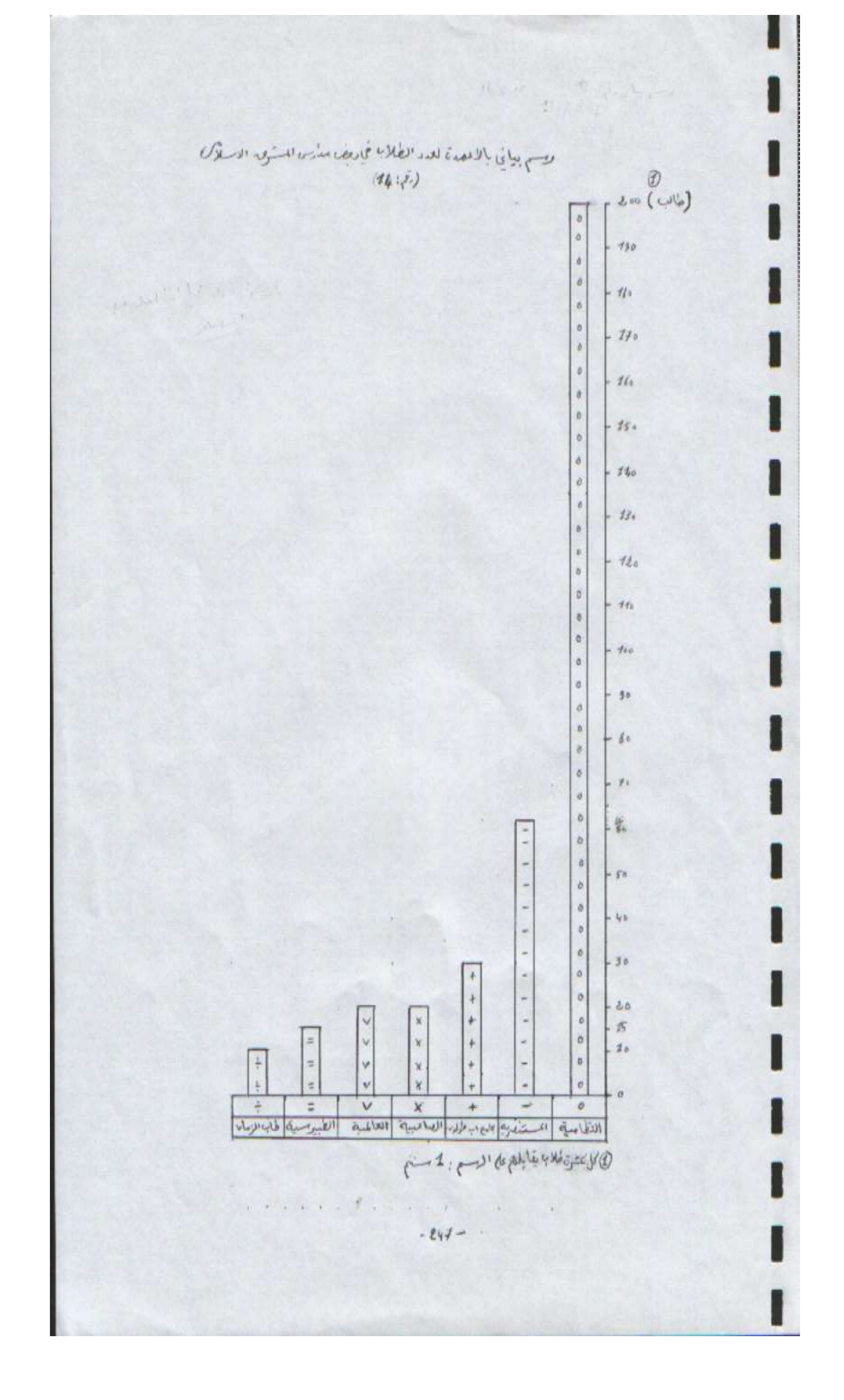
الرمز	المدرسة	البلد	عدد الطلاب	المذهب
0	النظامية	بغداد	200	شافعية
–	المستنصرية	=	[1]62	على المذاهب الأربعة
+	جامع ابن طولون	القاهرة	[2]30	=
×	الصاحبية	دمشق	20	حنبلية
v	العالمية	دمشق	20	=
=	الطيبرسية	مصر	15	شافعية –مالكية
÷	طاب الزمان	مكة المكرمة	10	شافعية
المجموع	07	07	357	.

(الجدول رقم :15

)

[1] أي : 62 من كل مذهب من المذاهب الأربعة .

[2] أي : 32 من كل مذهب من المذاهب الأربعة .


رسم بياني بالأعمدة لعدد الطلاب في بعض مدارس المشرق الإسلامي
(رقم: 14)
طالب
النظامية
المستنصرية
① كل عشرة طلاب يقابلهم على الرسم: 1 سنتم

و قرأ عليه بعض كتبه ، ثم رجع إلى دمشق ولم يأخذ منه سماعاته بخطه ، بعث إليه من هناك يطلبها منه ،فكتبها له وسيرها إليه[1] .

و جمع القاضي سليمان بن حمزة المقدسي(ت715 هـ/1315م) عن شيوخه مائة سماع[2]. و وجدت سماعات كثيرة لنساء حنبليات دمشقيات عندما كن يسمعن الحديث في أربطة الحنابلة و ديرهم بسفح جبل قاسيون ، وبعضها ما يزال مخطوطا بدار الكتب المصرية[3] .و كانت هذه الطباق تلحق -في العادة- بالمصنفات فتثبت في ذيل الكتاب أو في صدره ،و تحفظ في المساجد و المدارس ،و هي أكثر ما توجد في كتب الحديث ،و قد يصل عددها في الكتاب الواحد إلى عشرين طبقة سماع[4] .

وأما بالنسبة لأجور المدرسين الحنابلة، فإن كثيرا منهم لم تكن لهم رواتب مقررة ، لأنهم درسوا في بيوت و مساجد ليس لها أوقاف ،أو لأنهم رفضوا تسلمها .و منهم من كان يعلم مجانا ويتكسب من عمل يزاوله،أو له مصدر رزق أخر يتقوت منه[5] .و منهم من يقرئ بالمجان و ينفق على نفسه وطلابه مما يعطيه له الناس[6] .و منهم من اقرأ الحديث النبوي بدون أجر و درس الشعر بمقابل[7] .ومنهم من كان لا يسمع-فردا ولا جماعة- جزءا من الحديث إلا بدينار[8] .و منهم طائفة أخرى لها معاليم مقررة في المدارس و الجوامع التي يدرسون فيها ولها أوقاف ؛كالجامع الأموي بدمشق و جامع الحنابلة بالصالحية[9]،و المدرسة الصاحبية الحنبيلة التي كان فيها للمدرس أجر يومي مقداره درهمان، و للمعيد درهم واحد ،و للطالب نصف درهم[10] .فيصل دخلهم الشهري التقريبي إلى خمسة دنانير[1] ،و ديناران ونصف للمعيد ،و دينار و نصف للطالب(انظر الجدول رقم : 16) .

---

[1] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :411 .

[2] نفس المصدر ج 2 ص :365 .

[3] صلاح الدين المنجد : المرجع السابق مج 1 ج 2 ص :246 247 .

[4] نفس المرجع مج 1 ج 2 ص : 233-234 .

[5] السبط بن الجوزي: المصدر السابق ج 8 ص : 32 .و الذهبي: العبر ج 3 ص :223 . والعليمي: المصدر السابق ج2 ص:251.

[6] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 326 361 .

[7] الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 20 ص :268 .و يوسف بن عبدالهادي :المصدر السابق ج4 ص :65 .

[8] ابن الدمياطي: المصدر السابق ص :135 .

[9] ابن جبير : المصدر السابق ص :244 .و بن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :319 .و ابن شداد: المصدر السابق ص :83 . 84

[10] خير الله العمري: مهذب الروضة الفيحاء ص :239 .

جدول مقارن لأجور المدرسين و المعيدين و الطلاب

في بعض مدارس المشرق الإسلامي[2]

(ق:6-7هـ/12-13م)

المدرسة	اجر المدرس اليومي بالدرهم	أجر المدرس الشهري بالدينار	أجر المعيد اليومي بالدرهم	أجر المعيد الشهري بالدينار
الصاحبية –دمشق-	02	05	01	02,5
المستنصرية-بغداد-	-	-	1,2	03
مدرسة الرصد- للفيلسوف	03	07,5	-	-
= -للطبيب	02	05	-	-
= -للفقيه	01	02,5	-	-
= -للمحدث	0,5	01,25	-	-
المنصورية	06	15	02,2	05,5

(الجدول رقم :16)

---

[1] كانت قيمة الدينار الواحد في المشرق الإسلامي خلال القرن السابع الهجري تساوي على العموم نحو 12 درهما . احمد بدوي : المرجع السابق ص :80 .و ناجي معروف: المرجع السابق ج 1 ص : 85 و ما بعدها .

[2] المصادر : ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص : 215 .و السيوطي : تاريخ الخلفاء ص : 369 .و خير الله العمري : مهذب الروضة الفيحاء ص : 239 .و ناجي معروف : تاريخ علماء المستنصرية ج 1 ص : 229 .و احمد بدوي : المرجع السابق ص : 80 .

وكانت أجور المدرسين في المشرق الإسلامي متباينة من مدرسة إلى أخرى ، حسب رغبات مؤسسي المدارس وما يوقفونه عليها من ممتلكات ؛و بعضهم تتحكم فيه اتجاهاته الفكرية و نظرته للعلوم في تحديد رواتب المدرسين، فمن ذلك أن المتكلم نصير الدين الطوسي الشيعي الإمامي(ت672 هـ/1273م) قرر في مدرسة الرصد بمدينة مراغة[1] في كل يوم : ثلاثة دراهم للفيلسوف ،و درهمان للطبيب ، و درهم واحد للفقيه ،و نصف درهم للمحدث (انظر الجدول رقم:) ، فراتب المحدث يساوي ما يأخذه الطالب فب المدرسة الصاحبية بدمشق .

و يستنتج مما أوردناه عن مدارس الحنابلة في المشرق الإسلامي-خلال القرنين6-7 هـ/12-13م- أنها ساهمت بفاعلية في دعم الحركة العلمية الحنبلية و تنشيطها ، فاستقبلت الطلاب ،و جذبت إليها كبار المدرسين،و خدمت العلوم التي أوقفت من أجلها ،و دعمت المذهب الحنبلي الذي قامت عليه ، وشاركت في إذكاء التعصب المذهبي وتكريسه على أرض الواقع .و أن مجموعها بلغ ستا وأربعين-بما فيها المدارس المشتركة- بنى معظمها الحنابلة أنفسهم، من بينها خمس مدارس بنتها خمس نساء هن: الجهة بنفشا ،و عصمت شاه لبنى، و ربيعة خاتون ،و أمة اللطيف ،و باب بشير .و ومن بينها كذلك ثماني مدارس أوقفها سلاطين لا يوجد من بينهم صلاح الدين الأيوبي الذي بنى مدارس كثيرة للسنيين[2] .و أن لها أوقاف متنوعة من عقارات ،و مزارع ، و ضيعات ، بدونها لا يمكنها مزاولة نشاطها العلمي ،و لها كذلك وقفيات هي بمثابة قانونها الأساسي ، تكتب-في الغالب- علىعتبات مداخلها الرئيسية .و أنها من الناحية العمرانية كانت مستطيلة أو مربعة الشكل ، يتوسطها صحن مكشوف محاط بأربعة أروقة ،و لبعضها ماذن و ترب لواقفيها ،و فيها كذلك مرافق متنوعة في خدمة طلابها و مدرسيها ، من حمامات ، و مطابخ ، ومكتبات عامرة بالمصنفات .

المبحث الثالث : المكتبات الحنبلية

---

[1] تقع جنوب أذربيجان وإلى الجنوب الغربي من بحر الخزر-قزوين حاليا- عبد المنعم ماجد و علي البنا : المرجع السابق ص: الخريطة رقم 4 8 .

[2] بناها للشافعية و الحنفية و المالكية ،و لا يعرف أنه بنى مدرسة للحنابلة ، و عن مدارسه التي أوقفها على هؤلاء انظر : العليمي: الأنس الجليل ج 1 ص :313 340 341 .و المقريزي: المصدر السابق ج2 ص :336 .و ابن دقمان : الجوهر الثمين في سير الخلفاء و الملوك و السلاطين ص :225 226 .و شرف خان البدليسي: شرفنامة حققه محمد عوني ، القاهرة ،دار احياء التراث العربي 1958 ج 1 ص :67 .و أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ج 3 ص :50 .و السيوطي: حسن المحاضرة ج 2 ص : 256 . و ابن كثير : المصدر السابق ج 12 ص :263 296 . وغيرها من المصادر .

كثرت مكتبات الحنابلة في المشرق الإسلامي-خلال القرنين6-7 هـ/12-13م- لازدهار حياتهم العلمية، من عقد لمجالس العلم ،و تصنيف للكتب ،و بناء للمساجد و المدارس ،و الأربطة و الزوايا ؛ التي أسسوا فيها مكتباتهم ،و اجتهدوا في تعميرها و صيانتها ، حتى أن كان لبعضها شهرة إقليمية واسعة ،و قصدها أهل العلم من الآفاق .

أولا : نماذج من دور الكتب الحنبلية

كانت للحنابلة في مؤسساتهم العلمية، وفي بيوت علمائهم دور كتب كثيرة ، أحصيتُ منها 121 مكتبة موقوفة للانتفاع العام[1] . منها مكتبة الحافظ أبي العلاء العطار الهمذاني(ت569 هـ/1173م) أنشأها بجانب مدرسته و مسجده ، وخصص فيها خزانة أوقف فيها كتبه التي تعب في جمعها ، و كان أيام طلبة للعلم شغوفا بالمصنفات حريصا على اقتنائها ؛و قد باع مرة دارا له بستين دينارا لشراء كتب بيعت في المزاد العلني ببغداد[2] . وبإنشائه لهذه المكتبة أكمل مشروعه العلمي ،بعدما كان قد وفر لطلابه التعليم و الإيواء المجانيين .

و الثانية دار العلم بدرب الشاكرية في بغداد ، بناها الفقيه أبو بكر بن المارستانية البغدادي(ت599 هـ/1202م) ،وجعل فيها خزانة كتب و وقفها على أهل العلم .و عندما قبض على صديقه الوزير عبد الله بن يونس الحنبلي(ت593 هـ/1196م) و تتبع أصحابه ،ألقي القبض على ابن المارستانية بيعت دار العلم بما فيها الكتب و سائر أملاكه؛ ثم عندما أطلق سراحه وتحسنت ظروفه المادية جمع من جديد كتبا كثيرة[3] . ومكتبته هذه تميزت بأنها كانت مستقلة بذاتها في بناية مخصصة لها،وليست ملحقة بمسجد و لا مدرسة .

والثالثة مكتبة المدرسة العمرية أسسها الشيخ أبو عمر بن قدامة المقدسي ثم الدمشقي (ت 607 هـ/1210م) بصالحية دمشق ،وهي أشهر المكتبات الحنبلية دون منازع، كانت في عز أيامها حافلة بالمصنفات نادرة النظير ، بفضل اهتمام الحنابلة بها و وقف كثير من العلماء- على اختلاف مذاهبهم- لكتبهم فيها[4] ؛ منهم الفقيه جمال الدين يوسف بن عبد الهاد ي الدمشقي(ت 909

---

[1] على افتراض أن لهم مكتبة في كل مدرسة و مسجد ، وقد سبق وأن أحصيتُ لهم أكثر من واحد وتسعين مسجدا ،و ست وثلاثين مدرسة .

[2] الصفدي : المصدر السابق ج 11 ص :385 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :324 328 .

[3] ابن النجار : المصدر السابق ج 17 ص :66 67 .و ابن رجب : نفس المصدر ج 1ص :443 .

[4] ابن طولون : المصدر السابق ج 1 ص :183 .

هـ/1503م) وقف فيها 600 كتاب من مؤلفاته، وقدر مجموع ما فيها بالآلاف[1] .و حسب الباحث حبيب الزيات أنه اجتمع في المكتبة العمرية بضعة الآف كتاب ضاع منها أكثرها و لم يسلم منها إلا القليل[2] ؛ وبناء على قوله فإن مجموع ما كان فيها يتراوح ما بين ثلاثة إلى تسعة ألاف كتاب [3] . لكنني اعتقد أن كتبها أكثر من ذلك بكثير ،لأن هناك مكتبات لأفراد ضم بعضها عشرين ألف مجلد ،و أخرى فيها مائة ألف[4] فكيف يكون مجموع ما في المكتبة العمرية يتراوح ما بين ثلاثة إلى تسعة الاف كتاب ،وهي مكتبة مدرسة عريقة استمر نشاطها العلمي أكثر من ثلاثة قرون ، ولها أوقاف جمة ،و وقف كثير من العلماء مصنفاتهم فيها ؟ ! ومع ذلك فإنني لا أستطيع تقدير مجموع ما كان فيها من الكتب .

و قد تعرضت المكتبة العمرية للنهب و الإهمال عند نهاية القرن التاسع عشر الميلادي و مطلع القرن العشرين ، فقد سرق منها أحد الطلبة النجديين ما حمولته خمسة جمال من الكتب ،و فر بها إلى بلده ؛و أخذ منها ناظرها قسما كبيرا من أحسن ما فيها ،و الباقي نقل إلى قبة في المدرسة الظاهرية بدمشق ،وكان مجموعها نحو 614 مخطوطا[5] .

و الرابعة مكتبة المدرسة الضيائية بصالحية دمشق ، أنشأها الحافظ الضياء محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت643 هـ/1245م) ، كانت عامرة بالمصنفات عند نهاية القرن السابع الهجري/ 13م بفضل الاهتمام بها و وقف بعض العلماء لكتبهم فيها[6] .و قد تعرضت هذه المكتبة للنهب في نكبة الصالحية على يد المغول في سنة 699 هـ/1299م ، فسرقت منها مصنفات كثيرة ، لكنها سرعان ما استعادت ثروتها و نشاطها[7] . ثم انفرط عقدها عند نهاية القرن الثامن الهجري/14م على اثر غزو ملك المغول تيمور لنك لمدينة دمشق[8] ، وبعد ذلك قدم إليها بعض العلماء وأخذوا منها كتبا، منهم الحافظان شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي(ت842 هـ/1438م) و ابن حجر العسقلاني (ت

---

[1] يوسف بن عبد الهادي : ثمار المقاصد في ذكر المساجد ص :16 .

[2] حبيب الزيات : المرجع السابق ص :7 .

[3] لأن البضع هو ما بين الثلاثة و التسعة . محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح ص :43 .

[4] انظر :ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق ج 3 ص :175 .و أبو شامة : كتاب الروضتين ج 2 ص :244 .و ابن كثير : المصدر السابق ج 12 ص :266 و ج 13 ص :24 .و ناجي معروف : المرجع السابق ج 2 ص : 706 707 .

[5] ابن بدران الدمشقي : المرجع السابق ص :244 .و محمد كرد علي : خطط الشام ج 6 ص :205 .و حبيب الزيات : المرجع السابق ص : 7 .

[6] ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص : 170 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 282 .و النعيمي: المصدر السابق ج 2 ص :92 .و ابن طولون : المصدر السابق ج 1 ص : 78 .

[7] ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات ج 2 ص :472 .و ابن طولون : المصدر السابق ج 1 ص :78 .

[8] ابن طولون: المصدر السابق ج 1 ص : 82 .

852 هـ/1448م) فقد جاءا إليها و اقتنيا منها أحمالا من المصنفات[1] .ثم اضمحل أمرها نهائيا في القرن الثالث عشر الهجري/19م و نقلت كتبها المتبقية فيها إلى المكتبة العمرية[2] .

و للحنابلة في المشرق الإسلامي خزائن كتب أخرى كثيرة ، في مدارسهم و مساجدهم لكن أخبارها قليلة جدا أو منعدمة تماما ، منها مكتبتهم في مسجدهم ببعلبك[3] ،و في مقامهم بالجامع الأموي بدمشق .و لعل المكتبة الحنبلية التي كانت ما تزال قائمة بمدينة القدس[4] زمن الباحث محمد كرد علي[5] هي مكتبة إحدى المدرستين الحنبليتين : الوجيهية، أو الحنبلية ،أو من كليهما معا .

و أما مكتباتهم الخاصة فهي كثيرة جدا ، لا يكاد يخلو منها بيت عالم من علمائهم ، أذكر منه ستا ، أولها خزانة كتب أبي سعد المخرمي البغدادي(ت 513 هـ/1119م) اجتهد في تعميرها حتى جمع مصنفات كثيرة ، قيل عنها أنه لم يسبق إلى جمع مثلها ، مدفوعا بحبه الشديد لها[6] .و الثانية مكتبة أبي محمد بن الخشاب البغدادي الحنبلي(ت567 هـ/1171م) موقعها بباب المراتب بمدينة بغداد ، كانت على شكل صفة[7] كبيرة منفردة حافلة بالكتب ، و مليئة بالجزازات و الدفاتر ،و حالها غريب جدا ، فهي كهيئة صاحبها[8] ؛ فحصائرها المفروشة اختفت لكثرة ما عليها من التراب ،و كتبها مرصوصة يكسوها غبار ما أزيل منذ سنوات ، ويقال : إن الطيور عششت فوقها و فيما بينها[9] .

و كان ابن الخشاب شديد الشغف بالكتب، يجمعها بشتى الطرق الشريفة و الدنيئة ، أولها النسخ، فقد نسخ لنفسه مصنفات كثيرة ، بخطه الحسن المتقن المضبوط[10] .و الثانية الشراء ، فكان إذا توفي أحد من أهل العلم اشترى كتبه كلها .و في إحدى المرات أقدم على بيع داره لشراء كتاب

---

[1] نفسه ج 1ص : 82 .

[2] نفس المصدر هامش ص :83 .

[3] ابن أبي الفخر الصفاعي: تالي وفيات الأعيان ص :66 .و ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ج 6 ص :4 ط د الأفاق .

[4] محمد كرد علي : المرجع السابق ج 6 ص :201 .

[5] عاش في النصف الأول من القرن العشرين .

[6] ابن الجوزي: المصدر السابق ج 9 ص :216 .و ابن رجب : المصدر السابق ج1 ص :200 ط د .و العليمي: المصدر السابق ج2 ص :214 .

[7] هي بناء مظلل واسع له ثلاثة جدران . علي بن هادية و آخرين : القاموس الجديد ص :561 .و جمال الدين القفطي: المصدر السابق ج 2 هامش ص : 101 .

[8] لم يكن ابن الخشاب يهتم بلباسه و هندامه ، حتى أنه قد يترك عمامته على رأسه حتى تتسخ و تلقي عليها الطيور فضلاتها ،و لا ينزعها من فوق رأسه . ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 320 ط ق .

[9] حمال الدين القفطي: المصدر السابق ج 2 ص :100 .و ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج 4 ص :1505 .و الذهبي : المصدر السابق ج 20 ص :524 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :319 320 .

[10] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 319 .

بخمسمائة دينار ، ثم ترجع عن بيعه عندما تحصل على المبلغ من جهة أخرى[1] .و الطريقة الثالثة التحايل ، فكان إذا نودي على كتاب في السوق ، أخذه و طالع فيه ثم يغافل صاحبه و يقطع منه ورقة ويقول له : إنه مقطوع ، ليشتريه بثمن زهيد[2] .و آخرها الاستعارة ، فإذا استعار كتابا من أحد لا يرده إليه ، وإذا طالبه به يقول له : دخل بين الكتب و لا اقدر على إخراجه ، ثم يبقى يماطله ويعتذر له حتى ييئس و يسكت عن المطالبة به[3] . و عندما حضرته الوفاة أشهد الحاضرين على وقف كتبه ، لكنها تفرقت بعد وفاته ،و باع منها بنو العطار[4] قسما كبيرا ،و لم يبق منها إلا العشر ترك في رباط المأمونية ببغداد[5] . و لا ادري سبب نهبها و بيعها ،و هي وقف له حرمته ، فلا يباع، و لا يوهب، و لا يورث[6] .

و الثالثة مكتبة القاضي أبي القاسم عبد الله بن الفراء البغدادي(578 هـ/1182م) ، جمع فيها كتبا كثيرة نفيسة ، من بينها نوادر من الأصول الحسان الكبار على مذهب الحنابلة ، منها ما هو بخط الإمام احمد بن حنبل ، لكنه لما قل ماله وغلبه الدين- لتوسعه في الإنفاق على العلماء- باع معظم كتبه و اختفى في بيته[7] .

و الرابعة مكتبة بني تيمية الحرانيين ، يبدو أنها كانت عامرة تزخر بنفائس الكتب كما ونوعا ،لأن مالكيها ينتمون إلى أسرة عريقة في العلم(انظر الشكل رقم:)، لذلك فإنهم عندما هاجروا إلى دمشق فرارا من المغول ، لم ينسوا كتبهم بل أخذوها معهم في عربة يجرونها بأيديهم[8]، فلما توقفت – في وقت كاد فيه العدو أن يلحق بهم- ابتهلوا إلى الله عز و جل و استغاثوا به ، فنجاهم و دخلوا دمشق بكتبهم[9] سالمين في سنة 667 هـ/1268م[10] .

---

[1] نفس المصدر ج 1 ص : 311 319 .

[2] الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 20 ص :557 .و السيوطي : بغية الوعاة ج 2 ص :30 .

[3] السيوطي : نفسه ج 2 ص :30 .و ياقوت الحموي : المصدر السابق ج 4 ص :1505 .

[4] لم أجدهم .

[5] الذهبي : المصدر السابق ج 20 ص :526 .و تاريخ الإسلام ج:561-579 هـ/ ص :271 .و ابن رجب: المصدر السابق ج 1 ص : 319 ط ق .

[6] السيد سابق : فقه السنة ج 3 ص :309 .

[7] ابن النجار : المصدر السابق ج 17 ص :63 .و الذهبي : المختصر المحتاج إليه ص :228 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 352 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص :265 .

[8] لأنه لم تكن مهم دابة تجر لهم الكتب ،أو تحملها لهم . محمد بن عبد الهادي: المصدر السابق ج 4 ص :281 .

[9] على ما يبدو ، لأن راوي الخبر عندما ذكر توقف العربة ذكر أن الله نجاهم و دخلوا دمشق سالمين دون أن يستثني كتبهم . محمد بن عبد الهادي : المصدر السابق ج 4 ص :281 .

[10] نفسه ج 4 ص : 281 .

وأما الخامسة فهي خزانة كتب المقرئ عبد الصمد بن احمد بن أبي الجيش البغدادي(ت676 هـ/1277م)، جمع فيها مصنفات كثيرة ، من بينها كتاب نادر- من مؤلفاته- في فن الخطابة ، فلما اجتاح المغول بغداد و خربوها- في عام 656 هـ/ 1258م- ضاعت كتبه، وقتل ولده ، أصبح يقول-بعد الواقعة- : في قلبي حسرتان ولدي، و كتبي . لشدة حبه لهما[1] .

و آخرها مكتبة المؤرخ عبد الرزاق ابن الفوطي البغدادي(ت 723 هـ/1323م) كانت عامرة بالمصنفات النفيسة ،كما وعددا ، وقد ساعده على جمعها عاملان، الأول إشرافه على مكتبتي الرصد بمدينة مراغة و المستنصرية ببغداد ، لأزيد من سبع وثلاثين سنة . و الثاني اشتغاله في نسخ الكتب و التجارة فيها[2] .

و أشير في ختام هذا المطلب إلى أربعة أمور، أولها هو أنني عثرت على أخبار عشرين مكتبة حنبلية ، منها ثلاث عشرة خاصة بالأفراد، و سبع عامة(انظر الجدول رقم : 17) ،و هو عدد قليل جدا بالنسبة إلى كثرة مكتباتهم في مدارسهم ،و مساجدهم، و زواياهم،و بيوتهم . كما أنني لم أعثر على أية أرقام عن مجموع ما فيها أو في بعضها من المصنفات ؛ ماعدا تقديرات عامة دون تحديد دقيق ، كقولهم عن العمرية : فيها ألاف المصنفات[3] .و عن الضيائية : فيها كتب الدنيا[4] . الأمر الذي حال دون إنشاء

. . .

جدول لأشهر المكتبات الحنبلية في المشرق الإسلامي[5]

(ق:6-7هـ/12-13م)

نوع المكتبة	المكتبة	البلد	المجموع
عامة	مكتبة أبي العلاء العطار	همدان	07
=	دار العلم لابن الماريستانية	بغداد	
=	المكتبة العمرية	دمشق	
=	المكتبة الضيائية	دمشق	

[1] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :292 .

[2] ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب ق 1 ج 4 ص : 20 44 .و ابن شاكر الكتبي : المصدر السابق ج 1 ص : 567 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 6 ص :60 ط د الأفاق . و ناجي معروف : المرجع السابق ج2 ص :89 .

[3] يوسف ابن عبد الهادي: ثمار المقاصد ص : 16 .

[4] ابن طولون : المصدر السابق ج 1 ص :78 .

[5] المصادر سبق ذكرها في المتن ، و المتبقية هي : ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 413 ،ج 2 ص : 90 ، 352 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 6 ص : 10 .و الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 20 ص : 135 .و ابن حجر العسقلاني : الدرر ج 3 ص : 23 .و الصفدي : نكت الهميان ص : 207 .

=	المكتبة الحنبلية	بيت المقدس	
=	مكتبة جامع الحنابلة	بعلبك	
=	مكتبة الحنابلة بجامع دمشق	دمشق	
خاصة(بيتية)	مكتبة ع الوهاب الأنماطي	بغداد	13
=	مكتبة أبي سعد المخرّمي	بغداد	
=	مكتبة ابن الخشاب	بغداد	
=	مكتبة أبي القاسم الفراء	بغداد	
=	مكتبة ابن مسعود الموصلي	الموصل	
=	مكتبة آل تيمية	حرّان – دمشق	
=	مكتبة ابن أبي الجيش	بغداد	
=	مكتبة ابن الفوّطي	بغداد	
=	مكتبة محمد بن عبد الغني	دمشق	
=	مكتبة زيد الدين الآمدي	بغداد	
=	مكتبة علي بن نفيس	دمشق	
=	مكتبة ابن الجوزي	بغداد	
=	مكتبة الوزير بن هبيرة	بغداد	= 20

(الجدول رقم :17)

جداول و رسومات ، وعقد مقارنات بينها وبين مكتبات –ليست حنبلية– يعرف مجموع كتبها و لو تقديرا[1] .

و الأمر الثاني هو أن للباحث علي السيد علي، رأي مفاده أن خزائن الكتب في العصر الإسلامي لم تكن قائمة بذاتها في بيت أو ملحق ، وإنما هي جزء لا يتجزأ من المدرسة ، لذا فهي تختلف في أوجه كثيرة عما نعرفه عن المكتبات العامة في وقتنا الحاضر[2] . و قوله هذا ليس بصحيح ،و هو واهم فيما ذهب إليه ، لأن المكتبات المنفردة في بنايات مستقلة أو ملحقة بها ، كثيرة في التاريخ الإسلامي

---

[1] منها مكتبة الرصد بمراغة فيها نحو 400 ألف كتاب .و مكتبة القاضي الفاضل تحتوي على نحو 100 ألف مصنف .و مكتبة الفاطميين فيها أكثر من 600ألف كتاب . ابن شاكر الكتبي : المصدر السابق ج 2 ص :307-308 .و ابو شامة: كتاب الروضتين ج 2 ص: 244 .و الحلوجي عبد الستار : لمحات من تاريخ الكتب ص:50 53 .و محمد كرد علي: المصدر السابق ج6 ص :197 .

[2] علي السيد علي : الحياة الثقافية في المدينة المنورة ص: 251 .

، احتوى بعضها على مئات الآلاف من المصنفات ، كالمكتبة الفاطمية بالقاهرة ،و مكتبة بني عمار في طرابلس ،و مكتبة الرصد بمراغة[1] .و في بغداد : بيت الحكمة،و دار العلم للشريف المرتضي،و دار العلم لغرس النعمة،و دار الكتب لأبي نصر بن شابور،و دار كتب مشهد أبي حنيفة[2] ،و دار العلم لأبي بكر بن المارستانية .وفي همذان دار كتب الحافظ أبي العلاء العطار . وحتى المدارس الكبرى – ذات المرافق المتعددة والأوقاف الكثيرة– كالمستنصرية ،و العمرية ، الصالحية، والمنصورية، من الضروري أنها كانت متعددة القاعات و المصالح ،لأن فيها كتبا تعد بعشرات الآلاف ،فلابد لها من مخازن و قاعات للمطالعة والصيانة،و التجليد والنسخ . و بهذا فهي تشبه إلى حد كبير مكتبات المعاهد و المدارس العليا في وقتنا الحاضر .

و الثالث هو أن فريقا من الباحثين الروس، قدر مجموع المكتبات العامة الموقوفة بالعراق و سوريا و مصر بأكثر من مائة مكتبة فيما بين القرنين الخامس و الثامن الهجريين/11-14م[3] . و هذا عدد قليل جدا لا يعبر عن العدد الحقيقي لتلك المكتبات و لو بالتقريب ، لأن الحنابلة لوحدهم –و هم أقلية بالمشرق الإسلامي– تزيد مكتبات مساجدهم ومدارسهم و زواياهم عن مائة مكتبة موقوفة ؛ فما بالك إذا أضفنا إليها مكتبات الشافعية و الحنفية و المالكية و الشيعة ؟! فالعدد –بلا شك– سيتضاعف اضعافا كثيرة ،و نحن إذا أحصينا المدارس السنية في العراق و الشام و مصر –في القرنين6-7 هـ/12-13م – فسنحصل على أكثر من 221 مكتبة موقوفة[4] ، بحكم أن في كل مدرسة مكتبة .

و آخرها هو أن الإعارة الخارجية كان معمولا بها في المكتبات العامة بالمشرق الإسلامي ،و يشترط فيها رهن لإخراج كتبها ، كضمان للمحافظة عليها[5] . لكن المكتبات الخاصة اختلفت مواقف العلماء في إعارة كتبها ،بين موافق و مانع ،و مشترط للرهن ؛ فالموافقون حثوا على إعارتها خدمة

---

[1] ابن شاكر الكتبي: المصدر السابق ج 2 ص :307-308 .و محمد كرد علي : المرجع السابق ج6 ص : 179 .و الحلوجي عبد الستار : المرجع السابق ص : 50 .و حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ج 4 ص : 403 409 .

[2] احمد سوسة: خارطة بغداد ص :274 و ما بعدها .و ابن النجار : المصدر السابق ج 19 ص : 106 .و جورج مقدسي : مؤسسات العلم في بغداد ، مجلة الأبحاث مج 4 ج 3 1961 .

[3] معهد الإستشراق السوفياتي : المرجع السابق ص :301 .

[4] انظر :النعيمي: المصدر السابق ج 1 ص :622 وما بعدها ،و ج 2 ص :828 و ما بعدها .و المقريزي: المصدر السابق ج 2 ص :363 .و ابن جبير : المصدر السابق ص :208 .و ناجي معروف: المرجع السابق ج1 ص :151 .و عمر باشا : الأدب العربي في الشام ص :85 .و احمد فكري : المرحع السابق ج 2 ص :50 153 .و حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ج4 ص :570 .

[5] تاج الدين السبكي: معيد النعم ومبيد النقم ص : 111 .

للعلم ، وطلبا للفضل و الأجر ، لأن منعها هو من البخل و كتمان العلم، على أن ترد لأصحابها[1]. وقد انشد أحدهم يقول:

كتبي لأهل العلم مبذولة أيديهم مثل يدي فيها
متى أرادوا بلا منة عارية فليستعيروها
حاشاي أن أكتمها عنهمو بخلا كما غيري يخفيها
أعارنا أشياخنا كتبهم وسنة الأشياخ نحيها

وكان الفقيه عبد الوهاب الأنماطي البغدادي الحنبلي(ت538 هـ/1143م) يعير كتبه للطلبة بسهولة ، ولا يتوقف في إعارتها[2] . و أما المانعون للإعارة فقد منعوها لأنها قد تؤدي إلى إفساد الكتب و ضياعها ، حتى قال أحدهم : لا تأمنن قارئا على دفتر ،ولا حمالا على حبل[3] .و وأنشد أخر :

أجود بجل مالي لا أبالي وأبخل عند مسألة الكتاب
وذلك أنني أفنيت فيه عزيز العمر أيام الشباب[4]

و اتخذ المشترطون للرهن موقفا وسطا بين المجوزين و المانعين ، فهم يعيرون كتبهم و يأخذون عنها رهنا ، كضمان للحفاظ عليها ،وفي ذلك قال أحدهم :

إذا ما أعرت كتابا فخذ على ذاك رهنا وخل الحياء
فإنك لم تتهم مستعيرا ولكن لتذكر منه الأداء [5]

و قال أخر : جل قدر الكتاب ياصاح عندي فهو أغلى من الجوهر قدرا
لن أعير الكتاب إلا برهن من نفيس الرهون تبرا ودرا[6]

وأقول إنه ليس بيد الأفراد المعيرين لمصنفاتهم، وسيلة للمحافظة عليها إلا بالرهن ،و بدونه ستتلف و يضيع منها الكثير دون عوض .و يستحسن للمتفرغين للبحث العلمي–الحريصون على كتبهم– ألا يعيروها مطلقا ، إلا لمن يروه أهلا للإعارة . وأما المكتبات العامة فالرهن في حقها لابد منه، لتحافظ على ثروتها التي جمعتها بالشراء، و النسخ، و الوقف .

ثانيا : وقف علماء الحنابلة لكتبهم

---

[1] السمعاني: أدب الإملاء ص :260-261 .و العلموي : المعين في أدب المفيد ص :217 .و ابن مفلح : المصدر السابق ج2 ص:178.
[2] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :241 .و العليمي : المصدر السابق ج 2 ص : 251 .
[3] السمعاني : المصدر السابق ص :262 .و العلمي: المصدر السابق ص :217 .
[4] السمعاني: نفس المصدر ص : 263 .
[5] نفسه ص :263 265 .
[6] نفس المصدر ص :264 .

كانت ظاهرة وقف الكتب في المساجد و المدارس و الزوايا ، تقليدا متبعا لدى أهل العلم بالمشرق الإسلامي[1] ، كان للحنابلة فيه نصيب وافر أذكر منهم : الفقيه الوزير عون الدين بن هبيرة البغدادي(ت560 هـ/1146م)،وقف كتبه في مدرسته ببغداد ، وبعد وفاته صودرت و بيعت بأرخص الأثمان[2] .و وقف المقرئ علي بن عساكر البطائحي البغدادي الضرير (ت 572هـ/1176م) كتبه في مدرسة الشيخ عبد القادر الجيلاني بباب الأزج ،و في مسجد ابن جردة بالجانب الشرقي من بغداد[3] . كما وقف المؤرخ عبد الرحمن بن الجوزي(ت597 هـ/1200م) مصنفاته في مدرسته بدرب دينار ببغداد[4] . و وقف كل من الفقيه الموفق بن قدامة المقدسي(620 هـ/1223م) ،و الحافظ الضياء محمد بن عبد الواحد المقدسي(ت643 هـ/1245م)،و المحدث محمدبن هامل الحراني (ت671هـ/1272م)،كتبهم في المدرسة الضيائية المحمدية بصالحية دمشق[5] .

و منهم الأديب أبو محمد بن الخشاب البغدادي(ت 567هـ/1171م) ، جمع كتبا كثيرة و عند وفاته وقفها في رباط المأمونية ببغداد[6] .و اشترى المقرئ عبد الله بن نيال العكبري البغدادي(ت528 هـ/1133م) كتابين لابن عقيل البغدادي هما : الفصول ، والفنون في أكثر من مائتي مجلد ،و وقفهما للانتفاع العام[7] . ومنهم الحافظ أبو الفضل بن ناصر البغدادي (ت550 هـ/1155م) وقف مصنفاته علي أصحاب الحديث و نص عليها بخطه في وصيته[8] .و وقف المحدث أبو الحجاج يسف بن خليل الدمشقي ثم الحلبي(658 هـ/1259م) كتبه في إحدى المؤسسات العلمية بحلب ، فلما دخلها المغول في سنة 658 هـ/1259م، نهبت مصنفاته[9] .و وقف الفقيه عبد العزيز بن أبي القاسم البابصري البغدادي (ت697 هـ/1297م) جميع كتبه برباط

---

[1] انظر –مثلا– أبو شامة : ذيل الروضتين ص : 313–314 .و الصفدي: المصدر السابق ج 5 ص :10 11 .و الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 20 ص :431 .و ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص :169 ج 14 ص : 186 .

[2] صادرها خصومه في الدولة ،وهم الذين نكلوا بأسرته كذلك . الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 20 ص :431 .

[3] ابن رجب: المصدر السابق ج 1 ص :337 .و ياقوت الحموي: معجم الأدباء ج 4 ص :1820 .و ابن الجوزي: المصدر السابق ج 10 ص :267 .و ابن كثير: المصدر السابق ج 12 ص :296 .

[4] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :413 .

[5] الصفدي: المصدر السابق ج 6ص :66 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :282 .و ابن طولون : المصدر السابق ج 1 ص :78 . و ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ج5 ص :334 .

[6] ابن رجب : المصدر السابق ج1 :311 .و الذهبي: سير أعلام النبلاء ج 20 ص :526 .

[7] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :220 .و العليمي : المصدر السابق ج2 ص :242 .

[8] الذهبي: سير أعلام النبلاء ج 20 ص :268 .و العبر ج 4 ص :140 .و تذكرة الحفاظ ج 4 ص :1290 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :226 .و العليمي: المصدر السابق ج 2 ص :267 .

[9] الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 21ص :151 ،و ج 23 ص : 153 .

السميساطية[1] بمدينة دمشق[2] . وكان الحافظ أبو الحسن علي بن النفيس الموصلي ثم الدمشقي(ت 704 هـ/1304م) شغوفا بجمع الكتب حتى أنه يجوع ويشتريها و يقتنع بكسرة ، و عندما اقترب أجله وقفها مع جميع أجزائه الحديثية[3] .

و مع أن الوقف له حرمته في الفقه الإسلامي، فلا يباع ،و لا يوهب،و لا يورث[4] ؛ فإن بعض الكتب الموقوفة قد انتهكت حرمتها ،و تعرضت للنهب و الإهمال كما حدث لمصنفات الأديب أبي محمد بن الخشاب ، فقد تقاسمتها الأيدي بعد وفاته ،و بيع معظمها ، ولم يبق منها إلا نحو العشر في رباط المأمونية ببغداد[5].و عندما و قف المقرئ أبو اليمن تاج الدين الكندي الدمشقي الحنفي(ت613 هـ/1216م) نحو 761 مجلدا على المحدثين الفقهاء و اللغويين ، و وضعت في خزانة كبيرة بمقصورة في الجامع الأموي ، تعرضت للنهب و بيع أكثرها ،و لم يبق منها إلا القليل الرث[6] .

و لم يحترم الفقيه تاج الدين بن المسعودي الخراساني الشافعي(ت584 هـ/1188م) حرمة الكتب الموقوفة ، فقد جمع–عن طريق تلميذه السلطان صلاح الدين الأيوبي- كميات كبيرة منها ، فمن ذلك أنه عندما دخل معه–أي السلطان- إلى مدينة حلب في سنة 579هـ/ 1183م نزل بجامعها و أخذ من خزانة كتبه الموقوفة ما شاء من المصنفات ،ولم يمنعه أحد[7] .

و يتبين مما ذكرناه عن مكتبات الحنابلة في المشرق الإسلامي–خلال القرنين6-7هـ/12-13- أن مكتباتهم العامة يزيد مجموعها عن مائة وعشرين مكتبة ، لم أتعرف إلا على سبع منها فقط ؛ مقابل ثلاث عشرة تابعة للأفراد .و أنهم ساهموا في تعمير المكتبات وإثرائها ، بفضل كتبهم التي أوقفوها خدمة لمذهبهم وللعلم ؛ وهو تقليد جدير بالإعجاب و التنويه، لدوره الفعال في التشجيع على المطالعة، و تزويد المساجد، و المدارس، و الزوايا، و الأربطة، بمختلف المصنفات .

---

[1] نسبة لأبي القاسم علي بن محمد السميساطي الدمشقي(ت453 هـ) وقفها على الصوفية . النعيمي: المصدر السابق ج 2 ص :151 .

[2] ابن الفوطي : المصدر السابق ، ق 1 ج 4 ص :222 .

[3] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :352 .

[4] السيد سابق : فقه السنة ج 3 ص :309 .

[5] ابن رجب: المصدر السابق ج 1 ص :311 .و الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 20 ص : 526 .

[6] ابو شامة : ذيل الروضتين ص :98 .و ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ج 72 116 .

[7] ابن خلكان : المصدر السابق ج 4 ص :24 .

.   .   .

المبحث الرابع الأربطة و الزوايا و الترب الحنبلية

انتشرت الأربطة،و الخوانق ،و الزوايا في المشرق الإسلامي-خلال القرنين6-7هـ/12-13- انتشارا واسعا[1] ،مما يدل على اهتمام المجتمع بها ،و تأثيرها البارز فيه .و هي وإن اختلفت في الاسم[2] فإنها لا تخرج من أنها بيوت و دور للزهاد ، والعباد ، والصوفية ،و الغرباء،و الطلاب ، و ظيفتها الأساسية تمكين هؤلاء من التفرغ للعبادات، لكنها-في الغالب-لم تكن تخلو من نشاط علمي

[1] انظر النعيمي: المصدر السابق ج 2 ص :139 828 و ما بعدها .و احمد سوسة: المرجع السابق ص : 251 و ما بعدها .

[2] اختلفت التعاريف في تحديد المعنى الدقيق الفاصل بين الرباط ،و الزاوية،و الخانقاه ،لأنها أصبحت متشابهة الوظائف في القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م ، فيطلق اسم الرباط على الزاوية ، و الزاوية على الخانقاه ، و للتوسع انظر: النعيمي: المصدر السابق ج 2 ص :195 .و ابن بطوطة: المصدر السابق ج 1 ص :33 .و محمد كرد علي: المرجع السابق ج 6 ص :134 .و أسعد طلس : التربية والتعليم في الإسلام ص 111و ما بعدها .و حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ج 4 :401 .

متنوع . وقد أحصيتُ منها للحنابلة تسعة أربطة ،و عشر زوايا ،و لم أعثر لهم على أية دار سموها خانقاه[1] .و أما تربهم[2] فهي قليلة جدا بالمقارنة إلى ترب الطوائف السنية الأخرى .

أولا: الأربطة

للحنابلة أربطة في مختلف مناطق تواجدهم بالمشرق الإسلامي ، قسمتها إلى ثلاث مجموعات ، الأولى فيها نشاط علمي مكثف ،و الثانية يبدو أن فيها اشتغالا بالعلم ،و الثالثة لم تذكر لها المصادر[3] دورا علميا . فبالنسبة للمجموعة الأولى فمنها اثنان ، الأول رباط الفقيه أبي الثناء محمود بن النعال البغدادي(ت609 هـ/1212م)، بباب الأزج بالجانب الشرقي من بغداد[4] . كان أشعث الظاهر عامرا بالزهاد و الفقهاء ، فيه الاشتغال بالعلم أكثر مما في سائر مدارس بغداد ،و ينزل فيه طلاب الحنابلة القادمين من الشام[5]وغيره ؛ منهم الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي(ت600 هـ/ 1203م)،و الحافظ عبد القادر الرهاوي(ت 612هـ/1215م)، و الفقيه العماد إبراهيم بن عبد الواحدالمقدسي(ت 614 هـ/1223م)،و الفقيه الموفق بن قدامة المقدسي(ت 620هـ/1223م) ،و عندما قدم الفقيه ناصح الدين بن الحنبلي الدمشقي(ت634 هـ/1236م) إلى بغداد طلبا للعلم في سنة 572هـ/1176م نزل في هذا الرباط ، فلم يجد فيه بيتا خاليا ، فعمر به بيتا و سكنه[6] .

و الثاني رباط الخلاطية في بغداد ، بناه الخليفة العباسي الناصر لدين الله(ت575-622هـ/1179-1225) للفقيه عبد الوهاب بن عبد القادر الجيلاني(ت593هـ/1196م) ،و فيه سمع المؤرخ عبد الرزاق بن الفوطي الحنبلي(ت 723 هـ/1323م) كتاب الغنية لطالبي الحق لعبد القار الجيلاني، سمعه في سنة 684هـ/1288م على العدل جمال الدين بن الدباب البغدادي الحنبلي(ت685 هـ/1286م)[7] .

---

[1] هي في الأصل كلمة فارسيية تعني دار الصوفية (النعيمي: المصدر السابق ج 2 ص :139 195) ،و قد ذكر الرحالة ابن بطوطة أن أهل مصر يسمون الزوايا خوانق . رحلة ابن بطوطة ج 1 ص :33 .

[2] سيأتي تعريفها فيما يأتي من هذا المبحث .

[3] التي اطلعت عليها .

[4] المنذري: المصدر السابق ج 4 ص : 6 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :64 .و أبو شامة: المصدر السابق ص : 82 .

[5] ابن رجب : نفسه ج 2 ص :64 .

[6] ابن رجب: المصدر السابق ج 2 ص : 64 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :38 .

[7] ابن الفوطي : المصدر السابق ق 3 ج4 ص : 107-108 .

وأما المجموعة الثانية فمنها رباطان ، الأول رباط الشيخ عبد القادر الجيلاني(561 هـ/1165م) بالقرب من مدرسته بباب الأزج في القسم الشرقي من بغداد[1] . وقد سكنه الفقيه سعد بن عثمان بن مرزوق المصري ثم البغدادي)ت 592هـ/ 1195م)[2] .و رباطه في وقتنا الحاضر مدمج مع مدرسته و تربته في بناية واحدة(انظر الصورة رقم : 2) .و الثاني رباط الزاهد علي ابن الخباز البغدادي(ت656 هـ/1258م) بالجانب الشرقي من بغداد ، كان له فيه أصحاب و مريدون ، وقد قتله المغول داخل رباطه في عام 656هـ/1258 م والقوه على بابه ، وقتلوا معه الأديب الشاعر أبا زكريا يحيى بن مندة ى بن يوسف الصرصري البغدادي الحنبلي الضرير المقيم في الرباط[3] .

وأما المجموعة الأخيرة فمنها خمسة أربطة ، أولها رباط الزاهد أبي علي بن مسلم الفارسي (594 هـ/1197م) يقع في قرية الفارسية بضواحي بغداد[4] . والثاني رباط ابن البل بمحلة قطفتا على نهر عيسى بالجانب الغربي من بغداد ، بناه الواعظ أبو المظفر بن علي الدروري المعروف بابن البل (ت611 هـ/1214م)[5] .و الثالث رباط القاضي أبي المعالي احمد بن يحي الأواني (ت630 هـ/1232م) بقرية أوانا بضواحي مدينة بغداد[6] . والرابع رباط دير الحنابلة بسفح جبل قاسين بصالحية دمشق ، ويبدو أنه كان ما يزال قائما زمن المؤرخ ابن طولون الصالحي المتوفى في سنة 953 هـ/1546م[7] .و آخرها رباط الفقيه أبي المعالي وجيه الدين بن المنجا الدمشقي(ت701 هـ/1301م) بناه في بيت المقدس[8] .

ثانيا: الزوايا

كانت للحنابلة زوايا جماعية يسكنها الشيخ و مريدوه ، فيها نشاطات متنوعة ؛و لهم زوايا فردية ينقطع فيها الزهاد للعبادات . فبالنسبة للجماعية فمنها زاوية الفقيه أبي محمد طلحة بن غانم

---

[1] الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 20 ص : 450 .

[2] الذهبي : تاريخ الإسلام ج: 591-600 هـ/ص : 91 .

[3] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :263 .و ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ج 5 ص :260 280 286 .

[4] ابن رجب : نفس المصدر ج 1 ص :396 .و نفس المصدر ج 4 ص :316 . الذهبي : تاريخ الإسلام ج: 591-600هـ/ ص :159 .

[5] ابو شامة: ذيل الروضتين ص : 88 .و ابن رجب:نفس المصدر ج 2 ص :76 .و حسين أمين: تاريخ العراق في العصر السلجوقي ص:389 .

[6] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :199 .

[7] ابن طولون : القلائد الجوهرية ج 1 ص :256 .

[8] الصفدي: المصدر السابق ج 4 ص :91 .و النعيمي : المصدر السابق ج 1 ص :17 .

العلثي(ت593 هـ/1196م) بناها بقرية العلث بالقرب من بغداد ، تفرغ فيها للعبادة و التعليم ،و كان له فيها مريدون كثيرون[1] .

ومنها أربع زوايا يبدو أنها جمعت بين العلم و العبادات ، لأن شيوخها من أهل العلم و لهم فيها مريدون ، مما يفرض عليهم الاشتغال بالعلم الشرعي الضروري على الأقل . أولها الزاوية الجاكيرية ، نسبة للفقيه جاكير بن دشم الكردي(ت 590 هـ/1193م) بناها بقرية رذان جنوب مدينة سامراء بالعراق ، وكان له فيها أصحاب و أتباع ، و بعد وفاته خلفه فيها أخوه احمد[2] ؛ و كانت أثارها ما تزال قائمة واضحة المعالم في عام 1371هـ/1951م[3] . والثانية زاوية الفقيه عمر بن الفراس البغدادي(ت 608 هـ/1211م) أنشأها بجانب مسجد بالقسم الغربي من بغداد و انقطع فيها ، ثم انضمت إليه جماعة من أصحابه و مريديه ، و أصبح الناس يقصدونه بالفتوح و النذور ،و يتوبون على يده ،و يلبسهم خرقة التصوف[4].و الثالثة زاوية الصوفي أبي القاسم بن يوسف الحواري (ت 663 هـ/1264م) ببلدة حوارى بالشام ،له فيها اتباع كثيرون لا يعقدون سماعات بالدف؛ خلفه فيها بعد وفاته الفقيه عبد الله[5] .و آخرها زاوية الفقيه عبد الحافظ بن بدران النابلسي(ت698 هـ/1298م) بناها بطور عسكر من عمل نابلس[6] .

و منها زاويتان سكتت المصادر عن نشاطها العلمي ، أولهما زاوية الزاهد أبي بكر عبد الغني بن شجاع البغدادي المعروف بابن نقطة(ت597 هـ/1200م) كان يأوي إليها مع طائفة من الصوفية[7] .و والثانية الزاوية العمادية ، بناها العماد احمد بن العماد بن سرور المقدسي الصالحي(ت 688 هـ/1289م)، عند كهف جبريل بسفح قاسيون بمدينة دمشق ؛و له فيها مريدون أكلة بطالون[8] .

---

[1] المنذري : المصرالسابق ج 2 ص :108-109 .و الذهبي : المختصر المحتاج ص :205 .و ابن رجب: المصدر السابق ج 1 ص :391 .

[2] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص :350 .

[3] ابن الفوطي : المصدر السابق ق 2 ج4 ص : 575 774 ،و 1152 1153 .و العماد الحنبلي: نفس المصدر ج4:ص:350 .

[4] ابن النجار : ذيل تاريخ بغداد ج 20 ص :124 .

[5] اليونيني : المصدر السابق ج2 ص :336 .و ابن كثير : البداية ج 13 ص :246 .و ابن رجب: المصدر السابق ج 2 ص :277 .

[6] الذهبي : معجم شيوخ الذهبي ص :278 .و ابن رجب : المصدر السابق ج2 ص :341 .

[7] ابن كثير : المصدر السابق ج13 ص 31 .

[8] الصفدي: نكت الهميان ص : 92 .و النعيمي: المصدر السابق ج 2 ص :205 .و ابن طولون : المصدر السابق ج 1 ص :196 .و ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ج 5 ص :403 .

وأما الزوايا الفردية فمنها ثلاث ، أولها زاوية أبي الفرج بن حمدي البغدادي (ت563 هـ/1167م) ، أقامها داخل مسجد له بسوق الثلاثاء بالجانب الشرقي من بغداد ،وانقطع فيها للعبادة و الصلاة بالناس[1] .والثانية زاوية أبي الثناء محمد بن هبة الله الزيتوني البغدادي(ت573 هـ/1177م)،كانت ملاصقة لمسجد له في بغداد، تفرغ فيها للعبادة ، واتخذ مسجده منبرا للوعظ[2] . والثالثة زاوية الفقيه أبي بكر بن غنيمة الحلاوي البغدادي(ت611 هـ/1214م)، اتخذها بداخل مسجد ببغداد ، عمله فيه الاجتهاد في العبادات ،و إقراء الناس القرآن الكريم مجانا[3] .

و أشير هنا إلى أن لعبد الرحمن بن الجوزي ، انتقادات لاذعة للعباد و الصوفية في اتخاذهم الزوايا و الأربطة سكنا لهم ،و في طريقة عيشهم فيها ، فمن ذلك أنه أنكر عليهم ابتداع بناء الأربطة و الانفراد فيها وترك المساجد التي هي بنيان الإسلام لا الأربطة ، فهم بذلك قد نافسوها و قللوا جمعها ،و تشبهوا بالنصارى في أديرتهم ، وتميزوا عن الناس بأنهم زهاد ،مما أوجب زيارتهم و التبرك بهم ، هذا إن صح قصدهم في تأسيسها ،وأما إن كان غير صحيح فإنهم قد بنوا دكاكين للنرد[4] ،و مناخا للبطالة ،و أعلاما لإظهار الزهد[5] .

و أخذ عليهم أن جمهورهم جلوس على بساط الجهل و الكسل ،و اقتنعوا بأداء الفرائض و ارتداء المرقعات ، ثم يدعي أحدهم المحبة و القرب ؛ حتى أن رجلا قرأ القرآن في رباط لهم فمنعوه ،وأن قوما قرؤوا الحديث في رباط أخر فقالوا لهم : ليس هذا موضعه[6].و ذكر أن غالبيهم في زمانه قد تركوا الكسب و استراحوا من كد المعاش ، متشاغلين بالأكل و الشرب و الرقص ، يطلبون الدنيا من كل ظالم و لا يتورعون ؛و أكثر أربطتهم بناها لهم الظلمة ،و أوقفوا عليها أموالا خبيثة[7] .و أصبح همهم فيها انتظار دوران المطبخ ،و المغني الذي يدق بدف ذي جلاجل[8] ،و رفيقه بالشبابة[9] .و سعدي و ليلى في الإنشاد ،و المردان في السماع[10] . ثم حث ابن الجوزي على عدم إعانتهم على بطالتهم ،

---

[1] ابن الدبيثي : المصدر السابق ج 1 ص :102 .

[2] ابن الجوزي : المنتظم ج 10 ص : 89 281 .

[3] ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ج 2 ص :77 .وابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :49 .

[4] النرد لعبة فارسية الأصل ، و تعرف كذلك بالطاولة ،و النرد شير . عي بن هادية : المرجع السابق ص :1212 .

[5] ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص : 199 .و صيد الخاطر ص : 362 .

[6] ابن الجوزي : صيد الخاطر ص :362 .و تلبيس إبليس ص :199 .

[7] نفسه المصدر ص : 154 .و نفسه ص : 199 210 .

[8] الجلجل هو الجرس الصغير . علي بن هادية : المرجع السابق ص :256 .

[9] هي الناي ، أو المزمار من القصب . نفس المرجع ص :508 .

[10] ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص :199 210 .و صيد الخاطر ص : 154 .

لأنه لا ثواب في مساعدتهم ، وهم أضر على الإسلام من كل مضر[1] .و حكي أنه زار رباطا ببغداد ليسأل عن شيخه، فقيل له أنه مضى إلى الأمير يهنئه على خلعة قد خلعت عليه ، وكان هذا الأمير من كبار الظلمة[2] .

و في مقابل هذه الانتقادات اللاذعة لغالبية الصوفية ، نجد الرحالة ابن جبير(ت 614هـ/1217م) قد اتخذ منهم موقفا مغايرا تماما لموقف ابن الجوزي- كان معاصرا له- فهو قد زار الصوفية في أربطتهم ، عندما رحل إلى المشرق في سنة 578 هـ/1182م ، فمدحهم و وصف بعض أربطتهم بأنها قصور مزخرفة، يعيشون فيها في رفاهية ، وهم ملوك البلاد لأن الله قد كفاهم ((مؤن الدنيا و فضولها ،و فرغ خواطرهم لعبادته ، من الفكرة في أسباب المعاش ،و اسكنهم في قصور تذكرهم قصور الجنان)) ،و أحوالهم كلها بديعة على طريقة شريفة ،و سنة في المعاشرة عجيبة[3] .

فابن الجوزي ذم الصوفية في أربطتهم لتركهم العلم و التكسب ،و خلودهم إلى الراحة و البطالة ،و الأكل و الرقص ؛و ابن جبير مدحهم مطلقا و برر سلوكاتهم و سلبياتهم ، مما يدل على حبه الشديد لهم ،و أنه لم يكن موضوعيا في موقفه منهم .و لرفع الالتباس عن هذا الموضوع أقول : لم تكن كل أربطة الصوفية و زواياهم على طريقة واحدة ، لكن أكثرها يصدق عليها ما قاله ابن الجوزي . فمن ذلك أن ملك اربل المظفر كوكبوري التركماني(ت630 هـ/1232م) بنى رباطا لمائتي صوفي ، فكانوا يمضون ليلة كل جمعة في الأكل و الرقص[4] .و للصوفي أبي محمد الحريري الدمشقي(ت645 هـ/1247م) زاوية بظاهر مدينة دمشق ، خصصها لعقد سماعات الغناء و الرقص في حضور أتباعه المردان و عامة الناس،و استمر على هذا الحال مدة طويلة إلى أن توفي[5] .

و كان للصوفي شرف الدين بن الرومي الدمشقي(ت684 هـ/1285م) زاوية بسفح جبل قاسيون بمدينة دمشق ، انقطع فيها لعمل السماعات الغنائية ، يحضرها الصوفية و العوام ، فيرقص فيها من أولها إلى آخرها ،و يخلع ملابسه و يلبسها للمغنين ،و يبقى هو بالسروال .و كان له تأثير كبير على الناس فيحملون إليه الأموال الكثيرة ، فيخرجها في حينها[6] . ليضمن استمرار لهوه و تلاعبه بالدين ، وتجميع الناس من حوله .

---

[1] نفسه ص :210 . و نفسه ص : 154 .

[2] ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص :210 .

[3] ابن جبير : رحلة ابن جبير ص :256 .

[4] القزويني : المصدر السابق ص :290 .

[5] ابن كثير : المصدر السابق ج مج 7 ص :205 ط د المعرفة . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :231 .

[6] الصفدي : الوافي بالوفيات ج 4 ص :86 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :385 .

و أما الصوفي العماد بن احمد بن سرور المقدسي ثم الصالحي(ت688 هـ/1289م) فقد كانت له زاوية بصالحية دمشق له فيها اتباع شغلهم الأكل و البطالة ، ويقال أنه كان يتعاطى الحشيش المخدر ويحث على تناوله[1] .و وصف الرحالة ابن جبير بعض أربطة الصوفية و خوانقهم بدمشق ،بأنها تشبه القصور و في غاية الأبهة و الزخرفة ،و فيها بساتين و مساكن جميلة متعددة الطوابق[2] . وهي في مصر لا يوجد ما يماثلها ، مفروشة بالرخام و مسقوفة بالأخشاب ،و مدهونة و ملمعة بالذهب و مواد أخرى[3] .

ومنها أربطة و زوايا لست على تلك العادات المستهجنة ، فإنها قد جمعت بين العلم و العبادة ، كرباط الفقيه طلحة العلثي ،و أبي الثناء محمود بن النعال-سبق ذكرهما- و رباط المحدث عبد الله بن احمد البزاز المروزي)ت539 هـ/1144م) بناه لأهل الحديث من خاصة ماله،و جعل فيه خزائن كتب بالمصنفات[4]. ومنها أربطة كانت فيها مكتبات عامرة بنفائس الكتب ، كرباط الحريم الطاهري ببغداد ،و رباط الكاتب عز الدين بن النيار البغدادي(ت656 هـ/1258م)[5] . و منها ما خصص للنساء الزاهدات ،و بعضها اتخذ كملاجئ للعجائز و الأرامل ، و حول بعضها إلى ما يشبه الفنادق و محطات التموين[6] .

و يستنتج مما تقدم ذكره عن زوايا الحنابلة و أربطتهم بالمشرق الإسلامي-خلال القرنين6-7هـ/12-13م-، أن منها تسعة عشر تعرفت عليها -كما هو مبين في الجدول رقم: 18ص: - ،و أنها لم تكن على طريقة واحدة في سلوكياتها ،فمنها من ضعف نشاطها العلمي وغلبت عليها البطالة و الماكل و السماعات ؛و منها من جمع بين العلم و العبادة و كان اشتغالها بالعلم بارزا مكثفا ، مع خلوها من مضاهر السلبية و اللهو .و أن انتقادات ابن الجوزي اللاذعة للصوفية في أربطتهم ، تصدق على غالبتهم ولا تصدق عليهم جميعا .و أن أربطة الحنابلة و زواياهم قد ساهمت في نشر العلم ،و

---

[1] الصفدي : نكت الهميان ص : 92 .و ابن طولون : المصدر السابق ج 1 ص :196 .و النعيمي: المصدر السابق ج 2 ص : 205:

[2] ابن جبير: رحلة ابن جبير ص : 257 .

[3] السيوطي : حسن المحاضرة ج 2 ص :333 .

[4] ابن الجوزي: المنتظم ج 10 ص :113 .

[5] ابن الأثير : المصر السابق ج 9 ص :229 .و ابن الفوطي : المصدر السابق ق 1 ج4 ص :133 .

[6] ابن الجوزي : المصدر السابق ج 10 ص :8 54 .و ابن طولون: المصدر السابق ج1 ص :256 257 .و ياقوت الحموي: معجم البلدان ج5 ص :45 .و ابن كثير : البداية والتهاية ج 12 ص :198 .و النعيمي : المصددر السابق ج 2 ص :193 .

دعم الحركة العلمية الحنبلية ، مع القيام بوظيفتها الأساسية في تمكين الزهاد من التفرغ للعبادات ، فهي كالمشاهد و الترب ليس العلم مهمتها الرئيسية لكنها لم تخل منه .

ثالثا : الترب و المشاهد

كان يقصد بالتربة– في المعنى الشائع– المقبرة التي يدفن فيهيا عامة الناس ، ثم أصبح لها معنى خاصا راج استعماله في القرن السابع الهجري/13م و ما بعده ، يطلق على البناء الذي يقام على قبور الأكابر و الأعيان و العلماء ،و هو في العادة قبة كبيرة بداخلها ضريح و لها أوقاف و مرافق متعددة[1] (انظر الصورة رقم: 09) .و الهدف منها–على ما يبدو– تخليد الذكر و طاب الأجر ، لأن أوقافها و مرافقها تعتبر صدق جارية ، وفي كثير منها مساجد ومكتبات ،و و مكاتب لتعليم الأطفال ،و حلق العلم[2] .

جدول لأشهر أربطة و زوايا الحنابلة في المشرق الإسلامي[3]

(ق :6–7هـ/12–13م)

نوع المؤسسة	الزاوية	البلد	المجموع
الأربطة	رباط محمود النعّال	بغداد	09
=	رباط الخلاطية ورباط أبي علي الفارسي[4]	=	
=	رباط ع القادر الجيلاني	=	
=	رباط ابن أبي العز الخباز	=	
=	رباط ابن البل الدوري	=	

[1] ابن طولون : المصدر السابق ج 2 ص :447 451 489 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص :436 .و السخاوي الحنفي: ص :309 .و ابن كثير : المصدر السابق ج 123 ص : 296 347 .و ابن بدران الدمشقي: المرجع السابق ص: 317 .

[2] ابن الساعي : نساء الخلفاء حققه مصطفى جواد ، القاهرة دار المعارف ، د ت ،ص :116 117 .و النعيمي: المصدر السابق ج 2 ص :232 233 274 277 292 .

[3] المصادر سبق ذكرها في المتن .

[4] يوجد رباطان في هذه الخانة .

=	رباط أبي علي الفارسي	=	
=	رباط دير الحنابلة	دمشق	
=	رباط احمد الأواني	بغداد	
=	رباط الوجيه بن المنجّا	بيت المقدس	
الزوايا	زاوية طلحة العلثي	بغداد	10
=	الزاوية الجاكيرية	سامراء	
=	زاوية ابن مسعود الفراس	بغداد	
=	زاوية أبي القاسم الحواري	الشام	
=	زاوية ابن نقطة	بغداد	
=	الزاوية العمادية و الزاوية البدرانية[1]	دمشق ، نابلس	
=	زاوية ابن حمدي	بغداد	
=	زاوية محمد اليونيني	بعلبك	
=	زاوية ابن الحلاوي	بغداد	المجموع: 19

(الجدول رقم :18)

[1] توجد زاويتان في هذه الخانة .



-الصورة رقم: ٩-

نموذج للتربة - تربة معروف الكرخي (ت ٢٠٠هـ/٨١٥م) في بغداد .

(١) بشير فرنسيس: المرجع السابق - ص: اللوح رقم: ٤ .

-٢٧٢-

و من أشهر الترب في المشرق الإسلامي ، تربة الإمام أبي حنيفة ببغداد–فيها مدرسة– ،و تربة الإمام الشافعي بمصر–فيها مدرسة– ،و مشهد الحسين بالقاهرة و فيه مدرسة للشافعية[1] ، و التربة البهنسية بدمشق بناها الوزير المجد البهنسي(ت628 هـ/1230م) ،و وقف فيها كتبا و أجرى عليها أوقافا[2] ،و التربة الأفريدونية بدمشق أنشأها التاجر أفريدون العجمي(ت749 هـ/1348م) ،و جعل فيها دارا للقران و أوقافا[3] ،و تربة سلجوقي خاتون(ت584 هـ/1188م)–زوجة الخليفة الناصر لدين الله– بالجانب الغربي من بغداد ،و قفت فيها خزانة كتب نفيسة ،و جعلت فيها الإعارة الخارجية بالرهن[4] .

و أما بالنسبة للحنابلة فلم أعثر لهم على أي مشهد[5] ، و لم يكن لهم من الترب إلا القليل ، أولها تربة الإمام احمد بن حنبل ببغداد ، وهي بناء أقيم على قبره في النصف الثاني من القرن السادس الهجري/12م وكتب عليه اسمي الخليفة المستضئ و احمد بن حنبل[6] ؛ثم اقيمت عليه قبة تهدمت مرارا لم تكن قائمة عندما زار ابن بطوطة بغداد في سنة 727هـ/1326م[7] . ثم بنيت عليه تربة بداخلها دهليز قبل عام 749هـ/1348م[8] ؛و يبدو أنها لم تكن بناية كبيرة ذات مرافق و أوقاف ، ولم تتحول إلى مدرسة[9] كما حال تربتي الإمامين أبي حنيفة و الشافعي .

و الثانية هي قبة بناها الوزير عبد الله بن يونس البغدادي الحنبلي(ت593 هـ/1196م) على قبر والده ببغداد[10] ؛ لكنني لم أعثر لها على أية أخبار أخرى فيما يخص سنة بنائها و مرافقها و أوقافها .

---

[1] ابن كثير : المصدر السابق ج 12ص :296 297 و ج 13 ص :24 65 .و السيوطي : المصر السابق ج 1 ص :309 389 .و المنذري : المصدلر السابق ج 3 ص : 255 .و George Makdisi L islam hanbalisant Tom 2 P 23

[2] ابن كثير : نفس المصدر ج 13 ص :150 .و ابن طولون : المصدر السابق ج 1 ص :214 .

[3] النعيمي : المرجع السابق ج 2 ص :223 .و ابن بدران الدمشقي : المرجع السابق ص :319 .

[4] ابن الساعي : المصدر السابق ص : 116 117 .

[5] المشاهد هي مساجد و بنايات تقام على قبور الأنبياء ،و العظماء ، و الصالحين ، قصد التبرك بها و التعظيم لها . وهي من البدع المحدثة في الإسلام ،و هي طريق إلى الشرك و الانحراف ،و وقد نهت الشريعة عن اتخاذ القبور مساجد .و يعتبر الشيعة أكثر الطوائف تعظيما للمشاهد و هجرا للمساجد .و ابن تيمية : التفسير الكبير ج 7 ص :555 558 .و ابن كثير : المصدر السابق ج 12 ص : 296 3 47 .و ابن قيم الجوزية : إغاثة اللهفان ج1 ص : 153 .و ابن جبير : المصدر السابق ص :13 و ما بعدها .

[6] ابن الجوزي : المصدر السابق ج 10 ص : 283-284 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :408 .

[7] ابن بطوطة : المصدر السابق ج 1 ص :238 .

[8] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 6 ص :130 ط د الأفاق .

[9] لأنه لا يعرف أن للحنابلة مدرسة على قبر إمامهم .

[10] ابن شاهنشاه : مضمار الحقائق ص : 170 172 .

والثالثة تربة الفقيه محي الدين يوسف بن عبد الرحمن بن الجوزي (ت656 هـ/1258م) بناها لنفسه في محلة الحربية بالجانب الغربي من بغداد[1].و لا يعرف ماذا أوقف عليها ، ولم يدفن فيها–على مايبدو– لأن المغول قتلوه يوم دخلوا بغداد و خربوها في عام 656هـ/1258م[2] . وللحنابلة تربة مشتركة بينهم وبين الشافعية ،و المالكية ،و الحنفية ، فيها مدرسة تعرف بالقبة المنصورية ، بناها السلطان المملوكي المنصور سيف الدين قلاوون .689 هـ/1290م) ، عند مدخل المارستان المنصوري الكبير بالقاهرة[3].و وقفها على المذاهب الأربعة وجعل فيها مكتبة عامرة بالمصنفات ؛و هي قبة جميلة مزخرفة بالفسيفساء ،و الخشب المذهب ، تحملها أربعة أعمدة أسطوانية طويلة،و جدرانها مكسوة بالرخام ،و تحتها قبر واقفها[4] .و لم أعثر على أي عالم حنبلي درس فيها للحنابلة .

ويتبين مما تقدم ذكره أنه لم يكن للحنابلة من الترب المشهورة –خلال القرنين/6-7هـ/12-13م– إلا القليل النادر ،ذكرت منها ثلاثا لا يعرف فيها اشتغال بالعلم ،و الرابعة ليست تربتهم وإن كان لهم فيها نصيب في مدرستها . فما هي أسباب قلتها عندهم ؟ هي ثلاثة أسباب رئيسية ، أولها نفور معظم علماء الحنابلة من البناء على القبور ، لأن الشرع الحكيم نهى عن اتخاذ القبور مساجد[5] .و الثاني أن البناء على القبور بدعة لم يفعلها السلف الصالح،و طريق إلى الشرك[6] . و الثالث أن كل الترب– تقريبا– بناها الملوك و الأمراء و الأثرياء[7] ،و ليس في الحنابلة ملوك ،و الغالبية الساحقة من الأمراء ليسوا على مذهبهم ،و أثرياؤهم قليل بالمقارنة إلى أثرياء الشافعية و الحنفية مثلا[8] .

و ختاما لفصل مؤسسات العلم الحنبلية بالمشرق الإسلامي، أمثل معطياتها في جدول(رقم:19 ص:) و رسم بياني(رقم: 15 ص:) ومنهما يتبين أن مجموعها أكثر من مائة وثلاث و ثمانين مؤسسة ، من بينها اثنان و تسعون مسجدا ، بنسبة قدره 197،49 % ،و أن أكثرها اشتغالا بالعلم هي التي ببغداد و دمشق .و ومن بينها اثنان وخمسون مدرسة ،بنسبة مئوية قدرها 807،27 % ،

---

[1] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :259 .

[2] نفس المصدر ج 2 ص :260 .

[3] ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص :317 .و ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ج 5 ص :410 .و احمد بدوي: المرجع السابق ص :51 .و ناجي معروف : المرجع السابق ج 1 ص :39 .

[4] احمد بدوي: المرجع السابق ص :51 .و ناجي معروف: المجع السابق ج 1 ص :39 .

[5] ابن تيمية: المصدر السابق ج 7 ص :558 .و ابن قيم الجوزية : المصدر السابق ج 1 ص :53 .

[6] ابن تيمية : نفسه ج 7 ص :558 .

[7] انظر النعيمي : المصدر السابق ج 2 ص :242 243 245 246 2560 251 .

[8] تبين لي ذلك من خلال المصادر التي اطلعت عليها ، لذلك كان خصوم الحنابلة يعيرونهم بقلة الناصب و المال .

منها ثماني عشر ببغداد[1] ،و ثلاث عشرة بدمشق ،و خمس أنشأتها خمس نساء–سبق ذكرهن– .و للحنابلة كذلك عشرون مكتبة مثلت 695،10 % ، و هو عدد قليل جدا بالنسبة إلى مجموع مكتباتهم الموقوفة في مساجدهم ،و مدارسهم، و أربطتهم ،و زواياهم .و لهم تسعة عشر رباطا و زاوية بنسبة قدرها 160،10 % ، من إجمالي مؤسساتهم العلمية ، قد تبين–سابقا– أنها لم تكن على طريقة واحدة في سلوكياتها ،و درجة اشتغالها بالعلم ،فمنها طائفة مالت إلى الراحة و البطالة ،و أخرى اهتمت بالعبادات ،و طائفة ثالثة جمعت بين العلم و العبادة ،و كان نشاطه العلمي بارزا كرباط أبي الثناء محمود ،و طلحة العلثي . وهذه المؤسسات كلها قد ساهمت بدور كبير في خدمة المذهب الحنبلي ، و تنشيط الحركة العلمية الحنبلية و توسيع مجالها و تأثيرها ، بفضل جهود مدرسيها الذين تولوا زمامها ،و تفاعلوا مع قضاياها الفكرية .

[1] بما فيها المدارس المشتركة و هي ثلاث مدارس .

جدول تقريبي لمجموع مؤسسات العلم الحنبلية في المشرق الإسلامي[1]

(ق :6-7هـ/12-13م)

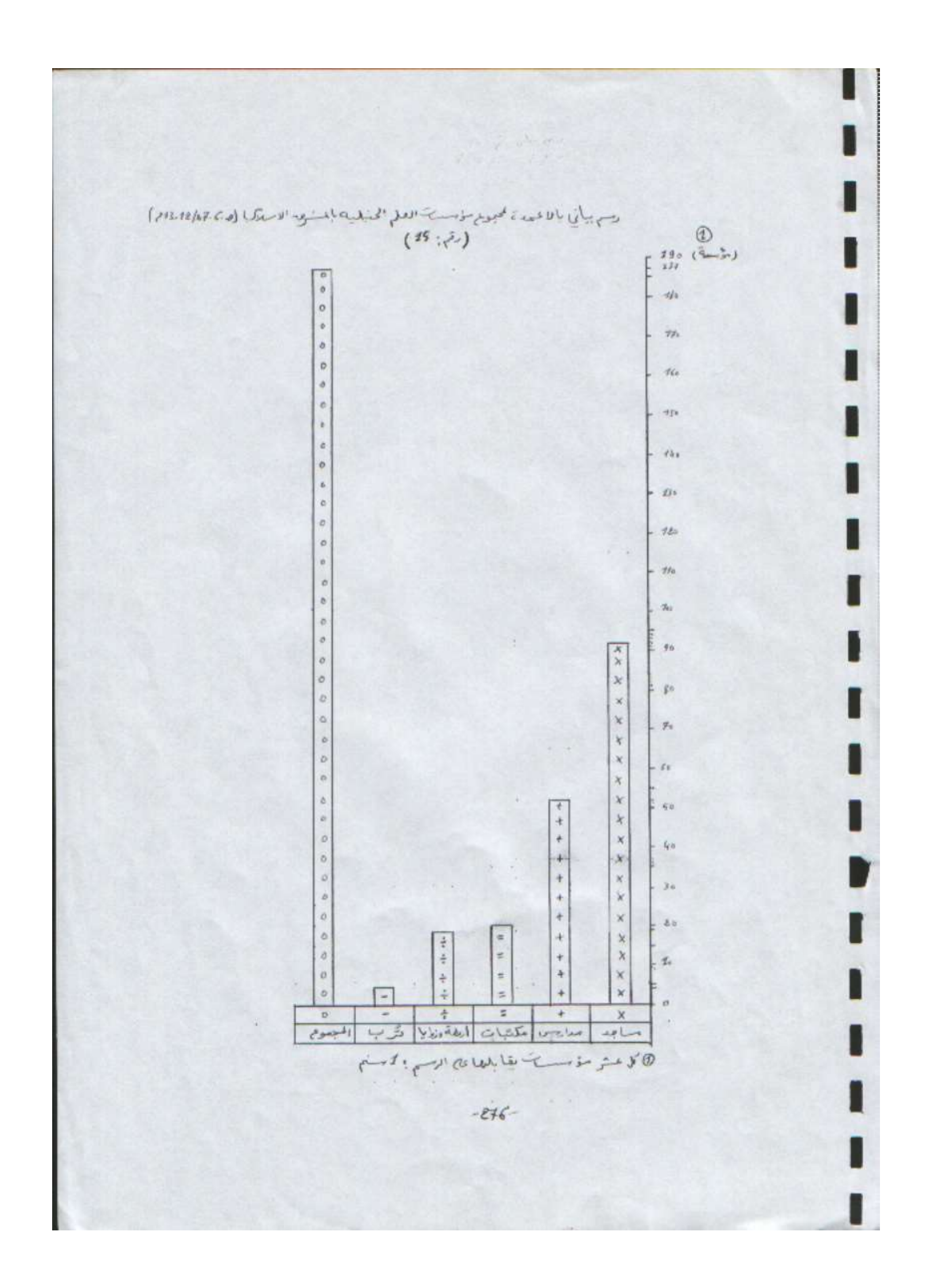
الرمز	نوع المؤسسة	العدد	**النسبة المئوية**
×	مساجد	92	49,197
+	مدارس	خاصة: 36	
+	=	مشتركة: 11	[2]27,807
+	=	بيتية : 05	
=	مكتبات	20	10,695
÷	أربطة و زوايا	19	10,160
.	تَرب	04	10,160
المجموع	-	187 مؤسسة	02,139

(الجدول رقم :19)

---

[1] المصادر سبق ذكرها في المتن .

[2] يمثل هذا الرقم المدارس كلها (الخاصة،و المشترة،و البيتية) .


رسم بياني بالأعمدة لمجموع مؤسسات العلم الحنبلية بالمشرق الإسلامي (ق 4-7هـ/10-13م)
(رقم: 15)
(1) (مؤسسة)
مساجد
مدارس
مكتبات
أربطة وزوايا
ترب
المجموع
(1) كل عشر مؤسسات يقابلها على الرسم: 1سم
-276-

الفصل الثالث

مواقف علماء الحنابلة من القضايا الفكرية في المشرق الإسلامي

خلال القرنين:6-7هـ/12-13م

المبحث الأول: قضايا في علم الكلام وأصول الدين

المبحث الثاني : قضية الاجتهاد و التقليد المذهبي

المبحث الثالث : قضايا في الفقه وعلم الحديث

شارك علماء الحنابلة في القضايا الفكرية و المذهبية التي شغلت أهل العلم في المشرق الإسلامي خلال القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13/ . فكانت لهم منها مواقف مذهبية ميزتهم عن مواقف غيرهم من علماء الطوائف الأخرى . فماهي تلك المواقف ؟ ،و ما هي المنطلقات الفكرية التي احتكموا إليها ؟ . ذلك و غيره سنذكره فيما يأتي بحول الله تعالى .

المبحث الأول : قضايا في علم الكلام وأصول الدين

اشتد النزاع الفكري بين علماء المسلمين في مسائل كلامية و أصولية كثيرة ، في وقت شهد فيه المشرق الإسلامي حروبا متواصلة ومتعددة الجبهات –خلال القرنين:6-7هـ/12-13م– بين ملوك المسلين فيما بينهم ،و بينهم وبين الصليبيين ،و بينهم وبين المغول[1] ، فلم تصرفهم هذه الظروف المضطربة عن خلافاتهم الفكرية و المذهبية التي ظلت قائمة على أشدها، أثيرت خلالها قضايا فكرية كلامية عديدة ، كان للحنابلة فيها مواقف متميزة .

أولا: قضية دراسة علم الكلام

تباينت مواقف العلماء من الاشتغال بعلم الكلام[2] تباينا وواضحا ، فمنهم من ذمه و نفر منه ،ومنهم مارسه و مدحه منذ زمن الأئمة الأربعة–القرن:2-3هـ/8-9م–،و ظل الخلاف قائما إلى القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م وما بعدهما .فبالنسبة لمواقف علماء الحنابلة فمنهم المتكلم أبو الوفاء بن عقيل البغدادي (ت513 هـ/1119م) درس علم الكلام و توسع فيه حتى أتقنه ، ثم غير موقفه منه وانقلب عليه ذما و تنفيرا، لأنه انتهى بأربابه إلى الشكوك ،و اخرج كثيرا منهم إلى الإلحاد ، عندما لم يقتنعوا بما قنعت به الشرائع ؛و أشار إلى أن العقل ليس في مقدوره ادراك ما عند الله–عز و جل– من الحكمة التي افرد بها[3] .

ومنهم أربعة متكلمون بغداديون ، توسعوا في دراسة علم الكلام وظهر عليهم تأثيره السيئ فيهم ، فذمهم لأجل ذلك كثير من العلماء و هم : أبو الحسن بن الزاغوني (ت527 هـ/1132م) ،و

[1] انظر ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 6 ص :420 440 452 و ج7 ص :467 502 705 775 ط د .

[2] هو علم يقتدر به على إثبات الحقائق الدينية بإيراد الحجج عليها ،و الشبه عنها .و موضوعه مسائل العقيدة (طاش كبرى زاده : المرجع السابق ج 2 ص : 132 . أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين ج 1 ص :39 .

[3] ابن تيمية: درء تعارض العقل و النقل ج 4 ص :128 .و ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص :98 .

صدقة بن الحسين الحداد (ت573 هـ/1177م)،و فخر الدين إسماعيل غلام بن المني(ت610 هـ/1213م) ،و عبد الرزاق بن الفوطي (ت 723هـ/ 1323م)[1] .

ومنهم طائفة رفضت علم الكلام ، أولها الشيخ عبد القادر الجيلاني(ت561 هـ/1165م) ،ذمه و نفر منه ،و حذر من دراسته[2] .و الثاني عبد الرحمن بن الجوزي ذكر أن علم الكلام أوصل أكثر المتكلمين إلى الشكوك ،و انتهى ببعضهم إلى الإلحاد ؛و أشار إلى أن الفقهاء المتقدمين لم يسكتوا عنه عجزا ،و إنما سكتوا عنه لأنه لا يشفي عليلا و لا يروي غليلا، فأمسكوا عنه و نهوا عن الخوض فيه[3] .و الثالث الفقيه الموفق بن قدامة المقدسي ذكر أن أهل العلم اتفقوا على ذم علم الكلام ،و وصف المتكلمين بأنهم من أجهل الناس بالأثار ،و أقلهم علما بالأخبار، و أتركهم للنقل ولا علم لهم به ، وليس لهم إلا الكذب و زور الكلام[4] .و هم في اعتقاده من شر الخلق و أصحاب بدع و ضلالة و ليسوا من أهل العلم ، ولا دين لهم و لا دنيا ،من اشتغل بكلامهم تزندق ولم يفلح ؛ فعلى طالب العلم أن يبتعد عن كلامهم و يقبل على دراسة الفقه و الفرائض ،و الجبر و المساحة[5] .

و الرابع الفقيه نجم الدين بن حمدان الحراني ثم المصري(ت695 هـ/1295م) لم يجز الاشتغال بعلم الكلام إلا إذا تكلم فيه بالنقل فقط، أو به و بالعقل الموافق له ،و هذا المسلك–في رأيه– هو طريق أهل السنة[6] .و الخامس الفقيه تقي الدين بن تيمية الحراني ثم الدمشقي ، حذر من علم الكلام و أصحابه ، وأشار إلى أن أصل انحرافهم تعظيم النظر العقلي ،و إعراضهم عن أعمال القلوب من جهة ،و عدم التزامهم بالمنهج الشرعي في طريقتهم العقلية من جهة أخرى[7]. و نبه إلى ضرورة التفريق بين الكلام الحق الموافق للكتاب و السنة ،و بين الكلام الباطل المخالف لهما و للعقل أيضا[8] .

و يرى الحافظ بن رجب البغدادي الحنبلي (ت795 هـ/1392م) أن امتناع السلف الأول من الخوض في الجدال و علم الكلام، لم يكن جهلا و لا قصورا منهم ،و إنما كان ورعا و خشية ،و

---

[1] ياقوت الحموي: معجم الأدباء ج 4 ص :1447 .و الذهبي : تاريخ الإسلام ج:521-540هـ/ص :156 .و ميزان الاعتدال ج3 ص :144 .و سير أعلام النبلاء ج 22 ص :29 ،و الجزء المفقود ص :471 .و العبر ج 3 ص :138 .و المختصر المحتاج إليه ص :138 201 .و ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ج 5 ص : 41 و ج 6 ص :60 .

[2] الذهبي: سير أعلام النبلاء ج 20 ص :484 .

[3] ابن الجوزي: تلبيس إبليس ص :96 .

[4] الموفق بن قدامة المقدسي : تحريم النظر في كتب أهل الكلام ص : 10 54 .

[5] نفس المصدر ص :10 50 54 64 65 .

[6] ابن مفلح: الآداب الشرعية و المنح المرعية ج 1 ص :235 .

[7] ابن تيمية : التفسير الكبير ج 1 ص : 204 .

[8] ابن تيمية : الفرقان بين الحق والباطل حققه حسين يوسف الغزال ، الجزائر ، مكتبة النهضة الجزائرية د ت ص : 171 .

اشتغالا بما ينفع عما لا ينفع [1].و أما المتأخرون فإن الكثير منهم قد فتنوا بالكلام و الخصام في الدين ،و ظنوا أنهم أعلم ممن ليس على طريقهم ، وهذا جهل محض منهم ، فليس العلم بكثرة الرواية و المقال ،و إنما هو نور يقذف في القلب يعرف به العبد الحق و يميزه عن الباطل ، ويعبر عنه بوجيز الألفاظ المحصلة للمقاصد ، على طريقة النبي –عليه الصلاة و السلام– الذي أتي جوامع الكلم ،و اختصر له الكلام اختصارا[2] .

و أما عن مواقف علماء السلف من الاشتغال بعلم الكلام ، فقد تظافرت عنهم الروايات بأنهم ذموا علم الكلام و أهله[3] ، لكنهم لم ((يذموا جنس الكلام ، فإن كل أدمي يتكلم ، ولا ذموا الاستدلال ،و النظر ، و الجدال أمر الله به و رسوله ، و الاستدلال بما بينه الله و رسوله ، بل ولا ذموا كلاما هو حق ، بل ذموا الكلام الباطل ، وهو المخالف للكتاب و السنة ،و هو المخالف للعقل أيضا و هو الباطل))[4] . وقد روي عن الإمام الشافعي أنه قال: ((ما ارتدى أحد بالكلام فأفلح)) و ((حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد ،و يطاف بهم في العشائر و القبائل ،و يقال هذا جزاء من ترك الكتاب و السنة ،و أخذ في الكلام))[5] .

و روي عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال: ((لا يفلح صاحب كلام أبدا ، علماء الكلام زنادقة))[6] ،ولم يكن يرى الخوض مع المتكلمين في دقائق مسائلهم و لو للرد عليهم[7] .و لكنه غير موقفه هذا ، و أصبح يقول : ((كنا نسكت عن الكلام حتى دفعنا إلى الكلام فتكلمنا)) ،و فضل الذي يتكلم في أهل البدع ، عن الملتزم بالعبادات الساكت عن هؤلاء[8] . و صنف كتابه : الرد على الجهمية و الزنادقة ، ردا على المتكلمين ، احتج فيه بدلائل المنقول و المعقول ،و تضمن مناقشات

---

[1] ابن رجب : بيان فضل علم السلف على علم الخلف حققه محمد بن ناصر العجمي دار الاستقامة ، د م ، د ت ، ص :161 .

[2] ابن رجب : المصدر السابق ص :144 .

[3] للإطلاع على ما قاله علماء السلف كالأئمة الأربعة ، انظر : ابن أبي العز الحنفي: شرح العقيدة الطحاوية ، ط 9 بيروت المكتب الإسلامي د ت، ص :75 204 .و حسن صديق خان : قطف الثمر في عقيدة أهل الأثر ، حققه عاصم القريوتي ، الجزائر دار الإمام مالك ط2 ، 1414 هـ ص :46 و ما بعدها .و الموفق بن قدامة المقدسي: المصدر السابق ص :17 .

[4] ابن تيمية: الفرقان ص : 171 .و التفسير الكبير ج 1 ص : 257 .

[5] الموفق بن قدامة: المصدر السابق ص :17 .

[6] نفسه ص :167 .و ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص :96 .

[7] ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ج 2 ص "139 .

[8] ابن مفلح : المصدر السابق ج 1 ص : 11 235 236 .

كثيرة[1] ، أظهر فيها اطلاعا واسعا على مقالات عصره ، وتمكنا من الطريقة الجدلية في العرض و المناقشة .و مع ذلك فإن المشهور عنه منع الخوض في علم الكلام مطلقا ،و هو ما رواه عنه إمام الحرمين أبي المعالي الجويني الشافعي(ت478 هـ/1085م) قي كتابه البرهان، من أن مذهب احمد ينهي عن ملابسة النظر العقلي و الاشتغال به[2] .و هذا القول أنكره علماء الحنابلة ، حتى أن الأديب أبا البقاء العكبري البغدادي الحنبلي(ت 616 هـ/1219م) عندما سمع ذلك القول قال: ((هذا نقل ليس بصحيح عن مذهب الإمام احمد))[3] .و يرى ابن تيمية أن احمد بن حنبل لم ينه عن نظر في دليل عقلي صحيح يفضي إلى المطلوب ،و أن في كلامه من الأدلة النقلية و العقلية مالا يوجد في أقوال سائر الأئمة ، لأنه ابتلي بمخالفي السنة ، فاحتاج إليها للرد عليهم[4] .

فيتبين من ذلك أن الإمام احمد لم يستحسن الخوض في علم الكلام ، ولم يدع إليه ، لكنه غبر نظرته في منع الاشتغال به ،و سمح به للمصلحة عندما اضطرته الضرورة إلى ممارسته و التأليف فيه ،و فرق بين من المتكلمين المتخصصين في الكلام وبين من يدرسه للرد عليهم ، الأمر الذي يثبت خطأ الحكم العام الذي أطلقه الباحث جولد تزهير عندما قرر أن المدرسة السلفية رفضت علم الكلام مطلقا سواء أدى إلى نتائج سلفية أو بدعية[5] . كما أن علماء الحنابلة الذين حرموا الاشتغال به تمسكوا بأخبار منسوخة تراجع عنها إمامهم احمد بن حنبل ، و يبدو أن الفقيه الموفقبن قدامة قد تنبه لذلك ، الأمر الذي دفعه إلى تصنيف كتب في علم الكلام ردا على الأشاعرة و المعتزلة، رغم تشدده في موقفه من علم الكلام و أهله[6].

و أشير في هذا المقام إلى أن كبار أئمة الأشاعرة الذين استحسنوا علم الكلام و بالغوا في الخوض فيه ،كإمام الحرمين الجويني ،و حجة الإسلام أبي حامد الغزالي(ت505 هـ/1111م) ،و الفخر الرازي (ت606 هـ/1209م) ، قد تراجعوا عن مواقفهم منه ،و أعلنوا عن خيبة أملهم فيه في أخريات

---

[1] ابن القيم الجوزية: اجتماع الجيوش الإسلامية ص :95 و ما بعدها .و ابن مفلح : المصدر السابق ج 1 ص :30 .
[2] ابن تيمية : درء تعارض العقل و النقل ج 3 ص :371 .
[3] نفس المصدر ج 3 ص : 372 .
[4] نفسه ج 3 ص : 372 .
[5] جولد تزهير : العقيدة و السريعة في الإسلام ص :144 .
[6] عن ذلك انظر مبحث مصنفات الحنابلة في علم الكلام من الفصل الخامس .

حياتهم[1] .و قد كتب الفخر الرازي في وصيته يقول: ((لقد اختبرت الطرق الكلامية و المناهج الفلسفية ، فما رأيت فائدة تساوي الفائدة التي و جدتها في القرآن العظيم لأنه يسعى في تسليم العظمة و الجلال بالكلية لله تعالى ،و يمنع من التعمق في إيراد المعارضات و المناقضات ، و ما ذاك إلا العلم بأن العقول البشرية تتلاشى و تضمحل في تلك المضائق العميقة،و المناهج الخفية))[2] .

ويتبين مما ذكرناه أن علم الكلام الذي كان منتشرا بين المسلمين، قد ذمه علماء كثيرون و نفروا منه ، لكن طائفة من علماء الحنابلة و الأشاعرة قد درسوه و برعوا فيه و استحسنوه ، ثم ندما على اشتغالهم به بعدما تأكدوا من قصوره ،و أوصلهم إلى الضياع و الشكوك و التوقف ،فانقلبوا عليه و نصروا الطريقة القرانية السنية .و أن علماء السلف ذموا علم الكلام لانحرافه المنهجي عندما قدم الهوى على الشرع ،و اقحم العقل فيما لا يدركه ،و لم يذموا الاستدلال و النظر الشرعيين ،و لا الجدال الحسن الذي مارسه الرسل –عليهم الصلاة و السلام–، لذا فإن علم الكلام كان في حاجة ماسة إلى نوري الوحي و الفطرة لينال بهما الشرعية ،و يستضئ بهما في دراسة قضاياه الغيبية و المرئية .

ثانيا: مسألة معرفة الله–عز و جل–

تعد قضية معرفة الله –عز و جل– من أهم القضايا التي شغلت الإنسان على وجه الأرض ، منذ القديم إلى وقتنا الحاضر[3] .و معرفته–سبحانه وتعالى– على نوعين : الأولى معرفة الإقرار بالخالق ، و هي معرفة يؤمن بها كل البشر–تقريبا– وفيها قال تعالى: ((و لئن سألتهم من خلق السموات و الأرض ليقولن الله))–سورة الزمر/38– .و الثانية معرفة العبودية و الطاعة ،و القرب و التذوق ، لا يظفر بها إلا الأتقياء المخلصون من المسلمين ، لقوله تعالى : ((ومن لم يجعل الله له نور فما له من نور))–سورة النور/ 40 – و ((لكن الله حبب إليكم الإيمان و زينه في قلوبكم))–سورة الحجرات/7 – . وقد شغلت هذه المسألة علماء المسلمين في القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م ، فتناولوها بالبحث و المناقشة و التأليف ، كان فيها لعلماء الحنابلة مواقف متباينة من حيث طرق حصولها و وجوبها .

[1] عن ذلك انظر : ابو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين ج 1 ص :39 .و ابن قاضي شهبة : طبقات فقهاء الشافعية ج 2 ص :50-56 .و ابن الجوزي : تلبيس ص : 98 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص "142 .و ابن القيم الجوزية: اجتماع الجيوش الإسلامية ص :148-149 .و إغاثة اللهفان ج1 ص :37 .

[2] ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ج 3 ص : 40-41 .

[3] هذه القضية معروفة في تاريخ الأديان و المذاهب الفلسفية .

فيرى المتكلم أبو الحس بن الزاغوني البغدادي(ت527 هـ/1132م) أن المعرفة بالله لا تحصل إلا بالنظر ،و من ادعاها بالتقليد و ترك النظر و الاستدلال ، فهو ليس بمؤمن[1] .و قوله أنها لا تحصل إلا بالنظر ، لا يصدق على كل الناس لأن معظمهم له إقرار فطري جازم بالخالق ، و لم يحصل لهم ذلك بالبحث و النظر و الاستدلال ، و إنما قد يحدث ذلك لبعضهم . كما أن حكمه بأن المقلد التارك للنظر في معرفة الله ليس بمؤمن فهو خطأ بين، لأن كثيرا من العرب اسلموا بعد الفتح و لم يشترط عليهم الرسول –صلى الله عليه و سلم– النظر و الاستدلال ،و اكتفى منهم بقول : لا إله إلا الله محمد رسول[2].

و يعتقد الفقيه الصوفي عثمان بن مرزوق المصري الحنبلي(ت554 هـ/1159م) أن طريق المعرفة بالله و بصفاته هو الفكر و الاعتبار بحكمته و اياته ،و لا سبيل للألباب إلى معرفة كنه ذاته ؛و جميع مخلوقاته من الذرة إلى العرش هي سبل موصلة إلى المعرفة به ، وحجج بالغة على أزليته ،و الكون بأسره ألسن ناطقة بوحدانيته ،و العلم كله كتاب يقرأ حروفه المتبصرون على قدر بصائرهم[3] . ويبدو أنه يقصد معرفة القرب و التذوق و الطاعة ، لا معرفة الإقرار فقط ، و إن كان الفكر و الاعتبار يوصلان إلى المعرفتين .

و أما المتكلم صدقة بن الحسين البغدادي(ت 573 هـ/1177م) فيرى أن معرفة الله تحصل بالنظر فقط ، لأن معرفته تعالى مقدمة على معرفة الرسول ، فكيف تكون المعرفة مستفادة من قوله– أي الرسول– ؟[4] . و يؤخذ عليه أولا أنه حصر حصول المعرفة بنظر العقل فقط ،وأغفل حصولها بالفطرة و معظم البشر يؤمنون بالله بالفطرة دون حاجة إلى البحث و التعمق،و النظر و الاستدلال ؛و قوله أن المعرفة ليست مستفادة من قول الرسول لأن معرفته تعالى مقدمة على معرفة الرسول ، فهذا ليس حكما مطلقا لأن المعرفة كما تحصل بالنظر و التدبر في الأفاق و الأنفس ، فهي تحصل كذلك بالنظر في حياة الرسول والوحي الذي جاء به[5]،فقد يكون بعض الناس ملحدا فيأتي إلى الرسول فيأخذ بيده ، ويرد على شبهاته ،ويوصله إلى معرفة الله ؛أو أنه يدرس الكتاب الذى جاء به،فيطلع على

---

[1] ابن تيمية : درء تعارض العقل و النقل ج 4 ص :396 .

[2] انظر : ابن هشام: مختصر السيرة النبوية ، الجزائر ، مكتبة النهضة الجزائرية ، د ت ص :272 و ما بعدها .

[3] الشعراني : الطبقات الكبرى ، ط1 بيروت دار الجيل ، 1988 ،ج 1 ص : 150 .و المناوي: الكواكب الدرية ج 2 ص :267 . و بن الوردي : المصدر السابق ج 2 ص :119 .

[4] ابن تيمية : المصدر السابق ج 4 ص :117 119 .

[5] الوحي هو كتاب الله المسطور و ايات الكون هي كتابه المسطور .

براهنه واياته ودلائله،فيؤمن بالله ورسوله،فتكون معرفته إذن مستفادة مما جاء به النبي .كما أنه ثانيا لم يفرق بين معرفة الإقرار بالخالق التى يؤمن بها الغالبية الساحقة من البشر،وبين معرفة الطاعة والعبودية والقرب والتذوق،والتى لا تحصل إلا باتباع الوحي الذي جاء به الرسول .[1]

ويضيف صدقة بن الحسين–إلى ما قاله سابقا–أن النظر هو أول الواجبات،لأنه لا يمكن القيام بالأوامر الشرعية من صلاة وصيام إلا بعد معرفة الله،فهي متقدمة على سائر الوجبات،والنظر بدوره أسبق من المعرفة لأنه طريق إليها[2] .و قوله هذا يصح في حق الذي لا يؤمن بالله ، فعليه أولا أن ينظر في اياته المنظورة و المسطورة – أي الوحي– ليؤمن به وبرسوله ، ثم يعبده ويلتزم بشرعه ثانيا .و أما المؤمنون به بالفطرة والتربية فالنظر ليس واجبا في حقهم ، بل الواجب عليهم عبادته و الاحتكام إلى شرعه .

و تحصل المعرفة عند عبد الرحمن ابن الجوزي بالنظر ،و الاستدلال ،و التدبر بالعقل في صنع الله وحكمته في خلقه فيستدل بذلك بأن للكون خالقا[3] .وهذه المعرفة التي ذكرها هي معرفة إقرار ،و ليست معرفة طاعة وقرب ، فالأولى يوصل إليها النظر و البحث في ايات الكون و الوحي ،و الثانية تأتي بعد الأولى ،و تتحقق عن طريق الالتزام بالشرع ظاهرا و باطنا .

و يعتقد الفقيه عبد الوهاب بن الحنبلي الدمشقي(ت536 هـ/1241م) ، أن المعرفة بالله لا تحصل بالعقل ، لأنها لو تمت به لوجب أن يكون كل عاقل عارفا بالله تعالى،و الناس كلهم على رأي واحد في التوحيد و ((لما وجدنا جماعة من العقلاء كفارا مع صحة عقولهم ، دقة نظرهم، دل على أن المعرفة لا تحصل بالعقل))[4] . ولا دخل للعقل في حصول الإيمان و كتابته في قلوب المؤمنين ، لقوله تعالى: ((أولئك كتب في قلوبهم الإيمان))–سورة المجادلة /58 ، فذلك كالنبوة لا ينالها الأنبياء بعقولهم ، وإنما هي فضل و اصطفاء من الله لهم، كذلك معرفة ((الله و الإيمان ليس للعقل في ذلك شئ ،و إنما العقل شرط في التكليف و الخطاب بالشرع))[5] .

---

[1] هناك ايات كثيرة تدل على ذلك،منها قوله تعالى: ((ومن لم يجعل الله له نور فما له من نور))–سورة إبراهيم/40 .و((أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه))–سورة الزمر/23/22 .

[2] ابن تيميه : المصدر السابق ج 4 ص: 118 .

[3] ابن الجوزي : أحكام النساء ص :11-12 .

[4] ابن تيمية : المصدر السابق ج 4 ص :378 .

[5] نفس المصدر ج 4 ص :382 .

و واضح من كلامه أن المعرفة التي نفى حصولها بالعقل هي معرفة الهداية و الإيمان بدين الإسلام ، لا معرفة الإقرار التي يؤمن بها الكفار على اختلاف أديانهم ، و إن كان هو لم يفرق بين المعرفتين صراحة ؛ و التي نفى حصولها هو مخطئ فيها ، لأن كثيرا من الكفار- قديما و حديثا- كان العقل سبيلهم إلى الوصول إليها ، فدرسوا الإسلام وسيرة الرسول –عليه الصلاة و السلام- و صحابته ، فأمنوا بالإسلام .و القرآن الكريم مليء بدعوة البشر إلى استخدام العقل ، والتدبر في ايات الكتاب والكون ، ليؤمنوا بربهم و رسالته الخاتمة ، ثم ذم الذين عطلوه ،و قرنهم بالحيوانات ، قال تعلى: ((أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها))-سورة محمد/24- و((أولئك كالأنعام بل هم أضل))-سورة الأعراف/179- .و أما حجته فيما ادعاه من أن المعرفة لو حصلت بالعقل لما ((وجدنا جماعة من العقلاء كفارا مع صحة عقولهم و دقة نظرهم)) فهي حجة واهية ، لأن هؤلاء كفروا بالإسلام ليس لأن عقولهم دلتهم على بطلانه ، و إنما هم إما أنهم لا يفهمونه،و إما أنهم تأكدوا من صحته و صدقه و أبو اعتناقه تعصبا و حسدا ، اتباعا للهوى ،و حفاظا على مصالحهم .و الإنسان – أيا كان- لا يؤمن بشيء ما لمجرد أنه صحيح و أن العقل قد أقره و دل عليه ، ما لم يكن يرغب في الإيمان به . و قال تعالى –مخاطبا نبيه -: ((فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون))-سورة الأنعام /33-وقال عن فرعون وبطانته: ((وجحدوا بها و استيقنتها أنفسهم ظلما و علوا))-سورة النمل/14- .

وأما تسويته بين المعرفة و النبوة في أنهما عطاء من الله و فضل منه ،و لا دخل للعقل في حصولهما فليس بصحيح ، لأن النبوة هي فضل و اصطفاء منه تعالى ، و لا دخل فيها للكسب البشري ، لكن الهداية و المعرفة القلبية بالله –عز و جل- تتم بتوفيق من الله ،وبكسب و اجتهاد من عبده المؤمن ، فهو سبحانه و تعالى حث عبده على عبادته و بين له الحلال و الحرام ، فإن أطاعه وأخلص له الدين كافأه بالهداية و الإيمان .

و أما موقف شيخ الإسلام بن تيمية(ت728 هـ/1327م) من مسألة معرفة الله ، فإنه قد توسع في دراستها وكان أكثر علماء الحنابلة تحقيقا و إبداعا فيها ؛ فقرر أن طرق معرفته تعالى عديدة و متنوعة ، لذا صارت كل طائفة تسلك طريقا إلى إثباتها و تظن أنه لا سبيل إليها إلا سبيلها ، وهذا غلط محض و قول بلا علم ، فمن ((فمن حصرها في طريق معين بغير دليل يوجب نفيا عاما لسوى تلك الطريق ، لم يقبل منه ، فإن النافي عليه الدليل ،كما أن المثبت عليه الدليل)) ،ومن نفى ذلك

بحسب علمه لم ينازع فيه ، فإذا قال: ((لا أعلم طريقا أخر ولم يحصل لي ولمن عرفته طريق أخر ، كان نافيا لعلمه و لما علم وجوده ، لا نافيا للأمور المحققة في نفس الأمر))[1] .

وحصر ابن تيمية طرق معرفة الله–عز و جل– في ثلاثة طرق أساسية ، أولها الطريق الشرعي تتبع فيه أدلة الشرع ، والثاني طريق النظار تستخدم فيه الأدلة القياسية العقلية ، وفيه فساد كبير و ما لا يتفق مع الشريعة،و قد انتهى بسالكيه–الذين لهم نوع عقل و تمييز– إلى الحيرة و الشك، كإمام الحرمين أبي المعالي الجويني(ت4478 هـ/1085م) ،و وحجة الإسلام أبي حامد الغزالي(ت505 هـ/1111م)،و الفخر الرازي(ت606 هـ/1209م) ،و سيف الدين الأمدي(ت631 هـ/1233م)[2] ،و ليست معرفته تعالى متوقفة على هذا الطريق ، بل تمامها العلم بفساده .و الثالث طريق الصوفية ، تتبع فيه السلوكات التعبدية الكشفية ،وفيه كثير من التناقض و ما لا يتفق مع دين الإسلام،و غايته الشطح[3] الذي هو التصديق بالباطل ،و حال أتباعه كحال النصارى في رهبانيتهم ، مقابل النظار الذين يشبه حالهم ما عليه حال اليهود[4] .

و تحصل المعرفة بالله عند ابن تيمية ، بسبل متعددة حسب حال كل إنسان و ظروفه ، كتعليم الرسول –ص– و العلماء للناس و الدعاء لهم ، و النظر و الاستدلال العقليان ، و الاتعاظ و الاعتبار ،و الكسب و الاجتهاد ،و ما يقذفه الله في بعض القلوب من العلوم بغير اكتساب ،و كل ذلك يتم بقضاء و قدر ؛و المعرفة هي نعمة الله على عبده ، منّها علية بالأسباب و المسببات فمن ((ظن أن المعرفة و الإيمان يحصلان بمجرد عقله و نظره و استدلاله–كما يقول القدرية– كان ضالا))[5] .

و عن علاقة الوحي بالفطرة في حصول المعرفة بالله ، يعتقد ابن تيمية أن الوحي نزل ليذكر الفطرة –ما هو معلوم لها–، و يكملها ،و يقويها ، فمن تحقق فيه ذلك وجد الهدى و اليقين الذي لا ريب

---

[1] ابن تيمية : المصدر السابق ج 2 ص : 121و ما بعدها و ج 4 ص : 122 127 .

[2] ابن تيمية: المصدر السابق ج ج3 ص : 80 .و منهاج السنة النبوية ، بيروت دار الكتب العلمية د ت ج 3 ص :18 .

[3] الشطح هو كلمات و انزلاقات لفظية تصدر عن الصوفية ، فيها رعونة نفس و دعاوى عريضة في العشق الإلهي و الوصال المغني عن الأعمال الظاهرة ،و هي عبارات غير مفهومة لها ظواهر زائفة ، ليس من ورائها طائل ،و تشوش القلوب و تدهش العقول . أبو حامد الغزالي : المصدر السابق ص : ج ص :60 61 .و الجرجاني :كتاب التعريفات ، بيروت ، دار الكتب العلمية 1995 ، ص :127 .

[4] ابن تيمية : التفسير الكبير ج 6 ص :431 . و درء تعارض العقل و النقل ج 3 ص : 80 .

[5] ابن تيمية: درء تعارض العقل و النقل ج 4 ص :385 .

فيه[1] .و أما المتكلمون الذين انتهوا إلى الشك و الحيرة و الوقف ، فهم الذين أفسدوا فطرتهم العقلية ،و شرعتهم السمعية–النقلية– بشبهاتهم و اختلافهم الذي لم يهتدوا معه إلى الحق[2] .

و ذكر ابن تيمية أن الناس قد اختلفوا في : هل تحصل معرفة الله بالعقل أم بالنقل ؟ ،و اختار هو طريقا ثالثا مفاده أن ((الأدلة العقلية و السمعية متلازمة ، كل منها يستلزم صحة الأخر ، فالأدلة العقلية تستلزم صدق الرسل فيما أخبروا به ،و الأدلة السمعية فيها بيان الأداة العقلية التي بها يعرف الله و توحيده و صفاته ،و صدق أنبيائه)) ،و من ظن أن السمعيات ليس فيها الدليل العقلي ،و أن العقليات لا تتضمن الدليل السمعي ، فهو مقصر في المعرفة بحقائق هذه الأدلة بنوعيها[3] . و عنده أن معرفة الإقرار بالخالق تحصل بالفطرة و العقل لقوله تعالى: ((و لئن سألتهم من خلق السموات و الأرض ليقولن الله))–سورة لقمان/25–، لكنها لا تستلزم المعرفة التي أوجبها الله على عباده[4] .و هي معرفة الطاعة و التذوق التي لا تحصل إلا بالوحي .

وأشير هنا إلى أن الشيخ تقي الدين بن تيمية ، كان موفقا في موقفه من مسألة معرفة الله–عز و جل– معتمدا على أدلة الشرع أولا ، ثم على دلائل العقل الفطري ثانيا ، ثم جمع بينها في نظرة موضوعية شاملة متزنة . لذا لم أجد منفذا للتعقيب عليه في تناوله لمسألة معرفة الله سوى التنويه بموقفه الصحيح .

و قسم الفقيه ابن قيم الجوزية الدمشقي الحنبلي(ت751 هـ/ 1350م) المعرفة بالله إلى نوعين: الأولى معرفة الإقرار بالخالق ،و يشترك فيها كل الناس برهم و فاجرهم ، مطيعهم و عاصيهم .و الثانية معرفة الخشية و الإنابة و المحبة لله ، والطريق إليها واحد لا تعددت فيه ،و هو صراط الله المستقيم الذي نصبه موصلا إليه[5] . و للمعرفة القلبية بابان واسعان يوصلان إليها ، الأول التأمل و التفكر في القرآن الكريم،و الفهم الخاص عن الله و رسوله لقوله تعالى : ((أفلا يتدبرو القرآن أم على قلوب أقفالها))–سورة النساء/82–. و الثاني التفكر في اياته المشهودة و تأمل حكمته، وقدرته، و لطفه ،و إحسانه و عدله في خلقه ،و جماع كل ذلك الفقه في معاني اسمائه الحسنى و جلالها و

---

[1] ابن تيمية : التفسير الكبير ج 6 ص :342 . و منهاج السنة النبوية ج 3 ص :68 .

[2] ابن تيمية : منهاج السنة ج 3 ص : 68 .

[3] ابن تيمية : درء تعارض العقل و النقل ج 4 ص :116 .

[4] نفس المصدر ج 4 ص :102 379 .و التفسير الكبير ج 6 ص :425 .

[5] ابن قيم الجوزية : الفوائد حققه محمد راتب عرموش ط 4 ، بيروت ، دار النفائس ص :22 .و طريق الهجرتين و باب السعادتين، بيروت دار الكتاب العربي ، د ت ، ص : 223- 224 .

كمالها و تفرده بها ،و تعلقها بالخلق و الأمر .و مخلوقاته دالة على أفعاله ، التي هي بدورها دالة على صفاته[1] .

و البابان اللذان ذكرهما ابن القيم ، فهما كما يوصلان المسلم إلى المعرفة القلبية بالله ، فهم كذلك قد يوصلان الملحد إلى الإقرار بخالق الكون ، عندما يتدبر في اياته المشهودة و المسطورة ، إذ في القرآن الكريم ايات كثيرة تخاطب الكفار و الدهريين، و ترد على شبهاتم و تبكتهم ، كقوله تعالى: ((أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ، أم خلقوا السموات و الأرض بل لا يوقنون))- سورة الطور/35 36-.

و يعتقد المتكلم أبو الفتح بن عبد الكريم الشهرستاني(ت548 هـ/1153م)) أن معرفة الإقرار بالخالق تشهد الفطرة بضروريتها ، لأنها ليست من النظريات التي يقام عليها البرهان ؛ كما أن مقالة إنكار الخالق ليست معروفة[2]. فعقب عليه ابن تيمية مبينا أنه وإن لم يكن إنكار الخالق مذهبا مشهورا ، عليه أمة معروفة من الأمم[3] ، فإنه مما يعرض لكثير من الناس ، فينكرون وجود الله ظاهرا أو باطنا أو كلاهما معا .و لا يمنع ذلك من أن تكون المعرفة بالله مستقرة في الفطرة ثابتة فيها ، لأن الذي يقع لهؤلاء مو نوع من السفسطة ،و هي حال تعرض لهم ، إما عمدا و إما خطأ ؛ وقد يتنازع أناس في القضايا البديهية و المعارف النظرية، في الحسيات و الحسابيات و الإلهيات .و من تأمل فيما يحكى من المقالات عن البشر رأى عجائب و غرائب ، لأن بني أدم لا ينضبط ما يخطر لهم من أراء و ارادات[4] .

و زيادة على ذلك أقول: إن الفطرة هي أصل إقرار الناس بالخالق ، ثم ينظم إليها النظر و الاستدلال .و الإنسان منذ صغره يبحث عن الله تعالى ،و يسأل عنه ،و يقرأ عليه غير أن هذه المرحلة لا تطول عند معظم الناس ،و ينصرفون إلي حياتهم العملية ، لكن بعضهم قد يواصل بحثه و يوسع دائرة اطلاعه ، فيزداد علما و هداية ، و منهم من قد تعترضه شكوك و شبهات، تدخله في حيرة و صراع فكري ،و قلق نفسي إلى أن ينتهي بهم الأمر —كلهم- إلى الإيمان و الاطمئنان، إلا من أبى و ظل الطريق وأصر عليه. لأنه لا يوجد دليل يثبت عدم وجود الله ، مقابل دلائل وجوده التي لا تعد و

[1] ابن قيم الجوزية : الفوائد ص :31 32 76 221 .

[2] ابن تيمية : درء تعارض العقل و النقل ج 4 ص :76 .

[3] وجدت في عصرنا أمم ملحدة عندما فرض عليها الإلحاد بالقوة في ظل الدول الشيوعية ، لكن بانهيار المعسكر الشيوعي زال ذلك الكابوس و عاد الناس إلى عقائدهم الدينية .

[4] ابن تيمية : المصدر السابق ج 4 ص : 76 .

لا تحصى ، كما أنه ليس للإنسان أية مصلحة في كفره بخالقه ، وإنما كل سعادته في الإيمان به،و خسرانه و هلاكه في كفره به .

و يعتقد الفقيه حسن صديق خان الهندي(ت1307 هـ/1889) أن الإنسان مفطور على الإيمان بالله منذ أول نشوئه ، من غير حاجة إلى نظر و برهان ، لكنه لا يصل إلى معرفة الهداية و القرب و التذوق ، إلا بالاعتقاد الجازم بعقائد أهل السنة ،و الإقبال على العبادات و مجاهدة النفس و ملازمة التقى ، إلى أن تنفتح له أبواب الهداية ،و يتنور قلبه تحقيقا لقوله تعالى : ((و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ،وأن الله لمع المحسنين))-سورة العنكبوت/69-دون الحاجة إلى جدال و كلام ، لأنهما يشوشان الاعتقاد و يفسدانه أكثر مما يصلحانه ؛و الواقع شاهد على ذلك فعقيدة أهل الصلاح و التقى من عوام الناس ثابتة كالطود الشامخ لا تحركها الدواهي و الصواعق ؛و عقيدة المتكلم الحائر بين اعتقادات و تقسيمات الجدل ، كخيط في الهواء تقلبه الرياح يمينا و شمالا[1] .

وقسم الباحث وحيد الدين خان المعرف بالله إلى نوعين هما :تصديق عقلي،وتصديق وجداني،وهذا الأخير أرفع وأعلى من الأول لأنه إكتشاف لقبس معرفي باطني ذوقي،عندما يظفر به الإنسان يفاجأ((بصيرورته جزءا من كيانه.فعلاقته بهذه المعرفة ليست علاقة عقلية،وإنما هي علاقة نفسية،وكل ما يشكلّ جزءا نفسيا من كيان الإنسان لا يحتاج إلى دليل عقلي))[2] . و يمكنه أن يتحصل على هذه المعرفة بطرق شتى ، كذكر ((الله و عبادته ،و تحمل التضحيات من أجله و في سبيله ,و اشغال القلب و اللسان بأمور الله ،و التقرب إلى الله عن طريق الأدعية))[3]

وقد اتفق العلماء المسلمون على وجوب معرفة الله،واختلفوا في طريق وجوبها،فقال أهل السنة أنها تجب بالشرع،وقالت المعتزلة أنها تجب بالعقل [4] .وأقول:إن معرفته تعال وجبت على الانسان بالنقل لانه عز وجل فرض عليه عبادته في قوله: ((وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ماأريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون))-سورة الذريات/56-57-فمن أطاعه رضي عنه وادخله الجنة،ومن عصاه غضب عليه وادخله النار.وعبادة الإنسان لربه تستلزم معرفته به.وأما قول المعتزل بأن المعرفة تجب بالعقل،فهو ادعاء لا دليل عليه من الشرع و لا من العقل،فاما من الشرع فان القرآن الكريم قد نص

---

[1] صديق حسن خان : المرجع السابق ص :155 .

[2] وحيد الدين خان:الدين في مواجهة العلم، القاهرة دار المختار الإسلامي، 1978 ص:3 .

[3] وحيد الدين خان : حكمة الدين ، تر جمة ظفر الإسلام خان ، ط 2 القاهرة ، دار المختار الإسلامي ، 1978 ، ص :40 .

[4] ابن تيمية:درء تعارض العقل والنقل ج 4 ص:117 .

على أن الله تعالى فرض على الناس عبادته،ولم يقل لهم اعبدوني على ما توجبه عقولكم.وأما من العقل فإن عقول البشر لم تتفق على القول بوجوب المعرفة بالعقل،بل أن بعضها قد ينكر وجوبها أصلا ويقول : إن الله خلقنا وتركنا وليس هو في حاجة إلى عبادتنا،أو أننا نحن البشر لسنا في حاجة إلى معرفته وعبادته،أو أننا لسنا أهلا لذلك.وفي مقابل هؤلاء يقول اخرون بوجوبها،الأمر الذي يبين أن القول بوجوبها بالعقل لا يصح.

وقد روى الحنفية عن إمامهم أبي حنيفة النعمان (ت150 هـ/767م)أنه كان يوجب معرفة الله بالعقل بحجة أنه لا عذر لأحد بالجهل بخالقه لما يراه من خلق نفسه وابداع للسماوات والأرض [1] .نعم قد أكرم الله الإنسان بالعقل وبه يستطيع اكتشاف الكثير من اسرا ر الكون،وبه يقر بوجود خالقه،لكن عقول البشر لم تتفق بوجوب عبادته عقلا،وما روي عن الإمام أبي حنيفة فإن صحّ عنه فهو مخالف لما عليه أهل السنة،ولا يتفق مع ما جاء في القرآن الكريم من أن الله تعالى هو الذي فرض على بني ادم عبادته ثم عذرهم برحمته،وعلق محاسبته لهم بارسال الأنبياء حين قال : ((وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا))-سورة الإسراء/15 -و((لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل))-سورة النساء/165/فإرسال الرسل هو الحجة على البشر وليست عقولهم .

وذهب بعض متكلمي الحنابلة كالقاضي أبي يعلى الفراء ،و ابن عقيل ، وأبي الخطاب الكلوذاني ،و أبي الحسن الزاغوني ، إلى القول بما أن معرفة الله واجبة ، فإن النظر و الاستدلال هما كذلك واجبان على العلماء و العوام ،لأنهما طريق حصول المعرفة[2] .و أقول : إنه و إن كان النظر و الاستدلال مستحبان و دعت إليهما ايات قرانية كثيرة ، فإنهما ليسا بوجبين على كل الناس ، لأن الله -عز و جل- لم يوجبهما عليهم ، ولأنه في مقدورهم الظفر بالمعرفة عن طريق الفطرة و التربية و الوحي . كما أن الرسول- عليه الصلاة و السلام- قبل إسلام قبائل العرب في عام الوفود -سنة9هـ/630م- ، واكتفى منهم بقول: لاإله إلا الله محمد رسول الله ، مع الالتزام بالاحكام الشرعية[3] ،و لم يجب عليهم النظر و الاستدلال كشرط لإسلامهم ، وللم يدخل معهم في مناقشات فلسفية .

و يستنتج مما ذكرناه عن مسألة معرفة الله ، أنها قد شغلت أهل العلم في القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م ، و كان فيها لعلماء الحنابلة مواقف متباينة ، فمنهم من حصر طريق حصولها في النظر و الاستدلال و بالغ في تعظيم العقل ،و منهم من جعلها هبة من الله و فضلا منه

[1] ابن تيمية المصدر السابق ج4 ص:398 405 .

[2] أبو يعلى الفراء: المعتمد في أصول الدين ص :22 . و ابن تيمية : نفس المصدر ح 4 ص :94 95 395 396 .

[3] ابن هشام : المصدر السابق ص : 275 و ما بعدها .

كالنبوة ،و منهم من عدد طرقها و فرق بين معرفة الإقرار بالخالق التي يشترك فيها عامة الناس و بين معرفة الطاعة و القرب و الخشية ،والتي تخص الأتقياء من المسلمين دون سواهم . كما أن جمهور علماء الحنابلة قد اتفقوا المعرفة بالله تجب بالنقل لا بالعقل ، لأن المسالة تتجاوزه ، و عليه أن يلتزم حدوده .

ثالثا : قضية دور العقل في التحسين و التقبيح

تنازع العلماء في: هل يعلم بالعقل حسن الأشياء و قبحها ، أم لا ؟ فكانت لهم مواقف متباينة بين النفي و الإثبات . فبالنسبة لعلماء الحنابلة فمنهم طائفة قالت بالنفي ، في مقدمتها القاضي أبو يعلى الفراء(ت458 هـ/ 1065م) يرى أنه لا مجال للعقل في تحسين المحسنات ولا في تقبيح المقبحات،ولا في اثبات الواجبات ولا في تحريم المحظورات ولا في تحليل المباحات،وإنما كل ذلك للشرع [1] .وقد وافقه على رأيه كل من تلميذه أبو الوفاء بن عقيل،والمتكلم أبو الحسن بن الزاغوني،ومما احتج به هؤلاء رواية عن إمامهم احمد بن حنبل يقولفيها: ((ليس في السنة قياس ولا يضرب لها الأمثال،ول تدرك بالعقول وإنما هو الإتباع))[2] .ويرى الفقيه أبوالخطاب الكلوذاني البغدادي (ت 510هـ/1116م)أن هذه الروية -إن صحت- فالمراد منها الأحكام الشرعية ألتي سنها الرسول-عليه الصلة والسلم-،وعند الشيخ تقي الدين ابن تيمية أن قول أحمد:لا تدرك بالعقول،معناه أن العقل لا يدرك كل ما في السنة،لأنه لو أدرك ذلك لتساو علم الناس بعلمه،ولم يقصد أن العقول لا تعرف شيئا من الأمر والنهي،وإنما مراده هو الرد على من جعل عقول البشر معيارا للسنة،وليس فيه رد على من جعل العقول موافقة للسنة[3] وما ذهب إليه ابن تيمية صحيح،لأن الشرع مبني على الحكمة والمصلحة،وفي مقدور العقل أن يدرك كثير من أسرار التشريع الإله،لذا حث الله عباده على التدبر في كونه المنظور وفي كتابه المسطور كقوله تعالى: ((أفل يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها))-سورة محمد/24- .

ومنهم من قال بتحسين العقل للأشياء و تقبيحها،كأبي الحسن التميمي البغدادي(ت 488هـ/1095م)،و أبي الخطاب الكلوذاني البغدادي (ت 510هـ/1116م)[4] ،الذي ذكر أن جمهور العلماء من الحنابلة،والمالكية،والشافعية،والحنفية،يوافقون على رأيه،وتوسع في مناقشت

---

[1] أبو يعلى الفراء: المصدر السابق ص : 22 . وابن تيمية : المصدر السابق ج 4 ص:399.

[2] ابن تيمية :نفسه ج 4 ص: 399

[3] نفسه ج 4 ص: 399 ،

[4] ابن تيمية: المصدر السابق ج4 ص:102. وابن مفلح: المصدر السابق ج1 ص:135

معارضيه في كتابه التمهيد،وقد نقل منه ابن تيمية نقولا كثيرة[1] ويرى ابن القيم الجوزية(ت 751هـ/1350م)أنه يوجد طريقان لمعرفة النافع والضار،هما:الوحي،والعقل،لكن الأول أوسع وأبين وأصدق من الثاني،وذكر أن الله -عز و جل-قد جعل في عقول البشر وفطرهم استحسان الصدق،والعدل ،والاحسان، البر،والعفة،و الشجاعة،و صلة الرحم،وأداء الامانات،فمن قال: إن ذلك لا يعلم بالعقل والفطرة،وإنما يعلم بمجرد النقل فقط،فهو مخطئ [2]

وأما غير الحنابلة فمنهم المعتزلة والكرامية والفلاسفة،قالوا بتحسين العقل للأشياء وتقبيحها[3] .وعارضهم الأشاعرة و قالوا ليس للعقل أن يحسن و يقبح،وإنما ذلك للشرع وحده[4] . وذكر المتكلم أبو الوفاء بن عقيل أنه حضر يوما بدار الكتب ببغداد ، مناظرة بين أشعري و معتزلي حول تحسين العقل و تقبيحه للأشياء ، فقال الأشعري : و متى يثق العاقل بعقله ؟ فإنه يرى في ايلام الحيوان و هدم بنيته قبحا ، لكن الشرع -مع ذلك- أمر بذبحه .و أنه يرى في اقدامه على الملذات المحرمة أمرا حسنا ، لأنه يشبع بها رغباته و شهواته، هي محرمة شرعا ،لذا على العاقل ألا يحكم بعقله ،و لا يقبح قبيحا حكم العقل بقبحه ،و يفوض الأمر للشريعة . فلرد عليه المعتزلي قائلا : هل استدلالك هذا حسن أم قبيح ؟ إن قلت حسنا أو قبيحا ، سألتك بماذا ؟ فإن أجبت بالعقل كفانا ذلك إبطالا لما قررته .و إن قلت علمته بالشرع ، قيل لك لايوجد ما ذكرته في كتاب و لا سنة . فسكت الاشعري و توسع المعتزلي في الرد عليه[5] .

و جواب هذا المعتزلي كان مفحما ، مفاده أن خصمه كان متناقضا مع نفسه ، فهو في الوقت الذي يدعي فيه أنه لا دخل للعقل في التقبيح و التحسين ، استخدمه للبرهنة على دعواه دون الرجوع إلى الشرع . و يؤخذ عليه كذلك أنه ترك الأمثلة الواضحة التي يحكم العقل بحسنها ، كالصدق والشجاعة ،و العدل و التعاون ،و كذلك التي يحكم بقبحها ، كالظلم و السرقة و الكذب، و التجأ إلى أمثلة فيها التباس و معطياتها قليلة تجعل حكمتها و أسبابها خفية على كثير من الناس .و قد أخذ الباحث سفر عبد الرحمن الحوالي على الأشاعرة تناقضهم البين في موقفهم من تقبيح العقل للأشياء

[1] ابن تيمية: نفس المصدر ج4 ص:398 399 400 401 .

[2] ابن قيم الجوزية: المصدر السابق ج1 ص: 401 .

[3] أبو يعلى الفراء: المصدر السابق ص: 22.و ابن تيمية المصدر السابق ج 4ص: 102 .وابن مفلح: المصدر السابق ج 1 ص:135 .

[4] ابن تيمية : المصدر السابق ج4 ص:398 399 .ابن مفلح:نفسه ج1 ص: 135 .سفر الحوالي:منهج الأشاعرة في العقيدة ط1 الجزائر الدار السلفية، 1990 ص:62.

[5] ابن عقيل : الفنون ج 2 ص : 548 549 550 .

و تقبيحها ، فهم قالوا: إن الزنا و الكذب قبيحان بالنقل لا بالعقل ، ثم أنهم من جهة أخري نفوا صفة علو الله على خلقه التي صرحت بها الآيات و الأحاديث ،و قالوا : إن اثباتها قبيح معارض للعقل[1] .

وتعقيبا على ما تقدم ذكره أقول: إنه في مقدور العقل أن يحسن و يقبح ،و يميز بين الخير و الشر في أمور كثيرة جدا ، بدليل أن الله– عز و جل– عندما أنزل كتبه أمرهم بدراستها و تدبرها و فهمها ، ليتعرفوا عليه و يميزوا بين كلامه و كلام غيره ،و بين أنبيائه المرسلين و بين الأدعياء الكاذبين .و حثهم على التفكر و استخدام عقولهم لاكتشاف اياته في الآفاق و الأنفس[2] ،و هذا كله لا يتم و لا فائدة منه ، لو لم يكن في إمكان العقل القيام به .و في تعليق الشرع تنفيذ أحكامه بالعقل ، و رفعها عن الصبي حتى يحتلم ،و النائم حتى يستيقظ ،و عن المجنون حتى يشفى ، دليل قوي على أن العقل قادر على التمييز بين الحق و الباطل ،و بين الحلال و الحرام .و عندما جاء رجل إلى النبي –صلى الله عليه و سلم– و طلب منه أن يأذن له بالزنا ، قال له : أترضاه لأمك ، أترضاه لأختك ، فقال له : له ثم تراجع عن نيته في الزنا .و هذا إقناع عقلي من النبي للرجل بقبح الزنا .

و إذا كان الله–عز و جل– قد احتفظ لنفسه بحق التشريع ، فإن ذلك لا يعني أن العقل لا يستطيع أن يشرع مطلقا ، بل في مقدوره أن يمارسه في جوانب كثيرة من الحياة ، بدليل أن الله سبحانه و تعالى قد أجاز له الاجتهاد و حثه عليه لاستنباط الأحكام الشرعية ؛و قد أنتج المسلمون– طيلة قرون من الزمن– ثروة فقهية تشريعية ضخمة لا نظير لها في التاريخ بفضل ممارستهم للاجتهاد .و للدول المعاصرة قوانين وضعية فيها صواب كثير ، يتفق مع الشريعة الإسلامية ، كتحريم الظلم ، و السرقة ،و الرشوة ،و المخدرات .و عندما يعتدي إنسان ما على إنسان أخر فيضربه أو يسرقه ،أو يقتله ، فلا يعني ذلك أن عقله حسن له فعله ، وإنما هو إما أن يكون مريضا فهو معذور ، وإما أنه ظالم منحرف متبع لهواه و شهواته لا لعقله . و الخلاصة هي أن العلماء الذين قالوا بتحسين العقل للأشياء و تقبيحها ، كانوا على صواب ، يشهد لموقفهم الشرع و التاريخ و الواقع ؛ عكس النافين لذلك ، فإن أدلتهم ضعيفة جدا ، لأن العقل مع نسبية أحكامه و محدودية قدراته ، ففي مقدوره أن يميز بين الخير و الشر ،و يكتشف الكثير من سنن الله في كونه ،و يتعرف على بعض أسراره و حكمته في مخلوقاته .

رابعا: مسألة الحكمة و التعليل في الكون

---

[1] سفر الحوالي: المرجع السابق ص : 62 .

[2] كقوله تعلى : ((قل انظروا ماذا في السموات و الأرض))–سورة يونس /101– و ((وفي أنفسكم أفلا تبصرون))–سورة الذاريات/21 –

يقصد بالحكمة العلم النافع ،و العمل الصالح الموصلان إلى الغاية المحمودة ،و لا يعتبر الكلام حكمة إلا إذا كان مرشدا إلى ذلك و مؤديا إلى الغايات المحمودة ،و المطالب النافعة ،و إذا لم يراد به مصلحة المخاطبين و سعادتهم ،و هدايتهم إلى ما ينفعهم لم يكن حكمة،ولا قائله حكيما[1] .فهل خلق البارئ الحكيم–جلا جلاله– الكون وما فيه ، وفق أسباب و سنن الحكمة و المصلحة و الغايات المحمودة ؟ لم يتفق العلماء المسلمون في الإجابة عن هذا التساؤل ، فقد تباينت مواقفهم مه بين النفي و الإثبات . فالمثبتون–وهم جمهور أهل السنة–قالوا: إن لله في خلقة حكم و أسباب لا يعلمها أكثر الناس .و النفاة –وهم الجهمية ومن تأثر بهم– لم يثبتوا الحكمة بالمعنى الذي ذكرناه ، وهي عندهم علم الله بأفعال عباده ،و ايقاعها على الوجه الذي أراده ،و نفوا الأسباب وطبائع المخلوقات و غرائزها[2] .

فبالنسبة لعلماء الحنابلة ، فمنهم المتكلم أبو الحسن بن الزاغوني البغدادي(ت527هـ/ 1132م) نفى الحكمة و السببية ، متأثرا بالقاضي أبي يعلى الفراء (458 هـ/1065م) ، فإنهما لم يثبتا للمخلوقات سببا و لا غريزة ،و لا قوى ولا طبيعة ،و أنكرا التعليل جملة .و لم يجعلا للكائنات و المأمورات غايات لأجلها كان الخلق و الأمر ؛ ولم يثبتا للخالق فيها حكمة ، إلا محض المشيئة فقط[3] على حد زعمهما .و هذا هو المشهور عنهما ، لكن ابن تيمية روى كذلك أنهما كانا مضطربين في مسألة الحكمة ، فنفوها في مواضع ،و اثبتوها في مواضع أخرى[4] .

ومنهم طائفة اثبتت الحكمة و التعليل ، أولها المتكلم أبو الوفاء بن عقيل(ت513 هـ/ 1119م) كان مضطربا–في موقفه من المسألة– في بداية أمره كشيخه القاضي أبي يعلى ، ثم استقر به الأمر إلى الإقرار بالحكمة و التعليل ن عندما لم تقنعه تعليلات المعتزلة ،و ما كان عليه شيخه ، فأصبح يثبتها من حيث الجملة ،و يقر بالعجز من حيث التفصيل ، على طريقة أهل الحديث[5] . ويرى أن العقل و إن كان للتعليل طالبا ، فإنه يذعن بأن فوقه حكمة إلهية توجب الاستكانة و التحكيم[6] و

---

[1] ابن قيم الجوزية : شفاء العليل ، ط 3 بيروت ، دار الكتب العلمية ص :319 .و ابن تيمية : التفسير الكبير ج 4 ص :207-208.

[2] ابن تيمية : درء تعارض العقل و النقل ج 4 ص :131 .و مجموع الفتاوى ج 8 ص :137 .و التفسير الكبير ج 4 ص : 207 208 ، 211 .

[3] ابن تيمية : درء تعارض العقل ج 4 ص :131 .و ابن قيم الجوزية : طريق الهجرتين : 145-146 .

[4] ابن تيمية : نفس المصدر ج 4 ص : 208 .

[5] ابن تيمية : المصدر السابق ج 131 ، 133 ، 208-209 .

[6] أي تحكيم الشرع .

التسليم للخالق عز و جل[1] . و في تقريره ليوم المعاد اعتمد على مبدأ الحكمة و التعليل قائلا: ((و يدل على أن لنا إعادة تتضمن بقاء دائما و عيشا سالما ، أن أصح الدلالة قد دلت على كمال البارئ–سبحانه و تعلى– و خروجه عن النقائص .و قد استقرأنا أفعاله فرأيناه قد أعد كل شئ لشيء ، فالسمع للمسموعات ،و العين للمبصرات ،و الأسنان للطحن ،و المنخران للشم ،و المعدة لطبخ الطعام . وقد بقي للنفس غرض قد عجن في طينها ،و هو البقاء بغير انقطاع نو بلوغ الأغراض بغير أذى،و قد عدمت النفس ذلك في الدنيا، ثم أنا نرى ظالما لم يقابل ، لا تقتضي الحكمة لذلك ، فينبغي أن يكون لها ذلك في دار أخرى))[2] .

و روى ابن عقيل أنه كان في مجلس تكلم فيه أحد الخلعاء[3] ، فقال–معترضا على الله عز و جل– إنه ((قادر على نفعي ،لم يؤخره و لا يضره نفعي ؟))، فرد عليه بقوله: ((إن كانت قدرته سبحانه متأتية ، فحكمته مطلقة ، فلم تعترض عليه و أنت مقيد بالجهل بمصلحتك ؟! ثم إن كانت المنافع لا تضره ، فقد كانت مضرة بك إذا عجلت ، ومصلحتك حالتك التي أنت عليها.و قد رأيت أحوال قوم عجلت لهم منافعهم ، كيف تسلطوا و انبسطوا))[4] .

و الثاني القاضي ابو خازم بن أبي يعلى الفراء((527 هـ/1132م) سلك في إقراره بالحكمة و التعليل مسلك من اثبت الحكمة و المصلحة العامة التي يجب مراعاتها ،حتى و إن افضت إلى مفسدة جزئية ، كفعل الشر القليل لأجل الخير الكثير ، و انزال المطر لنفع العباد و إن تضرر به بعضهم ،و قد سار على مذهبه هذا الفقهاء في تعليل الشرعيات ،و الكرامية و الفلاسفة في تعليل المخلوقات[5] .

و الثالث الفقيه عبد الرحمن بن الجوزي(ت 597 هـ/1200م) يرى أنه ليس أمام الفقيه إذا عجز في التوصل إلى معرفة العلل ، إلا الاستطراح و التسليم ،و من لم يرض بذلك فلن يحقق مراده لسببين ، الأول هو أن الله ستر كثيرا من حكمه عن خلقه .و الثاني إنه ليس في مقدور البشر معرفة حكم الله كلها ، فلا يبقى إلا الاعتراض الموصل إلى الكفر[6] . لذا على المؤمن أن يسلم لله في أفعاله ، فهو المالك الحكيم الذي لايعبث،و إن خفيت عليه–أي علي المؤمن– فلينسب الجهل إلى نفسه و لا

---

[1] نفس المصدر ج 4 ص :128 .

[2] ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ج 1 ص :186 .و العليمي : المصدر السابق ج 2 ص :222 .

[3] الخليع هو المتهتك و المستهتر . علي بن هادية : المرجع السابق ص : 320 .

[4] ابن عقيل : المصدر السابق ج 1 ص : 311 .

[5] ابن تيمية : المصدر السابق ج 4 ص :131 .و مجموع الفتاوى ج 8 ص : 39 .

[6] ابن الجوزي : صيد الخاطر ص :336-337 .

يعترض على خالقه في شيء نولا يطلب كل تعليلات أحكامه .و إن أقواما نظروا في كثير من أفعاله سبحانه و تعالى، بمجرد العقل فضلوا و نسبوا إليه العبث ،و كان من الواجب عليهم أن ينسبوا الجهل لأنفسهم ، لأن العقول البشرية قاصرة عن مطالعة حكمة البارئ -جل وعلا-.و قد عمت هذه المحنة خلقا ممن ينسب إلى العلم و كثيرا من العوام ، فانتهوا إلى الكفر المحض و الجنون البارد ؛و الصواب في هذه المسألة التعليل لما يمكن ،و التسليم لما يخفى[1] .

و أما الرابع فهو شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية ، يعتقد أن الذين أنكروا الأسباب و طبائع المخلوقات و غرائزها ، قولهم على خلاف الكتاب و السنة ، لقوله تعالى : ((و ما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ،و بث فيها من كل دابة))-سورة البقرة/163-164- و صنع الله الذي أتقن كل شيء))-سورة النمل/88- و قد قيل : ((تكلم قوم من الناس في ابطال الأسباب ة القوى و الطبائع فأضحكوا العقلاء على عقولهم))[2] .و على العبد أن يعلم أن علم الله و قدرته و حكمته و رحمته ، في غاية في غاية الكمال الذي الذي لا يتصور زيادة عنها ، متفاوتون في العلم بذلك ؛و كلما ازداد العبد علما بحقائق الأمور ازداد علما بحكمة خالقه وعدله ،و رحمته و قدرته ،لأنه تعالى لا يخلق شيئا إلا لحكمة، لقوله : ((الذي أحسن كل شيء خلقه))-سورة السجدة/7- و ((صنع الله الذي أتقن كل شيء))-سورة النمل/88- و لا يعلم تفاصيل بعض حكمه إلا القليل من الناس ، منها ما يعجز عن معرفته جميع الخلق ، بما فيهم الملائكة، فحين تساءلوا عن خلق أدم -عليه السلام- قال لهم الله تعالى: ((إني أعلم ما لا تعلمون))-سورة البقرة /30- و من انكر تأثير الأسباب ،و قال: إن الله يفعل عندها لا بها -أي مجرد اقتران دون تأثير متبادل- فقد خالف ما جاء في القرآن الكريم ،و جحد ما خلقه الله من القوى و الطبائع ،و من جعل الأسباب هي المبدعة لذلك فقد اشرك بالله و أضاف فعله إلى غيره[3] .

و أخرهم الفقيه ابن قيم الجوزية الدمشقي، يرى أن الكون كله مظهر من للحكمة الإلهية ، تقصر عقول العالمين- بعلومهم و حكمهم- عن الاحاطة بتفاصيلها في أصغر المخلوقات .و في العبادات حكم و أسرار لا تهتدي العقول إلى إدراكها على جهة التفصيل ،و إن أدركتها جملة[4] .و قد جعل سبحانه و تعالى مصالح ((العباد في معاشهم و معادهم، و الثواب و العقاب ،و الحدود و الكفارات

---

[1] نفس المصدر ص : 328 ، 466 .

[2] ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج 8 ص : 137 ، 514 .

[3] ابن تيمية: المصدر السابق ج 8 ص :514 .و الرسالة التدمرية ، الجزائر دار الشهاب 1989 ، ص :92 .

[4] ابن قيم الجوزية : شفاء العليل ص :314 .و مختصر الصواعق المرسلة ج 1 ص :298-299 .

،و الأوامر و النواهي ، والحل و الحرمة ، كل ذلك مرتبطا بالأسباب قائما بها)) ،و شرعه و مقاديره كلها أسباب و مسببات[1].

و يرى ابن القيم أنه ليس مع نفاة الأسباب و المسببات ، نقل و لا عقل و لا اجماع ،و الكل يشهد ببطلان قولهم ،و جماعه أن ((كمال الرب تعالى و جلاله ،و حكمته وعداه ،و رحمته و قدرته ،و إحسانه و حمده ، مجده و حقائق أسمائه الحسنى ، تمنع كون أفعاله صادرة منه لا لحكمة ،و لا لغاية مطلوبة))[2] .و قولهم أن الله- عز و جل- رد الأمر إلى محض المشيئة بقوله: ((يعذب من يشاء و يرحم من يشاء)-سورة العنكبوت/21- و ((لا يسأل عما يفعل))-سورة الأنبياء/23- فهو كلام حق ، لا يوجد فيه ابطال حكمته و حمده ، وإنما هو يفعل ما يشاء بأسباب و حكم لغايات مطلوبة ،و عواقب محمودة ،و قوله : ((لا يسأل عما يفعل و هم يسألون)) فهو لكمال علمه و حكمته ، لا لعدمهما[3] .و لا يحصل الكمال و الصلاح بالقدرة و العلم المجردين عن الحكمة ، وإنما يحصلان بهما و بالحكمة معا ؛و اسمه: الحكيم يتضمن ((حكمته في خلقه،و أمره في إرادته الدينية و الكونية ،و هو حكيم في كل ما خلقه و أمر به)) ،و حكمته في هذا الوجود تقع على الوجه المقدر لها ، بما ((خلق لها من الأسباب التي لا تنال غاياتها إلا بها . فوجود هذه الأسباب بالنسبة للخالق الحكيم هو من الحكمة ، ولهذا يقرن-سبحانه- في كتابه بين اسمه الحكيم و اسمه العليم تارة ،و بين اسمه العزيز و اسمه الحكيم تارة- أخرى- كقوله : ((و الله عليم حكيم))-سورة الأنفال/71- و((الله عزيز حكيم))[4]-سورة الأنفال/10- .

و نبه ابن قيم الجوزية إلى أن القرآن الكريم مملوء بإثبات الأسباب كقوله تعالى : ((بما كنتم تعملون))-سورة لقمان/15- و((بما كنتم تكسبون))-سورة الأعرف/39- و ((بما كسبت أيديكم))-سورة الشورى/30- ،و وأشار إلى أنه لو تتبعنا ما يفيد الأسباب في الكتاب و السنة لزاد عن عشرة الاف موضع ،و لا يوجد كتاب أعظم اثباتا للأسباب من القرآن الكريم ، ومن الخطأ إيهام الناس بأن التوحيد لا يتم إلا بإنكار الأسباب ، فإن الله هو الذي خلق الأسباب و المسببات،و هي طوع مشيئته و قدرته ، و منقادة لحكمه[5] .

---

[1] نفس المصدر ص : 315 .

[2] نفس المصدر ص :343 .

[3] نفس المصدر ص : 441 ، 442 .

[4] ابن قيم الجوزية : طريق الهجرتين ص : 135 ، 136 ، و 138 .

[5] ابن القيم الجوزية: شفاء العليل ص : 317 .

و أما بخصوص مواقف الإسلامية الأخرى من هذه المسألة ، فإن المعتزلة و الشيعة قالوا بالحكمة و التعليل على ما يتماشى مع فكرهم ، فأثبتوا من ((التعليل ما لا يعقل ،و هو أنه سبحانه فعل لعلة منفصلة عن الفاعل ،مع كون وجودها و عدمها بالنسبة إليه سواء))[1] .و هذا كلام على الله بلا علم ، فإنه سبحانه و تعالى -مع غناه عن البشر- أخبرنا أن له في كونه ، حكم ،و أنه يحب عباده المؤمنين وخلق لهم الجنة ،و أنه يبغض الكفار و سيدخلهم النار ، فكيف يقال : إن هذا الأمر عنده سواء ؟ .

و أنكرت الأشعرية الحكمة و طبائع المخلوقات ،و ما فيها من القوى و الأسباب ،و قالت أن الله يفعل عند الأسباب لا بها[2] ،و ارجعت الحكمة إلى علم الله بأفعال عباده ،و ايقاعها على ما أراده ،و لم تثبت إلا العلم و الإرادة و القدرة[3]. فالأشاعرة بموقفهم هذا قد جحدوا السببية المشهودة في الواقع ،و التي صرحت بها ايات قرانية كثيرة ، كقواه تعالى : ((وما انزل الله من السماء ،فأحيا به الأرض بع موتها))-سورة البقرة/163-164- وهم يرون أن اثبات الحكمة لله يؤدي إلى اثبات الحاجة في حقه ، و هو منزه عنها[4]. و هذا قياس للخالق بالمخلوق ، فالعبد هو الذي يعمل لحاجة ، أما الله فهو منزه عنها و غني بذاته ، حكمته كمال وغاية محمودة ،و ليست حاجة و نقصا .

و قد ذكر ابن الأهدل اليمني الاشعري(ت855 هـ/1480م) أن خصوم أبي الحسن الأشعري(ت342 هـ/935م) يذمونه لقوله : ((الخبز لا يشبع ،و الماء لا يروي ،و النار لا تحرق ،و هذا كلام أنزل لله معناه في كتابه ، فإن الشبع و الري و الاحراق حوادث انفرد الرب سبحانه بخلقها ، فلم يخلق الخبز الشبع ، و لم يخلق الماء الري ،و لم تخلق النار الاحراق ،و إن كانت أسباب في ذلك))[5] . فهو هنا قد اعترف أن الأشعري يقول: إن الخبز لا يشبع ،و الماء لا يروي ،و النار لا تحرق، لكنه لم يرد على منتقديه في هذه المسألة ،و قرر أمرا متفق عليه ، وذلك أن مثبتي الحكمة و التعليل يقولون أن الله خلق كل شيء ، وجعل في مخلوقاته خصائص و طبائع و غرائز ،

---

[1] ابن تيمي' التفسير الكبير ج 4 ص :210-212 .

[2] أي أنها مجرد اقتران دون تأثير .

[3] ابن الأهدل اليمني: كشف الغطاء ص :75 .و ابن تيمية: نفس المصدر ج 4 ص :207-208 .و الرسالة التدمرية ص : 92 .و مجموع الفتاوى ج 8 ص : 37 .و و قاعدة في المحبة ، حققه محمد رشاد سالم الجزائر دار الشهاب د ت ، ص :28-29 .و السفاريني : لوامع الأنوار البهية ج 1 ص :262-263 .و محمد المبارك : التفكير العلمي في الإسلام ط2 بيروت ، دار الفكر 1980 ، ص :62 .و سفر الحوالي : المرجع السابق ص :45 .

[4] ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج 8 ص :37 .

[5] ابن الأهدل : المصدر السابق ص : 75 .

فالنار فيها خاصية الإحراق ،و الماء فيه خاصية الإرواء ، وهذا الأمر لم يتطرق إليه ابن الأهدل .و مما يزيد الأمر وضوحا أنه لما القي إبراهيم –عليه السلام –في النار قال لها الله تعالى : ((قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم))–سورة الأنبياء/69– فهذا يعني أن النار فيها خاصية الإحراق، لكن تدخل الارادة الإلهية عطل خاصيتها المجبولة عليها إلى حين من الزمن، في حق نبي الله إبراهيم عليه السلام .

و يقول الباحث محمد المبارك: أن الكون محكم بسنن مقدرة مطردة ، جعلت حوادثه تقترن ببعضها اقترانا خاصا ،و تتلاحق بحيث يستتبع بعضها بعضا ،وتسير على نسق منظم مطرد ،و هذا قد دلت عليه ايات قرانية كثيرة ، كقوله تعالى: ((و أرسلنا الرياح لواقح ، فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه))–سورة الحجر/22– و ((جعلنا من الماء كل شيء حيا))–سورة الأنبياء/30– . فيتبين من ذلك أن نفي الأسباب لا يتفق مع ايات الكتاب و السنة النبوية ،و يسد باب العلم القائم على مشاهدة الارتباط المطرد بين الحوادث ،و الكشف عن سنن الكون[1] .

و تعقيبا على ما ذكرناه أقول: إن مظاهر الحكمة و السببية و طبائع المخلوقات ، حقيقة مشاهدة في الواقع ، وأشارت إليها نصوص شرعية كثيرة ؛ وإثباتها لا يؤدي إلى اعتقاد الشرك ،ولا إلى القول بالحاجة في حق الله تعالى، فهو غني بذاته ، خالق كل شيء ، وفق حكم و سنن مقدرة ، لقوله : ((وخلق كل شيء فقدره تقديرا))–سورة الفرقان/2– .و الذين انكروا ذلك من الحنابلة و الأشاعرة ليس لهم ما ينقضون به تلك الحقيقة ، إلا تأويلات وظنون لا تصمد أمام النقد العلمي؛ و جحودهم لطبائع الأشياء و الأسباب المتحكمة فيها يستلزم انكار كل العلوم ، لأنها تقوم أساسا على السببية و السنن الاجتماعية و الطبيعية .و فيما يخص الحكمة و الغائية في الطبيعة فقد كشفت الدراسات العلمية الحديث عن وجود توازن مدهش يتحكم في كل مظاهر الكون،و أن خواص المادة ملائمة تماما للحياة على وجه الأرض بطريقة فذة محكمة،وأن أدنى زيادة أو نقص فيها يجعل الحياة عليها مستحيلة،ودل التاريخ الطبيعي للأرض أن التطورات التي شهدتها عبر مراحلها الجيولوجية،كانت كلها تسير نحو الغائية و التدبير [2]؛ ثم توجت في النهاية بظهور الإنسان الذي وجد الأرض مهيأة ومسخرة له وفق سنن إلهية محكمة.الأمر الذي يؤكد مرة أخرى أن العالم مبني على الحكمة والغائية .

كما أن في القرآن الكريم ايات كثيرة أشارت إلى الحكمة من أوامر الله و أفعاله كتحريم الخمر و الميسر ((إنما الخمر و الميسر و الأنصاب و الأزلام رجس من عمل الشيطان))–سورة

[1] محمد المبارك : المرجع السابق ص :56-57 .

[2] جورج ستانسيو ،و روبرت أغروس: العلم في منظوره الجديد،ترجمه كمال خليلي، سلسلة عالم المعرفة الكويت المجلس الوطني للثقافة و الفنون ، 1984 ص :68.

المائدة/90 –،وبيان الغاية من خلق الإنسان في قوله تعالى: ((وما خلقت الجن و الإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق ،وما أريد منهم أن يطعمون، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين))–سورة الذريات/ 56 57– فهذه الآية بينت الغاية والحكمة من خلق الإنسان،ودفعت ما قد يتوهمه بعض الناس من أنه تعالى في حاجة إلى أن يعبده الجن والإنس، وهو الحكيم الغني بذاته المتفرد باسمائه وصفاته.

خامسا:مسألة الصفات الإلهية

تعد مسألة الصفات الإلهية أكثر المسائل الكلامية التي شغلت علماء المسلمين بحثا و جدالا و نزاعا منذ القرن الثاني الهجري [1]/8م إلى غاية القرنين السادس و السابع الهجريين/12–13م وما بعدهم؛وهي قضية متشعبة تندرج فيها مسائل جزئية عديدة،كالتأويل و الإثبات،و التشبيه و التنزيه، و الحرف والصوت،و الجهة و حقيقة كلام الله،وقد خاض فيها علماء الحنابل وكانت لهم منها مواقف متميزة و مناقشات فيما بينهم،ومع غيرهم من علماء الطوائف الأخرى.

أولا:مسألة التأويل و الإثبات و التشبيه:

يراد بالتأويل في القرآن الكريم حقيقة المعنى الذي يؤول–يصير–اللفظ إليه في الواقع [2] ؛ويقصد به عند السلف الأول– من المفسرين و الفقهاء و المحدثين–التفسير و البيان [3] و معناه عند المتكلمين كالمعتزلة و الجهمية،هو صرف اللفظ عن معناه الظاهري إلى معنى اخر،وهو الشائع عند المتاخرين من الأصوليين و الفقهاء[4]،كتأويلهم اليد بالقدرة،و الاستواء بالإستلاء، لذا عرفوا بالمؤولة و المعطلة،لأنهم قالوا :إن الصفات الواردة في الشرع توحي بتشبيه الخالق بمخلوقاته ، وهي لا تليق به ، فأولوها و حرفوها على طريقتهم اعتمادا على عقولهم ،و لم يثبتوا معانيها مع نفي التشبيه و الكيفية كما هو مذهب السلف[5] .

وقد أنكر علماء الحنابلة تأويل المتكلمين[6]، سيرا على منهاج إمامهم أحمد بن حنبل،لكن بعضهم تأثر به و مال إليه و مقال به ؛كأبي الوفاء بن عقيل البغدادي(ت513 هـ/1119م) تأثر بالمعتزلة و قال برأيهم في تأويل الصفات في مرحلة شبابه ، ثم اضطرب حاله بين النفي و الاثيات ، ثم استقر أمره

---

[1] فيه ظهرت الطوائف التي تنكر الصفات الإلهية ، ةالجهمية و المعتزلة . الشهرستاني : المصدر السابق ص: 104-105.

[2] ابن القيم الجوزية: مختصر الصواعق المرسلة ج1 ص:40. و أبو العز الحنفي شرح العقيدة الطحاوية ص: 213.

[3] نفس المصدر ج1 ص: 41 . و نفس المصدر ص : 212 و محمد الأمين الشنقيطي : المرجع السابقص: 16.

[4] نفسه ج 1 ص: 41. و نفس المصدر ص: 215. و نفس المرجع ص: 16، 17.و الصيوطي:الإتقان في علوم القرآن ج2 ص: 221.

[5] صالح العثيمين :القواعد المثلة في أسماء الله الحسنى ن الجزائر الدار السلفية 1990 ، ص :37 ، 38 ، 40 ، .

[6] ابو حامد الغزالي : المصدر السابق ج 1 ص :179 .

في أخر عمره على السنة المحضة و لزمها[1] .و الثاني عبد الرحمن بن الجوزي كان متذبذبا في موقفه من التأويل و الاثبات ، فتارة يثبت الصفات ،و تارة أخرى يؤلها متأثرا بابن عقيل[2]؛ فمن ذلك أنه ذكر أن من بعض الناس يقول : إن لله وجه و هو صفة زائدة عن ذاته ، لقوله تعالى : ((ويبقى وجه ربك ذو الجلال و الإكرام))-سورة الرحمن /27- و أن له يدا و أصبع ، ثم قال: ((وإنما الصواب قراءة الآيات و الأحاديث من غير تفسير ولا كلام فيها)) ثم عاد وقال: ((إنه قد يكون المراد بالوجه الذات، لا أنه صفة زائدة ،و على هذا فسره المحققون، فقالوا يبقى ربك ،و قالوا في قوله تعالى: ((يريدون وجهه))-سورة الكهف/28- يريدونه))[3] ، ثم قال: ((و الذي أراه السكوت عن هذا التفسير أيضا ،إلا أنه يجوز أن يكون مرادا ،و لا يجوز أن يكون))[4] . ثم قرر أن الطريق السليم هو إثبات الصفات لله على ما وردت به الأثار و الأخبار من غير تفسير و لا بحث ، عما ليس في قوة البشر ادراكه[5] .

و من تأويلات ابن الجوزي ما قاله في تفسير((هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام))-سورة البقرة/210- فقال: إن المعنى هو اتيان أمر الله[6] .و تأويله هذا لا مبرر له لأن الآية واضحة في إتيانه سبحانه و تعالى، و مجيئه-بلا شك- أه ليس كمجيء المخلوق ، وهذا أمر ضروري متفق عليه بين علماء أهل السنة ؛ لأن الصفات تتبع الذات الفاعلة فبما أن ذاته تعالى مباينة لسائر الذوات ، لزم ضرورة أن تكون صفاته مباينة لصفات الحوادث و لا تشبهها ،و بما أنه تعالى هو العلي العظيم، و أعلى من كل شيء ، فلا يكون إتيانه بحيث تحيط به مخلوقاته ،و لا هي أعظم و لا أكبر[7] .

و انتقد ابن الجوزي الذين يحملون الأخبار على ما يقتضيه الحس ، كقولهم : ينزل ربنا إلى السماء و ينتقل . هذا عنده فهم ((رديء لأن المتنقل يكون من مكان إلى مكان ،و يوجب كون المكان أكثر منه ، ويلزم منه الحركة، وكل ذلك محال على الحق عز و جل))[8].و مسلكه هذا خاطئ من

---

[1] الموفق بن قدامة : تحريم النظر ص : 6 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :174 ط د .و ابن تيمية : نقض المنطق ص :135 .

[2] ابن تيمية : نفس المصدر ص : 139 .

[3] ابن الجوزي: تلبيس إبليس ص :101 .و ابن ناصر العلوان :اتحاف أهل الفضل و الانصاف بنقض كتاب بن الجوزي دفع شبه التشبيه ط 1 الرياض دار الصميعي 1995 ج 1 ص :15 .

[4] ابن الجوزي: نفس المصدر ص :102 .

[5] نفسه ص :102 . و ابن ناصر العلوان : المرجع السابق ج 1 ص :15 .

[6] ابن تيمية : التفسير الكبير ج 6 ص :388 .

[7] نفس المصدر ج 6 ص :407 .

[8] ابن الجوزي : صيد الخاطر ص :476 .

أساسه ، لأنه قياس للخالق بالمخلوق ، فلو طبقنا طريقته هذه على الذات الإلهية لانتهينا إلى الكفر ، فإذا قلنا–مثلا– : إننا لا نعلم ذاتا إلا في مادة ،و حيز مكاني ،و إثبات الذات لله يستلزم أنها مكونة من مادة ،و لها حيز مكاني ، وهذا يوقعنا في التشبيه و التجسيم.و إذا أولنا الذات نكون قد نفيناها ،و كل هذا مستحيل في حق الله عز و جل .و هو– أي ابن الجوزي– عندما نفى النزول حمله على الحس ، كنزول البشر و نسي أن نزوله تعالى لا يمكن أن يشبه نزول مخلوقاته ، فله نزول يليق به و لا يعلمه إلا هو . و ابن الجوزي عندما نفى النزول و الحركة في حق الله ، حملهما على ما يقتضيه الحس ، قياسا على المخلوقات المتحركة البشر ، لكنه نسي أنه قد شبه الله بالمخلوقات الجامدة التي لا تتحرك،و وقع في التجسيم الذي فر منه ، لأنه لم يسلك الطريق الصواب في مسائل الصفات[1] .

و قد أنكرت طائفة من علماء الحنابلة على ابن الجوزي، ميله للتأويل في بعض كلامه ،و أرسلت إليه خطابا بواسطة تلميذه أبي الفضل اسحق العلثي(ت 634 هـ/1236م) نبهته فيه على بعض أخطائه ،و حذرته من مغبة الاستمرار على ما هو عليه[2] .و قد وصف الفقيه الموفق بن قدامة المقدسي (ت620 هـ/1223م) ، عبد الرحمن بن الجوزي ، بأنه كان فقيها محدثا ، لكن منهجه في أصول الدين لم يعجبه ، فقال عنه: ((إلا أننا لم نرض تصانيفه في السنة،و طريقته فيها))[3].و سبب انحراف ابن الجوزي عن منهج الحنابلة في موضوع الصفات ، أنه لم يكن خبيرا بحل شبه المتكلمين، رغم اطلاعه الواسع على الأحاديث و الآثار .و لأنه كان متابعا لأبي الوفاء بن عقيل في معظم أخطائه[4] .

و الثالث الفقيه نصر الدين بن عبد الله السامري المعروف بابن سنينة(ت616 هـ/1219م)،كان يؤول بعض الصفات متأثرا بالمتكلمين المؤولين لها ،و يقول : ((أخبار الآحاد[5] لا تثبت بها الصفات))، فكتب إليه الحافظ أبو منصور عبد الله بن محمد البغدادي الحنبلي(ت643 هـ/1245م) رسالة رد فيها عليه فيما ادعاه[6] .

[1] و هو : إثبات كل الصفات الواردة في الشرع ، مع التنزيه المطلق لها دون تأويل و لا تشبيه ، لقوله تعالى ((ليس كمثله شيء و هو السميع البصير))–سورة الشورى/ 11 .و ((لم يكن له كفؤا أحد))–سورة الإخلاص /4 .

[2] للاطلاع على الرسالة كاملة انظر : ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ج 2 ص : 205 و ما بعدها .

[3] نفس المصدر ج 1 ص :415 .

[4] نفس المصدر ج 1 ص : 414 . و ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج 4 ص :331 .

[5] عنها انظر : المبحث الثالث من هذا الفصل .

[6] نفس المصدر ج 2 ص :233 .و نفس المصدر ج 5 ص : 219 .

و أما علماء الحنابلة الذين اثبتوا الصفات ولم يؤولوها ، فهم كثيرون جدا و يمثلون جمهور علماء الطائفة الحنبلية[1] . منهم أبو الحسين بن أبي يعلى الفراء البغدادي(ت 526 هـ/1131م) يعتقد أن إثبات الصفات هو إثبات وجود ، لا إثبات كيفية و تحديد ،و هي لا تشبه صفات البشر ،و لا تدرك حقيقتها بالفكر و الروية ،و مذهب الحنابلة في هذه المسألة هو هدى بين ضلالين ،و حق بين باطلين ، فهم لا يقولون بالتعطيل كالجهمية،و لا بالتشبيه كالمشبهة ،و لا بالتأويل و المجازات كالأشعرية، وإنما هم يثبتون الصفات مع نفي التشبيه و الأدوات[2] .

و الثاني الوزير عون الدين بن هبيرة البغدادي(ت560 هـ/1164م))، يعتقد أن ايات الصفات يجب أن تمر كما جاءت ، فلا تفسر على الحقيقة ،و لا على المجاز ، لأن حملها على الحقيقة تشبيه ،و على المجاز بدعة .و ذكر أن الصحابة سكتوا عن تفسيرها-أي ايات الصفات- مع كثرة علمهم ، لقوة الهيبة للموصوف ،و لأن تفسيرها لا يتأتى إلا بضرب الأمثال لله ، وقد قال سبحانه و تعالى: ((فلا تضربوا لله الأمثال))[3]-سورة النحل/74 .و لأنها[4] كانت واضحة في أذهانهم و قلوبهم ، اتباعا لقوله تعالى: ((ليس كمثله شيء و هو السميع البصير))-سورة الشورى/11- و ((لم يكن له كفؤا احد))[5]-سورة الإخلاص/4- .

و الثالث الشيخ عبد القادر الجيلاني(ت 561 هـ/1165م) أثبت لله العلو و الاستواء على العرش ،و الحرف و الصوت ،و الجهة و النزول ، و الكلام ، مع الاعتقاد أنه تعالى لا نظير له و لا شبيه[6] .و قد سار على نهجه غالبية علماء الحنابلة، كحفيده القاضي أبي صالح بن عبد الرزاق (ت633 هـ/1235م) ،و الشيخ تقي الدين بن تيمية (728 هـ/ 1327م) ،و تلميذه ابن القيم الجوزية(ت751 هـ/1350م)[7].

و أشير هنا إلى أن مذهب السلف الأول في مسألة الصفات، هو إثبات كل ما ورد منها في الكتاب و السنة ، و إجراؤها على ظاهرها ،مع نفي كيفيتها و مشابهتها لصفات الحوادث ،و عدم

---

[1] أبو حامد الغزالي: المصدر السابق ج 1 ص :179 .

[2] أبو الحسين بن أبي يعلى الفراء : طبقات الحنابلة ج2 ص :208 ، 209 .

[3] ابن رجب : المصدر السابق ج1 ص :273 .

[4] هذه زيادة لابن القيم و ليست لابن هبيرة .

[5] ابن قيم الجوزية : مختصر الصواعق المرسلة ج1 ص :49 .

[6] عبد القادر الجيلاني : الغنية لطالبي الحق ، ص :71 ، 72 ، 73 ، 47 ، 76 و ما بعدها .

[7] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :190 .و ابن تيمية : الرسالة التدمرية ص : 4 . و مجموع الفتاوى ج 3 ص :167 .و ابن القيم : اجتماع الجيوش الإسلامية ص :35 و ما بعدها .

تأويلها على طرقة المتكلمين ، وقد كان على هذا المنهاج : الفقيه إبراهيم الأوزاعي(ت157 هـ/773م)،و سفيان الثوري (ت161 هـ/777م) ،و عبد الله بن المبارك (ت181 هـ/797م)،و شهب الدين الزهري(ت184 هـ/800م)[1] . وفي مقابل هؤلاء فإن المعتزلة و الفلاسفة فإنهم أولوا كل الصفات[2] ،و الأشاعرة ذكر عنهم حجة الإسلام أبو حامد الغزالي ، أنهم فتحوا باب التأويل في كل ما يتعلق بالصفات ،و تركوا ما يتعلق بالآخرة على ظواهره[3] ؛ لكن الفقيه تاج الدين السبكي الأشعري(ت771 هـ/1369م) روى أن للأشاعرة قولين في مسألة الصفات ، الأول إثباتها مع التنزيه ،و الثاني تأويلها[4] .و ما قاله الغزالي هو المشهور عنهم ، أما عدم التأويل فهو منقول عن أمامهم أبي الحسن الأشعري[5](ت324 هـ/935م) .

و لموضوع التأويل وجه أخر يعرف بالمجاز ، فماذا يقصد به ؟ و ما موقف الحنابلة منه ؟ . قسم القائلون بالمجاز الألفاظ فسمين : الأول يمثل الألفاظ الحقيقية المستعملة فيما و ضعت له ، كإطلاق اسم أسد على الحيوان المفترس .و الثاني يشمل ألفاظ المجاز و هي المستعملة في غير ما وضعت له ، كقولنا أسد للرجل الشجاع[6] .و هذا التقسيم عند ابن قيم الجوزية ليس تقسيما شرعيا ،ولا عقليا ،و لا لغويا ،وإنما هو اصطلاح محض[7] قال به الجهمية والمعتزلة في القرن الثالث الهجري/9م ، و الأشاعرة من بعدهم، ليسهل عليهم تأويل الصفات ونفي حقائقها[8] .

و قد روي عن الإمام احمد أنه أجاز وقوع المجاز في اللغة كأن يقول الإنسان المعظم لنفسه: نحن قلنا كذا . فتمسك بقوله بعض علماء الحنابلة ، كالقاضي أبي يعلى الفراء ،و أبي الخطاب الكلوذاني ،و أبي الوفاء بن عقيل ،و قالوا :إن في القرآن مجازا نقلوه إليه من اللغة ؛ رغم أن إمامهم

---

[1] انظر : الموفق بن قدامة المقدسي : تحريم النظر ص :10 ، 12 .و لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ، حققه بدر بن عبد الله البدر ط2 ، الكويت دار ابن الأثير ،1995 ص :228 ، و 229 ، 232 و ما بعدها .و الشوكاني: التحف في مذهب السلف ، جدة ، مطبوعات الجامعة الإسلامية ، د ت ص : 7 .و أبو الفضل التميمي: اعتقاد الإمام احمد ص : 307 .و أبو حامد الغزالي: المصدر السابق ج 1 ص :179 .و ابن القيم : المصر السابق ص :53 , 41 ، 45 ، و ما بعها ،

[2] أبو حامد الغزالي : نفسه ج 1 ص :179 ، 180 .

[3] نفسه ج 1 ص : 179 .

[4] السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ج 5 ص :191 .

[5] ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج 3 ص :190 ج 6 ص :359 ج 11 ص :204 .

[6] ابن قيم الجوزية : مختصر الصواعق المرسلة 2 ص :383 .و ابن بدران الدمشقي: نزهة الخاطر العاطر ط 2 بيروت دار ابن حزم ،1995 ج 1 ص :150 .و الشنقيطي : المرجع السابق ص :57 .و العثيمين: الأصول من علم الأصول ص :17 ، 18 .

[7] ابن القيم : نفس المصدر ج 2 ص :283 .

[8] نفسه ج 2 ص :383 .و ابن عقل : الرد على الأشاعرة ص :85 .و ابن بدران : نفس المصدر ج 1 ص : 151 .

لم يكن يقصد بقوله أن في القرآن ألفاظا استعملت في غير ما وضعت له ،و يفهم منها خلاف حقائقها[1] . وفي مقابل هؤلاء نفى كثير من العلماء وقوع المجاز في القران-كأبي عبد الله بن حامد(403 هـ/1012م) ،و أبي الفضل بن رزق الله التميمي(ت497 هـ/1103م)- وقالوا : إن جميع ألفاظه حقائق، كرد فعل للقائلين بالمجاز المغالين في تحريف الكلم عن مواضعه باسم المجاز، لأنهم فهموا أن المقصود منه أنه ليس تحته معنى ،و لا له حقيقة ،و بعضهم أنكره لئلا ((يوهم هذا المعنى الفاسد ،ويصير ذريعة لمن يريد جحد حقائق الكتاب و السنة و مدلولاتهما))[2] .

و ذهب الفقيه الموفق بن قدامة المقدسي إلى القول بوقوع المجاز في القرآن الكريم ، و معناه عنده هو اللفظ المستعمل في غير موضعه الأصلي على وجه يصح ، كقوله تعالى : ((وسل القرية))-سورة يوسف/82-و((فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض))-سورة الكهف/77- و((اخفض لهما جناح الذل))-سورة الإسراء/24- ، فهذا كله مجاز ،ومن مانع فقد كابر ،ومن سلم و قال لا اسميه مجازا ، فهو نزاع في عبارة لا فائدة في المشاحة[3] فيه[4] .

و قد أنكر الباحث محمد الأمين الشنقيطي، على الشيخ الموفق قوله بوقوع المجاز في القرآن الكريم ، ورد عليه بقوله أن : ((جميع القائلين بالمجاز متفقون على أن من الفوارق بينه وبين الحقيقة ، أن المجاز يجوز نفيه باعتبار الحقيقة دون الحقيقة فلا يجوز نفيها . فنقول لمن قال: رأيت أسدا على فرسه ،و هو ليس بأسد ، إنما هو رجل شجاع ؛و القول في القرآن بالمجاز يلزم منه أن في القرآن ما يجوز نفيه ،و هذا باطل قطعا؛و بهذا توصل المعطلون إلى نفي صفات الكمال و الجلال الثابتة لله تعالى في كتابه ،و سنة نبيه-صلى الله عليه و سلم- بدعوى أنها مجاز))[5] . وهو مبالغ في ذهب إليه، لأن كل من لفظي الحقيقة و المجاز يعبران عن حقيقة واحدة في المثال الذي ضربه ،و هو أن الرجل شجاع ، سواء وصفناه بأنه أسد أو أنه شجاع ، لأننا في استعمالنا كلمة أسد نقصد بها أنه شجاع ،و ليس لنه أسد .

و يرى الشنقيطي أن الآيات التي ذكرها الموفق كدليل على وقوع المجاز في القرآن ، لا يتعين في شيء منها أنه مجاز، ففي قوله تعالى: ((واخفض لهما جناح الذل)) ، ليس المراد به أن للذل جناحا

[1] ابن قيم الجوزية : ج2 ص :383 .و الشنقيطي : مذكرة أصول الفقه ، الجزائر ، الدار السلفية، د ت ، ص : 58 .

[2] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :209 ، 210 .

[3] المشاحة هي المخاصمة . علي بن هادية و أخران : القاموس الجديد ص :1076 .

[4] ابن بدران : المرجع السابق ج 1 ص :150 .

[5] الشنقيطي : المرجع السابق ص :58 .

،و إنما هو من باب إضافة الموصوف إلى صفته ،و معناه اخفض لهما جناحك الذليل لهما من الرحمة ،و نظره في كلام العرب قولهم : حاتم الجود ، أي الموصوف بالجود ، فخفض الجناح فيه اللين،و كناية عن لين الجانب؛و إضافة صفة الانسان لبعض أجزائه ، اسلوب من أساليب اللغة العربية[1] . وأقول: أنه لم يسم هذا الأسلوب ،و غيره سماه مجازا ،و هو أسلوب من أساليب التعبير في اللغة العربية ،و الآية التي نفى عنها المجاز ، هو فيها ظاهر متمثل في استعمال لفظ الجناح ، استخدم من باب المجاز و التشبيه، لأنه لا جناح لا للإنسان ولا للذل، و هو ينطبق عليه تعريف المجاز و إن أبى الشنقيطي تسميته مجازا سدا للطريق أمام المؤولين و المعطلين للصفات .

وأما في قوله تعالى: ((و اسأل القرية)) ، فيرى الشنقيطي أنه ليس مجازا و أن فيه حذفا ،و هو المضاف حل محله المضاف إليه ،و هذا أسلوب معروف في اللغة[2] . نعم إنه أسلوب من أساليب العربية ، لكن ما اسمه ؟ لم يسميه الشنقيطي ، وقد سماه الباحث صالح العثيمين مجازا محذوفا ، لأن معنى الآية هو: اسأل أهل القرية ، فحذفت لفظة أهل مجازا .[3] و نفى الشنقيطي أن يكون في قوله تعالى: ((فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض)) مجازا ،و قال أنه لا مانع من حمل الارادة في الآية على حقيقتها ،لأن للجمادات إرادات حقيقية يعلمها الله تعالى .و قد ثبت أن حجرا كان يسلم على النبي-عليه الصلاة و السلام- و في القرآن الكريم ((وإن من شيء إلا يسبح بحمده ،ولكن لا تفقهون تسبيحهم))[4]-سورة الإسراء/44- . و مع اعتقادنا بتسبيح كل الجمادات لخالقها ،فإن ظاهر اية الجدار لا يقصد به ذلك ، و إنما هو تعبير مجازي عن حقيقة حالة الجدار الذي يكاد أن يسقط لقدمه ،أو لخلل في بنائه ، أو لكليهما معا ، لذا أصلحه موسى-عليه السلام- و العبد الصالح ،و المجاز هنا هو إسناد إرادة السقوط للجدار ، للتعبير عن حالته السيئة في الواقع . فالآية استخدمت المجاز للتعبير عن الحقيقة ،و هذا أسلوب من أساليب التعبير في القرآن الكريم ، رفض الباحث الشنقيطي تسميته مجازا و سماه غيره مجازا ،و هو نزاع لفظي لا فائدة في المشاحة فيه .

و انتقد الباحث محمد أبو زهرة الشيخ تقي الدين بن تيمية في استنكاره الشديد لتأويل ايات الصفات و تفسيرها مجازيا من جهة ، ثم هو يعتبر كل الاسماء الواردة في نعيم الجنة مجازية من جهة

---

[1] الشنقيطي: المرجع السابق ص :58-59 .

[2] نفسه ص :59 .

[3] صالح العثيمين : المرجع السابق ص :19 .

[4] الشنقيطي : المرجع السابق ص : 59 .

أخرى ، في قوله : ((قال ابن عباس : ليس في الدنيا من نعيم الجنة إلا الأسماء)) ففيها التمر و اللبن ،و الماء و الحرير [1] . و يبدو أن أبا زهرة لم يفهم مقصود ابن تيمية الذي رفض تأويل المتكلمين و مجازهم المؤديين إلى نفي الصفات و تعطيلها ، كتأويلهم الاستواء على العرش بالاستلاء ،و بين المجاز الذي قال به في نعيم الجنة ، فهو مجاز في تشابه أسماء نعيم الدنيا و الآخرة ،و لم ينف به حقيقة النعيم الأخروي الذي يختلف كلية عن النعيم الدنيوي .و نحن عندما نقول : يد الإنسان ،و يد المحفظة ،و وجه الانسان ،و وجه الحائط ،و وجه الترب ، نكون قد استعملنا اليد و الوجه مجازا لغير الإنسان ، و عبرنا بهما عن حقائق في الواقع ، فالمجاز هنا هو الاشتراك في الاسم ،و ليس في نفي الحقيقة الموجودة في الخارج .

و يستخلص مما ذكرناه عن المجاز إن في القرآن الكريم أسلوبا في التعبير عن المخلوقات ، استعملت فيه ألفاظ في غير مواضعها المتعارف عليها ، سماه بعض أهل العلم مجازا و أنكره أخرون . فإذا اعتبرناه مجازا فهو لا يعد نفيا و لا تأويلا لحقائق الآيات القرانية ،و إنما هو أسلوب من أساليب إثباتها و التعبير عنها .و إذا لم نعتبره مجازا فإنه يبقى يحمل معنى المجاز .

ويرى المنكرون لتأويل المتكلمين ، أنه لا فائدة ترتجى منه ،و أن دافعه التجسيم و التشبيه ،و أنه أوصل الذين خاضوه إلى الضياع و التيه . فهو عند الشيخ الموفق بن قدامة المقدسي(ت620 هـ/1223م) لا طائل منه،ولا عمل تحته،ولا ضرورة تدعو إليه.وهو تكلف و حمق،و تنطع و كلام بالجهل،و قول في كتاب الله و سنة رسوله بالرأي.لذا يكفي الإمان بالصفات دون العلم بمعناها.والسكوت عن تفسير ما لا يعلم ليس عيبا،بل هو الواجب والكلام فيه حرام[2].والمؤول ينفي عن الله صفة أثبتها لذاته،ويصفه بما لا يصف به نفسه،كالذي ينفي عنه صفة الاستواء على العرش ويجعل مكانها الاستلاء،افلم يكن الله قادرا على استعمال كلمة الاستلاء حتى جاء هذا المؤول واستعملها؟!ويرى الموفق ان الذي اوصل النفاه إلى التأويل هو اعتقادهم التشبيه،حتى جعلوا الله مقيسا على عباده و مشابها لهم في صفاته و أسمائه فلجؤوا إلى نفي صفاته الواردة في الكتاب و السنة.[3]

وأما ابن قيم الجوزية فيرى أن المتأولين لم يستفيد من تأويلهم إلا التناقض و تعطيل حقائق النصوص الشرعية،فإذا أول المحبة و الرضى و الرحمة بالإرادة،قيل لهم ما معنى الإرادة ؟ أليست هي لدى الخالق و المخلوق ؟فيلزمهم نفيها كما نفو غيرها من الصفات.و إذا أولوا اليد بالقدرة،قيل لهم

---

[1] أبو زهرة : ابن تيمية ، القاهرة دار الفكر العربي ، د ت ، ص :270 .

[2] الموفق ابن قدامة: لمعة الاعتقاد ص: 256 . و تحريم النظر ص :32 ،33 ،36 .

[3] ابن قدامة: تحريم النظر ص: 33-34 ،51.

:كيف هي ؟ لأن العبد يتصف بها هو كذلك وإذا أولوا الوجه بالذات،قيل لهم :ما معناها ؟ لأنها تطلق على الأزلي و الحادث،فيلزمهم نفيها كما نفوا الوجه وقل كذلك في باقي الصفات[1] .

وذهب البحثان محمد الشنقيطي و سليمان بن ناصر إلى القول بأن نفاة الصفات يعتقدون التشبيه لأنهم لا يفهمون من صفات الخالق إلا ما يفهمونه من صفات المخلوق؛فدفعهم ذلك إلى تأويلها،وأوقعهم في التعطيل و رد النصوص،و وصف الله بالناقصات و الجمادات،فهم مشبهة أولا،و معطلة ثانيا[2] .

و في مقابل سلبيات التأويل فإن في إثبات الصفات فوائدة كثيرة،ذكر منها الموفق بن قدامه ثلاث هي:موافقة الشرع،و السلامة،و اتباع منهج السلف من الصحابة و التابعين ومن جاء بعدهم[3].والرابعة التخلص من التناقض و الحيرة،و الخامسة هي أننا في اثباتنا لها نتعبد بها،كصفة الحكمة،و الرضى،و الرحمة،اتباعا لقوله تعالى: ((ولله الأسماء الحسنى فدعوه بها))-سورة الأعراف/140-فيقول العبد-مثلا- :يا حكيم يا رحمان ارضى عنا وارحمنا و ارزقنا. لكن الباحث محمد أبو زهرة ذهب إلى عكس ما قاله هؤلاء مؤكدا أنه لا فائدة من التفسير الظاهري [4] لآيات الصفات لأنه لا يؤدي إلى معرفة حقيقية،و يوصل إلى متاهات واثبات ما ليس بمعروف كالوجه و الاستواء و اليد[5].

و كلامه هذا لا نوافقه عليه ، لأنه لا التأويل ولا الاثبات يؤدي إلى المعرفة الحقيقية بكنه الصفات الالهية ، فهي كالذات يستحيل على العقل ادراكها . لذلك فهي عند المثبتين لها إنما هي اثبات وجود،لا إثبات كيفية ومعرفة كنهن.و المؤولون لها عطلوها أولا،و اخترعوا لها صفات من عندهم ثانيا،ولم يعرفوا حقيقتها فعندما أولوا اليد بالقدرة،لم يعرفوا كنهها و لم يحلوا الإشكال،فهل هي كقدرة البشر؟وهل هي مرتبطة بالجسم كالإنسان،فإن قيل لا،قيل هي كذلك صفة اليد ليست كيد الإنسان،وإنما هي يد لله تليق به لأنه ((ليس كمثله شيء وهو السميع البصير))-سورة الشورة/11- ونحن عندما نقول:يد الإنسان ، ويد المحفظة،و وجه الإنسان و وجه الثوب،و وجه الحائط،نعلم أن

---

[1] ابن قيم الجوزية: مختصر الصواعق ج1 ص: 104 ..

[2] الشنقيطي :منهج و دراسات ص: 3 ،17 ،18 .وسليمان بن ناصر: المرجع السابق ج1 ص: 24 ..

[3] ابن قدامة المقدسي : لمعة الاعتقاد ص: 256 .

[4] إطلاق هذا التعبير على إثبات الصفات دون تأويل و تشبيه ،فيه التباس قد يوهم أن المثبتين للصفات يأخذونها على ظاهرها،بمعنى أنها تشبه صفات البشر وهذا خطا بين.و لهذا التعبير وجه صحيح إذا قصد به أن الصفات تثبت على ظاهرها من حيث أنها صفات حقيقية لله مع عدم مشابهتها لصفات البشر .

[5] أبو زهرة: المرجع السابق ص :277

ذلك مجرد اشتراك في الاسم بين الماديات ، وأن الفرق بينها كبير جدا،فما بالك بالنسبة للذات الإلهية ، و لله المثل الأعلى ؟! .

و فرّق أبو زهرة بين اثبات صفتي القدرة و العلم دون تأويل لهما لأنهما صفيان معنويتان، وبين تأويل صفة اليد التي ترمز لجارحة[1]. وهذا خطأ ظاهر،فكيف سمح لنفسه أن يتصور أن اثبات اليد لله يعني أنها جارحة يجب تأويلها ؟ و على أي أساس فرق بين هذين النوعين من الصفات؟إنه قاس الخالق بالمخلوق في صفات دون أخرى، فهو قد شبه قبل أن يؤول . و أليس الله ليس كمثله شيء في ذاته و صفاته و أفعاله؟!ولماذا أثبت صفتي السمع و البصر لله ولم يؤولهما وهما جارحتان عند الإنسان ؟ و أليس صفات العلم و الحياة، و القدرة و الإرادة ، التي أثبتها لله هي في الإنسان مرتبطة بجسمه و قلبه و عقله و أعضائه؟ فلماذا لم يؤولها دفعا للتشبيه كما أول اليد ؟ و أليس لكل من الله و الإنسان وجود وذات ؟! فلماذا لم يؤول ذات الله و وجوده لكي لا يشبه الإنسان ، لأننا لا نعرف ذاتا ولا وجودا في الواقع إلا وهما من مادة و في حيز مكاني ؟ ! فمن الذي دخل في ضياع و متاهات ، المثبت للصفات الملتزم بالنصوص أم المؤول لها ؟ !

و للباحث عبد الحليم محمود موقف سليم من مسألة الصفات ، و جدير بالتدبر و التنويه ، مفاده ان البحث في الذات الالهية و صفاتها–الموهمة للتشبيه– نفيا و تأويلا ، إنما هو ((تهجم من الإنسان إلى مقام لا يرقى إليه وهم متوهم ، و لا خيال متخيل ، وانه لحق أن كل ما خطر على بالك فالله بخلاف ذلك)) ،و المؤولون للصفات تجاوزوا حدودهم كبشر ،و تطاولوا إلى مقام الألوهية ،و ((غرهم عقلهم و خدعهم شيطانهم ، فحاولوا بعقولهم أن يفتروا على الله ما لم ينزل به سلطانا)) فأدى ذلك إلى إثارة مشكلة الصفات التي أوصلت إلى ((الجدل و الخصومة ،و التفرق بين المسلمين،و جعلتهم فرقا تتخاصم ، و يرمي بعضها بعضا بالانحراف و الضلال)) . و لحل هذه المشكلة يجب الرجوع إلى ما كان عليه السلف الصالح ، من إثبات للصفات بلا تشبيه و لا تعطيل ، و وصف لله بما وصف به في الكتاب و السنة ، و بهذا يمكننا نزع مبحث الصفات من علم الكلام ،و إبعاده من محيط الفكر الإسلامي[2] .

[1] أبو زهرة: المرجع السابق ص: 277.

[2] عبد الحليم محمود : الإسلام و العقل ، القاهرة دار المعارف ، 1980 ، ص : 126 ، 129 .

و قد شاع بين طوائف المؤولين في المشرق الإسلامي-خلال القرنين:6-7هـ/12-13م- أن الحنابلة مشبهة و مجسمة ، عندما لم يسايروهم في مجازاتهم و تأويلاتهم للصفات الإلهية . فما معنى التشبيه ؟ و هل حقا أن الحنابلة مشبهة على ما يقوله عنهم هؤلاء ؟ إن مفهوم التشبيه عند الحنابلة هو أن نشبه صفات الخالق بصفات مخلوقاته كيفا و معنى ، كأن يقول المشبه: يد الله كيدي ،و وجهه كوجهي .و أما إثبات يد ليست كالأيدي ، و سمع ليس كالأسماع ، و بصر ليس كالأبصار ،و وجه ليس كالوجوه ، فهو إثبات لصفات ذات ليست كالذوات ، و من ثم فلا يعد هذا تشبيها ، و هو المسلك الصحيح و ما عداه فهو التعطيل المحض ، و التناقض الذي لا يثبت لصاحبه قدم في النفي ، و لا في الإثبات[1] . و أما التشبيه عند المؤولين فهو إثبات الصفات و عدم تأويلها ، فمن فعل ذلك فهو عندهم مجسم و مشبه لله بخلقه ،و من أولها فهو منزه له[2] .

و من العلماء الذين اتهموا الحنابلة بالتشبيه ، شيخ الشافعية الفقيه أبو اسحق الشيرازي الشافعي(ت 476 هـ/1083) كتب[3]رسالة إلى الوزير السلجوقي نظام الملك(ت 485 هـ/ 1092م)، و صف فيها الحنابلة بالتجسيم و التشبيه ، و أنهم جعلوا لله قدما ، و أضراسا ،و لهوات[4] .و روى القاضي أبو بكر بن العربي المالكي المغربي(ت 543هـ/ 1147م) أنه عندما زار بغداد في سنة 490هـ/1096م ، حدثه الأشاعرة أن الحنابلة أظهروا التجسيم ببغداد ، ثم و صفهم بأنهم طائفة خبيثة ،و ما تفرع عنها فهو خبيث مثلها ، و هي ممن كاد للإسلام كالباطنية[5] . و اتهم المؤرخ عبد الرحمن بن الجوزي ، بعض علماء مذهبه بميلهم إلى التشبيه ، كعبد الله الأنصاري الهروي (ت481 هـ/1088م)،و أبي الحسن بن الزاغوني البغدادي (ت5127 هـ/1131م)[6] .

---

[1] ابن القيم الجوزي: المصر السابق ج 1 ص : 55 .و الروح ، حققه محمد اسكندر يلدا ط1 بيروت ، دار الكتب العلمية ن 1982 ، ص :354 .و ابن عقيل : الرد على الأشاعرة ص : 68 .و ابن قدامة المقدسي: المصدر السابق ص :42 ، 43 . و ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص : 29 .

[2] ابن عساكر : تبيين كذب المفتري ص : 311 ، 312 .و ابن أبي العز الحنفي : المصدر السابق ص : 118 .و الذهبي : تذكرة الحفاظ ج 3 ص : 1177 ، 1178 . و سفر الحوالي : المرجع السابق ص : 53 .

[3] كتبها على اثر فتنة سنة 469 بين الحنابلة و الأشاعرة ببغداد . انظر : ابن عساكر ك المصدر السابق ص : 311 و ما بعدها .

[4] نفسه ص : 311 ، 312 .

[5] أبو بكر ابن العربي: العواصم من القواصم ، حققه عمار طالبي ، الجزائر ، الشركة و الوطنية للنشر و التوزيع ، 1981 ، ج 2 ص : 281 ، 282 .

[6] ابن رجب: المصدر السابق ج 2 ص : 146 .و ابن تيمية : نقض المنطق ص : 135 ، 152 ، 154 .

و رمى الأشاعرة الفقيه تقي الدين بن عبد الحميد المقدسي الحنبلي(ت679 هـ/1297م)، بالتجسيم لأنه كان كثير الكلام في الصفات ،و شديد التعصب عليهم .و قد قال له بغضهم : يا شيخ أنت تقول: إن الله استوى على العرش ، فرد عليه بقوله : لا و الله ،و إنما هو الله تعالى قال ،و رسوله بلغ ،و أنا صدقت ، فبهت الرجل ! و ذكر الحافظ الذهبي أن هذا الحنبلي تلطخ بالتجسيم و هو بريء منه ، لأنه كان لهجا بايراد الصفات و التحريش بالخصوم ؛ و من صير ذلك ديدنه رمي بالتجسيم[1] .

و ادعى الفقيه تاج الدين السبكي الأشعري الدمشقي(ت771 هـ/1369م) أن فضلاء الحنابلة-لم يسميهم- كانوا على عقيدة المتكلم أبي الحسن الأشعري(ت 324 هـ/935م) و أن رعاعهم[2] التحقوا بأهل التجسيم[3] .و قسمهم الفقيه ابن الأهدل اليمني الأشعري(ت 855هـ/ 1451م) ثلاث فئات ، الأولى على مذهب السلف ، تعتقد التنزيه و تنفي التشبيه ، و تمسك عن الكلام و التأويل .و الثانية لا تؤول و تأخذ بالتشبيه على ظاهر الرويات .و الثالثة تفرح بالتشبيه و التجسيم ،و بعضها أجسر على ذلك من بعض[4] . وأما الباحثون المعاصرون الذين اتهموا الحنابلة بالتشبيه ،و الانحراف عن منهاج إمامهم احمد بن حنبل ، فمنهم : محمد زاهد الكوثري ،و جولد تزهير[5] ،و علي سامي النشار ،و زهدي جار الله[6] .

و أما مواقف علماء الحنابلة من تلك التهم الموجهة إليهم ، فهم ينكرونها و يردونها جملة و تفصيلا ، منهم الفقيه أبو الحسن بن أبي يعلى الفراء البغدادي (ت526 هـ/1131م) ، فهو يعتقد أن إثبات الحنابلة للصفات ، هو اثبات وجود لا اثبات تحديد و كيفية ،و هي لا تشبه صفات البرية ،و لا تدرك حقيقتها بالفكر و الروية .و الله تعالى متعدد الصفات ، و لا شبيه له في ذاته ،و لا في

---

[1] الذهب: سير أعلام النبلاء الجزء المفقود ص : 312 ، 313 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 299 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص : 363-364 .

[2] الرعاع هم سفلة الناس . علي يبن هادية : المرجع السابق ص : 392 .

[3] السبكي: معيد النعم ص : 75 ، 87 .

[4] ابن الأهدل : كشف الغطاء ص : 169 .

[5] ذكر الباحث جورج مقدسي أن سبب اتهام جولد تزهير للحنابلة بالتجسيم و التعصب ، هو اعتماده على كتاب طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي المتعصب على الحنابلة . George Makdisi op cit Tome 2 P 226

[6] عن هؤلاء انظر بالترتيب : الحسيني أبو المحاسن: ذيل تذكرة الحفاظ، حققه محمد زاهد الكوثري ، بيروت دار احياء التراث العربي د ت ، الرسالة الثانية ص هامش ص : 181 ، 252 .و جولد تزهير : العقيدة و الشريعة في الإسلام ص : 96 .و علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، ط2 القاهرة ، دار المعارف ، 1965 ، ج1 ص : 371 ، 631 .و زهدي جار الله : المعتزلة ، بيروت ن الدار الأهلية للنشر و التوزيع ص : 252 .

نعوته و لا له نظير ،و هو معلوم من حيث هو ،و مجهول ما هو . ثم ذكر أن مذهب الحنابلة هو حق بين باطلين ،و هدى بين ضلالين ، فلا يقولون بالتعطيل كالجهمية ،و لا بالتشبيه كالمشبهة،و لا بالتأويل و المجازات كالأشعرية ، و إنما هم يثبتون الصفات مع نفي التشبيه و الأدوات[1]. و يلزمهم التشبيه لو وجد فيهم أحد أمرين ، الأول أنهم هم الذين ابتدعوا صفات الله ، و الثاني أنهم صرحوا باعتقادهم للتشبيه ، أما و أن الشرع هو ذكر الصفات ،و قوله حجة يسقط كل ما يعارضه ، و الحنابلة تبع له و قد نفوا التشبيه ، فلا يجوز أن ينسب إليهم ما يعتقدون نفيه[2] .

و يضيف أبو الحسين الفراء ، أنه مما يدل على أن طريقة الحنابلة في الصفات لا تلزمهم التشبيه، أن كل الطوائف مجمعة على أن البارئ–سبحانه و تعالى– ذات و شيء و موجود ، و لا يلزمها اثبات جسم و لا جوهر ،و لا عرض ، و إن كانت الذات في الواقع المشهود لا تنفك عن هذه السمات الثلاث . فكذلك الحنابلة لا يلزمهم في أخبار الصفات ما يقتضيه العرف المشاهد في الوجود[3] .و نقل أبو الحسين هذا عن والده القاضي أبي يعلى المتهم بالتشبيه[4] أنه قال : ((فمن اعتقد أن الله سبحانه حسم من الأجسام ،و اعطاه حقيقة الجسم ،من التأليف و الانتقال ، فهو كافر لأنه غير عارف بالله عز و جل ، لأن الله سبحانه يستحيل و صفه بهذه الصفات))[5] .

و الثاني الفقيه الموفق بن قدامة المقدسي (ت620 هـ/1223م) ذكر أن المؤولين يكذبون على الحنابلة و ينسبونهم إلى التشبيه وهم بريئون منه ؛ و يكفيهم مدحا أن هؤلاء يعيبونهم بأمور مكذوبة لا يقرون بها ،و هي مفتريات اختلقوها ، و لو قدروا على عيب لما احتاجوا إلى الكذب عليهم .و هم يشنعون عليهم بنسب كلام الله إليهم ،و يقولون لهم إنكم تقولون : ((الرحمن على العرش استوى))–سورة طه/ 5– و ((كلم الله موسى تكليما))–سورة النساء/164– و هذا كلام

---

[1] أبو الحسين بن ا[ي يعلى: طبقات الحنابلة ج 2 ص :208-209 .

[2] نفس المصدر ج 2 ص : 211 .

[3] أبو الحسين بن أبي يعلى : المصدر السابق ج 2 ص : 211 .

[4] اتهمه الأشاعرة بالتشبيه ،و شنعوا عليه ، حتى أنهم حكوا عنه أنه كان يقول : إذا ذكر الله و ما ورد من هذه الظواهر ، فألزموني بما شئتم فإني ألتزمه ، إلا اللحية و العورة . أبو بكر بن العربي : المصدر السابق ج 2 ص : 283 . و هذا كلام ساقط , قائله جاهل كذاب ، أراد منه التشنيع على أبي يعلى الفراء و هو بريء منه ، لأن كتابه المعتمد في أصول الدين شاهد على بطلان ذلك الافتراء , و ما نقله عنه ابنه أبو الحسين دليل أخر على كذب خصومه عليه . انظر : طبقات الحنابلة ج 2 ص : 212 .

[5] نفسه ج 2 ص : 212 .

الله لا كلامهم[1] . و يعتقد الموفق أن التشبيه لا يحصل بمجرد المشاركة في الأسماء و الألفاظ ، و إلا كان الذين يثبتون لله صفات السمع و البصر ،و العلم و القدرة ،و الإرادة و الحياة ، مشبهة باثباتهم لها في حقه تعالى . كما أن لله تعالى تسع و تسعون اسما ليس فيها ما لا يسمى به غيره إلا اسم الله ، و سائرها كالرحمن و السلام و الوهاب ، يسمى به الانسان و لا يعتبر ذلك تشبيها و لا تجسيما[2] .

و عندما تساءل الحافظ محمد اليونيني الحنبلي(ت658 هـ/1259م) عما يشنع به بعض الناس عن الحنابلة بالتشبيه ، و هل هو مجرد شناعة ، أو قال به بعضهم فحصلت الشناعة على الجميع ؟ أم هو شيء يخفيه مشايخهم فلا يظهرونه إلا لمن يثقون فيه ؟ أجابه الشيخ الموفق بقوله: ((التشبيه مستحيل لأن من شرط التشبيه أن ترى الشيء ثم تشبهه ، فمن الذي رأى الله تعالى ثم شبهه لنا))[3] . و أكد أن الحنابلة لا يشبهون الله بمخلوقاته ،و كل ما خطر بقلب أو وهم فالله بخلافه ، لا شبيه له و لا نظير ،و لا عدل و لا ظهير ،و لا تمثله العقول بالتفكير ،و لا تتوهمه القلوب بالتصوير ، و إيمانهم بذلك هو إيمان بمجرد الألفاظ التي لاشك في حجيتها ،و لا ريب في صحتها،و قائلها أعلم بمعناها ، فجمع الحنابلة بذلك بين الإيمان الواجب ،و نفي التشبيه المحرم[4] .

و الثالث هو شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية ، تصدى للرد على ابن الجوزي في اتهامه لبعض علماء[5] الحنابلة بميلهم إلى التشبيه ، وأخذ عليه اكتفائه بالشتم و التهويل دون تقديم أية حجة سمعية و لا عقلية .و نبه إلى أن من يرد على الناس بالعقول ،و لم يبين حجة عقلية كان قد احالهم على المجهولات ؛ ثم ذكر أن الذين رد عليهم ابن الجوزي ، هم أعلم منه في الأصول و الفروع[6] .و من جهة أخرى تعجب ابن تيمية من المتكلمين الذين إذا أحتج عليهم بايات و أحاديث الصفات قالوا : ((قالت الحنابلة إن الله كذا و كذا ، بما فيه تشنيع ، و ترويج لباطلهم ،و الحنابلة اقتفوا أثر السلف و ساروا بسيرهم ، و وقفوا بوقوفهم ، بخلاف غيرهم))[7] . لكنه اعترف بوجود غلاه من مثبتة الصفات من الحنابلة، يروون أحاديث ضعيفة فيها تشبيه و تجسيم ،بتأثير من الفرق الأخرى ، التي لم تلتزم حدود

---

[1] الموفق بن قدامة : تحريم النظر في كتب أهل الكلام ص : 21 ، 37 ، 38 ، 42 .

[2] نفس المصدر ص :44 ، 45 .

[3] اليونيني: ذيل مرآة الزمان ج 2 ص :58 .و الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 22 ص : 171 .

[4] الموفق بن قدامة : المصدر السابق ص : 42 ، 43 . و لمعة الاعتقاد ص : 171 ، 176 .

[5] منهم : القاضي أبو يعلى الفراء ،و أبو الحسن بن الزاغوني . ابن تيمية : نقض المنطق ص : 151 و ما بعها .

[6] نفس المصدر ص : 152 .

[7] نفس المصدر ص : 151 .

الله بسبب تطرفها[1] .و عندما قيل له أن جماعة من المجسمة ينتسبون إلى الحنابلة ، قال : إن في غيرهم مشبهة كثيرون ، أكثر مما وجد فيهم ، كالأكراد الشوافع ،و الكرامية الأحناف ، الذين يغلب عليهم التشبيه .و أكد ان الحنبلية الصرفة بريئة من ذلك ،و أن كل إمام متبوع إلا و انتسب إليه أناس هو منهم بريء[2] .

و الحنابلة في اعتقاد ابن تيمية ليسوا على درجة واحدة في اثبات الصفات ، فمنهم من بالغ في الأخذ به ،و منهم من ابتعد عنه و مال إلى المؤولين ،و منهم من توسط بين الفئتين ، وهم أقل الطوائف تنازعا لكثرة تمسكهم بالسنة و الآثار[3] . ثم أجمل اعتقاد الحنابلة في مسألة الصفات في قوله : إن الله تعالى لا نظير له ،و لا تضرب له الأمثال التي فيها مماثلة للخلق ، وأن ((كل ما اتصف به المخلوق من كمال فالخالق أولى به، و كل ما ينزه عنه المخلوق من نقص فالخالق أولى بالتنزه منه))[4] . و قد سار على نهجه تلميذه ابن قيم الجوزية ، في تقرير مذهب الحنابلة بخصوص هذه المسألة ،و أشار إلى المؤولين يتعمدون اطلاق ألفاظ مستهجنة على مثبتي الصفات ، فيسمونهم محيزة ، و حشوية ، ومجسمة،و مشبهة ، ذما لهم و تنفيرا منهم[5] .

و أما ما قاله القاضي أبو بكر بن العربي عن الحنابلة ، من أنهم مجسمة ،و طائفة خبيثة كادت للإسلام ، فهو اتهام خطير دافعه التعصب للأشعرية ،و الجهل بمذهب الحنابلة ، بدليل أنه استقى أخباره عنهم من خصومهم في بغداد[6] . و فيما يخص ما ذكره الفقيه تاج الدين السبكي من أن فضلاء الحنابلة على عقيدة المتكلم أبي الحسن الأشعري ، و أن رعاعهم لحقوا بالمجسمة، فهو افتراء على القوم ، لأنه أولا لم يذكر لنا من هؤلاء الفضلاء للتأكد من أمرهم ، لكنه من المرجح أنه يقصد طائفة منهم تأثرت بالأشعرية ، كالقاضي أبي يعلى الفراء ، و أبي الوفاء بن عقيل ،و عبد الرحمن بن الجوزي ، و هؤلاء لم يكونوا أشاعرة ، لكنهم تأثروا ببعض أفكارهم ، كتأويل بعض الصفات ، و نفي الحكمة و السببية[7]؛ و القاضي أبو يعلى كان خصما للأشاعرة و متهم عندهم بالتجسيم .و ابن عقيل انقلب

---

1 نفس المصدر ص :139 .

2 ابن تيمية : مجموعة الرسائل الكبرى ، ط1 مصر المطبعة العامرية ، 1323هـ ، ج 1 ص :410 . و مجموع الفتاوى ج 3 ص : 185 .

3 ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج 6 ص : 52 ، 53 ، 55 .و نقض المنطق ص : 136 .

4 ابن تيمية : الرسالة التدمرية ص : 25 .

5 ابن قيم الجوزية : مختصر الصواعق المرسلة ج 1 ص : 119 .

6 اعترف هو شخصيا بذلك ، انظر : العواصم من القواصم ج2 ص : 183 .

7 انظر المطلب الرابع من المبحث الأول من هذا الفصل .

عليهم في أخر حياته و هاجمهم بعنف في كتابه : الرد على الأشاعرة العزال[1].و ابن الجوزي كان مضطربا في تأويل بعض الصفات و اثباتها ،و انتقد الأشاعرة و الحقهم بأهل البدع[2]. و لأنه ثانيا تناسى في مقابل هؤلاء ، مئات من علماء الحنابلة الذين لم يكونوا أشاعرة ،كالحافظ ابن ناصر ، و الوزير بن هبيرة ، و الشيخ عبد القادر الجيلاني ، و الحافظ عبد الغني ، و الأديب أبي البقاء العكبري،و الحافظ عبد الغني، و الفقيه الموفق بن قدامة،و شيخ الإسلام بن تيمية و تلميذه النجيب ابن قيم الجوزية .كل هؤلاء الحقهم السبكي بالرعاع المجسمة، لأنهم ليسوا أشاعرة ! !

و اذكر في هذا المقام بأن تهمة التجسيم التي الصقها المؤولون بالحنابلة ، سببها الاختلاف في مفهوم التشبيه و التنزيه عند الطرفين-كما سبق بيانه- الذي جرهما إلى الفرقة و التنازع ،و لتوضيح الأمر أكثر اضرب على ذلك ثلاثة أمثلة ، أولها هو أن الباحث زهدي جار الله اتهم الحنابلة بالتجسيم اعتمادا على أبيات شعرية لحنبلي، يقول فيها :

و إن كان تشبيها ثبوت صفاته × على عرشه إني إذن لمجسم

وإن كان تنزيها جحود استوائه × و أوصافه أو كونه يتكلم

فعن ذلك التنزيه نزهت ربنا × بتوفيقه و الله أعلى و اعظم [3]

فهذه الأبيات عند الباحث جار الله ، فيه تجسيم –حسب نظرة المؤولين- لأنها اثبتت صفة الاستواء على العرش ، لكنها عند الحنابلة ليست تجسيما–حسب مفهومهم للتشبيه- و إنما هي اثبات لصفة قال الله عنها : ((الرحمن على العرش استوى))-سورة طه/ 5- في اطار قوله تعالى: ((ليس كمثله شيء و هو السميع البصير))-سورة الشورى/ 11- .

و المثال الثاني هو أن المؤرخ أبا شامة المقدسي الأشعري(ت665 هـ/1266م) عندما ترجم للموفق بن قدامة المقدسي، شهد له بالعلم و الفهم و الإمامة في الدين ، ثم قال عنه : ((لكن كلامه فيما يتعلق في العقائد في مسائل الصفات و الكلام ، هو على الطريقة المشهورة عند أهل مذهبه ، فسبحان من لم يوضح الأمر له ، على جلالته في العلم ،و معرفته بمعاني الأخبار و الآثار))[4] .و قد

[1] عنه انظر : المبحث الرابع من الفصل الخامس .

[2] ابن الجوزي : المنتظم ج 6 ص : 332 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 403 .

[3] زهدي جار الله : المرجع السابق ص :252 .

[4] أبو شامة : ذيل الروضتين ص : 141 .و الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 22 ص : 172 .

عقب علية الذهبي بقوله: ((و هو-أي الموفق- و أمثاله متعجب منكم مع علمكم ،و ذكائكم كيف قلتم . . . ! ، وكذا كل فرقة تتعجب من الأخرى))[1] .و سبب تعجب أبي شامة من الموفق في مسألة الصفات ، هو أنه نظر إليها من منظور المؤولين للصفات ، لا من منظور المثبتين لها .

و آخرها هو أن الفقيه تقي الدين بن عبد الحميد المقدسي الحنبلي(ت679هـ/ 1280م) كان لهجا بإيراد الصفات ، فرماه الأشاعرة بالتجسيم و تلطخ به ، لكن شمس الدين الذهبي شهد له بأنه بريء منه ،و أنه صنف كتابا في الصفات غالبه جيد[2] . فما هو سبب اختلاف هذين من هذا الرجل ؟ هو أن الأشاعرة رموه بالتجسيم لأنه أثبت الصفات و لم يؤولها على طريقتهم ؛ و الذهبي برأه من ذلك لأنه نظر إلى المسألة بمنظور الحنابلة و أهل الحديث ، لا بمنظور هؤلاء .

و يستنتج مما ذكرناه عن مسألة تأويل الصفات و إثباتها عند علماء الحنابل ،أن الذين منعوا التأويل و ذموه كانوا على صواب ،لأنه يؤدي إلى نفي و تعطيل لما ثبت في الكتاب و السنة ،دون دليل شرعي ولا عقلي ،و لأنه يجر العقل البشري إلي الخوض في مسائل لا يدركها ،ويدخله في متاهات لا طائل من ورائها إلآ الضياع و التشتت والحيرة ،وينتهي به إلى اختراع صفات لم يصف الله بها نفسه .كما أن الذين اتهموا الحنابل بالتشبيه و التجسيم ،كانوا على خطأ ،سببه اختلف مفهوم التشبيه عند الطرفين ،لذا فإن المنهاج السليم في مجال الصفات هو الإثبات والتنزيه بلا تشبيه ولا تأويل .

ثانيا : مسألة الصوت و الحرف :

اشتد النزاع بين العلماء المسلمين –في القرنين :6-7 هـ/12 –13م–في مسألة تكلم الله بصوت و حرف ،فقال بعضهم أنه تعالى تكلم بذلك ،و خالفهم آخرون بدعوى أن في القول بالصوت و الحرف تجسيما و تشبيها بالإنسان ،فما هي مواقف علماء الحنابلة و غيرهم من هذه المسألة ؟ .

فبالنسبة لعلماء الحنابلة فقد قال معظمهم أن الله يتكلم بصوت و حرف ،و صوته ليس كأصوات المخلوقات ،منهم الحافظ أبو الفضل بن ناصر البغدادي (ت550 هـ/ 1155م)،و الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت561 هـ/ 1165 م)[3]،و الحافظ عبد الغني المقديسي ت(600 هـ/1203)،و الفقيه الموفق بن قدامة ،و الشيخ تقي الدين بن تيمية .ففيما يخص الحافظ عبد الغني فقد كان يصرح بعقيدته في الصفات كالصوت و الجهة علانية في مجالسه بالجامع الأموي في دمشق

[1] الذهبي : نفسه ج 22 ص : 172 .

[2] الذهبي : سير أعلام النبلاء الجزء المفقود ص :312-313 .

[3] الصفدي: المصدر السابق ص : 105 ،506 ,وعبد القادر الجيلاني كتاب الغنية ص:77-،78.

،فأنكرت عليه جماعة من الأشاعرة ،و رفعوا أمره إلى والي دمشق صارم الدين برغش في سنة 596 هـ/1199 م،و قالوا له عنه إنه مجسم و ضال يفسد عقائد الناس ،فجمعه بهم عنده في القلعة ،وناقشوه في مسألة الصفات ،فأصر –أي عبد الغني –على موقفه في إثبات الاستواء و الجهة ،و الصوت و الحرف ، و قالوا له عن الصفتين الآخرتين : ((إنه لم يصح عن إمامك الذي تنتمي إليه ،فيه شيء وإنما المنقول عنه إنه كلام الله لا غير)) ،لكنه ظل متمسكا بموقفه ،فرموه بالتشبيه و أفتوا بتكفيره و إباحة دمه ،و إخراجه من دمشق [1] و دعوى هؤلاء أنه لم يثبت عن الإمام أحمد القول بالصوت ،هي دعوى لا تصح ،لأن للإمام أحمد كلام كثير في إثباته منه ما رواه عنه ولده عبد الله أنه قال : ((سألت أبي عن قوم يقولون :لما كلم الله موسى –عليه السلام–لم يتكلم بصوت .قال أبي :بلا تكلم بصوت ،هذه الأحاديث نرويها كما جاءت)) [2] .

و أما الفقيه الموفق بن قدامه فيعتقد أن القرآن الكريم شاهد على أن الله تكلم بحرف لأنه –القرآن–مكون من حروف ،وفيه 29 سورة بدأت بالحروف .و أنه سبحانه و تعالى تكلم بصوت بدليل الكتاب و السنة ،و إجماع الصحابة و التابعين [3] .فمن القرآن قوله تعالى : ((و كلما الله موسى تكليما))–سورة الأنبياء /164–و ((منهم من كلم الله))–سورة البقرة/253– و ((إذ نادى ربك موسى))–سورة الشعراء /10–، ولا خلاف أن موسى عليه السلام قد سمع كلام الله منه بغير واسطة ،ولا يسمع إلا الصوت وهو ما يتأتى سماعه [4].و من السنة فقد صح عن النبي –صلى الله عليه و سلم –أنه قال : ((إن الله يجمع الخلائق فيناديهم بصوت يسمع من بعد كما يسمع من قرب :أنا الملك أنا الديان)) [5]. وعن الصحابة ما روي عن عبد الله بن مسعود –بإسناد صحيح –أنه قال : ((إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء))[6] .وعن السلف ما رواه عبد الله بن الإمام أحمد أنه كذب الجهمية في إنكارهم تكلم الله بصوت [7].

---

[1] أبو شامه : المصدر السابق ص :16 ،47 . والذهبي : العبر ج4 ص: 286 .وسير أعلام النبلاء ج 21 ص :455 ،460، 464، 465 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص 22 ،24 .

[2] ابن رجب :نفسه ج 2 ص :24 ..

[3] ابن قدامه المقدسي :البرهان في بيان القرآن ،مجلة البحوث الإسلامية ،الرياض ،العدد 19 ، 1407هـ ، ص: 238 ،270 و ما بعدها .

[4] ابن قدامة :مناظرة في القرآن ص:63 .

[5] نفس المصدر ص:70 .و ذكر محقق هذا الكتاب أن الحديث المذكور أعلاه صحيح أخرجه البخاري في الأدب المفرد ، و في كتاب خلق أفعال العباد ،و علقه في صحيحه مختصرا ،و صححه الحاكم ، و وافقه الذهبي . نفس المصدر هامش ص: 70-71.

[6] نفس المصدر ص: 73 . و ذكر المحقق أن قول ابن مسعود المذكور أعلاه صحيح أخرجه عبد الله بن أحمد في كتاب السنة ، والبخاري في خلق أفعال العباد ،ورواه كذلك أبو داود ،و الدارمي ، و هو موقوف على ابن مسعود . نفس المصدر هامش ص :73.

[7] نفس المصدر ص :72 .

ثم ناقش الموفق المنكرين لصفة الصوت في قولهم : إن الصوت اصطكاك في الهواء ،و ما ثبت في حقنا يكون في الغائب–أي الله– مثله[1] . فيرى أن هذا هذيان محض ،و دعوى مجردة عن الدليل ، لا يشهد لصحتها خبر ، و لا مع قائلها فيها أثر ،و هم بذلك قد نفوا ما ثبت في الكتاب و السنة ،و جعلوا الخالق مقيسا على عباده ،و مشابها لهم في صفاته و اسمائه ،و هذا هو التشبيه بعينيه . ثم بين لهم أنهم متناقضون في الصفات التي أثبتوها في مذهبهم ، كالسمع و البصر ،و الحياة و العلم ، فهي لا تكون في حقنا إلا من أدوات ، فالسمع من انخراق ، و البصر من حدقة ،و العلم من قلب ،و الحياة في جسم ، و جميع الصفات لا تكون إلا في جسم ، فإن قلتم أنها كذلك في حق البارئ ، فقد جسمتم و شبهتم و كفرتم ، و إن قلتم إن تلك الصفات لا تفتقر إلى الأدوات ،قيل لكم وصفة الصوت هي الأخرى لا تحتاج إلى أداة و لا إلى اصطكاك في الهواء[2] .

وبخصوص الشيخ تقي الدين بن تيمية ، فإنه قد ذكر–أثناء مناقشته للأشعرية بمصر– أن الخوض في مسألة الحرف و الصوت نفيا و إثباتا ن هو بدعة حدثت بعد المائة الثالثة للهجرة[3] . ثم قرر أن مذهب السلف في القرآن الكريم ، هو أنه كلام الله بحروفه و معانيه ،و أنه سبحانه تكلم بصوت ،و أخبر عن نفسه بالنداء في أكثر من عشرة مواضع من كتابه ، كقوله تعالى : ((هل آتاك حديث موسى إذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى))–سورة النازعات/16– كما أنه قد استفاضت الآثار عن النبي–عليه الصلاة و السلام– و الصحابة و التابعين و من بعدهم من أئمة أهل السنة ، أنه سبحانه و تعالى ينادي بصوت يوم القيامة .و لم ينقل عن أحد من السلف أنه قال: إن الله يتكلم بلا صوت أو بلا حرف ؛و قد عدّ الإمام احمد بن حنبل من أنكر تكلمه تعالى بصوت، من الجهمية وانه يدور على التعطيل[4] .

و أما عن علماء السلف الذين قالوا بتكلم الله بحرف و صوت، فمنهم : الصحابي عبد الله بن مسعود (ت32 هـ/652م) ،و الفقيه عبد الرحمن بن القاسم صاحب الإمام مالك (ت191 هـ/806م) ،و افمام أحمد بن حنبل (ت241 هـ/855م) ،و الحافظ اسماعيل بن محمد البخاري

---

[1] ابن قامة : المصدر السابق 48 ، 50 .

[2] ابن قدامة : تحريم النظر ص : 51 .

[3] سيذكر ابن تيمية في موضع آخر أن الخلاف بين أهل السنة في مسألة الصوت حدثت زمن ابن كلاب عندما تأثر به بعض أصحاب الفقيه أبي بكر بن خزيمة الشافعي(ت 311هـ/923 م) ، و نهاهم عن ذلك . ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج 6 ص : 522 .

[4] ابن تيمية : نفس المصدر ج 3 ص : 208 ، ج 12 ص :304 ، 305 ، 584 ، 585 .و مجموعة الرسائل و المسائل ، حققه محمد رشيد رضا ط1 ، مصر ن مطبعة المنار ، 1341 ، ج 3 ص : 153 . و موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ، ج 2 ص :24 ، ط الفقي .

(ت256 هـ/869م) ،و الفقيه أبو بكر محمد بن خزيمة الشافعي (ت311 هـ/923م)[1] .و ذكر الفقيه محمد بن احمد السفاريني الحنبلي(ت1189 هـ/1704م) ، أنه قد وردت في إثبات الحرف و الصوت أحاديث زاد عددها عن أربعين حديثا بعضها صحاح[2] ،وأخرى حسان[3] ، أخرجها احمد و البخاري و الضياء محمد المقدسي(ت643 هـ/1245م) و ابن حجر العسقلاني(ت 852هـ/1448م)[4] .

و أما الأشاعرة فإنهم قد نفوا تكلم الله بحرف و صوت ، و قالوا: إن كلامه واحد لا يتعدد يسمى الكلام النفسي ، ليس هو بحرف و لا صوت ،و هو نفسه التوراة و الأنجيل و القرآن ، حسب اللغة التي يتكلم بها[5] . حتى أنه قد روي أن الفقيه العز بن عبد السلام الأشعري(ت660 هـ/1261م) قال : إن من أثبت الحرف و الصوت فهو حمار[6]. و قالوا : إن الله لم يكلم موسى-عليه السلام-و إنما اضطره إلى معرفة المعنى القائم في ذاته ، دون أن يسمع منه صوتا أو يفهم منه حرفا[7]. و قولهم هذا هو مجرد ادعاء ليس لهم فيه دليل من الشرع و لا من العقل ، وإنما هو ظن و وهم و رجم بالغيب ، يخالف قوله تعالى: ((و كلم الله موسى تكليما))-سورة النساء /164-و ((هل أتاك حديث موسى إذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى))-سورة النازعات /16- .

و يرى الرحالة ياقوت الحموي الشافعي الأشعري(ت626 هـ/1228م) أن القول بالحرف و الصوت هو بدعة ،لم يثبت عن النبي -عليه الصلاة و السلام- و لا عن و الصحابة و التابعين ؛ ثم قرر أن العقل يرجح بالبديهة فول أبي الحسن الأشعري ،و لا يرجح ما يقوله الحنابلة[8] . و قوله هذا

---

[1] ابن تيمية : موافقة صريح المعقول ج 2 ص :24 . و ابن قيم الجوزية : مختصر الصواعق المرسلة ج 2 ص : 679 و ما بعدها .و ابن تميم الحراني : المرجع السابق ج 2 ص :296 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :162 .

[2] الحديث الصحيح هو الذي يرويه العدل التام الضبط ن و يكون متصل الإسناد،و خال من العلة و الشذوذ . محمد الزفزاف : التعريف بالقرآن و الحديث ط 4 ، الكويت ، مكتبة الفلاح ، 1984 ص :253 .

[3] الحديث الحسن هو أقل درجة من الصحيح و له نفس الشروط ، إلا الاختلاف في درجة الضبط ، فراويه أقل ضبطا و هو الذي لا يكثر خطؤه . نفسه ص : 253 .

[4] السفاريبي : لوامع الأنوار البهية حققه محمد رشيد رضا القاهرة ن مطبعة المنار ،1323 هـ ج 1 ص : 121 .

[5] انظر : أبو حامد الإسفراييني : التبصير في الدين و تمييز الفرقة الناجية ، حققه محمد زاهد الكوثري ، مصر مكتبة الخانجي ، 1955 ص :143 .و أبو بكر الباقلاني : الإنصاف فيما يجب اعتقاده و لا يجوز الجهل به ، حققه محمد زاهد الكوثري ، مصر مؤسسة الخانجي ، د ت ص : 89 ، 106 ، 107 .و الشهرستاني : الملل و النحل ج 1 ص : 109 .

[6] الداودي : طبقات القراء ج 1 ص : 327 .

[7] ابن عقيل : الرد على الأشاعرة ص :85 .

[8] الصفدي : الوافي بالوفيات ج 5 ص :105-106 .

مجازفة ، لأنه قد رويت عشرات الأحاديث و الأخبار الصحيحة ، عن الرسول–صلى الله عليه و سلم– و الصحابة و السلف ، فيها إثبات لما أنكره[1]. و دعواه أن رأي الأشعري يرجحه العقل بالبديهة ، فغير صحيح ، لأنه لو كان بديهيا لما اختلف الناس فيه ؛ حتى أنه وجد من بين الأشاعرة أنفسهم من أنكر ذلك الرأي ، فقد روي أن المتكلم عضد الدين الإيجي الشافعي(ت756 هـ/1355م) قال: إن الله يتكلم بصوت و حرف ، فاحدث بذلك ضجة في أوساط الأشاعرة،و هبوا للرد عليه مستنكرين ما صدر عنه[2] .

و نفى القاضي أبو بكر بن الباقلاني البغدادي الأشعري(ت403هـ/1012م) تكلم الله بحرف ، عندما قرر أن الحروف و الأصوات في تلاوة القرآن الكريم هي من صفات القارئ ،و ليست من كلام الله –عز و جل–[3] .و مع ذلك فإن كلامه مجمل و فيه مغالطة، لأن الذي لاشك فيه هو أن الحروف المنطوقة هي من كلام الله قطعا ،و ليست من كلام القارئ ،و أن المتلو هو كلامه تعالى ، وأما الصوت و التلاوة فهما من القارئ بلا ريب .

و قد توسع الفقيه الموفق بن قدامة المقدسي، في الرد على الأشاعرة في موقفهم من مسألة الحرف و الصوت في ثلاثة كتب من مصنفاته[4]، و انتقدهم فيها انتقادا لاذعا . فمن ذلك أنه أخذ عليهم إخفاء مقالتهم هذه عن الناس و السلاطين لكي لا ينكشف أمرهم ، لأن قولهم فيها يؤدي إلى إنكار القرآن كله[5].و ذكر عنهم أنهم قالوا: إن حروف القرآن لا تضاف إلى البارئ سبحانه و تعالى[6]، لأنها لا تخرج إلا من مخارج و أدوات و الله منزه عن ذلك ؛ ثم ناقشهم بإسهاب ،و بين أن قولهم لا يصح في حق الله تعالى ، لأنه قد انطق بعض مخلوقاته من غير مخارج[7] ، في قوله تعالى: ((و يوم تكلمنا أيديهم ،و تشهد عليهم أرجلهم))[8]–سورة يس/65– .

---

[1] سبق التطرق إليها .

[2] السفاريني : المصدر السابق ج 1 ص :121 .

[3] الباقلاني : المصدر السابق ص : 89 .

[4] هي : مناظرة في القرآن العظيم ،و البرهان في بيان القرآن ، و تحريم النظر في كتب أهل الكلام .

[5] ابن قدامة : البرهان في بيان القرآن ص :238 .

[6] ذكر عنهم أنهم يقولون: إن القرآن هو من كلام جبريل. مناظرة في القرآن ص :57 .و قد ذكر هذا المعنى عنهم الشهرستاني في كتابه الملل و النحل ج 1 ص : 109 .

[7] قي وقتنا الحاضر توجد أجهزه كثيرة تتكلم و هي ليست كائنات حية .

[8] ابن قدامة : المقدسي : مناظرة في القرآن ص : 44 ، 45 .

و تعقيبا على مواقف هؤلاء العلماء أقول : إننا إذا نظرنا إلى مسألة الحرف و الصوت، نظرة موضوعية دون خلفيات مذهبية مسبقة ، يتبين لنا أن آيات و أحاديث كثيرة-سبق ذكرها- صرحت بأن الله كلم بعض رسله، و ناداهم بكيفية لا نعلمها .و أن الله تكلم بحرف لأنه بما أن القرآن الكريم هو كلامه لفظا و معنى ، فهذا يستلزم أنه سبحانه و تعالى تكلم بحرف ، بطريقة نجهلها وفق مشيئته و حكمته ، فهو ((فعال لما يريد))-سورة البروج/16- و ((ليس كمثله شيء ،و هو السميع البصير))-سورة الشورى/11- .

و يستنتج مما أوردناه عن مواقف علماء الحنابلة، من قضايا علم الكلام و أصول الدين ، أن معظمهم قد ذم علم الكلام السائد في عصرهم-القرنان:6-7هـ/12-13م- لانحرافه المنهجي ، و لم يذموا النظر و الاستدلال العقليين الموافقين للعقل و الفطرة ؛ و أن الكثير منهم قد اشتغلوا به و برعوا فيه فهما و تأليفا .و أنهم في مسألة معرفة الله – عز و جل- قد اتفقوا على وجوبها بالشرع ، و اختلفوا في طريق حصولها ، أتحصل بالعقل ، أم بالفطرة، أم بالنقل ، أم بكل ذلك ؟ . كما أنهم في قضية قدرة العقل في تحسين الأشياء و تقبيحها ، لم يتخذوا منها موقفا موحدا ، فمنهم من نفى قدرة العقل على ذلك ،و أرجع الأمر كله للشرع وحده ،و منهم من قال بإمكانه تحسين و تقبيح كثير من الأشياء، و جمعوا بينه و بين النقل .و اختلفوا كذلك في مسألة الحكمة و التعليل في الكون ، فبعضهم أنكرهما و أرجع كل شيء إلى محض المشيئة الإلهية ،و أغمض عينيه عن آيات القرآن و الكون الدالة عن الحكمة و الغائية ؛ لكن معظمهم قال بهما ، اعتمادا على حجج قوية مصدرها النقل و العقل و الطبيعة. كما أنهم في مسألة الصفات الإلهية ، فإن غالبيتهم أثبتتها بلا تشبيه ولا تأويل ، سيرا على منهاج الكتاب و السنة و السلف الأول ؛ و قلة منهم كانت مضطربة بين النفي و الإثبات . وهم-أي علماء الحنابلة- بمشاركتهم في قضايا عصرهم الكلامية قد ساهموا بفاعلية في دعم الحركة العلمية الحنبلية، توسيعا و إثراء ،و تفجيرا للطاقات و دفعا لها نحو الاجتهاد لفك أغلال التقليد المذهبي ، الذي ساد زمانهم .

المبحث الثاني: قضية الاجتهاد و التقليد المذهبي

انتشر التقليد[1] المذهبي في المشرق الإسلامي انتشارا واسعا ، حتى أصبح سمة بارزة ،و أرضية للحياة العلمية خلال القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م . فضعفت الهمم و ابتعدت عن

[1] التقليد في اللغة هو وضع القلادة في العنق ،و تفويض الأمر إلى شخص ما ، فكأننا وضعنا قلادة في عنقه ، وأما معناه ففي الاصطلاح الفقهي ، فهو قبول رأي الغير دون معرفة دليله . و لا يدخل اتباع النصوص الشرعية ضمن رأي الغير ، لأنها كلام علام الغيوب ،و واجبة الاتباع . عمر سليمان الأشقر : المدخل إلى دراسة المدارس و المذاهب الفقهية ص :174 .و الشنقيطي : مذكرة أصول الفقه ص :314 . و علي بن هادية : المرجع السابق ص :857 .

الاجتهاد[1] الحر ،و عكف معظم المشتغلين بالعلم على التقليد في الفروع دون تحقيق لها ،و و انكبوا على عقليات من حكمة الأوائل و أراء المتكلمين من غير أن يتعقلوا أكثرها[2] .و أصبحت عندهم أقوال الأئمة الأربعة بمنزلة الكتاب و السنة[3] ، و أفتى معظمهم –في منتصف القرن 7هـ/13م– بوجوب اتباع المذاهب السنية الأربعة دون سواها[4]. فشاع بينهم التعصب و الجدل ،و استحكمت فيهم الهواء و العصبيات، و كثر فيهم الغلاة من المعتزلة و الشيعة و الحنابلة و الأشاعرة[5] . لكن عصرهم لم يعدم من علماء قلائل كسروا قيد التقليد و تحرروا منه ،و دعوا إلى الاجتهاد و مارسوه بأنفسهم .

أولا: مواقف علماء الحنابلة من التقليد و الاجتهاد (ق:6–7هـ/12–13م)

اختلفت مواقف علماء الحنابلة من التقليد و الاجتهاد ، فبعضهم جرفهم تيار التقليد ، و كثير من أعيانهم تصدوا له و قاوموه ،و مارسوا الاجتهاد بكل حرية ، أذكر منهم سبعة ، أولهم الفقيه أبو الخطاب الكلوذاني البغدادي(ت510 هـ/1116م) كانت له اجتهادات في الفقه و أصوله ، وانفرد بفتاوى خالف فيها أصحابه الحنابلة[6]. منها أن أكل لحم الزرافة حرام ، و أن الدهون المتنجسة جائزة إذا أمكن تطهيرها .و أن النكاح لا ينفسخ بسبي أحد الزوجين ، سواء سبيا معا أو أحدهما ؛ و هذا يخالف الإجماع على انفساخ نكاح المسبية و حدها ، إذا كان زوجها في دار الحرب ،و هذا هو ظاهر القرآن و السنة[7] . وله فتاوى أخرى وافق فيها بعض أصحابه ، كأبي الوفاء بن عقيل ،و أبي الحسن بن الزاغوني[8] .

[1] الاجتهاد في معناه العام ، هو بذل غاية الجهد للوصول إلى أمر من الأمور ، و في الاصطلاح هو استفراغ الفقيه طاقته و جهده ،و بذل غاية وسعه لاستنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية . أبو زهرة : أصول الفقه القاهرة دار الفكر العربي ، 1973 ، ص :379.

[2] أبو شامة : مختصر كتاب المؤمل للرد إلى الأمر الأول ، الجزائر ، دار الشهاب 1988 ص :227 .و الذهبي : تذكرة الحفاظ ج 2 ص : 530 .

[3] أبو شامة : نفس المصدر ص :217 ، 218 .

[4] المقريزي : الخطط ج 2 ص : 344 .

[5] الذهبي : تذكرة الحفاظ ج 2 ص :530 .و سير أعلام النبلاء ج 20 ص :45-46 .و ولي الله الدهلوي : الانصاف في بيان أسباب الاختلاف ، ط 3 بيروت ، دار النفائس 1983 ص :93-94 . و ابو زهرة : تاريخ الجدل ،القاهرة دار الفكر العربي ، 1980 ص :296، و ما بعدها .

[6] عنها أنظر : ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 147 و ما بعدها ، ط د .

[7] نفس المصدر ج 1 ص ك 148 .

[8] انظر : نفس المصدر ج 1 ص :143 و ما بعدها .

و الثاني الفقيه أبو الوفاء بن عقيل البغدادي (ت513 هـ/1119م) تكلم كثيرا بلسان الاجتهاد و الدليل ، و كان يقول:الواجب اتباع الدليل لا احمد بن حنبل[1].لكن قلة بضاعته في علوم الأثر جعلت اجتهاده ناقصا ، فلو تضلع فيها لكملت له أدوات الاجتهاد ؛ و كان قد فوت على نفسه–في مرحلة الطلب– فرصة الأخذ عن كبار حفاظ عصره ،كالخطيب البغدادي(ت463 هـ/1070م) ،و أبي نصر بن مأكولا البغداد(ت487 هـ/1094م) ،و أقبل على دراسة علم الكلام –على يد المعتزلة– خفية عن أصحابه[2] .

و يعتقد ابن عقيل أن التردد في الحكم أثناء إيراد الحجة و الشبهة ، هما طريق الاجتهاد و من لم تعترضه شبهة لا تصفو له حجة ، و كل قلب لا يقرعه التردد يظهر فيه التقليد والجمود على ما يقال له و يسمعه[3]. ويرى أن التقليد هو الداء الذي أعمى الأمم السابقة ، و أن السلف الصالح لم يقلدوا بعضهم بعضا ،و لم ينكروا مخالفة أدناهم لأعلاهم ،و أن الصحابة اعتمدوا في مسائل الفقه على الدليل لا على السابقة في الإسلام ،و لا على الشجاعة و البلاء في الجهاد[4] .

و عندما دعت جماعة من حنابلة بغداد إلى تقليد الإمام احمد بن حنبل لأنه هو الأقدم و الأكبر، تصدى لهم ابن عقيل و رد عليهم مبينا أن احمد بن حنبل لم يعتمد في اجتهاداته إلا على الدليل ، و لم يقلد الأكابر الذين سبقوه . لذا يجب علينا أن نسير على نهجه و لا نخالفه فيه ، لأن الدعوة إلى تقليده هي ترك لمذهبه ؛ و هو قد خالف أبا بكر الصديق –رضي الله عنه– في مسألة الجد عندما لم يجعله كالأب في الميراث ،و وافق الصحابي زيد بن ثابت–رضي الله عنه– في جعله كالأب ، فلو نظر إلى رتبة التقدم لكان اتباعه للصديق أولى من زيد ، و بما أنه لم يفعل ذلك ، دل على أنه نظر إلى الدليل لا إلى الأشخاص ؛ لذا يجب علينا نحن كذلك أن ننظر إلى الأدلة دون تعظيم للمشايخ اقتداء بالسلف الصالح[5] . و كلامه هذا صحيح و منطقي يدل على علو همته ،و رغبته في التحرر من أغلال التقليد، ليجول في رحاب الكتاب و السنة و أثار السلف بحرية تامة ، اتباعا لقوله تعالى: ((أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ((–سورة محمد /24– .

---

[1] نفس المصدر ج 1 ص : 190 .

[2] نفسه ج 1 ص :190 .

[3] نفسه ج 1 ص : 190 .و العليمي : المصدر السابق ج 2 ص : 225 .

[4] ابن عقيل : كتاب الفنون ج 2 ص : 604 ، 605 .

[5] نفس المصدر ج 2 ص : 605-606 .

و عندما صنف–أي ابن عقيل– كتاب النصيحة و ذكر فيه أن((الأحمق من اغتر بأسلافه ،و سكن إلى مقالة أشياخه آنسا بتقليدهم من غير بحث مقالتهم)) ، تصدى له الفقيه الموفق بن قدامة(ت620 هـ/1223م) ، للرد عليه– بعد أكثر من قرن من الزمان– و وصف كلامه السابق الذكر ، بأنه مسموم و رديء يشير إلى ذم طريقة السلف الصالح و يعيب ما مدحه الأئمة ، و يدعوا إلى مقالة المتكلمين[1] .و انتقده في نصيحته بلزوم طريق السلف بعد الكلام الذي قاله فيهم . و هي محاولة–في رأي الموفق– ليستر ما قاله في ذم مقالة السلف وتنفير الناس من السير على منهاجهم[2] .

و الموفق مبالغ في توجيه كلام ابن عقيل ،و حمله على الرأي الذي ذهب هو إليه ، لنه لا تناقض بين حث ابن عقيل على البحث و المطالبة بالدليل على منهاج السلف ،و بين وصيته بلزوم طريقتهم ؛ ففي الأولى دعا إلى الاجتهاد و حذر من التقليد ،و في الثانية حث على اتباع طريق السلف .و البحث في مقالتهم لا يعني بالضرورة ذمهم و البعد عن مسلكهم ؛ و ما ذهب إليه الموفق فهو احتمال وارد في حق ابن عقيل ، بحكم أنه عندما صنف كتاب النصيحة كان متأثرا بالمعتزلة و معجبا بهم[3] ؛و الطريقة التي دعا إليها تناسب حالته النفسية و الفكرية أيام اضطرابه و انبهاره بالاعتزال ، لذا لم يجد في التقليد مخرجا ،و و جده في حرية البحث و الاجتهاد و المطالبة بالدليل، ليقتنع و يكون على بينة من أمره .

ثم واصل الموفق رده على ابن عقيل مفترضا إنه إذا قيل: إنما أمرتم بالاجتهاد و الاحتكام إلى الدليل ،و نهيتم عن التقليد المذموم ، قلنا : عن طريق السلف لا يحتاج إلى الكشف عن صحته بعد ثبوت سلامته ،و صحة حجيته بالكتاب و السنة و الإجماع[4] .و أقول: إن ثبوت صحة طريق السلف، لا يعني أننا لا نطلع على أدلة صحته ، بل على طالب العلم أن يجتهد ليتعرف إليها ،و على ما أمكنه من دلائل صدق رسالة الإسلام .و المطالبة بالدليل لا تستلزم الشك ، فقد تكون من باب ليطمئن قلبي ،و ألم يقل إبراهيم –عليه السلام– لربه عز و جل: ((رب أرني كيف تحي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى و لكن ليطمئن قلبي))–سورة البقرة/260– فهو لم يشك لكنه أراد ان يشاهد كيفية إحياء الموتى على الواقع ليطمئن قلبه فاستجاب له ربه و لم ينهره . فما بالك بالمشكاك المضطرب الذي

---

[1] ابن قدامة : تحريم النظر ص :1 ، 2 ، 18 .

[2] نفس المصدر ص : 19 .

[3] نفس المصدر ص :1 و ما بعدها .و ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ج 1 ص : 190 .

[4] ابن قدامة : المصدر السابق ص : 25 .

تسلطت عليه الشبهات و الوساوس ، أليس من حقه أن يطالب بالحجج و الدلائل عن كل مسألة لا يعرفها أو يشك فيها ؟ !

و قد مارس ابن عقيل الاجتهاد بنفسه ،و كانت له اختيارات و فتاوى كثيرة ، انفرد بها عن أصحابه و خالف فيها مذهبه ،ولم يجد في ذلك حرجا ،لأن الدليل أوصله إليها ،منها قوله أن الوقف لا يجوز بيعه وإن خرب و تعطل نفعه .وليس للأب أن يملك من مال ولده ما شاء مع عدم حاجته إليه .وأن صلاة الفرد تصح في صلاة الجنازة .ووجوب إقامة الحد بقذف العبد العفيف لأنه كالحر في هذا الأمر [1] .

و الثالث هو الفقيه أبو الحسن بن الزاغوني البغدادي (ت527 ه /1132م)له اجتهادات و فتاوى انفرد ببعضها ،منها قوله أن المستأمن إذا دخل دار الإسلام بتجارة أخذ منه الخمس .وأن الذمي إذا اتجر في دار الإسلام في غير بلده ،أخذ منه العشر ،وهذا غريب مخالف للمأثور عن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– ولنصوص الإمام أحمد و أصحابه[2].الأمر الذي يدل على أن ابن الزاغوني لم يكن مقلدا ،وإنما كان يحتكم إلى الدليل و يأخذ بما أوصله إليه اجتهاده حتى وإن خالف كبار علماء عصره ،مما يدل على علو همته و شجاعته ،وعلى الحرية الفكرية التي كان يتمتع بها فقهاء الحنابلة داخل جماعتهم .

و الرابع هو الوزير الفقيه عون الدين بن هبيرة البغدادي (ت 560 هـ/ 1164م) أقر التمذهب و التقليد ،لكنه حذر المقلد الذي يتبين له الحق خلاف ما هو عليه ثم يقول :ليس هذا مذهبنا .تقليدا لإمامه المعظم عنده ،لأنه بهذا يكون قد اتخذ أوثانا تعبد من دون الله [3].و هذه دعوة من ابن هبيرة للمقلد بعدم الركون إلى التقليد و الاجتهاد للاحتكام إلى الدليل إذا تبين له .و كان يقول :إن من مكائد الشيطان تنفير الناس نت التدبر في القرآن الكريم لأن به تقع الهداية ،حتى أن بعض الناس يقول : ((أنا لا أتكلم في القرآن تورعا[4]. و ملاحظته هذه في محلها لأن التدبر في الكتاب سبيل موصل إلى الفهم و الاعتبار و الاجتهاد ،و غيابه يوقع في التقليد و الجمود الفكري

[1] ابن رجب :المصدر السابق ج1 ص: 190 ،192 .و العليمي :المصدر السابق ج2 ص :225

[2] ابن رجب :نفس المصدر ج1 ص: 220

[3] نفس المصدر ج1 ص :273 .

[4] نفسه ج 1 ص: 273.

و الخامس هو الفقيه المؤرخ عبد الرحمان بن الجوزي كانت له همة عالية لبلوغ المعالي و أطلق تصريحات أحجم عنها غيره وقل نظيرها في عصره .فحث العاقل على السعي ما أمكنه لبلوغ الكمال .فلو كان في مقدوره الصعود إلى السماء ،و اكتساب النبوة بالاجتهاد ثم تقاعس عن تحقيقهما ،لعد ذلك من أقبح النقائص في حقه .فإن لم يستطع فعليه بطلب الممكن و السعي لبلوغ الغاية في العلم على أن لا يقلد أحد ،فإن قويت همته رقته إلى اختيار مذهب لنفسه ،ولا يتمذهب لأحد ،لأن المقلد أعمى يقوده مقلده .ثم قال لطالب العلم : ((ولو أمكنك عبور كل أحد من العلماء و الزهاد ففعل ،فإنهم كانوا رجالا وأنت رجل ،و ما قعد من قعد إلا لدناءة الهمة و خساستها))[1]. ولا ينبغي للعاقل أن يخلد إلى معظم شاع اسمه ،لأن المقلد أعمى ،و كم رأينا من ضرير يأنف من حمل عصا [2].و هذا حث من ابن الجوزي و تحريض منه لأهل العلم من ذوي الهمم العالية إلى الاجتهاد للوصول إلى مرتبة المجتهد المطلق و الاستقلالية الفكرية .

و حكى ابن الجوزي عن نفسه أنه لم يكن يقلد أحدا في أصول الدين لأن التقليد مذموم في الشرع ،و يوقع في الضلال لاشتباه الأدلة ،و خفاء الصواب لذا يجب هجرانه [3].و المقلد على غير ثقة فيما هو عليه ،لأنه أبطل منفعة عقله في التدبر ؛ فهو كمن أعطي شمعة ليستضيء بها فأطفأها ومشى في الظلمة بدونها . ثم أ شار ابن الجوزي إلى أن عموم المقلدين يعظم في قلوبهم شخص فيتبعونه من غير فهم لقوله ،و هذا ظلال بعينه لأنه ينبغي النظر إلى ما قاله لا إلى شخصه .وقد كان الإمام أحمد بن حنبل يقول : ((من ضيق علم الرجل أن يقلد رجل غيره))[4]. لكن ابن الجوزي رغم ذمه للتقليد ،فقد أباحه للعامي في الفقه وحرمه عليه في أصول الدين [5].

و كان ابن الجوزي يتعوذ من الجهل و تعظيم الأسلاف تقليدا لهم بغير حجة ،و يرفض الاحتجاج عليه بأسماء الرجال لمجرد أنهم معظمون في النفوس ؛لأن الواجب هو اتباع الصواب و الدليل لا غير .ثم نبه إلى أن المجتهد في مذهب الحنابل يتبع دليل أحمد بن حنبل من غير تقليد له ،لذا يميل إلى إحدى الروايتين عنه دون الأخرى ،وربما اختار ما ليس في مذهبه أصلا اتباعا للدليل ،و إنما ينسب إلى مذهب أحمد لميله إلى عموم أقواله[6]. وقد تعرض ابن الجوزي – بسبب موقفه من التقليد –

[1] ابن الجوزي : صيد الخطر ص :87 ،161 .
[2] نفس المصدر ص :226 .
[3] نفس المصدر ص : 118 .و تلبيس إبليس ص :94
[4] ابن الجوزي : المصدر السابق ص: 94 ،95 .
[5] نفسه ص :95
[6] ابن الجوزي : صيد الخاطر ص:31 ،33 ، 471 . و مناقب الإمام أحمد ص:501 .

لانتقادات من قبل علماء ببغداد في رسالة بعثوها إليه ، و فيها أخذوا عليه قوله بعدم جواز التقليد ، ثم هو ينقل عن فلان ،و عن أبي الوفاء بن عقيل[1] . فبدا لهم أن ابن الجوزي متناقض في موقفه ، و هذا ليس بمستلزم ، لأن النقل عن العلماء لا يعني بالضرورة تقليدهم ، فقد يكون من باب الاستشهاد و الموافقة لا غير . و مسايرة ابن الجوزي لابن عقيل في كثير من أفكاره لا يعني بالضرورة أنه قلده فيها عجزا و إمعية ، فلعله تبناها و وافقه فيها عن فهم و اقتناع .

و ذكر ابن الجوزي عن نفسه أنه لم يتبن المذهب الحنبلي تقليدا ، وإنما تبناه بعد بحث و اجتهاد ، وانه فضل مذهب احمد بن حنبل ، عن مذاهب الأئمة الثلاثة الباقين ، اعتمادا على العلم لا النسب ، فتبين له أن احمد اوفرهم حضا من العلوم الشرعية ، و أنه حفظ كتاب الله ،و تفرد بعلم الحديث جرحا و تعديلا و حفظا ، مع الزهد و الورع و الصبر في المحنة ،و عدم أخذ عطايا السلطان[2] . و أقول : لابن الجوزي مطلق الحرية في اختيار المذهب الذي اقتنع به ، لكن يجب ألا ننس ان الله عز و جل لم يلزمنا باتباع أكثر الناس علما أو زهدا أو جهادا أو صبرا ،و إنما ألزمنا بإتباع الكتاب و السنة في قوله : ((فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله و الرسول))-سورة النساء/59- و ((و من يعص الله و رسوله فقد ضل ضلالا مبينا))-سورة الأحزاب /36- وأما العلماء فهم ورثة الأنبياء يجددون للناس دينهم ،و يرجعونهم إليه ،و لكل عصر علماؤه .

و قد مارس ابن الجوزي الاجتهاد بنفسه ،وكانت له اختيارات و فتاوى ، منها أن استفتي في إقامة صلاة الجمعة في مسجد جديد بني في بغداد ، فلم يجز ذلك ، بحجة أن صلاة الجمعة جعلت لتكون علما للإسلام بكثرة الجموع ،و إظهار ما يكبت المشركين ، فإذا أصبح في كل محلة جمعة صارت كصلاة الظهر . و لم يرتض ابن الجوزي ما قاله غيره من العلماء الذين أجازوا صلاة الجمعة في الجامع الجديد ، ودليلهم هو أن كل محلة أصبحت قرية بذاتها منقطعة عن غيرها من المحلات ، بسبب الخراب الذي حل ببغداد . وقد وافقهم الحافظ ابن رجب البغدادي(ت795 هـ/1392م) حتى و إن كانت العمارة متصلة ، فيجوز إقامة صلاة الجمعة ، إذا دعت الحاجة إليها[3] .

و منها أنه خالف إمامه في مسألة التداوي ، فالإمام احمد ذهب إلى القول بأن ترك التداوي أفضل من الأخذ به ،و أما هو فيرى أن التداوي أحسن و مندوب إليه ، لأنه صح عن الرسول-صلى

---

[1] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص ك208 .

[2] ابن الجوزي : مناقب الإمام احمد ص : 497 .

[3] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص :432 .

الله عليه وسلم–قوله: ((ما أنزل الله داء إلا و أنزل له دواء ، فتداووا))[1] ، فالحديث فيه أمر ، وهو إما أمر وجوب ، أو ندب ،و الأرجح أنه مندوب إليه[2] . و بهذا يكون عبد الرحمن بن الجوزي قد طبق منهجه في الدعوة إلى الاجتهاد و نبذ التقليد ، فنظر إلى الدليل و لم ينظر إلى إمامه المعظم عنده ، و أعطى مثالا رائعا للفقيه الحنبلي المتحرر من قيود التقليد المذموم ، قي عصر غلب عليه التعصب و الجمود الفكري .و حتى إذا افترضنا إنه أخطأ في اجتهاده فلا يقلل هذا من شأنه ، فيكفيه فخرا أنه اجتهد و احتكم إلى الدليل ،و خالف صاحب مذهبه في زمن كان فيه معظم العلماء يقدسون أقوال أئمتهم و يتشبثون بها ، حتى و إن تعرضت مع الكتاب و السنة[3] .

و السادس هو الفقيه الموفق بن قدامة المقدسي(ت 620هـ/1223م) بلغ درجة الاجتهاد ، وقال عنه ابن تيمية : ((ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه من الشيخ الموفق))[4].و مع انتسابه إلى المذهب الحنبلي ، فإنه كان متبعا للدليل في اجتهاداته ، فينصر مذهبه فيما ثبت أن الحق معه لو لا يتجاوزه ،و يبالغ جهده في رد ما يخالفه ،و إن ظهر له في مسألة ما أن مذهبه ضعيف ، و الآراء المخالفة له راجحة عليه ، فيتبعها و يبرر صحتها،و لا يدافع عن مذهبه ، مما يدل على أنه كان مجتهدا لا مقلدا و لا متعصبا[5] . من ذلك أنه اختار في مسألة صلاة القصر – بعد ذكره للأدلة و مناقشتها– إباحة صلاة القصر لكل مسافر دون تحديد لمسافة ، و هذا يخالف ظاهر مذهب الحنابلة[6] ، لأن الراجح عندهم تحديدها[7] .

و من اجتهاداته أنه يرى على الإمام الذي انتقض و ضوءه أن يستخلف من يتم الصلاة بالمأمومين و صلاتهم جائزة ، وهذا مخالف للراجح في المذهب الحنبلي ، ببطلان صلاة الإمام و المأمومين . و دليل الموفق هو أنه عندما طعن عمر بن الخطاب–رضي الله عنه– أخذ بيد عبد الرحمن بن عوف–رضي الله عنه–و قدمه ليتم الصلاة بالمأمومين، بمحضر من الصحابة و لم ينكر فعله أحد[8] .

---

[1] البخاري: صحيح البخاري ، كتاب الطب ، الجزائر شركة الشهاب ، 1991 ج 7 ص :11 ، 12 .

[2] ابن الجوزي : صيد الخاطر ص : 87 .

[3] انظر أبو شامة : المصدر السابق ص : 217 ، 218 .

[4] ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ج 5 ص : 89 .و ابن طولون : القلائد الجوهرية ج 2 ص :342 .

[5] عبد الله بن منيع : ((كتاب المغني لابن قدامة)) ، مجلة الدارة ، الرياض ، العدد الثاني ، السنة الثالثة 1397 ص :357 .

[6] عند الحنابلة و غيرهم من فقهاء المذاهب السنية الأخرى ، اشتراط السفر الطويل في صلاة الفصر ، و أقله مرحلتان ،و عند آخرين ثلاث مراحل . السيد سابق : فقه السنة ج 1 ص :212 .

[7] ابن قدامة المقدسي : المغني و بهامشه الشرح الكبير ، حققه محمد شرف الدين حطاب ،و السيد احمد السيد ، ط 1 القاهرة ، دار الحديث 1996 ، ج 2 ص : 546 .

[8] نفس المصدر ج 2 ص : 332 .

و مما يدل على التزامه بالدليل و تحذيره من انتشار التقليد بين العلماء ، أنه و قع بينه و بين الفقيه الفخر بن تيمية الحراني(ت622 هـ/1225م) ، خلاف في مسألة تخليد أهل البدع-المحكوم بكفرهم- في النار ، فكان هو لا يطلق عليهم الخلود ،فأنكر عليه الفخر بن تيمية موقفه بحجة أنه يخالف ما عليه الأصحاب ،و أرسل إليه خطابا يقول له فيه: انظر كيف تستدرك هذه الهفوة ؟ فقد كنت مسألة إجماع ، فصرت مسألة خلاف . فرد عليه الموفق في خطاب بين له فيه أنه يرى السكوت أولى من الخوض في هذه المسألة، لأنها أمر محدث سكت عنها الرسول-عليه الصلاة و السلام- و أصحابه و الأئمة المقتدى بهم ،و أنه على طريق هؤلاء و لا يبالي بمن خالفه من غيرهم ،و أنه على يقين من صواب موقفه . ثم نبهه إلى أنه في تبنيه لهذا الرأي هو مقلد للشيخ أبي الفرج[1] و أبي الخطاب الكلوذاني(ت510 هـ/1116م) ،و أبي الحسن ابن الزاغوني(ت527 هـ/1132م) ؛و لا يكفيه تقليدهم يوم يقف أمام الله -عز و جل- يوم القيامة[2] .

ثم تعجب الموفق من احتكام الفخر بن تيمية إلى أقوال الأصحاب وجعلها حجة قاطعة ، وأكد له أن أقوالهم ليست حجة يقتنع بها ، حتى و لو اجمعوا على مسألة فرعية .و أما إذا كنت تراها حجة فلست إذا في حاجة إلى ذكر دليل سواها ، و إذا لم تكن كذلك فكيف جعلتها حجة في الأصول؟ ! . ثم تساءل: إذا عذرنا العوام في تقليدهم للشيخ أبي الفرج، فكيف نعذر إماما يرجع إليه في أنواع العلوم ؟ ! و أكد أنه حتى ولو اتفق الأصحاب على تكفير أهل البدع ، فإن موقفهم هذا يعارضه ما يقوله الشافعية ،و حتى و إن اتفق الكل على تكفيرهم ، فإن الخلود ليس من لوازمه . لأن النبي-عليه الصلاة و السلام-قد أطلق التكفير في مواضع لا يخلد فيها ن كقوله: ((سباب المسلم فسوق و قتاله كفر))[3] ؛ ثم ختم خطابه بتحذيره من تقليد الأصحاب ،و أنهم لا ينفعونه يوم القيامة[4] .

و يرى الشيخ الموفق أن الانتساب في فروع الدين ، إلى إمام من الأئمة الأربعة ليس بمذموم ، لأن اختلافهم في الفقه رحمة واسعة و هم محمودون فيه ،و مثابون عليه[5]. وقوله هذا لا أوافقه عليه ، و ما ذكره ليس صحيحا على إطلاقه ، لأنه إذا كان الانتساب إلى إمام من الأئمة ليس بمذموم ، فهو كذلك ليس بمحمود العواقب ، لأنه يفرق الأمة ،و يجعل الناس يتعصبون لأئمتهم ، و الله -عز و

[1] كذا في الأصل ، لكن يبدو أنه يقصد الفقيه أبا الفرج عبد الواحد بن احمد الشيرازي (ت486 هـ/1093م) و هو جد بني الحنبلي الدمشقيين . أو أنه يقصد أبا الفرج عبد الرحمن بن الجوزي .

[2] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 154-155 .

[3] متفق عليه ، النووي : رياض الصالحين ، حققه احمد أبو زينة ، بيروت دار القلم ،د ت ص :447 .

[4] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :156 .

[5] ابن قدامة المقدسي : لمعة الاعتقاد ص : 201 .

جل– لم يتعبدنا بالانتساب إلى الأشخاص ،و إنما تعبدنا بالانتساب إلى دينه و سنة رسوله –عليه الصلاة و السلام– و إذا كان مجرد الانتساب إلى الأئمة ليس مذموما ، فقد أصبح منكرا عندما قسم الأمة إلى أربع طوائف متنافسة و متناحرة ، لكل واحدة مساجدها ،و مدارسها و أحياؤها[1]. و قد حثنا الشرع على الاتفاق و الوحدة و الأخوة ،و ذم الاختلاف و الفرقة و حذرنا من الوقوع فيهما . فكيف يصح–بعد هذا– أن يقال: إن انقسام الأمة إلى أربع طوائف رحمة واسعة ؟ ! و قد يقال : إن الشيخ الموفق يقصد الخلاف العلمي لا الطائفي ، و هذا احتمال وارد ،و الخلاف العلمي كثير الحدوث بين العلماء ، لكن الاتفاق أولى و أحسن منه ، فما بالك و أن المسألة لم تبق خلافا علميا ، بل تحولت إلى انقسام طائفي متناحر، وهذا الذي سكت عنه الشيخ الموفق .و هو قد عاشه و شاهده بأم عينيه عندما كان يصلي بالحنابلة في محرابهم بالجامع الأموي،و إلى جانبه ثلاثة محاريب أخرى لباقي السنيين، كل جماعة تصلي لوحدها ، فهل هذا رحمة واسعة ، أم هو شر عريض و منكر كبير ؟ ! كان عليه أن يضع شروطا للخلاف العلمي،و يستنكر حال الأمة الذي انتهت إليه من تشرذم و تناحر و تعصب ،و لا يكرسه و يقره ؛ ويدعو إلى إزالة المحاريب الأربعة في الجامع الأموي ،و جعلها محرابا واحدا ، لأنها شاهد مادي على مدى عمق الشقاق بين أهل السنة في دمشق .و يبدو أن اجتهاد الشيخ الموفق لم يكن ثوريا شاملا لمحاربة التقليد المذهبي و الجمود الفكري، تمهيدا لتغيير الواقع برمته،و إنما كان اجتهادا محدودا لخدمة المذهب الحنبلي،و تكريس الوضع على ما هو عليه .

و آخرهم الشيخ تقي الدين تحرر من قيود التقليد المذهبي ،و افتى بما أداه إليه دليله ،و لم يلتزم بمذهب معين ، و أطلق عبارات أحجم عنها غيره من العلماء و جسر هو عليها، و اختار فتاوى خالف فيها الأئمة الأربعة[2] . فانفتح به باب الاجتهاد على طريقة المجتهدين من القرون الأولى ، مستنبطا الأحكام مباشرة من الكتاب و السنة ، و آثار السلف الأول ،و حاكما بين مختلف المذاهب[3] .و نص على أن أقوال الأئمة الأربعة ليست اجماعا و لا هي حجة لازمة،و قد ثبت عنهم أنهم نهوا الناس عن تقليدهم ،و أمروهم بترك أقوالهم إذا تعارضت مع الكتاب و السنة[4] .و كان يقول: كل قائل إنما يحتج لقوله لا به إلا الله و رسوله[5] .

---

[1] انظر فصل المؤسسات العلمية الحنبلية .

[2] ابن الوردي : تتمة المختصر ج 2 ص : 409 ، 410 ،و ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة ج 1 ص : 151 ، 158 . و ابن ناصر الدين : الرد الوافر ص : 34 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 6 ص : 81 .

[3] أبو الأعلى المودودي : موجز تجديد الدين و إحيائه ، ط 3 بيروت دار الفكر د ت ص : 88-89 .

[4] ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج 20 ص :11 .

[5] البزار البغدادي : الأعلام العلية ص : 30-31 .

و لابن تيمية اختيارات و فتاوى كثيرة أفتى فيها بما أدتاه إليه اجتهاده وافق بها أئمة المذاهب الأربعة ،و خالفهم في مسائل أخرى، مستدلا بالكتاب و السنة و آثار الصحابة والسلف[1] ؛ منها أن الطلاق الثلاث لا يقع إلا مرة واحدة ،و إن تلفظ به ثلاثا[2] .و أن سجود التلاوة[3] لا يشترط له وضوء .و أن التارك للصلاة عمدا لا يجب في حقه القضاء ،و عليه بالإكثار من النوافل[4] .و أن شد الرحال لزيارة قبور الأنبياء و الصالحين غير جائز ، لأنه لا يكون إلا للمسجد الحرام ،و المسجد النبوي ،و المسجد الأقصى ، محتجا بقول النبي-عليه الصلاة و السلام- : ((لا تشد الرحال إلا لثلاث : مسجدي هذا ،و المسجد الحرام ،و المسجد الأقصى))[5] ، و رد على الموفق بن قدامة عندما حمل الحديث على نفي الاستحباب ، بحجة أن الرسول-صلى الله عليه و سلم- قد زار مسجد قباء ، و بين-أي ابن تيمية- أن معنى الحديث يقتضي النهي المؤدي للتحريم ،و أن ذهاب النبي إلى المسجد هو زيارة ،و ليست بشد رحل[6] .

و قد نوه الباحث محمد أبو زهرة قد بدور الحنابلة في محاربة التقليد و الدعوة للاجتهاد ،و حمل الحنفية و الشافعية و كثيرا من المالكية مسؤولية غلق باب الاجتهاد و تكريس التقليد . ثم ذكر أن الحنابلة قرروا أن باب الاجتهاد بكل طرائقه لا يغلق ، و إن تباينت المدارك و القدرات و اتفقوا على أنه لا يصح أن يخلو عصر من المجتهد المطلق ، فكان لهذا الموقف الأثر الكبير في كثرة علمائهم المجتهدين الأحرار[7] .

و أشير هنا إلى أن علماء السلف و كثيرا ممن جاء بعدهم ، قد ذموا التقليد و نهوا عنه ،و سموا المقلد بالإمعة، منهم الأئمة الأربعة و ابن حزم الأندلسي(ت456 هـ/1063م) ،و أبو الحسن بن عبد المالك الكرجي الشافعي(ت532 هـ/1137م) ،و العز بن عبد السلام (ت606 هـ/1261م)

---

[1] ابن كثير : المصدر السابق ج 14 ص : 67 .

[2] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 6 ص : 85 .

[3] هو سجود يكون عند سماع أو قراءة أية فيها سجدة . السيد سابق : المرجع السابق ج 1 ص :164 .

[4] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :405 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 6 ص :85 .

[5] رواه البخاري و مسلم . ابن قيم الجوزية : المنار المنيف في تمييز الصحيح و الضعيف ، ص : 73-74 .

[6] محمد بن عبد الهادي : العقود الدرية ص : 327 ، 328 ، 331 ، 335 .

[7] أبو زهرة : ابن حنبل ص :359 ،360 ، 374 . أصول الفقه ص : 391 ، 392 .

،و أبو شامة المقدسي[1](ت665 هـ/1266م) و يعد هذا الأخير من أكثر علماء الشافعية ذما للتقليد و المقلدين في القرن السابع الهجري/13م ،فذكر أن الاجتهاد عدم في عصره ،و أن الناس تركوا الكتاب و السنة و تشبثوا بأقوال الأمة الأربعة و تعصبوا لها . ثم نصح طالب العلم بالإنصاف و ترك التقليد ،و اتباع الدليل ؛و نبه إلى أن الاجتهاد بعد جمع السنة و الكتب المعتمدة، أصبح أسهل مما كان عليه من قبل ، لولا ضعف همم المتأخرين وانعدام المحقيقين[2] .

و من أكثر علماء الشافعية دعوة للتقليد و دفاعا عنه ، الفقيهان أبو عمرو بن الصلاح(ت643 هـ/1245م) ،و محي الدين بن شرف النووي (ت676 هـ/1277م) ، فقد أوجبا التقليد على الناس ،و ضيقا على الفقيه مجال حريته ، فإذا صح الحديث فليس له أن يعمل به حتى ينظر هل له معارض أو ناسخ أو نحوهما أم لا ، وإذا حز في نفسه مخالفة الحديث ، فالمختار عندهما إن لم يكن أهلا للاجتهاد في المذهب لم يجز له العمل به ، لاحتمال أن يكون خفي عليه شيء[3] .و نص النووي على أن التقليد أصبح لازما بعد تدوين المذاهب[4]، ولا يحق للمقلد أن يخالف صاحب مذهبه ،و لا يفتي إلا المجتهد[5] .

و تعقيبا عليهما أقول : إنه لا مبرر لهذا التضييق على أهل العلم ، شرعا و لا عقلا ، لأن الشرع قد ذم التقليد وأمرنا باتباع الكتاب و السنة ،و لم يلزمنا باتباع أحد من الناس . و تقليدنا للأئمة الأربعة مخالف لمنهاجهم في الاجتهاد ،و هم قد نهونا عن تقليدهم . و أية فائدة من التقليد ؟ إنه تربية على العجز و الجمود و السلبية ، وإبعاد للناس عن الكتاب و السنة، و ربطهم بأقوال الرجال .و الشرع الحكيم قد حثنا على الاجتهاد و جعل للمصيب أجرين ،و للمخطئ أجرا واحدا ، فلماذا نحرم العباد من ذلك ،و ندفعهم إلى التقليد دفعا ؟ و لماذا نحرص و نحتاط لكي يلتزم الناس بتقليد أئمتهم ،و لا نفعل ذلك معهم للعمل بالقرآن و الحديث لتكون لهم علاقة مباشرة بهما ؟ إنه كان من الأولى أن

---

[1] انظر: ابن القيم الجوزي: أعلام الموقعين ج 2 ص :240 .و ولي الله الدهلوي: المرجع السابق ص 97 98 ،104 ، 105 . السمعاني : الأنساب ج1 ص : 18 .و السبط : المصدر السابق ج 8 ص :167 . و العز بن عبد السلام: الفتاوى الموصلية ص :27 .

[2] أبو شامة :كتاب المؤمل ص : 227 ، 228 ، 230 ، 235 ، 237 .

[3] العلموي: المصدر السابق ص :175 ، 190 . والدهلوي: المرجع السابق ص : 108 .و محمد عيد عباس : حقيقة التعيين ص :22.

[4] كان أبو شامة قد جعل ذلك داعيا للاجتهاد و طريقا سهلا له ، لكن النووي رأى العكس !

[5] العلموي : المصدر السابق ص : 190 ، 199 .

يفتح باب الاجتهاد على مصراعيه أمام أهل العلم ، في كل المجالات ، ليتنافس في ذلك المتنافسون، في إطار آداب البحث و منهجيته .

ويتبين مما ذكرناه عن مواقف علماء الحنابلة من التقليد و الاجتهاد ، أن كثيرا منهم لم يجرفهم تيار التقليد المذهبي و الجمود الفكري ، و كان لهم الفضل في التصدي له ،و الدعوة إلى الاجتهاد ، الذي مارسوه بأنفسهم و تبنوا اختيارات فقهية حرة خالفوا فيها مذهبهم . في حين أن الغالبية العظمى من باقي علماء أهل السنة قد مالوا إلى التقليد و تبنوه، كالفقيهين أبي عمرو بن الصلاح و محي الدين النووي ،اللذين دافعا عنه بقوة حفاظا عليه و تكريسا له بين الطوائف السنية الأربعة .

ثانيا : مسألة وجوب تقليد المذاهب الأربعة

ادعى إمام الحرمين أبو المعالي الجويني الشافعي(ت478 هـ/1085م)، انعقاد إجماع المحققين على تقليد المذاهب الأربعة ،و وافقه الشيخ أبو عمرو بن الصلاح(ت643 هـ/1245م) .و أفتى علماء الأمصار بوجوب اتباعها في سنة 665هـ/1266م) و حرموا ما عداها ،و منعوا من تقليد غير الأئمة الأربعة[1].وذكر المقريزي أن عددهم كان كبيرا من مختلف الأمصار،و يمثلون الطوائف السنية الأربعة ،دون أن يذكر أي واحد منهم[2] .

و قول هؤلاء بوجوب تقليد الأئمة الأربعة ،لم يقل به أعيان علماء الحنابلة المجتهدين الذامين للتقليد ، فقد أنكر أبو الوفاء بن عقيل بشدة على قاضي القضاة أبي الحسن بن محمد الدامغاني الحنفي البغدادي(ت513 هـ/1119م) عندما أعلن في مجلسه بأعلى صوته أنه لم يبق على وجه الأرض مجتهد ، فرد عليه و بين له فساد رأيه و خطورته[3]. وكان يعلن صراحة أن المطلوب منا اتباع الدليل لا احمد بن حنبل[4].

و نص الشيخ تقي الدين بن تيمية على أنه لا يجب على الأمة تقليد إمام معين .و أن الله تعالى لم يأمرنا باتباع أربعة أشخاص دون سواهم .و لا يجب على أي واحد من المسلمين تقليد مذهب عالم معين في كل ما يقوله، فليس ذلك لأحد إلا للنبي–عليه الصلاة و السلام–[5].و من اعتقد أنه

---

[1] انظر : ابن خلدون : المقدمة ص :361 .و المقريزي : الخطط ج 2 ص : 344 .و عمر سليما الأشقر : المرجع السابق ص :176 .و العلواني جابر فياض : أدب الاختلاف في الإسلام الجزائر ، دار الشهاب ، د ت ، ص :146 .و العلموي : المصدر السابق ص : 175 ، 190 .

[2] المقريزي : نفسه ج 2 ص : 344 .

[3] ابن الجوزي : المنتظم ج 10 ص :210 .

[4] راجع موقفه من التقليد في المطلب السابق .

[5] ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج 20 /208 .و بدر الدين الحنبلي : مختصر فتاوى بن تيمية بيروت دار الكتب العلمية ، د ت ، ص:42 ، 61 .

يجب على الناس تقليد إمام معين دون غيره ، فيجب أن يستتاب ، فإن لم يتب قتل[1]. ثم أكد ابن تيمية أن أقوال الأئمة الأربعة ليست إجماعا ،و لا هي حجة، هم أنفسهم قد نهوا الناس عن تقليدهم ،و أمروهم بتركها إذا تعارضت مع الكتاب و السنة[2] .

و يرى الفقيه ابن قيم الجوزية أن إلزام الناس بمذاهب معينة بدعة قبيحة حدثت في الأمة، لم يقل بها أحد من أئمة الإسلام ، وهم أعلى رتبة و أجل قدرا ،و أعلم بالله و رسوله من أن يلزموهم بذلك[3].و لا يجب اتباع أقوالهم ،و لا يكفر و لا يفسق من خالفها ، لأن أصحابها لم يقولوا هذا حكم الله و رسوله ، و غنما قالوا اجتهدنا برأينا ن ولكم الاختيار في قبولها و رفضها،و لم يلزموا الأمة بها[4] .

و أما من علماء الشافعية فقد قالت قلة منهم بعدم وجوب تقليد الأئمة الأربعة ، كالعز بن عبد السلام(ت660 هـ/1261م) في فتاويه الموصلية[5] ،و أبي شامة المقدسي(ت665 هـ/1266م)، الذي خصص كتابه المؤمل للرد إلى الأمر الأول، لمقاومة التقليد و الدعوة للاجتهاد[6] .و وافقهما شاه ولي الله الدهلوي الهندي[7].

فيتبين مما قاله هؤلاء ان دعوى الإجماع على تقليد الأئمة الأربعة لم تثبت ،و أنه لا يجب على الأمة تقليدهم . لكن ماذا عن العامي هل يجب عليه تقليد المذاهب الأربعة ، أم لا ؟ ففيما يخص مواقف علماء الحنابلة فمنهم القاضي أبو يعلى الفراء ،و أبو الخطاب الكلوذاني ،و أبو الوفاء بن عقيل ، نصوا على أنه لا يجوز للعامي أن يقلد في أمهات مسائل العقيدة و الشريعة،كالتوحيد و النبوة، و الصلاة و الزكاة ،و الصيام و الحج ، فعليه أن يعرف أدلتها[8].و نص ابن الجوزي على أنه على العامي أن لا يقلد في أصول الدين ، لأن أدلتها ظاهرة ، وله أن يقلد في الفروع ،و يجتهد في اختيار مقلده[9] .

---

[1] بدر الدين الحنبلي : نفسه ص : 42 .

[2] ابن تيمية : المصدر السابق ج 20 ص : 11 .

[3] ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين ج 2 ص :262 ، 263 .

[4] ابن القيم : الروح ص :360 .

[5] العز بن عبد السلام : المصر السابق ص :136-137 .

[6] انظر مثلا ص : 227 ، و ما بعدها .

[7] شاه ولي الله الدهلوي : المرجع السابق ص :95 ، 96 .

[8] الشهاب بن عبد الغني المقدس: المسودة في الفقه لآل تيمية ، حققه محمد محي الدين عبد الحميد ، بيروت دار الكتاب العربي د ت ص :458 ، 461 .

[9] ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص : 95 .

و قرر الفقيه الموفق بن قدامة المقدسي أنه لا يجوز للعوام التقليد في الأمور الظاهرة من الدين ، التي لا تحتاج إلى إعمال فكر و نظر ، كمعرفة الله و رسالته ، و وجوب الصلوات الخمس ، و الصيام و سائر الأركان المعروفة[1]. ثم أنكر على ابن عقيل الذي أوجب الاجتهاد على العامة[2] ،و بين أنه ليس واجبا عليهم الاجتهاد في دقائق أصول الدين و فروعه ، بل عليهم -في ذلك- بتقليد العلماء ، لأن إيجاب الاجتهاد في حقهم هو تكليف بما لا يطاق ،و صرف لهم عن أمور المعاش ،و حكم على عامتهم بالضلال لتضييعهم ذلك الواجب[3] .و أما الشيخ ابن تيمية فيرى أنه يسوغ للعامي التقليد ، أو يجب عليه حسب حالته ،و عليه أن يتحرى في اختيار مفتيه ليعرف صلاحه[4] .

فيستخلص مما قاله علماء الحنابلة ، أن للعامي اجتهادا في معرفة أمهات مسائل أصول الدين و الشريعة،و في اختيار مفتيه ،و لم يوجبوا عليه التقليد مطلقا .و أما علماء الشافعية و الحنفية فهم أوجبوا عليه التقليد في الفروع[5] .

و بما أنه على العامي أن يقلد المجتهدين ، فهل يجب عليه أن يتمذهب بمذهب معين و يتقيد به ؟ نص ابن تيمية على أنه لا يجب عليه-أي العامي- أن يلتزم بمذهب واحد بعينه ، بل له أن يستفتي من يعتقد أنه يستفتيه بشرع الله و رسوله[6].و يرى تلميذه ابن قيم الجوزية أن العامي لا يلزمه التمذهب بمذهب معين لأنه لا واجب إلا ما أوجبه الله و رسوله ،و هما لم يوجبا على أحد من الناس التزام مذهب رجل معين من الأمة و تقليده، دون سواه .و لا يصح للعامي مذهب حتى و لو تمذهب ، لأنه لاتمذهب إلا لمن نوع نظر و استدلال حسب قدراته ، أو لمن قرأ كتابا في فروع مذهب ما وعرف فتاوى إمامه و أقواله ؛ وأما من لم يتأهل لذلك و قال: أنا شافعي، أو أنا حنبلي ، أو أنا فقيه ، فلا يصير كذلك لمجرد قوله ،و عليه أن يستفتي من شاء من اتباع المذاهب الأربعة و غيرهم ،و لا يجب عليه و لا على المفتي أن يتقيد بأحد من الأئمة الأربعة[7] .و قوله هذا شرعي و سديد و منطقي

---

[1] ابن قدامة المقدسي : تحريم النظر في كتب أهل الكلام ص :27 .

[2] قال ذلك في مرحلة الشباب ندما صنف كتابه النصيحة ، لكنه غير موقفه فيما بعد ، و قد ذكرناه فبل قليل .

[3] ابن قدامة : نفس المصدر ص : 25 ، 26 .

[4] ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج 20 ص :208 .و بدر الدين الحنبلي : المصدر السابق ص : 42 .

[5] الشهرستاني : المصدر السابق ص : 1 ص : 242 .

[6] ابن تيمية : المصدر السابق ج 20 ص :208 . و بدر الدين الحنبلي : المصدر السابق ص : 60 . و الشهاب بن عبد الغني : المصدر السابق ص : 462 .

[7] ابن قيم الجوزية : المصدر السابق ج 4 ص : 262 ، 263 .

لو طبق في الواقع لكان له الفضل الكبير في ابعد العوام عن التعصبات و التحزبات الطائفية ،و لجنبت الأمة فتن كثيرة كان العوام وقودها[1] .

وذكر المتكلم أبو الفتح الشهرستاني (ت 548هـ /1153م)أن الأصل في تمذهب العامي أنه لا مذهب له ،لكن الشافعية و الحنفية أنكروا ذلك ،و قالوا : إن مذهبه هو مذهب مفتيه ،لكي لا يحدث خلط و تشويش[2].و خالفهم الفقيه العزبن عبد السلام (ت 660هـ/ 1261م) عندما قرر أنه لا يتعين على المقلد التزام إمام واحد بعينه في كل المسائل[3]. وقول هؤلاء ضعيف جدا لأنه يخالف ما كان عليه العوام قبل شيوع التقليد أيام السلف الأول ،إذ لم يكن لهم تمذهب .و لأنه إلزام بما لم يلزمنا الشرع به .و لأن فيه تقسيم للأمة و تكريس للشقاق و التعصب و التناحر ،الأمر الذي أوصل أهل السنة إلى أن يكون لهم أربعة أئمة بمحاربهم في المسجد الواحد و لكل طائفة إمام يصلي بها ،كما هو الحال في جامع دمشق ،و المسجد الحرام و المسجد الأقصى .أليس هذا ثمرة مرة للتمذهب و التعصب ؟!.

وأما بالنسبة لأسباب انتشار التقليد المذهبي بين المسلمين فهي كثيرة و متداخلة ،أذكر منها خمسة ،أولها تعصب التلاميذ لأثار أئمتهم المجتهدين الذي حملهم على الجمود عليها و الدعوة إليها ،بدلا من السير على منهجهم و نبذ التقليد[4]. و الثاني تشجيع الخلفاء و الملوك المستبدين على التقليد كوسيلة لتجهيل المجتمعات ،لأن فتح باب الاجتهاد فيه ما ينقض عليهم أمرهم بسبب ظلمهم [5]. والثالث السعي الدؤوب الذي قام به العلماء المقلدون في الدعوة إلى التقليد و محاربة الاجتهاد قولا و عملا .و الرابع ضعف همم المشتغلين بالعلم في عصر التقليد دفع الكثير منهم إلى الاكتفاء بالحفظ و دراسة كتب المختصرات بدلا من المطولات و ممارسة الاجتهاد وآخرها ظهور المدارس الطائفية التي كرست التقليد و التمذهب ،و دفعت كثير من الناس إلى دراسة المذاهب الأربعة ،طمعا في الأرزاق الموقوفة عليها .

ويرى المؤرخ ابن خلدون أنه لما حسن ظن الناس في الأئمة الأربعة قلدوهم دون غيرهم ،لذهاب الاجتهاد و صعوبته ،و تشعب العلوم التي هي مواده [6]. وقوله أن الاجتهاد كان صعبا في عصر التقليد ،غير صحيح من الناحية الواقعية ،لأن العلوم الشرعية كانت قد جمعت و حررت و قننت و أثريت

---

[1] الأمثلة على ذلك كثيرة جدا ، و عنها أنظر لكاتب هذه السطور : صفحات من تاريخ أهل السنة ببغداد ص : 54 و ما بعدها .

[2] الشهرستاني :المصدر السابق ص :242.

[3] العز بن عبد السلام :المصدر السابق ص: 136- 137 .

[4] أبو زهرة :تاريخ الجدل ص :296 .

[5] نفس المرجع ص: 297 .

[6] ابن خلدون : المصدر السابق ص: 361 .

،مما يسهل على أهل العلم الاطلاع على مذهب العلماء و مناهجهم .و لأن المؤسسات كانت متوفرة بكثرة و فيها كل المرافق المشجعة على التحصيل العلمي [1] .ولأن عصر التقليد قد شهد مئات من العلماء تميز بالموسوعية و الذكاء ، وحسن الفهم والتفرغ للعلم ، و ساهموا بقوة في خدمة مذاهبهم و نصرة طوائفهم ،فلو بذلوا جهودهم في الدعوة للاجتهاد و محاربة التقليد ،لكان في ذلك خير كثير وهذا كله يبين أن ما قاله ابن خلدون لا يصح ،وأن كلامه في عمومه يصب في تيار تبرير التقليد و تكريسه .

وأما عن الآثار التي ترتبت عن انتشار التقليد بين المسلمين- في القرنين:6-7هـ/12-13م- فهي كثيرة جدا ، منها : إنه كان سببا في انقسام أهل السنة إلى طوائف متنافرة ، و جرهم إلى الشتم و التكفير ،و اللعن و الطعن ، و الاقتتال و المقاطعة ، حتى لا يصلي بعضهم وراء بعض[2] .و أورثهم انحطاطا و تخلفا ،و جهلا و تعصبا،و بعدا عن الكتاب و السنة ،حتى صارت مذاهبهم كأنها ديانات برأسها[3].و أخذ من علمائهم جهودا و أوقات كثيرة خدمة للتقليد و التعصب ، و صرفهم عن التدبر في آيات الآفاق و الأنفس ، لاكتشاف سنن الكون و الاجتماع و التاريخ[4] .

و قد يتساءل بعض الناس : ألم يكن للتقليد من إيجابيات ؟ أقول أولا : أن التقليد عجز و نقص و سلبية، لا يليق بأهل العلم ، و قد ذمه الشرع ،و نفر منه السلف الأول . ثانيا أنه لو بقي في إطاره المحدود ، كوسيلة لتعليم العوام و تربيتهم ، دون تمذهب و تعصب ، لكان فيه خير لهم و للمجتمع ، لكن فرضه على الناس بما فيهم أهل العلم ، قلب الوضع رأسا على عقب ، فأصبحت سلبياته كثيرة و مدمرة للفرد و المجتمع،و إيجابياته قليلة، لا تكاد تظهر .

و يستنتج مما ذكرناه في هذا المبحث عن قضية التقليد و الاجتهاد بالمشرق الإسلامي ، أن المسلمين في القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م ، قد عم فيهم التقليد المذهبي و اطمأنوا

---

[1] انظر الفصل الثاني .

[2] انظر : ابو شامة : ذيل الروضتين ص : 18 . و السبط بن الجوزي : المصدر السابق ج 8 ص : 414 .و ابن كثير: المصدر السابق ج 12 ص : 249 ، و ج 13 ص :119 ، 120 .و ابن الجوزي : المنتظم ج 10 ص: 22 ، 33 . و ابن تيمية : خلاف الأمة في العبادات و مذاهب أهل السنة الجزائر دار الشهاب 1988 ، ص : 111 ، 113 .

[3] السيد سابق : المرجع السابق ج 1 ص : 10 .و جابر فياض العلواني : المرجع السابق ص : 147 .و المودودي : المرجع السابق ص:86 .

[4] و حتى بعد اكتشاف ابن خلدون لعلم العمران البشري ، فإنه لم يجد من مجتمعه اهتماما كبيرا و لا تشجيعا ،و ظل اكتشافه مغمورا حتى العصر الحديث .

إليه ،و قل فيهم الاجتهاد الحر ،و حرموا أنفسهم من ثماره اليانعة ، و جنوا على مجتمعهم بتمذهبهم و تعصبهم . وأن معظم كبار علماء الحنابلة قد دعوا إلى الاجتهاد و ما رسوه ، و لم يغلقوا بابه،و لم يوجبوا تقليد الأئمة الأربعة و لا غيرهم من العلماء ، الأمر الذي مكنهم من المساهمة بدور فعال في كسر قيود التقليد المذهبي و الجمود الفكري ،و إعطاء الحركة العلمية الحنبلية نشاطا و اتساعا، و إثرائها باجتهادات و فتاوى فقهية متحررة من التقليد .

المبحث الثالث : قضايا في الفقه و علم الحديث

قامت الحياة الاجتماعية و العلمية ،و الاقتصادية و السياسية عند المسلمين-في القرنين:6-7هـ/12-13م- على أساس الشريعة الإسلامية ، لذا كانت القضايا الفقهية و الحديثية هي أكثر القضايا العلمية التي شغلت العلماء المسلمين بالبحث و المناظرات و التصنيف[1]، فكان فيها لعلماء الحنابلة مشاركات عبروا من خلالها عن اجتهادات و مواقف، ميزتهم عن غيرهم من العلماء السنيين .

أولا: في مسائل الفقه

أذكر من المسائل الفقهية ثلاثا ، أولها مسألة الغناء ، ثم قضية لعن يزيد بن معاوية ،وآخرها مسألة الطلاق الثلاث ، ففيما يخص الغناء فإن مجالسه قد انتشرت بكثرة في الأربطة و الزوايا و البيوت ،و يسميها الصوفية مجالس السماع ، ويحضرها معهم مريدوهم و محبوهم من العوام ، فيمضون ساعات طويلة في الأكل و الغناء ،و التصفيق و الرقص ،و الصياح و تمزيق الثياب[2] . فما هي مواقف علماء الحنابلة من السماع ؟ بعضهم أباحه ،و آخرون حرموه . فبالنسبة للذين أباحوه و حضروا مجالسه مع الصوفية ، فمنهم : المقرئ سعد الله بن الدجاجي البغدادي(ت 564هـ/1168م)،و الأديب أبو زكريا يحيى بن مندة ى بن يوسف الصرصري البغدادي الضرير(ت 665 هـ/1258م) ، و الطبيب إبراهيم بن احمد الرقي الدمشقي(ت703 هـ/1303م)،و المؤرخ عبد الرزاق بن الفوطي البغدادي(ت723 هـ/1327) ،و المؤرخ قطب الدين اليونيني(ت726 هـ/1325م)[3] .

---

[1] تعد كتب الفقه و الحديث في مقدمة ما أنتجه علماء الحنابلة من تراث علمي ، وعن ذلك انظر المبحثين الثاني و الثالث من الفصل الخامس .

[2] اليونيني : المصدر السابق ج 4 ص : 274 .و السبط : المصدر السابق ج 8 ص :412 .و ابن الفوطي: المصدر السابق ق 1 ج 4 ص :395-394 .و ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص :281 ، 289 .

[3] عن هؤلاء انظر :ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 302 ،و ج 2 ص :349 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص : 286 .و ج 6 ص :8 .و ابن حجر العسقلاني : المصدر السابق ج 1 ص : 14 .و ابن الفوطي : نفس المصدر ق 1 ج 4 ص : 1212 .و اليونيني : المصدر السابق ج 2 ص : 301-302 .

و عندما ورد سؤال إلى الفقيه الموفق بن قدامة ، عن حكم الغناء الذي يفعله الصوفية ، و أفتى بتحريمه ، رد عليه الفقيه ناصح الدين بن الحنبلي الدمشقي0ت634 هـ/1236م) ، مبينا أن الغناء كالشعر فيه المذموم و الممدوح ،فالذي قصد به ترويح النفس و تفريج الهموم و تفريغ القلوب ، كسماع موعظة ، فلا بأس به و هو حسن ثم ساق أحاديث في تغني جويريات الأنصار ،و في غناء الأعراس و الحداء[1]. ثم تطرق للشبابة-الناي-و ذكر أنه قد سمعها جماعة لا يحسن القدح فيهم من مشايخ الصوفية و أهل العلم، وامتنع من سماعها الأكثرون .و أما كونها أشد تحريما ،و أعظم إثما من سائر الملاهي-على رأي الشيخ الموفق- فهو قول لا يوافق عليه ، لأن كون النبي-صلى الله عليه و سلم- قد سد أذنيه عندما سمع شبابة راع ، فهو أمر مشترك الدلالة ، عندما لم ينه صاحبه عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما- عن سماعها . ثم تعجب من الموفق في قوله : إنه لا يجب على ابن عمر سد أذنيه ، مما يشعر بجواز سماع[2] آلات اللهو[3] .

ثم أخذ عليه[4] مبالغته في تحريم الغناء، عندما ضم فاعله إلى حكم الكفر بالله تعالى و أوهم بما ذكره من الآيات أن هذا السماع يخرج من الإسلام ؛ فجاء غلوه هذا ، أشد خطرا من غلو الصوفية المذكورين في السؤال . ثم أشار إلى أن اجتماع الرجال و النساء في مجلس واحد هو محرم إذا كان فبي معروف، وأما إذا اجتمعوا لصلاة جمعة أو جماعة ،أو لسماع موعظة، أو لحضور مجلس قضاء ن فذلك غير منكر [5] .

وأما الذين حرموا الغناء ، فمنهم المحدث عبد المغيث بن علوي البغدادي(ت583 هـ/1187م) صنف كتابا في تحريم الغناء عنوانه : الدليل و الواضح في النهي عن ارتكاب الهوى الفاضح ، ذكر فيه تحريم الدف مطلقا في الأعراس و غيرها من المناسبات ،و و أجاب عن حديث ((أعلنوا عن النكاح ،و اضربوا عليه بالدف)) بأن معناه أعلنوه إعلانا ، يبلغ ما يبلغ الدف لو ضرب به ، لتمحوا سنة الجاهلية من نكاح البغايا المستتر[6] .و تأويله هذا بعيد جدا و لا مبرر له ، لأن الحديث صريح في

---

[1] الحداء و الحدو ، هو سوق الإبل و الغناء لها ، و الحادي هو الذي يسوق الإبل بالحداء ، أي بالغناء لها . محمد بن أبي بكر الرازي : المصدر السابق ص : 90 .و علي بن هادية : المرجع السابق ص : 265 .

[2] ليس ذلك هو مقصود الموفق ، وإنما قصده أنه ليس واجبا على ابن عمر سد أذنيه ، عندما سمع شبابة الراعي ، لكن يستحب له ذلك و مندوب في حقه .

[3] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 195 .

[4] سيأتي رد الموفق على ابن الحنبلي قريبا .

[5] نفسه ج 2 ص : 195 ، 196 .

[6] ابن رجب : نفس المصدر ج 1 ص : 357-358 .

الأمر بالضرب على الدف. ثم قال عن حديث الجاريتين اللتين كانتا تغنيان في بيت عائشة–رضي الله عنها–أنهما صغيرتان غير مكلفتين ،و أن النبي–عليه الصلاة و السلام– أقر أبا بكر على تسميته لما فعلته الجاريتان بمزمار الشيطان[1] . والذي يتبين لي من هذا الحديث ، أنه– عليه الصلاة و السلام– لم يقل لأبي بكر الصديق إن الجاريتين صغيرتين ،و إنما قال له: دعهما إنه يوم عيد ، بمعنى أنه مباح لهما الغناء قي مثل هذا اليوم .و أما قول الصديق : مزمار الشيطان ، فيبدو انه الحكم العام في المزامير ، لأن الرسول لم يعارضه في حكمه ن وإنما استثنى منه المباح .

و منهم الفقيه قدوة الشريعة أبو الحسن بن محمد البرانديسي البغدادي(ت586 هـ/1190م)، بالغ في تحريم الغناء حتى أنه حرم رقصة الطفل ؛و قد جرت له حادثة لها علاقة بالغناء ، تأذى منها و سخر منه الناس بسببها ، مفادها أنه حضر دعوة ببغداد -في سنة 572هـ/1176م–مع جمع من العلماء و الصوفية ، فأكلوا ثم انصرفوا و بقي الصوفية، فلما أراد الخروج أغلق الباب في وجهه و لم يستطع الخروج ، فأقام معهم و حضر سماعهم ، فلما سمع به الحنابلة قالوا فيه أشعارا و هجره بعضهم ،و عذره عبد الرحمن بن الجوزي ، لأنه لم يقدر على الخروج، و لم يكن يعلم حقيقة ما يجري ،و لم يتعمد المكوث[2] . وقال فيه أحدهم :

أيها الشيخ من ينافق خلوة × يظهر الله ذلك جلوة
كيف تفتي أن السماع حرام × كيف حل السماع يوم الدعوة
عشت ما عشت بين زهد و نسك × و تسميت في ا لشريعة قدوة
و دع الآن شغلك بالفقه × و خذ في لباس دلق و ركوة [3]

و أما الفقيه عبد الرحمن بن الجوزي، فإنه قسم الغناء إلى نوعين : مباح و محرم ، فأجاز غناء الحاج و الحداء ،و إنشاد الأعراب ،و حرم الغناء المنتشر في زمانه بين أوساط الصوفية[4]. و على العكس منه فالحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي(ت600 هـ/1203م) حرم الغناء مطلقا بما فيه استخدام الدف ، و كان و يكسر آلات اللهو بيده[5] .

---

[1] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 358 .
[2] نفس المصدر ج 1 ص : 366-367 .و ابن الفوطي : المصدر السابق ق 3 ج 4 ص : 681 .
[3] نفس المصدر ج 1 ص :367 .و ابن الفوطي: المصدر السابق ق 3 ج4 ص :681 .و الروكوة هي إناء صغير من جلد يشرب منه الماء . علي بن هادية : المرجع السابق ص : 404 .
[4] ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص : 251 ، 252 .
[5] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 13 .

و منهم الفقيه الموفق بن قدامة المقدسي، فإنه عندما وصله رد ناصح الدين بن الحنبلي ، على فتواه بتحريم سماع الصوفية ؛ كتب هو بدوره جوابا مطولا رد فيه عليه ، و مما جاء فيه أنه عبر عن خيبة أمله في ناصح الدين ، إذ كان يظن أنه سيكون إماما بارعا للمذهب الحنبلي ، لما حباه الله من شرف بيته ،و عراقة نسبه في الإمامة ، وبساطة لسانه ،و حدة خاطره ،و سرعة جوابه ،و كثرة صوابه ، ثم تبين له أن غيره أسد جوابا و أكثر صوابا . ثم بين له انحرافه في منهجية الرد ، لأن السؤال يخص السماع الجامع للقبائح المتخذ دينا وقربة؛ فلم يجب عنه و عدل إلى ذكر بعض الجزئيات المفردة، التي لها حكمها الخاص بها ، فهو قد سئل عن ذلك السماع ، فأجاب أن رجلا حدا للنبي -عليه الصلاة و السلام-،و أن جارية غنت ، بما ليس فيه جواب أصلا[1] .

و انتقده أيضا في تقسيمه الغناء إلى ممدوح ،و مذموم ، ثم ترقيته إلى المندوبات و العبادات ، لكن الموفق عاد و نزه الناصح من أن يقول ذلك ، وإنما الذي قاله هم الصوفية الذين سلكوا مسلك الجاهلية ، عندما جعلوا السماع دينا ؛ ثم نبهه إلى أن هناك قسما ثالثا من الغناء لم يذكره ، وهو المباح .و انتقده كذلك في استدلاله على مدح الغناء بذكر الحداء ن كأنه لا يفرق بينهما ،و من هذه حالته لا يصلح للإفتاء ، لكن الظاهر أنه يفرق بينهما ، وإنما عندما ضاقت عليه ممادح الغناء عدل إلى ما يقاربه ، فهو كما قيل: الأقرع يفاخر بجمة ابن عمه ، وابن الحمقاء يذكر خالته إذا عيب بأمه . و إذا كان يقصد بجوابه التمويه و التعمية ، فهو حرام ،و إن لم يتعمده فهو نوع تغفل ،و هذا عجيب من مثله[2] .

و علق على استدلاله من أن الرسول-عليه الصلاة و السلام- رخص لعائشة-رضي الله- عنه باللعب بقوله : أن ذلك لا يوجب مدح لعب الرجال و اجتماعهم ، و إلا كان كل ما رخص فيه للصبيان و الجويرات الصغار ، ممدوح في حق كل إنسان، كاللعب ، العدو ، و المفاقسة بالبيض ،و حمل بعضهم بعضا ،و لو فعله المميز البالغ لردت شهادته ،و أسقطت عدالته . ثم أشار الموفق إلى أن الذين احتجوا بسماع الرسول من الجويرات ، لم يفرقوا بين السماع و الاستماع[3] ، فالذي فعله عليه الصلاة و السلام هو سماع ، وأما ما يفعله الصوفية فهو استماع ؛ ثم كرر الموفق تعجبه من الناصح الذي لم يفرق بينهما ،و لا بين الغناء و الحداء ،و لا بين حكم الصغير و الكبير ،و هو إمام مدرس

[1] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 197 .
[2] نفسه ج 2 ص : 197 .
[3] الفرق بينهما هو أن السماع يكون دون قصد ،و الاستماع يكون بقصد و نية ،و تهيئ له .

نصب نفسه للفتوى[1] . و قوله-أي الموفق- أن ما صدر عن النبي -عليه الصلاة و السلام- سماعا لا استماعا ، فلا دليل يثبته لأن الأمر يحتمل الاثنين ، و سواء كان سماعا أو استماعا فهو ليس بمكروه ، لأنه عليه الصلاة و السلام لم يمنع الجويريات ، ولم يضع أصبعيه في أذنيه كما فعل عندما سمع شبابة الراعي .

ثم تعجب الشيخ الموفق من استدلال الناصح على إباحة الشبابة-الناي- بأنه قد سمعها مشايخ الصوفية وأهل العلم ؛و تساءل : متى كانت أفعال هؤلاء من أدلة الشرع ؟ و ما من بدعة إلا و قد سمعها مشايخ و شباب ، فإذا كان فعلهم من أنواع الأدلة فعلى الناصح أن يضمه إلى أدلة الشرع المعروفة ، ليكون دليلا آخر يغرب به على من قبله ،و ينسبه إليه ،و لا ينسبه إلى مذهب احمد بن حنبل ،و لا إلى غيره من الأئمة ، فهم بريئون منه[2] . و تبين هذه المناقشة المطولة بين هذبن الفقيهين الحنبليين ، أن الموفق كان أكثر منهجية و أقوى حجة من الناصح بن الحنبلي .
و كان المقرئ الصوفي أبو الحسن بن الوجوهي البغدادي(ت 672هـ/1273م) ينكر سماعات الصوفية و هو منهم ،و عندما قرأ عليه تلميذه إبراهيم الجعبري القراءات السبع ن لم يكتب له الإجازة لأنه يحضر مجالس غناء الصوفية[3] . و أما الشيخ تقي الدين بن تيمية فقد ذكر وجود طائفتين متطرفتين في مسألة الغناء ، الأولى جعلته دينا من تركه خرج عن ولاية الله ،و الثانية حرمته مطلقا و لم تفرق بين غناء الصغار و النساء في الأفراح ،و بين غناء غيرهم ؛ و جعلت كل من يفعله فاسقا أو كافرا ، و هذا كله غلو[4] .وأما عن موقفه الشخصي فيبدو أنه كان يحرم السماع الذي تفعله الصوفية ، لأنه صنف كتبا في تحريم الغناء و الشبابة[5] .

و قد أباح سماع الصوفية عالمان كبيران من علماء الشافعية ، الأول هو أبو حامد الغزالي يرى أنه لا يدل على تحريمه نص و لا قياس[6] .و الثاني العز بن عبد السلام روي أنه كان يحضر سماع الصوفية و يرقص و يتواجد[7] . لكن الباحث سليم الهلالي أنكر نسبة ذلك للشيخ ابن عبد السلام،

---

[1] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :197-198 .
[2] نفس المصدر ج 2 ص : 199 .
[3] نفس المصدر ص : 2 ص : 285 .
[4] ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج 3 ص : 359-360 .
[5] الصفدي : المصدر السابق ج 7 ص : 28 .و ابن قيم الجوزية : مؤلفات ابن تيمية ص : 21 .
[6] أبو حامد الغزالي : المصدر السابق ج 2 ص : 1132 ، 1133 ، 1144 .
[7] اليونيني : المصدر السابق ج 2 ص : 175 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص : 302 .

بحجة أنه نص في كتابه قواعد الأحكام أن الرقص و التصفيق هو خفة و رعون[1]، كرعونة الإناث ، لا يفعلها إلا راعن متصنع كذاب[2] . ومما يدعم قوله أن العز قد أفتى كذلك في كتابه الفتاوى الموصلية ، بأنه لا يجوز سماع آلات اللهو كالدف و الشبابة ،و الغناء المتضمن تشبيبا ، من شخص يفتتن به كامرأة غير محرم و أمرد ، ولا يقبل على ذلك السماع إلا فاجر غلبه هواه و عصى مولاه[3] .

لكنني أرى رأيا آخر، هو أولا إن القول الأخير للعز فيه ما يشعر أنه إذا كان الغناء من شخص لا يفتتن به و ليس في كلامه تشبيب فهو مباح . و ثانيا أنه روي أن الشيخ العز كان ينكر على الصوفية أفعالهم ، ثم غير موقفهم منهم عندما خالطهم و عاشرهم و انتمى إليهم ، حتى أنهم ترجموا له معهم في طبقاتهم[4] . فهذا كله يرجح أنه كان يحرم سماع الصوفية ، فلما تأثر بهم و عاشرهم في آخر عمره أصبح منهم ، يحضر سماعاتهم ير قص معهم و يتواجد .

و أما مواقف الأئمة الأربعة من الغناء ، فقد اتفقوا على تحريمه إذا كان بآلات الطرب ،و اختلفوا فيه بدونها ، فحرمه الإمامان أبو حنيفة و مالك بن أنس ، و اختلفت الرواية عن الإمامين الشافعي واحمد بين التحريم، و الإباحة، و الكراهة ،[5] .و قد أباح احمد بن حنبل عناء الحاج و إنشاد المبارزين ،و حدو الأعراب ،و قال عنه : ((لا بأس به فإن بعض الصحابة حدا))[6] .

و أشير في هذا المقام إلى أن أقوى أدلة المحرمين للغناء ،هو ما رواه الإمام البخاري من أن الرسول–صلى الله عليه وسلم – قال: ((ليكونن في أمتي أقوام يستحلون الحرير ، والخمر ،و المعازف))[7] . لكن المبيحون له يقولون أن هذا الحديث لا يصح لأن البخاري رواه معلقا[8] ، عندما قال : قال هشام بن عمار حدثنا . . . ثم ساق الحديث ،و لم يقل حدثنا هشام بن عمار[9] .و لكن المحدث

---

[1] الرعونة هي الحمق و الاسترخاء و الخفة ، مع سوء التصرف قولا و فعلا . محمد ابن أبي بكر الرازي : المصدر السابق ص :165 .

[2] سليم الهلالي : صفحات مطوية من حياة العز بن عبد السلام ، ط 1 الجزائر دار ابن تيمية 1990 ، ص :109 ، 114 .

[3] العز بن عبد السلام : المصدر السابق ص : 85 .

[4] المناوي : الكواكب الدرية ج 2 ص : 448 .

[5] ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ج 2 ص : 98 ، 99 . و بدر الدين الحنبلي : المصدر السابق ص : 388 .

[6] ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص : 251 ، 253 . و ابن تميم الحنبلي : المصدر السابق ج2 ص : 276 ، 279 .

[7] البخاري : صحيح البخاري ،كتاب الأشربة ج 6 ص : 243 ,

[8] هو الذي حذف من مبدأ إسناده راو فأكثر على التوالي ، ما عدا الصحابي . محمود الطحان : تيسير مصطلح الحديث ص : 68 .

[9] البخاري : المصدر السابق ج 6 243 .

أبا عمرو بن الصلاح يرى أن هذا الحديث صحيح الإسناد ،معروف الاتصال بشرط الصحيح ،و قد علقه البخاري لأنه معروف من جهة الثقات[1] .و قال ابن قيم الجوزية أن البخاري علقه مجزوما به في قوله : قال هشام بن عمار حدثنا ، ولم يذكر بصيغة التمريض : يروى ، يذكر ،كما أنه هو شخصيا قد لقي هشاما و سمع منه . و هذا الحديث هو صحيح متصل عند غيره من المحدثين كأبي داود السجستاني(ت275 هـ/888م)،و ابن ماجة[2](ت273 هـ/886م) .

و يتبين مما ذكرناه عن مسألة الغناء أنها شغلت الفقهاء و أثارت بينهم جدلا واسعا في القرنين السادس و السبع الهجريين 12-13م .و أن معظم كبار علماء الحنابلة قد حرموا غناء الصوفية المعروف بالسماع و أدلتهم في ذلك قوية .و أن فئة منهم -من علماء الحنابلة -قد أباحته و حضرت مجالسه ،و حجتها في ذلك ضعيفة .لأن ما كان يفعله الصوفية في سماعهم هو انحراف عن الدين ولعب به .

و أما المسألة الثانية التي تخص لعن يزيد بن معاوية (ت 64هـ/ 683م)فقد تباينت مواقف علماء أهل السنة حولها بين الجواز ،والمنع ،و التوقف .ففيما يخص علماء الحنابلة فمنهم الفقيه عبد الرحمن بن الجوزي (ت 597 هـ/1200 م)أجاز لعنه و قال أنه لا يحبه لما فعله بالحسين بن علي -رضي الله عنهما -و حمله لآل بيته سبايا على اقتاب الجمال [3].وعندما ظهر التشيع في بغداد أيام الخليفة الناصر (575-622 هـ/ 1179-1225 م) مال ابن الجوزي إلى عوام الناس اللاعنين ليزيد ووافقهم .لكن نظيره الواعظ أحمد بن إسماعيل القزويني (ت 590 هـ/ 1193م) لم يستجب لهم وهموا بقتله مرارا .وقال لهم عن يزيد :ذاك إمام مجتهد فضربوه بالآجر فهرب و اختفى .ثم تحايل وخرج هاربا من بغداد إلى بلاده قزوين -في بلاد فارس-و ترك طلابه ينتظرونه في المدرسة النظامية [4].

وقد حدث نزاع بين ابن الجوزي ،والمحدث عبد المغيث بن علوي البغدادي الحنبلي (ت 583 هـ/1187م) عندما طعن ابن الجوزي في يزيد ،فاعترض عليه عبد المغيث ومنع من ذمه وسبه ،و

[1] ابن الصلاح : المصدر السابق ص : 39 .
[2] ابن قيم الجوزية : إغاثة اللهفان ج 1 ص : 201 ، 202 .
[3] ابن رجب : المصدر السبق ج1 ص: 356 .و أبو شامة :ذيل الروضتين ص23 .
[4] الذهبي :سير أعلام النبلاء ج21 ص 193 .و ابن شاهن شاه :مضمار الحقائق ص: 122 .و ابن كثير المصدر السابق ج 13ص 10-9:

صنف كتابا في ذلك أتى فيه بغرائب و عجائب من الأخبار لم يذكر ابن كثير أمثلة منها .فرد عليه ابن الجوز في كتاب سماه :الرد على المتعصب العنيد المانع ذم يزيد ، أجاد فيه و أصاب [1] .

ومن طريف ما يروى عن عبد المغيث ، أنه كان يوما عند قبر الإمام احمد بن حنبل ببغداد ، فمر به الخليفة الناصر لدين الله ، و قال له : أنت عبد المغيث الذي صنف مناقب يزيد ؟ ! فقال له : معاذ الله أن أقول أن له مناقب ، لكن مذهبي أن خليفة المسلمين إذا طرأ عليه فسق لا يعزل ، فقال له الناصر : ((أحسنت يا حنبلي،و استحسن منه هذا الكلام ،و أعجبه غاية الإعجاب))[2] . لأنه صادف هوى في نفسه ،و تأكد أن عبد المغيث الذي يدافع عن يزيد بن معاوية الأموي ، ليس عدوا لبني العباس .

و منهم الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي(ت600 هـ/1203م) أجاب عندما سئل عن يزيد بن معاوية : أن خلافته صحيحة[3].و أن بعض العلماء قال : بايعه ستون صحابيا[4] .و أن من أحبه فلا ينكر عليه ،و من لم يحبه فلا يلزمه ذلك ، لأنه ليس صحابيا نولا يمتاز عن غيره من التابعين بأية ميزة ،و إنما يمنع من التعرض له خوفا من التسلق إلى أبيه ،و سدا لباب الفتنة[5] .

و ذكر الشيخ تقي الدين بن تيمية ، أن يزيد بن معاوية عند أئمة المسلمين هو ملك من الملوك ، لا يحبونه ولا يسبونه ، لأنهم لا يحبون لعن المسلم المعين ، لكن وجدت طائفة من أهل السنة جوزت لعنه ن لأنه فعل من الظلم ما يستحق به اللعن . و أحبه آخرون لأنه مسلم تولى على عهد الصحابة و بايعوه ،و أن له محاسن ،و لم يصح ما نقل عنه ، أو أنه كان مجتهدا في ذلك .و الصواب عند ابن تيمية هو ما عليه الأئمة من أنه لا يخص بمحبة ،و لا يلعن[6] .مع العلم بأن الأحاديث المروية في لعنه كلها مكذوبة[7] .

---

[1] على حد قول ابن كثير و ابن رجب .البداية و النهاية ج12 ص: 328 .و الذيل على طبقات الحنابلة ج1 ص: 356 .

[2] ابن رجب : نفسه ج 1 ص : 356 .

[3] إن خلافته لم تكن برضا المسلمين فلم يختاره الصحابة ولا المسلمون عن رضا و عن طريق الشورى، و قد ثار عليه كثير من الصحابة و أولادهم و التابعين ، في ثورة أهل المدينة ،و ثورة ابن الزبير . (انظر ابن كثير : المصدر السابق ج 8 ص : 115 و ما بعدها ،و 149 و ما بعدها .فكيف تكون خلافته صحيحة و الحال هكذا ؟ ! ، إنني أرى أن خلافته ليست صحيحة ن لأنه ليس أهلا لها ،و و لم يأخذها بطريق شرعي ،و لا اختاره المسلمون .

[4] لكن الذين كرهوه و حاربوه يعدون بالآلاف . انظر : نفس المصدر ج 8 ص : 217 و ما بعدها .

[5] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :34 .

[6] ابن تيمية: الوصية الكبرى ص : 72 .

[7] ابن قيم الجوزية : المنار المنيف ص :95 .

و قد اختلفت الروايات عن الإمام احمد بن حنبل في موقفه من لعن يزيد بن معاوية ، ففي بعضها صرح بلعنه ،و في أخرى أمسك عن لعنه و ترك أمره لله تعالى ،و قال: صلى الناس خلفه ،و اخذوا عطاءه[1] .و ذكر الحافظ ابن رجب الحنبلي أنه ليس لأحمد تصريح بجواز لعن يزيد بعينه ، وإنما له كلام في لعن الظالمين عامة[2].

ومن الشافعية الفقيه أبو الحسين الطبري المعروف بالكيا الهراسي البغدادي (ت504 هـ/1110م) كان يقول لكل من أبي حنيفة و مالك و احمد، قولان في لعن يزيد بن معاوية تصريح و تلميح ،و أما أنا فلي قول واحد ، تصريح دون تلميح هو اللعن، لفسقه و انحرافه[3] . وخالفه الفقيه أبو حامد الغزالي ،و منع من شتمه واعنه لأنه مسلم ،و لم يثبت أنه رضي بقتل الحسين ،و حتى و إن ثبت ذلك فلا يسوغ لعنه ، لأن القاتل لا يلعن و باب التوبة مفتوح ،و الترحم عليه جائز ، و نحن نترحم عليه في جملة المسلمين في صلواتنا[4] .

و أقول : إن الذين أجازوا لعن يزيد ، لهم في أفعاله القبيحة المنسوبة إليه ، دليل قوي لأدانته و ذمه و لعنه و شتمه.و أما الذين أمسكوا عنه فلا يعني أنهم يحبونه و يوالونه ،و يرضون بجرائمه التي ارتكبها في حق المسلمين ،و إنما توقفوا فيه احتياطا لكي لا يصعد اللعن إلى والده و جده ،و تورعا من لعن مسلم معين .

و أما المسألة الثالثة وهي قضية الطلاق الثلاث ،فقد كان الطلاق في زمن الرسول -صلى الله عليه و سلم-و أبي بكر الصديق ،و في أول خلافة عمر بن الخطاب ، لا يقع دفعة واحدة ، وإنما يقع مرة بعد مرة . ثم تغير الحال عندما اجتهد عمر و جعله يقع دفعة واحدة ، لوضع حد للتلاعب به، فأخذ برأيه الجمهور ،و اصبح هو المعتمد في المذاهب الأربعة[5] . لكن بعض علماء أفتى خلاف ذلك ، منهم الفقيه مجد الدين بن تيمية الحراني(ت652 هـ/1254م) أفتى سرا أن الطلاق المجموع إنما

[1] ابن مفلح : المصدر السابق ج 1 ص :309 .و ابن تميم الحنبلي : المصدر السابق ج2 ص : 273 .

[2] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 356 .

[3] ابن خلكان : المصدر السابق ج 2 ص : 450 .و ابن كثير : المصدر السابق ج 12 ص : 173 .

[4] نفسه ج 2 ص : 450 .و نفسه ج 12 ص : 173 .

[5] ابن قيم الجوزية : إغاثة اللهفان ج 1 ص : 218 و ما بعدها .و يرو أن عمر بن الخطاب ندم على فعله في آخر عمره . نفس المصدر ج 1 ص : 254-256 .

يقع مرة واحدة فقط[1] . و كان الفقيه يوسف بن احمد بن الشيخ أبي عمر الحنبلي المقدسي(ت698 هـ/1298م) مولعا بالفتوى بمسألة الطلاق الثلاث ، و يسأل المناظرة فيها[2] .

و أفتى الشيخ تقي الدين بن تيمية بأن الطلاق الثلاث لا يقع إلا واحدة و إن تلفظ به ثلاثا ، فجرت عليه فتواه محن وقلاقل أوصلته إلى السجن[3] .و وافقه تلميذه ابن قيم الجوزية على فتواه ،و بين أن نصوص القرآن الكريم و السنة النبوية تدل صراحة على أن الطلاق لا يكون ثلاثا دفعة واحدة ، والمشروع هو أن الرجل إذا طلق امرأته أن يطلقها في طهر من غير جماع مرة واحدة ، ثم يدعها حتى تنقضي عدتها ، فله أن يراجعها أو يطلقها مرة ثانية ،و لا يجوز له طلاقها في حيض ،و لا في طهر وطئها فيه[4] .

و قد خالف بعض فقهاء المالكية و الشافعية و الحنفية[5] ، أئمتهم في مسألة ،و قالوا أنه محرم و بدعة ، لأن الكتاب و السنة يدلان على عكس ما ذهب إليه هؤلاء الأئمة[6] .و عندما أفتى الفقيه أبو النجم محمد بن القاسم التكريتي الشافعي(ت624 هـ/1227م) في مسألة الطلاق الثلاث بواحدة ، تغيظ عليه قاضي القضاة أبو القاسم بن الحسن الدامغاني الحنفي ، فلم يسمع منه ، فأخرجه من بغداد إلى بلده تكريت[7] .

فيستنتج مما ذكرناه ، أنه بما أن ظاهر القرآن الكريم و السنة النبوية الصحيحة ، يدلان على عدم جمع الطلاق الثلاث دفعة واحدة ،و هو الذي كان معمولا به زمن الرسول -عليه الصلاة و السلام-و خلافة الصديق ، أول خلافة عمر -رضي الله عنهما- و أن هذا الخير قد ندم على ما أقدم عليه[8] ، لم يبق أي مبرر للقول بوقوع الطلاق الثلاث-مرة واحدة- و التشبث به .

---

[1] ابن رجب : المصدر السابق ج2 ص : 253 .
[2] ابن طولون : المصدر السابق ج 1 ص : 177 .
[3] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 6 ص : 85 .
[4] ابن قيم الجوزية : المصدر السابق ج 1 ص : 218 ، 319 .
[5] لم يذكر ابن تيمية أسماء من هؤلاء الفقهاء .
[6] ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج 20 ص : 11 .
[7] ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص : 122 .

[8] انظر : ابن قيم الجوزية : المصدر السابق ج 1 ص : 254-255 .

ثانيا: مسألتان في علم الحديث

تخص المسالة الأولى مسند الإمام احمد بن حنبل ،و الثانية موضوعها خبر الآحاد ، فبالنسبة للمسند فقد تنازع فيه علماء الحنابلة ن فقال بعضهم أن كل أحاديثه صحيحة ، ولا يوجد فيه حديث موضوع ن و خالفهم آخرون و قالوا : بل فيه الصحيح و الضعيف و الموضوع ، فمن القائلين بالرأي الأول الحافظ أبو العلاء العطار الهمذاني ،و المحدث بن علوي البغدادي[1] .و من القائلين بالرأي الثاني الفقيه عبد الرحمن بن الجوزي ، خالف ما قاله المحدثان السابقان ،و دخل معهما في نقاش حاد ، و سببه أن بعض أهل الحديث سأله : هل في المسند ما ليس بصحيح ؟ فأجابه بنعم ، فأنكر عليه بعض علماء الحنابلة ،و كتبوا خطابا ردوا فيه عليه و قبحوا رأيه [2] . فتعجب منهم ابن الجوزي و الحقهم بالعوام ، لأنهم سمعوا الحديث و لم يبحثوا عن صحيحه و سقيمه ،و ظنوا أن ما قاله–أي ابن الجوزي– هو طعن فيما أخرجه احمد بن حنبل ن لكن حقيقة الأمر أنه روى المشهور ،و الجيد ،و الرديء نو هو نفسه قد رد أحاديث كثيرة مما رواه ،و لم يقل به و لم يجعله مذهبا له ؛ و قد أورد الفقيه أبو بكر الخلال البغدادي الحنبلي(ت 311 هـ/923م) في كتابه العلل أحاديث كثيرة طعن فيها احمد بن حنبل و اصلها في مسنده [3] . ثم نقل ابن الجوزي عن القاضي أبي يعلى الفراء قوله : إنما روى احمد في مسنده ما اشتهر ، و لم يقصد الصحيح و لا السقيم .و بعدها أخذ على علماء عصره تقصيرهم في العلوم حتى صاروا كالعوام ن إذا مر بهم حديث موضوع قالوا : قد روي . لذا ينبغي البكاء على خساسة الهمم[4] .

و أما الشيخ تقي الدين بن تيمية ، فقد أكد أنه توجد أحاديث موضوعة في مسند احمد بن حنبل ، بسبب الغلط لا التعمد في الكذب ، لأن احمد لم يرو عمن يتعمد الكذب ، لكنه روى ما ذكره أهل العلم .و شرطه في مسنده أن لا يروي عن المعروفين عنده بالكذب ؛ و مع ذلك فإن في مسنده بعض المرويات الضعيفة و الباطلة، لكن غالب أحاديثه جيد يحتج بها[5]. ثم ذكر ابن تيمية أن الخلاف الذي وقع بين ابن الجوزي و أبي العلاء العطار سببه هو الاختلاف في بالمقصود بالموضوع ، فمعناه عند ابن الجوزي هو الذي ((قام الدليل على أنه باطل ، و إن كان المحدث به لم يتعمد الكذب بل غلط فيه))،و معناه عند أبي العلاء العطار هو المختلق الذي تعمد صاحبه الكذب ن لكنه

---

[1] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 357 . و ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج 1 ص : 248 .
[2] نفسه ج 1 ص : 357 .و نفسه ج 1 ص : 248 .
[3] ابن الجوزي : صيد الخاطر ص : 299 .
[4] نفس المصر ص : 300 .
[5] ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ج 4 ص : 24 ، 61 . و مجموع الفتاوى ج 1 ص : 245 .

كان يعلم أن في المسند أحاديث لا يحتج بها رواها احمد لتعرف فقط[1] . وأشير هنا إلى أن الباحث عمر فروخ أدعى أن الشيخ تقي بن تيمية كان يرى ((أن الإمام احمد بن حنبل قد يخطئ في أرائه ، لكنه لا يخطئ في روايته للحديث))[2] .و هذا كلم غريب جدا لا أدري من أين أتى به[3] ؟ و ينقضه من أساسه ما نقلناه عن ابن تيمية سابقا .

و قد بين الباحث عبد العزيز عبد الحق أن في مسند أحمد بن حنبل أسانيد فيها مجاهيل و أسماء مبهمة كقوله : و عن رجل من بكر بن وائل ، و عن رجل من أهل المدينة[4] . مما يؤكد ما ذهب إليه ابن الجوزي و ابن تيمية ، من أن في المسند أحاديث ليست صحيحة ؛ لأن وجود مجاهيل و أسماء مبهمة في الأسانيد يعني عدم قبول أحاديثها ، لأن من شروط الحديث الصحيح ، اتصال إسناده و خلوه من الشذوذ و العلة[5] .

ومن الأحاديث غير الصحيحة التي رواها الإمام احمد في مسنده ، حديث ك ((لا تسبوا أهل الشام فإن فيهم البدلاء كلما مات رجل منهم ، أبدل الله مكانه رجلا آخر))[6]و ((أكذب الناس الصباغون و الصواغون))[7]،و ((من احتكر طعاما أربعين ليلة ، فقد برئ من الله ، و برئ الله منه))[8]، و((اطلبوا العلم و لو في الصين))[9] . فهذه الأحاديث تبين انه ليس كل ما في المسند صحيح ، على ما ادعاه بعض علماء الحنابلة، بل فيه الصحيح ، و الضعيف ، الموضوع على ما ذهب إليه ابن الجوزي و ابن تيمية .

و أما المسألة الثالثة و هي خبر الآحاد[10] ، فقد تنازع فيها العلماء ، فقال بعضهم أن خبر الآحاد يوجب العلم و العمل ، و أنكر آخرون ذلك . ففيما يخص علماء الحنابلة فإن غالبيتهم العظمى قالوا

---

[1] ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج 248 ، 249 250 .

[2] عمر فروخ : تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون ص: 561 .

[3] لم يذكر مصادره .

[4] ولتر باتون : احمد بن حنبل و المحنة ، ترجمة عبد العزيز عبد الحق ، القاهرة دار الهلال 1958 ، تذييل المترجم ص : 291 .

[5] انظر : محمود الطحان : أصول التخريج و دراسة الأسانيد ص : 189 .

[6] ابن القيم : المنار المنيف ص : 103 .

[7] ابن الديبع : تمييز الطيب من الخبيث ، حققه عثمان الخشت ، الجزائر ، دار الهدى 1991 ص : 55 .

[8] الشوكاني : الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ص : 144 ، 145 .

[9] ضعيف و جعله ابن الجوزي في الموضوعات . نفس المصدر ص : 272 .

[10] هو الذي يرويه عدد قليل من الناس ، واحد فأكثر و لم يجمع شروط المتواتر ،و هو يفيد العلم النظري المتوقف على النظر و الاستدلال .و يقابله الخبر المتواتر ،و هو ما رواه عدد كبير من الناس في كل طبقة من طبقات إسناده التي يحكم العقل –في العادة –

:إن خبر الآحاد الصحيح الذي تقبلته الأمة بالقبول يفيد العلم و العمل ،و قلة منهم أنكرت ذلك، كابن عقيل الذي دعا في كتابه النصيحة إلى وجوب طرح أحاديث الصفات لأنها-في اعتقاده- أخبار آحاد توهم التشبيه و قد ثبت بأدلة العقول نفي التشبيه و التجسيم[1] . و كلامه هذا يوحي بأنه ينكر الأخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة فقط ، دون العبادات و المعاملات على طريقة الأشاعرة[2] .

و قد تصدى الشيخ الموفق بن قدامة للرد على ابن عقيل، مؤكدا وجوب قبول أخبار الآحاد ، لأن الذين نقلوها أئمة ثقات عدول متقنون ، رووها في الصحاح و المسانيد ،لذا فإن عدم قبولها معارض للإجماع ،و إذا لم نأخذ برواياتهم في أخبار الصفات وجب رد أقوالهم في الشريعة كلها ، فيذهب بذلك الدين كله .و من أدلة الأخذ بخبر الآحاد أن النبي -عليه الصلاة و السلام-كان يعتمد على آحاد الصحابة في إرسال أمرائه و قضاته ، بعثاته إلى الأطراف؛ كما أن الصحابة من بعده عملوا بخبر الآحاد و اجمعوا عليه[3] .

و منهم الفقيه نصير الدين بن سنينة السامري (ت 616 هـ/1219م) أول بضع الصفات و ادعى أن ((أخبار الآحاد لا تثبت بها الصفات)) فأنكر عليه الحافظ محمد بن الوليد البغدادي الحنبلي(ت643 هـ/ 1245م) في خطاب أرسله إليه[4] . و السامري في طريقته هذه متأثر بالأشاعرة ، في عدم الأخذ بأخبار الآحاد في العقائد[5] . وهذا مسلك لامبرر له ،و ينطوي على تناقض بين ، فلماذا نقبل أحاديث الآحاد -الصحيحة- ، في العبادات و المعاملات و نثق في رواتها ،و نرفضها إذا ما تعلقت بالعقائد ؟ ! و ليس أمامنا لإزالة هذا التناقض إلا طريقان ، إما قبول كل أحاديث الآحاد الصحيحة في الأصول و الفروع .و إما رفضها كلية و بذلك ينهار قسم كبير من الدين .

و يعتقد شيخ الإسلام بن تيمية أن خبر الآحاد الذي تلقته الأمة بالقبول عملا به أو تصديقا له يفيد العلم اليقيني ، عند جماهير أمة الإسلام .و هذا النوع من الأحاديث تصلح لإثبات أصول الديانات

باستحالة تواطئهم على الكذب .و من شروطه كذلك أن ينتهي إلى الحس و المشاهدة ،كقولهم : سمعنا و رأينا و لمسنا .و هو يفيد العلم الضروري اليقيني ، يضطر الإنسان إلى التصديق به تصديقا جازما ، لذا فهو مقبول و لا حاجة للبحث عن أحوال رواته . محمود الطحان : تيسير مصطلح الحديث ص : 18 ، 19 ، 20 .و ابن بدران الدمشقي : نزهة الخاطر ج 1 ص : 210 ، 211 زو العثيمين : المرجع السابق ص : 54 .و الشنقيطي : مذكرة أصول الفقه ص : 100 ، 103 .

[1] ابن قدامة : تحريم النظر ص : 39 .

[2] ابن العربي : المصدر السابق ج 2 ص : 297 ، 302 .

[3] ابن بدران الدمشقي : المرجع السابق ج 2 ص : 222 ، 229 .

[4] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 233 .

[5] ابن العربي : المصدر السابق ج 2 ص : 297 ، 302 .

عند الحنابلة[1] .و إذا كان يقصد بالأصول أركان الدين كالشهادتين، و الصلاة ،و الصيام ، فهذا لا يصح ، لأنه لا يمكن أن نقبل أخبار الآحاد في ذلك لأن المطلوب شرعا و عقلا أن تروى الأركان بالأخبار المتواتر .و رد ابن تيمية على الفلاسفة المسلمين القائلين بأن خبر الواحد لا يفيد العلم ،مبينا أن الفلاسفة أنفسهم يعتمدون عليه ،وهو عندهم قول الحاد [2]، و يقلون أن هذه طريقة عقلية يقينية ،و عمدتهم في ذلك على الحد –التعريف –وهو قول الحاد بلا دليل [3].و هو خبر واحد عن أمر عقلي لا حسي يحتمل الخطأ و الصواب والصدق و الكذب .ثم يعيبون على من يعتمد في السمعيات – الشرع –على نقل الواحد الذي معه من القرائن ما يفيد المستمع العالم بها العلم اليقيني ،زاعمين ((أن خبر الواحد لا يفيد العلم ،و لا ريب أن مجرد خبر الواحد الذي لا دليل على صدقه لا يفيد العلم))و هذا يصدق على قولهم في الحد لأنه خبر واحد لا دليل عليه [4].

و أشير هنا إلى أن كبار علماء أهل السنة قد نصوا على أن خبر الواحد الصحيح الذي تلقته الأمة بالقبول يفيد العلم و العمل ، منهم : الأئمة الأربعة ،و داود بن علي الظاهري البغدادي (ت270 هـ/883 م) و القاضي أبو يعلى الفراء البغدادي الحنبلي (458 هـ/1065 م) ،و أبو إسحق الشرازي الشافعي (ت 476 هـ/1083م)،و أبو الخطاب الكلوذاني الحنبلي (ت510 هـ/1116 م) [5].و خالفهم المعتزلة و الجهمية ،و الشيعة و الخوارج ،و بعض الأصوليين و الفقهاء من أهل السنة ،كإمام الحرمين الجويني ،و حجة الإسلام أبي حامد الغزالي و المتكلم أبي الوفاء بن عقيل .

و تعقيبا على ما ذكرناه أقول :إنه ليس من الصواب أن يقال: إن خبر الآحاد لا يفيد العلم و العمل مطلقا وإنما يقال :هو حسب الدليل الدال عليه ،فيخضع اسناده و متنه للنقد و التحقيق ،فإذا صح قبلناه ، و بذلك يوجب العلم و العمل .و إذا لم يصح رفضناه .و الذين لم يأخذوا به هم على خطأ ، لأن حياة البشر تقوم في معظمها عليه، وليس لهم غنى عنه .و لأن نصوصا كثيرة من القرآن الكريم و السنة النبوية تثبت الأخذ به[6] ، منها أنه عليه الصلاة و السلام ، كان يرسل الاحاد من

[1] ابن قيم الجوزية : مختصر الصواعق المرسلة ج 2 ص : 721 –722 . و الشهاب بن عبد الغني : المسودة في أصول الفقه ص : 205.

[2] هو الدال و المعرف الذي يحد و يعرف و يدل على مهية الشيء . الجرجاني :المرجع السابق ص :83 .

[3] ابن تيميه :الرد على المنطقيين ، الهند المطبعة القيمة 1368 هـ 1949 مص :37/ 38 .

[4] نفسه ص :38.

[5] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص: 66 .و ابن القيم الجوزيه : المصدر السابق ج 2ص :713 ، 717 ، 715 ، 722 .

[6] للتوسع في ذلك انظر : ابن قيم الجوزية : المصدر السابق ج 2 ص : 739 و ما بعدها .

أصحابه في مهام مختلفة ،و يثق فيهم و يقبل أخبارهم[1] .و كذلك قوله تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا))-سورة الحجرات/ 6 - فأمرنا بالتبيين و التثبت لكي نقبل خبر الواحد الفاسق ، و لم يأمرنا برفض خبره مطلقا مع فسقه ، فما بالك بخبر الواحد العدل الضابط الثبت الثقة ؟

و يستنتج مما أوردناه عن مواقف علماء الحنابلة من قضايا عصرهم الفكرية-خلال القرنين: 6-7هـ/12-13م-أنه كانت لهم مشاركة فعالة في دراسة مختلف قضايا علم الكلام و أصول الدين ،و الفقه والحديث ، كمسألة معرفة الله ،و الحكمة و السببية ،و خبر الآحاد . و أنهم اخذوا منها مواقف متميزة-سبق ذكرها-انطلاقا من أصول مذهبهم الحنبلي ، ما عدا قلة انحرفت عنه جزئيا بتأثير من مذاهب أخرى . لكنهم ساهموا كلهم في خدمة مذهبهم ،و تفعيل الحركة العلمية الحنبلية ،و إثرائها و تفجير طاقات علمائها في البحث و التصنيف و النقد .

. . .

الفصل الرابع

النقد العلمي عند علماء الحنابلة

(في القرنين : 6-7 هـ/12-13م)

[1] أنظر : ابن هشام : المصدر السابق ص : 199 ، 200 .

المبحث الأول : في النقد التاريخي
المبحث الثاني : في نقد علم الكلام و الفلسفة
المبحث الثالث: في نقد التصوف و أهله
المبحث الرابع: نقد ابن الخشاب لمقامات الحريري
المبحث الخامس: في نقد علماء الشريعة و عامة الناس
المبحث السادس: في نقد المصنفات

النقد العلمي عند علماء الحنابلة

(في القرنين : 6-7 هـ/12-13م)

المبحث الأول : في النقد التاريخي

كان لبعض علماء الحنابلة في المشرق الإسلامي-خلال القرنين :6-7هـ /12-13 م – اطلاع واسع على التاريخ الإسلامي ومعرفة مفصلة بكثير من فتراته ،ولهم فيه كتابات مارسوا من

خلالها نقد[1] أخبار تاريخية[2] بطريقة تثير الإعجاب و تستحق التنويه ،في مقدمتهم اثنان هما :المؤرخ عبد الرحمن بن الجوزي ،و شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية .

أولا عند المؤرخ عبد الرحمن بن الجوزي (ت 597 هـ/ 1200 م)

حث المؤرخ عبد الرحمن بن الجوزي الفقهاء على معرفة التاريخ ،لأنهم يحتاجون إليه في دراستهم الفقهية ،و جهلهم به يوقعهم في أخطاء شنيعة ،وضرب على ذلك ثلاثة أمثلة نقدها و بين أنها باطلة مكذوبة ،ففي الأول ذكر أن بعض الفقهاء قال اجتمع الشبلي و شريك القاضي ،و هذا غريب منه ،كيف لا يدري بعد ما بين الرجلين من الفارق الزمني ؟![3] و اجتماعهما من المستحيل لأن القاضي شريك بن عبد الله الكوفي توفي سنة 177هـ/ 793م ،و الصوفي أبو بكر الشبلي ولد في سنة 227 هـ/ 861م ،فبينهما سبعون سنة فكيف يلتقيان ؟! .

و المثال الثاني مفاده أن الفقيه أبا المعالي الجويني (ت478 هـ/1085م)روى في كتابه الشامل في الأصول أن طائفة من الثقات المعنيين بالبحث عن البواطل ذكروا خبر اجتماع الصوفي أبي منصور الحلاج البغدادي (ت 309 هـ/921 م)بأبس سعيد الجبائي القرمطي (ت 301 هـ/913م) بالأديب عبد الله بن المقفع ،و تواصوا على قلب الدول و افسادها ، و استعطاف قلوب الناس ،فاتجها كل منهم إلى قطر فحل الجبئي بالأحساء ببلاد البحرين ،و توغل ابن المقفع في بلاد الترك ،وسكن الحلاج بغداد[4].و هذا الخبر لا يصح لأن الحلاج لم يدرك ابن القفع و بينهما فارق زمني كبير ،فابن القفع مات في سنة 144هـ /761م و الحلاج قتل في سنة 309هـ /921م ،و أما الجبئي فقد كان معاصرا للحلاج[5].

و أما الثالث ففيه أن حجة الإسلام أبا حامد الغزالي (ت 505هـ/1111م)صنف كتاب المستظهري للخليفة العباسي المستظهر بالله (478- 512هـ/ 1085-1118م)في الرد على

[1] النقد في الأصل هو ما يعطى من الثمن معجلا وهو من الذهب و ا لفضة أو من غيرهما .و ناقد الدراهم و انتقدها أخرج منها زيفها ،و انتقد الشعر و غيره أظهر عيبه .و معناه في الاصطلاح هو فن تميز جيد الكلام من رديئه و صحيحه من فاسده .محمد بن أبي بكر الرازي :المصدر السابق ص: 426 .و علي بن هادية :المرجع السابق ص: 108 ،1243 .و نحن في دراستنا هذه نوسع معناه ليشمل التمحيص و التحقيق ،و الإثراء و الردود و التعقيبات .

[2] تندرج ضمن الأخبار التاريخية كل المرويات ،سواء كانت أحاديث نبوية ،أو أقوالا و حوادث عن الصحابة و غيرهم من الناس .و الحديث النبوي هو في حقيقته خبر ،لذا فإن كل حديث خبر و ليس كل خبر حديث .محمد عجاج الخطيب :السنة قبل التدوين ، ط1 القاهرة ،مكتبة وهبه ،1963م ،ص: 21 ،22 .

[3] ابن الجوزي صيد الخاطر ص 438 .

[4] ابن الجوزي :صيد الخاطر ص :439 .

[5] نفسه ص :439 .

الباطنية و مما ذكره فيه أن الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك (96-99هـ –714- 717م)بقي ثلاثة أيام لا يأكل ،ثم أفطر على نخالة مطهية من فطور أحد الزهاد ،ثم جامع أهله فجاءت له بولده عبد العزيز ،ثم لما تزوج هذا الأخير ولد له عمر .وهذا الخبر عند ابن الجوز هو تخليط قبيح من أبي حامد لأن عمر هو ابن عم سليمان و ليس ابن ولده ،فما ((هذا حديث من يعرف من النقل شيئا أصلا))[1].و بمعنى آخر أن والد عمر هو عبد العزيز بن مروان (ت 85هـ /704 م)و والد سليمان الخليفة عبد الملك بن مروان [2](69-86 هـ/688 –705م)،فسليمان هو ابن عم عمر وليس جده .

فيتبين من هذه الأمثلة التي نقدها ابن الجوزي أنه اعتمد في ذلك على المتني لا الإسناد [3]،و استخدم في الروايتين الأولى و الثانية الثابت من التاريخ حسب التسلسل الزمني ،كوسيلة للتحقيق و التمحيص ،و بفضله أثبت أنهما باطلتين .و في الثالث استعان بعلم الأنساب فينقده لها وإظهار زيفها .

ومن الأخبار التي حققها كذلك و أثبت بطلانها ثلاثة ،أولها خبر له إسندان موجزه أن النبي – عليه الصلاة و السلام – لما عرج به إلى السماء حدث الناس بما رأى ،فكذبوه و صدقه بعضهم ، فانقض نجم و قيل كوكب على الأرض ،فقال لهم الرسول –صلى الله عليه و سلم- ((انظروا في دار من وقع فهو خليفتي من بعدي)) فوجدوه في دار علي بن أبي طالب ،فكان هذا هو سبب نزول سورة النجم .و هذه الرواية ذكر في اسنادها محمد بن السائب الكلبي (ت146 هـ/763م)و محمد بن مروان السدي (ت189 هـ/804م) ، و الصحابي عبد الله بن عباس-رضي الله عنه-(ت 70 هـ/689م) و غيرهم .

و في الإسناد الثاني ثوبان بن إبراهيم ، وأبو قضاعة ربيعة بن محمد ، و أبو بكر العطار ،و سليمان بن احمد المصري ، ثم الصحابي أنس بن مالك-رضي الله عنه-(93 هـ/711م) . ففي الإستاد الأول ظلمات ، منها محمد بن السائب الكلبي ، لايحل الاحتجاج به ،و عبد الله بن عباس لا يسمح له عمره بمشاهدة الحدث و روايته ، لأنه كان ابن سنتين .و في الإسناد الثاني ثوبان بن إبراهيم و هو ضعيف ،و أبو قضاعة منكر الحديث ، وابو بكر العطار و سليمان ابن احمد مجهولان

---

[11] نفسه ص :439 .و المنتظم ج9 ص:170 .

[2] ابن العماد الحنبلي :المصدر السابق ج1 ص: 348 ،398 ،ج2 ص:5 ط د .

[3] يبدو أنه لم يكن لهذه الأخبار أسانيد لأن ابن الجوزي لم يذكرها .

،و أنس بن مالك لم يعرف النبي –عليه الصلاة و السلام– إلا في المدينة ، و حادثة المعراج وقعت قبل الهجرة بسنة . ثم تعجب ابن الجوزي من غفلة واضع هذا ((كيف رتب مالا يصلح في العقول من أن النجم يقع في دار و يثبت إلى أن يرى))[1] . و لو سقط نجم بمكة لدمرها و ما حولها ، فإنه عند سقط مذنب [2]على منطقة سبيريا في سنة 1908م/1326هـ احدث انفجارا هائلا سمع من مسافة 1000كلم ، و أطاح بمساحات من الغابات قدرت ب: 2000كلم و التهمتها النيران[3] .

فابن الجوزي في نقده لهذا الخبر ركز أولا على الإسناد ، فبين أنه مليء بالمجروحين المطعون فيهم ، ثم اعتمد ثانيا على الثابت من التاريخ في معرفة عمر الصحابي ابن عباس ، و في تحديد فترة التقاء أنس بن مالك بالرسول –عليه الصلاة و السلام–. ثم اعتمد ثالثا على العقل العلمي لا الأسطوري ، في إنكار أن يقع نجم على دار و يبقى هو و الدار حتى يراهما الناس .

و الخبر الثاني مفاده أن علي بن أبي طالب–رضي الله عنه– قال: ((عبدت الله عز و جل ، مع رسول الله –صلى الله عليه و سلم–قبل أن يعبده رجل من هذه الأمة خمس سنين أو سبع)) ،و هذا الرواية عند ابن الجوزي باطلة ، لأن إسلام خديجة ،و أبي بكر الصديق ،و زيد بن حارثة–رضي الله عنهم– كان منذ الأيام الأولى للدعوة الإسلامية[4] .

و الثالث مفاده أن الصحابي أبا ذر الغفاري دخل على الخليفة عثمان بن عفان–رضي الله عنهما– و عنده كعب الحبار[5] ، فقال الخليفة : يا كعب إن عبد الرحمان بن عوف مات و ترك مالا فما ترى فيه ؟ فقال : إن كان يصل فيه حق الله تعالى ، فلا بأس به . فرفع أبو ذر عصاه و ضرب بها كعبا ، و قال : سمعت رسول الله –صلى الله عليه و سلم– يقولك ما أحب لو أن لي هذا الجبل أنفقه و يتقبل مني ،و أذر منه ست أواقي)) ، ثم قال لعثمان : أنشدتك الله يا عثمان ، أسمعت

---

[1] ابن الجوزي : الموضوعات في الأحاديث المرفوعات ، حققه عبد الرحمن محمد عثمان ، ط 1 المدينة المنورة ، المكتبة السلفية 1386هـ ا 1966م ج 1 ص : 374 .

[2] هو مادة غازية شديدة الانفجار ، عند احتكاكها بالغلاف الغازي . عبد المحسن صالح : قزم يقترب و مذنبات تندفع ،و حياة تنقرض ، مجلة الدوحة ن عدد فبراير 1985 ، ص : 55 ، 57 ، 58 .

[3] نفس المرجع ص : 56 .

[4] ابن الجوزي : المصدر السابق ج 1 ص : 342 .

[5] كان يهوديا من بلاد اليمن ، ثم أسلم في زمن الخليفة أبي بكر الصديق ، و توفي في سنة 35هـ . ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ج 1 ص :201 . ط د .

هذا-قالها ثلاث مرات- قال: بلى[1] . وهذا خبر لا يصح و ضعه الجهال ،و لأن في إسناده المحدث عبد الله بن لهيعة(ت 174 هـ/890م) و هو مطعون فيه و لا يحتج بحديثه . و لأن أب ذر الغفاري توفي سنة خمس و عشرين للهجرة/645م قبل وفاة عبد الرحمن بن عوف(ت32 هـ/625م) بسبع سنين ن فكيف يقال: إن أبا ذر كان حيا عند وفاة ابن عوف ؟ ! ثم تساءل ابن الجوزي-عن سبب الخوف على ابن عوف- ألم يبح الشرع جمع الأموال عن طريق الحلال ؟ أليس من قلة الفقه و الفهم أن يقال : الشرع يأمر بجمع الأموال ثم يعاقب عليه ؟ ! و لماذا يخص ذلك عبد الرحمن بن عوف دون غيره ؟ ! ألم يسر سيرة إخوانه من الصحابة ؟ و أليس من المعروف أن كثيرا من الصحابة ، جمعوا أموالا معتبرة و تركوها بعدهم ، كطلحة ، و الزبير ،و ابن مسعود- رضي الله عنهم- و لم ينكر عليهم أحد ؟ [2]

فيستنتج من نقد ابن الجوزي لهذا الخبر ن أنه كان يتمتع بعقلية المؤرخ المحدث الناقد ، فبين أن في إسناه من لا يحتج به ،و أن متنه يتعارض مع الثابت من التاريخ ،و مع الشرع الحكيم و العقل الصريح ز مما يثبت أنه كان صاحب منهج علمي لنقد الأخبار ، وإن لم يلتزم به في كل الروايات . فمن ذلك أنه عاب الصوفيه في مصادقتهم للأمراء تعظيما لهم ،و مفارقتهم للفقراء تكبرا عليهم ؛ ثم استدل عليهم بقول نسبه لعيسى-عليه السلام-يقول فيه: ((يا بني إسرائيل ما لكم تأتوني و عليكم ثياب الرهبان ، و قلوبكم قلوب الذئاب الضواري ؟ ألبسوا لباس الملوك و ألينوا قلوبكم بالخشية))[3] .فهو هنا قد احتج على الصوفية بخبر من الإسرائيليات لا إسناد له ، و هذا لا يليق به كمحدث و مؤرخ ناقد .

ثانيا: عند تقي الدين بن تيمية(ت728 هـ/1327م)

للشيخ تقي الدين بن تيمية معرفة واسعة بالتاريخ و السير[4]، و له كتابات تناول فيها موضوعات تاريخية ذات أهمية بالغة ،و له فيها تحليلات عميقة ،و نظرات صائبة ،و تحقيقات رائدة موفقة ، نجد بعضها في كتابيه الخلافة و الملك[5] ،و منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة و القدرية[6] .

---

[1] ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص : 203-204 .
[2] ابن الجوزي : المصدر السابق ص : 203 ، 204 .
[3] نفس المصدر ص : 212 .
[4] ابن ناصر الدين : الرد الوافر ص : 33 .
[5] انظر مثلا ص : 59 و ما بعدها .
[6] ستر منه أمثلة فيما يأتي .

فمن ذلك أنه كثيرا ما اعتمد في بحوثه و مناظراته على التاريخ، في تقرير مسائل علمية لها جذور تاريخية . فقد لجأ إليه عندما تكلم عن ظهور المتكلمين و الصوفية و أهل الرأي ، وبين أن جمهور المتكلمين و الصوفية أصلهم من البصرة ،و أن غالبية أصحاب الرأي و الشيعة من الكوفة[1] .و عندما تناول مسألة الصفات بين المثبتين و النفاة ، أكد أن الثابت عن النبي–صلى الله عليه وسلم–وصحابته و التابعين إثباتها لا نفيها ، وأن التاريخ شاهد على ذلك ،و أنه لا يمن لأحد أن ينقل ((نقلا صحيحا عن أحدهم ن بما يوافق قول النفاة ، بل المنقول المستفيض عنهم ، يوافق أهل الإثبات)) ومن نقل عنهم خلاف ذلك فهو خاطئ . ثم ذكر نبذة تاريخية عن ظهور القول بنفي الصفات عن الجهمية[2] .

و له نظرات نقدية فاحصة في موضوعات تاريخية شتى ، منها أن المصنفين في التواريخ كتبوا كل ما وصلهم ، من صحيح الأخبار و سقيمها ، و فيما يروونه كثير من الكذب ن وقل أن يسلم لهم نقل من الزيادة و النقصان[3] . لذا فإن أولي الأبصار لا يعتمدون عليهم فيما يقولونه ،و إنما يعتمدون على ما كتبه المتخصصون في المنقولات المتفق على صحتها كالصحاح ن و السنن ، و المسانيد[4] .

و منها أن مؤسس[5] الطائفة الشيعية لم يكن قصده الدين وإنما كان غرضه إفساده ، وأصل فكرتهم–أي الشيعة– مبنية على الكذب على النبي–عليه الصلاة و السلام–و إنكار أحاديثه الصحيحة ، لذا فهم أكذب فرق الأمة ،و لا يكاد يوثق برواية أحد من شيوخهم ، لكثرة الكذب فيهم ن مما جعل أهل الصحيح يعرضون عنهم . فلا يروي البخاري و مسلم أحاديث علي بن أب طالب–رضي الله عنه– إلا عن أهل بيته كالحسن و الحسين ، أو عن أصحاب عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه– فإن هؤلاء صادقون فيما يروونه عن علي ، لذا أخرج أصحاب الصحيح حديثهم[6] .

و الشيعة عند ابن تيمية ليس لهم نقل صحيح ،و لا عقل صريح، فهم يصدقون بالمنقولات المعروفة بالاضطرار أنها باطلة ، ويكذبون بالأخبار المتواترة الصحيحة، ويعتمدون في رواياتهم على التقليد ، دون تمييز بين المؤرخ المعروف بالكذب أو الغلط ، أو الجهل بما ينقل،و بين المؤرخ العدل

---

[1] ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج 10 ص : 358 .

[2] ابن تيمية : موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ، بهامش منهاج السنة ج 4 ص : 19 .

[3] ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ج 3 ص : 196 ، وج 4 ص : 11 ، 12 .

[4] نفس المصدر ج 4 ص : 243 .

[5] لم يعينه لكنه يقصد –على يقصد على ما يبدو– عبد الله بن سبأ و أصحابه .

[6] ابن تيمية : الفرقان بين الحق و الباطل ص : 54 ، 55 .

الحفظ المشهور بالعلم و الأثر[1].و عمدتهم في المنقولات تواريخ منقطعة الأسانيد ، كثير منها من وضع الكذابين ، كأبي مخنف لوط(ت 157هـ/773م) ،و هشام بن محمد بن السائب الكلبي(ت204 هـ/819م) .و ليس لهم أسانيد متصلة صحيحة قط ،و كل إسناد متصل عندهم إلا و فيه من هو معروف بالكذب و كثرة الغلط . فهم كاليهود و النصارى ليس لهم إسناد ، وكتبهم في الرجال ليست ككتب الرجال عند أهل السنة ، لكي ننظر فيها و في عدالة رجالها[2] .و بسبب فرط جهلهم و هواهم فإنهم يقلبون الحقائق التاريخية و ينكرونها ،و يثبتون محلها أخبارا مكذوبة يصدقونها[3] .

و للشيخ تقي الدين بن تيمية ، نظرات نقدية في تفسير بعض حوادث التاريخ الإسلامي ، منها أن من أسباب سقوط الدولة الأموية ظهور البدع المخالفة للدين ، كإنكار الجعد بن درهم(ت 124هـ/838م) للصفات الإلهية ، و زعمه أن الله لم يتخذ إبراهيم–عليه السلام– خليلا ،و لم يكلم موسى تكليما ، فأوجب هذا السبب–مع غيره من الأسباب–إدبار الدولة الأموية و انقراضها[4] . و ذكر أن عندما ظهر النفاق و الرفض و الزندقة في مصر و الشام علي يد الفاطميين الملاحدة الباطنية–على حد قوله– كان ذلك من العوامل التي ساعدت الصليبيين ، عل احتلال ساحل الشام و بيت المقدس. لكن عندما كل من نور الدين محمود(ت569 هـ/1173م) ،و صلاح الدين الأيوبي(ت 589 هـ/1193م) راية الإسلام و الجهاد طهرا البلاد من النصارى و نصرهما الله عليهم، فكان الإيمان و الجهاد عن الدين سببا لخير الدنيا و الآخرة[5] . كما أن من أسباب دخول المغول إلى بلاد المسلمين و إفسادهم فيها ، ظهور الإلحاد و النفاق و البدع بين المسلمين في المشرق الإسلامي[6] .

و يلاحظ على ابن تيمية –في تفسيره لهذه الحوادث– أنه يقر بتعدد عواملها و تداخلها فيما بينها ، لكنه يرى أن انحراف المسلمين عن الدين ، كان من بين أهم أسباب ما حل بهم ويلات و انكسارات، كما أن عودتهم إليه هو طريق نصرهم و سعادتهم في الدنيا و الآخرة .و قوله هذا صحيح يشهد له التاريخ قديما و حديثا ، و في القرآن الكريم تأكيد على ذلك كقوله تعالى: ((و لان شكرتم

---

[1] ابن تيمية : منهاج السنة ج 1 ص :3 .و درء تعارض العقل و النقل ج 4 ص : 133 .

[2] ابن تيمية : منهاج السنة ج 1 ص : 13 , و ج 2 ص : 116 .و ج 4 ص :11 .

[3] نفس المصدر ج 3 ص : 159 .و خلاف الأمة ص : 122 .

[4] ابن تيمية : الفرقان بين الحق و الباطل ص : 118 ، 203 .

[5] نفس المصدر ص : 199 .

[6] نفس المصدر ص : 179 .

لأزيدنكم))–سورة إبراهيم/7– و ((ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا))– سورة طه/124– .

و انتقد ابن تيمية، المصنفين في الملل و النحل ،و الفقه ، في كثرة غلطهم ، فيما يخص الروايات التاريخية التي يذكرونها في مؤلفاتهم بلا إسناد و لا تحرير ، خلاف فإن خطأهم قليل بالمقارنة إلى هؤلاء ،و أن كان بعضهم يكثر من رواية الموضوعات في فضائل الأعمال[1] . ثم أشار إلى أن المتكلمين الجهمية ينسبون لكبار علماء المسلمين، كالأئمة الأربعة أقوالا في العقائد لم يقولوها ، فإذا طولبوا بالنقل الصحيح تبين كذبهم [2]. و ذكر أن المتكلم أبا الفتح الشهرستاني(548 هـ/1153م) أورد في كتابه الملل و النحل روايات باطلة ، لأنه نقلها عن كتب المقالات ، و هي تضم أكاذيب من جنس ما في التواريخ ؛و هو ليس له خبرة بالحديث و أثار الصحابة و التابعين . لذا لم ينقل مذهبهم في كتابه الملل و النحل؛و هو وإن لم يتعمد الكذب عليهم ، فإنه نقل عمن يتعمد الكذب ، من ذلك انه روي أن الأنصار اتفقوا يوم السقيفة على تقديم الصحابي سعد بن عبادة ،و هذا غير صحيح باتفاق أهل المعرفة بالنقل . و أخذ عليه كذلك إظهار ميله للشيعة ن إما بباطنه وإما مداهنة لهم ؛ لأنه صنف كتابه الملل و النحل لرئيس من رؤسائهم ن كانت له ولاية ديوانية استعطفه به[3] .

و اشتد ابن تيمية في انتقاد المؤرخ أبا المظفر السبط بن الجوزي الحنبلي ثم الحنفي الدمشقي(ت654 هـ/1256م) لأنه يذكر في مصنفاته الغث و السمين،و يحتج بأحاديث ضعيفة و موضوعة ،و يتعمد تزييف الأخبار ،و يؤلف الكتب حسب مقاصد الناس و أغراضه منهم ؛ فيكتب للشيعة ما يناسبهم ليعوضوه ،و يصنف لملوك الحنفية طمعا فيما عندهم[4] .

و فيما يخص منهج نقد الأخبار عند ابن تيمية ، فإنه يرى أن المرجع في ذلك هو علم مصطلح الحديث ، فكما أننا نرجع في النحو و اللغة و الطب ، إلى النحويين و اللغويين و الأطباء ، فكذلك نرجع إلى علماء الحديث المختصين في نقد المنقولات ،و هم ((من أعظم الناس صدقا و أمانة ، وخبرة فيما يذكرونه من الجرح و التعديل)) ،و إن كان بعضهم أعلم و أعدل من بعض [5] .و علم

---

[1] ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ج 3 ص : 207 ن ج 4 ص : 10 .

[2] ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج 5 ص : 261 .

[3] ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ج 3 ص : 209 ، 214 ، 216 .

[4] نفسه ج 2 ص : 133 .

[5] ابن تيمية : المصدر السابق ج 2 ص : 133 .

الإسناد و الرواية عند ابن تيمية هو طريق إلى الدراية ، خص به الله تعالى أهل السنة دون غيرهم من المبتدعة و الكفار ، الذين لا أسانيد لهم في منقولاتهم [1] .

ويرى ابن تيمية انه إذا ما تعارضت الروايات المرسلة[2] و المنقطعة[3]، مع الكتاب و السنة و الأخبار المتواترة ، ترد و لا تقبل لأن اليقين لا يزول بالشك[4] . و لابد للمنقولات من أسانيد لكي يبحث فيها ، أهي صحيحة ،أم ضعيفة ، أم موضوعة ،و بفضلها يميز الجهابذة [5]النقاد بين الصدق و الكذب ،و بين الصحيح و السقيم ،و بين المعوج و القويم .و لا يسوغ الاحتجاج بالأخبار إلا بعد قيام الدليل على ثبوتها ، وإلا فيمكن لأي إنسان أن يقول ما شاء[6] ؛و يجب أن تكون ثابتة معروفة عمن نقلت حتى تصل إلينا ، فإذا لم يكن لها كتاب متقدم ،و لا لها إسناد معروف فهي كذب ، فإذا ما صنف إنسان كتابا ذكر فيه خطبا للنبي–صلى الله عليه و سلم– و صحابته ، و لم يرويها أحد قبله بإسناد معروف ، علمنا أنها قطعا أنها مكذوبة[7] . كما أنه يجب أن يكون الكلام في الناس و انتقادهم ، بعلم و عدل ، لا بجهل و ظلم[8] .و هذا يعني ضرورة الالتزام بالموضوعية و البعد عن الذاتية ، في النقد التاريخي ، الذي يجب أن يكون الباحث فيه يتمتع بالكفاءة العلمية ،و النزاهة و الحياد .

وقد أشار ابن تيمية إلى طرق تستخدم في النقد التاريخي ، و طبقها بنفسه على بعض الأخبار ، أبان من خلالها عن مقدرة فائقة في النقد و التمحيص ، وهي–أي طرق النقد– عنده متنوعة وليست محصورة في منهج علماء الحديث[9] .و لما كان منهجهم صعبا أعرض عنه كثير من المتكلمين و النظار ، و عدلوا عن معرفة المنقولات بالإسناد و أحوال الرجال ،و سلكوا سبيلا[10] آخر [11] . لذا

---

[1] نفس المصدر ج 4 ص : 220 .

[2] الرواية المرسلة هي التي سقط منها الصحابي . محمود الطحان : تيسير مصطلح الحديث ص : 70 .

[3] الرواية المنقطعة هي التي في إسنادها انقطاع في أي مكان كان من الإسناد . نفس المصدر ص : 76 .

[4] ابن تيمية : منهاج السنة ج 3 ص : 209 .

[5] الجهبذ هو الناقد العارف بتمييز الجيد من الرديء . علي بن هادية : المرجع السابق ص : 216 .

[6] ابن تيمية : المصدر السابق ج 4 ص : 220 .و مجموع الفتاوى ج 1 ص : 3 ، 9 .

[7] ابن تيمية : منهاج السنة ج 4 ص : 24 .

[8] نفس المصدر ج 2 ص : 190 .

[9] ابن تيمية : المصدر السابق ج 4 ص : 122 ، 115 ، 116 .

[10] لم يوضحه .

[11] نفس المصدر ج 4 ص : 120 .

فعلى الذي تعذر عليه تمييز الصحيح من السقيم من جهة الإسناد ، فيمكنه تمييزها بالاحتكام إلى الكتاب و السنة و العقول ،و إلى المعلوم من المتواتر ،و إلى العادات و سنن الله في خلقه[1] .

و من الروايات المتواترة ، أن مسيلمة الكذاب أدعى النبوة ،و أن أبا بكر الصديق صلى بالناس مدة مرض الرسول-عليه الصلاة و السلام- ،و أن المعراج حدث بمكة المكرمة ؛ فإذا روي جاهل نقيض ذلك ، علم أنه مفتر و ما قاله كذب[2] .و كما أن انفراد الواحد و الاثنين بخبر يعلم أنه لو حدث بالفعل لنقله جمع غفير من الناس ، دليل على أن الخبر باطل ، لأن العادة تمنع من كتمان ما تتوافر همم الناس و دواعيهم على نقله وإشاعته[3] .و مثاله كمن يخرج من صلاة الجمعة ويخبر بحادثة كبيرة وقعت في الجامع ،كسقوط الخطيب أو قتله ،و إمساك أقوام بداخله ، ولا يخبر بهذا إلا هو . أو كالذي يدعي وجود مدينة عظيمة كبغداد و لا يسمع الناس بها[4] .

ويرى ابن تيمية أنه ((باعتبار العقل و قياسه و ضربه للأمثال يعلم كذب ما ينقل من الأمور التي مضت سنة الله بظهورها و انتشارها لو كانت موجودة .كما يعلم صدق ما مضت سنة الله في عباده ، أنهم لا يتواطؤون فيه على الكذب من الأمور المتواترة ،و المنقولات المستفيضة))ن لأن الله تعالى قد جبل جماهير الأمم على الصدق و البيان في المتواترات ، دون الكتمان و الكذب ،كما جبلها على الأكل و الشرب و اللباس ؛ و النفس تصدق إذا لم يكن لها في الكذب غرض راجح ، و تخبر بالأمور المتواترة و لا تكتمها . و المتواترات يعلم أن الناس لم يتواطؤوا على الكذب فيها ، وأنهم في الأخبار الشاذة لم يتواطؤوا على كتمانها[5]. فيتبين من هذه الطرق التي ذكرها ابن تيمية- لتحقيق الأخبار -، أنه لجأ إلى بعض السنن الطبيعية التي تتحكم في النفس و العمران البشري ، مستعينا بالعقل و قياسه و ضربه للأمثال ، ليتخذ من الكل وسيلة للنقد و التمحيص .

و قد أخضع ابن تيمية كثيرا من الأخبار التاريخية للتحقيق ، مستخدما مختلف طرق نقد الخبر التي سبق ذكرها ، فمن ذلك ما يدعيه بعض الناس من أن قوله تعالى: ((ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي))-سورة الأنعام -/ 52- و ((واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة و العشي

---

[1] نفس المصدر ج 4 ص : 120 ، 121 . و خلاف الأمة ص : 118 ، 119 .
[2] ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ج 4 ص : 117 ، 118 .
[3] نفس المصدر ج 4 ص :119 .و خلاف الأمة ص : 118 .
[4] نفس المصدر ج 4 ص : 119 .و نفسه ص : 118 .
[5] ابن تيمية : خلاف الأمة ص : 119 .

-سورة الكهف/28- نزل في الصحابة الذين أسكنهم النبي- عليه الصلاة السلام- صفة مسجده بالمدينة. وهذا عند ابن تيمية غير صحيح ، لأن الآيتين توجدان في سورتي الأنعام و الكهف ، وهما مكيتان بالاتفاق ، و الصفة وجدت في المدينة[1] .و منها حديث ((أنا مدينة العلم و علي بابها)) هذا حديث موضوع و إن رواه الترمذي ، لأن سائر طرقه لا تصح ومتنه باطل ، و يسد كل طرق العلم إلا طريق علي ، ولا يجوز- باتفاق المسلمين- أن يكون مبلغ العلم عن الرسول واحد ، بل يجب أن يكون المبلغون عنه أهل التواتر الذين يحصل بهم العلم بخبرهم للغائب ،و خبر الواحد لا يفيد العلم[2] بالقرآن و السنة المتواترة[3] . كما أن الثابت من التاريخ ينقض الدعوى من أساسها ، إذ من المعروف أن المسلمين في جميع ا لأقطار بلغهم العلم عن الرسول-عليه الصلاة و السلام- من غير علي بن أبي طالب ، وإنما بلغهم على يد صحابة آخرين ، كما في المدينة و مكة و الشام ،و البصرة ، و حتى في الكوفة التي كثر فيها علمه ، فإن أهلها تعلموا القرآن و السنة في عهد الصديق و عمر و عثمان -رضي الله عنهم- قبل أن يأتيهم علي-رضي الله عنه[4]- .

و أما ما يردده من روايات تطعن في ابي بكر الصديق و خلافته ، فهي في نظر ابن تيمية أخبار أحاد شاذة تناقض الروايات المتواترة عن عدله و استقامته ؛ لذا فهي لا تصح ، و مما يدل على بطلانها كذلك ، أن المتدبر بالعقل في خلافته ، يتبين له أن الصحابة لم يقدموه لغرض دنيوي ، لأنه ليس لهم فيه ذلك ، و كما أن قبيلته بني تميم هي من أضعف القبائل ، ليس لها القوة لتأثر في بيعته ، مما يؤكد أن الصحابة قدموه لأنه أفضل منهم ،و سيدهم ،،و أحبهم إلى الله و رسوله ، لأن الإسلام يقدم الناس بالتقوى لا بالنسب ،و الصديق كان أتقاهم[5] .و لو كان علي أحق بالخلافة و أبو بكر ظلمه و أخذها منه كما يدعي الشيعة ، فإن العقل و العادة و الشريعة توجب أن يكون الناس و الصحابة مع علي و لما بايعوا الصديق ،و لا سيما أن النفوس تنفر من مبايعة من ((ليس من بيت الولاية ، أعظم من نفرتها من أهل البيت المطاع ؛ فالدواعي لعلي من كل وجه كانت أعظم وأكثر ، لو كان أحق بها ، و هي من أبي بكر من كل وجه كانت أبعد ، لو كان ظالما))[6] . و زيادة على ما قاله ابن تيمية ، فإنه لو نص الشرع على الخلافة لعلي بعد الرسول-صلى الله عليه وسلم- لما حدث عليها خلاف ،و لما قال الأنصار منا أمير ومنكم أمير ، ولما تولاها الصديق ؛ و إنما سيتولاها على و

---

[1] ابن تيمية : منهاج السنة ج 4 ص : 115-116 .

[2] هو هنا لا ينكر إفادة خبر الواحد للعلم و العمل ، كما سبق ذكره ، و إنما هو هنا أراد أن يقول: إن خبر الواحد لا يوصل إلى العلم بالمتواترات الأساسية للدين كالقرآن ، و الصلاة ، لأن هذه من أركان الدين يجب أن تنقل بالتواتر لا بخبر الآحاد .

[3] ابن تيمية : المصدر السابق ج 4 ص : 138-139 .

[4] نفسه ج 4 ص : 139 .

[5] ابن تيمية : المصدر السابق ج 4 ص : 123 .

[6] نفس المصدر ج 4 ص : 124 .

الناس كلهم معه ، و لا يحتاج إلى المطالبة بها ،و حتى و لو افترضنا أنها أخذت منه ، فإنه لن يسكت عنها و سيطالب بها ،و جماهير المسلمين معه ، لكن كل ذلك لم يحدث ، مما يدل على أن الخلافة لم تكن لعلي –رضي الله عنه– .

و منها رواية يزعم فيها أن جماعة من الأعراب قدموا إلى المدينة المنورة ، فأرسل إليهم الرسول– عليه الصلاة و السلام– 700 مقاتل بقيادة أبي بكر الصديق ، فلما وصل إليهم قالوا له : أرجع نحن في جمع كبير فعاد من حيث أتى ، ثم بعث النبي عمر ابن الخطاب ، فقيل له ما قيل للصديق ، فرجع إلى الرسول–صلى الله عليه و سلم– الذي أرسل في الأخير عليا فقاتلهم و هزمهم ، في موقعة عرفت بغزوة السلسلة،و أنزل الله تعالى في ذلك قرآنا ، أقسم فيه بعلي في قوله : ((و العاديات ضبحا و الموريات قدحا))[1]–سورة العاديات /1–2– و هذه الرواية باطلة في نظر ابن تيمية من عدة وجوه ، أولها أنه ليس لها إسناد يحقق فيه ،و ليس لها ذكر في كتب الحديث و المغازي و السير.و ثانيا ان هذه الغزوة– أي السلسلة–ليست هي سرية ذات السلاسل التي حدثت بالقرب من الشام بقيادة عمرو بن العاص و أبي عبيدة بن الجراح .و ثالثا أنه يمتنع ((عادة وشرعا أن يكون للنبي–صلى الله عليه و سلم– غزاه تجري فيها مثل هذه الأمور ،،و لا ينقلها أحد من أهل العلم بذلك)) ،و كيف ينصح الكفار المسلمين بالرجوع مرتين بحجة أنهم في قلة و هم في كثرة ؟ و ((معلوم أن هذا خلاف عادة الكفار المحاربين)) . و رابعا إنه من الثابت في التاريخ أن أبا بكر و عمر بن الخطاب لم ينهزما قط في أية معركة خاضاها .و أنه لم يقصد أحد المدينة المنورة ، إلا في غزوتي الخندق و أحد ،و لم يقربها أحد من العدو للقتال إلا في هاتين الغزوتين[2] .

و أقول : فهل يعقل أن ينصح الكفار المسلمين بالرجوع و هم أحرص الناس على قتلهم ، و جاؤوا إلى المدينة لقتلهم ؟ ! و كيف يفوتون الفرصة على أنفسهم لقتل المسلمين و فيهم الصديق و عمر ، ثم ينتظرون جيشا آخر فيه علي، ربما ينتصر عليهم ؟ ! و واضح من هذه الرواية أنها مسرحية مكشوفة مختلقة ، لم يتقن مخرجها أدوارها ، لأن همه الوحيد منها هو الوصول إلى القول بأن الله– عز و جل– أنزل قرآنا في علي و أقسم به لشجاعته و فضله ،و لم يكن همه الخبر في ذاته ، من حيث معقوليته ، و اتفاقه مع الثابت من التاريخ .

---

[1] نفس المصدر ج 4 ص : 173 .

[2] ابن تيمية : المصدر السابق ج 4 ص : 174 .

ومنها خبر[1] مفاده أنه لما نزل قوله تعالى : ((وانذر عشيرتك الأقربين))-سورة الشعراء/ 214 -فجمع النبي -صلى الله عليه وسلم- بني عبد المطلب فكانوا أربعين رجلا و امرأتين ، فقدم لهم طعاما و أبلغهم الدعوة ثم أخبرهم أن علي بن ابي طالب هو وصيه، و وزيره ،و وارثه ،و خليفته من بعهده[2] . وهذه الرواية عند ابن تيمية مكذوبة ، لأنها ليست مذكورة في الصحاح ،و لا في المسانيد و السنن و المغازي . كما أن في إسنادها المتروك و الكذاب و الضعيف كعبد الله بن عبد القدوس ،و أبي مريم بن عبد الغفار الكوفي .و لأن علم الأنساب و الإحصاء يبطلانها ، فبني عبد المطلب عندما نزلت تلك الآية لم يبلغوا أربعين رجلا ، وقد أحصاهم ابن تيمية-صغارا و كبارا- فلم يصل مجموعهم عشرين نفسا ، فأين الأربعون رجلا[3] ؟ ! و هذه خطوة بارعة-من ابن تيمية- في النقد التاريخي ، تستحق الإعجاب و التنويه ، بلجوئه إلى علمي الأنساب و الإحصاء ، لتمحيص رواية مزعومة ، اثبت تهافتها بالأرقام .

و أما فيما يخص ما روي عن مقتل الحسين بن علي-رضي الله عنهما-من أنه يوم مقتله أمطرت السماء دما ،و ما رفع حجر في الدنيا إلا وجد تحته دم .و ظهرت في السماء حمرة ثم اختفت بعد ذلك كلية[4] . فيرى ابن تيمية أن هذه أخبار غير صحيحة ، و أنكر كون السماء أمطرت دما ، لأن هذا الأمر لم يقع في قتل أحد ، فكيف يقع له فقط ؟ كما أن الادعاء بظهور الحمرة في السماء و اختفائها نهائيا فهو من الترهات[5] ؛ لأن الحمرة ما تزال و لم تختف نهائيا ، و سبب طبيعي من جهة الشمس فهي بمنزلة الشفق[6] .و القول بأنه ما رفع حجر في الدنيا إلا و وجد تحته دم فهو أيضا كذب بين[7] . و ابن تيمية في نقده لهذه الأخبار عن مقتل الحسين ، قد احتكم إلى العادة ،و السنن التي تسير عليها الظواهر الطبيعية .

و بالنسبة للرواية التي تقول أنه لما عرج بالنبي-عليه الصلاة و السلام-إلى السماء وكذبه معظم قومه انقض نجم-و قيل كوكب-على مكة ، فقال الرسول : ((انظروا في دار من وقع فهو خليفتي من

---

[1] يلاحظ أن معظم الروايات التي ذكرناه لها علاقة بالشيعة ، و السبب في ذلك هو أن ابن تيمية مارس النقد التاريخي في صدد رده على الشيعة في كتابه منهاج السنة .

[2] نفس المصدر ج 4 ص : 80 .

[3] نفسه ج 4 ص : 80 .

[4] ابن تيمية الباطل،ر السابق ج 2 ص : 249-250 .

[5] الترهة هي الباطل ،و أصلها فارسي معرب . محمد بن أبي بكر الرازي : المصدر السابق ص : 57 .

[6] الشفق هو حمرة تظهر في الأفق وقت غروب الشمس . علي بن هادية : المرجع السابق ص : 527 .

[7] ابن تيمية : المصدر السابق ج 2 ص : 249-250 .

بعدي)) فوجدوه في دار علي بن أبي طالب ، فأنزل الله سورة النجم . فإن ابن تيمية-زيادة على ما ذكره ابن الجوزي- أشار إلى أنه لا واحد من المفسرين قال: إن سورة النجم نزلت بسبب انقضاض نجم على دار أحد بمكة . كما أن التاريخ الثابت المعروف لم يحدثنا قط عن كوكب سقط على مكة ، و لا على المدينة ،و غيرهما من المدن . و سقوط كوكب على الأرض ليس هو من جنس الخوارق المعروفة .و لا يروي هذا الخبر إلا أوقح الناس و اجرأهم على الكذب و أقلهم حياء ،و لا ((يروج إل علة من هو أجهل الناس وأقلهم معرفة و علما))[1] .

و نقد الشيخ تقي الدين ابن تيمية طائفة من الروايات ، و لم يقبلها محتكما في رده لها إلى الثابت من التاريخ . منها خبر يقول: إن الرسول -عليه الصلاة و السلام- دعا لعلي بن أبي طالب بقوله : ((اللهم أخذل من خذله و انصر من نصره)) فيرى أن مما يبين بطلانه أن الذين قاتلوا عليا لم يخذلوا ،و كان النصر في النهاية حليفهم ؛و أن الذين كانوا معه خذلوا و لم ينصروا[2] . و منها رواية تدعي أن قبر علي بن أبي طالب يوجد بمدينة النجف[3] .لكن ابن تيمية أكد أن المعروف من التاريخ أن عليا دفن بقصر الإمارة بالكوفة ،و عمي قبره لكي لا تنبشه الخوارج ؛و بعد أكثر من 300 سنة قيل أن قبره بالنجف ، مكان فبر الصحابي المغيرة بن شعبة[4](ت50 هـ/670م).و مما يدعم قوله أن المؤرخ ابن كثير ذكر أن غالبية المؤرخين قالوا:إن قبر الإمام علي يوجد بدار الإمارة بالكوفة ،منهم : محمد بن عمر الواقدي(ت207هـ/822م) ،و ابن جرير الطبري(ت310 هـ/922م)، وأبو بكر الخطيب البغدادي(ت 463 هـ/1070م) .و أما الإدعاء بأن قبره بالنجف ، فلا دليل عليه و لا أصل له[5] .

ومنها القول بأن قبر الحسين بن علي-رضي الله عنهما- يوجد بالقاهرة ، وهذا-عند ابن تيمية- كذب باتفاق أهل العلم ، لأن الحسين قتل بكربلاء في العراق ، فدفن جسده في مكان مقتله ،و أخذ رأسه إلى الكوفة حيث ألأمير عبد اللع بن زياد(ت67 هـ/686م) ،و لم يحمل إلى الشام كما روى

---

[1] نفس المصدر ج 4 ص : 19 .

[2] نفس المصدر ج 4 ص : 17 .

[3] تقع إلى الجنوب من الكوفة ، و المدينتان تقعان إلى الجنوب الغربي من بغداد . أطلس العالم الصحيح ص : 56 . عبد المنعم ماجد : الأطلس التاريخي ، الخريطة رقم : 8 .

[4] ابن تيمية : المصدر السابق ج4 ص : 12 .و التفسير الكبير ج 7 ص : 559 .و بدر الدين الحنبلي : المصدر السابق ص : 208-207 .

[5] ابن كثير : المصدر السابق ج 7 ص : 330-331 .

بعض الناس ،و إنما أخذ إلى المدينة ودفن بها وهذا هو الراجح و الأقرب .و أما الذي حمل إلى القاهرة فهو رأس قيل إنه لراهب جيء به من عسقلان بفلسطين ، في أواخر الدولة الفاطمية[1] .

ومنها قبور مكذوبة يزورها الناس بدمشق ، كقبر زوجة النبي(ص) أم سلمة بنت أبي أمية(ت62 هـ/681م) ،و قبر الصحابي أبي بن كعب(ت19 هـ/640م)،و قبر التابعي أويس بن عامر القرني)ت37 هـ/657م) ،و هؤلاء الثلاثة لم يقدما إلى دمشق فكيف يقال أنهم دفنوا فيها[2] ؟ ! ثم أشار ابن تيمية إلى أن أكثر المشاهد[3] التي على وجه الأرض مكذوبة ،و قد قال غير واحد من العلماء أنه لا يثبت من قبور الأنبياء إلا قبر نبينا محمد–عليه الصلاة و السلام[4]– .

و يتبين مما ذكرناه عن النقد التاريخي عند الشيخ تقي الدي ابن تيمية ، أنه استخدم طرقا متعددة في نقد الروايات التاريخية و تمحيصها ، مطبقا عليها طريقته و منهج أهل الحديث ، فنقد أسانيدها و احتكم في تحقيق متونها إلى الشرع و العقل و العادة ، و إلى علمي الأنساب و الإحصاء ،و إلى سنن المجتمع و الطبيعة ،و إلى المتواتر من التاريخ و الثابت منه، زمانا و مكانا .

لكنني لا أوافقه عندما أشار إلى أن منهج المحدثين في نقد الخبر يقوم على الإسناد جرحا وتعديلا ، و لم يشر إلى طريقتهم في نقد المتن ؛ ثم ذكر أنه يوجد طريق آخر يعتمد عليه في نقد المتن ، بكيفية توحي بأن هذا الطريق جديد علي المحدثين . وهذا غير صحيح ، فهم و إن ركزوا على نقد الإسناد ، فإنهم لم يهملوا نقد المتن ، و الأدلة على ذلك كثيرة جدا . أولها أن من شروطهم في صحة الحديث خلو متنه من الشذوذ و العلة القادحة فيه[5] .و الثاني أن القرآن الكريمٌ د أصل منهج النقد التاريخي في قوله تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا))–سورة الحجرات/6 – فالآية قد جرحت الراوي و لم تعدله ، و وصفته بأنه فاسق ، ثم دعت إلى التثبت من الخبر ((فتبينوا)) دون تحديد للوسائل لتبقى مطلقة يستخدم فيها الإنسان كل ما يساعده على التأكد من صحة الخبر .و في قوله تعالى : ((يا أهل الكتاب لما تحاجون في إبراهيم و ما أنزلت التوراة و الإنجيل إلا من بعده ، أفلا تعقلون . هاأنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم ، فلما تحاجون فيما ليس لكم به علم ،و الله يعلم و أنتم لا تعلمون))–سورة آل عمران/46-66– إشارة إلى دعوى

[1] ابن تيمية : اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، الجزائر ، الدار الملكية للإعلام ، 1994 ، ص : 286 .و التفسير الكبير ج 7 ص : 558 . و بدر الدين الحنبلي : المصدر السابق ص : 210 .

[2] ابن تيمية : اقتضاء الصراط المستقيم ص : 286 .و منهاج السنة ج 4 ص : 12 .

[3] عنها انظر المبحث الرابع من الفصل الثاني .

[4] نفسه ص : 288 .

[5] محمود الطحان : أصول التخريج و دراسة الأسانيد ص : 189 .

هؤلاء الباطلة ، و فيه رد دامغ عليهم ، بالاحتكام إلى التاريخ من حيث الزمن ، فكيف يكون إبراهيم يهوديا أو نصرانيا ، ولم تنزل التوراة و الإنجيل إلا من بعده بزمن طويل ؟ ! ثم نبههم إلى ضرورة استخدام عقولهم ،و عدم الخوض فيما ليس لهم به علم . فهذه الآيات أرشدتنا إلى طريقة للنقد التاريخي بالاعتماد على المتن ؛ و لا اعتقد أن علماء الحديث قد غفلوا عنها ، وابن تيمية نفسه قد سار على منوالها في نقده لبعض الأخبار .

و الثالث هو أنه عندما ادعى اليهود ببغداد (في سنة447 هـ/1055م) أن معهم كتابا من الرسول–صلى الله عليه وسلم–فيه أمر بإسقاط الجزية عن يهود خيبر ، بشهادة بعض الصحابة ؛ ثم حملوه إلى الوزير العباسي أبي القاسم علي(ت463 هـ/1070م، سلمه هو بدوره إلى الحافظ أبي بكر الخطيب البغدادي(ت 463 هـ/1070م) فتأمله و قال : هذا مزور ، لأن فيه شهادة معاوية ابن أبي سفيان(ت60 هـ/679م) و هو لم يسلم إلا في عام الفتح (8هـ/629م) ، وفتح خيبر كان في سنة 7 هـ/628م .و فيه شهادة سعد بن معاذ ، وهو قد مات يوم بني قريضة قبل فتح خيبر بعامين ، فكشف بذلك تزوير اليهود للكتاب و فضحهم أمام الوزير[1] . فبنقده للمتن و اعتماده على المؤكد من التاريخ –حسب التسلسل الزمني– تمكن الخطيب من كشف تزوير اليهود للكتاب.

و الدليل الرابع هو أن الوزير ابن هبيرة (ت560 هـ/1164م)كان قد قرأ الحديث بالروايات على المحدث مسعود بن الحسين الحنبلي البغدادي (ت664 هـ/1168م) مدعيا أنه قرأها على المحدث ابن سوار البغدادي(ت496 هـ/1102م)، فأسند الوزير القراءات عنه عن ابن سوار في كتابه الإفصاح .و في أحد مجالس قراءة هذا الكتاب توجه القارئ إلى الوزير و قال له: وأما رواية عاصم[2] فإنك قرأت بها على مسعود بن الحسين–و كان حاضرا– فقال مسعود : قرأت بها على ابن سوار . فقام المقرئ علي بن عساكر البطائحي الضرير(ت572 هـ/1176م) و قال بصوت مرتفع : هذا كذب ،و خرج ؛ فبلغ خبره الوزير و فطلبه و أحضر مسعود بن الحسين ،و حاققه و تبين له كذبه ، لأنه لم يدخل إلى بغداد إلا في سنة 506 هـ/1112م) ،و ابن سوار كان قد توفي في سنة 496 هـ/1102م . ثم أحضر البطائحي نسخة من كتاب المستنير بخط مؤلفه ابن سوار ،و قابله مع الخط الذي عند مسعود فبان الفرق بينهما ؛ وتبين أن الخط الذي معه ليس لابن سوار ،و إنما هو مزور

[1] السخاوي : الإعلان بالتوبيخ ص : 25 .

[2] لم أجده .

بخط الكاتب أبي رويح[1] الذي يشبه خط ابن سوار[2] . فهذا التزوير تم اكتشافه بالاحتكام إلى الثابت من التاريخ من حيث التسلسل الزمني ، وإلى التحقق من الخط .

و الخامس هو أن الصوفي أبا عبد الله بنأبي الخير الهمذاني(ت626 هـ/1228م) أدعى أنه عندما دخل اليمن حضر عند المسند أبي الوقت بن عيسى السجزي ثم الهروي(ت 553 هـ/1158م) ،و سمع منه شيئا من صحيح البخاري و أجاز له . و عندما سئل عن مولده قال: أنه كان مترعرا في سنة 569هـ/1173م -أي قرب سن البلوغ- و هذا يعني أنه ولد ما بين سنتي :551-554هـ /1156-1159م ، فتبين للمحدثين كذبه ، لأن سنه لا يسمح له بالسماع و لا بالإجازة ، من أبي الوقت المتوفى في عام 553هـ-1158م[3] .

و الدليل الخامس هو أنه توجد روايات يصعب كشفها عن طريق الإسناد ، لأن أسانيدها صحيحة و متونها باطلة ، لحدوث غلط، أو نسيان ، أو تعمد في التزوير . فمن ذلك أن الإمام مسلم روى في صحيحه أن الله خلق الكون في سبعة أيام ،و هذا حديث إسناده صحيح، لكن علماء الحديث ردوه ، لأن متنه يتناقض مع القرآن الكريم الذي نص على أن الكون خلق قي ستتة أيام ، في قوله تعالى: ((إن ربكم الله الذي خلق السموات و الأرض في ستة أيام))-سورة الأعراف/54- ،و قد بين الإمام البخاري -وغيره من العلماء- أن الصحابي أبا هريرة -الذي روي الخبر- غلط فيه و رفعه إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وإنما هو قول كعب الأحبار اليهودي ثم المسلم[4](ت35 هـ/650م) . أن المحدث إبراهيم بن الفضل النيار الأصفهاني(ت530 هـ/1135م) كان يضع الأحاديث الباطلة ،و يرويها بأسانيد صحاح[5] . ففي هذه الحالات ينصب النقد على المتن أولا ، ثم البحث عن الراوي الغالط ، أو الكذاب ، إن أمكن ذلك .

و أذكّر هنا بأنه قد سبق وأن أوردنا لابن الجوزي روايات نقدها ،و أظهر زيفها بنقد المتن على المتن معتمدا على العقل ، و الثابت من التاريخ ،و طبائع الأشياء ، مما يثبت أنه قد سبق ابن تيمية في اعتماده على تلك الطرق ؛ وأن المحدثين لم يكتفوا بنقد الإسناد دون المتن ، وإنما جمعوا بينهما .و ما فعله ابن تيمية هو ليس اكتشافا لمنهج نقدي جديد ،و إنما هو توسيع لمجال نقد المتن عند

---

[1] لم أجده .

[2] الذهبي : معرفة القراء الكبار ج 2 ص : 430-431 . ابن رجب : ج1 ص : 336-337 .

[3] الفاسي : العقد الثامين ج 1 ص : 224 –225 .

[4] ابن قيم الجوزية : النار المنيف ص : 72 .

[5] الذهبي : تاريخ الإسلام ج : 521-540 هـ/ ص : 225 .

المحدثين وتطبيق له ، بتركيزه على الاحتكام إلى : العقل و العادة ،و الإحصاء و علم الأنساب ،و سنن الطبيعة و المجتمع . الأمر الذي مكنه من إحداث ثورة في نقد متون الأخبار عند المحدثين و المؤرخين على حد سواء .

و مما له علاقة بالتحقيق التاريخ عند ابن تيمية ،و لم يوفق فيه روايتان ، الأولى أنه ذكر أن الخوض في مسألة الحرف و الصوت ، نفيا و إثباتا كلاهما بدعة ، حدثت بعد المائة الثالثة للهجرة[1] .و هذا ليس بصحيح -لعله سهو منه- لأن المسألة كانت معروفة، و خاض فيها الناس في القرن الثالث الهجري/9م . و قد سأل عهنا عبد الله أباه أحمد بن حنبل(ت 341 هـ/855م) ، وقال له إن أقواما ينكرون تكلم الله بصوت[2].

و الثانية نقل فيها خبرا عن الحافظ ابن عساكر الدمشقي(ت571 هـ/1175م) ،و وافقه عليه ، مفاده أن الحنابلة و الأشاعرة كانوا متفقين ، فلما حدثت بينهما فتنة أبي نصر بن القشيري[3](ت514 هـ/1120م) ببغداد في سنة 469هـ/1076م ، تفرقت كلمتهم[4] . و هذا قول غير صحيح ، لأن الخلاف بين الطائفتين يعود إلى أيام أبي الحسن الأشعري (ت324 هـ/935م) ، عندما رفضته طائفة من الحنابلة ،و حاولت قتله[5] . وعندما أظهر متقدمو الأشعرية ما لا يتفق مع فكر الحنابلة وأهل الحديث ببغداد منعوا من ذلك ، و تعرضوا للمضايقات و المطاردات ، فاضطروا إلى التستر بالحنبلية و الانتساب إليها في القرن الرابع الهجري[6]/10م . ثم ظهر النزاع بينهما علانية في القرن الخامس الهجري/11م، و تدخل الخليفة القائم بأمر الله (422-467هـ/1030-1074م) للصلح بينهما في سنتي: 432هـ/1040م ،و 445هـ/1053م [7] . لكن ذلك لم يجد نفعا فقد حدثت بينهما مواجهات انتهت إلى الاقتتال ،و منع الأشاعرة من حضور الصلوات بمساجد بغداد في سنة 447هـ/1055م[8] . ثم جرى بينهما خصام داخل جامع المنصور في عام 461هـ/1068م [9] . و

---

[1] ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج 3 ص : 172 , ج 5 ص : 265 .

[2] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 24 .

[3] لمعرفة تفاصيلها انظر لكاتب هذه السطور : الحركة الحنبلية و أثرها في بغداد ص : 151 و ما بعدها .

[4] ابن تيمية : المصدر السابق ج 3 ص : 228-229 ، ج 6 ص : 23 .و نقض المنطق ص : 66 .

[5] ابن الجوزي : المنتظم ج 6 ص : 332 .

[6] أبو الحسين بن أبي يعلى : المصدر السابق ج 2 ص : 239 . و ابن تيمية : نقض المنطق ص : 14 .

[7] أبو الحسين بن أبي يعلى : نفس المصدر ج 2 ص : 197 ، 198 .

[8] ابن الجوزي : المصدر السابق ج 8 ص : 163 .و ابن كثير : المصدر السابق ج 12 ص : 66 .

[9] George makdisi Autograph Diary Vol . 19 1975 P 15

في سنة 469هـ/1076م وقعت فتنة ابن القشيري ، قتل فيها نحو عشرين شخصا من الطرفين[1]. فهذه الفتنة هي استمرار للنزاع القديم بين الطائفتين ،و ليست هي السبب في تفرقهما ، لكنها عمقت الشقاق و زادت في التعصب و الأحقاد .

وأشير هنا إلى أن للفقيه ابن قيم الجوزية الدمشقي الحنبلي (ت751هـ/1350م) كتاب عنوانه : المنار المنيف في الصحيح و الضعيف ، خصصه لنقد الأحاديث النبوية من جهة المتن دون الإسناد ،و وضع لها ضوابط و قواعد لتحقيق متونها و تمحيصها ،و طبقها بنفسه على عشرات الروايات الحديثية . منها -أي القواعد- مناقضة الحديث للقرآن و السنة الصحيحة ، و تكذيب الحس و التجربة للخبر ، و ركاكة ألفاظ الحديث و سماجتها[2] ، و وجود قرائن في المتن و من التاريخ تبطل الخبر[3] . و من الأحاديث التي نقدها ،و بين كذبها ، حديث ((أكذب الناس الصباغون و الصواغون)) فيرى ابن القيم أن الحس و التجربة يثبتان أن الكذب في غير هؤلاء كثير جدا ، و أن أكذب خلق الله هم : الكهان و الرافضة ،و الطرقية و المنجمون[4] .و منها رواية تقول أن: ((الشمس ردت لعلي بن أبي طالب بعدما فاتته صلاة العصر و الناس يشاهدونها)) و هذا خبر مكذوب -عند ابن القيم- فكيف يحدث كل ذلك و لا يشتهر بين الناس ، و لا يرويه إلا امرأة تعرف ببنت عميس[5] ؟ و الكتاب قيم في بابه ، اظهر فيه مؤلفه براعة في نقد متون الأخبار المنسوبة للرسول (ص) و قواعده التي ذكرها يمكن استخدام الكثير منها في نقد الروايات التاريخية .

و يستنتج مما ذكرناه عن النقد التاريخي عند علماء الحنابلة أن أكثرهم نقدا للأخبار هم ثلاثة : ابن الجوزي ،و ابن تيمية ، و ابن قيم الجوزية . مارسوه إسنادا و متنا ، و توسعوا في تحقيق المتون و تمحيصها ،و وضعوا لها ضوابط و قواعد لنقدها . منها : الاحتكام إلى الشرع و العقل ، و العادات و سنن الكون و المجتمع ،و الرجوع إلى الحس و التجربة، و المتواتر من التاريخ . فهم بذلك قد سبقوا المؤرخ ابن خلدون(ت808 هـ/1405م) ،- تقعيدا و ممارسة-في وضعه لقواعد نقد متن الخبر ،و تفوقوا عليه في الجمع بين نقد الإسناد و المتن معا .و هو و إن أجاد في ذكر قواعد تحقيق المتون،

---

[1] انظر : ابن الجوزي : المصدر السابق ج 8 ص :305 . و ابن عساكر : تبيين كذب المفتري ص : 311 .و السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ج 4 ص : 234 .و ابن رجب ك المصدر السابق ج 1 ص : 25 .
[2] السماجة هي القبح . محمد بن أبي بكر الرازي : المصدر السابق ص : 205 .
[3] انظر المنار المنيف ص : 45 ، 49 ، 65 ، 66 ، 68 ، 79 ، 81 .
[4] نفسه ص : 45 .
[5] نفس المصدر ص : 50 .

كتحكيم أصول العادة ،و طبائع العمران[1] ، فإنه ازدرى بمنهج أهل الحديث، و حصره في الجرح و التعديل ،و جعله خاصا بالأخبار الشرعية[2] ، و اغفل دورهم في نقد متون الروايات . ثم قرر أنه يجب النظر أولا في طبيعة الأخبار من حيث إمكان وقوعها ، فإذا كانت مستحيلة فلا فائدة من النظر في الجرح و التعديل ؛ و النظر في إمكانها أهم من التعديل و مقدما عليه[3] .

وأقول–تعقيبا عليه– : إن الخبر المستحيل لا خلاف في أنه من العبث نقد إسناده للتأكد من استحالته ؛ لكن نقد إسناده يفيد في معرفة واضعه و الكشف عن خلفياته المذهبية . مع العلم أنه ليس كل حادث ممكن الوقوع هو بالضرورة أنه حدث في التاريخ . فكم من أخبار مكذوبة نجدها في كتب التواريخ ، وهي ممكنة الحدوث من الناحية العقلية ، لكن يصعب أو يستحيل كشف زيفها من خلال متونها ، إلا بنقد أسانيدها . و أعتقد شخصيا أن منهج المحدثين الجامع بين نقد الإسناد و المتن يمكن تطبيقه على مختلف الروايات التاريخية ، مع تعديله في بعض جوانبه ،و هو ليس مقتصرا على الحديث النبوي على ما قاله ابن خلدون .

كما أنه ليس من الصواب القول بتقديم نقد المتن عن الإسناد مطلقا ، أو العكس ؛ وإنما الصواب هو أن يقال: إن طبيعة الخبر هي التي تفرض على المحقق أيركز على المتن، أم على الإسناد ، أم عليهما معا ؛ لأنه قد تعترضنا أخبار ممكنة الحدوث ، وظاهرها صحيح ،لكن دراسة أسانيدها تبين كذبها . و قد تصادفنا روايات أسانيدها صحيحة و متونها باطلة .و قد نجد أخبارا ظاهر أسانيدها و متونها صحيح ، لكن نقدها يثبت بطلانها إسنادا و متنا على حد سواء.

و أشير هنا إلى أن قواعد نقد المتن التي استخدمها ابن الجوزي ، و ابن تيمية ، و ابن قيم الجوزية ، تكاد تكون هي نفسها ضوابط ابن خلدون ؛ ولا أدري هل اطلع على ما كتبه هؤلاء و تأثر بهم ، أم أنه مجرد اتفاق في البحث و التفكير ؟ مع العلم أن تمكن هؤلاء من علم الحديث و تضلعهم فيه ، هو الذي أكسبهم معرفة واسعة بالروايات ،و أعطاهم مقدرة على النقد و التمحيص في التاريخ و غيره من العلوم.

المبحث الثاني : في نقد علم الكلام و الفلسفة

[1] ابن خلدون : المقدمة ص : 8 ، 22 ، 27 .

[2] نفس المصدر ص : 29 .

[3] ابن خلدون : المصدر السابق ص : 29 .

يعد علماء الحنابلة من أكثر علماء أهل السنة ذما لعلم الكلام[1] و الفلسفة[2] ، لانحرافهما عن الشرع في مسائل عديدة ،و لآثارهما السيئة على معظم المشتغلين بهما[3] . غير أن ذلك لم يمنع طائفة منهم من دراستهما و التضلع فيهما . و مع ذلك فإن تراثهم العلمي في نقد هذين العلمين قليل جدا ،كثيرا ما طغى عليه الذم و الانتقاد ، لا النقد[4] الموضوعي .

أولا: في نقد علم الكلام و أهله

اشتهر من بين علماء الحنابلة الذين نقدوا علم الكلام و أهله-خلال القرنين:6-7هـ/12-13م- أربعة ، أولهم المتكلم أبو الوفاء بن عقيل البغدادي(ت513 هـ/1119م) ، أعاب على المتكلمين أنهم لم يقنعوا بما جاءت به الشريعة ،و أقحموا عقولهم فيما لا تدركه ، فأنتهي الأمر بأعيانهم إلى الشكوك ، وأخرج كثيرا منهم إلى الإلحاد ، الذي يشتم من فلتات ألسنتهم .و هم يتظاهرون بما ليس لهم ، و بما لم يحصل عندهم ، كمن يدعي الصحة بتجلده و هو سقيم ،و يتغانى على الفقراء و هو عديم[5] .

و بين انحرافهم المنهجي في أنهم اخترعوا أدلة بعقولهم ، و نظروا بها في الشرع بما يخالف مفاهيمه الصريحة ؛ بمقتضى ما يزعمون أن ذلك يجب في العقل ،و هو خروج عن الشريعة و إفساد للعقول بتوهماتهم و شبهاتهم . لذا على المؤمنين أن يحذروا من أن يقرع كلام هؤلاء أبكار قلوبهم[6] .و خص متكلمي الأشعرية برد عنيف في موقفهم من صفة الكلام ، فهم قالوا بالمجاز لإبطال حقائق القرآن ، فمن ذلك أنهم عندما نفوا تكليم الله لموسى-عليه السلام- قالوا : ((إنما اضطره إلى معرفة المعنى القائم بالنفس ، من غير أن يسمع صوتا ، أو يفهم حرفا))[7] .و كلامه سبحانه و تعالى عندهم قائم بنفسه غير ظاهر لإحساس الخلق ؛و أما القرآن الذي نتلوه و نحفظه فهو حكاية و عبارة عنه ،و

---

[1] سبق ذكر مواقفهم من علم الكلام في الفصل الثالث .

[2] أي الفلسفة اليونانية التي كانت سائدة في العصر الإسلامي ، كانت تتكون من أربعة أقسام رئيسية هي : الهندسة و الحساب ،و المنطق ، و الإلهيات ،و الطبيعيات . أبو حامد الغزالي : المنقذ من الضلال ص : 23 .و إحياء علوم الدين ج 1 ص : 38 .

[3] سيأتي ذكر ذلك فيما يأتي من هذا المبحث .

[4] الفرق بينهما هو أن النقد يقصد به ذكر العيوب فقط .و النقد هو ذكر السلبيات و الايجابيات على حد سواء .

[5] ابن تيمية : درء تعارض العقل و النقل ج 4 ص : 128 .

[6] نفس المصدر ج 4 ص : 134 ، 135 .

[7] ابن عقيل : الرد على الأشاعرة ص : 85 .

كلامه تعالى واحد ، فهو لا يتعدد و ليس بكلمات و لا حروف و لا أصوات[1] . ثم توسع في مناقشتهم و الاحتجاج عليهم، بأدلة كثيرة من القرآن و السنة و أقوال السلف[2] .

و الثاني هو المؤرخ عبد الرحمن بن الجوزي(ت 597 هـ/1200م) ، حذر من مصاحبة المتكلمين ،و أوجب منع مصاحبة الصبيان لهم لئلا يثبت شيء من فكرهم في قلوبهم[3] . و كان كثير الانتقاد للمتكلم صدقة بن الحسين البغدادي الحنبلي(ت 573 هـ/1177م) ،و ذكر عنه أشياء عن سوء عقيدته ، منها ظهور –على فلتات لسانه– ما يرمز إلى إنكار بعث الأجساد ،و الميل إلى مذهب الفلاسفة ،و الاعتراض على القدر [4].و حكى ابن الجوزي عن نفسه أنه كان يتأمل صدقة ابن الحسين و هو بجانبه ، فلم يكن يرى شفتيه تتحركان أصلا[5]. وهذا أمر غريب جدا من ابن الجوزي و لا يليق به ، فليس من الضروري أن تتحرك شفتا المصلي ، و كيف نظر إليهما و هو يصلي بجانبه ؟ و المطلوب منه شرعا أن يهتم بصلاته و يخشع فيها ، لا مراقبة شفتي من بجانبه أتتحركان أم لا ؟ .

و انتقد ابن الجوزي ثلاثة من متكلمي الحنابلة ،و اتهمهم بالتشبيه ،و شهر بهم في كتابه : دفع شبهة التشبيه ،و هم : عبد الله بن حامد البغدادي (ت 403 هـ/1012م) ، و القاضي أبو يعلى الفراء (ت 458هـ/1065م) ،و أبو الحسن الزاغوني البغدادي (ت527هـ/1132م) ، قال عنهم أنهم صنفوا كتبا شانوا بها المذهب الحنبلي ،،و نزلوا إلى رتبة العوام ،و حملوا الصفات الإلهية على مقتضى الحس[6]. فتصدى له ابن تيمية للرد عليه ، فوصف كلام ابن الجوزي الذي احتج به على هؤلاء ، بأنه كلام لا حجة فيه و لا دليل ، و لا يستحق أن يخاطب به أهل العلم ، لأن الرد بمجرد الشتم و التهويل لا يعجز عنه أحد ، فعلى المناظر أن يبين الحق الذي معه ،و الباطل الذي عند غيره [7] .و الذين رد عليهم ابن الجوزي هم عند جميع الناس –على رأي ابن تيمية– أعلم منه في الأصول و الفروع ، و هو لم يأت بحجة عقلية و لا نقلية ، وإنما قلد طائفة من المتكلمين فيما زعمته أنه حجة عقلية .و الذي يرد على الناس بالعقول دون دليل عقلي فقد أحالهم على مجهولات[8] . ثم انتقده في قوله

---

[1] نفس المصدر ص : 88 ، 93 .

[2] انظر : نفس المصدر ص : 86 .

[3] ابن مفلح : الآداب الشرعية ج 3 ص : 586 .

[4] ابن الجوزي : المصدر السابق ج 10 ص : 276 .

[5] نفس المصدر ج 10 ص : 277 .

[6] ابن الجوزي : دفع شبهة التشبيه ، حققه محمد زاهد الكوثري ، القاهرة المكتبة الأزهرية للتراث ، 1998 ، ص : 6 .

[7] ابن تيمية : نقض المنطق ص : 135 ، 152 ، 154 .

[8] نفسه ص : 152 .

عـن الـذين اتهمهـم بالتشـبيه بـأنهم : ((يكـابرون العقـول)) ، مبينـا أن هـذا اتهـام باطـل لأن حتـى المجسـمة المحضـة الغالية في التجسيم ، لـم يـرد عليهم خصـومهم مـن الحجـج العقلية ، إلا بحجـج تحتاج إلى نظر و استدلال لإثباتها ، و لم يقولوا لهم كابرتم العقول . و حتى الذين انتصر بهم[1] لبن الجوزي لم يزعموا أن قول معارضيهم مكابرة للعقول ، بل إنهم ((يزعمون أن العلم بفساد قولهم ، إنما يعلم بـالنظر و الاستدلال . . . و لا يزعمـون أن العلـم بفسـاد المثبتـة معلـوم بالضـرورة ، و لا أن قـولهم مكـابرة للعقـول ، و إن شـنعوا علـيهم بأشـياء ينفـر عنهـا كثـير مـن النـاس ليسـتعينوا بنفـرة النـافرين علـى دفعهـم ، و إخمـاد قـولهم . لا لأن نفـور النـافرين عـنهم يـدل علـى حـق و باطـل ،و لا لأن قـولهم مكـابرة للعقل ، أو معلوم بضرورة العقل أو ببديهيته فساده)) [2] .

و رد عليه كذلك في قوله عنهم : ((كأنهم يخاطبون الأطفال)) ، مبينا أن الحنابلة لم يخاطبوا غيرهم إلا بما ورد عن الله و رسوله ، وعن الصحابة و التابعين لهم بإحسان ، الذين هم أعرف بالله و أحكامـه مـن غيـرهم[3] . فهـو هنـا قـد أعـاب علـى ابـن الجـوزي اتباعـه أسـلوب التهويـل و التشـهير فـي اتهاماته لابن حامد،و القاضي أبي يعلى ، و أبي الحسن الزاغوني ، بالتشبيه منتصرا للمذهب الأشعري في مسألة الصفات . دون أن يقدم بين يديه دليلا نقليا و لا عقليا على ما يراه ابن تيمية .

و الثالـث هـو الفقيـه الموفـق بـن قدامـة المقدسـي(ت 620 هـ/1223م) يعـد مـن أكثـر علمـاء الحنابلة انتقادا و ذما للمتكلمين ، فقد ضللهم ، و زندقهم ،و أخرجهم من زمرة العلماء[4] .و خص الأشاعرة منهم بالنقد اللاذع ، في موقفهم من مسألة كلام الله ، و رد عليهم –في ذلك– في كتابيه : البرهان في بيان القرآن ، و مناظرة في القرآن الكريم[5] . فذكر أنهم يقولون أن السور و الآيات التي في المصحف ليست بقرآن /و إنما هي عبارة و حكاية عنه ،و هي مخلوقة .و القرآن هو معنى في نفس البارئ لا يتجزأ و لا يتبعض ، و لا ينزل لا يتلى ، ولا يسمع و لا يكتب ، ولا يوجد في المصاحف إلا الورق و المداد[6] .

---

[1] هم الأشاعرة في أغلب الظن .

[2] نفس المصدر ص : 154 .

[3] نفسه ص : 154 .

[4] ابن قدامة : تحريم النظر ص : 10 ، 50 ، 54 .

[5] سيأتي الكلام عنهما في الفصل الخامس .

[6] ابن قدامة : مناظرة في القرآن ص : 32 .و البرهان في بيان القرآن ص : 226 .

و ذكر أن بعضهم زعم أن القرآن عبارة من جبريل أخذه من اللوح المحفوظ ، بدعوى أن سور القرآن وآياته متعددة، ولا يتعدد إلا المخلوق ، فهي إذن مخلوقة[1] . فرد عليه– مبينا–أن صفات الله متعددة –بدليل الكتاب و السنة– ، كالسمع و البصر و العلم و لا يقال أنها مخلوقة.و كلماته هي الأخرى متعددة ، لقوله تعالى : ((قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ،و لو جئنا بمثله مددا))–سورة الكهف/109– فكلماته و كتبه المنزلة على رسله متعددة وليست مخلوقة[2] .

و انتقد الشيخ الموفق الأشاعرة في أنهم ردوا على المعتزلة عندما قالوا بخلق القرآن ، ثم هم بدورهم جاؤوا بفكرة من لوازمها القول بخلقه . فهم عندما قالوا :إن القرآن الذي بين أيدينا ليس هو كلام الله على الحقيقة ،و انما هو حكاية عنه ، فهذا يعني أنه مخلوق . و إن اكروا القول بخلقه ،، لزمهم إنكار ما قالوه عنه [3] . ثم ألزمهم–بناء على قولهم في القرآن– إلزامات شنيعة ،و بين تناقضاتهم فيها ، منها أن قولهم بأن كلام الله واحد غير متعدد ، يستلزم أن التوراة هي القرآن و الزبور ؛و أن نبينا –عليه الصلاة و السلام– أنزلت عليه كل الكتب السابقة ، بنزول القرآن الكريم . وأن من قرأ منه آية فقد قرأه كله ،و من حفظ منه آية فقد حفظه كله ، وأن الأمر فيه هو النهي ،و الإثبات هو النفي ،و قصة نوح هي قصة هود ، و هذه أقوال أشبه بأقوال السوفسطائية[4] لا يصدر إلا عمن لا يستحي[5] .و منها أنهم يقولون : مقروء متلو محفوظ مسموع ، ثم يدعون أنه في نفس البارئ ، واحد لا يتعدد ليس هو بسور و لا آيات ،و لا حروف و لا كلمات . و منها قولهم أن القرآن مكتوب في المصاحف ، ثم يقولون ليس فيها إلا الحبر و الورق ، و هذا يلزمهم أن يسووا بين القرآن و أي ديوان شعر ، لأن الذي يجمع بينهما هو الحبر و الورق ،و هذا يتناقض مع وصفه تعالى للقرآن بأنه ((قرآن مجيد في لوح محفوظ))–سورة البروج/12–22– و ((في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون ، تنزيل من رب العالمين))–سورة الواقعة/78–80– ثم نبه الموفق إلى أن موقف هؤلاء من كلام الله جرهم إلى مخافة الكتاب و السنة و الإجماع ،و مكابرة العيان ،و جحد الحقائق ، والقول بشيء لم يقل به قبلهم مسلم و لا كافر[6] .

---

[1] ابن قدامة : مناظرة في القرآن ص : 33 ، 34 .

[2] نفسه ص : 34 ، 35 ,

[3] نفس المصدر ص : 36 و ما بعدها . و البرهان في بيان القرآن ص : 226 ، 238 .

[4] السوفسطائيون هم الذين يتلاعبون بالألفاظ المموهة قصد مغالطة الخصم لإقحامه و إسكاته . الجرجاني : المرجع السابق ص : 118 ، 119 . و علي بن هادية : المرجع السابق ص : 470 .

[5] ابن قدامة : مناظرة في القرآن ص : 38 .

[6] ابن قدامة : المصدر السابق ص : 38 ، 84 . و البرهان ص : 278 .

و ذكر الموفق أن متكلمي الأشعرية لا يتجاسرون على إظهار مقالتهم للناس ، لكي لا يفتضح أمرهم ؛ ولا يصرحون بها إلا في الخلوات ،و هم ولاة الأمر و أرباب الدولة . وإذا سمعوا أن مقالتهم انتشرت سارعوا إلى التظاهر بتعظيم القرآن و تبجيله و تعظيمه و القيام له ، ليوهموا العامة بذلك[1] .و حكى الموفق عن نفسه أنه اجتمع مع أحد ولاة الأشاعرة و ناقشه في رأيهم في القرآن ، فلم يصرح له به إلا بعدما خلا به و ألزمه الحجة ، بأن القرآن هو هذه السور[2] .

فهل ما قاله الموفق عن الأشاعرة في موقفهم من كلام الله قالوا به ، وصرحوا به في كتبهم ؟ نعم قال به كبير متكلميهم القاضي أبو بكر بن الباقلاني البغدادي(ت403 هـ/1012م) ، عندما نص على أن كلام الله هو ((الكلام القديم القائم بالنفس شيء واحد لا يختلف و لا يتغير)) ،و هو ليس بصوت و لا حرف ، وقد جعل الله على كلامه النفسي علامات تدل عليه ،و كل رسول يفهم قومه كلام الله بلغته فموسى عليه السلام فهم قومه بالعبرية ،و محمد -صلى الله عليه وسلم- فهم قومه بالعربية[3] . وبما أن كلام الله عند الباقلاني قائم بنفسه لا يختلف و لا يتغير ، يستلزم أن يكون كلامه المنزل على رسله ليس هو كلامه حقيقة ؛ لأن كلامه قائم به ، وإنما هو علامات و عبارات عنه ،، و بما أنه لا يتغير فكل الكتب المنزلة فيها كلام واحد بلغات مختلفة ، فقوله تعالى: ((تبت يدا أبي لهب و تب))-سورة المسد/ 1- و ((فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها))-سورة الأحزاب/37 - هو نفسه موجود في الكتب السابقة . و هذا من الغرائب المضحكات .

وأما المتكلم أبو الفتح الشهرستاني الأشعري (ت548 هـ/1153م) فكرر ما ذكره الباقلاني دون تفصيل ، و أكد أن كلامه تعالى عند الأشاعرة هو معنى قائم بالنفس ، و العبارات و الألفاظ المنزلة على لسان الملائكة هي دلالات على الكلام الأزلي ، و هي مخلوقة محدثة و المدلول قديم أزلي[4] .و هذا يعني أن سور القرآن و حروفه و آياته دلالات محدثة ،و ليست كلام الله على الحقيقة ، لأن كلامه أزلي قائم به ، لكنه لم يقل لنا من الذي تكلم بالألفاظ و العبارات التي هي دلالات على المدلول الأزلي ؟ ، و لم يقل لنا كذلك من أين جاء بذلك التقسيم لكلام الله هل له دليل من الكتاب و السنة الصحيحة ، أم هي تخمينات ورجم بالغيب ؟

---

1 نفس المصدر ص : 57 ، 58 ، 87 . و نفس المصدر ص : 268 .

2 ابن قدامة : مناظرة في القرآن ص : 58 .

3 الباقلاني : الإنصاف ص : 89 ، 106 ، 107 .

4 الشهرستاني : المصدر السابق ج 1 ص : 109 .

و ذهب الشيخ العز بن عبد السلام الشافعي الأشعري(ت660 هـ/1261م) إلى القول بأن كلام الله قديم أزلي قائم بذاته لا يشبه كلام البشر ،،و هو ليس بحر و لا صوت ، و من أثبتهما فهو حمار[1] . ومع ذلك فإن كلامه تعالى مكتوب في المصاحف و محفوظ في الصدور ، و مقروء بالألسنة[2] . و كلامه هذا فيه تناقض و مغالطة ، ولا يختلف في حقيقته عما قاله الباقلاني و الشهرستاني ، فبما أن كلامه تعالى قديم أزلي قائم بذاته ، وليس بحرف و لا صوت ، فهو إذا لا يصدر عنه ، ولا يكتب بالحروف ،،و هذا يستلزم أن القرآن الكريم بحروفه و سوره و آياته ليس من كلام الله ، لأنه تعالى –حسب العز بن عبد السلام– لا يتكلم بحرف و لا صوت ، ومن قال بذلك فهو حمار ! ثم نجده يقول: إن كلامه تعالى مكتوب في المصاحف و محفوظ في الصدور ، و مقروء بالألسنة ؛ فكيف يكون القرآن كلامه ، و حروفه ليست كلامه ، لأنه لا يتكلم بحرف و لا صوت ؟ ! . و يلاحظ عليه كذلك أنه لا يفرق بين الكلام كصفة أزلية ، وبين تعلقها بمشيئته تعالى في التكلم ، وفق ما شاء ، و بما شاء ،و كيفما شاء .

وأما تاج الدين السبكي الشافعي الأشعري(ت771 هـ/1369م) فكرر ما قاله سابقوه مع التلاعب بالألفاظ ، فقرر أن كلام الله قديم غير مخلوق ،و لا يزال قائما و لا يجوز أن ينفصل عن ذاته . ثم قال: إن القرآن مكتوب على المصاحف حقيقة[3] .و ليس أمام السبكي فيما قاله إلا حلان ، إما أن يكون القرآن بحروفه و معانيه هو كلام الله ، وهذا يستلزم أنه انفصل عنه ، منه بدأ و إليه يعود ، وهذا قد أنكره السبكي .و إما يكون كلامه تعالى قائما بذاته لا ينفصل عنه ، وهذا يستلزم أن المكتوب في المصاحف ليس هو كلامه على الحقيقة ، لأن كلامه –عند السبكي– واحد لا يتجزأ ، وإنما هو حكاية و عبارة عنه تعالى ، وهذا هو الذي تقوله الأشعرية ، و أراده السبكي و لم يصرح به . مما يؤكد أن ما حكاه عنهم الموفق في موقفهم من كلام الله صحيح ،و لم يكذب عليهم .

و فيما يخص المنهج الذي اتبعه الشيخ الموفق في نقده للمتكلمين و رده عليهم ، فإن الباحث سعد بن محمد البناني يرى أن الموفق لم يستعمل في مصنفاته العقائدية ، الكلام الجدلي ، و لا الإلزامات العقلية ،و إنما اتبع منهج الاستدلال من القرآن و السنة وأقوال السلف[4] . و ردي عليه هو

---

[1] إذا صح عنه هذا القول فهو زلة لسان لا تليق أن تصدر من عالم مثله ، لأن مئات من العلماء و عامة المسلمين يقولون: إن القرآن هو كلام الله بحروفه و معانيه .

[2] الداودي : طبقات القراء ج 1 ص : 227 ، 326 .

[3] السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ج 3 ص : 417 .

[4] سعد بن محمد البناني : ((جهود ابن قدامة في خدمة العقيدة)) مجلة عالم الكتب ، الرياض مج 15 العدد 3 ، 1414هـ ص : 330 .

أن القرآن الكريم مليء بالجدال و الإلزامات العقلية[1] .و أن الشيخ الموفق قد احتج على معارضيه بالنقل و العقل ، و جادلهم و ألزمهم إلزامات عقلية كثيرة ، نجدها في كتابه تحريم النظر في كتب اهل الكلام ، و مناظرة في القرآن ، و البرهان في بيان القرآن ، و قد سبق و أن ذكرنا أمثلة على ذلك[2] . و نكتفي هنا بمثال واحد كشاهد على ما نقول ، فعندما قال بعض متكلمي الأشعرية أن حروف القرآن لا تضاف إلى الله ، لأن الحروف لا تخرج إلا من مخارج و أدوات ، طالبهم الموفق بالدليل على دعواهم، ثم قال: إن قالوا نحن لا نقدر على الكلام إلا بها ، قيل لهم : هذا قياس لله على خلقه ، تشبيه بعباده ، و إلحاق صفاته بصفاتهم ، و هو من أقبح الكفر ، ونحن قد اتفقنا على أنه تعالى لا يشبه بخلقه . ثم نبههم إلى أن ادعاءهم يوجب إبطال سائر الصفات ، لأن العلم لا يكون إلا بالقلب ، و المسمع إلا من انخراق . ثم قال لهم : وإن أثبتم الصفات و نفيتم عنها الأدوات ، لزمكم ذلك في صفة الكلام . فهذا نموذج علة المناقشة الهادئة ،و الجدال الحسن ،و الإلزام المنطقي القائم على صحيح المنقول و صريح المعقول .

و آخرهم الشيخ تقي الدين بن تيمية ، فهو أكثر علماء الحنابلة خوضا في علم الكلام ،و أعمقهم فهما و نقدا له ،و أغزرهم إنتاجا و إبداعا فيه[3] . فمن انتقاداته لهم في منهجهم ، أنهم سلكوا طريق النظر و البحث دون اعتصام بالكتاب و السنة ،و عظموا النظر العقلي واعرضوا عن الإرادة القلبية ،و عظموا جنس النظر و لم يلتزموا النظر الشرعي ، فأخطؤوا من جهتين : الأولى إهمالهم الإرادة القلبية–و إن أوجبوا الأعمال الظاهرة– و عدم معرفتهم بأعمال القلوب و حقائقها . و الثانية عدم تمييزهم بين النظرين ، الشرعي المأمور به ،و الباطل المنهى عنه .و الواجب على أهل السراط المستقيم الجمع بين الإرادة و النظر ، على منهاج الرسول–عليه الصلاة و السلام[4]– .

و انتقدهم في مجال الصفات و العقائد الأخرى ، بأنهم يعتمدون في باطنهم على أصول ابتدعها شيوخهم ، فما ظنوه أنه يوافقها من القرآن احتجوا به ،و ما خالفها منه تأولوه . لذا فهم إذا احتجوا بالكتاب و السنة لم يعتنوا بتحرير دلالتهما ،و لم يستقصوا ما فيهما ،و ليس مقصودهم من الرجوع إليهما فهم مراد الشرع ،و إنما مقصودهم دفع منازعهم عن الاحتجاج بهما[5] .

---

[1] عن ذلك أنظر : محمد التومي : الجدل في القرآن ، الجزائر ، شركة الشهاب د ت ، ص : 160 و ما بعدها .و ابن قيم الجوزية : بدائع الفوائد ج 4 ص : 126 و ما بعدها .

[2] في المبحث الأول من الفصل الثالث ،و المبحث الذي نحن في صدد الكلام عنه .

[3] عن ذلك انظر المبحث الرابع من الفصل الخامس .

[4] ابن تيمية : الفرقان ص : 125 .و التفسير الكبير ج 1 ص : 204 .و مجموع الفتاوى ج 8 ص : 362 .

[5] ابن تيمية : الفرقان ص : 81 .و التفسير الكبير ج 1 ص : 158 .

ثم ذكر ابن تيمية أن من آثار الانحراف المنهجي لدى المتكلمين ، أن غالبهم ليسوا على بصيرة فيما يقولونه ، و الحيرة مستولية عليهم ،و الشيطان مستحوذ عليهم ، فإذا نظرت إليهم بعين القدر رحمتهم و ترفقت بهم ، فقد أوتوا ذكاء لا زكاء ، وأعطوا فهوما لا علوما . و غاية منهجهم أنه أوصل أكابرهم إلى الشك و الحيرة ، كأبي المعالي الجويني (ت478هـ/1085م) و أبي الفتح الشهرستاني(ت548 هـ/1153م) ،و الفخر الرازي(ت 606 هـ/1209م) ،و سيف الدين الآمدي(ت 631هـ/1233م) [1].و انتهى بآخرين إلى الزندقة و الإلحاد ،و قالوا: إن الأنبياء أوهموا و خيلوا .و أوصل طائفة أخرى إلى القول بتكافؤ الأدلة ، فلا يعرف الحق من الباطل. وكل هؤلاء الحيارى لم يعرفوا الطريقة السنية الشرعية ، لذا لم يناظروا بها، و لم يصلوا إلى اليقين الذي يطمئن إليه القلب و ينشرح له الصدر[2] .

و انتقدهم كذلك في أنهم من أبعد الناس معرفة بالحديث و اتباعا له ، و حالهم المشاهد يدل على أنهم من أجهل الخلق بأقوال الرسول-عليه الصلاة و السلام- فلا يميزون بين صحيحها و سقيمها ؛ حتى أن كثيرا من العامة أعلم بها منهم . كما أن الجهمية منهم يكذبون على أئمة المسلمين ،و ينسبون إليهم أقوالا لم تصدر عنهم ، و يذكرون إجماعات هي ليست إجماعا ، و ليس لهم فيها حديث و لا نقل عن الصحابة و لا التابعين ؛ وإنما يحكونها بحسب ما يجدونه من لوازم أقوالهم[3] . ثم اشتد في انتقادهم عندما وصف أصول مذهبهم التي يحتكمون إليها ، بأنها أصول الجهل و دين الشيطان ، لا دين الرحمن ،و أن حقيقة كلامهم هو: ترتيب الأصول في مخالفة الرسول و المعقول ،و من خالفه-عليه الصلاة و السلام- فقد خالف المنقول و المعقول[4] .

و للشيخ تقي الدين بن تيمية ملاحظات و انتقادات لثلاثة من كبار متكلمي الشافعية هم : حجة الإسلام أبو حامد الغزالي ،و الفخر الرازي ،و السيف الآمدي . ففيما يخص الغزالي فقد ذكر ابن تيمية أن في كلامه مادة فلسفية كثيرة ، بتأثير من الفيلسوف أبي علي بن سينا (ت 428هـ/1037م) ،و المتكلم أبي حيان التوحيدي (ت بعد401هـ/1010م) ،و رسائل إخوان

[1] ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ج 3 ص : 68-69 .
[2] ابن تيمية : درء تعارض العقل و النقل ج 1 ص : 93 .
[3] نفس المصدر ج 4 ص : 149 .و نقض المنطق ص : 81 .و مجموع الفتاوى ج 5 ص : 261 .
[4] ابن تيمية : التفسير الكبير ج 6 ص : 431 .

الصفا[1] .و أما تأثره بالاعتزال فيكاد يكون معدوما ؛ و هو مع فرط ذكائه و تألهه ،و معرفته بالكلام ،و سلوكه طريق التصوف ، فإنه في المسائل الكبار كوجود الله ،و حدوث الكون ،و النبوة ، ينتهي إلى الوقف ، ثم أصبح يحيل في آخر عمره إلى طريق الكشف الوجداني الصوفي ، لكنه في نهاية أمره رجع إلى طريقة أصحاب الحديث[2] . و كان الغالب عليه في مناظراته للفلاسفة إبطال طرقهم دون إثبات طرقة معينة[3] . بمعنى أنه يهدم لا يبني ،و ينتقد و لا يقدم الحلول البديلة .

و ذكر ابن تيمية أن صاحب الكتب المضنون بها[4]-هو الغزالي- وبتأثير من المتكلمة ، والصوفية و الإسماعيلية ، أطلق ألفاظا شرعية على غير مسمياتها ، فأطلق اللوح المحفوظ على النفس الفلكية ، و القلم على العقل الأول ،و الملكوت و الجبروت و الملك على النفس و العقل .و جعل الشفاعة فيضا تفيض من الشفيع على المستشفع ، متبعا في ذلك مسلك الفيلسوف أبي علي بن سينا[5] .

و في قول الغزالي عن إثبات الصفات و تأويلها ، من أن حد الاقتصاد فيها((دقيق و غامض لا يطلع عليه إلا الموفقون الذين يدركون الأمور بنور إلهي لا بالسماع-أي الشرع- ؛ فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه ،و ما خالف أولوه . فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرد-أي الشرع- فلا يستقر له فيها قدم ، ولا يتعين له موقف . و الأليق بالمقتصر على السمع المجرد مقام أحمد بن حنبل رحمه الله))[6] . يرى ابن تيمية أن مضمون كلامه أنه لا يستفاد من الشرع شيء من الأمور العملية ، و إنما يدرك كل إنسان بما يحصل له من المشاهدة و النور ، و هذا-عند ابن تيمية- أصل للإلحاد ، لذا يجب على كل ذي مكاشفة باطنية أن يزنها بالكتاب و السنة ، و إلا دخل في الضلالات ، لأن ما يقع لأهل القلوب فيه صواب و خطأ ، يجب عرضه على نور الوحي[7] .

وأقول-تعقيبا على الغزالي- إنه ادعى أن الوحي لا يكفي و لا يوصل إلى قرار في مسألة الصفات ، وجعل المرجع فيها إلى ما يدعيه أرباب القلوب من نور و مشاهدة ،و هذا -في اعتقادي- قدح في

---

[1] تنسب لجماعة إخوان الصفا، وهي جماعة سرية نشأت في البصرة و كانت لها فروع في بغداد و غيرها من مدن المشرق ، و كانت تتعاطى الفلسفة و علم الكلام . إخوان الصفا : رسائل إخوان الصفا و خلان الوفاء بيروت دار صادر ، 1957 ص : 5 .

[2] ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج 6 ص : 54 .و درء تعارض العقل و النقل ج 1 ص : 92 .

[3] ابن تيمية : درء تعارض العقل و النقل ج 1 ص : 92-93 .

[4] تنسب هذه الكتب لأبي حامد الغزالي ، لكن بعض العلماء شك في نسبتها إليه ، وأنها موضوعة عليه . الذهبي : تاريخ الإسلام ج: 501-520 هـ/ ص : 124 .

[5] ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج 1 ص : 245 .

[6] أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين مج 1 ص : 180 .

[7] ابن تيمية : درء تعارض العقل و النقل ج 3 ص : 81 .

الشرع خطير ،و تقدم بين يدي الله و رسوله ، لأن محصلة دعواه أن الوحي ناقص و لا يكفي وحده ، وأرباب المشاهدة ليسوا في حاجة إليه ؛ ويقدمون عليه أحوالهم و وجدانياتهم . و بذا ينفتح الطريق أمام كل إنسان أن يقول ما يشاء اعتمادا على هواه و وجدانه ، جاعلا الوحي و راء ظهره . ثم ألم يتنبه الغزالي لخطر ما قاله عندما قدم كلامه وإحساساته على كلام الله الحق المأمورون باتباعه ؟ ! و كيف يرجوا أن يحصل له نور من الله و هو قد أبعد كتابه ؟ . و ما موقفه من قوله تعالى: ((ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله))-سورة القصص/50- و ((و من لم يجعل الله له نورا فما له من نور))-سورة النور/40- و ((و أن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه و لا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله))-سورة الأنعام/153- و الذي أوقعه في هذا الانحراف المنهجي هو هروبه من علم الكلام و الفلسفة و ارتماؤه في أحضان التصوف، ظنا منه أنه يوصله إلى اليقين ،و ينتهي به إلى بر الأمان ، على ما حكاه هو عن نفسه في كتابه المنقذ من الضلال[1] .

و أما المتكلم الفخر الرازي ، فقد نقده ابن تيمية في أنه متناقض في عامة ما يقوله في مصنفاته ، فيقرر شيئا في موضع ثم ينقضه في آخر ، لأنه يستقي مادته العقلية من باطل كلام المتكلمين و الفلاسفة ؛ لذا وجد من أساء فيه الظن بأنه يتعمد ذكر الباطل في مؤلفاته نصرا له ، لكن حقيقة أمره أنه يتكلم حسب مبلغه من العلم و النظر ، فيما يظهر له أنه صواب[2] . وهو كثير الاضطراب لا يستقر على حال ، عمله البحث و الجدل ، بمنزلة من يطلب و لم يهتد إلى مطلوبه ، بخلاف أبي حامد فغنه كثيرا ما يستقر على مواقف معينة [3] . وأطر ما ذكره ابن تيمية عن الرازي أنه صنف كتابين في عبادة النجوم و الأصنام ن هما : السر المكتوم في السحر و مخاطبة النجوم[4] ،و الرسالة العلائية في الاختيارات السماوية ، وفيها ترغيب لعبادة الكواكب و الأوثان ،و دفاع عنها ؛و في كتابه الأول حث على السجود للكواكب و دعوتها ،و التقرب لها ، بالغناء و فغل الفواحش ن و شرب الخمر . و فعله هذا هو ارتداد عن الدين باتفاق المسلمين ، لكنه لعله تاب عنه ،و عاد إلى الإسلام[5] .

و آخرهم المتكلم سيف الدين الآمدي ،لاحظ عليه ابن تيمية اضطرابه و حيرته ،و توقفه في عامة الأصول الكبار ، فلا يقرر في مصنفاته إثبات الصانع و وحدانيته ،ولا حدوث العالم ، ولا النبوات ،ولا

---

[1] انظر ص: 7 ، 14 ، 16 ، 43 .

[2] ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج 5 ص : 561 ، 562 .

[3] نفس المصدر ج 6 ص : 55 .

[4] ذكر المؤرخ شمس الدين الشهرزوري (687 هـ/1288م) هذا الكتاب من بين مؤلفات الرازي ،و قال أنه كان يؤلف كتبا في موضوعات ليس له فيها علم من بينها السر المكتوم في السحر و مخاطبة النجوم . الشهرزوري : تاريخ الحكماء حققه عبد الكريم أبو شويرب ط1 جمعية الدعوة الإسلامية د م ن ، 1988 ، 395 .

[5] ابن تيمية : نقض المنطق ص : 47 .و الفرقان بين الحق و الباطل ص : 201 ، 202 .

شيئا من الأصول التي يحتاج إليها .لذا فإن الفخر الرازي –وإن كان ينقض أغلب ما يقرره –أحرص منه على تقرير الأصول المحتاج إلى معرفتها[1]. و عندما ترجم الذهبي للسيف الآمدي و ذكر ما قاله عنه ابن تيمية ،عقب عليه بقوله : ((وهذا يدل على كمال ذهنه ،إذ تقرير ذلك بالنظر لا ينهض ،و إنما ينهض بالكتاب و السنة))[2].و يبدو أن الذهبي فهم من كلام ابن تيمية ما لم يقصده ،فهو ذكر عن الآمدي أنه لا يقرر في مؤلفاته أصول العقيدة لغلبة الحيرة و الوقف عليه ،لا لأن ذلك يدل على كمال ذهنه ،فإنه لو كان كذلك لقرر الأصول الكبار بأدلة الشرع و استراح ،و لما توقف وحار فيها .و قول الذهبي أن العقيدة لا ينهض بها إلا الكتاب و السنة ،فهو كلام صحيح لكن ذلك لا ينفي أنه في مقدور العقل أن يقيم الدلائل على إثبات الخالق و حدوث الكون ،لأن الله تعالى فطر البشر على الإيمان به ،لقوله : ((فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله))–سورة الروم/ 30 –و ((لئن سألتهم من خلق السماوات و الأرض ليقولن الله))–سورة الزمر/ 38– .

و أما الفقيه ابن قيم الجوزية فيرى أن المتكلمين عارضوا النص بالرأي ،و قدموا الهوى على الشرع و هم أكثر الناس تناقضا و اضطرابا انتهى علم الكلام بمعظمهم إلى الحيرة و الشك [3].و انتقدهم الفقيه محمد بن علي الشوكاني (ت 1250هـ /1834م)في أنهم جعلوا لأنفسهم أصولا لا سند لها إلا ((مجرد الدعوة على العقل ،و الفرية على الفطرة ،و كل فرد من أفرادها قد تنازعت فيه عقولهم ،و تخالفت عند ادراكاتهم فهذا يقول :حكم العقل في هذا الكلام كذا ،و هذا يقول :حكم العقل في هذا كذا ...))و ((أغرب من هذا ،و اعجب و أشنع ،و افضع أنهم بعد أن جعلوا هذه التعقلات – التي تعقلوها على اختلافهم فيها و تناقضهم في معقولاتها –أصولا ترد إليها أدلة الكتاب و السنة ،و جعلوها معيارا لصفة الرب تعالى))[4].

ويتبين مما ذكرناه عن انتقادات كبار علماء الحنابلة لعلم الكلام و أهله أنهم أعابوا عليهم الخوض في مسائلة غيبية قال الشرع فيها كلمته الصريحة وليس في مقدورهم اقتحامها بعقولهم ،ثم أنهم قدموا ما أصلوه من مذاهب ،على ما جاء به الوحي ؛مما أوقعهم في التأويل و التعطيل و الشك و الضياع و الوقف و أوصلهم إلى نتائج تخالف ما ورد في الشرع .ومع ذلك لم يعيدوا النظر فيها و يرجعوا إلى ما

---

[1] ابن تيمية :مجموع الفتاوى ج 5 ص :562 .

[2] الذهبي :سير أعلام النبلاء ج 22 ص :366.

[3] ابن قيم الجوزية : مختصر الصواعق المرسلة ج1 ص :242 . و طريق الهجرتين ص: 300 .

[4] الشوكاني : التحف في مذهب السلف ص:9

قرره الشرع الحكيم ،بل تمسكوا بها و دافعوا عنها و اقبلوا على النصوص اغفالا و تأويلا و تحريفا ليطوعونها خدمة لأصولهم .اعتقادا منهم أنهم بذلك ينصرون الدين[1]،و يردون عن الطاعنين فيه .

ثانيا :في نقد الفلسفة و أهلها

درس كثير من علماء الحنابلة-في القرنين:6-7هـ/12-13م-الفلسفة ، فمنهم من تأثربها فكرا و سلوكا ، كصدقة بن الحسين ،و الفخر إسماعيل غلام بن المني ، و الركن عبد السلام بن عبد القادر الجيلاني ، و عبد الرواق بن الفوطي[2] .و منهم من درسها من باب الاطلاع و الرد عليها ، كعبد الرحمن بن الجوزي و تقي الدين بن تيمية .

ففيما يخص ابن الجوزي فله انتقادات للفلسفة و رجالها ، نجدها مبعثرة في مصنفاته[3] . فمن ذلك أنه اتخذ منهم موقفا عدائيا ، و حذر الناس من مصاحبتهم[4] ، و أوجب منع الصبيان من مخالطتهم ، لئلا يثبت في قلوبهم شيء من أفكارهم[5] . و جعل الفلسفة من بين العوامل التي أفسدت على المسلمين عقائدهم ، أدخلها إليهم بعض العلماء الذين لم يقتنعوا بما جاء به الشرع[6] .

و ذكر أن جماعة من المسلمين انخدعوا بالفلاسفة ، عندما سمعوا أنهم حكماء أذكياء ، ولم ينتبهوا لتخليطهم و تخبيطهم في الإلهيات ، فاتبعوهم و انتهى الحال ببعضهم ، إلى إهمال الصلوات و ملابسة القاذورات و الاستهانة بالشرع لتأثرهم بشبهات هؤلاء[7] .و معضمهم لم يكسبهم التفلسف إلا الحيرة ، فلا هم يعملون بمقتضاه ،و لا بما يوجبه الإسلام . بل فيهم من يصوم و يصلي ، ثم يعترض على الخالق و على النبوات ، ويتكلم في إنكار بعث الأجساد ،و يتسخط على الأقدار ،و يقول[8]: ((أنا لا أخاصم إلا من فوق الفلك)) ، وله في هذا المعنى أشعار كثيرة ، كقوله :

أترانا صنعة من غير صانع × أم تراها رمية بغير رام

---

[1] لا شك أن المتكلمين قد دافعوا عن الإسلام وفق تصوراتهم ،و انطلاقا من منهجهم القاصر .

[2] لم أعثر لهم على أي أثر علمي في الفلسفة ، و عنهم انظر المبحث الأول من الفصل السادس .

[3] خصص لهم للفلسفة مباحث في كتابه تلبيس إبليس (ص : 51 و ما بعدها) و معظم ما قاله هو نقل عن غيره .

[4] قرنهم بالمتكلمين في التحذير منهم . ابن مفلح : المصدر السابق ج 3 ص : 586 .

[5] نفسه ج 3 ص : 586 .

[6] ابن الجوزي : صيد الخاطر ص : 226 .

[7] ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص : 60 .

[8] لم يسميه ، لكنه يقصد صدقة بن الحسين الحداد البغدادي ، و عن ذلك انظر المبحث الأول من الفصل السادس .

و قوله : واحيرتا من وجود ما تقدمه × منا اختيار و لا علم فيقتبس[1]

و ذكر ابن الجوزي أن أكثر الفلاسفة يثبتون وجود الله تعالى ،و لا ينكرون النبوات ، لكنهم أهملوا النظر فيها .و هم قد أجادوا في الطبيعيات و لم يختلفوا في الحسيات و الهندسيات ، و خلطوا و ضلوا عندما تكلموا في الإلهيات[2] . فمن ذلك قولهم بقدم الكون و أزليته ، فهو عندهم لا بداية له و لا نهاية ، و قد قال الفيلسوف اليوناني جالينوس (ت 200م): ((لو كانت الشمس مثلا تقبل الانعدام لظهر فيها ذبول في هذه المدة الطويلة)) ، فرد عليه ابن الجوزي بقوله : ((قد يفسد الشيء بنفسه بغتة لا بالذبول ، ثم من أين له أهنا لا تذبل ؟ فإنها بمقدار الأرض مائة و سبعين مرة أو نحو ذلك ؛ فلو نقص منها مقدار جبل لم يبن ذلك للحس . ثم نحن نعلم أن الذهب و الياقوت يقبلان الفساد ،و قد يبقيان سنين و لا يحس بنقصانهما))[3] .و يلاحظ على قول جالينوس أنه مجرد تخمين و رجم بالغيب ، بناه على الظن و الهوى ،و النظر السطحي ، في مسألة غيبية خطيرة لا دليل قاطع له فيها . لكن ابن الجوزي كان رده علميا أقامه على الإمكان العقلي ،و المشاهدة المادية ، فبين أنه لا مانع عقليا أن يفسد الشيء بنفسه بغتة لسبب من الأسباب ، و إذا كنا لا نحس بفساد الذهب و الياقوت و نقصانهما في مدة سنين ، فأنا لنا أن نحس بنقصان الشمس ، التي تزيد عن حجم الأرض بمائة و سبعين في اعتقاد الفلاسفة آنذاك ؟ . و قول ابن الجوزي هو الصحيح ، لأن العلم الحديث أثبت أن الكون بأسره حادث و ليس بأزلي ، فقد خلقه الله تعالى منذ نحو خمس ملايير سنة[4] .و أن الشمس في تناقص مستمر من جراء فقدانها لطاقتها ،و أنها ستنطفئ بعد نحو خمسين مليار سنة أو أكثر[5] .

و أشير هنا إلى أن فكرة أزلية الكون قال بها فلاسفة مسلمون ، لذا كفرهم حجة الإسلام أبو حامد الغزالي(ت505 هـ/1111م) في كتابه المنقذ من الضلال[6].و عندما احتضر الفيلسوف نجم الدين الدبيراني القزويني (ت675 هـ/1276م) قال له تلامذته أوصينا ، فقال : ((ما ثبت عندي من

---

[1] ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص : 60 .

[2] نفسه ص : 60 .

[3] نفس المصدر ص : 56 .

[4] دافيد برجاميني : الكون ترجمة نزيه الحكيم ، بيروت دار الترجمة و النشر للفنون ، 1971 ص : 92 . و زياد بيضون : الارض و تكوينها ، بيروت معهد الإنماء العربي 1980 ، ص : 23 ، 30 ، 31 .

[5] دافيد برجاميني : نفس المرجع ص : 94 . و عبد الحميد سماحة : في أعماق الفضاء ط 3 ، القاهرة دار الشروق ، 1980 ص 50 .

[6] انظر ص : 27 ، 28 .

النظر شيء إلا أن هذا العالم قديم))، فعقب عليه الذهبي بقوله : ((هذا من أقبح الكفر الذي أداه إليه ذكاؤه المفرط و نظره التام ، فقبح الله الحكمة و أهلها))[1] .و أقول : إنه بغض النظر عن إثبات العلم الحديث لحدوث الكون ، فإن النظر العقلي المجرد عن الهوى ، يثبت حدوث العالم ببساطة ، فالإنسان مخلوق له بداية و نهاية ، و الكون عاجز و مسخر له[2] . كما أن من حقائق الإسلام و أصوله ، أن الكون حادث وجد بعد عدم ،و قد ذكر ابن تيمية أن أساطين الفلاسفة قبل أرسطو و بعده لم يقولوا بقد العالم[3] . الأمر الذي يبين أن الفلاسفة المسلمين القائلين بأزلية الكون ن لم يأخذوا بالعقل الصريح ،و لا بالنقل الصحيح ،و لا بما قاله فلاسفة آخرون ن وإنما كانوا في تبعية سلبية لفلسفة أرسطو .

وأما الشيخ تقي الدين بن تيمية فيعد أكثر علماء الحنابلة اطلاعا على الفلسفة و تبحرا فيها ، له في نقدها بحوث مطولة نجدها في بعض مصنفاته ، كالرد على المنطقيين ، و نقض المنطق ،و درء تعارض العقل و النقل، و مجموع الفتاوى ، نقتصر هنا على بعض ملاحظاته و انتقاداته للفلسفة و أهلها . فمن ذلك أنه يرى أن الفلسفة لا يمكن نفيها ،و إثباتها مطلقا ، لأنه ليس للفلاسفة ((مذهب معين ينصرونه ن و لا قول يتفقون عليه في الإلهيات و المعاد ، و النبوات و الشرائع ن بل ولا في الطبيعيات و الرياضيات ، بل و لا في كثير من المنطق ،و لا يتفقون إلا على ما يتفق عليه جميع بني آدم من الحسيات المشاهدة ،و العقليات التي لا ينازع فيها أحد)) و من حكى عنهم قولا واحدا في هذه الأجناس ، فإنه غير عالم بأصنافهم و اختلاف مقالاتهم[4] . فالفلسفة عند ابن تيمية ، ليست مذهبا واحدا ، بل هي مذاهب متعددة ن فيها ما يذم و فيها ما يمدح ،و فيها القول بقدم العالم ،و فيها القول بحدوثه ، وهذا موقف يتميز به ابن تيمية عن كثير من العلماء الذين ذموا الفلسفة مطلقا ، كالذهبي الذي قال: ((قبح الله الحكمة و أهله))[5] .

و انتقدهم في أنهم يتصورون أشياء بعقولهم ،و يظنون أنها ثابتة في الواقع ، و هي في الحقيقة بداخل نفوسهم ؛ فهم بمنزلة الغالطين من الصوفية تقع لهم أشياء في بواطنهم فيظنون أنها في الخارج ، لذا قيل : ((نعوذ بالله من قياس فلسفي ،و خيال صوفي))[6] . وهم في مجال الصفات الإلهية

---

[1] الذهبي : سير أعلام النبلاء الجزء المفقود ص : 296 .

[2] و النظر العقلي حتى و إن افترضنا أنه لم يثب حدوث الكون ، فإنه لن ينفيه بالدليل القطعي .

[3] ابن تيمية : منهاج السنة ج 1 : 62 ن 99 ، 100 ، 101 .

[4] نفس المصدر ج 1 ص : 99 .

[5] الذهبي : المصدر السابق ص : 296 .

[6] ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج 5 ص : 491 .

كالمتكلمين ، غالب ما يزعمون برهانا هو شبهة و رأي ،و أكثر ما يعتمدونه يؤول إلى دعوى لا حقيقة لها . أو شبهة من قياس فاسد ، أو قضية كلية لا تصح إلا جزئية ، أو دعوة إجماع لا تصح[1] .و معظمهم ليسوا على بصيرة فيما يقولونه ،و الحيرة مستولية عليهم ،و الشيطان استحوذ عليهم . إذا نظرت إليهم بعين القدر رحمتهم و ترفقت بهم ، فقد أوتوا ذكاء لا زكاء ،و أعطوا فهوما لا علوما[2] . و هم و المتكلمون أكثر الناس افتراقا و اختلافا ، و من أعظم ((بني آدم حشوا و قولا للباطل و تكذيبا للحق ،و أكثر الناس شكا و اضطرابا ،و لهم إلا الجدل و الاعتراض ،و ليس ذلك بعلم))[3] .

ثم أعاب ابن تيمية على الفلاسفة إهمالهم للعلوم الشرعية ، فلا يميزون بين صحيح الحديث و سقيمه ، و فيهم طائفة لا تعتني بالقرآن و التفسير ، إلا لتعلق الناس بهما ، وليعيشوا بينهم بذكره ، لا لأنهم يعتقدون وجوبهما في باطنهم[4] . ومنهم جماع[5] يتعمدون استخدام الألفاظ الشرعية و يطلقونها على مسميات مغايرة لمسمياتها الأصلية ، كإطلاق اسم الملائكة على ما يثبتونه من العقول و النفوس ، ثم يقولون نثبت ما أخبر به الأنبياء و أقر به جمهور الناس[6] .

وقد كفر ابن تيمية طائفة من الفلاسفة المسلمين ، منهم : نصير الدين الطوسي(ت 672هـ/ 1273م) ،و صدر الدين القونوي ، الأول صابئ منجم ، و الثاني صوفي متفلسف قائل بوحدة الوجود ، وكل منهما –في رأي ابن تيمية– كافر في قوله و عمله نو في أفعالهما مروق و إعراض عما جاء في الشرع[7] . و ذكر عن النصير الطوسي أنه كان مستهترا بالواجبات الشرعية ،و يعاقر الخمر و يرتكب الفواحش .و أنه أخذ كتب الناس –عندما احتل المغول المشرق الإسلامي– فاحتفظ بكتب الطب و الفلسفة ،و علم النجوم و العربية ، و احرق كتب العلوم الشرعية من ،تفسير،و فقه ،و حديث[8] .

و للشيخ ابن تيمية دراسات نقدية هدمية معمقة للمنطق الأرسطي ، في أسسه و جزئياته و مسائله[9] . فتبين له أن منطق اليونان لا يحتاج إليه الذكي و لا ينتفع به البليد ،وأن كثيرا من قضاياه

---

[1] نفس المصدر ج 5 ص : 119 .

[2] نفسه ج 5 ص : 119 .

[3] ابن تيمية : نقض المنطق ص : 23 ، 24 .

[4] نفس المصدر ص : 81 .و التفسير الكبير ج 2 ص : 6 .

[5] ألحق بهم طائفة من المتكلمين و الصوفية . ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج 1 ص : 243 .

[6] نفسه ج 1 ص : 243 .

[7] نفس المصدر ج 2 ص : 93 .

[8] ابن تيمية : التفسير الكبير ج 2 ص ك 6 .و الفرقان ص : 225 .و منهاج السنة ج 2 ص : 99 ، 100 .

[9] تناول نقد المنطق الأرسطي في كثير من كتبه اهمها : الرد على المنطقيين ، وقسم من كتابه نقض المنطق ، و مجموع الفتاوى ،و منهاج السنة .

خاطئة[1] ؛وأن أهله لم ينتفعوا بصحيحه في معرفة ،و باطله أوقعهم في غاية الكذب ،و الجهل بالله و((من لم يجعل الله له نورا فما له من نور))[2] .

و قد درس الباحث المنطقي محمود يعقوبي ، نقد ابن تيمية للمنطق الأرسطي ،و بين أن القضية الكلية عند ابن تيمية ليست ضرورية لحصول العلم بالقضايا الجزئية كما يدعيه المناطقة الصوريون ، لأنه يمكن العلم بالقضية الجزئية دون واسطة ، كمعرفتنا بأن الواحد نصف الاثنين ،و الكل أكبر من الجزء ، و أن شيئا ما لا يكون موجودا معدوما و لا يخلو من أحد الأمرين . وقصده من ذلك إثبات أن من المعارف الجزئية ما يفرض نفسه أول وهلة ،و لا يحتاج إلى دليل ؛و بمعنى آخر أن يمكن الاستغناء بالقضايا الجزئ\ية عن القضية الكلية ، و هذا موقف تجربي يرى أن ((الكلية موجودة في العقل و ليست في الأشياء الجزئية ،و بالتالي تكون كلية القضية أمرا اعتباريا متولدا من التجريد، و ليس أمرا متشخصا موجودا في الأعيان ،و لعل هذا ما يمكن أن يصل إليه كل تجربي ليست الحقيقة العامة لديه ن سوى مجاميع من الحقائق الجزئية)) ،و هذا نفس ما ذهب إليه المنطقي جون ستوارت مل[3] (ت1873م/1290هـ) .

وأما القضايا الكلية عند ابن تيمية –و التي تتحدث عن الأشياء العينية– فهي ((لا وجود لها إلا في الذهن ، أما الموجودات الحسية فلا يمكن الحديث عناه إلا بقضايا جزئية)) ،و الكلية لا يمكن التيقن من صدقها ، لأن الاستقراء التام لها في الزمان و المكان لا يمكن تحقيقه ، عكس القضايا الجزئية التي تخص الأشياء العينية ، فهي قابلة للتحقق من صدقها على الواقع ، لأننا يمكن أن نجربها . فالمعرفة الجزئية تفضل المعرفة الكلية وجوديا و منطقيا ،و من ثم فإن ((الموقف الطبيعي يغني عن اللجوء إلى القضية الكلية عند الاستدلال)) ،و هي ليست ضرورية في بنية الدليل ،و هو رأي توصل إلية جون ستوارت مل من بعده–أي ابن تيمية– عندما تصدى هو الآخر لنقد القياس المشائي))[4] .

و قد أظهرت دراسات علمية حديثة متخصصة[5] الدور الكبير الذي قام به شيخ الإسلام بن تيمة ، في نقده للمنطق الأرسطي ،و طرح البديل الإسلامي ، وفق منهج علمي تجريبي شرعي[6] .و أثبتت أنه نقد

[1] ابن تيمية : الرد على المنطقيين ص : 3 .

[2] ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج 5 ص : 344 .

[3] محمود يعقوبي : ابن تيمية و المنطق الأرسطي الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية د ت ، ص : 80-81 .

[4] محمود يعقوبي : المرجع السابق ص : 83 .

[5] أشهرها ثلاث أولها دراسة الباحث علي سامي النشار في كتابه مناهج البحث عند مفكري الإسلام ، و الثانية للباحث محمود يعقوبي في كتابه السابق الذكر ،و الثالثة للباحث محمد حسني الزين في كتابه منطق ابن تيمية و منهجه الفكري .

[6] لم يطلع على أراء ابن تيمية في نقد المنطق الأرسطي إلا في نهاية النصف الأول من القرن العشرين ، بعد نشر كتابه الرد على المنطقيين في الهند . محمود يعقوبي : المرجع السابق ص : 8 .

المنطق الأرسطي نقدا مذهبيا شاملا لم يسبق إليه ،و هو يستبطن نظرية معرفية إسلامية شبيهة بنظرية المعرفة التي اعتمدها التجريبيون في نقدهم للمنطق الأرسطي[1]. وأنه ميز بين ضربين من المنطق : فطري و صناعي ، الأول واحد لدى جميع الناس ،و هم مفطورون عليه و يصدر عنهم عفويا ن فهو منطق طبيعي عند كل البشر .و الثاني هو جملة قواعد مستخلصة من أصول المنطق الطبيعي[2].و أنه أقام أراءه النقدية على أساس حسي انطلاقا من مبدأ معرفي مستمد من عقيدة الإسلام و شريعته ، فكانت نزعته ملتقى لصحيح النقل و صريح العقل[3] .

كما بينت أنه أقام الدليل على أن كل معرفة لا تقوم على تجربة عملية فهي ليست علما ، ومن ثم لا يمكن الوصول إلى حقائق الأشياء عن طريق المنطق الصوري ، ففتح بذلك للإنسان باب العلم القائم على الحقائق الملموسة المدركة بالحواس[4] .و أنه لم يهاجم المنطق بإصدار فتوى تحريم الاشتغال به ، بحجة أنه يعارض صحيح المنقول، بل تصدى له بالفكر لأنه يخالف كذلك صريح المعقول ، متبعا في ذلك منهجا نقديا هدميا إنشائيا[5] .و بين أنه -أي المنطق الصوري- عقيم لا ينتج جديدا ، و قاصر عن مجاراة الفكر المبدع و معيق له ،و هو تشويه للمنطق الفطري ، و إخراج لقوانينه الطبيعية عن مجراها السهل إلى مساقها الوعر[6] .

وأشير هنا إلى أن العلماء المسلمين-في القرنين: 6-7ه/12-13- وما بعدهما- قد تباينت مواقفهم من المنطق الأرسطي ، فمنهم من ذمه و نفر منه و حرمه ، كأبي عمرو بن الصلاح(ت643 ه/1245م) ،و ابن القيم الجوزية(ت 751ه/1350م) ،و جلال الدين السيوطي[7] (ت911ه/15-05م) .و منهم من حبذه نو مدحه و حث عليه ، كأبي حامد الغزالي(ت505 ه/1111م) ،و عبد الرحمن بن خلدون(ت808 ه/1405م) ، فالغزالي هو أول من أدخل المنطق إلى العلوم الشرعية ، عندما وضع مقدمة منطقية لكتابه المستصفى في علم الأصول ، و قال عنها : ((

---

[1] نفس المرجع ص : 5 .

[2] نفس المرجع ص : 6 ، 7 .

[3] نفس المرجع ص : 8 .

[4] محمد حسني الزين : منطق ابن تيمية و منهجه الفكري ط 1 بيروت ، المكتب الإسلامي ، 1399ه/1979 م ن ص : 369 .

[5] علي سامي النشار : مناهج البحث عند مفكري الإسلام بيروت ، دار النهضة العربية 1984 ، ص : 184 .

[6] محمد حسني الزين : المرجع السابق ص : 367 .و محمود يعقوبي : المرجع السابق ص : 264 .

[7] ابن قيم الجوزية : مختصر الصواعق المرسلة ج 1 ص : 162 .و إغاثة اللهفان ج 2 ص : 190 .و الذهبي : تاريخ الإسلام ج : 501-520ه/ ص : 124 .و السيوطي : حسن المحاضرة ج 1 ص : 339 ، 342 .

هي مقدمة العلوم كلها ومن لا يحط بها فلا ثقة له بعلومه أصلا))[1] . وأما ابن خلدون فقال عن المنطق : هو علم يعصم الذهن عن الخطأ، في اقتناص المطالب المجهولة و الأمور الحاصلة المعلومة ،و فائدته تمييز الخطأ والصواب[2] . ويرى البحث سامي النشار أن الغزالي ربما يكون قد غير موقفه من المنطق ، بعدما تبين له التناقض بين الروحين الإسلامية و اليونانية ، وبعد تركه لعلم الكلام و الفلسفة و إقباله على طريق المعرفة الصوفية[3] .

وأقول–تعقيبا على هؤلاء– : إنه يجب التفريق بين المنطق الفطري الذي هو عند كل الناس و بين المنطق الأرسطي الذي هو نتاج للفطري و صورة مشوهة عنه ، مما يعني أن الأول هو أصل العلم لا الثاني ، لذا وجد العلم و العلماء قبل المنطق الصوري ، و أرسطو ذاته لم يكن علمه ثمرة لمنطقه المشائي ، إنما العكس هو الصحيح ، فالكل إذن جاء نتاجا للمنطق الطبيعي . كما أن علماء الإسلام–منذ صدر الإسلام– برعوا في العلوم و دونوا العلوم الشرعية دون الرجوع إلى منطق اليونان[4] . وفي وقتنا الحاضر كل العلوم الطبيعية و الإنسانية تقوم على مناهج بحث جديدة ، ترتكز في أساسها على منهج البحث التجريبي ن ولا تقوم على المنطق الصوري .

و أما القول بأنه–أي المنطق الصوري– ضروري للعقل و هو بمثابة النحو لتقويم اللسان[5] ، فهو ليس بصحيح بالمرة ، لأن كل الناس ينموا فيهم المنطق طبيعيا ،و عامتهم يتعلمون اللغة من المجتمع دون تمدرس ، وأما المتعلمون منهم فهم في حاجة إلى تعلم قواعد النحو و اللغة من التعليم الابتدائي إلى الجامعي ، لتقويم ألسنتهم ، و التمكن من ناصية اللغة ، لكنهم ليسوا في حاجة بتاتا إلى المنطق الأرسطي ليتعلموا التفكير طيلة حياتهم . و حتى الطلاب الذين يدرسونه في الأقسام النهائية–مثلا– فلا يدرسونه ليتعلموا التفكير ، فهم قد تعلموه قبل أن يدرسون المنطق ،و إنما يقرؤونه كمادة جافة مقررة في البرنامج سرعان ما ينسونه .

كما أن الادعاء بأنه–أي المنطق – يعصم من الخطأ فهو ادعاء باطل ، لأن الفلاسفة–وهم أكثر العلماء دراسة له– هم أكثر الناس اختلافا و تناقضا ، و مذاهبهم شاهدة عليهم ، فيها الملحدة ،و

[1] أبو حامد الغزالي : المستصفى في علم الأصول ، بيروت دار الكتب العلمية 1996 ، ص : 10 .
[2] ابن خلدون : المصدر السابق ص : 392 .
[3] النشار : المرجع السابق ص : 179 ، 180 ، 355 .
[4] عن ذلك انظر رد ابن الصلاح على الغزالي . الذهبي : تاريخ الإسلام ج:501-520هـ/ ص : 124 .
[5] عبد الجليل المهدي : الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى ، ص : 195 .

المؤمنة ، و المرتابة ، وأقوالهم في الإلهيات معظمها أوهام و ظنون ،تخالف ما جاء في الشرع الحكيم ؛ فإذا لم يعصم رجالاته من الخطأ و التناقض و فأنى له أن يعصم غيرهم من العلماء و العوام .

ويلاحظ على أبي حامد الغزالي– في نقده للفلسفة– أنه رد عليها و كفر رجالها[1] لكنه استثنى منها منطقها وجعله مقدمة لكل العلوم–بما فيها العلوم الشرعية– ، فجاء نقده جزئيا ناقصا ؛لم يبلغ ما فعله ابن تيمية في نقده لإلهيات الفلسفة اليونانية و منطقها ، فجاء نقده أسد و أشمل من عمل الغزالي .

و يستنتج مما أوردناه عن نقد علماء الحنابلة علم الكلام و الفلسفة–خلال القرنين:6–7هـ/12–13م– أنه وجد فيهم من درس علم الكلام وبرع فيه . وبعضهم انتقده بشدة و ذم أهله ، كابن عقيل ،و ابن الجوزي ،و الموفق بن قدامة ،و ابن تيمية ، الذين أخذوا على أهله تركهم لنصوص الوحي ، وخوضهم بعقولهم–المحدودة– في قضايا غيبية لا يدركونها ، مما أوقعهم في الحيرة و الضياع . و منهم جماعة درست الفلسفة و صنفت فيها كتبا ، لكن معظمهم تأثر بها تأثرا سلبيا و لم يتركوا لنا أثرا علميا في نقدها ، ما عدا ابن الجوزي ، و ابن تيمية اللذان انتقداها ،و أبديا رأييهما فيها ؛ مع العلم أن الثاني كان أكثر اطلاعا ،و عمقا ، و إبداعا في نقده للفلسفة .و الاثنان يعدان من كبار علماء الحنابلة الأحرار المتخصصين في نقد العلم و العلماء .

المبحث الثالث : في نقد التصوف وأهله

يعتبر علماء الحنابلة من أكثر علماء أهل السنة انتقادا للتصوف وأهله ، لأنهم ورثوا عن إمامهم موقفه المتشدد من الصوفية عندما ذم طريقتهم ،و حذر من صحبتهم[2] . و لما رأوه في سلوكهم من انحرافات كثيرة عن الشرع[3] .و من أشهرهم نقدا لهؤلاء ثلاثة ، هم : ابن عقيل نو ابن الجوزي ، و ابن تيمية .

أولا : نقد ابن عقيل للتصوف و الصوفية :

انتقد أبو الوفاء بن عقيل(ت513 هـ/1119م) ، الصوفية في منهاجهم و سلوكياتهم ، فمن ذلك أنه ذكر أن مما يسقط مشايخهم في عينيه ،هو أن أحدهم إذا خوطب بمقتض الشرع قال :عادتي كذا و كذا .يشير إلى طريقة قد قننها لنفسه تخرج عن سمت الشرع ؛فهو إذن مختلق طريقة ،وكل مختلق

---

[1] أبو حامد الغزالي : المنقذ من الضلال ص : 27 ، 28 .

[2] ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص : 189 .

[3] سنذكر بعضها فيما يأتي من هذا المبحث .

مبتدع ولو كان في ترك السنن ، لأن الاستمرار على تركها خذلان[1]. و أعاب عليهم كذلك تغيير أسماء بعض المحرمات ،و اطلاق عليها عبارات أخرى ، كقولهم في الاجتماع على الغناء : الأوقات ،و في المعشوقة :أخت ،و في المرأة المحبة :مريدة ،وفي الرقص و الضرب :الوجد ،وفي اللهوي والبطالة : رباط ،و هذا تحريف و تمويه غير مباح شرعا[2].

و قارنهم بالمتكلمين فإنتهى إلى أن أهل الكلام يفسدون عقائد الناس ،بتوهيمات شبهات العقول ،و الصوفية يفسدون الأعمال ،و يهدمون قوانين الأديان ،و يحبون البطالات و سماع الأصوات ,و ما كان السلف الصالح على ذلك المنهاج ،فقد كانوا في العقائد عبيد تسليم ،و في الأعمال أرباب جد[3].و فضل عليهم أي الصوفية المتكلمين الذين يزلون الشك ،أما هم فيوهمون التشبيه في مجال الصفات[4].وهو قد فضل عليهم المتكلمين لغلبة علم الكلام عليه لأن من طغى عليه النظر العقلي كان ذمه لمنحرفة العباد ،أكثر من ذمه لمنحرفة المتكلمين[5].

و اتخذ ابن عقيل موقفا حازما من دعوى الصوفية :يسلّم للشيخ حاله .فيرى أنها دعوى اتخذها مشايخ الصوفية للتسلطن بها على اتباعهم ،و دفعا للاعتراض عليهم .وإلاّ فإن الاعتراض مشروع على كلّ إنسان ، ألم ترى أن الصحاب– رضي الله عنهم –قد اعترضوا على النبيّ –عليه الصلاة و السلام – عندما أظهر لهم أشياء لم يفهموها يوم الحديبية .و حتى الملائكة تسألوا عندما قالوا لله تعالى : ((أتجعل فيها))–سورة البقرة/ 30– وقال موسى عليه السلام : ((أتهلكنا بما فعل السفهاء منا))[6]– سورة الأعراف –/155– .ثمّ أننا نجد شيخ رباط يخلوا بأمرد و يسمع منه أو من امرأة حرة الغناء ،و يأكل الحرام و يرقص ، ولا يسأل الفقهاء ،ولا يبني أمره على الشرع و يتصرف انطلاقا من وجدانه و واقعاته ، و يقول اتباعه : ((الشيخ يسلم إليه طريقته)) . ثم قرر ابن عقيل أنه لا طرقة مع الشريعة ولم يبق لأحد معها قول ،و ما جاءت هي إلاّ بهدم العوائد ،و نقض الطرائق ، و ((ما على الشريعة أضرّ من المتكلمين و المتصوفة))[7].و على العكس منه نجد الفقيه تاج الدين السبكي الشافعي يدعوا إلي

---

[1] ابن تيمية :درء تعارض العقل و النقل ج4 ص: 136.

[2] ابن الجوزي : تلبيس ابليس ص :391.

[3] نفس المصدر ص: 416.

[4] نفس المصدر ص :417.

[5] ابن تيمية :المصدر السابق ج4 ص :136 ، 137.

[6] ابن الجوزي : المصدر السابق ص :416

[7] ابن تيمية : المصدر السابق ج 4 ص :135.

الاعتقاد في الصوفية و التسليم لهم في أحوالهم و حسن الظن بهم ، و انتقد الفقهاء الذين يحكمون على ظاهر هؤلاء[1] .

وردا عليه أقول : إن الله -عز و جل- قد أوجب على كل مسلم الخضوع لشرعه، ((فلا و ربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم))-سورة النساء/65- و من ثم لا يحق للصوفية ن و لا لغيرهم من الناس أن يستثنوا أنفسهم من الخضوع للشرع و الاحتكام إليه .و أما انتقاده للفقهاء في حكمهم على الصوفية من خلال ظاهرهم ، فهم على صواب و هو على خطأ ، لأن الشريعة الإسلامية تحكم على الناس بناء على ظاهرهم ، و تترك بواطنهم لعلام الغيوب ، لذا كان الرسول-عليه الصلاة و السلام- يعامل المنافقين معاملة المسلمين ، و هو يعلم ما يكنونه في صدورهم من كفر و نفاق و خداع[2] . لذا فإني أوافق ابن عقيل في اعتراضه على الصوفية ،،و رده عليهم في دعوى: تسليم للشيخ حاله . لأن حجته في ذلك قوية دامغة .

و أوجب ابن عقيل ذمهم-أي الصوفية- و وصفهم بأنهم : زنادقة في زي عباد شرهين ،و مشبهة خلعاء . لأفعالهم المنكرة المخالفة للشرع ، فهم يحبون البطالات و الاجتماع على الملذات، و ويعتمدون على بواطنهم و يتكلمون كالكهان ،و يقول أحدهم: ((قال لي قلبي عن ربي))[3]. و يستميلون المردان و النسوان بإلباسهم خرقة التصوف و جمعهم في السماعات . كما أنهم يفسدون قلوب النساء على أزواجهم ،و يقبلون طعام الظلمة و الفساق ، ولا عمل لهم في أربطتهم إلا الأكل و الرقص و الغناء، مع تمزيق الثياب ،و الصعق و الزعق و التماوت ، و تحريك الطباع و الرعونات بالأسجاع و الألحان[4] .

ثانيا: نقد ابن الجوزي للتصوف و الصوفية:

اشتد الفقيه عبد الرحمن بن الجوزي (ت597 هـ/1200م) في انتقاد الصوفية ،و خصص لذمهم و انتقاد مذهبهم قسما كبيرا من كتابيه : تلبيس إبليس ، و صيد الخاطر . فمن ذلك أنه أعاب عليهم تركهم للعلم و تنفير الناس منه ، و اقتصار بعضهم على القليل منه ن بدعوى الاكتفاء بعلم

[1] السبكي : معيد النعم ص : 88 .
[2] انظر : ابن هشام : المصدر السابق ص : 151 ، 184 .
[3] ابن تيمية : المصدر السابق ج 4 ص : 134 ، 135 .
[4] ابن الجوزي : المصدر السابق ص : 415 .و ابن مفلح : المصدر السابق ج 2 ص : 333 ، 334 .

الباطن ، و لا حاجة للوسائط ، و إنما هو: قلب و رب[1] . لذلك انحرف أكثرهم في عباداتهم ،و قلت علومهم، و تكلموا في الشرع بآرائهم الفاسدة ، فإذا أسندوا فإلى حديث ضعيف أو موضوع ، أو يكونوا فهمهم منه رديئا ؛ و إذا خاضوا في التفسير كان غالب كلامهم خطأ و هذيانا.و لجهلهم بالشرع و ابتداعهم بالرأي ابتكروا مذهبا زينه لهم هواهم ، ثم تطلبوا له الدليل من الشرع ، فاستدلوا بآيات لم يفهمونها ،و بأحاديث لها أسباب و جمهورها لا يثبت[2] .

و عن موقف الصوفية من العقل و النقل ،و اعتزازهم بمذهبهم نقل ابن الجوزي عن الصوفي عبد الكريم القشيري(ت465 هـ/1072م) قوله: ((حجج الصوفية أظهر من حجج كل أحد ، و قواعد مذهبهم أقوى من قواعد كل مذهب ، لأن الناس إما أصحاب نقل وأثر ، وإما أرباب عقل و فكر ، وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة ، و الذي للناس غيب فلهم ظهور ، فهم أهل الوصال ،و الناس أهل الاستدلال)) ثم عقب عليه ابن الجوزي بقوله: ((من له أدنى فهم يعرف أن هذا الكلام تخليط ، فإن من خرج عن النقل و العقل فليس بمعدود في الناس ،و ليس أحد من الخلق إلا و هو مستدل .و ذكر الوصال حديث فارغ ، فنسأل الله العصمة من تخليط المريدين و الأشياخ))[3] . و ما قاله القشيري خطير جدا ينتهي بمن يأخذ به إلى إبعاد الشرع ،و تعطيل العقل ، ليعبد الله -بعد ذلك- على هواه ، فلا يفرق بين الحلال و الحرام ،و لا بين ما يجب لله ما لا يجب له ، فيضل و يضل و يصدق عليه قوله تعالى: ((ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله))-سورة القصص/50- .

و أعاب على مشايخهم تكلمهم في القرآن الكريم بغير علم ،و قولهم فيه خلاف أقوال المفسرين، فذكر أن الصوفي أبا عبد الرحمن السلمي(ت412 هـ/1021م) صنف تفسيرا[4] جمع فيه أقوالا لهم أكثرها هذيان . منها أن الصوفي أبا القاسم بن محمد الجنيد البغدادي(ت298 هـ/910م) فسر قوله تعالى: ((سنقرئك فلا تنسى))-سورة الأعلى / 6- بمعنى لا تنس العمل به .و فسر قوله تعالى: ((و درسوا ما فيه))-سورة الأعراف/169- بتركوا العمل به . وهذان التفسيران عند ابن الجوزي غير صحيحين ظاهرين الغلط ، فقوله في الآية الأولى ، هو خلاف إجماع العلماء ،

---

[1] ابن الجوزي : نفس المصدر ص : 359 .و صيد الخاطر ص : 339 .

[2] نفس المصدر ص : 240 ، 371 و ما بعدها .و نفسه ص : 25 ، 27 ، 412 .

[3] ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص : 246 .

[4] سماه حقائق التفسير ، قال عنه الذهبي : ((أتى فيه بمصائب و تأويلات الباطنية)) ،و نقل عن الخطيب البغدادي ، أن عبد الرحمن السلمي غير ثقة ،كان يضع الأحاديث للصوفية . الذهبي : تذكرة الحفاظ ج 3 ص : 1046 .

إذ فسرها على أن فيها نهي ، و الصحيح إنما هو خبر لا نهي و تقديره : فما تنسى–أي فيها نهي– و لو كان نهيا لجزم الفعل .و أما قوله في الآية الثانية بأن معناها: تركوا العمل به ن فهو خطأ ، لأن معناها الدرس الذي هو التلاوة ، من قوله تعالى: ((بما كنتم تدرسون))–سورة آل عمران /79–، لا من دروس الشيء الذي هو هلاكه[1] . ثم ختم ابن الجوزي تعقيباته على تفسيراتهم بقوله: ((و إنما العجب من هؤلاء –و كانوا يتورعون من الكلمة و اللقمة– كيف انبسطوا في تفسير القرآن الكريم إلى ما هذا حده))[2] .

و أشار ابن الجوزي إلى أن كبار مؤلفي الصوفية كالحارث بن أسد المحاسبي البغدادي (ت 243 هـ/857م) ،و أبـي نعـيم أحمـد الصـفهاني(ت430 هـ/1038م) ،و أبـي حامـد الغزالي(ت505 هـ/1111م)، جمعوا في مصنفاتهم الأكاذيب ، و الاعتقادات الباطلة ، والكلام المرذول ، و ملؤوها بالأحاديث غير الصحيحة و الدقائق القبيحة، و أمروا فيها بأشياء مخالفة للشريعة ، و لم يستندوا فيها على أصل ، وغنما هي واقعات تلقفها بعضهم عن بعض ، ثم دونوها و سموها علم الباطن[3] .

و انتقدهم في بعض سلوكياتهم داخل الأربطة ، فمنها أنهم أخلدوا فيها إلى البطالة ،و أراحوا أنفسهم من طلب الرزق و إعادة العلم ، و لا صلاة نافلة و لا قيام ليل . و إنما أكثر همهم التظاهر بالمرقعات و طلب الملذات ،و سماع الأغاني من المردان ،و المبالغة في المأكول و المشروب[4] . ثم قارنهم ابن الجوزي بمتقدميهم ، فقال: إن أولئك قد لبس عليهم الشيطان بتقليل الطعام ،و عدم شرب الماء البارد ؛و أما المتأخرون فقد لبس عليهم بكثرة الأكل و رفاهية العيش ،و استراح هو من التعب و اشتغل بالتعجب منهم [5] .

و أخذ ابن الجوزي على بعض مشايخ الصوفية الأوائل دعوتهم إلى الجوع و تقليل الطعام ،و مجاهدة النفس بترك مباحاتها . و نبه إلى أن اتباع الشرع و ما كان عليه الصحابة أولى من اتباع هؤلاء ، و أن النفس مطية ، على الإنسان أن يرفق بها ليصل إلى مقصوده ، فيعطيها ما يصلحها و

---

[1] ابن الجوزي : المصدر السابق ص : 370 .

[2] نفس المصدر ص : 374 :

[3] ابن الجوزي : المصدر السابق ص : 186 و ما بعدها .و صيد الخاطر ص : 470 .

[4] ابن الجوزي : صيد الخاطر ص : 338 ، 411 .

[5] ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص : 232 .

يمنعها ما يضرها ،و الحسم في حاجة ماسة إلى مختلف أنواع الغذاء [1] . وقوله هذا صحيح لأن الاعتدال في الأكل هو المطلوب ، فلا إفراط و لا تفريط ، لقوله تعالى: ((كلوا و اشربوا ولا تسرفوا))-سورة الأعراف/31-،و لأن الجسم يتضرر من كثرة الأكل ، كما يتضرر من قلته .و قد روي أن الصوفي أبا محمد بن شكر اليونيني البعلي(ت647 هـ/1249م) داوم على خشونة العيش ،و كثرة الجوع و المجاهدة ن فحصل له يبس أفسد مزاجه و أورثه تخيلات ، فتارة يتخيل أن جماعة تريد اغتياله ،و تارة يتوهم أنه اطلع على أماكن فيها كنوز و أموال كثيرة [2] .

و انتقدهم كذلك في تميزهم بلباس الفوط المرقعات و تظاهرهم بها ، و هو أمر مكروه و ليس من الشريعة لعدة و جوه ، منها : أنهم لبسوها من غير فقر ،و لم يلبس السلف الثياب المرقعات إلا ضرورة . و أنهم ادعوا الفقر و قد أمرنا بإظهار نعم الله علينا .و أنهم أظهروا الزهد-الذي قد يورث فيهم الكبر- و المطلوب منهم ستره[3] .و في ذلك يروى أن عالما قال لجماعة من أصحاب المرقعات : ((إخواني إن كان لباسكم موافقا لسرائركم ، لقد أحببتم أن يطلع الناس عليها ،و إن كانت مخالفة لسرائركم ، فقد هلكتم و رب الكعبة))[4] .و في حرصهم على ارتداء الخرق المرقعات ، أشار ابن الجوزي إلى أنهم اختلقوا حديثا في لبسها[5] ، له إسناد متصل كله كذب و محال[6] .

و يلاحظ على هؤلاء القوم أنهم بقدر حرصهم على التظاهر بالاهتمام بتطهير النفوس من أمراضها ،و ترويضها على الصبر و القناعة بالقليل، فإنهم من جهة أخرى تبدوا عليهم جليا مظاهر الكبر و التعالي ، و الاهتمام بالشكليات . فيدعون أنهم أرباب القلوب و البواطن و الوصال ، و يزدرون أصحاب العقل و النقل ، و يحرصون على التميز عن الناس بلباس صوفي مرقع . أوليس من الأحسن لقلوبهم و أخلاقهم ، ستر أحوالهم و عدم التميز عن غيرهم بالمرقعات ؟ ! .

و أشير هنا إلى أن المظاهر السلبية التي ذكرها ابن الجوزي عن الصوفية ، قد وجدت قبل زمانه و استمرت إلى ما بعده . فمن ذلك أن حجة الإسلام أبا حامد الغزالي505 هـ/1111م) ، روى أنه لما شاعت دعاوى الصوفية العريضة بين العوام ، كالعشق و المشاهدة ، وارتفاع الحجاب ، و الوصال المغني عن الأعمال الظاهرة ، ترك أناس أعمالهم اليومية و تصوفوا ، و أظهروا تلك الدعاوى و استلذوا

---

[1] نفس المصدر ص : 172 ، 173 ن 240 .

[2] اليونيني : ذيل مرآة الزمان ج 3 ص : 135 .

[3] ابن الجوزي :صيد الخاطر ص : 338 .و تلبيس إبليس ص : 214 .

[4] ابن الجوزي : تلبيس ص : 215 .

[5] عن هذا الحديث أنظر المبحث الثاني من الفصل السادس .

[6] ابن الجوزي : نفس المصدر ص : 216 .

مناخ البطالة[1] . و روى الفقيه تاج الدين السبكي(ت 771هـ/1369م) أن الصوفية في عصره قد كثر عددهم ن واتخذوا الخوانق طريقا للدنيا ، فارتدوا لباس الزور ،و أكلوا الحشيش-المخدر- ،و انهمكوا في طلب الملذات ن حتى قيل فيهم : ((أكلة بطلة سطلة ، لا شغل و لا مشغلة)) ،و قيل كذلك: ((نعوذ بالله من العقرب و الفار ، ومن الصوفي إذا عرف الدار))[2] .

و لم يكتف ابن الجوزي بانتقاد عوام الصوفية و ذمهم ، بل انتقد كذلك خواصهم و أعلامهم ، كأبي حامد الغزالي ،و محمد بن طاهر المقدسي(ت507 هـ/1113م) ،و عبد القادر الجيلاني(ت 561 هـ/1165م) . ففيما يخص الغزالي فذكر عنه أنه خالط الصوفية ،و أخذ بنصائحهم ، ونظر في كتب قدمائهم ، فاجتذبه ذلك كلية[3] و أبعده عن قانون الفقه . ثم تعجب منه كيف نزل من رتبة الفقيه إلى رتبة الصوفي ؟ ! حتى أنه-أي الغزالي- قال: لا ينبغي للمريد إذا تاقت نفسه للجماع ، أن يأكل و يجامع ، فيعطيها شهوتين فتقوى عليه . و هذا-في نظر ابن الجوزي- مخالف للسنة ، فقد جمع النبي-عليه الصلاة و السلام- في مأكله شهوتين ، فأكل القثاء[4] بالرطب ، وطاف على نسائه بغسل واحد . فهلا اقتصر على شهوة واحدة [5] .

و تعجب منه في سلبيته تجاه الصوفية و أخذه بنصائحهم المخالفة للفقه ، مع معرفته و فهمة . فمن ذلك أنه أخذ بنصيحة أحد كبار الصوفية أمره فيها بترك المواظبة على تلاوة القرآن الكريم ،و أن لا يلتفت قلبه إلى أهل و ولد ،و لا إلى مال و علم ، و يتفرغ لقول: الله ، الله ،و يواظب عليه حتى يفتح بما فتح على الأنبياء و الأولياء[6] . ثم قال عنه أنه باع الفقه بالتصوف بأرخص الأثمان ، عندما ذكر أشياء تخالف الشريعة و لم ينكرها ، بل حكاها و استحسنها كوسيلة للتربية و التعليم ، منها أنه روى أن بعض الشيوخ عن القيام في الليل ، فلزم نفسه القيام على رأسه طول الليل لتطاوعه على القيام . و حكى أن عابدا كان شديد الحب للمال ، فعالج نفسه بأن باع كل ما يملك ، ورمي بالمال في البحر ، ولم يفرقه على الناس خوفا على نفسه من الرياء ، و رعونة النفس[7] . و إقدامهما على هذين الفعلين منكر مخالف للشريعة ، فهي قد نهت عن إضاعة المال و إذاء الجسم ، فالقيام على الرأس

---

[1] أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين ج 1 ص : 61 .

[2] السبكي : معيد النعم ص : 125 .

[3] انتقل الغزالي إلى التصوف في سنة 486 هـ/1093م . أبو بكر بن العربي : المصدر السابق ج 2 ص : 30 .

[4] القثاء ، هو ثمرة يشبه الفقوس . علي بن هادية : المرجع السابق ص : 815 .

[5] ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص : 240 .

[6] ابن الجوزي : صيد الخاطر ص : 344 .

[7] ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص : 394 .

يؤدي إلى انعكاس الدم إليه ، وهذا يضر بالإنسان و يسبب له أمراضا[1] . كما أن تصرف هذين الرجلين دافعه–على ما يبدو– الجهل أو حب المحمدة ، أو كلاهما معا . فالذي جمع ماله–مثلا– و رماه في البحر خزفا من الرياء ، كان في مقدوره البحث عن و سيلة أخري يربي بهتا نفسه و لا يضيع بها ماله ، و إن أصر على التخلص منه ، فليخرج به ليلا أو باكرا –في وقت لا يراه فيه الناس– و يتركه في أي طريق ، ليأخذه الناس ، أحسن له من أن يرميه في البحر .

و أما محمد بن طاهر المقدسي ، فذكر عنه عبد الرحمن بن الجوزي أنه صنف كتابا في التصوف ، يضحك ((من يراه ،و يعجب من استشهاده على مذاهب الصوفية بالأحاديث التي لا تناسب ما يحتج له من نصرة الصوفية))[2] . و روى عنه أنه كان يقول بمذهب الإباحية في النظر إلى المردان ؛ وله قصيدة فيها التحلل من الشريعة ، و مدح النصارى[3] .و حكي عنه أنه قال : من سنن الصوفية التي ينفردون بها ،و ينتسبون إليها ، صلاة ركعتين بعد ارتداء الخرقة و التوبة ، واحتج على ذلك بحديث الصحابي ثمامة بن آثال فإنه عندما أسلم أمره الرسول–صلى الله عليه وسلم– بالاغتسال . ثم عقب عليه بقوله: إن ما ذهب إليه ابن طاهر هو من أقبح الجهل ، لأن ثمامة كان كافرا فأسلم ، فوجب عليه الغسل ؛ و ليس في الخبر صلاة ركعتين فيقاس عليها ، و لا قال بها العلماء ،فهذا ابتداع لا سنة . و من أقبح الأشياء قوله أن الصوفية ينفردون بسنن ، فهي و إن كانت من الشرع فالمسلمون كلهم مطالبون بها ، وإن لم تكن منه فهم الذين اخترعوها[4] .

ثم أشار ابن الجوزي إلى أن العلماء الذين مدحوا ابن طاهر المقدسي، إنما أثنوا عليه لأجل حفظه للحديث ، وإلا فالجرح أولى به . وتعجب من الحافظ أبي سعد عبد الكريم السمعاني(ت563 هـ/1167م) من انتصاره لابن طاهر بلا شيء ، إلا قوله: ((لعله تاب))[5] . لكن المحدث محمد بن عبد الهادي المقدسي(ت744 هـ/1343م) أنكر أن يكون ابن طاهر يقول بالإباحة المطلقة ، لأنه من أهل الحديث المعظمين للآثار ، لكنه أخطأ في إباحة السماع و النظر للمرد[6] .

---

[1] ابن الجوزي : المصدر السابق ص : 395 .

[2] ابن الجوزي : المنتظم ج 9 ص : 178 .

[3] نفسه ج 9 ص : 178 . و الذهبي : تاريخ الإسلام ج : 501-520هـ/ ص : 174 .

[4] ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص : 198 .

[5] ابن الجوزي : المنتظم ج 9 ص : 178 .

[6] محمد بن عبد الهادي : طبقات علماء الحديث ج 4 ص : 16 .

و آخرهم الشيخ عبد القادر الجيلاني ، لم يكن على وفاق مع ابن الجوزي ، فقد روى أن هذا الأخير كان يغض من قدره و لا ينصفه ، و صنف كتابا في ذمه ، نقم فيه عليه أشياء كثيرة[1] . لكنني لم أعثر لابن الجوزي على أي نقد أو ذم صريحين لعبد القادر الجيلاني ؛و إن كان يوجد ما يوحي إلى أنه لم يكن على علاقة حسنة معه . فمن ذلك أنه ترجم له في كتابيه : مناقب الإمام أحمد ، و المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ، فلم يمدحه و لم يقدح فيه ،و لم يترحم عليه ،و سماه : عبد القادر ، دون عبارة أخرى تدل على مكانته ، كالشيخ ، و الفقيه ، و العالم ، و جاءت ترجمته في ثمانية أسطر و كلمات[2] . و في هذا يقول المؤرخ الذهبي : ((و لم تسع مرارة ابن الجوزي بأن يترجمه بأكثر من هذا ، لما في قلبه له من البغض ، نعوذ بالله من الهوى))[3] .و هو -أي ابن الجوزي- و إن لم يتوسع في معظم تراجم عصره -الذين ذكرهم في تاريخه- فقد كان في إمكانه أن يذكر للشيخ الجيلاني ترجمة حافلة ، مرصعة بجواهر كلامه الوعظي ، لكنه لم يفعل ذلك ؛ في حين ترجم لأبي الوفاء بن عقيل في ثلاث صفحات ،و للوزير ابن هبيرة في نحو أربع صفحات[4] .

فمها هي أسباب تنافر الرجلين و هما حنبليان بغداديان يجمعهما مذهب واحد ، أصولا و فروعا ؟ يبدو لي أن أهمها سببان ، الأول هو التصوف ، فإنه قد فرق بينهما ، فالجيلاني قطب من أقطاب الصوفية ، و ابن الجوزي من كبار العلماء المنتقدين للتصوف و الناقمين على أتباعه ، لذا قيل أنه أنكر على الجيلاني تصرفات صدرت منه في كتابه الذي ذمه فيه .و الثاني هو الحسد ، فيبدو أن ابن الجوزي كان يحسد الشيخ عبد القادر و ينافسه ، لما له من جاه في بغداد و خارجها ، مما دفعه إلى بغضه و عدم إنصافه . وهذا لا يليق بعالم مثله ، و الجيلاني ليس من أقرانه ، فهو بمثابة والده إذ يكبره بأكثر من خمس و ثلاثين سنة[5] .

و عن سبب اشتداد ابن الجوزي في نقد الصوفية ،يرى الحافظ ابن رجب الحنبلي أنه لما كان ابن الجوزي عظيم الخبرة بأحوال السلف الأول ،و لما له من حظ من أذواق الصوفية و مشاركتهم في بعض معارفهم ، اصبح لا يعذر المشايخ المتأخرين ، في مخالفتهم لطريق المتقدمين ، ويشتد في الإنكار عليهم . و من ساق المتأخرين مساق الأوائل و طالبهم بسيرتهم في العلم و العمل ، و الورع و كمال الخشية ، فلا ريب أنه يزدري المتأخرين ، و يمقتهم و يهضم حقوقهم ، فالأولى تنزيل الناس

[1] الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 21 ص : 376 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 295 .

[2] ابن الجوزي : المصدر السابق ج 10 ص : 219 . و مناقب الإمام أحمد ص : 531 .

[3] الذهبي : تاريخ الإسلام ج : 561-570هـ/ ص : 89 .

[4] انظر : ابن الجوزي : المنتظم ج 9 ص : 212 و ما بعدها .و 214 و ما بعدها .

[5] و لد الجيلاني في سنة 471 هـ/ 1078م و ابن الجوزي و لد ما بين سنتي 507-510 هـ/1113-1116م . ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 299 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص : 329 .

منازلهم ،و توفيتهم حقوقهم ، و معرفة مكانتهم ن و إقامة معاذيرهم[1] . وهذه مبالغة في تبرير سلوكيات هؤلاء و الاعتذار لهم ؛ لأن ابن عقيل و ابن الجوزي –مثلا– قد أنكرا عليهم تصرفات كثيرة –سبق ذكرها– مناقضة للشرع ، و ليس لهم فيها عذر مقبول ، إلا الانحراف و اتباع الهوى ، و الجهل بالشرع .

و أما الباحث زكي مبارك فقد علق على انتقادات ابن الجوزي للصوفية ، بقوله: ((و قد شغل ابن الجوزي نفسه بتعقب الصوفية ، فنقل عنهم حكايات غريبة ؛ و علق عليها تعليقات تدل على بصر بدقائق علم النفس و الأخلاق))[2] و ((قد أطلنا الاقتباس من ابن الجوزي لأن الصفحات التي كتبها في هذا الموضوع ن من خير ما قرأنا في الدرسات النفسية و الخلقية ، لأنها تصور ما كان يعرض للصوفية من الحيرة المطبقة ، في تفهم مسالك الرشد و الغي ، ومعالم الهدى و الضلال))[3] ، ثم انتقل إلى التعريض بابن الجوزي فقال: ((و من الذي يضمن أن بكون ابن الجوزي صادقا في كل ما كتب عن مغامز الصوفية)) ،و ((أي مظهر للجبن و أقبح و أبشع أن تصنف الكتب الطوال العراض في مثالب الصوفية ، على حين يترك الملوك الظالمون في العصور الماضية ، بلا رقيب و لا حسيب ؟ و ما وضع ابن الجوزي و أمثاله في نقد الاستبداد ،و كان يعيش في عصر لا تحترم فيه ملكية ،و لا تحتفظ حقوق ؟ أين ما كتب هؤلاء المتفيهقون في الفساد الخلقي و الاجتماعي ، الذي كان يندلع لهيبه من قصور الوزراء و الأمراء))[4] .

وأقول–ردا عليه– : إنه بالغ في تعظيم الأمر و نفخه ،لأن ابن الجوزي لم يخص الصوفية بالانتقاد دون غيرهم من الطوائف ، فقد انتقد المتكلمينو الفلاسفة ، و الشيعة و الخوارج ، و الفقهاء و الوعاظ ، و الولاة و السلاطين ، و القراء و عامة الناس [5] .و لم يكن ساكتا عن كل ما يجري في مجتمعه ، فكثيرا ما كان في مجالسه الوعظية ن يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر ، ويحذر الناس و الأمراء و الأعيان من مغبة الظلم ، و الانحراف عن الشرع[6] .و كان أبو الوفاء بن عقيل ينكر على الصوفية و رجال الدولة على حد سواء ، وله إلى بعضهم رسائل تحذير و انتقاد[7] . و للفقيه أبي الفضل بن أحمد

---

[1] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 295 .

[2] زكي مبارك : التصوف الإسلامي في الأدب و الأخلاق ، بيروت المكتبة العصرية ،ج 2 ص : 195 .

[3] نفس المرجع ج 2 ص : 198-199 .

[4] نفس المرجع ج 2 ص : 202 ، 204-205 .

[5] انظر : تلبيس إبليس ص : 49 و ما بعدها .

[6] انظر : المنتظم : ج 10 ص : 263 ، 264 ، 265 ، 276 ، 270 ، 272 ، . ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 407 ، 408 ، 409 ، و ما بعدها .

[7] انظر : ابن الجوزي : نفس المصدر ج 9 ص : 86 .

العلثي الحنبلي (ت643 هـ/1236م) مواقف شجاعة في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، على الخليفة ومن دونه من المسؤولين ، و الفقهاء و الصوفية ، فتعرض للمضايقات ، ودخل السجن[1] . كما أنة كثيرا من الصوفية كانوا طرفا في اللعبة السياسية ، لأن معظم أربطتهم بناها لهم الخلفاء و السلاطين و الأمراء ، و أوقفوا عليها أوقافا كثيرة تضمن لهم فيها العيش الرغيد ، و شجعوهم على مجالس الغناء[2]؛ مقابل الولاء و الدعاء لهم بتخليد الملك و استمرار المدد .

كما أن ابن الجوزي لم ينفرد بانتقاد الصوفية و ذمهم ، فقد انتقدهم ابن عقيل ، و أبو حامد الغزالي ، وتاج الدين السبكي[3] ، وقال عنهم الأديب كمال الدين بن جعفر الأدفوي الشافعي(ت748 هـ/1347م): إن الغفلة و الجهل فيهم كثير،و أن بعضهم ينكر بداهة العقول ،و يؤمن باجتماع النقيضين لفرط جهلهم [4] .و أنكر على طائفة منهم حضور مجالس الغناء بالشبابات و الدفوف ، مع الرجال و النساء ، و الشباب و المردان ، و وصف أفعالهم هذه بأنها بدع فظيعة شنيعة [5] .

ثالثا : نقد ابن تيمية للتصوف وأهله :

انتقد شيخ الإسلام بن تيمية الصوفية في منهاجهم الصوفي ، فهم-في نظره- قد عظموا الإرادة القلبية و ذموا الهوى ، و أهملوا النظر العقلي . ثم كثيرا منهم لم يميز بين الإرادة الشرعية الموافقة للكتاب و السنة ، و بين الإرادة البدعية المخالفة لهما ز فهم على عكس المتكلمين الذين عظموا النظر ، واعرضوا عن الإرادة القلبية ، لكنهم مثل الصوفية في عدم الاعتصام بما جاء به الرسول-عليه الصلاة و السلام- . لكنه اعترف بأن في طريق الصوفية أمورا محمودة في الشرع ، قد لا يعرفها منتقدوهم من المتكلمين[6] .

و أشار إلى أن من أخطاء الصوفية أنه تقع لهم في بواطنهم أشياء ، فيظنون أنها في الخارج ؛ فمن ذلك أن جماعة منهم عندما يغلب عليهم الذكر و المحبة و المعرفة ، و ينعكس ذلك على قلوبهم و يحصل لهم ذوق و استغراق ، يظنون أن ما يجدونه في باطنهم أمرا مشهودا بعيونهم ، فيدعون أنهم يرون الله تعالى بأبصارهم ، و هذا غلط و ضلال ، لأن أهل السنة متفقون على أن الله لا يراه أحد

---

[1] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 205 .

[2] عن ذلك انظر : مبحث الأربطة و الزوايا من الفصل الثاني .

[3] سبق ذكر أقوالهم

[4] الأدفوي : الطالع السعيد ص : 133 ، 653 .

[5] نفس المصدر ص : 724 .

[6] ابن تيمية : درء تعرض العقل و النقل ج 4 ص : 136-137 .

بعينيه في الدنيا ، لما رواه مسلم من أن النبي –عليه الصلاة و السلام– قال : ((و اعلموا أن أحدا منكم لن ير ربه حتى يموت))[1] .

و انتقدهم في بعض سلوكياتهم ، منها أن طائفة منهم تدعي أن أكل الحشيشة المخدرة تنشط على أداء الصلوات و تعين على استنباط العلوم و تصفية الذهن . حتى أنهم يسمونها معدن الفكر و الذكر ،و محركة الغرام الساكن .و هذا كله من خدع النفس و مكر الشيطان بهؤلاء لأن تلك الحشيشة هي عمى للذهن ،تجعل آكلها أبكما مجنونا لا يعي ما يقول [2]. و منها أنهم يروون احاديث في السماعي عن النبي –عليه الصلاة و السلام – ليست صحيحة ،بل هي باطلة موضوعة باتفاق أهل العلم كقولهم أنه–عليه الصلاة والسلام–:تواجد حتى سقطت بردته و أنه مزق ثوبه ،و أخذ جبريل بعضه و صعد به إلى السماء[3].

و أعاب ابن تيمية على أبي حامد الغزالي تقسيمه للذكر إلى ثلاثة مراتب ،الأولى : قول العامة لا اله إلاّ الله . و الثانية : قول الخاصة الله ، الله . و الثالثة : قول خاصة الخاصة ، هو ،هو .و بدّعه في ذلك لأن الذكر المفرد : الله ،الله و المضمر : هو ، هو بدعة في الشرع ،و خطأ في القول و اللغة . لأن الاسم المفرد ليس هو كلاما ، ولا إيمانا ، ولا كفرا .و المضمر ليس بمشروع ،ولا هو بكلام يعقل ،ولا فيه إيمان ،و هو معارض للشرع . لأنه قد ثبت في الصحيح أن النبي -صلى الله عليه و سلم- قال : ((أفضل الذكر بعد القرآن وهي من القرآن : سبحان الله و الحمد لله ، ولا إله إلاّ اللّه ،و الله أكبر)) و في حديث آخر : ((أفضل الذكر لا اله إلاّ اللّه))[4].

و كفّر ابن تيمية كبار الصوفية الإتحاديين القائلين بوحدة الوجود كعمر بن الفارض المصر (ت 632 هـ /1234 م، و محي الدين بن عربي الطائي الأندلسي (ت 638 هـ/ 1240 م)و قطب الدين بن سبعين الإشبيلي (ت 669 هـ/ 1270 م ،و عفيف الدين التلمساني (ت 690 هـ/ 1291 م) ،و عدهم من ملاحدة الإتحادية و جعل كفرهم أظم من كفر اليهود و النصارى .و ابن عربي مع كونه كافر فهو أقرب الإتحاديين إلى الإسلام ،لما يوجد في أقواله كثير من الكلام الجيد ،و لأنه لا يثبت على الاتحاد ثبات غيره ،بل هو كثير الاضطراب فيه ،و الله اعلم بما مات عليه[5].و ذكر ابن تيمية أن الشيخ العز بن عبد السلام كان قد كفر ابن عربي لقوله بقدم العالم ، فبل أن يظهر قوله

---

[1] ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج 5 ص : 490 .

[2] ابن تيمية : التفسير الكبير ج 4 ص: 150.

[3] ابن تيمية : منهاج السنة ج 4 ص :116. و خلاف الأمة ص :117 . 118.

[4] ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج 10 ص :396 .

[5] نفس المصدر ج 2 ص :143 .

بوحدة الوجود ، من أن العالم هو الله ، و صورة له ؛ و هذا أعظم من كفر القائلين بأزلية الكون. و حكى-أي ابن تيمية- عن نفسه أنه كان ممن يحسن الظن بابن عربي و يعظمه ، لما في كتبه من فوائد ، كما في الفتوحات المكية ، و الدرة الفاخرة . لكنه غير رأيه فيه عندما اطلع على كتابه فصوص الحكم و نحوه ، لما فيه من الكفر الباطن و الظاهر ، وباطنه أقبح من ظاهره ،و هو يمثل مذهب و حدة الوجود [1] .

و يستنتج مما ذكرناه عن نقد علماء الحنابلة للتصوف وأهله-خلال القرنين:6-7هـ/12-13م- أنهم وجهوا لهم انتقادات مست منهاجهم و سلوكياتهم ، فانتقدوهم في أنهم أقاموا منهجهم على أساس من العاطفة و الإرادة القلبية ، و لم يلتزموا بالشرع في تأسيسه و تقويمه ، ولم يعطوا للعقل مكانته . و في سلوكياتهم أنكروا عليهم كثرة المظاهر السلبية المنتشرة بينهم ، و المخالفة للشرع ؛ الأمر الذي فتح مجالا واسعا لكبار علماء الحنابلة ، من انتقادهم ، و التشهير بهم ، كما فعل ابن عقيل ،و ابن الجوزي ،و ابن تيمية ، و هي مجهودات تصب كلها في تيار نشاطهم العلمي النقدي ، الذي مس مختلف العلوم النقلية و العقلية و الأدبية .

المبحث الرابع : نقد ابن الخشاب لمقامات الحريري الأدبية

صنف الأديب أبو محمد القاسم بن علي الحريري البصري(ت 516هـ/1222م)خمسين مقامة[2] ، أولها المقامة الصنعانية ،و آخرها البصرة[3] . سار فيها على طريقة منشئ المقامات بديع الزمن الهمذاني(ت398 هـ/1007م) ، فنالت إعجاب أدباء عصره ، وشهدوا لمصنفها بالبراعة الفائقة في الصياغة اللفظية ؛ لكن الأديب أبا محمد ابن الخشاب البغدادي الحنبلي(ت567 هـ/1171م) كان في مقدمة الناقدين له ، و ردّ عليه في كتابه : الاعتراض على الحريري ، فجاء النحوي عبد الله بن بري المصري(ت582 هـ/1186م) ، و انتصر للحريري ، من ابن الخشاب ، في مصنفه : الانتصار للحريري . فما هي انتقادات ابن الخشاب ؟ و ما هي ردود ابن بري عليها ؟ .

أولا: انتقادات ابن الخشاب لمقامات الحريري و رد ابن بري عليها:

---

[1] نفس المصدر ج 2 ص " 131 ، 464 ، 465 .

[2] المقامة لغة اسم للمجلس و الجماعة من الناس ، وسميت الأحدوثة من الكلام مقامة . ثم تطور مدلولها حتى صار مصطلحا يطلق على حكاية أو أقصوصة ن لها أبطال معينون و خصائص أدبية ثابتة ، ومقومات فنية معروفة ، و بمعنى آخر هي نوع من الحكايات القصيرة المسجوعة ، مطرزة بالمفردات اللغوية ، و متضمنة للأمثال و الحكم ، يرويها واضعها على لسان أحد الناس ، بطلها في الغالب رجل ذكي ، احكم الحيلة ، و قصر همه على الاستجداء . عبد المالك مرتاض : فن المقامات في الأدب العربي ، ط2 الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1988 ، ص : 9 ، 12 .و احمد احمد بدوي : أسس النقد الأدبي عند العرب ، ط 3 مصر ، مكتبة نهضة مصر 1964 ، ص : 583 .و داود حفني : الآداب الإقليمية في العصر العباسي الثاني ، الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية ، 1980 ، ص : 55 .

[3] الحريري : المقامات الحريرية ، الجزائر ، موفم للنشر ، 1989 ، ج 1 ص : 15 ، ج 2 ص : 383 .

انتقد أبو محمد بن الخشاب(ت567 هـ/1171م) ، أبا محمد بن الحريري في أكثر من تسعة و خمسين موضعا من مقاماته، و عدّ ذلك قليلا مقابل كثرة صوابه ، و الكامل من عدت سقطاته ،و الفاضل من أحصيتُ هفواته[1] . و تعجب من أهل اللغة و الأدب في بغداد ، من أنهم عندما قرأ عليهم ابن الحريري مقاماته في سنة504 هـ/1110م ، لام يتعلقوا عليه فيها إلا بلفظة واحدة نازعوه فيها ،و خرجوا معه على السواء ، لأنها وقعت في كتب الأدب على خلاف فيها ، هي: ((النهار فرخ الحبارى))[2] و ((الليل فرخ الكروان))[3] ،و هذا هو المشهور و في بعض مصنفات اللغة أن الليل هو كذلك : فرخ الحبارى .[4] ثم أشار ابن الخشاب إلى أن الحريري أمضى وقتا طويلا من عمره في اختيار ألفاظه ، خطف أكثرها من جوامع يدل وصوله إليها على براعته ، لكنه لم يكن مدفوعا عن فطنة ثاقبة ، وغريزة في التلفيق مطاوعة مجاوبة، كما أنه أخذ مواضع من غيره و استعان بها ، و أنحى عليها و غصبها[5] .

و في مقامات الحريري مواضع ظاهرة الضعف ، انتقدها ابن الخشاب زادت عن ثلاث عشر موضعا[6] ، سكت عنها ابن بري و لم يعلق عليها بشيء ، وهو المتحمس للرد على ابن الخشاب ،و الانتصار للحريري . و كان عليه أن يبدي فيها رأيه و لا يسكت عنها ، لأنه في صدد الرد عليها ن أذكر منها سبعة كأمثلة ؛ أولها أن ابن الخشاب أشار إلى أن الحريري قال في مقدمة مقاماته : ((و نعوذ بك من شره اللّسن[7] ،و فضول الهذر ، كما نعوذ بك من معرة اللّكن و فضوح الحصر[8])) ، و هذا الكلام هو ((بعينه في كتاب البين و التبيين لأبي عثمان عمرو بن يحي المعروف بالجاحظ))[9] .و قد رجعت إلى البيان و التبيين فوجدت المعنى متقاربا ، لكنه ليس نقلا حرفيا ، يقول فيه الجاحظ (ت250 هـ/864م): ((و نعوذ بك من السلاطة و الهذر ، كما نعوذ بك من العي و الحصر))[10] .

[1] ابن الخشاب : الاعتراض على الحريري مع انتصار ابن بري، ط1 مصر المطبعة الحسينية ، 1326هـ ، 2-3 .

[2] هو طائر طويل العنق ، رمادي اللون ، يشبه الأوز . علي بن هادية : المرجع السابق ص : 269 .

[3] هو طائر حسن الصوت ، طويل الرجلين و المنقار ، جمعه : كراوين . نفس المرجع ص : 899 .

[4] ابن الخشاب : المصدر السابق ص : 2 .

[5] ابن الخشاب : المصدر السابق ص : 2 ، 3 .

[6] انظر : نفس المصدر : 3 ن 13 ، 16 و ما بعدها .

[7] اللّسن هو الفصاحة . الحريري : المصدر السابق ج 1 ص : 8 .

[8] هو العجز عن الكلام . نفسه ج 1 ص : 8 .

[9] ابن الخشاب : المصدر السابق ص : 3 .و الحريري : نفس المصدر ج 1 ص : 3 .

[10] الجاحظ : البيان و التبيين ، بيروت دار إحياء التراث العربي ، 1968 ، ج1 ص : 5 .

و الثاني هو قول الحريري في المقامة الخامسة : ((قبيل انتيابكم و مصيري إلى بابكم)) ، يرى فيه ابن الخشاب أنه((ليس هذا موضع استعمال الانتياب ، لأن الانتياب معاودة الشيء مرة بعد مرة ن ومنه سميت النحل نوبا ، لانتيابها مواضع تعسّلها ، و هو مباتها . و الانتياب افتعال من النوبة ، و هو لم يأتهم في هذا الموضع مرة أخرى ، و لا كثر انتيابه ، فلا معنى له في استعمال الانتياب ،إلا أنه ساقه إلى استعماله السجعة[1]، فلا عذر له في ذلك)) و لا معنى لاستعمال الانتياب ، لأنه ظاهر الفساد لمباعدته الصواب[2] .و قول الحريري لا يصح ، لأن الانتياب هو القيام بالفعل مرة بعد مرة ، و هو قد استخدمه للتعبير عنه مرة واحدة ، لذا فإن ابن الخشاب مصيب عندما خطأه في هذه المسألة[3] .

و المثال الثالث من المقامة السادسة ، يقول فيها الحريري : ((و استعنت بقاطبة الكتاب ، فكل منهم قطب و تاب)) ، فانتقده ابن الخشاب في استعمال ((قاطبة مضافة إلى ما بعدها و تعريفها به ، و إدخال حرف الجر عليها يدل على جهله بعلم النحو ، وأنه كان مقصرا جدا ن لأن العلماء بالعربية لا يختلفون في أن قاطبة لا تستعمل إلا منصوبة على الحال ، غير مقتصر على موضع واحد ،كذا نطقت بها العرب و لا تستعملها فاعلة ،و لا مفعولة ،و لا مجرورة ، و لا مضافة ،و معرفة باللام .و مثلها طرا و كافة ، فلا يقال : طر القوم ، و لا كافة القوم ، قال تعالى: ((و ما أرسلناك إلا كافة للناس))–سورة سبأ/28 – و قولهم كافة الناس ، كلام مولد ليس بعربي محض ، و هو اسهل من استعمال الحريري ((بقاطبة الكتاب)) ، و طرا و قاطبة لا ينصرفان ، و هما في موضع المصدر ، و لا يكون معرفة .و أظن أن ابن الحريري قد لحن في استعمال قاطبة و أخواتها ن كما استعملها هو .و كان قد حكى مذهب العرب و النحاة في كتابه : درة الغواص في لحن الخواص ، إلا أنه ((خالف إلا ما نهى عنه سهوا ، أو لأنه عرفه بعد وضعه المقامات على الخطأ))[4] . و استخدام الحريري لكلمة قاطبة مجرورة و مضافة في نفس الوقت ليس بصحيح ، لأن قاطبة لا تأتي إلا حالا ، و هي من نوع الحال المؤكدة لصاحبها ، فنقول : جاء الناس قاطبة و كافة أو طرا . و لم نجد في كتب النحو و اللغة أن كلمة قاطبة تستعمل مضافة أو مجرورة[5] .

---

[1] السجع هو : ((توافق الكلمة الأخيرة من جملة ، مع الكلمة الأخيرة من جملة أخرى في الحرف الأخير منهما)) . المعهد التربوي الوطني : المختار في الأدب و النصوص و البلاغة ، السنة الأولى من التعليم الثانوي ، 1983 .، ص : 231 .

[2] ابن الخشاب : المصدر السابق ص : 13 .

[3] جواب خطي ، للباحث نصر الدين زروق ، ردا على أسئلة و جهتها إليه كتابيا ، فرد عليها–مشكورا –في خمس صفحات ، ص : 1 .

[4] ابن الخشاب : المصدر السابق ص : 17 ، 18 .

[5] جواب خطي ص : 2 .

و المثال الرابع يقول فيه الحريري : ((بمخلبه الأشغى[1] ، يغول[2] و نابه))[3] لكن ابن الخشاب يرى أن ((الشغى لا يكاد يستعمل في المخلب ، و الاستعمال الصحيح في الشغى و هو اختلاف النبتة ،إنما يكون في الأسنان ، و استعماله في منسر العقاب لطول الأعلى على الأسفل فهما مختلفان ، إلا أن هذا الاستعمال أسهل من قوله : على النقيصة و الشغى . لأنه توهم أن الشغاة زيادة ، فاستعمله استعمالها ، و للغة أوضاع مخصوصة في الاستعمال ، إذا خرجت عنها لم تكن عربية))[4] . و استخدام الحريري لكلمة الشغي للدلالة على الزيادة في مخلب العقاب لا يصح ، لأن لفظة الشغى تطلق على السن الشاغية ، و هي الزائدة على الأسنان التي تخالف نبتتها نبتة غيرها من الأسنان ، فيقال : رجل أشغى ، وامرأة شغواء . و قد أخطأ الحريري في استعماله لهذه الكلمة من وجهين : الأول أراد إثبات صفة إيجابية للعقاب باستخدامه لفظة الأشغى ، في حين هي تحمل صفة سلبية . و الثاني أنه كان يعتقد أن معنى الزيادة في هذه الكلمة ، هو النمو غير أنها فبي الواقع تدل على مخالفة الأصل[5] .

و في المثال الخامس انتقد ابن الخشاب ما قاله الحريري–في المقامة الثالثة و العشرين – : ((حين يرتوي مني و يلتقح)) ، لأنه ((لا يستعمل التقح في معنى قبل اللقاح .و المعروف في القحتها ، و لقحتها ، لقحت ، ومنه للاقح ، و اللواقح . و الملتقح غير معروف))[6] .و استخدام فعل التقح للدلالة على اللقاح غير وارد في كلام العرب ، وإنما الوارد هو : ألقح الفحل الناقة ، وألقح الريح السحاب ، و رياح لواقح ، وناقة لاقح ، و نوق لواقح و لقّح ، و لقت لقاحا ، ولقحا ، وتلقحت ، و ألقحها الفحل ،و لقحها ، و لقوح درور ،و هي الحلوب[7] .

و المثال السادس انتقده في المقامة السادسة و العشرين عندما قال : ((فتعارفنا حينئذ و حفت بي فرحتان ساعتئذ)) ، و بين أن السجعتين واحدة لأن ((إذ فيهما كلمة واحدة ، فلا فرق بين إضافة الحين و الساعة ،و الليلة و اليوم ،و غير ذلك مما تجب إضافته من أسماء الأزمنة إليها ، فلا معنى

[1] من الشغى ، و هي الزائدة على الأسنان ، وقيل المعوج . الحريري : المصدر السابق ج 1 ص : 314 .

[2] أي يهلك . نفس المصدر حج 1 ص : 314 .

[3] نفس المصدر ج 1 ص : 307 .

[4] ابن الخشاب : المصدر السابق ص : 21-22 .

[5] جواب خطي ص : 3 ، 4 .

[6] ابن الخشاب: المصدر السابق ص :22-23 .

[7] جواب خطي ص : 4 .

يجعلها قرينة إلا على تأويل أنها صارت مع ما قبلها كالفظة الواحدة))[1] .و مما يشترط في السجع أن تكون الألفاظ المسجوعة مختلفة المعنى ، و أما إذا كانت على معنى واحد فهي تكرار لا طائل من ورائه ، و قد استعمل الحريري كلمتي : حينئذ ، و ساعتئذ ، على أساس أنهما مختلفتان في المعنى ، وإذا ما رجعنا إلى كلام العرب نجد أن اللفظتين تستعملان للدلالة على معنى واحد ، و لهما في الإعراب نفس الحكم[2] .

و آخرها يقول فيه الحريري–في المقامة الخامسة و الثلاثين– : ((إذ احتفا بنا ذو طمرين[3] ،و قد كاد يناهز العمرين)) ، فعقب عليه ابن الخشاب بقوله: ((بئس الاستعمال ، استعمال كاد مع يناهز ، لأن المنهازة معناها المقاربة ؛ ناهز فلان الخمسين إذا قاربهما ، وكاد معناها المقاربة أيضا ، فهما و إن اختلفا في الاستعمال يتفقان في معنى المقاربة ، فكأنه إذا حقق معنى قوله آل إلى أن يقدر هذا الكلام[4] ، قارب مقاربة العمرين ، وهذا لا يخفى اختلاله على المتأمل))[5] .كما أن إضافة كاد إلى ناهز و استعمالهما مقترنتين ببعضهما ، هو حشو ، و تكرار لا فائدة منه [6] .

و في مقامات الحريري أكثر من سبعة مواضع ، انتقدها ابن الخشاب و بين بعدها عن الصواب ، لكن ابن بري–مع اعترافه به– بررها و جوزها ، و وجد لها مخارج و أخذ بها ، حتى و إن كانت ضعيفة[7] ؛ أذكر من بينها مثالين ، الأول أخذ فيه ابن الخشاب على الحريري أنه ذكر في مقاماته–قبل تهذيبها و تنقيحها– النبي –عليه الصلاة و السلام– ثم قال مخاطبا له : ((فقلت و أنت أصدق القائلين (إنه لقول رسول كريم ، ذي قوة عند ذي العرش مكين)–سورة التكوير/19– ، و عندما تبين له –بعدما انتشرت مقاماته– أن الآية وصف لجبريل ، لا لمحمد–عليهما السلام– كر على النسخة مغيرا اعتقادا منه أنه أخطأ في الأول ، بعدما غربت و شرقت ، و اشأمّت و عرّقت مقاماته . فكتب في النسخة الثانية : فقلت و أنت أصدق القائلين: (و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)[8]–سورة الأنبياء/117– . و يرى ابن الخشاب أن الحريري أخطأ في التصرفين ، فهو في الأول قد جهل قول

---

[1] ابن الخشاب المصدر السابق ص : 23 .

[2] جواب خطي ص : 4 .

[3] الطمر هو الثوب البالي ، و الجمع أطمار . محمد بن أبي بكر الرازي : المصدر السابق ص : 259 .

[4] كذا في الأصل ، و يبدو أن في الكلام خللا .

[5] ابن الخشاب: المصدر السابق ص : 26 .

[6] جواب خطي ص : 5 .

[7] انظر : ابن الخشاب : المصدر السابق ص : 4 ، 9 ، 10 ، 11 ، 12 ، 18 ن 19 ، 20 ، 26 ن و ما بعدها .

[8] هذه النسخة هي التي بين يدي .

أكثر المفسرين[1] بأن الآية تخص جبريل، لا الرسول–صلى الله عليه و سلم– . و في الثاني غيّر ما كتبه عندما اطلع على رأي غالب المفسرين ، فظن أن الأول خطأ لا يجوز الأخذ به ، و لم يعرف أنه و جد من المفسرين من جعل الآية صفة للرسول ،كما ذهب إليه أولا . فجهل ما عليه الأكثرون في الأول ،و لم يعرف الجواز في الثاني[2] .

و أما ابن بري فقد دافع عن الحريري بقوله: ((ليس لراجع عن الوجه الضعيف إلى الوجه القوي بغالط ، لأنه غير مقطوع على ابن الحريري لم يمر به جواز الوجه الأول من كتب التفاسير ، و إنما تركه لأن أكثر أهل التفسير على خلافه ، فعدل إلى ما ليس فيه خلاف عند أحد من الناس ،و يقوي ذلك أنه إذا أنكر عليه الوجه الأول ، فلا بد له أن ينظر في كتب التفاسير ، هل الأمر على ما ذكروا أو على خلافه ؟ ، ولما وقف عليه رأى الأكثر على خلاف ما ذهب إليه ، فعدل عنه إلى ما خلاف فيه))[3] . و تبريره هذا ضعيف جدا لا يرفع النقد الموجه للحريري ، لأنه ذكر الآية الأولى مخاطبا بها الرسول–عليه الصلاة و السلام– ظنا منه أنه هو المقصود ، فلو كان على علم بأن غالبية المفسرين على خلافه ، وأنه اختار الرأي الضعيف عن اقتناع و قصد ، لما بدله في أغلب الظن ، و مما يقوي ذلك أنه عندما غير موقفه بدّل الآية ، و جاء بأخرى صريحة في مخاطبة الرسول ، و لم يدافع عن رأيه الأول .

وأما المثال الثاني– من المقامة الثانية –فأخذ فيه ابن الخشاب على الحرير ي استعماله كلمة :قواليب ،في قوله : ((يتقلب في قواليب الانتساب و يخبط في اساليب الاكتساب)) وهو خطأ و كان عليه أن يقول : قوالب ،كما في تابل : توابل لأن المفرد قالب ،و ليس قلوبا ،ولا قلاب ،ولا تستعمل قواليب إلاّ عند الضرورة الشعرية و بقلة . أما عند الاختيار و السعة فلا يجوز ذلك[4].و أما ابن بري فقد أقرّ بما قاله ابن الخشاب ضمنيا ،و برر استعمال الحريري لكلمة قواليب ،بضرورة السجع ،فكما للشعر ضرورة فللسجع هو الآخر ضرورته لأن له وزنا يضاهي ضرورة الوزن في الشعر زيادة و نقصا و ابدالا[5].و أشير هنا إلى أن نسخة مقامات الحريري التي بين يدي معدّلة ،فيها قوالب لا

---

[1] ذكر ابن كثير في تفسيره أن كثيرا من المفسرين أن الآية تقصد جبريل عليه السلام ن كابن عباس و الحسين و قتادة . تفسير القرآن العظيم ، ط1 ، دمشق ، الرياض ، مكتبة دار الفيحاء ، و مكتبة السلام ، 1414 هـ ، ج 4 ص : 617 .

[2] ابن الخشاب : المصدر السابق ص : 3 ، 4 .

[3] نفسه ص : 4 .

[4] نفس المصدر ،ص :10 –11 .

[5] نفسه ص :11 .

قواليب[1]، وهو تعديل إما أجراه ابن الحرير على بعض النسخ ولم يطلع عليه ابن بري .و إما قام به النساخ من بعده ،و هو اعتراف بصواب نقد ابن الخشاب و ضعف تبرير ابن بري .

و لابن الخشاب انتقادات أخرى لمقامات الحرير ،ردّ فيها عليه ابن بري لكن ردوده كانت ضعيفة جدا[2].منها قول الحرير –في المقامة السابعة و الثلاثين – ((فسقط الفتى في يده[3]، و لاذ بحقو[4] والده)) انتقده فيه ابن الخشاب لاستعماله تلك الصيغة لأن العرب لا تستعملها ،و إنما تقول : ((سقط في يد فلان إذا ندم ،و لا يقال سقط فلان في يده ،قال تعالى : ((ولما سقط في أيديهم))- سورة الأعراف/ 149-و لم يقل سقطوا في أيديهم . . . و فاعل سقط مضمر لا يظهر ،معناه الندم فكأنه- و اللّه أعلم – سقط الندم في يد فلان ، و ليس المعنى سقط فلان في يد نفسه ، هذا محال لا يجوز عليه و لا يعطيه لفظ هذا الكلام ولا معناه ، و هذا الغلط من فاحش غلط الحريري في مقاماته))[5].

و أما ابن بري فقد اعترف بخطأ الحريري في هذا الموضع ، و قرر أنه لا يصح ذكر الفتى وصوابه أن يقول : فسقط في يده من غير ذكر الفتى ولا يكون في سقط ضمير الفتى ، لأنه فعل غير متعد ، و الجر و المجرور في رفع به . لكنه خطأ كذلك ابن الخشاب و زعم أنه نطق كلمة : سقط بفتح السين لا بضمها . بدليل قوله : ((و فاعل سقط مضمر لا يظهر ،و معناه الندم))[6]. لكن المصحح[7]يرى : ((أن قول ابن الخشاب هذا لا يعين أنه أراد : سقط بفتح السين ، و قد فات ابن بري أيضا أن الأفعال التي جاءت ملازمة للمجهول ،لا يقال و نائب فاعلها ، و إنما يعرب فاعلا مع هذه الصيغة ، فلا دليل لابن بري في ذلك))[8]. و هذا صحيح لأن ابن الخشاب بين أن الفاعل مضمر ؛ ولا يلزم ذلك القول بأن الفعل سقط ليس مبنيا للمجهول ، لأنه كان في معرض التوضيح ، بدليل أنه استشهد بقوله تعالى : ((ولما سقط في أيديهم)) وهي مبنية للمجهول .و يبدو أن ابن بري

---

[1] أنظر ج 1 ص :25 .

[2] ابن الخشاب : المصدر السابق ص : 16 ، 19 ، 20 ، 24 ، 28 ، 29 .

[3] يقال لكل من ندم على شيء و عجز عنه : سقط في يده . الحريري : المصدر السابق ج 2 ص : 166 .

[4] الحقو هو الإزار و هو كذلك الخصر و شد الإزار .محمد بن أبي بكر الرازي : المصدر السابق ص : 102 .

[5] ابن الخشاب : المصدر السابق ص : 28

[6] نفس المصدر ص : 29 .

[7] هو مصحح كتاب الاعتراض لابن الخشاب ، و اسمه المرصفي .نفسه هامش ص : 29 .

[8] نفسه هامش ص : 29 .

قد أحسّ بضعف ما ذهب إليه فعاد و افترض احتمال تصرف الناسخ في كلام ابن الخشاب ،فكتب سقط بفتح السين بدلا من ضمها ،و بذا يكون كلامه مستقيما و ردّه صحيحا[1].

و في مقامات الحريري مواضع انتقده فيها ابن الخشاب يظهر فيها تحامله عليه ،عندما أصدر أحكاما بتخطئته فيها ، وهي محل خلاف[2].منها أنه أخذ عليه قوله -((ثمّ أنه اختبن[3]خلاصة النضّ[4]، و بدر ضاربا في الأرض)) فاستعماله لكلمة خلاصة بمعنى خالص الشيء ليس بصحيح و إنما هي ما يلقى من الشيء و يسقط عند التخليص ،كالنخالة و البراية فهو ما يرمى من البري ، و القمامة .فهو مخطأ في هذا الاستعمال على كل حال[5]. لكن ابن بري يرى أن الحرير لم يخطأ ، و قوله صحيح لأن لفض : الخلاصة مختلف فيه ، فقال بعض الناس أنه : ما يلقى من الشيء ، و قال آخرون : إنه خالص الشيء ، وبذا يكون ابن الخشاب قد أخطأ عندما قطع بتغليط الحريري ، مما يعني أنه ((لم يعلم فيه خلافا ، او تركه مع العلم به))[6]. ونحن في وقتنا الحاضر معنى الخلاصة هو : زبدة الشيء ، وما يستخرج من المادة حاويا لخصائصها[7].

و منها قول ابن الحريري -في المقامة الثانية و الأربعين - ((إلى أن طال الأمد و حصحص[8]الكمد)) انتقده ابن الخشاب في استعماله لكلمة حصحص مع غير لفض الحق ، لأن ذلك في رأيه لا يكد يستعمل . فلو قال: حصحص الباطل ، و حصحص الشرّ ،كان بعيدا عن استعمال العرب لكلمة حصحص[9]. لكن ابن بري لم يوافقه على ذلك ، و ذهب إلى القول بأن ابن الخشاب انفرد بما قاله ، و حمله عليه قوله تعالى: ((الآن حصحص الحق))-سورة يوسف/51- و الأمر ليس كما ظن ، لأن الذي عليه أهل اللغة أن حصحص الشيء معناه : ظهر ، و وضح ، و لم

---

[1] ابن الخشاب : المصدر السابق ص : 29 .

[2] انظر نفس المصدر ص : 20 ، و ما بعدها .

[3] اختبن الشيء ، جمعه و شده إلى خبنه أي في حضنه مما يلي البطن . الحريري : المصدر السابق ج 2 ص : 245 . و محمد بن أبي بكر الرازي :المصدر السابق ص : 116 .

[4] النضّ هو ما تيسر من الأشياء .الرازي نفسه ص : 420 .

[5] ابن الخشاب : المصدر السابق ص : 31 .

[6] نفس المصدر ص : 32 .

[7] علي بن هادية : المرجع السابق ص : 317 .

[8] أي بان الشيء و ظهر . الرازي : المصدر السابق ص : 98 .

[9] ابن الخشاب : المصدر السابق ص : 32 .

يخص بحق و لا بغيره من الألفاظ[1] . و قوله هذا صحيح[2] ، لكن ابن الخشاب لم يجزم فيما ذهب إليه ،و إنما قال: و لا يكاد يستعمل ذلك)) ، مما يعني أنه لم يقطع بتخطئة الحريري .

وأخيرا فقد تنازع ابن الخشاب و ابن بري في استعمال الحريري لكلمة: نجوس[3] ، في قوله : ((فأقبلنا نجوس خلالها و نتفيأ ظلالها))[4] . و لم يتنبها إلى خطأ واضح أمامهما ، هو استخدام الحريري لفظ: نتفيأ في قوله: ((نتفيأ ظلالها))، و هو فعل لازم ، لا يتعدى إلى مفعول به ، وإنما يأتي دائما فعلا لازما ، و قد عداه الحريري و لا حق له في ذلك[5] .

ثانيا : تعقيبات :

و تعليقا على ما تقدم ذكره ، وإثراء له ،أورد فيما يأتي تعقيبات و فوائد متفرقة ؛ منها أن الباحث محمد بهجت الأثري يرى أن انتقادات ابن الخشاب لمقامات الحريري كانت((غاية في القوة و الأصالة ن و إن ناقشه ابن بري بما ناقشه بها))[6] . في حين ذهب الأديب عبد المالك مرتاض إلى القول بأن ابن الخشاب انتقد الحريري انتقادا مرا ، لم يخل من بعض الهوى ؛ فجاء ابن بري و رد عليه ردا عنيفا انتصارا للحريري[7] . لكن حقيقة الأمر أن كل منهما بالغ في نقده ، فابن الخشاب كان مدفوعا بدافع انتقاد مقامات الحريري ، حريصا على الرد عليه ، لذا نجده في بعض المآخذ يشتد في انتقاده و تضخيم أخطائه . و ابن بري هو الآخر كان شديد الحرص على الانتصار للحريري من ابن الخشاب ، و كثير التبرير لمواقفه ، يبحث له عن المخارج و إن كانت ضيقة مرجوحة ، حتى أنه سكت عن مواضع خطأه فيها واضح . مما يثبت أن ابن الخشاب كان أكثر منه موضوعية ، فهو و إن اشتد في انتقاده للحريري ، و جانب الصواب في بعض مآخذه عليه ، فإنه قد اعترف له بالفضل ، و عذره في بعض أخطائه[8] .

و منها–على ما يبدو– أن الغالبية العظمى من أدباء القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م ، و ما بعدهما ، كانت مواقفهم سلبية تجاه نقد المقامات الحريرية ، فإني لم أعثر لهم على أي

---

1 ابن الخشاب : المصدر السابق ص : 32 .

2 محمد بن أبي بكر الرازي : المصدر السابق ص : 98 .و علي بن هادية : المرجع السابق ص : 281 .

3 جاس : من معانيها طاف بين البيوت ، و تردد بين الديار قصد الإفساد . علي بن هادية : نفس المرجع ص : 244 .

4 ابن الخشاب : المصدر السابق ص : 30-31 .

5 ابن الخشاب : المصدر السابق ، تعليق المصحح ص : 30-31 .و جواب خطي ص : 5 .

6 العماد الكاتب : خريدة القصر ، قسم شعراء العراق ن حققه محمد بهجت الأثري ج 1 ص : 62 .

7 عبد المالك مرتاض : فن المقامات في الأدب العربي ، ط 2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1988 ،ص : 536 .

8 انظر : ابن الخشاب : المصدر السابق ص : 2 ، 3 .

عمل علمي لنقدها شكلا و موضوعا[1] ، و اكتفوا بشرحها و المبالغة في مدحها و تقريضها . و قد أشار ابن الخشاب إلى سلبية أدباء بغداد تجاه مقامات الحريري ، و تعجب منهم كيف أنهم عندما سمعوا منه مقاماته في سنة 504هـ/1110م ، لم ينتقدوه إلا في مسألة واحدة فيها خلاف[2] ؟ ! ؛ و هو بمفرده قد انتقده في مواضع كثيرة ، أثبت فيها خطأه و تقصيره . لكن عمله النقدي الذي بدأه لم يجد -على ما يظهر- من يواصله ، في عصر خيم عليه التقليد المذهبي و الجمود الفكري ، و اهتم فيه الأدباء بظاهر اللغة دون باطنها[3] ؛ حتى أن بعض علمائه صدرت عنهم أقوال-في مدح مقامات الحريري- لا تليق بأهل العلم أبدا . فأدعى الجغرافي ياقوت الحموي(626 هـ/1228م) ، أن الحريري بمقاماته قد تفوق على الأوائل ،و أعجز الأواخر و لو ((ادعى بها الإعجاز لما وجد من يدفع في صدره ، ولا يرد قوله ، ولا يأتي بما يقاربها ، فضلا أن يأتي بمثلها))[4] .و قال عنه الحافظ ابن كثير((لم يسبق إلى مثلها و لا يلحق))[5].و ردد المحدث جلال الدين السيوطي(ت911 هـ/1505م) ما قاله ياقوت الحموي[6] .

و أقول-ردا عليهم[7]- : أولا إن كلام هؤلاء غير علمي ، فيه جهل و مبالغة ،و دعوى عريضة ، لأنه من الخطأ الفاحش أن يصدروا حكما بأن الحريري أعجز الأواخر ، و لا يلحق في مقاماته ؛ فمن أين لهم ذلك ؟ فهل اطلعوا على الغيب ؟ إني اعتقد جازما أن أي عمل بشري-مهما بلغ من الإتقان و البراعة و العبقرية- فإنه لا يصح عقلا ، يدّعى فيه الإعجاز حاضرا و مستقبلا .

و ثانيا أنه سبق و أن أوردت انتقادات ابن الخشاب لمقامات الحريري ،كان الكثير منها في الصميم ، أظهر بها جانبا مخفيا من عيوبها ، لم يتفطن له معظم أدباء عصره .و قد تنبه لذلك الأديب العماد الكاتب الأصفهاني (ت597هـ/1200م) عندما أشار إلى نقائص أدب الحريري ، في صدد ترجمته للأديب أبي الفضل الحصكفي الشافعي(ت553 هـ/1158م) ومقارنته بالمعري و الحريري ،

---

[1] صنف عبد اللطيف البغدادي(ت629 هـ/1134م) كتابا في الإنصاف بين ابن الخشاب و ابن بري عن مقامات الحريري . ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ج 3 ص : 346 .

[2] ابن الخشاب : المصدر السابق ص : 2 .

[3] عبد المالك مرتاض : المرجع السابق ص : 225 . و بطرس البستاني : أدباء العرب ، د م ن ، دار عبود ، د ت ، ج 2 ص : 437 .

[4] ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج 5 : 2205 .

[5] ابن كثير : المصدر السابق ج 12 ص : 192 .

[6] السيوطي : بغية الوعاة ج 2 ص : 257 .

[7] لست أديبا ، وتكويني العلمي لا يؤهلني لنقد مقامات الحريري ، لكنني سأجتهد في جمع الشواهد التاريخية ، و استعين بدراسات المختصين في الأدب ، للرد على هؤلاء .

فقال عنه : كان علامة الزمان في ((علمه ، معري العصر في نثره و نظمه ، بل فضل المعري بفضله و فهمه ، وبذّ–فاق،و غلب–الحريري برقة طبعه ، و قوة سجعه،و جودة شعره ، غزارة أدبه ،و انفراده بأسلوبه في الشعر و مذاهبه))[1] . فهذه شهادة من أديب متضلع في اللغة و الأدب ، تعني أن أدب الحريري–و منه مقاماته– كانت فيه نقائص كثيرة ، جعلت الحصكفي يتفوق عليه برقة الطبع ، و قوة السجع ، و غزارة الأدب ، و جودة الشعر .

و ثالثا أن المقامات الجزرية[2] قد حازت خصائص المقامات الحريرية ، و فضلت عليها ، و عقدت لها عشرة مجالس لقراءتها برواق المدرسة المستنصرية ببغداد ، في سنة 676هـ/1277م)، وقد سمعها مائة و ستون عالما ، من كبار علماء العراق و الشام ، و فارس و خراسان ، و بلاد المغرب ، وشهدوا لها بالفضل و التفوق على مقامات الحريري[3] .

و رابعا أنه في العصر الحديث ألف الأديب ناصف اليازجي(ت 1871م/1288هـ) مقامات سماها : مجمع البحرين ، حاكى فيها الحريري–في مقاماته– شكلا و مضمونا ، على الرغم ما بينهما من زمن طويل[4] . و قد حازت مقاماته الخصائص الحريرية[5] و تفوقت عليها في جوانب عديدة ، منها : إنها أكثر منها عددا [6] ، وأغزر من حيث وفرة الآيات القرآنية ، و أوفر نصيبا من الألغاز النثرية و الألعاب البلاغية ، قلّد فيها الحريري ، و زاد عليه و أبدع فيها[7] ؛ مها : القلب–مالا يستحيل بالانعكاس[8]– و هو عزيز الوجود في أشد الآثار الأدبية محافظة ، و في أوغلها تكلفا و صناعة . استعمله اليازجي و تفوق فيه على الحريري ، و شق على نفسه حتى جادت قريحته بأربعة عشر بيتا ، كلها لا تستحيل بالانعكاس ، في حين لم يستطع الحريري أن يأتي من أكثر من خمسة أبيات ، و

---

[1] العماد الكاتب : المصدر السابق –قسم شعراء الشام ج 2 ص : 472 .

[2] لصاحبها اللغوي الوزير شمس الدين بن الصيقل الجزري (. 701 هـ/1301م) .

[3] اليونيني : المصدر السابق ج 4 ص : 226 . و ناجي معروف : المرجع السابق ج 2 ص : 221–222 .

[4] عبد المالك مرتاض : المرجع السابق ص : 241 .و شوقي ضيف : المقامة ، ط 2 ، القاهرة ، دار المعارف ، 1964 ، ص : 87 .

[5] شوقي ضيف : نفس المصدر ص : 88 .

[6] تتكون من ستين مقامة ، مقابل خمسين عند كل من الحريري و الهمذاني . نفس المصدر ص : 85 .و عبد المالك مرتاض : المرجع السابق :228 .

[7] عبد المالك مرتاض : المرجع السابق ص : 228 ، 456 ، 459 ، 460 . و شوقي ضيف : المرجع السابق ص : 85 ، 89 ، 91 ، 92 .

[8] أي أنه يقرأ طردا و عكسا ، كقول اليازجي : قمر يفرط عمدا مشرق × رش ماء دمع طرف يرمق . عبد المالك مرتاض : نفس المرجع ص : 466 .

ليست في جودة أبيات اليازجي الذي أبدى كذلك مهارة عالية في النحو –مجال تخصصه– وبذّ فيه الحريري[1] .

و خامسا أن دراسات حديثة متخصصة بينت نقائص[2] كثيرة في مقامات الحريري ، منها : التكلف الظاهر في استعمال الغريب ،و الإسراف فيه ،و الإفراط اصطناع المجاز ، حتى جفت عباراتها و قل ماؤها ،و عسر مساغها[3] .و ظهرت فيها –احيانا– برودة و غثاثة في طلب السجع و الجناس[4] ، كما في :((و استعنت بقاطبة الكتاب ، فكل منهم قطب و تاب)) ، فجرت قاطبة لأجل الجناس و السجع ، و هي لاستعمل إلا منصوبة على الحال، و وضع فعل تاب في غير موضعه ، فبدا نافرا متقلقلا[5] . و جاءت قصصها خالية من الأغراض متشابهة المواضيع محدودة الخيال ، وكثيرة الغموض و التعقيد ، لا يسلم مطالعها من السأم و الضجر [6] .

و منها أنه تبين من مقارنة مقامات الحريري بمقامات بديع الزمان الهمذاني ، أن البديع تفوق عليه في فن الإضحاك ، الحيل ، المدح ،و التشبيه ، السجع و الجناس ،و الاقتباس . كما أنه استطاع أن يجمع بين المضمون و الشكل في أحيان كثيرة ، و جاءت أسجاعه حارة معبرة قوية تخدم المعاني ، و لم تكن باردة و لا ثقيلة ،و لا ركيكة . و أما الحريري فقد انشغل بالتزويقات اللفظية ،و الصور الغريبة ، فجاءت أسجاعه أثقل موقعا،و أغرب مخرجا ،و أضعف تعبيرا عن المعاني[7] . و أما تجنيساته فهي غير مقبولة في كثير من الأحيان ، لتعثر معاني ألفاظها ، وصدورها عن تكلف و عنت ، لا عن طبع ، حتى أنه استعمل كلمة الدّست[8] أربع مرات في موضع واحد من أجل التجنيس ،و هو شيء((لا نظير له ركاكة و ثقلا و برودة في الأدب العربي ،و قد حمّل الجناس في هذه الفقرة ما لا يحتمل ،و جشمه– كلّفه– ما لا يطيق عليه)) ، لأنه لم يكن يأبه بركاكة أسلوبه ، إذا استقامت التجنيسات المتتالية[9] . كما أنه أغرق قي استعمال الغريب من الألفاظ ، فغربت معانيها و اضطربت اضطرابا

---

[1] نفس المرجع : ص : 465 ، 466 .و شوقي ضيف : المرجع السابق ص : 89 ، 90 ، 91 ، 92 .

[2] هذا إلى جانب إيجابياتها الكثيرة ، لكن نحن في صدد الرد على دعوى إعجازها .

[3] بطر البستاني : المرجع السابق ج 2 ص : 433 .

[4] هو اتفاق كلمتين في الهيئة ن واختلافهما في النعنى ، كما في : شهدت صلاة المغرب في بعض مساجد المغرب : المعهد الوطني التربوي : المرجع السابق ص : 232 ، 233 ،

[5] نفس المصدر ج 2 ص : 434 .

[6] نفسه ج 2 ص : 434 ، 436 ، 437 .

[7] عبد المالك مرتاض : المصدر السابق ص : 312 ، 313 ، 349 ، 369 ، 390 ، 392 ، 393 ، 440 ، 441 .

[8] هو صدر المجلس ،و يطلق كذلك على منصب الوزارة . علي بن هادية : المصدر السابق ص : 339 .

[9] عبد المالك مرتاض : المرجع السابق ص : 451 .

شديدا ، فهو و إن كان يقصد بذلك أن يرينا أنه قادر على أن يأتينا بما لم يأت به الأوائل ، فقد أخطأ و حرم التوفيق ، لأن ((عبقرية الأدباء لا تتفاوت في الإغراب و التعمية على الأفهام ،و التضليل على العقول ، و لكن عبقريتهم تتفاوت في القدرة على الإفهام ،و حسن التبيين ، و جودة التصوير ،و سهولة التعبير))[1] .

و يستنتج مما ذكرناه عن نقد ابن الخشاب لمقامات الحريري ،أنه يعد رائد نقاد المقامات في عصره دون منازع ، لانتقاده العميق و الموسع لمقامات الحريري ؛ و قد جاءت الدراسات المقامية الحديثة مكملة لعمله في إظهار نقائصها الكثيرة- شكلا و موضوعا- و تمزيقا للهالة التي أحيطت بها . كما أن ما قام به ابن الخشاب هو عمل انفرد به في المدرسة الحنبلية ، إذ لم أعثر على أي عالم حنبلي آخر تصدى لنقد المقامات الحريرية على طريقته ؛ على الرغم من أن النقد العلمي عند علماء الحنابلة قد شمل علوما كثيرة ، و مس مختلف طوائف العلماء .

المبحث الخامس : في نقد علماء الشريعة و الوعاظ

اشتهر من بين علماء الحنابلة ثلاثة نقاد كبار ، هم : أبو الوفاء بن عقيل ، و عبد الرحمن بن الجوزي ، و تقي الدين بن تيمية . و قد كانت لهم مساهمة فعالة في الحركة العلمية النقدية بالمشرق الإسلامي-خلال القرنين:6-7هـ/12-13م- ،و لعل ابن الجوزي أكثر هؤلاء شهرة في انتقاد المشتغلين بالعلم و عامة الناس ؛ و قد افرد لانتقادهم كتابه: تلبيس إبليس ، و لم يستثن منهم طائفة ، نخص منهم بالذكر هنا : المحدثون ، و الفقهاء ، و القراء ، و الوعاظ .

أولا : في نقد المحدثين و الفقهاء و القراء :

انتقد ابن الجوزي أصحاب الحديث في أن الكثير منهم ستغرق عمره في الأسفار ، جمعا للآسانيد و طلبا للعوالي من الحديث دون فهم و فقه ، و إنما من أجل الرياسة و المباهات ، مع الغيبة و التشفي و التدليس[2] ،و رواية الحديث الموضوع[3] . و ذكر أن الفقهاء في عصره سموا علم الحديث ، علم الكسالى، لأن طلبته يتشاغلون بكتابته و سماعه ، ولا يكادون يحفظونه و يفهمونه[4] ، و يفوتون على أنفسهم معرفة الواجبات ، فقد يسأل أحدهم عن أركان الصلاة فلا يعرفها ؛ و قد أثر هذا حتى عن بعض القدماء ، فقد روي أن جماعة من المحدثين من بينهم يحيى بن معين

[1] نفس المصدر ص : 368 .

[2] هو في الاصطلاح إخفاء عيب في الإسناد ، لتحسين ظاهره . ابن الصلاح : المصدر السابق ص : 42 و ما بعدها .

[3] ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص : 132 و ما بعدها .

[4] ابن الجوزي : صيد الخاطر ص : 429 .

البغدادي(ت233 هـ/847م) ، جاءتهم امرأة تغسّل الموتى ، فسألتهم عن الحائض : هل يجوز لها غسل الموتى . فنظروا إلى بعضهم و لم يجبها أحد منهم, ثم قالوا لها : اسألي أبا ثور [1]، ذلك الرجل القادم إلينا ، فأجابها-بعدما سألته- بالجواز ، لقول عائشة-رضي الله عنها-: ((كنت أفرق رأس رسول الله-صلى الله عليه و سلم- بالماء و أنا حائض)) ،و بين لها أنه إذا جاز للمرأة تفريق رأس الحي ، فالميت أولى بذلك . فقال يحيى بن معين و أصحابه-بعد سماعهم للحديث- : نعم رواه ((فلان ،و حدثنا به فلان ،و نعرفه من طريق كذا ، و خاضوا في الطرق و الروايات . فقالت لهم المرأة : أين كنتم إلى الآن))[2] .

فهؤلاء علماء بالحديث ، لكنهم تشاغلوا بكتابته و سماعه و أهملوا فهمه . و من أقبح الأشياء أن تقع حادثة يسأل عنها شيخ-قد كتب الحديث ستين سنة- فلا يعرف حكم الله فيها[3] . و منهم من ينفق عمره في النسخ و السماع ،و جمع الكتب و الأجزاء الحديثية ، و لا يدري ما فيها لا من صحة حديثها و لا من فهم معناه ، و تراه يقول : الكتاب الفلاني سماعي ، و عندي له نسخة . و قد سمع بعضهم جزءا حديثيا عن مائة شيخ ، كان يحتفظ بسبعين نسخة سماع[4] .

و عندما ادعى بعض أصحاب الحديث أن جميع ما صح عن النبي-عليه الصلاة و السلام- بلغ 700ألف حديث ، لقول الإمام احمد بن حنبل : ((صح من الحديث عن رسول الله-صلى الله عليه و سلم-سبعمائة ألف حديث)) ، أنكر عليه ابن الجوزي ادعاءه ، و بيّن أن المقصود بالحديث الطرق التي وصلنا بها و ليس المتون ، بدليل أن مسند احمد بن حنبل مجموع ما فيه أربعين ألف حديث، من بينها عشرة آلاف مكررة[5] . و لو جمع الصحيح و الموضوع ،و كل ما نقل عن الرسول ، ما بلغ خمسين ألف حديث ! و هل يعقل أن يختار الإمام احمد أربعين ألفا من جملة 700 ألف حديث، و يترك الباقي ؟ ! و كيف يهمله ؟ ! الأمر الذي يثبت أن المراد بالحديث الطرق المتعددة لا المتون[6] . و قد روي الحافظ أبو زكريا يحيى بن مندة أن الإمام احمد أخرج مسنده من جملة 700 ألف حديث[7] . و لم يذكر أنه صح عنده ذلك العدد ، وأختار منه ما رواه في مسنده ؛كما أن قول

---

[1] هو الفقيه أبو ثور إبراهيم بن خالد البغدادي (ت 240 هـ/854م) . ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 3 ص : 180 ، ط د .

[2] ابن الجوزي : المصدر السابق ص : 430 .و ابن مفلح : المصدر السابق ج 2 ص : 131 .

[3] ابن الجوزي : نفس المصدر ص : 430 .

[4] نفس المصدر ص : 167 .

[5] نفس المصدر 246 .

[6] نفس المصدر ص : 247 .

[7] ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ج 1 ص : 158 .

ابن الجوزي هو الصحيح ، لأن كل ما في أيدينا من الروايات عن النبي -عليه الصلاة و السلام- لا يصل إلى خمسين ألف حديث ، و قد أحصيتُ كل الأحاديث القولية و الفعلية الموجودة في سبعين مصنفا من كتب السنة ، من الصحاح و المسانيد ، و الجوامع و السنن ، فبلغت قرابة ثلاثة و أربعين ألف حديث[1] .

و من المحدثين الذين انتقدهم ابن الجوزي ، الحافظ أبو سعد السمعاني الشافعي(ت 562هـ/1166م) ذكر عنه أنه عندما ترجم للحافظ ابن ناصر البغدادي الحنبلي(ت550 هـ/1155/)-في تاريخه- و صفه بأنه: دّين ثبت ، متقن عارف بالمتون و الأسانيد . ثم قال عنه : لكنه يحب أن يقع في الناس ،و يتكلم في حقهم ،و يحرص على تسجيل ما يقع له من مثالبهم[2] ؛ وأنه لا يحسن الكلام في الرواة ، إذ قال في أحدهم: ((كان كذابا ضعيفا في الرواية ، لا يحتج به و لا يعتمد علي روايته)) ، فبما أنه قال: ((كذابا)) لا يحتاج أن يقول : ((لا يعتمد على روايته)) ،و إذا رماه بالكذب فلا يقال : ((أنه ضعيف في الرواية ن فإن الضعف دون الكذب))[3] . ثم تصدى ابن الجوزي للرد عليه ، فاتهمه بالتعصب على الحنابلة و الطعن فيهم ، و عدم التفريق بين الجرح و الغيبة ،و أنه متناقض في موقفه من ابن ناصر ، فهو قد احتج كثيرا بكلامه في كتابه ذيل تاريخ بغداد ، ثم هو يطعن فيه من جهة أخرى[4] . لذا فهو -في نظر ابن الجوزي- قد أزرى على نفسه ، و ما كان ينبغي أن يحتج بكلامه في شيء ، و أي شغل للمحدث غير الجرح و التعديل ؟ فمن عدّ ذلك طعنا مذموما فما عرف علم الحديث . فلقد ((شفي أبو سعد غيظه بما لا معنى له في كتابه ن فلم يرزق نشره لسوء قصده ، فتوفي و ما بلغ الأمل))[5] .

ثم ذكر ابن الجوزي أنه لم تكن للسمعاني طريقة سليمة في الترجمة للأعلام ، فيقول عن الرجل : حسن القامة . و عن إحدى الشيخات أنها: كانت عفيفة .و هذا ليس كلام من يدري كيف الجرح و التعديل . و قال عن إحدى النساء أنه كان يقال له : دخل خرج . و هذا كلام ل يقوله عاقل[6] .و ذكر عنه كذلك أنه كان يدلس على الناس في التحديث، فيأخذ الشيخ البغدادي و يعبر به نهر

---

[1] عمر سليمان الأشقر : تاريخ الفقه الإسلامي ص : هامش ص : 95 .

[2] ابن الجوزي : المنتظم ج 10 ص : 163 .و الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 20 ص : 268 .و تذكرة الحفاظ ج 4 ص : 1289 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 227 . و ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات مج4 ج 1 ص : 12 .

[3] ابن رجب : نفسه ج 1 ص : 227 .

[4] ابن الجوزي : المصدر السابق ج 10 ص : 163 .و الذهبي : تذكرة الحفاظ ج 4 ص : 1289 .

[5] ابن الجوزي : نفس المصدر ج 10 ص : 225 .

[6] نفسه ج 10 ص : 225 . و ابن الفرات : المصدر السابق مج 4 ج 1 ص : 12 .

عيسى[1] ،و يقول : حدثني فلان فيما وراء النهر[2] ،و يجلس معه في رقة بغداد ، و يقول :حدّثني فلان بالرّقة[3]))[4].

وقد شرح الحافظ عبد العزيز بن الأخضر البغدادي الحنبلي (ت 611 هـ/ 1214 م) ما عابه السمعاني على ابن ناصر في طريقة جرح الرواة ففي قوله : ((كذاب ضعيف لا يحتجّ به ، ولا يعتمد على روايته))فهو جرح صحيح ، فقد وصفه بالكذب لأنه روى ما ليس من سماعه ،و نهي فلم ينته . وقوله : ضعيف في الرواية ،لأنه لم يميز صحيح حديثه من سقيمه . ولا ((يحتجّ به)) لأنه كذاب و ضعيف ،و لا ((يعتمد على روايته)) لوجود هذا التخليط في معرفته و حديثه . فلو وصفه بمجرد الكذب لما كان من أهله ، فالمترجم له لم ((ينفرد بوصف من هذه الأوصاف بل اشتمل عليها جميعا فكان الجرح على حسبها[5].

وأما عن اتهام ابن الجوزي للسمعاني بالتدلبس في التحديث، فيرى المؤرخان ابن الأثير (ت 630 هـ/ 1232م) و العماد أبو الفدا (ت 732 هـ/ 1331 م) أن ما قاله ابن الجوزي بارد جدا ؛ فأي حاجة للسمعاني إلى هذا التدليس ، بأن يأخذ شخصا ليحدثه و يقطع به نهر عيسى في بغداد ، و يقول : حدثني فلان من وراء النهر . وهو قد سافر فعلا إلى بلاد ما وراء النهر ؟ ! و إنما ذنبه عند ابن الجوزي هو أنه شافعي[6].إنه حقا لم يكن السمعاني في حاجة إلى هذا التدليس ، لكننا من جهة أخرى يصعب تكذيب ابن الجوزي فيما رواه عنه ، فهل يسمح لنفسه أن يتعمد الكذب عليه ، و يذكر الخبر بصيغة التأكيد لا التمريض ؟ و إذا افترضنا أنه تعمد الكذب عليه ، أليس في إمكان أهل بغداد كشفه و فضحه ؟ و ألم يستحي و يخاف من افتضاح أمره في تعمده الكذب عليه ؟كلّ هذا يجعلني أرجح صحة الخبر عن بطلانه . وما جاء عن السمعاني فهو ربما فعله مع بعض أهل العلم من باب التمثيل و الحكاية و التنكيت ؛ ولم يكن هدفه التمويه و التدليس ، لأن ما فعله ليس تدليسا في حقه لأنه رحل فعلا إلى بلاد ما وراء النهر . فجاء ابن الجوزي و حمل تصرفه على الحقيقة ، و وجده فرصة للطعن فيه .

---

[1] يجري بالجانب الغربي من بغداد و يصب في نهر دجلة . احمد سوسة : خارطة بغداد ص : 72 .

[2] هي البلاد التي تقع فيما وراء نهر جيحون الذي يصب في بحر آرال . انظر الخريطة رقم: 1 ص : .

[3] تقع في بلاد الجزيرة على نهر الفرات . عبد المنعم ماجد : المرجع السابق . الخريطة رقم : 4 .

[4] ابن الجوزي : المصدر السابق ج 10 ص :225 . و ابن الفرات : المصدر السابق مج 4 ج 1 ص : 12 .

[5] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص 227 .

[6] ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج 9 ص :98 . و أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ج 3 ص :44 .

و للمؤرخ شمس الدين الذهبي رأي في مسألة طعن السمعاني في ابن ناصر ، مفاده أن السمعاني لم يكن يتعصب على الحنابلة ، و لم يجرّح ابن ناصر ولم يعدّله وإنما قال عنه : ((إنه يحب أن يقع في الناس)) و هو فعلا قد كان فيه تعصب و تعسف في جرّحه و تعديله لبعض الشيوخ[1] . ثم انتقل الذهبي للرد على ابن الجوزي قائلا له: ((لا تنه عن خلق و تأتي مثله)) ، فأنت الذي تتفاخم على السمعاني ،و قد ملأت كتابك المنتظم بتراجم السمعاني –التي في تاريخه– منذ نيف[2] و ستين و أربعمائة إلى زمانك[3] . ثم ذكر أن الاسمعاني أعلم من ابن الجوزي في الحديث و الرجال و التاريخ ،و لا يصل مرتبته . فأين من رحل في طلب الحديث إلى الشام ،و العراق ،و الحجاز ،و خراسان ،و ما وراء النهر ، و سمع في أكثر من مائة مدينة ، من ابن الجوزي الذي لم يسمع إلا في بغداد ،و لا روى إلا عن بضعة و ثمانين نفسا . لذا فلا ينبغي أن يطلق على ابن الجوزي اسم الحفظ باعتبار الاصطلاح ، بل بالنظر إلى أنه ذو حافظة قوية ،و علم واسع ،و فنون كثيرة ،و اطلاع عظيم[4] .

و يرى الباحث بشار عواد أن ابن الجوزي قد ((نال من أبي سعد السمعاني بكلام قبيح ، على عادته مع من ينتقد الحنابلة من العلماء ، و نسب إليه أشياء لا صحة لها))[5] . لكن حقيقة الأمر– على ما يبدو– أن هناك تحاملا من الاثنين ، فالسمعاني بالغ في الحط على ابن ناصر ، فهو من جهة يصفه بأنه : حافظ ثبت ، و دين متقن ، و عارف بالمتون و الأسانيد ، ثم يتهمه من جهة أخرى بعدم إتقان استعمال ألفاظ جرح الرواة . و ابن الجوزي دفعه نعصبه لأصحابه ،و انتصاره لشيخه ابن ناصر ، إلى الإفراط في الحط على ابن السمعاني ، فهو و إن خطّأه في طريقة الترجمة للأعلام ، فإنه قد روى عنه كذلك حادثة ما وراء النهر للطعن فيه بتعمد التدليس و الكذب ؛ و هو يعلم أن السمعاني قد رحل بالفعل إلى بلاد ما وراء النهر ، فكان عليه في هذه الحالة، إما أن يسكت عن هذا الخبر ،و إما أن يريه بصيغة التمريض لا التأكيد،و إما أن يذكره و يبحث له عن تأويل .

و كانت بين ابن الجوزي و المحدث عبد المغيث بن علوي البغدادي الحنبلي(ت583 هـ/1187م) منازعات حادة انتهت بالمقاطعة و الهجران، بسبب ما جرى بينهما من اختلاف في مسائل فقيهة ، كمسألة لعن يزيد بن معاوية[6] .و قد صنف ابن الجوزي كتابين للرد عليه ، هما : الرد

[1] الذهبي : تذكرة الحفاظ ج 4 ص : 1289 .و تاريخ الإسلام ج : 541-550هـ/ ص : 406 ، 407 .

[2] هو ما زاد عن العقد من واحد إلى ثلاثة . علي بن هادية : المرجع السابق ص : 1263 .

[3] الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج: 541-550 هـ/ص : 406 ، 407 .

[4] نفسه ج: 541-550 هـ/ص : 407 .و سير أعلام النبلاء ج 20 ص : 268 .

[5] المنذري : المصدر السابق ج 1 هامش ص : 98 .

[6] انظر : ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 357 .

على المتعصب العنيد المانع ذم يزيد .و آفة أصحاب الحديث و الرد على عبد المغيث[1] .اتهمه فيهما بقلة الفهم و الفقه ، بدليل أنه روي عنه أنه زوج رجلا فقال له : زوجتك بحق وكالتي بنت أخي فلان . ثم عندما انصرف الرجل قال له بعض الناس ك لم ينعقد لك زواج ،و لا يحل لك قربان المرأة ، لأن أباها له أربع بنات ، و الذي زوجك ما سمى المرأة المزوّجة . فتعجب الناس من قلة فهم عبد المغيث للفقه[2] .

و انتقد المتكلم الفخر إسماعيل غلام بن المني البغدادي الحنبلي(ت610 هـ-1213م) أصحاب الحديث في زمانه ،و طعن فيهم ،و قال عنهم : ((هم جهال لا يعرفون العلوم العقلية ، و لا معاني الحديث الحقيقة ن بل هم مع اللفظ الظاهر))[3] . وقوله هذا لا يصدق عللاكل المحدثين و إنما يصدق على بعضهم ، من الذين طابوا علم الحديث رواية لا دراية ، و هم الذين انتقدهم ابن الجوزي ،و قال عنهم ابن تيمية أن الخلل دخل عليهم من عدم صحة النقل ،و الخطأ في الفهم ، حتى أن فيهم من يقول-أحيانا- القولين المتناقضين ، و يتأول تأويلات غير صحيحة يكفر بها أناسا من الأعيان .ثم ذكر-أي ابن تيمية- أنه رأى من بعضهم عجائب لم يورد أمثلة منها[4] . و هذا الصنف من أدعياء العلماء يوجد في كل العلوم دون استثناء ، و ليس هو خاصا بالمحدثين ،كما أن اتهام غلام ابن المني لهم بالجهل، لأنهم لا يعرفون العلوم العقلية هو اتهام باطل، فليس الفهم و العلم متوقفين بالضرورة على معرفة تلك العلوم ؛ فقد أبدع علماء المسلمين الأوائل في الفقه و أصوله ،و علوم القرآن ،و الحديث النبوي ، و علوم اللغة ،و لم يكونوا في حاجة إلى علم الكلام و الفلسفة و ما يتصل بها من علوم .

و يعتقد الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، أن أهل الحديث هم الفرقة الناجية ، ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا الرسول-صلى الله عليه و سلم-،و لا يرجعون إلا إلى الكتاب و السنة، و لا ينصبون مقالة يجعلونها من أصول دينهم[5] . و هم أهل علم بالسنة حفظا و فهما ، و اتباعا ظاهرا و باطنا، غير أنه فيهم جماعة مقتصرة على سماع الحديث و كتابته و روايته ، و لا تميز بين صحيحه و سقيمه[6] . فمنها من جمع في باب الصفات أحاديث فيها المكذوب ، و القريب من الصحة ، و المتردد فيها ،

---

[1] نفسه ج 1 ص : 357 .

[2] ابن رجب المصدر السابق ج 1 ص :374 .

[3] الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 22 ص : 29 . و الصفدي : الوافي بالوفيات ج 9 ص : 158 .

[4] ابن تيمية : نقض المنطق ص : 22-23 .

[5] ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج 3 ص : 347 .

[6] ابن تيمية : نقض المنطق ص : 81 .

ثم جعلها عقائد و صنف فيها كتبا و كفر من يخالفه فيما دلت عليه تلك الأحاديث التي جمعها[1] . وممن كان على هذا المسلك :المحدث عبد الرحمن بن مندة الأصفهاني)ت470 هـ/1077م)[2] ،و و المحدث أبو القاسم بن الخباز البغدادي(ت593 هـ/1196/) حدث أربعين سنة و لم يكن عنده من العلم شيء[3] . و أبو حفص بن طبرزد البغدادي(ت 607هـ/1210م) رحل في طلب الحديث و روايته ،و انفرد بعلو الإسناد ، و مع ذلك فإنه لم يكن يفهم من العلم شيئا ، و يتهاون في أمور الدين[4] . و أمر هذا الصنف من المحدثين غريب جدا ، يمضون عقودا من الزمن في سماع الحديث و رواياته ،و لا يحرصون على فهمه و التفقه في الدين .

و انتقد ابن تيمة الحافظين ابن ناصر و ابن الجوزي في روايتهما لحديث مكذوب ، هو ((إن أكثر حوادث الأنبياء كانت يوم عاشوراء كمجيء قميص يوسف إلى يعقوب ،و رد بصره ،و فداء الذبيح إسماعيل)) ، فأخذ على ابن الجوزي ذكره لهذا الحديث في كتابه الموضوعات ، ثم روايته مرة أخرى في مصنفه : النور في فضائل الأيام و الشهور ، بدعوى أن شيخه ابن ناصر قال أنه حديث صحيح،و إسناده على شرط الصحيحين . لكن حقيقته أمره أنه حديث موضوع ن راج على ابن ناصر لظهور حال رجاله ،و إلا فهو ((مخالف للشرع و العقل ،لم يرويه أحد من أهل العلم المعروفين في شيء من الكتب ، و إنما دلّس على بعض الشيوخ المتأخرين))[5] .

و قد تعرض ابن ناصر لانتقاد آخر من الحافظ شمس الدين الذهبي ، لروايته حديث موضوع عن فضل إحياء ساعة من ساعات ليلة النصف من شعبان ، فقال عنه: ((فما أتعجب إلا من قلة ورع ابن ناصر ، كيف روي هذا الحديث و سكت عن توهينه ؟))[6] . ثم عاب على عامة علماء الحديث في القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م تهاونهم في رواية الأحاديث الواهية و الموضوعة و السكوت عنها ، دون تحقيقها و السكوت عنها .و حمّلهم المسؤولية أمام الله تعالى ،و أشار إلى أن الفائدة المرجوة من معرفة التاريخ و علم الرجال هي كشف الحديث و هتكه ، لئلا يروج على من لا يعلم[7] .

[1] ابن تيمية : التفسير الكبير ج 6 ص : 415 .

[2] نفس المصدر ج 6 ص : 416 .

[3] الذهبي : المختصر المحتاج إليه ص : 378 .

[4] ابن النجار : المصدر السابق ج 20 ص : 118 .

[5] ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ج 4 ص : 182 .

[6] الذهبي : ميزان الاعتدال في نقد الرجال ج 3 ص : 566 .

[7] الذهبي : تاريخ الإسلام ج: 571-580هـ /ص : 82 .و ابن كثير : طبقات فقهاء الشافعية ج 2 ص : 696 .

و أما فيما يخص الفقهاء ، فقد انتقدهم ابن الجوزي في أن أكثرهم أهملوا الجمع بين الفقه و الحديث .و أنهم يستعملون الأحاديث الضعيفة في بحوثهم الفقهية .و أنهم يخالطون السلاطين و يأخذون أموالهم ،و يزدرون بغيرهم ، و يهملون تطهير بواطنهم من أمراضها القلبية[1] .و ذكر أنه يوجد من بينهم من هو مشغول بالجدال بما يزيد في قسوة قلبه و يدفعه إلى حب الرياسة[2] . ثم نبّه إلى أن الفقهاء في القديم كانوا هم المحدثون ، ثم حصل بينهما انفصام ، فاصبح كل منهما لا يعرف ما عند الآخر من العلم ، فالفقيه لا يميز بين صحيح الحديث و سقيمه ، و المحدث قد لا يفرق بين أركان عقد الزواج و مبطلاته[3] .

و انتقد ابن الجوزي قرّاء عصره في أن أحدهم يفني أثر عمره في جمع الروايات الشاذة و الاشتغال بها ،و ((تصنيفها و الإقراء بها ،و يشغله ذلك عن معرفة الفرائض و الواجبات ، فربما رأيت إمام مسجد للإقراء و لا يعرف ما يفسد الصلاة)) ،و قد يدفعه حب التصدر إلى عدم الجلوس بين يدي العلماء ن ليأخذ عنهم الفقه[4] .و ذكر أن جماعة منهم كانت توقد النيران الكثيرة لختمة القرآن الكريم ، فيجمعون بين ((تضييع المال و التشبه بالمجوس ،و التسبب في اجتماع النساء و الرجال بالليل للفساد))[5] . فهم كمن يشغل نفسه بالروايات و يعتكف على الشواذ ، و يعتقد أن ((المقصود نفس التلاوة ،و لا يتلمح عظمة المتكلم ،و لا زجر القرآن و وعيده)) ظنا منه أن حفظه للقرآن يدفع عنه ؛ فيترخص في ارتكاب الذنوب ،و لم يتفطن إلى أن حجة الله عليه أقوى ممن لم يقرأ [6] .

ثانيا : نقد ابن الجوزي للوعاظ :

لم يستثن عبد الرحمن ابن الجوزي(ت597 هـ/1200م) و عاظ عصره من انتقاداته ، عليهم أنهم يذكرون للناس في وعظهم العجاءب و المنقولات الباطلة ، المعاني المخالفة للشريعة ، لبعدهم عن معرفة الصحيح من الأخبار ،و لاختيارهم ما ينفق على العامة كيفما اتفق[7] . و قد يزينون لهم الرّخص بما يروونه عنها من أحاديث باطلة ، فيخرج بعضهم مصرا على المعاصي ، قائلا : ربي كريم . و قد يسمع منهم آخرون ذم الدنيا و أخبار الزهاد فيفهمون منهم أن المقصود هو ترك الدنيا كلية

---

[1] ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص : 137 ، 139 ، 140 ، و ما بعدها .

[2] ابن الجوزي : صيد الخاطر ص : 436-437 .

[3] نفس المصدر ص : 137 ، 429 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 374 .

[4] ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص :130 .

[5] نفس المصدر ص : 131 .

[6] ابن الجوزي : صيد الخاطر ص : 436 .

[7] ابن الجوزي : المنتظم ج 9 ص :" 222 .

فيتخلّون عنها ، و لا يعرفونهم ما المتروك منها[1] .و هم في اعتقاده يعطون مكان الترياق[2] سما ، و ينشدون أشعار العشق و الغزل ، و لا يتعرضون لتعريف الواجبات ،و لا بالزجر عن المنهيات[3] .

و من أشهر الوعاظ الذين انتقدهم ، اثنان هما : أبو الفتوح أحمد بن محمد الغزالي[4](ت520 هـ/1126م) ، و أبو منصور المظفر بن العبادي(ت547 هـ/1152م) . فالأول كان له قبول واسع في بغداد ، جعل ابن الجوزي يتعجب من نفاق هذيانه–على حد تعبيره– على أهلها ،و عاب عليه روايته للأحاديث الموضوعة ، و الحكايات الفارغة،و المعاني الفاسدة ،و مجالسة المردان و النظر إليهم و تقبيلهم[5] . و حكى عنه أنه كان يتعصب لإبليس ،و يقول عنه : من لم يتعلم منه التوحيد فهو زنديق . لذا قيل عنه : إن مدم كلامه ((شيطاني لا رباني ، أذهب دينه و الدنيا لا تبقى))[6] .

و قد تعجب المؤرخ ابن الأثير من ابن الجوزي، في ذمه لأحمد الغزالي وقدحه فيه بأشياء كثيرة ، كروايته للأحاديث غير الصحيحة ، ثم هو نفسه يذكرها مي مواعظه و مصنفاته ، ثم قال: ((يا ليت شعري أما كان للغزالي حسنة ، تذكر مع ما ذكر من المساوئ التي نسبها إليه ، لئلا ينسب إلى الهوى و الغرض))[7] .و أقول إن ابن الجوزي اعترف بأن لأحمد الغزالي نكتا لطيفة[8]،و هو لم ينفرد بذمه ، فقد روي أن أبا سعد السمعاني قد وصفه بالكذب و البهتان و الفجور،و أنه سمعه يقول : إن الشيطان سجد له[9] . فإذا صح ما رواه ابن الجوزي و السمعاني عن احمد الغزالي ن فأية محاسن بقيت له جديرة بالتنويه ، يريد ابن الأثير أن تذكر له ؟ ! و إذا كان هو يعرف له محاسن فلماذا لم يدونها له في تاريخه [10] ، ليرد بها على المطاعن التي رواها هؤلاء ؟ .

---

[1] ابن الجوزي : أحكام النساء ص : 3 .

[2] الترياق هو دواء السموم ، و هو فارسي معرّب . محمد بن أبي بكر الرازي : المصدر السابق ص : 57 . و علي بن هادية : المرجع السابق ص : 185 .

[3] ابن الجوزي : المصدر السابق ص : 10 .

[4] هو أخ حجة الإسلام أبي حامد .

[5] ابن الجوزي : المنتظم ج 9 ص / 261 ، 262 . و ابن كثير : البداية و النهاية ج 12 ص / 196 .

[6] ابن الجوزي : نفسه ج 10 ص : 262 .

[7] ابن الأثير : ج 8 ص : 323 .

[8] ابن الجوزي : المصدر السابق ج 9 ص : 260 .

[9] السبط بن الجوزي : المصدر السابق ج 8 ص : 121 .

[10] انظر الكامل في التاريخ ج 8 ص : 323 .

و أما ابن العبادي ،فذكر عنه ابن الجوزي أن في كلامه الوعظي عجائب و منقولات باطلة ،و معاني فاسدة تخالف الشريعة . و مع ذلك فقد كانت له أقوال جيدة ، وفصاحة و حسن عبارة ، كقوله ((لا تفرقوا من رشاش ماء رحمة ، قطر عن متن سحاب نعمة ،و لكن فروا من شرار نار اقتدح من زناد الغضب)) ، لكن الغالب ((على كلامه ما ليس تحته كثير معنى ، وكتب ما قاله في مدة جلوسه فكان مجلدات كثيرة ، فترى المجلد من أوله إلى أخره ، ليس فيه خمس كلمات كما ينبغي))[1] . و كلامه هذا لا يستقيم ، دافعه–على ما يبدو– التعصب و الحسد ، وإلا كيف نفسر اعترافه للعبادي بالفصاحة و حسن العبارة ،و إيراده من جيد كلامه ما زاد عن ثلاث و ثلاثين كلمة[2] ؛ ثم يدعي أن المجلد الواحد –من وعظه– كله لا معنى له ، ولا توجد فيه خمس عبارات في محلها ؟ ! .و هل يعقل أن يكون كلامه– على ما وصفه ابن الجوزي –،و يجد إقبالا من الناس و رواجا بينهم ؟ ! .

و يستنتج مما أوردناه عن نقد علماء الحنابلة للمشتغلين بعلوم الشريعة و الوعظ ، أن ابن الجوزي هو أكثرهم انتقادا لهؤلاء ،و لباقي طوائف مجتمعه . وأنه كان ناقدا و محللا اجتماعيا ، معتمدا على منهج قائم على النقل و العقل ،و التاريخ و الواقع . و قد ساعده على ذلك تبحره في العلوم ،و تحرره من قيود التقليد المذهبي ، فانفتح له مجال النقد على مصراعيه ليشمل الأفكار و السلوكات و المصنفات .

المبحث السادس : في نقد المصنفات

شهدت الحياة العلمية الحنبلية في المشرق الإسلامي–خلال القرنين:6-7هـ/12-13م– حركة فكرية نقدية نشطة و هادفة ، شملت مصنفات كثيرة في مختلف العلوم ، على أيدي كبار علماء الحنابلة ، كعبد الرحمن ابن الجوزي ، و موفق الدين بن قدامة المقدسي ،و تقي الدين بن تيمية الحراني .

أولا : نقد ابن الجوزي ،و الموفق بن قدامة لبعض المصنفات :

انتقد ابن الجوزي (ت597 هـ/1200م) كبار المؤلفين في التصوف ، كأبي نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء ،و أبي حامد الغزالي في إحياء علوم الدين ،و محمد بن طاهر في كتابه صفوة التصوف ، في أنهم جمعوا في مصنفاتهم الأكاذيب ،و الاعتقادات الباطلة ،و الكلام المرذول ،و ملؤها بالأحاديث المكذوبة[3] .و مما عابه على الغزالي –في إحياء علوم الدين– أنه لم يلتزم فيه بقانون

[1] ابن الجوزي : المصدر السابق ج 10 ص : 151 .
[2] انظر : نفس المصدر ج 10 ص : 150-151 .
[3] ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص : 186 و ما بعدها .

الفقه ، اتبع التصوف ، فمن ذلك أنه ذكر –في باب محو الجاه ومجاهدة النفس– أن رجلا دخل حماما و سرق ملابس ،و ارتده فوقها ثيابه ، و خرج يمشي على مهل ، فلحقوا به و أخذوا منه الملابس المسروق ، و سموه سارق الحمام. فهذا الخبر–عند ابن الجوزي– رواه الغزالي على سبيل التربية و التعليم ،و هو أمر قبيح معارض للفقه ، فلو كان في الحمام حافظ للملابس لأقيم على السارق حد[1] السرقة[2] .

و ذكر ابن الجوزي أنه لما رأى في إحياء علوم الدين ما يدهش من التخليط في الأحاديث و التواريخ ، صنف كتابا سماه : إعلام الأحياء بأغاليط الإحياء ، بين فيه أخطاءه و نقائصه ،و التي منها كثرة الأحاديث الضعيفة و الموضوعة ، لأن الغزالي كان حاطب ليل في نقله ، لقلة علمه بالمنقولات ،و ليته عرضها على من يحققها له[3] . ثم بعد ذلك قام ابن الجوزي باختصار الإحياء ، فأسقط منه أشياء و زاد فيه فوائد ، و سماه : منهاج القاصدين[4] ، اعترافا منه بالجانب الإيجابي للكتاب .

و عاب ابن الجوزي على الحافظ أبي سعد السمعاني(ت 562 هـ/1166م) أنه جمع في كتابه : ذيل تاريخ بغداد ، ما كتبه –الذين سبقوه– في الوفيات ، و أنه تلقف أشياء عن المحدثين في بغداد ،و جعلها في كتابه ، من وفاة الخطيب البغدادي(ت463 هـ/1070م) ، إلى زمانه هو[5] .ثم قال: و لو تتبع كتابه لوجد مليئا بالأغاليط و الأنساب المختلفة ، و وفاة أقوام هم في الأحياء ،لكن الزمان أشرف من أن يضيع في مثل هذا الرجل[6] . و ليته ذكر أمثلة مما ادعاه على السمعاني ، لنتأكد من قوله ، الذي يشتم منه رائحة التعصب و التقزيم . لأن ما فعله السمعاني هو عمل ضروري لكل مؤرخ ، فعليه أولا أن يجمع المادة التاريخية من مصادرها . ثم ينسقها و يدونها ثانيا . ثم يحققها و ينقدها حسب قدراته ثالثا . كما أنه ليس عيبا أن يعتمد السمعاني على المؤرخين السابقين له ، بل ذلك محتم عليه ؛ و ابن الجوزي نفسه أدخل في كتابه المنتظم ما دوّنه المؤرخون السابقون له .

و أما الموفق فقد صنف كتابه : تحريم النظر في كتب أهل الكلام ، ردا على كتاب النصيحة لابن عقيل ، فانتقده فيه انتقادا لاذعا ،و ذكر أنه عندما اطلع عليه وجده فضيحة لا نصيحة ، لما اشتمل

---

[1] لأن من شروط إقامة حد السرقة ، أن يكون الشيء المسروق في حرز . السيد سابق : المرجع السابق ص : 2 ص : 462 .

[2] ابن الجوزي : المنتظم ج 9 ص : 169 .

[3] ابن الجوزي : نفسه ج 9 ص : 169 .و صيد الخاطر ص : 439 .و ابن الفرات : المصدر السابق مج 4 ص : 2 ص . 211 .

[4] ثم اختصره الموفق بن قدامة و سماه : مختصر منهاج القاصدين ، و هو مطبوع و متداول ، وسيرد الكلام عنه في الفصل الخامس .

[5] ابن الجوزي :المصدر السابق ج 10 ص : 224 .

[6] نفس المصدر ج 10 ص : 425 .

عليه من البدع القبيحة ،و الشناعة على سالكي الطريق و الواضحة الصحيحة[1] ؛ و أكد أنه لولا أن ابن عقيل تاب عما قاله لعد في زمرة الزنادقة،و ألحق بالمبتدعة المارقة[2] . ثم شرع في الرد على القضايا الرئيسية التي أثارها ابن عقيل في نصيحته ، كمسألة تأويل الصفات ،و التقليد و الاجتهاد ،و خبر الآحاد[3] ؛ متبعا في ذلك منهجا جمع فيه بين المناقشة و الإلزامات العقلية ، و بين الاحتجاج بالكتاب و السنة وأقوال السلف[4] .

ثانيا : نقد ابن تيمية لبعض المصنفات :

انتقد الشيخ تقي الدين ابن تيمية كتبا كثيرة ، منها : نهج البلاغة للأديب الشريف المرتضي الشيعي الإمامي البغدادي(ت436 هـ/1044م) ،وإحياء علوم الدين لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي(ت 505 هـ/1111م) . ففيما يخص الكتاب الأول فيعتقد ابن تيمية أن أكثر خطبه مفتراة على الإمام علي بن أبي طالب-رضي الله عنه- لذا لا يوجد غالبها في كتاب متقدم ، و لا لها أسانيد معروفة ، فالذي دونها من أين نقلها ؟ ! فهي بمنزلة من ادعى أنه علوي أو عباسي ، و لا يعلم أن أحدا من سلفه أدعى ذلك قط ، و لا أدعي له ذلك ؛ الأمر الذي يدل على كذبه ، لأن النسب يكون معروفا من أصله حتى يصل بفرعه . فكذلك المنقولات يجب أن تكون ثابتة معلومة عمن نقلت حتى تتصل بنا[5] .

و ذكر ابن تيمية أن في نهج البلاغة أمور كثيرة علمنا يقينا-من الإمام علي-ما يناقضها ، لذا فليس علينا نحن أن نتبين أن هذا كذب ، بل تكفينا المطالبة بصحة النقل ، لأن الله تعالى لم يوجب على عباده أن يصدقوا بما لم يقم دليل على صدقه[6] . و مصنف نهج البلاغة أخذ كلام الناس و نسبه لعلي بن أبي طالب ، من ذلك أنه أخذ أقوالا من كتاب البيان و التبيين للجاحظ ،و ألحقها بنهج البلاغة منسوبة لعلي .و إلا فليبين ((الناقل لها في أي كتاب ذكر ذلك ،و من الذي نقله عن علي ،و ما إسناده ،و إلا فالدعوى المجردة لا يعجز عنها أحد)) [7] . وقوله هذا صحيح ، لأن بين الإمام علي(ت40 هـ/660م) و الشريف المرتضي(ت436 هـ/1044م) نحو أربعمائة سنة ، أي بينهما

---

[1] الموفق بن قدامة : تحريم النظر ص : 1 .

[2] نفس المصدر ص : 8 .

[3] نفس المصدر ص : 10 ، 18 .

[4] انظر -مثلا- ص : 36 ، 37 .

[5] ابن تيمية : منهاج السنة ج 4 ص : 24 .

[6] نفسه ج 4 ص : 24 .

[7] نفس المصدر ج 4 ص : 159 .

سبع طبقات دون أسانيد ؛ و حتى إذا افترضنا أنها وجدت فلابد من دراستها و تحقيقها[1] .و كما أن في الكتاب ((سب للصحابة تصريحا و تلميحا ، و فيه سجع متكلف ظاهر التوليد ، الذي تنبوا عنه فصاحة الصحابة))[2] .

و أما كتاب إحياء علوم الدين ، فقد اعترف ابن تيمية بأن غالب محتواه جيد ن لما فيه من كلام مستقيم عن أعمال القلوب الموافقة للكتاب و السنة عن المشايخ العارفين ؛ غير أن فيه أحاديث كثيرة ضعيفة و موضوعة .و فيه كذلك مواد فاسدة ، من كلامية و فلسفية و صوفية ،و فيه أقوال للفلاسفة في التوحيد و النبوة و المعاد ، لذا قيل عن مؤلفه –أي الغزالي– : أمرضه الشفاء ، أي كتاب الشفاء لبن سينا في الفلسفة[3] .

و أشار إلى أن أكثر ما في كتاب الاحياء عن مهلكات الأخلاق كالكبر و العجب و الرياء ، هو كلام جيد نقله من كتاب الرعاية للحارث المحاسبي البغدادي (ت 243 هـ/ 857 م) . و ما نقله عنه فيه المقبول ،و المردود ،و المتنازع فيه[4]. ثمّ نبّه إلى أن ذكر المصنفين للأحاديث المكذوبة في مؤلفاتهم ،قصد العمل بها مع الإمساك عن بيان أنه كذب ، حرام عند العلماء لما رواه الترمذي في حديثه الصحيح أنه –عليه الصلاة و السلام–قال : ((من حدّث عني حديثا وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين)) و أما إذا رويت مع بيان كذبها فجائز[5]

و هذا يعني أن إيراد الغزالي أحاديث كثيرة ، ضعيفة و موضوعة في إحيائه دون تمييز لها ، هو عمل غير جائز ،مما كان سبب في إنكار كثير من العلماء عليه ، كابن الجوزي و أبي بكر الطرطوشي المالكي (ت 520 هـ/ 1126م) و القاضي عياض (ت 544هـ / 1149 م) ،و شمس الدين الذهبي (ت 748 هـ/ 1347 م)[6]. و قد ردّ الباحث الطاهر المعمودي على الفقيه تاج الدين السبكي عندما هوّن من وجود الأحاديث الباطلة في الإحياء بقوله : ((و ليس في ذلك كبير أمر و لا مخالفة شرع)) فأخذ عليه أنه لم يكن موضوعيا ، و أن الورع يقتضي التحري في الرواية كي لا ينسب للرسول –صلى الله عليه و سلم – ما لم يقله ، و الشرع قد شدد الوعيد في من يتساهل في أمر

---

[1] أبو عبيدة مشهور آل سليمان : كتب حذر منها العلماء ط1 الرياض ، دار الصميعي 1415هـ ج 2 ص : 253 ، 254 .

[2] نفس المرجع حج 2 ص : 254 .

[3] ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج 6 ص : 55 ، و ج 10 ص : 552 .

[4] نفس المصدر ج 10 ص: 551 .

[5] ابن تيمية : الزّهد و الورع ، الجزائر دار الشهاب ،ص : 112 .

[6] ابن الجوزي : المنتظم ج 9 ص : 169 . و الذهبي : تاريخ الإسلام ج : 501 – 520 هـ/ ص : 124 ، 128 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ص : 139 . و ابن كثير : المصدر السابق ج 12 ص : 147 .

الحديث[1]. و ما ذهب إليه السبكي ليس بصحيح ، لأن الأمانة العلمية تقتضي ألا ينسب لإنسان ما كلاما ليس له أو مشكوكا فيه . فبأي مبرر سمح الغزالي لنفسه أن يروي أحاديث ضعيفة و موضوعة و لم يميزها بالعودة إلى كتب الحديث المتخصصة ، أو بالاستعانة بالمحدثين ليحققوها له ؟.

و أشير – في ختام هذا الفصل – إلى أن أكثر علماء الحنابل نقدا للعلم و العلماء –في القرنين : 6-7 هـ /12 – 13م – هم أنفسهم لم يسلموا من الانتقاد منهم ابن عقيل ، و ابن الجوزي و ابن تيمية . فالأول انتقده أصحابه عندما أظهر ميله للمعتزلة ، فطردوه و افتوا بهدر دمه . وتصد للرد عليه الموفق بن قدامة المقدسي في كتابه تحريم النظر في كتب أهل الكلام . و عاب عليه ابن تيمية اضطرابه في مسألة الصفات بين التأويل و الإثبات[2].

و أما ابن الجوزي فأخذ عليه المؤرخان ابن الأثير و العماد أبو الفدا أنه كثير الوقيعة في العلماء ، ولم يبق على أحد من سادة المسلمين و صالحيهم إلاّ الحنابلة[3].و لاحظ عليه ابن كثير أن فيه ترفعا و إعجابا بنفسه أكثر من مقامه كقوله : لو كان العلم شخصا ناطقا و سألته هل زار مثلي ؟ قال : لا[4]. و انتقده الذهبي في أنه يذكر الجرح دون التعديل عن بعض الرواة .و أنه متناقض في مسألة الصفات ، فيوم أشعري ،و يوم حنبلي ، لذا لم يرض عن عقيدته الحنابلة و لا الشافعية[5] . و حتى حفيده السبط بن الجوزي(ت654 هـ/1256م) فقد انتقده في ذمه للصوفية ،و اتهمه بالتعصب الزائد على خصومه ،و أنه ذكر أخبارا في تاريخه لا فائدة فيها[6] . وقال عنه المحدث السيف بن المجد عيسالمقدسي الحنبلي(ت643هـ/1245م) : ((ما رأيت أحدا يعتمد عليه في دينه و علمه وعقله ، راضيا عن ابن الجوزي))[7] .و أرسلت إليه جماعة من علماء الحنابلة في بغداد رسالة ، فيها انتقادات و نصائح ،و تحذيرات و تهديدات[8] .

---

[1] الطاهر المعمودي : الغزالي و علماء المغرب . الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب 1990 ، ص : 47 .

[2] ابن قدامة : تحريم النظر ص : 4 ، 5 ، 6 . و أنظر : المبحث الخامس من الفصل الثالث .

[3] ابن الأثير : المصدر السابق ج 8 ص :334 ، و ج9 ص :98 . و أبو الفدا : المصدر السابق ج 3 ص :44 ، 101 .

[4] ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص :29 .

[5] الذهب : ميزان الاعتدال ج 3 ص : 11 ، 611 . تاريخ الإسلام ج: 541-550هـ/ص : 300 .

[6] السبط : المصدر السابق ج 8 ص : 48 ، 139 ، 255 .

[7] الذهبي : تاريخ الإسلام ج: 591-600هـ/ص : 303 .

[8] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 205 و ما بعدها .

وفيما يخص ابن تيمية ، فقد انتقده محبوه و خصومه، فالأولون أخذوا عليه امورا ، منها :كلامه في بعض الأكابر من العلماء و العباد . و تعمقه في مناقشة المتكلمين و الفلاسفة . و انفراده ببعض شذوذ المسائل التي أنكرها السلف على من شذّ بها[1] .و أما خصومه فعابوا عليه أشياء منها : زهوه على معاصريه من العلماء بسعة علمه .و تخطئته لعمر بن الخطاب و علي بن أبي طالب –رضي الله عنهما – في بعض المسائل الفقهية . و تعصبه للحنابلة و وقوعه في الأشاعرة كالغزالي و محي الدين بن عربي[2].

و أقول –تعقيبا على هؤلاء – : أولا لقد انتقد ابن الجوزي كثيرا من العلماء و الأعيان ، لكنه لم يستثني منهم الحنابلة على ما ادعاه ابن الأثير و أبو الفدا ، بل نقد كثيرا من أعيانهم[3]. كما أنه أثنى على علماء آخرين ليسوا من الحنابلة[4]. ثانيا أن النقد ضروري في البحوث العلمية ،و بدونه لا تتطور العلوم ، لذا فإذا ما التزم أي باحث بالموضوعية و آدابها في نقده لطوائف العلماء و الأعيان ، فلا يحق لأي معترض الإنكار عليه ، بل عليه أن ينظر إلى أدلّته للردّ عليها ، لا إلى الشخصيات التي انتقدها .و ثالثا فقد تبين لي من تتبع انتقادات ابن الجوزي و ابن تيمية للمذاهب و الأعيان ، أنهما في معظم الأحيان يدعمان أراءهما بدلائل المنقول و المعقول و الشواهد التاريخية .

ويستنتج مما ذكرناه عن النقد العلمي عند علماء الحنابلة بالمشرق الإسلامي –خلال القرنين : 6 – 7هـ / 13/12 م – أنهم أحدثوا حركة نقدية تجديدية هادفة ،مسّت علوما شتى ،من فقه و حديث ، و كلام و فلسفة ،و تاريخ و أدب ، قدموا من خلالها أعمالا علمية رائدة قلّ نظيرها عند غيرهم من المسلمين ، و جمعت بين صحيح المنقول و صريح المعقول ، و تميزت بالإبداع و التجديد و الأصالة ، فكان لها الأثر الفعال في تنشيط الحركة العلمية الحنبلية و إثراء تراثها العلمي .

---

[1] ابن رجب : المصدر السابق ج2 ص : 394 .

[2] ابن حجر العسقلاّني : المصدر السابق ج 1 ص : 153 ، 154 .

[3] سبق ذكرهم في هذا الفصل ، كابن حامد و عبد القادر الجيلاني و صدقة بن الحسين .

[4] انظر : المنتظم ج 9 ص : 154 ، 164 ، 167 .

الفصل الخامس

تراث الحنابلة العلمي في المشرق الإسلامي

(في القرنين: 6-7 هـ/12-13م)

المبحث الأول: تصنيف الكتب عند علماء الحنابلة
المبحث الثاني : تراث الحنابلة في علوم القرآن و الحديث
المبحث الثالث:تراث الحنابلة في الفقه و علم الخلاف
المبحث الرابع : تراث الحنابلة في أصول الدين و التصوف و الوعظ
المبحث الخامس : تراث الحنابلة في التاريخ و اللغة و الأدب
المبحث السادس : تراث الحنابلة في علوم الأوائل و موضوعات أخرى

تراث الحنابلة العلمي في المشرق الإسلامي
(في القرنين: 6-7 هـ/12-13م)

أثمرت جهود علماء الحنابلة العلمية بالمشرق الإسلامي(ق:6-5هـ/12-13 م) انتاج ثروة علمية معتبرة : كماً و نوعاً . غطت مجالات كثيرة من مختلف أنواع العلوم من جهة ،و أظهرت طائفة منهم قدرات علمية فائقة في النقد و الابداع من جهة أخرى . فما تفاصيل ذلك ؟ ، و ما هي القيمة العلمية لتراث الحنابلة العلمي ؟ .

المبحث الأول : تصنيف الكتب عند علماء الحنابلة

اهتم علماء الحنابلة بالتصنيف ،و حثوا عليه لما له من دور كبير في نشر العلم و حفظه، و في خدمة مذهبهم و تخليد ذكرهم . و قد شمل إنتاجهم الفكري العلوم الشرعية و الأدبية و العقلية- مع اختلاف درجة التركيز عليها- حسب أهميتها عندهم .و أكثرهم تأليفا للكتب-في القرنين:6-7هـ/12-13م- تسعة ، أذكرهم فيما يأتي تباعا .

أولا: كبار المؤلفين الحنابلة في القرن:6 هـ/12م :

أشهرهم أربعة هم: المتكلم أبو الوفاء بن عقيل (ت513 هـ/1119م) ،الفقيه و أبو الحسن الزاغوني البغدادي(ت527 هـ/1132م)،و المؤرخ عبد الرحمن ابن الجوزي (ت597 هـ/1200م)

، و الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي(600 هـ/1203م) . ففيما يخص ابن عقيل فقد وقف نفسه للبحث العلمي ، و كان شديد الحرص عليه لا يضيع من وقته شيئا ، حتى أنه في حالة راحته يعمل فكره فلا ينهض إلا و خطر له ما يدونه[1] . و له مؤلفات كثيرة في الفقه و الأصول وغيرها من العلوم ، منها : كتاب الفنون ، قيل أن عدد مجلداته[2] يزيد عن أربعمائة مجلد[3] ، فيه الفقه و التفسير ، و الوعظ و الأصول ، و الأدب و التاريخ ، فهو مجموعة مصنفات في كتاب واحد عنوانه الفنون .

و أما أبو الحسن الزاغوني ، فقد صنف أكثر من سبعة عشر كتابا ، في الفقه و التاريخ ،و الوعظ و الأصول ،و علوم القرآن ، منها : الإقناع ،و الواضح ، الخلاف الكبير ،و الإيضاح في أصول الدين ،و مجالس الوعظ؛ لكن مؤلفاته ضاعت و لم تصل إلينا[4] .

و فيما يخص ابن الجوزي فقد أولى التصنيف أهمية بالغة ، و هو عنده انفع من التعليم ، لأنه- أي التعليم- يخاطب به عدد محدود من المتعلمين ، لكن التأليف يخاطب به أناس كثيرون ما وجدوا بعد ، لذا كان انتفاع الناس بمصنفات المتقدمين ، أكثر من انتفاعهم بما يستفيدونه من شيوخهم[5] . وينبغي على العالم أن يتوفر على التصنيف إن وفق للمفيد منه ، لأنه ليس كل من ألف يكون قد صنف[6] . و التصنيف عند ابن الجوزي ليس هو جمع شيء كيفما اتفق ، وإنما هو كشف عن أسرار يوفق الله عبده لكشفها ، فيجمع ما فرق ،و يرتب ما شتت ، و يشرح ما أهمل[7] .

و على العالم-في نظر ابن الجوزي- أن يتفرغ للتأليف في وسط العمر، لأن أوائله زمن الطلب ، و أواخره كلال الحواس ، و العمر المناسب له للتصنيف يكون حسب العادات الغالبة ، فيستمر في الطلب إلى الأربعين ، ثم يبتدئ في التأليف و التعليم ،و أما إذا تأخرت مرحلة تحصيله العلمي ، فعليه

---

[1] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص : 34 .

[2] يختلف حجم المجلد عندهم عن حجمه في وقتنا الحاضر ، فهو أصغر بنحو النصف أو الثلث ، حسب أحجام المجلدات في القرنين/6-7هـ/12-13م ، لأن فيها الصغير و المتوسط و الكبير ، بدليل أن كتاب تبيين كذب المفتري لابن عساكر هو في مجلد ،و تلبيس إبليس لابن الجوزي هو كذلك في مجلد واحد ، و كتابه صيد الخاطر في ثلاثة مجلدات ،و كتابه أخبار النساء في مجلد واحد.(الذهبي : تذكرة الحفاظ ج 4 ص : 1330 ، 1343) و هذه الكتب كلها مطبوعة ، و كل منها في مجلد واحد .

[3] الذهبي : ميزان الاعتدال ج 3 ص : 146 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص : 38 .

[4] العماد الحنبلي: المصدر السابق ج 4 ص : 81 .و George Makdisi Ibn Akil P 265. السعيد عبد العزيز: ابن قدمة ج1 ص:60 .

[5] ابن الجوزي : صيد الخاطر ص : 228 .

[6] نفسه ص : 228 .

[7] نفس المصدر ص : 229 .

بتأخير التصنيف إلى تمام الخمسين ، فيستمر فيه و في التعليم إلى رأس السبعين ، فإذا جاوزها جعل ذكر الآخرة و الاستعداد للرحيل هو الغالب عليه، فيتفرغ لنفسه إلا من تعليم يحتسبه أو تأليف يفتقر إليه، فذلك أشرف العدد للآخرة[1] . و قوله هذا لا يصدق على كل العلماء ، فإن بعضهم قد يشرع في التأليف في العشرينات من عمره أو قبلها ، وقد عاش أحد العلماء أربعين سنة ، صنف خلالها خمس و سبعين كتابا[2] .كما أن الشروع المبكر في التصنيف يكسب صاحبه المهارة و الشجاعة الأدبية ، و الغزارة في المعلومات و الإنتاج .

و أما عن مجموع مؤلفات ابن الجوزي فيروى أنها بلغت أكثر من ثلاثمائة وأربعين كتابا ، منها ما هو في عشرين مجلدا ، منها ما هو في كراسة واحدة ، و قد أوصلها الشيخ تقي الدين بن تيمية إلى أكثر من ألف كتاب[3] ، و لعله قصد بذلك مجموع الأجزاء لا العناوين . و قد انتهى الباحث عبد الحميد العلوجي من بحثه عن مصنفات ابن الجوزي ، إلى تقديرها بأكثر من أربعمائة كتاب ، منها مائتان و ثلاثة و ثلاثون في عداد المفقودات ، و الباقي منه المنشور و منه الذي ما يزال مخطوطا[4] . و اصلها الباحث محسن باقر علوان إلى أكثر من أربعمائة و أحد عشر مصنفا[5] . و ذكر الحافظ الذهبي–عن نفسه– أنه لا يعلم أحدا من العلماء أكثر تأليفا من ابن الجوزي[6] ؛ لكن الفقيه محمد بن عبد الهادي(ت744 هـ/1343م) استثنى منهم شيخه ابن تيمية ، الذي صنف أكثر من ابن الجوزي[7] .

و قد ساعدته على غزارة التأليف عوامل عديدة ، منها : أن في مصنفاته كثيرا من الجمع و النقل ،و الاختصار و الشرح[8] . و عمله هذا ليس بالأمر الصعب ،و لا يستغرق وقتا طويلا . و منها مكوثه الطويل في بيته ،و حرصه الشديد على وقته[9].و حبه الشديد للتصنيف،و صبره عليه ، و طول عمره و سلامة حواسه[10] . وسرعته في النسخ[1]، وبدايته المبكرة للتأليف ، إذ يقال أنه شرع في التأليف

[1] نفسه ص : 229 .

[2] هو الحافظ محمد بن عبد الهادي ، و سيأتي ذكره في هذا المبحث .

[3] عبد الحميد العلوجي : مؤلفات ابن الجوزي ص : 5 .

[4] نفسه ص : 5 .

[5] باقر علوان : ((المستدرك على مؤلفات ابن الجوزي)) مجلة المورد ، العراق ، مج 1 ج 1–2 1971 ،ص : 183 ، 190 .

[6] الذهبي : تذكرة الحفاظ ج 4 ص : 1343 .و سير أعلام النبلاء ج 21 ص : 384 .

[7] محمد بن عبد الهادي : طبقات علماء الحديث ج 4 ص : 121 .

[8] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 416 و ما بعدها .

[9] عن ذلك انظر المبحث الأول من الفصل الأول .

[10] عاش نحو تسعين سنة .

التأليف و عمره ثلاث عشرة سنة[2] ، وهذه مبالغة مكشوفة ، لكنها تشير إلى دخول ابن الجوزي ميدان التأليف مبكرا .

و في مؤلفاته مادة علمية غزيرة عن أوضاع عصره العلمية و السياسية و الاجتماعية ، و فيها كذلك نظرات و تحليلات نقدية دقيقة ،كما في كتابيه صيد الخاطر ،و تلبيس إبليس . لكنها تحوي أغلاطا كثيرة ، لذا عندما قيل للحافظ عبد العزيز بن الأخضر البغدادي الحنبلي(ت 611هـ/1214م) ألا ترد على ابن الجوزي ؟ قال : إنما يرد على من قل خطأه ، لا على من كثرت أخطاؤه[3] . و سبب ذلك أنه لا ينقح و لا يراجع ما يصنفه اتكالا على حفظه[4] . و اختصاره لكتب في علوم لا يتقنها[5] .و أخذه لمعظم علمه من المصنفات لا من المشايخ ، مما جعله لا يحكم ممارستها[6] .

و أما الحافظ عبد الغني المقدسي فقد زادت مصنفاته عن أربعة و أربعين كتابا ، في الفقه و علم الحديث ،و أصول الدين ، و التاريخ و الفضائل ، منها : ستة و ثلاثون بالأسانيد ، كاعتقاد الإمام الشافعي ،و كتاب المصباح ، و الباقي بدون أسانيد ن كالعمدة ،و الأحكام ، و الكمال في معرفة الرجال[7] .

ثانيا : كبار المصنفين الحنابلة في القرن: 7هـ/13م :

أذكر منهم خمسة ، أولهم : الأديب محب الدين أبو البقاء العكبري البغدادي الضرير(ت616 هـ/1219م) ، بلغت مصنفاته أكثر من أربعة و ثلاثين كتابا ، في الأدب و اللغة ،و علوم القرآن ،و الفقه و الخلاف ،و الجدل و الحساب[8] . و كان إذا أراد تأليف كتاب ما ، طلب من تلامذته جمع مؤلفات العلم الذي يريد التصنيف فيه ، ثم يقرؤونها عليه، فإذا هضمها و تأملها ، أملى عليهم ما يريد

---

[1] روي أنه كان ينسخ في اليوم أربعة كراريس . الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 21 ص : 377 .

[2] نفسه ج 21 ص : 377 .

[3] الذهبي : تاريخ الإسلام ج : 591-600 هـ/ص : 301 .

[4] نفسه ج : 591-600 هـ/ ص : 301 .و سير أعلام النبلاء ج 21 ص : 378 .

[5] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 414 .

[6] نفس المصدر ج 1 ص : 401 ، 403 .

[7] الذهبي : تذكرة الحفاظ ج 4 ص : 1347 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 18 ، 190 .

[8] ابن رجب : نفس المصدر ج 2 ص : 111 ، 112 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص : 68 .

تدوينه . و في ذلك قيل: أبو البقاء تلميذ تلاميذه ، بمعنى أنه تبع لهم فيما يقرؤون عليه و يكتبون عنه[1] .

و الثاني الفقيه الموفق بن قدامة المقدسي(ت 620 هـ/1223م) له أزيد من خمسة و عشرين مصنفا ، نشر مهنا أكثر من اثني عشر كتابا ،و الباقي ما يزال مخطوطا[2] . و هي في الفقه و الحديث ، و أصول الدين ،و الفضائل و الأنساب ، و أشهرها : المغني في شرح مختصر الخرقي ، و الكافي ،و المقنع ،و العمدة ، و قد انتفع بها -أي مصنفاته-المسلمون عامة و الحنابلة خاصة[3] .

و أما الثالث فهو الحافظ الضياء محمد بن عبد الواحد المقدسي(ت643 هـ/1245م)، زادت مصنفاته عن خمسة و ثلاثين كتابا ، بين صغير و كبير في الفقه و علم الحديث ، و الرقائق و الترغيب و الترهيب ، و المناقب و التاريخ ، منها : كتاب الأحكام ،و الأحاديث المختارة ،و سبب هجرة المقادسة إلى دمشق[4] .

و الرابع هو المؤرخ عبد الرزاق بن الفوطي البغدادي (ت 723 هـ/1323م) صنف كتبا كثيرة قدرت بحمل بعير ، دون تحديد لمجموعها ، منها ستة مصنفات في التاريخ ،كذيل تاريخ ابن الساعي في نحو ثلاثين مجلدة ، و مجمع الآداب في معجم الألقاب، في خمسين مجلد ، و درر الأصداف في غرر الأوصاف، في عشرين مجلدا ؛ و كان ينسخ في اليوم أربعة كراريس [5] .

و آخرهم الشيخ تقي الدين بن تيمية(ت728 هـ/1327م)، روي أنه بدأ في التصنيف و له سبع عشرة سنة ، و كان ينسخ في اليوم أربعة كراريس أو أكثر [6] .و قد يكتب في المسألة الخلافية الواحدة مجلدة كبيرة دون إطناب،و إخلال ، قد يرجع في بعض أبحاثه إلى مائة و عشرين تفسيرا ، ليشرح آية

---

[1] نفسه ج 2 ص : 111 . و نفسه ج 5 ص : 68 .الصفذي : نكت الهميان ص : 179 .

[2] ابن قدامة : مناظرة في القرآن الكريم ص : 14 و ما بعدها .

[3] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 139 ، 140 . وابن العماد الحنبلي : المصدر السابق : ج 5 ص : 90 ، 91 . و ابن قدمة المقدسي : المصدر السابق ص : 14 و ما بعدها .

[4] الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 23 ص : 128 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 238 ، 239 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص : 225 .

[5] ابن رجب : نفس المصدر ج 2 ص : 375 .و ابن الفوطي : المصدر السابق ق 1 ج 4 ص : 42 .و ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة ، ج 2 ص : 365 .

[6] محمد بن عبد الهادي : المصدر السابق ج 4 ص : 283 ، 290 .و ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ج 1 ص : 68 ، 69 .و ابن رجب : نفس المصدر ج 2 ص : 389 ، 391 .و ابن الوردي : المصدر السابق ج 2 ص : 409 .

قرآنية[1] . وقد أنجز كثيرا من أعماله الفكرية دون الرجوع إلى المصادر-لبعدها عنه- معتمدا على حفظه ، منها : الرسالة الحموية، كتبها في جلسة بين الظهر و العصر من سنة 678هـ/1279م[2] .و عندما كان في السجن سنة 728 هـ/1327م منع من التصنيف ، و أخذت منه أوراقه و كتبه و أقلامه .و صادفت مؤلفاته رواجا كبيرا بين الناس ،و سارت بها الركبان مسير الشمس في الأقطار ،و امتلأت بها البلاد و الأمصار[3] .

و أما مجموع مصنفاته ، فقد ذكر منها تلميذه ابن قيم الجوزية ، ثلاثمائة و واحد وأربعين كتابا ، في علوم القرآن ،و الأصول ،و الفقه و الحديث ،و بلغت فتاويه ثلاثمائة مجلد ، ثم قال أنه عجز عن حصرها[4]. لأسباب كثيرة ، منها: ذهاب فتاويه-أي ابن تيمية- مع المستفتين دون إحصائها . وتفرق طلابه في الأمصار برسائله و اختياراته .و عدم احتفاظه هو شخصيا بأصول رسائله و فتاويه . و تعرّض تراثه للإحراق و المصادرة على أي خصومه . و إخفاء أصحابه لكتبه خوفا من الناقمين عليه و عليهم ، حتى أن بعضهم كانت تسرق كتبه و لا يستطيع طلبها[5] .

و قدرها الحافظ شمس الدين الذهبي بثلاثمائة كتاب ، ثم بخمسمائة ، ثم ذكر أنه أحصاها فبلغت ألفا ، ثم ظهرت له مصنفات أخرى[6] . و هذا عدد كبير جدا لا يكاد يصدق ، لكنه ممكن في حق ابن تيمية ، للمعطيات الآتية : إنه كان يتمتع بذكاء حاد ،و ذاكرة قوية ،و غزير العلوم[7] .و أنه بدأ في التأليف في سن مبكرة[8] ،و يكتب في اليوم أربعة كراريس ،و له تلاميذ يبيضون له كتبه[1].و أنه عاش

---

[1] ابن كثير : المصدر السابق ج 14 ص : 137 .و ابن شاكر الكتبي : نفس المصدر ج 1 ص : 65 . الصفدي : المصدر السابق ج 7 ص : 16 .

[2] محمد بن عبد الهادي : المصدر السابق ج 4 ص : 292 .

[3] ابن الجزري : تاريخ حوادث الزمان ، حققه عمر عبد السلام تدمري ن ط 1 ، بيروت المكتبة العصرية ، 1998 ج 2 ص : 263-264 . و الداودي : المصدر السابق ج 1 ص : 150 . و ابن شاكر الكتبي : نفس المصدر ج 1 ص : 68 .

[4] ابن قيم الجوزية : أسماء مؤلفات ابن تيمية ص : 5 ، 9 ، 19 ، 26 ، 29 ، 30 .

[5] محمد بن عبد الهادي : العقود الدرية ص : 65-66 . و علي الشبل : الثبت –قوائم بعض مخطوطات ابن تيمية و ابن القيم الجوزية- ط1 الرياض ، دار الوطن ، 1417 ص : 29 . ابن تيمية : تفسير آيات اشكلت على بعض العلماء ، حققه عبد العزيز الخليفة ط 1 الرياض ، مكتبة الرشيد 1997 ج 1 ص : 58 .

[6] الذهبي : تذكرة الحفاظ ج 4 ص : 1497 .و محمد بن عبد الهادي : طبقات علماء الحديث ج 4 ص : 488 .و ابن حجر : المصدر السابق ج 1 ص : 151 .و ابن شاكر الكتبي : المصدر السابق ج 1 ص : 69 .و ابن ناصر الدين : المصدر السابق ص : 35 . و الداودي : المصدر السابق ج 1 ص : 50 .و السيوطي : طبقات الحفاظ ص : 521 .

[7] محمد ابن عبد الهادي : العقود الدرية ص : 23 ، 24 ، 25 ، 28 .

[8] قيل أنه شرع في التأليف و 17 سنة ،و قيل 19 سنة . نفس المصدر ص : 65 .و طبقات الفقهاء ج 4 ص : 283 .و ابن شاكر الكتبي : المصدر السابق ج 1 ص : 68 .

سبع و ستين سنة ،و تفرغ للعلم و العبادة ، و تكن له زوجة و لا أولاد ،و لا عمل يمارسه .و أنه كثيرا ما صنف كتبا دون الرجوع إلى المصادر ، و كتب بعضها في جلسة بين الظهر و العصر[2] ،و قد أمضى سنوات في السجن تفرغ فيها للتأليف[3] . فيتبين من هذه المعطيات أنه في مقدور ابن تيمية أن يؤلف كتابا صغيرا في اليوم ، فإذا افترضنا أنه يكتب مصنفا كبير الحجم في كل اثني عشر يوما ، لمدة خمس و ثلاثين ستة، فيصل المجموع إلى: 58 , 1064 كتابا[4] ،و هو أكبر من ألف . و قد ذكر المؤرخان ابن شاكر الكتبي و محمد بن عبد الهادي أنهما لا يعرفان أحدا من المتقدمين و المتأخرين أكثر تصنيفا من ابن تيمية[5] .

و أشير هنا إلى فائدتين ، الأولى أن من كبار المؤلفين الحنابلة الذين عرفهم القرن الثامن الهجري/ 14م ، الحافظ محمد بن عبد الهادي المقدسي ثم الدمشقي(ت 744 هـ/1343م)، عاش أربعين سنة صنف خلالها خمسة و سبعين كتابا في الحديث و الفقه ، و الأصول و التاريخ[6] . و الثاني هو أنه وجد من بين أعيان علماء الحنابلة من ليس له من المصنفات إلا الواحد و الاثنين ، لانشغالهم بالتربية و التعليم و عدم تفرغهم للتأليف، كالفقيه أبي الفتح بن المني البغدادي(ت583 هـ/1187م) ،و الفقيه العماد إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي(ت 614 هـ/ 1217م)[7] .

و يتبين مما ذكرناه عن تصنيف الكتب عند علماء الحنابلة ، أن تقي الدين بن تيمية هو أكثرهم تأليفا ، ثم ابن الجوزي ، ثم يليهما الحافظ عبد الغني بعدد قليل –بالنسبة إليهما– كما هو مبين في الجدول (رقم :20 ص:) و الرسم البياني(رقم: 16 ص:)،و منهما يتضح أن مجموع ما صنفه كبار علماء الحنابلة بلغ : 1566 كتابا ، منها ألف لابن تيمية ،و أربعمائة و أحد عشر لابن الجوزي ، و أقلهم أبو الحسن الزاغوني بسبعة عشر مصنفا . و يتبن منهما –كذلك– أكثر علماء الشافعية تأليفا الفخر الرازي بمائتي كتاب ، ثم يليه عبد اللطيف البغدادي بمائة و سبعة و خمسين

---

[1] محمد بن عبد الهادي : العقود الدرية ص : 65 .

[2] ذكر محمد ابن عبد الهادي أنه قد أخبره غير واحد ، أن ابن تيمية كتب مجلدا لطيفا في يوم . نفسه ص : 65 .

[3] البزار البغدادي : العلام العلية ص : 24 ، 25 .

[4] أي : 35 سنة × 365 يوما = 12775÷ 12 يوما = 85 , 1064 كتابا ، لأن كل 12 يوما يساوي كتابا .

[5] محمد بن عبد الهادي : طبقات علماء الحديث ج 4 ص : 121 .و ابن شاكر الكتبي : المصدر السابق ج 1 ص : 70 .

[6] محمد ابن عبد الهادي : نفس المصد ج 1 ص : 32 ، 33 ، 41 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 437 .

[7] ابن رجب : نفس المصدر ج 1 ص : 358 و ما بعدها ،و ج 2 ص : 94 .و ابن طولون : المصدر السابق ج 2 ص : 336 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص : 276 و ما بعدها ، و ج 5 ص : 58 .

مصنفا .و إجمالي ما ألفه كبار مؤلفي الحنابلة و الشافعية بلغ 2099 كتابا ، منه 1566 للحنابلة بنسبة 74,603 % ، و الباقي للشافعية .

....

جدول مقارن لأكثر العلماء تأليفا في المشرق الإسلامي[1]

(ق :6-7هـ/12-13م)

(الجدول رقم :20)

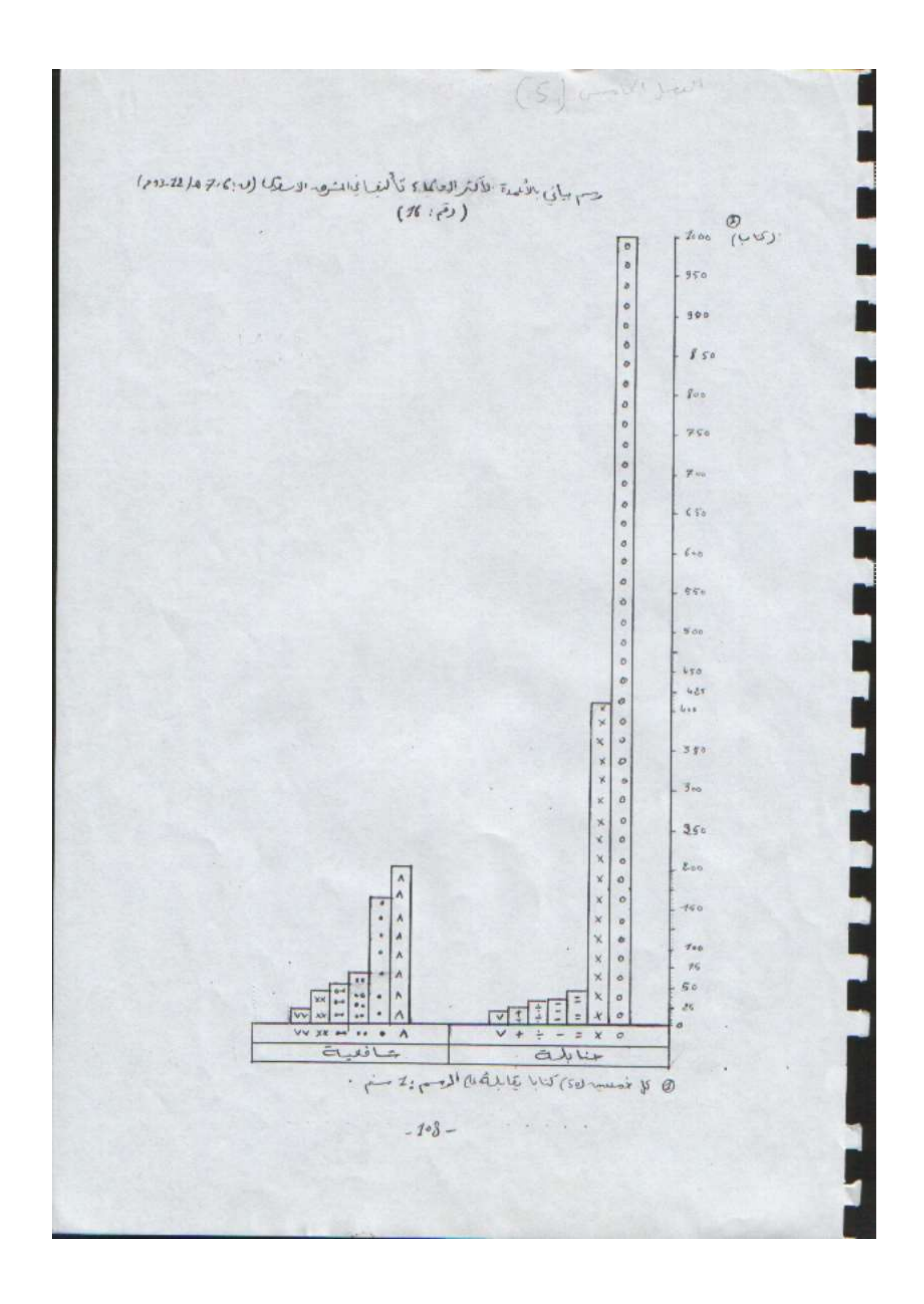
الرمز	المؤلفون	عدد المصنفات	النسبة المئوية الخاصة	النسبة المئوية العامة
0	ابن تيمية -حنبلي	1000	47,641	
×	ابن الجوزي – =	411	19,580	
=	عبد الغني – =	44	02,096	
–	الضياء المقدسي– =	35	01,667	74,603[2]
÷	أبو البقاء العكبري– =	34	01,619	
+	الشيخ الموفق – =	25	01,191	
v	الزاغوني – =	17	0,809	
--------	المجمـــــوع : 07	1566	–	–
*	الفخر الرازي ت606هـ شافعي	200	09,582	
.	ع اللطيف البغدادي ق:7هـ =	157	07,479	
..	الكمال الأنباري ت577هـ =	64	03,049	25,397
.–.	السمعاني ت562هـ =	50	02،382	
××	ابن عساكر ت571هـ =	42	02	
vv	السـيف الآمـدي ت631هـ =	20	0,952	

---

[1] معظم المصادر سبق ذكرها في المتن ، و المتبقية هي : ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص : 55 .و و الذهبي : تذكرة الحفاظ ج 4 ص : 1317 ، 1329 ، 1330 .و السيوطي : بغية الوعاة ج 2 ص : 87 . و ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ج 3 ص : 346 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص : 145 .و ابن خلكان : المصدر السابق ج 2 ص : 456 .

[2] تمثّل ما أنتجه علماء النابلة، و النسبة الثانية تمثل ما أنتجه علماء الشافعية .

-	-	533	المجمـــــــوع : 06	--------
نحو: 100 0/0	نحو: 100 0/0	2099	المجموع العام	--------



المبحث الثاني : تراث الحنابلة في علوم القرآن و الحديث

أحصيتُ لعلماء الحنابلة بالمشرق الإسلامي خلال-القرنين : 6-7 ﻫ /12 - 13م - مائتين و ستة و ستين مصنفا ، في علوم القرآن و الحديث[1]، منها مائة و اثنان و ستون في علوم القرآن[2]، من بينها أكثر من واحد و عشرين تفسيرا. و لابن تيمية منها أزيد من تسعين كتابا كتابا ، ثمّ يليه ابن الجوزي بنحو ستة و عشرين ، ثمّ يأتي بعده سبط أبي منصور الخياط بأكثر من تسعة كتب ،و المتبقية موزعة على نحو أربعة و عشرين عالما حنبليا .و منها مائة و أربعة مصنفات في علوم الحديث،من بينها ثمانية و أربعون كتابا لابن الجوزي ،ثمّ يليه الحافظان عبد الغني المقدسي ،و الضياء محمد المقدسي ،لكل منهما أكثر من عشرة مصنفات ،و الباقي موزع على أزيد من ثلاثة و ثلاثين عالما .

أولا : مصنفاتهم في علوم القرآن :

ففيما يخص مصنفاتهم في التفسير فمنها : رموز الكنوز ،في أربعة مجلدات للمفسر عز الدين بن رزق الله الرسعني (ت 660 ﻫ/ 1261م) ذكر فيه الأحاديث بالأسانيد ،و فيه فوائد حسنة و مناقشات في مسائل علمية مختلفة .و عندما صنفه أرسله إلى الخليفة العباسي المستنصر بالله (566- 575 ﻫ/ 1170 -1180 م) فجعله وقفا على المدرسة البشيرية ببغداد[3]. و منها التفسير الكبير في أزيد من ثلاثين مجلدا للمفسر الفخر بن تيمية الحراني (ت 622 ﻫ/ 1225م) ،و كان قد فسر القرآن كلّه خمس مرات في مدة ثلاث و عشرين سنة في جامع حران صباح كل يوم ، ابتداء

---

[1] ابن الفوطي : المصدر السابق ق 1 ج 4 ص : 193 .و الداودي : المصدر السابق ج 1 ص : 82 ، 300 ، 301 ، 335 . و العليمي : المصدر السابق ج 2 ص : 221 ، 380 . و اليافعي : المصدر السابق ج 3 ص : 390 . و ابن رجب : الذيل ج 1 ص : 141، 210 ، 215 ، 223 ، 233، 242 ، 252 ،300 ، 326 ، 332 ، 372 435 . و ج 2 ص : 18، 19 ، 78 ، 81 ، 111 ، 112 ، 123 ، 139 ، 171 ، 220 ، 238 ، 239 ،252 ، 256 ، 258 ، 260 ، 285 ، 300 ، 301 ، 308 ،314 ، 346 ، 363 ، 375. و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص : 136، 144 ، 232 ، 374 ، و ج5 ص : 51، 68 ، 102 ، 186 ،217 ، 242 ، 326، 377، و ج 6 ص : 87 ، 157 ، 258 . و الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 20 ص : 25 ،و ج 21 ص :42 ،366 ،و ج 22 ص : 289 . و معجم شيوخ الذهبي : ص : 137 . و تذكرة الحفاظ : ج 4 ص : 1410 . و الصفدي : نكت الهميان ص : 189 . و ابن قيم الجوزية : أسماء مؤلفات ابن تيمية ص : 18 .و مختصر الصواعق ج2 ص : 236 . و ابن الفرات : المصدر السابق مج 4 ج 2 ص : 211 . و ابن الجزري : غاية النهاية ج 1 ص : 435 . و عبد الحميد العلوجي : المرجع السابق ص : 222 و ما بعدها . و سيد فؤاد : فهرست المخطوطات بدار الكتب المصرية ج 1 ص : 148 . و بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ج 6 ص :252 . و ابن طولون : القلائد ج1 ص :293 ،و ج 2 ص:321 .و ابن كثير :البداية ج13 ص :39 ،48 ،133 . و ابن الجوزي : مشيخة ابن الجوزي ص :47 ،82 ،111 .و ابن رافع السلامي : المنتخب ص :119 .و ابن القاضي المكناسي :ذيل وقايات الأعيان ج2 ص :211 .و السخاوي : الإعلان ص :30 . وهناك مصادر أخرى سترد فيما يأتي من هذا المبحث.

[2] قدرت مؤلفات الحنابلة في علوم القرآن- من القرن 3 ﻫ إلى سنة 1403 ﻫ/ 1982م – بأكثر من 300 مصنف . عبد الله الفنيسان : آثار الحنابلة في علوم القرآن ، مصر ، المكتب المصري 1989 . ص 4 ،5

[3] ابن رجب : المصدر السابق ج2 ص :275 .و الداودي :المصدر السابق ج1 ص :300 ،301 .

من سنة 588هـ /1192م إلى سنة 610 هـ/ 1213م[1].و آخرها جامع العلوم في تفسير كتاب الله الحي القيوم ، في أربعة مجلدات للمقرئ نور الدين بن عمر البصري الضرير (ت 684 هـ/ 1285م)و كان معه من يقرأ عليه المصنفات و يكتب عنه ما يمليه[2] .

ومن تفاسيرهم التي وصلت إلينا: زاد المسير في علم التفسير[3]للفقيه عبد الرحمان بن الجوزي ، سرد فيه الآراء و الروايات سردا ، دون تعليق في غالب الأحيان ، فلم يمحص ، ولم يرجح و،و ترك القارئ في حيرة و ارتباك[4] .و كان في مقدوره أن ينقد و يعلق ، لما هو معروف عنه من تبحره في كثير من العلوم ،و خبرته في نقد الأخبار ، لكنه لم يفعل ذلك و قصر همته على الجمع و السرد و تكثير المجلدات .و منها قنعة الأريب[5] للفقيه الموفق بن قدامة المقدسي ، يوجد مخطوطا بدار الكتب المصرية[6] .

و للشيخ تقي الدين بن تيمية مجالس تفسير حافلة، ألقاها في الجامع الأموي بدمشق عدة سنين ، لكنه لم يترك لنا تفسيرا شاملا لكل سور القرآن الكريم ؛ و عندما طلب منه ذلك أجاب بأن في القرآن ما هو بين بنفسه ، و فيه ما بينه العلماء ، و فيه ما أشكل تفسيره على بعضهم ، لذا اختار هو أن يقف عند ما أشكل فهمه ليفسره ،و هو الأهم[7] .و قد نشرت بعض أثاره في التفسير ، رأيت منها ثلاثة كتب ، هي : تفسير آيات اشكلت على كثير من العلماء[8] ، و دقائق الجامع لتفسير ابن تيمية في ستة مجلدات[9] ،و التفسير الكبير ، و فيه مباحث كثيرة في أصول الدين ،و قضايا علم الكلام ، و التصوف و المتشابه في القرآن الكريم[10] .

---

[1] ابن رجب : نفس المصدر ج2 ص :152، 153 .

[2] نفس المصدر ج2 ص : 314 .و الصفدي : نكت الهميان ص :189 .

[3] نشره حديثا المكتب الإسلامي بدمشق في سنتي 1964 ،و 1987 .

[4] أحمد فهيم مطر : ابن الجوزي و منهجه في التفسير . مجلة البحوث الإسلامية الرياض العدد 31 ، 1411 ص : 247 ،249 ، 255 وما بعدها

[5] أصلها من الأرب ن وهو الحاجة و البغية و الأمنية . علي بن هادية : المرجع السابق ص : 27 .

[6] احمد بدوي : الحياة العقلية في مصر و الشام ص :112 .

[7] ابن ناصر الدين : المصدر السابق ص : 33 .و محمد بن عبد الهادي : العقود الدرية ص : 27 .

[8] سبق ذكره .

[9] حققه الباحث محمد الجليند ، ط2 بيروت ،مؤسسة علوم القرآن د ت .

[10] انظر : ج1 ص : 158 ، 204 ، 257 ، 258 ، و ج 2 ص : 6 .

و من مؤلفاتهم عي علوم القرآن : مصنفات سبط أبي منصور الخياط البغدادي(ت541 هـ/1146م) في القراءات ، كالمبهج ، و الكفاية ، و الروضة ، و التبصرة ، و الإيجاز في السبعة ، و الموضحة في العشرة . و روي أنه أظهر بعض القراءات الشاذة ، فشنع عليه الناس فرجع عنها[1] . ومنها كذلك زاد المسافر ،و ماءات القرآن ،و هما للحافظ أبي العلاء العطار الهمذاني(ت 569 هـ/1173م) . و فنون الأفنان في علوم القرآن ،و عمدة الراسخ و معرفة المنسوخ و الناسخ وهما لابن الجوزي[2] . و التبيان في علوم القرآن ،و إعراب الشواذ و متشابه القرآن لأبي البقاء العكبري البغدادي الضرير(ت 616 هـ/1219م)[3] .

و من آثارهم العلمية-في علوم القرآن- التي وصلت إلينا ، أربعة مصنفات ، أولها المبهج في القراءات السبعة ، للمقرئ سبط أبي منصور الخياط ، جمع فيه الروايات المكيات التي رواها عن شيخه أبي الفضل الشريف عبد القاهر ،و أورد فيه تراحم الشيوخ[4] . و الثاني هو الآخر للسبط أبي منصور ، عنوانه : الاختيار في القراءات العشرة ، أسند فيه كل القراءات عمن أخذها ، و أوصل أسانيدها إلى الرسول -عليه الصلاة و السلام- ، وذكر فيه اختلاف القرّاء في القراءات و الحروف ، و عقد فيه فصلا بيّن فيه رموزه و اختصاراته و اصطلاحاته ،و رجح فيه الروايات ،و علق عليها ، حتى و إن كانت عن شيوخه[5] .

و الكتاب الثالث التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري الضرير ، توجد منه مخطوطات كثيرة ، في أماكن عديدة من العالم ، و قد نشر حديثا أكثر من مرة[6] . و آخرها تذكرة أولي الأبصار في قراءة السبعة أئمة الأمصار للمقرئ جمال الدين بن نصر الحراني (ت 624 هـ/1226م)، توجد منه نسخة بدار الكتب المصري ، منسوخة عن أصل للمؤلف ، في خمس وثلاثين صفحة[7] .

---

[1] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 210 .

[2] نفس المصدر ج 1 ص : 417 .

[3] نفس المصدر ج 2 ص : 111 ، 112 .و الصفدي : نكت الهميان ص : 179 .

[4] سبط أبي منصور الخياط : كتاب الاختيار في القراءات العشر ، حققه عبد العزيز بن ناصر السبر ، الرياض ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، 1417هـ ، ج1 ص : 6 ، 36 ، 37 .

[5] نفس المصدر ج 1 ص : 23 ، 25 ، 32 .

[6] بروكلمان : المرجع السابق ج 5 ص : 174 ز و محمد كرد علي : خطط الشام ج 6 ص : 202 .

[7] سيد فؤاد : المرجع السابق ج 1 ص : 182 .

و أشير هنا إلى أن تراث الحنابلة الغزير في علوم القرآن لم يطبع منه إلا القليل ، و لم يحض بالعناية و النشر بقدر ما حضيت به سائر كتبهم في الفقه و العقيدة[1] .و قد قدر المطبوع منه بنحو أربعين مصنفا بين كتاب و رسالة ن معظمه نشر منذ ثلاثين سنة ، و يحتاج إلى إعادة طبع ، و تحقيق ما لم يحقق منه[2] . كما أن تفاسيرهم المطبوعة قليلة العدد و الانتشار ، و يجهلها كثير من أهل العلم[3] .

ثانيا : تراثهم في علم الحديث :

ففيما يخص مؤلفاتهم في رواية الحديث ، فمنها : جامع المسانيد بألخص الأسانيد ،و و غرر الأثر ، و هما لابن الجوزي[4] .و المصباح في عيون الأحاديث الصحاح ، في ثمانية و أربعين جزءا ، و يشتمل على أحاديث الصحيحين .و كتاب المراد من كلام خير العباد ، في نحو مائتي جزء ؛ و هما للحافظ عبد الغني المقدسي[5] .و منها كذلك : الأربعون البلدانية المتباينة الأسانيد ، للحافظ عبد القادر الرّهاوي(ت612 هـ/ 1215م) ، خرّجه بأربعين إسنادا في مجلدين كبيرين ، لا يتكرر فيه رجل واحد ، من أولها إلى آخرها مما سمعه في أربعين مدينة. و قيل عنه و عن مؤلفه : هو أمر ما سبقه إليه أحد ،و لا يرجوه بعده محدث ، لخراب العمران وانقطاع الرواية في أكثرها[6] . و لاحظ عليه الحافظ الذهبي أوهاما وقعت له في كتابه هذا ، منها أنه تكرر عليه في تباين الأسانيد أربعة مواضع ؛ و هو مع حفظه و تبحره في علم الحديث ، فغيره–لم يحدد– أتقن منه[7] .

و منها كتاب : الأحاديث المختارة ، للحافظ الضياء محمد المقدسي(ت 643هـ/1245م) ، خرّجها من مسموعاته ، في تسعين جزءا و لم يكملها ، و هي أحاديث يصلح الاحتجاج بها –خارج ما في الصحيحين– و قد قال عنها ابن تيمية : هي أصح من صحيح أبي عبد الله الحاكم النيسابوري(ت405 هـ/1014م)[8] ، لكنه عاب على مؤلفها رواية حديث باطل فيها ، المعروف بحديث أطيط العرش ،و نصه : ((إن عرشه–تعالى– أو كرسيه و سع السموات و الأرض ، و أنه يجلس عليه فما يفضل منه إلا قدر أربعة أصابع ، وإنه ليئط–يصدر صوتا– به أطيط الرحل الجديد

---

[1] ابن قدامة : الرهان في بيان القرآن ، ص : 190 .

[2] عبد الله الفنيسان : المرجع السابق ص : 4 ، 5 .

[3] بناء على استقرائي الخاص .

[4] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 477 .

[5] نفس المصدر ج 2 ص : 18 .

[6] المنذري : المصدر السابق ج 4 ص : 163 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 84 ، 85 .

[7] الذهبي : المختصر المحتاج إليه ص : 272 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 85 .و السيوطي : طبقات الحفاظ ص : 491 .

[8] ابن قيم الجوزية : مختصر الصواعق المرسلة ج 2 ص : 636 .

براكبه)) ،و هذا حديث مضطرب ردته طائفة من المحدثين ن كابن الجوزي ، و أبي بكر الإسماعيلي و غيرهما ، لكن أكثر أهل السنة قبلوه . و لهذا الحديث رواية أخرى أوردها الطبري (ت310 هـ/922م) في تفسيره ، و فيها : ((و أته ليجلس فما يفضل منه قدر أربع أصابع)) فهي بالنفي قد نفت ما ذكرته الرواية الأولى [1] . ثم قال ابن تيمية : أنه لا ((يمكن–مع ذلك– الجزم بأن الرسول– صلى الله عليه و سلم– أراد الإثبات ن وأنه يفضل من العرش أربعة أصابع لا يستوي عليها الرب ، و هذا معنى غريب ليس له شاهد قط في شيء من الروايات ، بل هو يقتضي أن يكون العرش أعظم من الرب و أكبر ، وهذا باطل[2] مخالف للكتاب و السنة ، لأن القرآن بيّن أن الله أعظم من كل المخلوقات))[3] ، لذا فإن الصواب مع رواية النفي الثانية ، لأنها ذكرت عظمة العرش و مع ذلك فالرب مستوي عليه كله ، لا يفضل منه قدر أربعة أصابع ، و معنى حديثها صحيح موافق للغة العرب ،و لما دل عليه الكتاب و السنة و له شواهد ، فهذا الحديث هو الذي يجزم بصحته ن و الذين فهما عكس ذلك غلطوا .و أية حكمة في بقاء قدر أربعة أصابع من العرش لم يستو عليه الرب تعالى[4] ؟ !
.

و من مصنفات الحنابلة في الدراية بعلم الحديث و رجاله ، أذكر منها أربعة كتب ، أولها كتاب الإفصاح عن معاني الصحاح للوزير عون الدين بن هبيرة(ت560 هـ/1164م) شرح فيه الصحيحين في نحو عشرة مجلدات ، وعندما وصل إلى حديث ((من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)) شرحه و تكلم في معنى الفقه ، ثم انتهي به الأمر إلى الخوض في المسائل المختلف فيها و المتفق عليها عند الأئمة الأربعة ، فأرده الناس و جعلوه في كتاب مستقل و سموه الإفصاح[5] . و هو الذي نشر حديثا أكثر من مرة ،و أما الكتاب الأصلي فما يزال – في معظمه – مخطوطا ، مبعثرة مجلداته في مكتبات العالم[6].

و للإفصاح نسخ مخطوطة لها عناوين مختلفة ،منها : الإفصاح و التبيين ، و الإشراف على مذاهب الأشراف ، و الإجماع و الاختلاف و اختلاف الأئمة ،و اختلاف الفقهاء ؛ مما جعل بعض

---

[1] ابن تيمية : التفسير الكبير ج 6 ص : 416 ، 417 .

[2] ذكر المحدث ناصر الدين الألباني في تخريج لأحاديث كتاب الرد على الجهمية للدارمي ، أنه لا يصح في أطيط العرش حديث . عثمان الدارمي : الرد على الجهمية ، حققه زهير الشاويش ، ط 4 ، بيروت المكتب الإسلامي ، 1982 ، ص : 24 .

[3] ابن تيمية : المصدر السابق ج 6 ص : 418 .

[4] نفس المصدر ج 6 ص : 419 ، 420 .

[5] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 252 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص : 192 .

[6] ابن هبيرة : كتاب الإفصاح حققه عبد المنعم أحمد الطبعة الأولى ،قطر رئاسة المحاكم الشرعية 1986 ، ج1 ص :15 .

الناس يرى في ذلك كتبا أخرى لابن هبيرة ،و هذا غلط بيّن[1].و لهذا الكتاب أهمية بالغة ، فهو أول شرح لصحيحي البخاري و مسلم ، و فيه تركيز على فقه الأحاديث من حيث معانيها و لغتها و أحكامها بألفاظ تعرب عن نبل مؤلفه ،و تفصح عن بعد مرماه و حسن فهمه و غزارة علمه[2].و أبرز فيه مصنفه جوانب تربوية و أخلاقية الناس في أمس الحاجة إليها .كما أنه أظهر فيه حكم نبوية جليلة ،و ضمنه فوائد كثيرة و نصوصا أصولها ضائعة كمسند أبي بكر الصديق ،و كتاب تهذيب الآثار و السنن لأبن جرير الطبري[3].

و يدلّ عنوان الكتاب على أن الغاية من تصنيفه ليست مجرد جمع الأحاديث و سردها ،و إنما الغاية منه البحث عن معانيها و الكشف عن أسرارها و حكمها ، الأمر الذي يتطلب من مؤلفه علما غزيرا ، و ذكاء ثاقبا ، و فهما حسنا ، و قد أبان ابن هبيرة عن ذلك مرارا في مواضع شتى ،منها أنه قال في حديث كون صوم يوم عرفة بسنتين أن فيه وجهين ، أحدهما أنه وقع في شهر حرام بين شهرين حرمين ، هما :ذو القعدة و ذو الحجة ، فكفّر بذلك سنة قبله و أخرى بعده .و الثاني كون أمة الإسلام وعدت في العمل بأجرين ، لقوله تعالى : ((يؤتيكم كفلين من رحمته)) –سورة الحديد /28 –لذلك كان للأمم السابقة أجر سنة في صومها لعاشوراء ، و لأمة الإسلام ثواب سنتين لصومها يوم عرفة الذي اختصت و فضلت به[4] .

و الكتاب الثاني هو : الموضوعات في الأحاديث المرفوعات ، لابن الجوزي ، توجد منه مخطوطات كثيرة بمختلف خزائن العالم ، كدار الكتب المصرة ، و المكتبة العمومية بأسطنبول ، و قد نشر حديثا أكثر من مرة[5] ؛ و تعرض مؤلفه لانتقادات عديدة ، لذكره في الموضوعات أحاديث هي بين الضعيف و الحسن و الصحيح ،و لا تصل إلى درجة الموضوع ، منها أن الحافظ السيف احمد بن المجد عيسى المقدسي(ت615 هـ/1218م) أخذ على ابن الجوزي ذكره في الموضوعات أحاديث اعتمادا على كلام بعض الناس في أحد رواتها ، كأن يقول : فلان ضعيف ، أو ليس بالقوي . في حين لم يكن ذلك الحديث مما يشهد القلب ببطلانه ، ولا فيه مخالفة و لا معارضة لكتاب ،و لا سنة ، و لا إجماع ،و لا حجة ، بأنه موضوع سوى كلام بعض الناس في أحد رواة الحديث ،و هذا عدوان و مجازفة ، ثم ضرب على ذلك مثالا ، كدليل على ما قاله ، و فيه : عن محمد بن خمير

---

[1] نفس المصدر ج 1 ص :28 .و محمد كرد علي : المصدر السابق ج6 ص :403 – 404 .و سيد فؤاد المرجع السابق ج1 ص :27 .

[2] ابن هبيرة : نفس المصدر ج1 ص :4 .

[3] نفس المصدر :ج1 ص : 28 .

[4] ابن رجب : المصدر السابق ج1 ص :279 .

[5] عبد الحميد العلوجي : المرجع السابق ص : 146 .

السّليجي ، عن محمد بن زياد الألهاني ، عن أبي أمامة ، أنه عليه الصلاة و السلام قال: ((من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة ، لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت)) ، فهذا الحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ، لقول يعقوب بن سفيان : محمد بن خمير ليس بالقوي . و محمد هذا قد روى البخاري –في صحيحه– عن رجل عنه . و قال فيه احمد بن حنبل : ما علمت إلا خيرا[1] .

و ذكر ابن تيمية أن غالب ما أورده ابن الجوزي في الموضوعات ، باطل باتفاق العلماء ، لكنهم نازعوه في كثير منها ،و اثبتوا أن بعضها ليس بمكذوب .و هو قد أورد في الموضوعات الأحاديث التي رآها باطلة ، حتى و إن كان رواتها لم يتعمدوا الكذب ، لأن الموضوع عنده هو ما قام الدليل على بطلانه [2] . و انتقده الحافظ الذهبي في أنه ليس له ذوق في الكلام علي صحيح الحديث و سقيمه ، و لا له نقد الحفاظ المبرزين ، وأنه كثير الاحتجاج بالأحاديث الضعيفة ، مع ذكره لها في الموضوعات ،و التحقيق أنه لا ينبغي الاحتجاج بها ،ولا إيرادها في الموضوعات[3] . و أما الحافظ جلال الدين السيوطي فذكر أنه لما رأى في كتاب الموضوعات لابن الجوزي أحاديث ليست موضوعة و هي فيه ، تتبع كتابه انتقادا ،و انتقاء ، و اختصارا ، و إثراء ، وأخرج كتابا جديدا عنوانه : اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة[4]

و من الأحاديث التي أوردها ابن الجوزي في الموضوعات ،و انتقده لأجلها العلماء ، فمنها حديث رواه علي ابن أبي طالب عن النبي –صلى الله عليه و سلم– أنه امتنع من التسعير عندما طلب منه .و هذا الحديث خالفه فيه كثير من العلماء و صححوه ، لأنه ورد بطريق آخر عن عبد الله بن عباس ،و غيره من الصحابة ،و قد حسنه احمد بن حنبل،و أبو داود ،و الترمذي . لكن ابن الجوزي حكم عليه بالوضع لأنه اعتمد علي طريق واحد من طرقه[5] .و منها حدبث ((إن طالت بك مدة أوشك أن ترى قوما بغدون في سخط الله ،و يروحون في لعنته ، في أيديهم مثل أذناب البقر)) و هو في صحيح مسلم ، لكن ابن الجوزي أورده في الموضوعات ، و هذه غفلة شديدة منه[6].

---

[1] الذهبي : تاريخ الإسلام ج:591-600 هـ/ ص : 301 .

[2] ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج 1 ص : 248 .

[3] الذهبي : المصدر السابق ج: 591-600 هـ/ ص : 300 .

[4] السيوطي:اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ،حققه عبد الرحمن بن عويضة ،ط 1 بيروت،دار الكتب العلمية ، 1996 ج 1 ص : 9 .

[5] الشوكاني : الفوائد المجموعة ص : 142 .

[6] نفس المصدر ص : 212 .

و الكتاب الثالث هو كذلك لابن الجوزي عنوانه : العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ، خصصه للأحاديث الشديدة التزلزل الكثيرة العلل، صنفه بعد كتابه الموضوعات و رتبه على أبواب الفقه ليسهل الانتفاع به . و يعد موضوع علل الحديث من أدقّ فنون علم الحديث و اعوصها ،لا يتمكن منه إلاّ أهل الحفظ و الخبرة و الفهم الثاقب[1].و كان ابن الجوزي يصدر أحكامه على الأحاديث بقوله :هذا حديث لا يصح ، ثمّ يذكر أقوال العلماء في الرواة . أو يقول :هذا الحديث لا يثبت و قد يصححه برواية أخرى .لكنه لم يتوسع في نقد الأسانيد و المتون إلاّ في القليل النادر[2].

و الرابع هو كتاب : الكمال في أسماء الرجال للحافظ عبد الغني المقدسي (ت 600 هـ/ 1203 م) ، خصصه لرجال كتب الحديث الستة وهي : الصحيحان ، سنن أبي داود ،و ابن ماجة ،و النسائي ،و جامع الترمذي[3]. و توجد منه مخطوطات كثيرة موزعة في مكتبات الشرق و الغرب و كان ما يزال مخطوطا في سنة 1992م/ 1413 هـ[4].و قد هذبه الحافظ أبو الحجاج المزي الدمشقي الشافعي (ت 742هـ /1341م)، و سماه :تهذيب الكمال في أسماء الرجال ،و استدرك فيه على الحافظ عبد الغني نحو ألف موضع[5].

و تمثل عمل أبي الحجاج المزي–في تهذيبه للكمال– في إلحاق ما فات عبد الغني من رواة كتب الحديث الستة بمصنفه الجديد ، و التدقيق في أسمائهم . و أضاف إليه كذلك الرواة الواردين في بعض مصنفات الكتب الستة ، ككتاب خلق أفعال العباد للبخاري ،و المراسيل لأبي داود .و زاد فيه مادة تاريخية جديدة إلى معظم تراجم الأصل[6]، و الحق به أربعة فصول في آخر الكتاب لتسهيل الكشف عن التراجم الأصلية ، كفصل المبهمات ،و فيمن اشتهر بالنسبة لأبيه أو جده . فاصبح

---

[1] ابن الجوزي : العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ، حققه خليل الميس ، ط1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ،1983 ج1 ص :5 ، 17-18 .

[2] نفس المصدر ج1 ص :27 ،28 ، 34، 36 ، 208 ،209 ، 228 ،و ما بعدها .

[3] ابن رجب : المصدر السابق ج2 ص :19 .و ابن كثير : المصدر السابق ج2 ص : 39 .

[4] بروكلمان : المرجع السابق ج6 ص : 188 .و شاكر مصطفى : التاريخ العربي و المؤرخون ط2 بيروت دار العلم للملايين . 1987 م ج2 ص :250 .

[5] ابن كثير : المصدر السابق ج13 ص :39 .

[6] أبو الحجاج المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، حققه بشار عواد ط6 بيروت، مؤسسة الرسالة ، 1994 ،ج 1 ص: 42 و ما بعدها .

كتابه-بذلك- يمثل نحو ثلاثة أضعاف كتاب الحافظ عبد الغني ، في مائتين و خمسين جزءا[1] حديثيا[2] .

و مما استدركه المزي على عبد الغني في الكمال- بدعوى أنه غلط- قوله: أن جابر بن نوح الحمّاني توفي في سنة 203هـ/812م ، لكن المزي قال أنه توفي في سنة 183هـ/799م . و هذا عند الحافظ ابن حجر العسقلاني(ت852هـ/1448م) من أعجب الخطأ الذي وقع فيه المزي في تهذيبه ؛و مما يثبت خطأه و يؤكد صواب عبد الغني ، أن جابر بن نوح لم يرحل في طلب العلم إلا بعد سنة 186هـ/802م ، و من الذين رووا عنه القاضي احمد بن بديل(ت 258هـ/881م) ،و محمد ابن طريف البجلي(ت240 هـ/854م) ،و هما لم يسمعا الحديث إلا بعد التسعين[3] .

و يعد عمل المزي- في تهذيبه للكمال- ، عملا جيدا متقنا ، أكمل به كتاب الحافظ عبد الغني ، و حقّقه و نقّاه ،و أثراه ، لكن بعض العلماء بالغ في تعظيم كتابه ،و تناسى أهمية كتاب عبد الغي و أغمطه حقه ، فقد ادعى الحافظ ابن كثير أن أبا الحجاج المزي لا ((يمارى و لا يجارى ، وكتابه التهذيب لم يسبق إلى مثله ،و لا يلحق في شكله))[4] .و نقل الباحث محمود الطحان عن الفقيه ابن السبكي[5] أنه قال عن التهذيب : ((أجمع على أنه لم يصنف مثله ،و لا يستطاع))[6] .و قال عنه الباحث بشار عواد : إنه أعظم كتاب في موضوعه من غير مدافع ،وأنه أربي على من تقدمه و كسفهم ،و لم يأت بعد المزي بأحسن من تهذيبه[7] .لكن الباحث محمود الطحان لم يبالغ في تعظيم الكتاب ، فبعد اعترافه بفضل أشار إلى أن فيه إطالة ،و يحتاج إلى استدراك لبعض التراجم ،و تحرير لمسائل ، وتهذيب لكثير من الأقوال و الأمثلة[8] .

---

[1] يتكون الجزء الحديثي الذي كتبه المزي من عشرين ورقة –أي من 40 صفحة- و هذا يعني أن كتابه يضم 10000صفحة ، 250×40= 10000 . ابو الحجاج المزي : نفس المصدر ج 1 ص : 45 .

[2] نفس المصدر ج 1 ص : 44 ، 45 .

[3] السخاوي : الإعلان ص : 30 ، 31 .

[4] ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص : 39 .

[5] ربما يقصد الابن تاج اليد و ليس الأب تقي الدين .

[6] محمود الطحان أصول التخريج ص : 159 .

[7] أبو الحجاج المزي : المصدر السابق ج 1 ص : 26 (مقدمة المحقق) .

[8] محمود الطحان : المرجع السابق ص : 159 .

و أقول–تعقيبا على هؤلاء–: لقد بينت أعمال الذين درسوا تهذيب الكمال و لخّصوه[1] أن مؤلفه لم يعرّف بعدد من التراجم ،و فاتته أخرى ، و أنه أطال كتابه و ضخمه بإيراده لأحاديث كثيرة خرّجها من مروياته العالية ، زادت في حجمه بنحو الثلث[2] . الأمر الذي دفع ابن حجر العسقلاني إلى إعادة تهذيب الكتاب ، في مصنف سماه : تهذيب التهذيب ، فأستدرك فيه على مؤلفه و انتقده في مواضع ،و نزع منه الأحاديث التي ضخمت حجمه ،و حذف كلاما كثيرا لا يدل على توثيق و لا تجريح ،و زاد تراجم و أقوالا في التوثيق و التخريج[3] .

و أما قول ابن كثير[4]و ابن السبكي ، فهو كلام غير علمي، و فيه غلو و سلبية، و مجازفة و رجم بالغيب ،لأن عمل المزي–في تهذيبه– هو عمل عادي جدا ، لا غرابة فيه و لا إعجاز ؛ فالمزي من المتخصصين في علم الحديث البارعين فيه ،و المتفرغين له ، عمد إلى كتاب الكمال لعبد الغني و اتخذه أساسا لمصنفه الجديد . ثم رصد أخطاءه و هفواته و نقائصه ، وأجرى عليها التصحيح و التعديل و التنقيح و الإثراء . ثم ضخّمه بأحاديث كثيرة زادت في حجمه ،و نفخته بنحو الثلث ؛ فهل في هذا إعجاز ؟ ، إنه من الجائز جدا أن يقوم–في عصرنا الحالي– عالم متخصص و بارع في علم الحديث و متفرغ له ، بنفس ما قام به المزي أو أحسن ، فيتخذ تهذيب الكمال أساسا لكتاب جديد ، فيرصد أخطاءه ليصححها ، و نقائصه ليكملها و يثريها ، ثم يحذف منه ما يراه زائدا ، و يلحق به ما يراه مفيدا مستعينا بانتقادات الذهبي و ابن حجر و غيرهما من العلماء . ثم يوسعه ليشمل رجال كتب الحديث الأخرى –التي لم تذكر في تهذيب الكمال– و يكثر فيه من الفوائد و النكت ،و التحقيقات الحديثية ،و يزوده بكشافات و ملاحق و فهارس لتسهيل الانتفاع به ؛ فيخرج لنا في النهاية بكتاب أشمل مادة ، و أتقن تنظيما ، و اغزر علما من تهذيب الكمال[5] .

[1] كالذهبي ،و ابن حجر ، و غيرها . نفس المرجع ص : 158 .

[2] نفس المرجع ص : 160 ، 162 .

[3] نفس المرجع ص : 164 .و السخاوي : المصدر السابق ص : 30 ، 31 .

[4] عودنا على مثل هذه المجازفات ، فقد سبق و إن ذكرنا غلوه في مقامات الحريري ، و كر نفس الأمر في وصفه للشاطبية في القراءات ، لابن فيرة الشاطبي الضرير (ت590 هـ/1193م) ، بأنه لم يسبق إليها و لا يلحق ، و هذا كلام غير علمي ، يعبر عن عجز ابن كثير لا غيره من المختصين . ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص : 10 .

[5] و مع ذلك لا يحق لنا إدعاء الكمال و الإعجاز .

و أما مصنفات علماء الحنابلة من الأجزاء الحديثية[1] ،و المشيخات[2]، و المعاجم [3] ، فهي كثيرة جدا أورد بعضها-فيما يأتي-تباعا ، فمن الأجزاء الحديثية جزء صغير للحافظ تقي الدين الصريفيني (ت641 هـ/1243م) استدرك فيه على الحافظ الضياء المقدسي(ت 643هـ/1245م) في جزئه الذي استدرك فيه على الحافظ ابن عساكر(ت 571هـ/1175م) في كتابه: ذكر المشايخ النبّل ، و قد اعتذر الصريفيني-في جزئه- عن ابن عساكر ، و استدرك على الضياء أسماء فاتت ابن عساكر و لم يستدركها هو عليه . و قد نبّه الحافظ أبو الحجاج المزي إلى أن للصريفيني-في جزئه الصغير- أغلاطا كثيرة ،و أن غالب ما أخذه على الضياء هو وهم منه[4] .

و الثاني جزء فيه تسعة من الأحاديث العوالي جدا ، خرّجها الحافظ ابن الجوزي ، في ثلاثين صفحة[5] .و الثالث جزء فيه الفوائد الحسان عن الشيوخ الثقات ، بتخريج من الحافظ عبد العزيز بن الأخضر 611هـ/1214م) ، في اثنين و ثلاثين صفحة[6] . و الرابع فيه الأحاديث العوالي من مسموعات الحافظ الضياء المقدسي ، خرّجها لنفسه في إحدى عشرة صفحة[7] . و الخامس جزء فيه أحاديث و فوائد من رواية الشيخ أبي الحسن بن المقيّر البغدادي (ت643 هـ/1245م) ، في سبع و عشرين صفحة[8] . وكل هذه الأجزاء الحديثية من الأول إلى الثاني-توجد مخطوطاتها بدار الكتب المصرية[9] .

و أما المشيخات و المعاجم فمنها : مشيخة المحدث أبي الحجاج يوسف بن خليل الدمشقي(ت648 هـ/1250م) في ثلاثة أجزاء ،و ضمت نحو خمسمائة شيخ[10] .و مشيخة المحدث النجم بن عبد المنعم الحراني(ت 672هـ/1273م) في أجزاء كثيرة ،و له كذلك معجم لأسماء الشيوخ الذين أجازوا له ، في سبعة أجزاء[11] . ومنها مشيخة المقرئ أبي الخير بن أبي الجيش

---

[1] الجزء الحديثي هو كتاب صغير جمعت فيه مرويات راو واحد ، أو أحاديث موضوع من الموضوعات ، كرفع اليد في الصلاة . محمود الطحان : تيسير مصطلح الحديث ص : 168 .

[2] المشيخة هي كتاب يشمل على الشيوخ الذين لقيهم صاحب المشيخة و أخذ عنهم العلم سماعا و إجازة ، و لا يشترط فيها ذكر المشايخ على حروف المعجم . ابن الجوزي : مشيخة ابن الجوزي ص : 46 .

[3] المعجم عند علماء الحديث هو كتاب يشبه المشيخة ، لكنه يرتب حسب حروف الهجاء في غالب الأحياء . محمود الطحان: المرجع السابق ص:68 .

[4] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 229 ، 230 .

[5] سد فؤاد : المرجع السابق ج 1 ص : 211 .

[6] سيد فؤاد : نفس المرجع ج 1 ص : 213-214 .

[7] نفس المرجع ج 1 ص : 211 .

[8] نفس المصدر ج 1 ص : 211 .

[9] نفسه ج 1 ص : 211 و ما بعدها .

[10] الذهبي : تذكرة الحفاظ ج 4 ص : 1410 .

[11] ابن رافع السلامي : المصدر السابق ص : 119 .

البغدادي)ت676 هـ/1277م) ، فيها خمسمائة و خمسون شيخا بالسماع و الإجازة[1] .و مشيخة المسند إسماعيل بن الخباز الدمشقي(ت 703هـ/1303م) ضمت نحو ثلاثة آلاف شيخ ، في مائة جزء[2].

و للمحدث المبارك بن الخفاف البغدادي(ت 543 هـ/1148م) معجم شيوخ ، قيل أن عددهم يبلغ ثلاثة آلاف شيخ[3] .و للمؤرخ عبد الرزاق بن الفوطي البغدادي(ت 723هـ/1323م) معجم فيه خمسمائة شيخ بالسماع و الإجازة[4] .

و من مشيخاتهم التي وصلت إلينا ، مشيخة ابن الجوزي ، ضمت تسعة وثمانين شيخا مرتبين بالأرقام ،و قد ضبط فيها تاريخ السماع باليوم و الشهر و السنة[5] .و هي على صغرها فيها أوهام كثيرة ، جمعها الحافظ السيف بن المجد عيسى المقدسي(ت615 هـ/1218م) في جزئين ،و قال عنها الذهبي: إنها عيوب وحشة . منها أنه–أي ابن الجوزي– قال : ((حدثنا قتيبة ، حدثنا خالد بن إسماعيل)) ،و الصواب هو : حدثنا حاتم . و قال في موضع آخر : ((حدثنا أبو الفتح محمد بن علي العشاري))، و الصحيح : أبو طالب[6] .

و الثانية مشيخة المسند أحمد بن عبد الدائم المقدسي(ت 668هـ/1269م) ، توجد منها نسخة[7] في خمس عشرة ورقة[8] .و الثالثة : المشيخة الفخرية المعروفة بأسنى المقاصد و أعذب الموارد ، للمسند أبي الحسن الفخر بن البخاري المقدسي(ت 690 هـ/1291م) فيها مجموعة أحاديث مرتبة حسب الشيوخ ،و عددهم اثنين و ستين شيخا ، و ست شيخات ، توجد منها نسخة مخطوطة بمكتبة باريس[9] . و الرابعة مشيخة المحدث أبي بكر بن احمد بن عبد الدائم المقدسي(ت718 هـ/1318م) خرّجها له الحافظ أبو محمد البرزالي الدمشقي الشافعي(ت739 هـ/1338م) ، وقد

[1] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص : 377 .
[2] الذهبي : معجم شيوخ الذهبي ص : 137 .و ابن القاضي المكناسي : المصدر السابق ج 2 ص : 211 .
[3] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 215 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص : 136 .
[4] ابن رجب : نفس المصدر ج 2 ص : 375 .و ابن حجر : المصدر السابق ج 2 ص : 365 .
[5] ابن الجوزي : مشيخة ابن الجوزي ص : 47 ، 82 ، 111 .
[6] الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 21 ص : 382 .
[7] لم يحدد الباحث شاكر مصطفى مكان وجودها . شاكر مصطفى : المرجع السابق ج 2 ص : 304 .
[8] نفسه ج 2 ص : 304 .
[9] بروكلمان : المرجع السابق ج 6 ص : 252 .

نشرت حديثا في سنة 13417هـ/1997م .و فيها مجالس الحديث التي سمعها أبو بكر بن عبد الدائم ، عن شيوخه بأسانيدها ، و مؤرخة باليوم و الشهر و السنة[1] .

و يتبين مما ذكرناه عن المشيخات الحنبلية أن عدد شيوخ أصحابها متباين جدا –كما هو مبيّن في الجدول رقم: 21ص: ، و الرسم البياني رقم: 17 ص: – و منهما يتضح أن أكثر علماء الحنابلة شيوخا ابن الخباز ،و المبارك بن الخفّاف ، إذ لكل منهما نحو ثلاثة آلاف شيخ ،و أقلهم ابن الجوزي بتسعة و ثمانين شيخا . لكن علماء الشافعية اكثر شيوخا من علماء الحنابلة ، إذ زاد عدد شيوخ السمعاني عن أربعة آلاف شيخ ، ثم يليه البرزالي ، ثم ابن النجار . لكن يجب أن لا ننساق– دائما– وراء كثرة عدد الشيوخ ، لأن العبرة في الجد و حسن الفهم، و الاستغلال الجيد للوقت ، لا في مجرد كثرة الشيوخ .

و يستنتج من تراث الحنابلة في علوم القرآن و الحديث–خلال القرنين:6-7هـ/12-13م– أنه غزير و متنوع ، أحصيتُ منه مائتين و ستة وستين كتابا ، منه مائة و اثنان و ستون في علوم القرآن ،و مائة وأربعة في علم الحديث . الأمر الذي يدل على مدى الاهتمام الذي أولاه علماء النابلة لعلوم الكتاب و السنة .

....

[1] البرزالي: مشيخة أبي بكر بن احمد بن عبد الدائم ،حققه إبراهيم صالح ط 1دمشق ، دار البشائر 1997 ص: 14 ، 23 ، 26 ، 27 ، 38 .

جدول تقريبي لعدد شيوخ بعض علماء الحنابلة و الشافعية

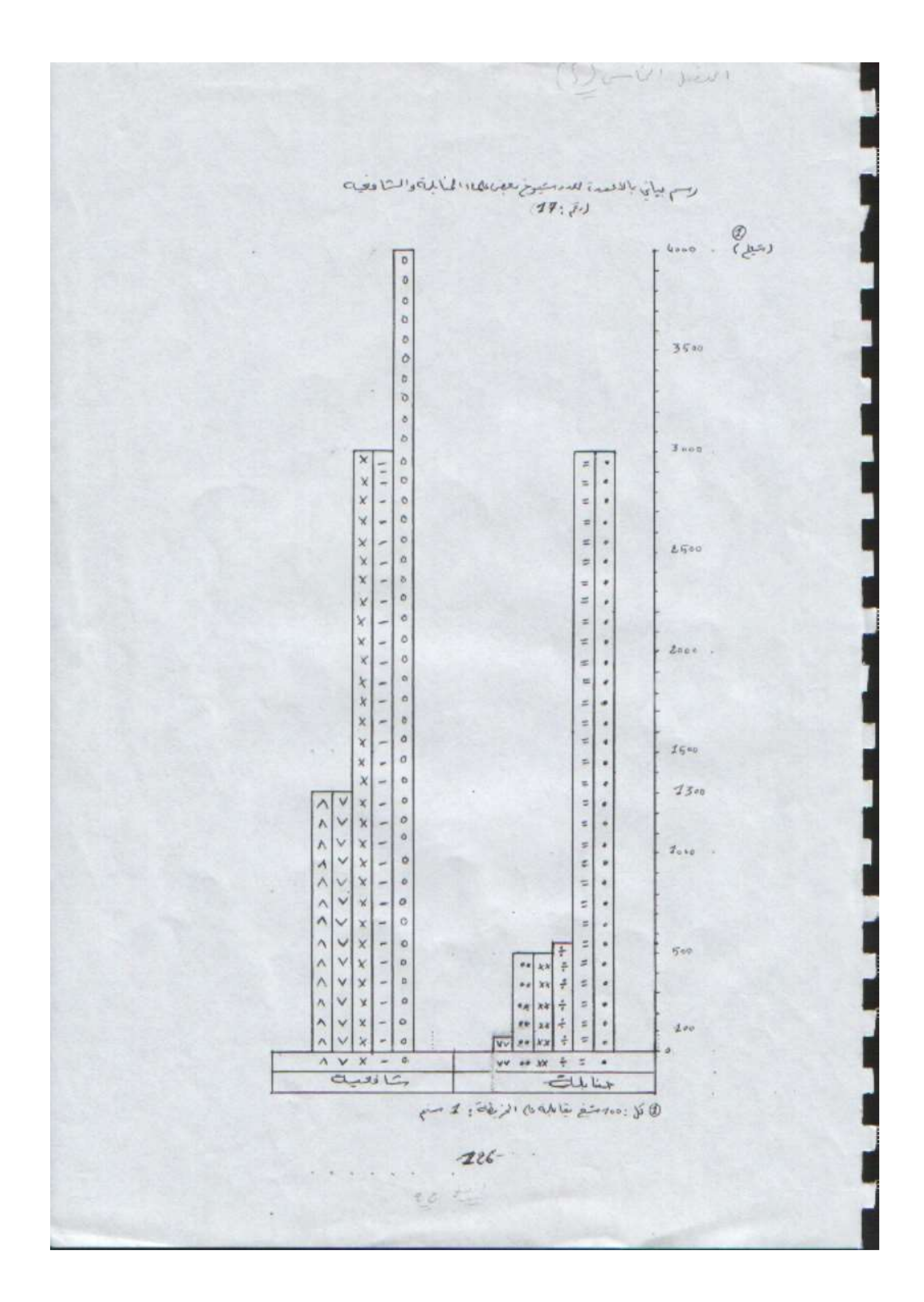
بالمشرق الإسلامي[1]

الرمز	العلماء	عدد الشيوخ	النسبة المئوية
.	ابن الخفاف ت543 - حنبلي	3000	14,822
=	ابن الخباز ت703هـ - =	3000	14,822
÷	ابن الخير بن ع الصمد676هـ =	550	02،717
××	يوسف بن خليل ت648هـ =	500	02,470
..	ابن الفوّطي ت 723هـ =	500	02,470
vv	ابن الجوزي ت 597هـ =	89	0,439
---	المجموع	7639	37,774
0	السمعاني ت 562هـ شافعي	4000	19,763
–	ابن النجار ت 643هـ =	3000	14,822
×	العلم البرزالي ت739هـ =	3000	14,822
v	البرهان الدمياطي ت705 =	1300	06,423
*	الحافظ الذهبي ت 748هـ =	1300	06,423
---	المجموع	12600	62,423
---	المجموع العام	20239	نحو : 100 0/0

(الجدول رقم :21)

.. . .

[1] المصادر سبق ذكرها في المتن ، و التي لم تذكر هي : محمد بن عبد الهادي : طبقات علماء الحديث ج 4 ص : 213 .و ابن العماء الحنبلي : المصدر السابق ج 6 ص : 22 .و ابن الأثير ج 9 ص : 98 .و ابن كثير : المصدر السابق ج 14 ص : 40 .و الصفدي : الوافي ج 2 ص : 164 .و نكت الهميان ص : 243 .



المبحث الثالث : تراث الحنابلة في الفقه وعلم الخلاف

أولى علماء الحنابلة الفقه و ما يتصل به من أصول و خلاف ، عناية أكبر من عنايتهم بعلوم القرآن و الحديث ، لأنه علم عملي تقوم عليه حياتهم الفردية و الاجتماعية على حد سواء . و قد أحصيتُ لهم منه ثلاثمائة و أربعة وستين كتابا[1]-خلال القرنين:6-7هـ/12-13م- منه مائتان لابن تيمية ،و أحد عشر مصنفا لابن عقيل، و عشرة لأبي الخطاب الكلوذاني ،و تسعة لابن الجوزي ،و سبعة لأبي الحسن الزاغوني ،و ستة للضياء محمد المقدسي .

أولا : مصنفاتهم في الفروع :

للحنابلة إنتاج غزير في الفروع-الفقه- أحصيتُ منه ثلاثمائة و اثنين و ثلاثين مصنفا ، منها: الهداية فبي الفقه ،و الانتصار في المسائل الكبار ، و رؤوس المسائل ، و التهذيب في الفرائض ، و هي كلها للفقيه أبي الخطاب اللكلوذاني البغدادي(ت510 هـ/1116م) .و كتاب عمدة الأدلة ،و كفاية المفتي ،لأبي الوفاء بن عقيل(ت513 هـ/1119م)[2] .و أحكام النساء ،و العبادات الخمس ، و المذهب في المذهب ، وعمدة الدلائل في مشتهر المسائل ، لعبد الرحمن بن الجوزي .و كتاب المستوعب في الفقه للفرضي محمد بن عبد الله السامري(ت616 هـ/1219م) ، و هو أجمع كتاب في الفقه الحنبلي ضم عدة مصنفات فقهية مشهورة ، كمختصر الخرقي ،و الهداية لأبي الخطاب ، و لم يتعرض فيه لأصول الفقه و الدين[3] .و منها المحرر في الفقه لمجد الدين بن تيمية[4] ،

---

[1] انظر : ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 132 ، 143 ، 144 ، 189 ، 212 ، 218 ، 221 ، 240 ، و 242 ، 246 ، 252 ، 392 ، 418 ، 447 ، و ج2 ص : 18 ، 19 ن 40 ، 67 ، 111 ، 1112 ، 122 ، 139 ، 153 ، 177 ن 178 ، 203 ، 218 ، 226 ، 233 ، 238 ، 239 ، 252 ، 260 ، 264 ، 297 ، 300 ، 301 ن 314 ، 331 ، 332 ، 342 ، 343 ، 357 ، 403 ، 404 . و العليمي : المنهج الحمد ج 2 ص : 190 ، 199 ، 224 ، 236 ، 237 ، 239 ، 240 ، 250 ، 263 ، 279 ، 285 ، 288 .و أبو الخطاب الكلوذاني : الانتصار في المسائل الكبار ج 1 ص ك 53 و ما بعدها .و الذهبي : العبر ج 3 ص : 141 ، 385 .و تاريخ الإسلام ج : 581-590هـ/ ص : 292 .و المختصر المحتاج إليه ص : 212 .و سير أعلام النبلاء ج 21 ص : 237 ، و ج 22 ص : 48 .و السعيد عبد العزيز : ابن قدامة و آثاره ج 1 ص : 31 .و بروكلمان : المرجع السابق ج 6 ص : 185 ، 186 .و ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص : 100 .و الداودي : المصدر السابق ج 1 ص : 305 .و ج2 ص : 145 .و أبو شامة : ذيل الروضتين ص : 599 .و ابن الفوطي : المصدر السابق ق 3 ج 4 ص : 115 .و محمد ابن عبد الهادي : المصدر تالسابق ج 4 ص : 233 .و المجد بن تيمية : المحرر في الفقه ج1 ص : 1 .و الناصح بن الحنبلي : المصدر السابق ص : 62 .و ابن عقيل : الفنون ج ج1 ص : 13 ، 14 ، 16 .و ابن الجوزي : أحكام النساء ص : 4 ، 7 ، 74 .و الصفدي : الوافي بالوفيات ج 7 ص : 28 .و ابن قيم الجوزية : أسماء مؤلفات ابن تيمية ص : 21 ، 26 ، 29 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص : 142 ، 143 .و ج 5 ص : 21 ، 75 ، 124 ، 287 ، 297 ، 429 ، 448 ، 453 .و ابن بدران الدمشقي : المدخل إلى مذهب الإمام احمد ص : 218 ، 219 .

[2] ابنرجب : المصدر السابق ج 1 ص : 143 ، 144 ، 189 ، و العليمي : المصدر السابق ج 2 ص : 199 .

[3] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 318 . و ابن بدران الدمشقي : المرجع السابق ص : 218 .

[4] مجد الدين بن تيمية : المحرر في الفقه ط 2 الرياض ، مكتبة المعارف 1984 .

و فتاوى ابن تيمية ، و هي كثيرة جدا يصعب تعدادها ، قدر مجموعها بأكثر من ثلاثمائة مجلد[1] ، منها : جواب الاعتراضات المصرية على الفتاوى الحموية في أربعة مجلدات ،و والفتاوى المصرية في سبعة مجلدات ،و قد نشر له حديثا كتاب : مجموع الفتاوى ، في نحو عشرين مجلدا أو أكثر - حسب الطبعات- ، و له كذلك شرح العمدة ،و الرد الكبير على المعترض في مسألة الحلف بالطلاق [2] .

و لم يصل إلينا من تراث الحنابلة الفقهي إلا القليل ، ففي المكتبة الظاهرية بلغ مجموع مخطوطاتهم الفقهية ، ثلاثة و ثمانين مخطوطا في سنة 1314هـ/1878م ، مقابل أربعمائة و تسعة وعشرين للشافعية ،و مائة و أربعة و سبعين للحنفية ، و أحد عشر كتابا للمالكية[3] . ثم عندما نقلت مخطوطات الحنابلة إلى مكتبة الأسد ، و ضمت إليها مخطوطاتهم بالمكتبة الأحمدية بمدينة حلب ، أصبح العدد الإجمالي يقارب مائة مخطوط فقهي ،و هذا عدد قليل لا يتناسب مع نشاط علمائهم ،و كثرة مدارسهم بدمشق[4] .

ومن مؤلفاتهم المطبوعة حديثا : الانتصار في المسائل الكبار ، لأبي الخطاب الكلوذاني[5] ، في ثلاثة مجلدات ، الأول في مسائل الطهارة ،و الثاني في مسائل الصلاة ، و الثالث في مسائل الزكاة . و لهذا الكتاب أهمية بالغة ، فعن طريقه يمكن معرفة الراجح في مذهب الحنابلة ، و الاطلاع على أراء أئمة المذاهب الأخرى بأداتها ، فهو هنا يشبه كتاب المغني لابن قدامة من هذه الناحية ، وقد يتفوق عليه بكثرة الاستدلال و التعليل[6] . كما أنه ضم في طياته نصوصا من كتب مفقودة ، كسنن الطبري ، و التعليق للقاضي أبي يعلى الفراء . غير أنه يعاب مؤلفه عدم الدقة في عزو بعض النقول لأصحابها ،و تسرّعه أحكام دون تثبت .و تصديره لأحاديث صحيحة و حسنة بصيغة التمريض : روي ، و ذكره لأحاديث أخرى ضعيفة أو موضوعة بصيغة الجزم : قال[7] .

---

[1] ابن حجر العسقلاني : المصدر السابق ج 1 ص : 151 .

[2] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 403 ، 404 .

[3] حبيب الزيات : المرجع السابق ص : 17 ، 18 .

[4] محمد الزحيلي : مرجع العلوم الإسلامية ، ط 2 ، دمشق دار المعرفة ، 1992 ص : 370 .

[5] هو من بين تراث الحنابلة الذي كان في المكتبة الظاهرية ، Henri Laoust Le hanbalisme R E I P 130

[6] أبو الخطاب الكلوذاني :الانتصار في المسائل الكبار ،حققه سليمان العمير ، الرياض ، مكتبة العبيكان ، 1413 هـ، ج 1 ص : 71 ، 72 .

[7] أبو الخطاب الكلوذاني : المصدر السابق ج 1 ص : 72 ، 87 ، 88 ، 90 .

ومنها كتاب عمدة الأحكام عن سيد النام ، للحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي(ت 600هـ/1203م) ،و هو مجموعة أحاديث في الأحكام الفقهية ، رواها الشيخان :البخاري و مسلم .و توجد منه نسخ كثيرة ، في المكتبات بدمشق ،و القاهرة ، و برلين،و جامع القرويين[1] .و قد شرحه علماء كثيرون ، كابن دقيق العيد الشافعي(ت702 هـ/1302م) ،و محمد ابن مرزوق التلمساني(ت781 هـ/1379م) .[2]

و منها كذلك أربعة كتب للفقيه الموفق ابن قدامة المقدسي(ت620 هـ/1223م) ، أولها العمدة في الفقه الحنبلي ، صغير الحجم و سهل العبارة ، ألفه الموفق للمبتدئين ، و ذكر فيه الأدلة من الكتاب والسنة ،و جعله عل قول واحد مما اختاره هو .و قد شرحه ابن تيمية في أربعة مجلدات ، و سماه : شرح العمدة لموفق الدين[3] . و الثاني المقنع في الفقه ،في مجلد واحد ، ألفه الموفق للمستوى دون المتوسط ،و جرّده من الدليل[4].و من أشهر شروحه ، الشرح الكبير لقاضي القضاة شمس الدين بن أبي عمر المقدسي(ت682 هـ/1283م)-هو ابن أخ الموفق- شرحه في عشرة مجلدات ،و استمد معظم مادته العلمية من كلام عمه الموفق في كتابه: المغني ،و بمعنى آخر هو شرح للمقنع بالمغني ، و قد زاد فيه ما تيسر له ، كأقوال السلف الذين لم تدوّن مذاهبهم كالليث بن سعد ،و سفيان الثوري ، و عزا بعض الأحاديث إلى مصادرها ،و لم يزد على مصنفه في الاستدلال[5]. و مع تفوّقه على المغني توثيقا و ترتيبا ، وتنوعا و غزارة في المادة العلمية ، فإن المغني أشهر و أكثر انتشارا منه .

و الثالث هو : الكافي في الفقه ، توسط فيه الموفق بين الإطالة و الاختصار ، و خصصه للمتوسطين من المشتغلين بالعلم ، وفيه كثير من الأدلة لتسموا بقارئه إلى درجة الاجتهاد في المذهب ، و قد طبع حديثا في ثلاثة مجلدات[6] .و آخرها كتابه المغني في شرح مختصر الخرقي[7] ،في عشرة مجلدات ،و هو و إن كان شرحا ، فإنه في حقيقة الأمر كتاب مستقل تعتبر مسائل الخرقي أبوابا له

---

[1] بروكلمان : المرجع السابق ج 6 ص : 185 ، 186 .

[2] نفس المرجع ج 6 ص : 187 . ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 6 ص : 5 .

[3] الذهبي / المختصر المحتاج إليه ،ص : 212 .و ابن شاكر الكتبي : المصدر السابق ج 1 ص : 80 .و عمر سليمان الأشقر : المدخل ص : 159 .و ابن بدران الدمشقي : المرجع السابق ص : 219 .

[4] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 139 .و الذهبي : نفسه ص : 212 .و الأشقر : نفسه ص : 159 .

[5] ابن رجب : نفس المصدر ج 2 ص : 304 ، 307 .و السعيد عبد العزيز : ابن قدامة و آثاره الأصولية ج 1 ص : 68 ، 83 .و الأشقر : نفس المرجع ص : 160 .

[6] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 139 .و عمر سليمان الأشقر : المرجع السابق ص: 159 .و السعيد عبد العزيز : المرجع السابق ج 1ص : 92 .

[7] مؤلفه هو عمر بن الحسين الخرقي البغدادي ((334 هـ/945م) ، و قد زادت شروحه عن 300 شرح . السعيد عبد العزيز : نفس المرجع ج 1 ص : 92 .

،و قد توسع الموفق في شرح القضايا الفقهية، بذكر الأدلة و الاختلافات في المذهب الحنبلي أولا ، ثم في المذاهب السنية الأخرى ثانيا ، مع الاحتكام في ذلك إلى الدليل لا التقليد المذهبي[1] . فجاء كتابه موسوعة فقهية مقارنة ، جمة الفوائد و من أحسن كتب الفقه المقارن ، مما جعله من أعظم مصادر الفقه الإسلامي العام ، و من أغنى المراجع لطلاب العلم و رواده ز لذا سارع أهل العلم إلى طبعه ،و فهّرسته وزارة الأوقاف بالكويت في جزئين و جعلته معجما للفقه الحنبلي[2] .

و ختاما– لما تقدم ذكره– أشير هنا إلى ثلاثة أمور ، أولها أن من بين المصنفات الفقهية الحنبلية سبعة كتب ، هي الأكثر انتشارا و تداولا بين الحنابلة ، و هي : مختصر الخرقي ، و الجامع الصغير للقاضي أبي يعلى الفراء ،و الهداية لأبي الخطاب ، و العمدة ، و المقنع ،و الكافي ،و المغني ، للموفق .و الأمر الثاني هو أن ابن الجوزي ربما هو الوحيد الذي أفرد فقه النساء بالتأليف في كتابه : أحكام النساء ، و قد ذكر في مقدمته للكتاب بأنه لم ير من سبقه إلى تصنيف مثل كتابه ، و قد كتبه للنساء لأنهن–في زمانه–كن معرضات عن العلم إلا القليل منهن[3] .و تناول فيه فقه النساء في العبادات ،و المعاملات ،و الآداب[4] .

و الأمر الثالث هو أن كتاب الهداية لأبي الخطاب الكلوذاني ، مصنف فقهي في القرن السادس الهجري/12م ، أولاه علماء الحنابلة عناية بالغة شرحا ، و اختصارا ، فمن الذين شرحوه الفخر بن تيمية(ت622 هـ/1225م) ،و مجد الدين بن تيمية(ت 652هـ/1254م)[5] ، وشرحه قبلهما القاضي أسعد بن المنجّا الدمشقي(ت606 هـ/1209م) ، وسمّاه : النهاية في شرح الهداية ، في بضعة عشرة مجلدا ،و فيه فروع و مسائل كثيرة غير معروفة في مذهب الحنابلة ، يبدو أنه كان ينقلها من كتب الطوائف الأخرى ، و يخرّجها على ما يقتضه عنده مذهبه[6] .

---

[1] ابن قدامة : المغني : المصدر السابق ج 1 ص : ز –ح .
[2] سليمان بن منيع : كتاب المغني لابن قدامة ص : 356 ، 360 .
[3] ابن الجوزي : أحكام النساء ص ك 4 .
[4] نفس المصدر ص : 5 ، 10 ، 100 .
[5] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 153 ، 252 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص : 258 .
[6] الذهبي : العبر ج 3 ص : 141 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 139 ، 178 .

ثانيا : مصنفاتهم في أصول الفقه و الخلاف

للحنابلة في أصول الفقه مؤلفات قليلة -بالمقارنة إلى كتبهم في الفروع- و قد أحصيتُ منها سبعة عشر كتابا ، منها : المفردات في أصول الفقه، لأبي الحسين بن أبي يعلى الفراء (ت526 هـ/1131م) ،و الهداية في أصول الفقه ،لعبد الرحمن بن أبي الفتح الحلواني(ت546 هـ/1151م)،و منهاج الأصول في علم الأصول ، لابن الجوزي[1] ،و المقدمة في أصول الفقه لعبد الحبار بن عبد الخالق العكبري(ت681 هـ/1282م) ، و و الوافي في أصول الفقه للقاضي النجم بن حمدان المصري(ت692 هـ/1292م)[2] .

و من مصنفاتهم الأصولية التي وصلت إلينا خمسة كتب ، أولها التمهيد في أصول الفقه لأبي الخطاب الكلوذاني ،توجد منه نسخة مخطوطة جيدة ، و كاملة الصفحات بدمشق . و قد اتبع فيه أبو الخطاب شيخها القاضي أبا يعلى الفراء ، في كثير من آرائه[3] .و الثاني هو الواضح في أصول الفقه لأبي الوفاء بن عقيل ، كان موجودا بالمكتبة الظاهرية بدمشق ،و هو كتاب قيم و ثري من الحجم الكبير[4] .و الثالث كتاب روضة الناظر و جنّة المناظر للفقيه موفق الدين بن قدامة المقدسي ، وقد نشر حديثا أكثر من مرة ، و شرحه الباحث عبد القادر بن بدران الدمشقي ، في جزئين بعنوان : نزهة الخاطر العاطر ،شرح كتاب روضة الناظر و جنة المناظر .و علق عليه الباحث محمد الأمين الشنقيطي ، في كتاب سماه : مذكرة أصول الفقه[5] .

و قد اتبع الموفق في الروضة أبا حام الغزالي في كتابه المستصفى في علم الأصول ، ترتيبا و مادة ، مع بعض التصرف تقديما و تأخيرا ،و إثراء ، و ادخل فيه أقوال علماء الحنابلة ، كالقاضي أبي يعلى ، و ابن عقيل ، لأن الغزالي لم يذكرهم في المستصفى[6] .و ألحق به كذلك المقدمة المنطقية التي في المستصفى ، ثم حذفها بعدما عاتبه بعض علماء الحنابلة ، مما يدل على أنه لم يكن مقتنعا بفائدتها ، و هذه كبوة منه فكان عليه أن يتجنبها من البداية إن شك في فائدتها ، أو يتركها إن كان مقتنعا بها .و لعل المعاتبة هي التي حركت فيه نزعته المذهبية فنزعها ،لأن كثيرا من علماء السلف الأول قد شدد في النهي عن المنطق و علم الكلام ،لأنهما تسببا في الضلال و قادا إليه[7].

---

[1] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 417 .و العليمي : المصدر السابق ج 2 ص : 263 .

[2] نفس المصدر ج 2 ص : 300 ، 331 .

[3] عبد الله محسن التركي : أصول مذهب الإمام احمد بن حنبل ، ط 4 بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1993 ، ص : 22 .

[4] نفس المصدر ص : 23 .

[5] هذان الكتابان الأخيران مطبوعان و متداولان ، و هما من بين المراجع التي استخدمتها .

[6] السعيد عبد العزيز : المرجع السابق ج 1 ص : 105 ، 162 .

[7] نفس المرجع ج1 ص :124 ، 128 ، 408 .

و كان الأولى بالموفق أن يبتعد عن اتباع منهج الغزالي الذي يشتم منه رائحة التقليد ،و قد كان في مقدوره أن يسلك طريقا آخر .يميزه عن غيره و يبدو أنه كان شديد الإعجاب بأبي حامد الغزالي ،و الأولى بعالم مثله أن يتخلص من ذلك و ينهج نهجا مستقلا يليق به .كما يؤخذ عليه أنه لم يعترف للغزالي بالسبق و الفضل ،و لم يسميه حتّى في الأماكن التي ناقشه فيها ،و لم يشر لكتابه المستصفى[1].و تصرفه هذا غريب جدا ! فكيف سمح لنفسه أن يأخذ معظم ما كتبه الغزالي و يضيف إليه إضافات متفرقة ،ثمّ ينسب الكتاب لنفسه بعنوان جديد ،ولا يصرح بما فعله ؟ ! وهو أمر مكشوف لا يخفى على الناس كما أنه ليس صعبا على فقيه كالموفق أن يؤلف كتابا مستقلا في أصول الفقه ،و كتابه المغني شاهد على تمكنه من الفقه و تبحّره فيه أصولا و فروعا .و قد وصف الباحث عبد الله محسن التركي عمل الموفق في الروضة ، بأنه اختصار للمستصفى ،و ليس لها قيمة علمية كالتي لمصنفات أبي يعلى الفراء ،و أبي الخطاب الكلوذاني ،و ابن عقيل الأصولية[2].

وقد قمتُ بمقارنة بين بعض مباحث الروضة و المستصفى ،فتبيّن لي أن الموفق تصرف فيها بالحذف و الزيادة .فمن ذلك أنه حذف ما قاله الغزالي في أول المقدمة المنطقية و آخرها [3].و نزع التقديم الذي بدأ به الغزالي باب حقيقة الحكم و أقسامه[4].كما أنه نقل من المستصفى نقولا كثيرة جدا ،تكاد تكون نقلا حرفيا، منها[5] قوله في مبحث المقدمة المنطقية : ((في البرهان :وهو الذي يتوصل به إلى العلوم التصديقية المطلوبة بالنظر ، وهو عبارة عن أقاويل مخصوصة ألفت تأليفا مخصوصا)) و يقول الغزالي في المستصفى : ((في البرهان الذي به التوصل إلى العلوم التصديقية المطلوبة بالبحث و النظر : أعلم أن البرهان عبارة عن أقاويل مخصوصة ألفت تأليفا مخصوصا))[6] .

و الكتاب الرابع هو أقيسة النبي – عليه الصلاة و السلام– للفقيه الناصح بن حنبلي الدمشقي (ت 634هـ/1236 م) جمع فيه النصوص القياسية للرسول ،وقد استوعب فيه كل أنواع القياس الفقهي من أقواله عليه الصلاة و السلام .و قد بلغت مائة قياس و وعد الناصح بأنه سيشرحها مستقبلا إن كان

[1] نفس المرجع ج1 ص :148 ، 149 ، 151 ، 152 .

[2] عبد الله محسن التركي : المرجع السابق ص :23 .

[3] أنظر ابن قدامة : روضة الناظر ص :7 .و ابن بدران الدمشقي : نزهة الخاطر ج1 ص :25 ،76 .و أبو حامد الغزالي : المستصفى ص:10 ،44.

[4] الغزالي : المصدر السابق ص :45 . ابن قدامة : الروضة ص :25 . و ابن بدران الدمشقي : المرجع السابق ج1 ص :77 .

[5] نقتصر على مثال واحد فقط ،و للمزيد أنظر ابن بدران الدمشقي :نفسه ج1 ص :46 ، 77 .و الغزالي : نفس المصدر ص :52 ،53.

[6] ابن بدران الدمشقي :نفس المرجع ج1 ص :44 . و أبو حامد الغزالي :نفس المصدر ص :24 .

في الأجل فسحة[1]. و قال : ((وأقيسة رسول الله – صلى الله عليه و سلم –لبس لها معارض ولا مناقض ، لأنها خبر معصوم ،و قياس كل ذي قياس سواه فهو بيهام الطعن مرشوق و مرجوم)) ، فقياسه ليس كقياس البشر الذي هو :رد مجهول إلى معلوم لاستنباط حكم ما[2]و قد شملت الأقيسة التي ذكرها الناصح مختلف جوانب الحياة ، منها : الإنسان أجله و أمله .و الصراط المستقيم . و الوقوع في الشبهات[3]و كتابه هذا يبدو أنه فريد من نوعه ، إذ لا يعرف كتاب آخر قبله ، جمع أقوال الأقيسة الفقهية للرسول – صلى الله عليه و سلم –في مصنف واحد .وهو رد على بعض الفقهاء الذين قالوا :إن القياس لم يظهر إلاّ في القرن الثاني الهجري /8م ، فأثبت الناصح أن القياس أبعد في التاريخ من عصر المذاهب الفقهية ،و أنه ورد على لسانه عليه الصلاة و السلام[4].

و آخرها كتاب المسوّدة في أصول الفقه لآل تيمية ، صنفها مجد الدين بن تيمية الحراني (ت 652 هـ/1254م) ، ثم زاد فيها كل من ولده شهاب الدين(ت682 هـ/1282م) ،و حفيده تقي الدين(ت728 هـ/1327م) ،وهو مجمزعة نقول عن كبار علماء الحنابلة ، كالقاضي أبي يعلى الفراء ، و ابن عقيل ، مع اختيارات و تعقيبات لآل تيمية في استقصاء الأقوال و المسائل المختلفة ، و التحرير لمحل النزاع ،و التوسع في الشرح ، و التعليق و المقارنة ، حتى يتحدد موطنا الاتفاق و الاختلاف[5] .

و أشير هنا إلى أنه سادت بين كثير من المهتمين بأصول الفقه ، فكرة مفادها أنه ليس للحنابلة أصول فقه مستقلة بهم ، وإنما هم تبع للشافعية في أكثر مؤلفاتهم ،و أن غالب ما في روضة الناظر للموفق ، منقول عن أبي حامد الغزالي في كتابه المستصفى[6] . لنكه تبيّن–بعد البحث– أن للحنابلة مصنفات تضارع كتب المذاهب السنية الأخرى ، بل تزيد عليها في كثير من الجوانب و تتميز عنها بآرائها و مناهجها المستقلة ، و اختياراتها الواضحة ، مما يدا على أن لأصحابها منزعا خاصا بهم ، و أصولا بنوا عليها فقههم ، و قواعد استنبطوها منها[7] . مع العلم أن مؤلفاتهم الأصولية لم تجد من يعتني بها و يحققها ن عند ظهور الطباعة الحديثة–على غرار الكتب الأصولية للفرق الأخرى–،و لم يبدأ

---

[1] الناصح بن الحنبلي :أقيسة النبي ص :63 ،64، 75 .

[2] نفس المصدر :ص :62، 75 .

[3] نفس المصدر ص :6 ، 42 ،88، 106 ،110، 181 ، 184 .

[4] نفس المصدر ص : 62، 63 .

[5] ابن عبد الغني الدمشقي: المسودة في أصول الفقه لآل تيمية ، ص : 7 ن 8 ، 83 ، 89 ، 171 ، 172 ، 177 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 252 .و الداودي : المصدر السابق ج 1 ص : 305 .

[6] السعيد عبد العزيز : المرجع السابق ج 1 ص : أ .

[7] نفس المصدر ج 1 ص : ب .

الاهتمام بها إلا بظهور الدور السياسي و التعليمي لدول الجزيرة العربية التي يسود فيها المذهب الحنبلي[1] .

و أما تراث الحنابلة في علمي الخلاف[2] و الجدل[3] ، فقد أحصيتُ لهم منهما سبعة عشر مصنفا-خلال القرنين:6-7هـ/12-13م- منها : الخلاف الكبير لأبي الخطاب الكلوذاني ، و التبصرة في الخلاف للقلضي أبي خازم بن أبي يعلى الفراء(ت527 هـ/1132م) ، و الجدل الكبير للفقيه أبي الفتح بن المني(ت583 هـ/1187م)[4] ،و التعليقة في الخلاف ، و المفردات في الخلاف ،و جنة الناظر في الجدل ن للمتكلم الفخر غلام بن المني(ت611 هـ/1214م)، و تنبيه الرجل العاقل على تمويه الجل الباطل للشيخ تقي الدين بن تيمية ، بيّن فيه الجدل المحمود الذي كان عليه السلف الصالح ، و الجدل المذموم الذي انتهى إليه المتأخرون[5] .

و للفقيه أبي الوفاء بن عقيل ،كتاب الجدل ، نشره الباحث جورج مقدسي[6] من نسخة مخطوطة تعود إلى سنة 564هـ/ 1168م ، وقد جاء الكتاب في سبعة و عشرين بابا ، منها: أقسام أدلة الشرع ، و الترجيحات بين الأدلة ، و الاستدلال بالكتاب ، و تصحيح العلة .و عرّف الجدل بأنه ((الفتل للخصم عن مذهب إلى مذهب بطريق الحجة ،و لا يخلو الفتل للخصم أن يكون بحجة ، أو شبهة ، أو شغب)) ، ثم ذكر شروط الجدل ،و آدابه و أهدافه[7] .

و ختاما لهذا المبحث أشير إلى أربعة أمور ، أولها أنه كان لعالمين حنبليين دور كبير في ظهور الفقه المقارن و إرساء قواعده ، و هما : الوزير بن هبيرة في كتابه الإفصاح ، و الفقيه الموفق بن قدامة ، في

---

[1] نفس المرجع ج 1 ص : ج ، ر .

[2] هو علم يبحث عن وجوه الاستنباط المختلفة ، من الأدلة الإجمالية و التفصيلية ، ، ثم البحث عنها حسب الإبرام و النقض لأي وضع ،و فائدته رفع الشكوك عن المذهب ، وإيقاعها بالمذاهب المخالفة ، و هو يقوم في أساسها على علم الجدل . طاش كبرى زاده : المرجع السابق ج 1 ص " 312 .و محمد الزحيلي : المرجع السابق ص : 735 .

[3] هو علم يبحث عن الطرق التي يقتدر بها على إبرام أي وضع كان ،و على هدم أي وضع كان، و هو من فروع علم النظر . طاش كبرى زاده : نفس المرجع ج 1 ص : 281 .

[4] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 218 ، 221 ، و ج 2 ص : 177 .

[5] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 67 .و ابن الفوطي : المصدر السابق ق 3 ج 4 ص : 218 .و محمد بن عبد الهادي : العقود الدرية ص : 29 ن و ما بعدها .

[6] في نشرة الدراسات الشرقية (B E O) التي يصدرها المعهد الفرنسي بدمشق ج : 20 ، 1972 ص : 122 .

[7] ابن عقيل : كتاب الجدل ص : 128 ، 129 ، 203 ، 240 .

كتابه المغني[1].و الثاني هو أني لم أعثر للحنابلة على مصنفات في باب الحيل و المخارج ، التي يتوصل بها إلى التخلّص من الأحكام الشرعية ، و الوصول إلى المحرّم ؛ لكنني وجدت لهم كتابات في استنكارها و تحريمها[2] .و الثالث هو أن الفقيه عبد الرحمن بن خلدون لما تعرّض لما أنتجه الشافعية و الحنفية و المالكية ، من مصنفات في أصول الفقه و الخلاف ، أغفل ذكر مؤلفات الحنابلة في هذين العلمين[3] . و قد سبق و أن ذكرت بأن لهم أكثر من ثلاثين كتابا من تصنيف كبار علمائهم .و آخرها هو أن مجموع ما أحصيتُه للحنابلة من مصنفات– في الفقه و ما يتصل به– بلغ ثلاثمائة وأربعة و ستين كتابا ، مما يجعل تراثهم الفقهي في مقدمة ما أنتجوه في علوم الشريعة .

المبحث الرابع : تراث الحنابلة في أصول الدين و التصوّف و الوعظ

بلغ مجموع ما أحصيتُه لعلماء الحنابلة من مؤلفات في أصول الدين، و التصوف و الوعظ–خلال القرنين:6-7هـ/12-13م– مائتين و سبعة و خمسين كتابا[4] ؛ منها واحد و ثمانون في أصول الدين ، لابن تيمية منها أكثر من عشرين مصنفا ، و نحو ثمانية عشر لابن الجوزي ،و تسعة للموفق بن قدامة .و باقي مصنفاتهم–من المجموع العام–فهي في التصوف و الوعظ ، و عددها مائة و ستة و سبعون كتابا ، منها مائة و ثلاثة و أربعون لابن الجوزي وحده ، و الباقي موزع على سبعة عشر عالما حنبليا .

أولا : مصنفاتهم في أصول الدين :

اذكر منها ما يأتي : الإرشاد في أصول الدين ،و الانتصار لأهل الحديث ، و نفي التشبيه ، لأبي الوفاء بن عقيل ، و إيضاح الأدلة في الرد على الفرق الضالة المضلة ، لأبي الحسين بن أبي يعلى الفراء(ت526 هـ/1131م)[5] ،و البرهان في أصول الدين ،و الرد على الأشاعرة ، لشرف الإسلام بن الحنبلي الدمشقي(ت 536 هـ/1141م) ،و جزء في زيادة الإيمان و نقصانه، للفقيه كمال الدين بن

---

[1] محمد الزحيلي : المرجع السابق ص : 738 .

[2] ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين ج 3 ص : 142 ، 171 ، 183 ، 185 .

[3] ابن خلدون : المقدمة ص : 361 ، 362 .

[4] انظر : ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 144 ، 189 ، 212 ، 218 ، 228 ، 238 ، 410 .و ج 2 ص : 18 ، 19 ، 67 ، 139 ، 153 ، 178 ، 233 ، 239 ،280، 283 ، 284 ،300 ، 301 ، 302 ، 349 ، 360 . و ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص : 101 .و لابن قيم الجوزية : أسماء مؤلفات ابن تيمية ص : 18 .و مختصر الصواعق ص : 569 .و اجتماع الجيوش الإسلامية ص : 132 .و عبد الحميد العلوجي : المرجع السابق ص : 127 و ما بعدها ، و 223 و ما بعدها .و ابن ناصر العلوان : إتحاف أهل الأثر ج 1 ص : 19 .و ابن طولون : المصدر السابق ج 2 ص : 321 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص : 12 ، 137 ،و 373 ، 374 .و العليمي : المصدر السابق ج 2 ص : 225 .و ابن تيمية : درء تعارض العقل و النقل ج 4 ص : 116 ، 396 .و ابن قدامة المقدسي : تحريم النظر ص : 8 .و هناك مصادر أخري سيرد ذكرها فيما يأتي .

[5] ابن رجب : نفس المصدر ج 1 ص : 189 ، 212 .

وضاح الشهرياني البغدادي(ت672 هـ/1273م) ،كتبه جوابا فيمن حلف بالطلاق على نفي زيادة الإيمان و نقصانه ،و أفتى بوقوع طلاقه ،و بسط القول في المسألة[1] .

و منها كتابان في معرفة الله تعالى ، الأول لأبي الحسين بن الزاغوني(ت527 هـ/1132م) ، عنوانه : منهاج الهدى ، و مما قاله فيه : وجب النظر في معرفة الله ، و أنها لا تحصل إلا به ، و معارف الدين كسبية ، و ليست حاصلة بالاضطرار[2]. و الثاني هو : محجة الساري في معرفة الباري ، لصدقة بن الحسين البغدادي(ت 573 هـ/1177م) ، و مما تناوله فيه : أنواع المعرفة و طريق حصولها ،و النظر أول الوجبات ،و لا تتم المعرفة إلا به[3] . و هذان الكتابان مفقودان ، لكن ابن تيمية قد احتفظ لنا منهما –في كتابه درء تعرض العقل و النقل– بمقاطع و نقول قيمة للغاية ،و لها أهمية كبرى في التأريخ للحركة العلمية الحنبلية خاصة ،و الإسلامية عامة في القرن السادس الهجري/12م بالمشرق الإسلامي .

و من مؤلفات الحنابلة التي وصلت إلينا: التمهيد في أصول الدين ، للفقيه أبي الخطاب الكلوذاني[4] ،و كتاب الرد على الأشاعرة العزال لأبي الوفاء بن عقيل ، و دفع شبهة التشبيه لابن الجوزي ، صنفه للرد على بعض علماء الحنابلة اتهمهم فيه بالتشبيه[5]. ومنها رسالة في اعتقاد الإمام احمد[6] ، للفقيه أبي محمد بن تميم الحراني(ت 615 هـ/1218م)، تناول فيها مسائل الاعتقاد ، كالصفات و التوبة ،و الهداية و الضلال ، النظر و الاستدلال ، و موقف احمد بن حنبل من المعتزلة و الجهمية[7] .

ومنها ستة كتب للفقيه الموفق بن قدامة المقدسي(ت 620 هـ/1223م) ، أولها تحريم النظر في كتب أهل الكلام ، نشره الباحث جورج مقدسي مترجما إلى اللغة الإنجليزية في سنة 1962م/1382م) ، وألحق به النص العربي مكتوبا بخط اليد ، في أربع و سبعين صفحة بمتنه و فهارسه[8]. ثم أعيد تحقيقه و نشره في سنة 1990م/1411هـ[1] .و الثاني كتاب البرهان في بيان

---

[1] نفس المصدر ج 1 ص : 238 . و ج 2 ص : 283-284 .
[2] ابن تيمية : درء تعارض العقل و النقل ج 4 ص : 395 و ما بعدها .
[3] نفس المصدر ج 4 ص : 116 و ما بعدها .
[4] نفس المصدر ج 4 ص : 398 .
[5] ابن الجوزي : دفع شبهة التشبيه ص : 6 .
[6] ألحقها الباحث محمد حامد الفقي بكتاب طبقات الحنابلة ج 2 ص : 265 و ما بعدها .
[7] نفس المصدر ج 2 ص : 265 و ما بعدها .
[8] انظر ص : 66 74 .

القرآن نشره الباحث سعود بن عبد الله الفنيسان[2] ، موضوعه رد الموفق على المعتزلة و الأشاعرة في موقفهم من كلام الله و القرآن الكريم[3] .و كتابه الثالث هو مناظرة في القرآن العظيم ، حكى فيه الموفق مناظرة جرت بينه وبين أحد كبار ولاة بدمشق–لم يفصح عن اسمه– دارت حول موقف الأشاعرة من كلام الله[4] ؛ و هو يشبه الكتاب الذي قبله في موضوعه و مباحثه . و أما المصنفات الثلاثة الباقية فهي رسائل صغيرة نشرت في مجموع واحد ضمن سلسلة: عقائد السلف ، حققها الباحث بدر بن عبد الله البدر ، موضوعها مسائل الصفات و التأويل ، و هي : إثبات صفة العلو ، و لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ، و ذم التأويل[5] .

و منها رسالتان في أصول الدين للشيخ ا بن تيمية ، الأولى : العقيدة الواسطية ، كتبها للقاضي رضي الدين الواسطي الشافعي بطلب منه ، في نحو سنة 692هـ/1292م ، فكتبها له في جلسة بعد صلاة العصر ، تناول فيها مسألة التأويل و الصفات ، و مما قاله فيها : إن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات ، يحتذى فيه حذوه ، فإذا ((كان إثبات الذات ، إثبات وجود ، لا إثبات تكييف، فكذلك إثبات الصفات ، إثبات وجود ، لا إثبات تكييف))[6] . و الثانية هي الحموية كتبها سنة698 هـ/1298م ، في جلسة بين الظهر و العصر ، على إثر سؤال ورد إليه من حماة في مسألة الصفات[7] ، و الرسالتان نموذجان لما كتبه ابن تيمية في أصول الدين و علم الكلام و هما–مع مصنفاته الأخرى– تشهدان له بالبراعة و التبحر ،و التجديد و الإبداع في علم الكلام ، فهو بحق صاحب مدرسة كلامية جمعت بين المنقول و المعقول ، بطريقة شرعية منطقية موضوعية .و قد روى يوسف بن الشرّمري الدمشقي الحنبلي(ت776 هـ/1374م) ، أن بعض العلماء–من الخائضين في علم الكلام– حدثوه ، أن كلا منهم كان حائرا تتجاذبه أقوال الأصولين و معقولاتهم ، حتى خاف على نفسه من الوقوع في الشك و التعطيل ، فلما قرأ مصنفات ابن تيمية في النقليات و العقليات ، انجلت عنه غاشية أقوال المتكلمين ،و زال عنه الشك و طفر بالمرام[8] .

---

[1] حققه الباحث عبد الرحمن محمد سعيد ، و نشرته دار عالم الكتب بالرياض .

[2] نشره في مجلة البحوث الإسلامية التي تصدر بالرياض ، العدد19 ، 1407هـ .

[3] ابن قدامة : البرهان في بيان القرآن ص : 189 ، 202 و ما بعدها .

[4] ابن قدامة المقدسي : مناظرة في القرآن العظيم ص : 5 ، 6 ، 31 ، 57 ، 58 .

[5] ابن قدامة : لمعة الاعتقاد ص : 211 ، 212 .و إثبات العلو ص : 10 ، 47 . ذم التأويل ص : 242 و ما بعدها .

[6] ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج 3 ص :134 ، 164 .

[7] ابن شاكر الكتبي : المصدر السابق ج 1 ص : 72 .

[8] محمد بن عبد الهادي : العقود الدرية ص : 33 .و ابن ناصر الدين : الرد الوافر ص : 131 .

وختاما لما تقدم ذكره ، أشير هنا إلى أن المؤرخ ابن خلدون(ت808 هـ/1405م)قد أفرد –في مقدمته– مبحثا لعلم الكلام ،و ما صنف فيه السنيون من كتب ، فذكر المؤلفات الأشعرية ، دون الحنبلية[1] . على الرغم من أن للحنابلة مصنفات كثيرة في أصول الدين و علم الكلام . و لا أدري هل جهلها أم تجاهلها ؟و هل نسيها أم تناساها ؟ .و قد انتقده الباحث محمد خليل هراس في إغفاله لدور ابن تيمية و تلامذته في التصدي للغلاة في خلطهم الفلسفة بعلم الكلام ، و في مقاومة المذهب الأشعري لإحياء مذهب السلف على طريقة الحنابلة[2] .

ثانيا : مصنفاتهم في التصوف و الوعظ :

للحنابلة تراث علمي متنوع في التصوف و الوعظ و التربية و الإرشاد ، أحصيتُ منه مائة و ستة و سبعين مصنفا ، منها : كتاب تهذيب النفس لأبي الوفاء بن عقيل ، و تحفة المتقين و سبيل العارفين للشيخ عبد القادر الجيلاني(ت561 هـ/1165م)[3]،و سلوك الخواص لأبي الحجاج بن علي البقال البغدادي (ت672هـ/1273م) ، و الفرق بين أحوال الصالحين و أحوال الإباحية أكلة الدنيا بالدين ، و الرد على أهل الإلحاد ، و هما للفقيه علي بن وضاح الشهرياني(ت672 هـ/1273م)[4] .

و من مصنفاتهم المطبوعة في التصوف و الآداب : الغنية لطالبي طريق الحق ، لعبد القادر الجيلاني ، موضوعه رسم منهج لسالكي طريق التصوف و الأخلاق ، و التربية الإيمانية[5].و من مباحثه : عقيدة أهل السنة ، و آداب المريد وعلاقته بالشيخ ،و آداب الصوفي[6] . و فيه أشياء كثيرة حسنة ، كالحث على مجاهدة النفس ، و معرفة الله تعالى ، و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، غير أنه يؤخذ عليه ذكره لبعض الإسرائيليات ،و كثرة إيراده للأحاديث الضعيفة و الموضوعة ، وعدم تخريجها[7] . منها حديث : ((إذا ذكر الله قولوا كلام الله غير مخلوق ، فمن قال مخلوق، فهو كافر))[8] ، و هذا حيث مكذوب عن النبي–صلى الله عليه و سلم– لأنه لم يصح عنه حديث بلفظ : القرآن غير مخلوق[9] . ومنها أحاديث في فضل ليلة النصف من شعبان و صلواتها ، فذكر الشيخ الجيلاني أن

---

[1] انظر ص : 368-369 .
[2] خليل هراس : ابن تيمية باعث النهضة الإسلامية ، بيروت دار الكتب العلمية 1984 ، ص : 23 .
[3] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 189 . و ابن قيم الجوزية : اجتماع الجيوش الإسلامية ص : 132 .
[4] ابن رجب : نفس المصدر ج 2 ص : 280 ، 283 .
[5] عبد القادر الجيلاني : الغنية لطالبي طريق الحق ص ج 1 ص : 10 ، 11 .
[6] نفس المصدر ج 1 ص : 14 و ما بعدها ،و ج 2 ص : 3 ، 181 و ما بعدها .
[7] نفس المصدر ج 1 ص : 11 ،14 ، 16 ،23 ، 24 ، 41 ، 51 ، 45 ، 68 ، 74 ، 78 .
[8] نفس المصدر ج 1 ص : 76 .
[9] ابن قيم الجوزية : المنار المنيف ص : 95-96 .

صلاة ليلة النصف من شعبان فيها مائة ركعة بألف مرة بسورة الإخلاص . و أن السلف الصالح كانوا يصلونها جماعة ، وأن ثلاثين صحابيا قالوا : من صلى ليلة النصف من شعبان ، نظر ((الله إليه سبعين نظرة ،و قضى له بكل نظرة سبعين حاجة))[1] ، لكن المحققين من المحدثين يقولون : إن كل ما روي عن ليلة النصف من شعبان لا يصح ، لأنه مكذوب[2] .

و منها كتاب تلبيس إبليس ،لابن الجوزي ، موضوعه نقد العلم و العلماء ، كان للصوفية منه قسطا كبيرا ، فقد أفرد لهم ابن الجوزي أكثر من نصف الكتاب في البابين العاشر و الحادي عشر ، و قد استغرقا مائتين و خمس و ستين صفحة ،من مجموع أربع مائة و واحد و خمسين صفحة[3]. وقد تصدى الصوفي أبو الحسن بن علي المصري (ت 682 هـ/ 1283م) للردّ على ابن الجوزي فيما قاله عن الصوفية -في تلبيس إبليس- في كتابه المفوضات العرفانية مع الصورة الشيطانية[4]،

ولهم في الأخلاق و المجاهدة و المعرفة القلبية عدة مصنفات ،منها ستة كتب ، أولها مختصر منهاج القاصدين للموفق بن قدامة ،وهو اختصار لمنهاج القاصدين لابن الجوزي ،الذي لخّصه هو بدوره من إحياء علوم الدين للغزالي[5]. وقد هذبه الموفق وزاد فيه أشياء ،و أبقى فيه خطبة ابن الجوزي على أصلها ،و أقامه على أربعة أرباع ، هي : ربع العبادات ، وربع العادات ، و ربع المهلكات ،و ربع المنجيات . لكنه ترك فيه أحاديث موضوعة و أخرى ضعيفة[6].

و الثاني ذمّ الموسوسين و التحذير من الوسوسة للموفق بنقدامة ،و قد شرحه ابن قيم الجوزية و أثراه بتعليقات مفيدة ،من فصوله :الوسوسة في النية و الطهارة و الصلاة ،و شبهات الموسوسين و الردّ عليها[7].و أما الكتب الأربعة المتبقية فهي لتقي الدين بن تيمية ،وهي :العبودية ،و التحفة العراقية في الأعمال القلبية ،و أمراض القلوب و شفاؤه ،و قاعدة في المحبة[8].

---

[1] عبد القادر الجيلاني : المصدر السابق ج 1 ص : 235 .

[2] ابن قيم الجوزية : المصدر السابق ص : 76 و ما بعدها .و الشوكاني : الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ص : 51-52 .

[3] حسب الطبعة التي بين يدي .

[4] السخاوي الحنفي : تحفة الأحباب ص :176-177.

[5] العلوجي : المرجع السابق ص :188 .

[6] ابن قدامة المقدسي : مختصر منهاج القاصدين ، حققه عبد القادر الأرناؤط ،و شعيب الأرناؤط ، ط2 الجزائر ، مؤسسة الإسراء 1991 ،ص 1 ، 10، 12، 14، 22، 34، 69 .

[7] ابن قيم الجوزية : شرح كتاب ذم الموسوسين ، الجزائر ، دار الشهاب ،دت ،ص :30 ،34 ،66 وما بعدها .

[8] هذه المصنفات الأربعة مطبوعة و متداولة.

و أما المصنفات الوعضية المطبوعة ، فمنها :الفتح الرباني في الفيض الرحماني للشيخ عبد القادر الجيلاني ،احتوى على اثنين و ستين مجلسا للوعظ ،أولها في عدم الاعتراض على الله تعالى ،و آخرها في التوحيد[1].و قد حدد لكل مجلس إطاره الزماني و المكاني ،ما بين سنتي 545 هـ/1150 م ،و546 هـ/ 1151م ،برباط الشيخ عبد القادر و مدرسته[2].و في كتابه هذا مواعظ حسنة مرققة للقلوب ،و محركة على الطاعة و الاجتهاد في العبادة ،لكنه احتوى على أحاديث لا تصحّ[3]. منها : ((حبك للشيء يعمي و يصم)) ،و ((اطلبوا العلم ولو في الصين))[4].

و منها كتابان لابن الجوزي ، أولهما التذكرة في الوعظ ، ضمّ أربعة و عشرين مجلسا للوعظ ، فيها كثير من الرقائق و الآداب المشوقة إلى الله تعالى ، من ذلك قوله : ((كيف يصل إلى الله من لا يسير ، و هو في قبضة العوائد أسير ؟))[5]. والثاني تحفة الواعظ و نزهة الملاحظ ، ضمّ خمسة و عشرين فصلا ،مليئة بالتذكير و الحث على الطاعة ،و المسارعة إلى فعل الخيرات منها قوله ((كم أخرج الموت نفسا من دارها ولم يداريها وكم أنزل أجسادا بجار لم يجارها ، و كم أجرى عيونا كالعيون بعد مزارها))[6].و أورد فيه ابن الجوزي مادة غزيرة من الشعر الوعظي ،عن الزهد والتأمل والتأسي ،لا وجود لأكثره في المجامع الشعرية المطبوعة ،ولا في دواوين الشعر المعروفة ، و بذا يمثل هذا الشعر إضافة قيمة لديوان الزهد الإسلامي ،و هو شعر جيد شكلا و مضمونا ، ليس نظما متكلفا ،و لا شعرا ركيكا. لكن ابن الجوزي لم يعن بنسبته لقائليه ،ولو فعل ذلك لتمت الفائدة[7]

و لابن الجوزي مصنفات وعظية أخرى مطبوعة ، كالمدهش و ذم الهوى ، و رؤوس القوارير ،و التبصرة ،و المواعظ و المجالس ،و يقوتة المواعظ و الحدائق ،و تنبيه النائم الغمر على حفظ مواسم العمر . لكنه شحن هذه المصنفات بالأحاديث المكذوبة ،و القصص الباطلة ،و الأخبار التالفة[8].

و يستنتج مما ذكرناه في هذا المبحث، أن مصنفات الحنابلة في آداب العلم و المتعلم قليلة جدا ، لم أعثر منها إلا على ما كتبه ابن الجوزي من مباحث متفرقة في كتابه صيد الخاطر [9] . لكنني عثرت لهم على كتابين في هذا الموضوع صنفا في القرن الخامس الهجري/11م ، هما : أدب الفقه

---

[1] عبد القادر الجيلاني :الفتح الرباني في الفيض الرحماني بيروت دار الكتاب العربي 1980 ص :377 ،378 .

[2] نفس المصدر ص: 19 ،33 ،250، 282 .

[3] نفس المصدر :ص :7 ،11، 12، 13، 28.

[4] نفس المصدر ص: 196 ،203 .و الشوكاني : الفوائد المجموعة ص: 255 ، 272 .

[5] ابن الجوزي : التذكرة في الوعظ ، حققه أحمد عبد الوهاب فتيح ،ط 1 دار المعرفة 1986 ص :50 .

[6] ابن الجوزي : تحفة الواعظ و نزهة الملاحظ ، نشره هلال ناجي في مجلة المورد العراقية مج3 ج3 ،1974 ص: 175 ،179 .

[7] نفس المصدر .مج3 ج3 ، 1974 ص: 176 .

[8] أبو عبيد مشهور : كتب حذّر منها العلماء ج2 ص: 216 ،217 .

[9] انظر –مثلا- ص : 177 ، 178 ، 206 .

لأبي جعفر بن أبي موسى العباسي(ت470 هـ/1077م) ،و أدب العالم و المتعلم ، لأبي علي بن البناء البغدادي(ت471 هـ/1078م)[1] .و كما أن مجموع ما أحصيتُه لهم من مصنفات في أصول الدين ،و التصوف و الوعظ و التربية ، بلغ مائتين وسبعة و خمسين مصنفا ،ليصل مجموع ما ذكرناه– من تراث الحنابلة العلمين– إلى ثمانمائة و سبعة و ثمانين كتابا ، دون مصنفاتهم التاريخية و الأدبية و العقلية .

المبحث الخامس : تراث الحنابلة في التاريخ و اللغة و الأدب

بلغ مجموع ما أحصيتُه من مصنفات الحنابلة في التاريخ و اللغة ،و الأدب و النحو ،مائتين و ثلاثة و عشرين كتابا[2]–خلال القرنين:6-7هـ/12-13م– منها واحد و ستون مصنفا في اللغة و النحو و الأدب ، و الباقي (162كتابا) في التاريخ و ما يتصل به من تراجم و فضائل و انساب .

أولا : مصنفاهم في التاريخ :

يأتي المؤرخ ابن الجوزي في مقدمة علماء الحنابلة تأليفا في التاريخ ، بنحو تسعة و ستين كتابا ، ثم يليه الحافظ الضياء المقدسي(ت643 هـ/1245م) بثمانية مصنفات ، ثم يأتي بعده الحفظ عبد الغني المقدسي (ت600 هـ/1203م) بستة كتب ، ثم يليه المؤرخ عبد الرزاق بن الفوطي(ت 723 هـ/1323م) .

---

[1] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 20 ، 46 .

[2] انظر : ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 158 ، 212 ، 218 ن 228 ، 233 ، 250 ، 244 ، 252 ، 377 ، 420 ، 418 ن 423 ، 427 ن و ج 2 ص : 18 ن 19 ن 111 ، 112 ، 275 ، 303 ن 304 ، 3-05 ، 375 ، 256 ، 239 ، 357 ، 378 ، .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص : 132 ، 335 ، و ج 5 ص : 111 ، 169 ، 257 ، 258 ، 341 .و ج 6 ص : 30 ، 39 ، 69 ، 87 .و الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 20 ص : 430 و ج 21 ، ص : 42 ن 384 .و العبر ج 3 ص ك 220 .و تاريخ الإسلام ج : 591 –600 هـ/ص : 445 .و ابن كثير : البداية ج 12 ص : 189 ، 328 ، و ج 14 ص : 173 120 .و العليمي : المصدر السابق ج 2 ص : 196 ، 197 ، 273 .و ابن الفرات : المصدر السابق مج4 ج 2 ص : 241 .و شاكر مصطفى : المرجع السابق ج 2 ص : 109 ، 133 ، 135 ، 259 ، 304 .و مصطفى الشيبي : مؤرخ بغداد ابن الفوطي ج 1 ص : 4 ، ج2 ص : 56 .و الصفدي : المصدر السابق ج 9 ص ك 88 ، . و ابن الجوزي : أعمار الأعيان ص : 12 ،و المنتظم ج 9 ص : 197 .و ابن قيم الجوزية : أسماء مؤلفات ابن تيمية ص : 27 .و ابن هبيرة : الإفصاح 1 ص : 9 .و سيد فؤاد : المرجع السابق ج 1 ص :182 ، 445 .و العلوجي : المرجع السابق ص : 235 و ما بعدها و 243 ،235 . و احمد تيمور : المختار من المخطوطات العربية ص : 5 ، 49 ، 26 .و أبو شامة : الذيل ص : 120 .و اليافعي : المصدر السابق ج 3 ص : 438 .و الدودي : المصدر السابق ج 1 ص : 82 .و ابن شاكر الكتبي : المصدر السابق ج 4 ص : 299 .و السيوطي : إنباه الرواة ج 2 ص : 99 ، 100 .و بروكلمان : المرجع السابق ج 5 ص : 18 ، 19 ، 163 ، 164 ، 175 .و جورجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ج 14 ص : 282 .و عمر موسى باشا : الأدب في بلاد الشام ص : 747 .

فمن مؤلفاتهم المفقودة ، كتاب تاريخ بغداد لأبي الحسن الزاغوني(ت 527 هـ/1132م)، أرخ فيه لبغداد من سنة 512هـ/1118م ، إلى سنة وفاته[1] .و الثاني تاريخ ابن شافع ، للمحدث أبي الفضل بن صالح بن شافع البغدادي(ت665 هـ/1169م) أتبع فيه طريقة الحوليات ، و جمع فيه بين حوادث بغداد و وفيات أعيانها ن مع شرح أحوالهم ؛ من سنة 463هـ/1070م إلى ما بعد سنة 560هـ/1164م ، و توفي و لم يبيضه[2] . و قد اعتمد على كتابه هذا مؤرخون كثيرون ، كابن النجار ،و ابن رجب البغدادي[3].

و الثالث هو كتاب طبقات القراء – المعروف بالانتصار في معرفة قرّاء المدن و الأمصار– للحافظ أبي العلاء العطار الهمذاني(ت 569 هـ/1270م) ، كان مفقودا زمن المؤرخ شمس الدين بن الجزري(ت738 هـ/1337م) ، فقد ذكر أنه بحث عنه و تلهّف عليه و فلم يحصل عليه و لم ير من شاهده ، و يبدو أنه عدم في الواقعات المغولية[4] . و الكتاب الرابع تاريخ بغداد لصدقة بن الحسين البغدادي(ت573 هـ/1177م) جعله ذيلا لتاريخ شيخه أبي الحسن الزاغوني ، و رتبه على السنين ، من سنة 527 هـ/1132م إلى قريب من وفاته[5] . و رغم ما قاله ابن كثير من أن هذا الكتاب فيه غرائب و عجائب–دون أن يذكرها– فإن كثيرا من المؤرخين قد رجعوا إليه ، كابن رجب البغدادي, ابن النجار، وابن خلكان ، و ظل متداولا بينهم إلى القرن الحادي عشر الهجري/17م، لكنه اليوم في عداد المصنفات الضائعة[6] .

و الخامس كتاب ديوان الإسلام في تاريخ دار السلام للطبيب أبي بكر بن المارستانية البغدادي(ت599 هـ/1202م) ، قسّمه إلى ثلاثمائة و ستين كتابا ،و توسع فيه ،و لم يتمه ،و لم يشتهر بين المؤرخين ،و إن رجع إليه بعضهم ،و استفاد منه ، كابن الدبيثي637 هـ/1239م(،و ابن النجار(ت643 هـ/1245م) ،و جمال الدين القفطي(ت646 هـ/1248م)[7] . و قد طعن في

---

[1] ابن رجب : نفس المصدر ج 1 ص : 218 .

[2] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 312 .و الذهبي : المختصر المحتاج إليه ص : 106 .و بدري فهد : من كبار المؤرخين العراقيين ، مجلة المورد ، العراق ، مج3 ج3 ص : 1974 ، ص : 322 .

[3] ابن النجار / المصدر السابق ج 16 ص : 205 ، و ج18 ص : 117 .و ابن رجب : نفس المصدر ج 1 ص : 312 .و بدري فهد : نفس المرجع مج 3 ح 3 ، 1974 ص : 322 .

[4] ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء ج 1 ص : 204 .

[5] ابن الدبيثي : المصدر السابق ج 2 ص : 39 .و ابن خلكان : المصدر السابق ج 6 ص : 253 .

[6] ابن النجار : المصدر السابق ج 20 ص : 149 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 230 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص : 164 ، 170 .و شاكر مصطفى : المرجع السابق ج 2 ص : 130 .

[7] ابو شامة : المصدر السابق ص : 34 .و ابن جب : المصدر السابق ج 1 ص : 443 .و ابن الدبيثي : المصدر السابق ج 1 ص :17 .و جمال القفطي : المحمدون من الشعراء ص : 402 .

الكتاب و مؤلفه المؤرخان ابن الدبيثي و ابن النجار ، فقال عنه الأول: ((ما تم كتابه المسمى ديوان الإسلام ،و لو تم لظهرت فضائحه))[1].و قال الثاني أن ابن المارستانية جمع فنونا من التواريخ ،و أخبار الناس ، من نظر فيها تبين له كذبه و قبحه و تهوّره ،و تركيبه للأسانيد على الأخبار . ثم قال ابن النجار: ((نقلت في هذا الكتاب من خطه و قوله و رواياته ، أشياء العهدة عليه في صحتها ، فإني لم أطمئن إلى صحتها ، ولا أشهد بحقيقة بطلانها ،و الله أعلام بالصحيح))[2] .

لكن ابن رجب حاول إنصاف ابن المارستانة ، فتعجب من مبالغة ابن النجار في الحط عليه و التنزّه عن الرواية عنه من جهة ، ثم هو ينقل عنه أخبارا لم يطمئن غليها من جهة أخرى . ثم ذكر ابن رجب أنه أطلع على كتاب لابن المارستانية في سيرة الوزير ابن هبيرة ، فلم يجد فيه ما ينكر عليه ن وغالب ما رواه من أخبار عن الوزير ، فقد رواها غيره من المؤرخين[3] . ثم قال أنه لم يثبت أن ابن المارستانية كان يركب الأسانيد و يتصرف في مصنفاته ،و إن كان الناس قد أنكروا عليه إدعاء النسب إلى أبي بكر الصديق ،و دعواه سماع ما لم يسمع من الروايات[4] .

و الكتاب السادس هو سبب هجرة المقادسة إلى دمشق و كرامات مشايخهم ، للحافظ الضياء محمد بن عبد الواحد المقدسي(ت 643هـ/1245م)، في نحو عشرة أجزاء . لكنه مفقود ، توجد منه بعض النصوص في كتاب القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية للمؤرخ محمد بن طولون الدمشقي(ت953هـ/1546م)[5] .

و آخرها كتاب درة الإكليل للحافظ أبي الحسن بن القطيعي البغدادي(ت 634هـ/1236م) ، جمعه في خمسة أسفار ،و جعله ذيلا لتاريخ أبي سعد السمعاني و لم يتمه[6] .و قد انتقده المؤرخ ابن النجار ، وأخذ عليه أنه لم يكن محققا فيما دوّنه ،و أنه أذهب عمره في جمع تاريخه ، مع كثرة الأوهام و قلة الإتقان ، ثم قال عن كتابه: ((و طالعته فرأيت فيه من الغلط و الوهم ،و التصحيف و التحريف كثيرا ، و أوقفته على وجه الصواب فيه فلم يفهم ، و قد نقلت عنه أشياء ،و نسبتها إليه و لا

---

[1] أبو شامة : نفس المصدر ص : 334 .و ابن رجب : نفس المصدر ج 1 ص : 445 . و الدبيثي : نفس المصدر ج 1 ص :246 .

[2] ابن النجار : المصدر السابق ج 17 ص : 67 .

[3] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 444 .

[4] نفس المصدر ج 1 ص : 445 .

[5] نفس المصدر ج 2 ص :239 . و صلاح الدين المنجد : المؤرخون الدمشقيون وآثارهم المخطوطة ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية ، مج 2 ج 1 1956 ص : 90 .

[6] ابن العماد الحنبلي ك المصدر السابق ج 5 ص : 162-163 .

يطمئن قلبي إليها ، و العهدة عليه فيما قاله))[1] . لكن ابن رجب ذكر أنه أطلع على قسما كبيرا من تاريخ القطيعي ، و وجد فيه فوائدة كثيرة ، مع أوهام وأغلاط ، وعاب على ابن النجار مبالغته في الحط على الكتاب و مؤلفه ، الذي وصفه بأنه((كان لحنّة قليل المعرفة بأسماء الرجال)) ، ثم مع ذلك نقل عنه أخبارا كثيرة ، بل نقل الكتاب كله ! و يرى ان من أسباب تحامل ابن النجار على القطيعي ، أن هذا الأخير كان شيخ دار الحديث بالمدرسة المستنصرية ، و كان هو مفيدا للطلبة فيها[2] .

و أما مؤلفاتهم التاريخية التي وصلت إلينا ، فسأذكر منها خمسة عشر كتابا ، أولها طبقات الحنابلة[3] لأبي الحسين بن أبي يعلى الفراء البغدادي (ت 526هـ/1131م) ،و هو من أقد ما وصلنا من كتب الطبقات عند الحنابلة[4] . و الكتاب الثاني إلى الثالث هي من مصنفات عبد الرحمن ابن الجوزي ، و هي : المنتظم فيتاريخ الملوك و الأمم ، و أخبار الأذكياء ،و صفة الصفوة ،و أخبار النساء ،و أعمار الأعيان ،و ري الضما فيمن قال الشعر من الإما . ففيما يخص المنتظم فقد جمع فيه مؤلفه بين الحوادث و التراجم ، وقد وصلتنا منه نسخ مخطوطة كثيرة ، بعضها يوجد بخزانة كتب مصطفى أفندي بإسطنبول[5] ؛ و ونشر لأول مرة في سنة 1359هـ/190م بالهند[6] .

و أما كتاب أخبار الأذكياء ، فموضوعه الذكاء عند الإنسان بكل صوره من أقوال و أفعال . و قد طبع لأول مرة–في طبعة حجرية– في عام 1277هـ/1860م ، و الثانية في سنة 1304هـ/1886م ، ثم تعددت طبعاته[7] .و تكمن أهميته في أنه تاريخ للطفيليين و النابهين و الفاطنين ، على اختلاف شرائحهم و أزمانهم[8] .و انه مصدر ثري للطرائف و النكت و أدب السمر[9] . فمن ذلك أن صبيا فطنا جلس مع قوم يأكلون ، فبكي ، فقالوا له : مالك تبكي ؟ قال: الطعام حار ، فقالوا له : دعه حتى

---

[1] الذهبي : العبر ج 3 ص : 221 .و تاريخ الإسلام ج: 631-640 هـ/ص : 213 .

[2] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 213 .

[3] سبق الكلام عن هذا الكتاب في مبحث نقد المصادر و المراجع .

[4] Henri Laoust les premieres profissions de foi hanbalites Institut fraancais Damas 1957

[5] احمد تيمور : المرجع السابق ص : 31 ، 53 ، 54 .

[6] نشرته مطبعة دائرة المعارف العثمانية .

[7] ابن الجوزي : أخبار الأذكياء حققه محمد موسى الحوالي ، القاهرة ، د ن ، 1970 ، ص : ط ، ل .

[8] انظر –مثلا– نفس المصدر ص : 212 ، 213 .

[9] اعتمد عليه الأديب ابن حجة الحموي (ت837 هـ/1433م في كتابه ثمرات الأوراق ، في فصل نوادر الأذكياء . ابن حجة الحموي : ثمرات الأوراق ن حققه أبو الفضل إبراهيم ، ط1 مصر ، مكتبة الخانجي ، 1971 ، ص : 163 .

يرد . فقال : أنتم لا تدعونه[1] . و يعاب على ابن الجوزي -في كتابه هذا- أنه نسب أحاديث كثيرة للنبي -صلى الله عليه وسلم- و لم يحققها ، و لا بين درجتها ، كالتي ذكرها في باب العقل[2] .

و فيما يخص كتابه صفة الصفوة ، فهو في أساسه اختصار لحلية الأولياء للحافظ أبي نعيم الأصفهاني(ت430 هـ/1038م) فيه أخبار غزيرة عن الزهاد و العبّاد من صدر الإسلام، إلى القرن الخامس الهجري/11م[3] . و قد وضع له ابن الجوزي مقدمة انتقد فيها أبا نعيم و كتابه ، و عاب عليه أشياء كثيرة ، منها : أنه ذكر أحاديث باطلة ، قصد بها تكثير حديثه و تنفيق رواياته ، و لم يبّين أنها موضوعة ، وهذا غش منه للقارئين . و أنه نسب كبار الصحابة و التابعين و الأئمة إلى التصوف ، و هم لا خبر لهم به ، فإن قيل أنه قصد الزهد في الدنيا ، قلنا أن التصوف مذهب معروف عند أصحابه لا يقتصر فيه على الزهد ، بل له صفات و أخلاق يعرفها أربابه[4] .

و تمثل عمل ابن الجوزي في كتاب صفة الصفوة في أنه زاد تراجم و أخبارا لم ترد في الحلية ، وحذف منه حكايات لا تليق بالكتاب . و ذكر عن القوم محاسن ما نقل عنهم ،و ما يصلح للإقتداء به.و أوصل تراجم الكتاب إلى أكثر من ألف ترجمة ، من بينها أزيد من مائتي ترجمة خاصة بالنساء ، والباقي للرجال ؛ في حين لم يترجم أبو نعيم إلا لنحو عشرين امرأة فقط ، مقابل ستمائة رجل[5] . لكنه لم ينقد -معظم- أسانيد الأخبار التي رواها عن الرسول و صحابته و التابعين[6] .

و أما كتابه أخبار النساء ، فقد نشر منسوبا لابن قيم الجوزية في عدة طبعات[7] ، منها الطبعة التي حققها الباحث نزار رضا، فقد عزاه لابن القيم ولم يتناول مسألة صحة نسبة الكتاب إليه، و ضرب عنها صفحا[8] ، رغم كثرة الدلائل التي تدل على عكس ما ذهب إليه ، و التي منها أن ابن الجوزي أشار إلى أن كتاب أخبار النساء من مؤلفاته[9] . و أن بعض المصادر ذكرته من بين مصنفاته ،

---

[1] ابن الجوزي : المصدر السابق ص : 213 .

[2] نفس المصدر ص : 6 ، 7 .

[3] ابن الجوزي : صفة الصفوة ، حققه محمود فاخوري ، و محمد رواس قلعجي ، حلب دار الرفاعي ، ط 1 ، 1969 > 1 ص : 46 و ما بعدها . و خير الدين الزركلي : الأعلام ج 4 ص : 378 .

[4] نفس المصدر ج 1 ص : 15 ، 16 .

[5] نفس المصدر ج 1 ص : 32 ، 38 .

[6] انظر ك نفس المصدر ج 1 ص : 128 ، 129 ، 130 ، 590 ، 597 ، 605 ، 609 .

[7] ما يزال إلى اليوم يطبع منسوبا لابن القيم في كثير من الطبعات .

[8] ابن قيم الجوزية : أخبار النساء ، بيروت دار مكتبة الحياة 1964 ، ص : ط .

[9] أبو عبيدة مشهور : المرجع السابق ج 2 ص :322 .

لا من بين مؤلفات ابن القيم الجوزية[1] . كما أن أسلوبه يشبه أسلوب ابن الجوزي ، لا أسلوب ابن القيم[2] .

و فيما يخص كتابه أعمار الأعيان ، فهو نوع من أنواع فن التراجم ن موضوعه تحديد أعمار و وفيات الأعيان على العقود ، فيذكر على رأس العقد من السنين و في ثناياه ، من توفي من المشاهير . و قد بدأ ابن الجوزي- في كتابه هذا- بمن مات في سن العاشرة من أولاد العلماء و الأعيان ، و انتهى بوفيات المعمّرين[3] . وبذكره لأعمار المترجمين يمكننا معرفة سنة ميلادهم لمن لهم سنة وفاة ن دون سنة ميلاد ؛ و العكس لمن لهم سنة ميلاد دون سنة وفاة .و قد عاب المحقق على ابن الجوزي إكثاره من تراجم الحنابلة أولا ، ثم البغاددة ثانيا ، و كأن الحنبلية و البغددة هما المعيار[4].

و كتابه السابع : ري الضما فيمن قال الشعر من الإما ، توجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية ، في ثلاث وثلاثين ورقة ؛ أوله -بعد الديباجة- : كان الوزير أطال الله بقاءه ، ذاكرني منذ أيام فيمن قال الشعر من الإماء المماليك ،و أمرني أن أجمع له ما وقع إلي من أخبارهن في الدولتين الأموية و العباسية))[5] .و يبدو أن الوزير الذي طلب منه تأليف كتابه هذا هو عون الدين بن هبيرة الحنبلي(ت560 هـ/1164م) ، الذي كان صديقه[6] .

و أما الكتاب الثامن- من مصنفات الحنابلة التاريخية - فهو الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار ، للفقيه موفق الدين بن قدامة المقدسي ، توجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية بخط المؤلف ، و أخرى بالخزانة التيمورية[7] . وهو كتاب قيم جمع فيه مؤلفه بين التاريخ و الأنساب ،و الأدب و الحديث ،و نقد أخباره و استصفى خلاصتها الصحيحة ، و أخرجه بلغة عالية الجودة ، و ألحق به هوامش زادت في قيمة متنه[8] .

---

[1] انظر : الذهبي : تذكرة الحفاظ ج4 ص : 1343 .و السخاوي : الإعلان ص : 204 .و العلوجي : المرجع السابق ص : 51 ، 66 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 449-450 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 6 ص : 169-170 .

[2] أبو عبيدة مشهور : المرجع السابق ج 2 ص : 323 .

[3] ابن الجوزي : أعمار الأعيان ، حققه محمود محمد الطناجي ط 1 القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1994 ص : 12 .

[4] نفس المصدر ص : 16 .

[5] سيد فؤاد : المرجع السابق ج 1 ص : 445 .

[6] ابن الجوزي : المنتظم ج 10 ص : 215 ، 216 .

[7] صلاح الدين المنجد : المرجع السابق مج 2 ج 1 ص : 89 .

[8] ابن قدامة المقدسي : الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار ، حققه علي نويهض ، د م ن ، دار الفكر ، 1972 ص: 11 ،12 17 .

و التاسع هو الآخر للموفق بن قدامة ، عنوانه : كتاب التوابين[1]، خصصه للتائبين من الناس قبل الإسلام و بعده ، فذكر عنهم أخبارا عن توبتهم و إقبالهم على الله تعالى .وهي نماذج تربوية فيها قدوة حسنة للباعدين عن الله و القربين منه .و قسّم كتابه إلى ستة أجزاء ، الأول و الثاني للتوابين من الملائكة و الأنبياء و من الأمم السابقة للإسلام .و الجزء الثالث للتوابين من الصحابة ، و الأجزاء الباقية أفردها للتائبين من ملوك المسلمين و أعيانهم و فقرائهم . ثمّ ختم كتابه بذكر جماعة ممن أسلمت من الذميين[2]. و بلغ مجموع الذين ترجم لهم مائة و خمسة و ثلاثين شخصا[3]. كما أنه أورد روايات كثيرة بالأسانيد لم يحققها ،و لم يشر إلى درجتها من حيث الصحة و الضعف ؛و أخرى ذكرها بأسلوب التمريض دون أسانيد ، كقوله : روي ،و حكي[4]. و قد انتقده –في كتابه هذا – الحافظ شمس الدين السخاوي (ت 902 هـ/ 1496م) ولم يفصح عن مراده ، حين قال : ((بل في كتاب التوابين لشيخ الإسلام الموفق بن قدامة ، أشياء ما كنت أحب له إيرادها ، خصوصا و أسانيدها مختلة))[5].و هي حسب الباحث جورج مقدسي ذكره–أي الموفق–لروايات إسرائيلية ،و أخرى في ذمّ الأشعرية و علم الكلام[6].

و الكتاب العاشر هو: إكمال الإكمال في المؤتلف و المختلف و مشتبه النسبة ، للحافظ أبي بكر ابن نقطة البغدادي (ت629 هـ/ 1231م) ، ذيّل به على كتاب الإكمال للحافظ الأمير بن مأكول البغدادي الشافعي (ت 475 هـ/ 1082م). وقد أظهر ابن نقطة –في كتابه هذا– ما يدل على إمامته و حفظه و إتقانه لعلم الرجال[7]. و موضوع كتابه واضح من عنوانه ، المشتبه من الأسماء و

---

[11] حققه الباحث جور مقدسي ، في سنة 1961 ، ثم أعاد نشره الباحث عبد القادر الأرناؤوط ،فحققه و خرّج أحاديثه و عرّف بأعلامه . وهو الأمر الذي لم يفعله جورج مقدسي في تحقيقه للكتاب .

[2] الموفق بن قدامة : كتاب التوابين ، حققه جورج مقدسي ،دمشق المعهد الفرنسي للدراسات العربية ،1961 ص :35 و ما بعدها ،85 :131 ،192 ،222 ،228 .

[3] نفس المصدر ص: 291 .

[4] نفس المصدر ص: 133 ،140 ،142 ،146 ،150 ،152 ،192 ،193 ،216 .

[5] السخاوي : المصدر السابق ص :115 .

[6] نفس المصدر ص: 20 ،21 (مدخل المحقق) .

[7] الذهبي : سيّر أعلام النبلاء ج 22 ص :348 . و تذكرة الحفاظ ج 4 ص : 1413 .

المؤتلف و المختلف[1] منها . وتوجد منه عدة نسخ مخطوطة مفرقة بين مكتبات العالم كدار الكتب المصرية و المتحف البريطاني[2] .

ومما استدركه ابن نقطة على ابن مأكولا ،و يدل على سعة علمه في الرجال ، و تتبعه للمصادر و الروايات ، أن شخصا اسمه : سليمان بن محمد ، سمع الحديث من رجل يعرف بابي شهاب الحنّاط ، سماه ابن مأكولا : سليمان بن داود ، وهذا خطأ بيّن ، و لعله نقله من تاريخ بغداد للخطيب البغدادي)ت463 هـ/1070م) ، لأن الخطيب أورده في تاريخه على الوهم أيضا ؛ لكنه ذكره صحيحا في ترجمته لأبي شهاب الحنّاط ، و هو الذي سمع منه سليمان بن محمد[3] .

و ممن ذيّل على ابن نقطة : الحافظ أبو حامد بن الصابوني المحمودي الدمشقي(ت680 هـ/1281م) في كتابه : تكملة إكمال الإكمال في المؤتلف و المختلف[4] . وكتابه هذا هو استدراك و تذييل ، لأنه ذكر ما أغفله ابن نقطة ، وما فاته ،و من جاء بعده . فمن ذلك أنه–أي ابن نقطة– لم يذكر الوزير إسماعيل بن التيتي الآمدي الحنبلي(ـ673 هـ/1274م) ، و فاته باب: جري ،و جزي[5] .و مع ذلك فإن الحافظ الذهبي يرى أن الصابوني لم يكن من البارعين في علم الرجال ، وأن ابن نقطة كان فيه إماما متقنا محققا[6].

و أما الكتاب الحادي عشر فهو : تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ، للمؤرخ عبد الرزاق بن الفوطي البغدادي (ت723 هـ/1323م) ، في نحو ثمانية أجزاء ، و لم يعثر منها إلا على جزئين فقط، هما : الرابع بالمكتبة الظاهرية بدمشق ،و الخامس بخزانة جامعة لاهور بباكستان[7] .

---

[1] المؤتلف و المختلف هو أن تتفق الأسماء أو الألقاب أو الأنساب أو الكنى خطا ، و تختلف لفظا مثل : سلام و سلاّم و البزاز و البزّار . وهناك كذلك المتفق و المفترق وهو أن تتفق أسماء الرواة و أسماء أبائهم فصاعدا خطا و لفضا و تختلف أشخاصهم ، من ذلك أنه يوجد ستة أشخاص لهم نفس اسم : الخليل بن أحمد : محمود الطحان : تيسير مصطلح الحديث ص: 205 ،207 .

[2] برو كلمان : المرجع السابق ج6 ص :177 .و شاكر مصطفى : المرجع السابق ج2 ص :133 .و بشار عواد معروف : ضبط النص و التعليق عليه بيروت ، مؤسسة الرسالة 1982 ص :5 ،20 ،21 .

[3] الذهبي : سيّر أعلام النبلاء ج 22 ص : 348 .

[4] ابن الصابوني : تكملة إكمال الإكمال ، حققه مصطفى جواد بغداد ، المجمعع العلمي العراقي ، 1957 ، ص : م : 44 .

[5] نتفس المصدر ص ك 59 ، 85 ، 100 .

[6] الذهبي : تذكرة الحفاظ ج 4 ص : 1413 ، 1446 .

[7] عباس العزاوي : تاريخ الأدب في العراق ج 1 ص : 267 .و الشيبي : المرجع السابق ج 1 ص : 7 ،8 .

وأشير هنا إلى أنه نُسب لعبد الرزاق بن الفوطي كتاب: الحوادث الجامعة، على أنه هو كتابه : الحوادث الجامعة والتجارب النافعة الواقعة في المائة السابعة ن ثم تبيّن لمحققه[1] -فيما بعد- استحالة أن يكون الكتاب له لأسباب عديدة ، منها : خفاء ذاتية المؤلف وشخصيته ، وهذا لا نجده في كتابه تلخيص مجمع الآداب، حيث كثيرا ما يقول عن نفسه : قلت ، و سمعت منه ، و رأيت .و اختلاف أسلوب وخط الكتابين المنسوب لابن الفوطي و كتابه تلخيص مجمع الآداب .و منها كذلك أن كتاب الحوادث الجامعة لابن الفوطي ، موضوعه الوفيات فقط ، لكن هذا المنسوب إليه في الحوادث و الوفيات معا[2] . ثم انتهى المحقق إلى احتمال أن يكون المؤلف هو : المقرئ احمد بن يوسف العلوي الكرجي ثم البغدادي(ت721 هـ/1321م)[3] .

و مما يقوي ما ذهب إليه الباحث مصطفي جواد ، من أن مؤلف الحوادث الجامعة ليس حنبليا ، ولا هو ابن الفوطي ، أربعة مرجحات ، أولها أن مؤلف كتاب الحوادث الجامعة المطبوع ، يسمي أصحاب الإمام احمد : الحنابلة[4] ؛ لكن ابن الفوطي يسميهم-في تلخيص مجمع الآداب- الطائفة الأحمدية[5] . و الثاني هو أن مؤلف الحوادث الجامعة-المطبوع- قال عن قاضي القضاة أبي صالح نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلاني الحنبلي(ت633 هـ/1235م) : ((شيخ وقته ، ومقدم مذهبه))[6]،و هذا يوحي بأنه ليس على مذهبه .و الثالث هو أن مؤلف الحوادث الجامعة ذكر واقعة دخول المغول إلى بغداد كناقل وليس كشاهد عيان[7] . و لو كان مصنفه هو ابن الفوطي لروى الحوادث كشاهد عيان ، لنه عاصرها و أسر فيها[8] . وآخرها هو أن مؤلف الحوادث الجامعة تعرّض لذكر الفيلسوف اليهودي عز الدين بن كمونة البغدادي(ت683 هـ/1284م) و ذمه ، و أشار إلي سعي المسلمين-ببغداد- لقتله[9] .و لكن ابن الفوطي مدحه ،و تمنى لقاءه ، ولم يتطرق لمحاولة قتله عندما ترّجم له في تلخيص مجمع الآداب[10] .

---

[1] هو الباحث مصطفى جواد ، وقد نشره في سنة1351هـ/1932م ، ثم أعيد طبعه في سنة 1407 هـ/1987م ،/ نشرته دار الحديث ببيروت .

[2] ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ق 1 ج 4 ص : 64 ، 65 ، و ق 4 ج 4 ص : 632 ، 647 ، 760 .

[3] نفس المصدر ق 1 ج4 ص : 66 .

[4] ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ص : 35 ، 68 ، 140 .

[5] انظر : ق1 ج4 ص : 112 ، و ق4 ج 4 ص : 761 .

[6] انظر الحوادث الجامعة ص : 48 .

[7] نفس المصدر ص : 179 و ما بعدها .

[8] انظر ابن رجب : المصدر السابق ج2 ص : 347 .

[9] لأنه ألف كتابا ذكر فيه مطاعن في اليهودية و المسيحية و الإسلام . ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ص : 210 .

[10] انظر : ق 1 ج 4 ص : 160-161 .

و الكتاب الثالث عشر هو ذيل مرآة الزمان[1] لقطب الدين موسى بن محمد اليونيني (ت726 هـ/1325م) ، في أربعة مجلدات ، و قد جعله مؤلفه ذيلا لكتاب مرآة الزمان لسبط بن الجوزي(ت654 هـ/1256م) .و ابتدأه من سنة 654 هـ/1256م ، إلى 686 هـ/1287م ، وجمع فيه بين الحوادث و الوفيات .و اعترف–في مقدمة كتابه–أنه ليس من فرسان فن التاريخ ،و إنما هو من هواته[2] .

وأما المصنفات الثلاثة الأخيرة[3] ، فهي للشيخ تقي الدين بن تيمية ، أولها :رسالة في يزيد بن معاوية نشرها الباحث صلاح الدين المنجد ،و الثاني : رأس الحسين حققه الباحث محمد حامد الفقي في سنة 1373 هـ/1953م[4] .و الثالث : الخلافة و الملك ، تطرق فيه لحوادث تاريخية كثيرة لها علاقة بموضوع الخلافة في صدر الإسلام ، كالخلافة الراشدة ،و عام الجماعة[5] . و هو وإن لم يكن من المؤرخين المحترفين المشهورين ،فقد ترك كتابات تاريخية هامة ، فبالإضافة إلى ما ذكرناه ، فله : فضائل أبي بكر الصديق و عمر بن الخطاب ، و المحنة المصرية ، و كشف حال المشايخ الأحمدية و أحوالهم الشيطانية ؛ الأمر جعل المؤرخيّن شاكر مصطفى ،و صلاح الدين المنجد ، يلحقانه بأهل التاريخ ، فالأول عدّه من بين المؤرخين الثانويين[6] ، و الثاني أدرج اسمه في معجم المؤرخين الدمشقيين[7] .

و فيما يخص مصنفات الحنابلة في السيّر و التراجم ، فمنها : مناقب العباس ،و مناقب الإمام أحمد ، للحافظ أبي زكريا يحيى بن مندة ى بن مندة الأصفهاني(ت511 هـ/1117م)[8].و لابن الجوزي سيرة عمر بن الخطاب ،و سيرة عمر بن عبد العزيز ، توجد منهما نسختان مخطوطتان بخزانة كتب أيا صوفيا بتركيبا[9] . و له كذلك مناقب الإمام احمد[10] ، و تلقيح فهوم أهل الأثر في مختصر السير و الأخبار ، بدأه بسيرة الرسول–عليه الصلاة و السلام– ، ثم الخلفاء الراشدين ، ومن جاء

---

[1] سبق تفصيل الكلام عن هذا الكتاب في مبحث نقد المصادر و المراجع .

[2] اليونيني : ذيل مرآة الزمان ج 1 ص : 2 ، 382 .

[3] أي : الثالث عشر ،و الرابع عشر ، و الخامس عشر .

[4] شاكر مصطفى : المرجع السابق ج 4 ص : 159 .

[5] ابن تيمية : الخلافة و الملك ، حققه حماد سلامة ، الجزائر دار الشهاب ، د ت ، ص : 24 ، 79 ، 90 .

[6] شاكر مصطفى : المرجع السابق ج 4 /159 .

[7] صلاح الدين المنجد.: معجم المؤرخين الدمشقيين ، ط1 بيروت ، دار الكتاب الجديد 1978 ص : 136 .

[8] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 158 .

[9] احمد تيمور باشا : المرجع السابق ص : 30 ، 33 .

[10] ابن الجوزي : منافب الإمام احمد ، ط 3 بيروت دار الآفاق الجديدة 1982 .

بعدهم إلى عصره هو ، وألحق به بابا في المتفق و المختلف من الأسماء ،و فيمن اشتهروا بكناهم و أنسابهم ،و اختلف في أسمائهم ، ثم ختمه بمسائل تتعلق بعلم الحديث . و كتابه هذا توجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية ، في مائة و أربع و ثلاثين ورقة[1] .

و منها سيرة الوزير ابن هبيرة ، للطبيب أبي بكر بن المارستانية البغدادي(ت 599 هـ/1202م) ، اعتمد عليه الحافظ ابن رجب البغدادي في كتابه الذيل على طبقات الحنابلة ، لكنه اليوم في عداد الكتب الضائعة[2] . و للحافظ عبد القادر الرّهاوي(ت612 هـ/1215م) كتاب المادح و الممدوح ، في أخبار الصوفي عبد الله الأنصاري الهروي الحنبلي ، و في الذين مدحوه[3] .و للمفسر عبد الرزاق بن أبي بكر الرسعني (ت660 هـ/ 1261م) كتاب مصرع الحسين ، ألزمه بتصنيفه أحد أمراء الموصل ، فكتب فيه ما صح من القتل،دون غيره من الروايات المكذوبة[4] . و للمحدث إسماعيل بن الخباز الدمشقي(ت 703هـ/1303م) سيرة مطوّلة عن قاضي القضاة شمس الدين بن أبي عمر المقدسي(ت682 هـ/1283م) ، في ستة مجلدات كبار ، فكان كلما أثني عليه بصفة ، كالتواضع مثلا ، سرد ما ورد في ذلك من أخبار بأسانيده الطويلة الثقيلة ، ثم تحوّل إلي ذكر شيوخه و ترجم لهم معه ، ثم انتقل إلى إمام مذهبه احمد بن حنبل ، فأورد أخباره و محنته كلها ، ثم تطرّق للسيرة النبوية ، لكون القاضي شمس الدين من أمة الرسول-صلى الله عليه و سلم- وهذا يعني أن ثلاثة أرباع الكتاب لا تتعلّق بصاحب هذه السيرة إلا استطرادا[5] .

و من مصنفاتهم في تاريخ المدن و فضائلها ، كتاب فضائل مكة ،و فضائل الشام ، للحافظ الضياء محمد المقدسي(ت643 هـ/1245م) ، وله كذلك ثلاثة كتب مختصرة في تواريخ المدن ، وهي : تاريخ سمرقند لعمر بن محمد النسفي(ت537 هـ/1142م) ،و تاريخ هراة لأبي نصر بن عبد الجبار الفامي (ت549هـ/1154م) ، و تاريخ جرجان ، لحمزة بن يوسف السهمي[6] . و للوزير أبي الفدا إسماعيل بن التيتي الآمدي(ت673 هـ/1274م) تاريخ مدينة آمد ، أحسن فيه و أجاد[7].

---

[1] سيد فؤاد : فهرست المخطوطات بدار الكتب المصرية ج 1 : 182 .

[2] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 251 .و ابن هبيرة : المصدر السابق ج 1 ص : 9 .

[3] ابن رجب : نفس المصدر ج 2 ص : 85 .و السخاوي : المصدر السابق ص : 374 .

[4] الداودي : طبقات الحفاظ ج 1 ص : 300 .

[5] ابن رجب: المصدر السابق ج 2 ص : 304-305 .و الذهبي: معجم شيوخ الذهبي ص : 137 .و السخاوي : المصدر السابق ص : 375 .

[6] السخاوي : المصدر السابق ص : 265 ، 280 ، 284 .و شاكر مصطفى : المرجع السابق ج 2 ص : 259 .

[7] ابن الصابوني : المصدر السابق ص : 60 .و ابن رجب : المصدر السابق ص : 2 ص : 352 .

و للمؤرخ ابن الجوزي فضائل القدس ، و مناقب بغداد ، فالأول توجد منه نسخة مصورة بمركز الوثائق و المخطوطات بالجامعة الأردنية[1] ،و قد حققه الباحث جبرائيل سليمان جبور في سنة 1400 هـ/1979م ، وأشار إلى أن البابين السادس والعشرين ، و السابع و العشرين ساقطين من النسخة الخطية[2] .و قد التزم فيه ابن الجوزي بذكر الأسانيد في معظم الكتاب ، و أرجع بعض رواياته إلى الرسول–عليه الصلاة و السلام–،و أخرى أسندها إلى الصحابة و من جاء بعدهم[3].

و أما كتابه الثاني ، فقد اختلف في صحة نسبته إليه–أي لابن الجوزي– فمحققه محمد بهجت الأثري نسبه لابن الجوزي ،و اكتفى بإثارة الشك حوله[4] .و أما الباحث عبد العزيز الميمني الهندي ، فهو الآخر أيد نسبة الكتاب لابن الجوزي ، بحجة أن الوزير لسان الدين بن الخطيب الغرناطي(ت776 هـ/1374م) ، نقل في كتابه : رقم الحلل ، فقرة من كتاب مناقب يغداد ، و نسبه لابن الجوزي[5] .و لكن الباحث يوسف غنيمة يرى أن مؤلف الكتاب هو ابن الجوزي الابن: محي الدين يوسف(ت656 هـ/1258م) ، وليس ابن الجوزي الجد(ت 597 هـ/1200م) ، بدليل أن في الكتاب حوادث وقعت في سنة 654هـ/1256م[6].

و خالفه الباحث يعقوب سركيس ، الذي ذهب إلى القول بأن الكتاب لا هو للجد ،و لا للابن ، و
إنما هو لابن الجوزي الحفيد ، الذي له نفس أسم جده و كنيته و لقبه ، و هو : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن محي الدين يوسف بن أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي المقتول(ت656 هـ/1258م) ، بحجة أن في الكتاب خبر غرق بغداد في سنة 654 هـ/1256م ، أي بعد وفاة ابن الجوزي الجد بثمانية و خمسين عاما ، و بما أن الحفيد قد ناب عن أبيه في التدريس بالمدرسة المستنصرية ، فهو إذن قادر على التأليف[7]. لكن المؤرخ محمد راغب الطباخ كتب يقول–عن هذا الموضوع–: إنه لم يطّلع على كتاب طبقات الحنابلة لابن رجب ، و لا على المنهج

---

[1] عبد الجليل حسن المهدي : الحركة الفكرية في المسجد الأقصى ص : 173 .

[2] ابن الجوزي : فضائل القدس ، حققه جبرائيل جبور ، بيروت دار الافاق الجديدة 1972 ص : 147 .

[3] نفس المصدر ص : 11 .

[4] يعقوب سركيس : ((ابن الجوزي و ابنه و حفيده : مؤلف مناقب بغداد)) ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، ج 8 ، 1928 م/1346هـ ، ص : 629 . و يعقوب سركيس : مباحث عراقية ص : 97 .

[5] نفس المرجع ج 8 ، ص : 629 .

[6] نفسه ج 8 ص : 629 .و مباحث عراقية ص : 97 .

[7] يعقوب سركيس : المرجع السابق ج 8 ص : 629 .و المرجع السابق ص : 97 .

الأحمد للعليمي ، فإذا كان الاثنان أو أحدهما ، قد نسب الكتاب لابن الجوزي الجد فهو له ، و يكون ما ورد فيه من حوادث عن سنة 654 هـ/1256م ، هو من زيادات الحفيد أو غيره ، و هذا أمر لا يستغرب ، فإن له نظائر في مصنفات أخرى[1] .

و قد أعاد الباحث محمد عزب ، نشر كتاب مناقب بغداد ، و نسبه لابن الجوزي الجد ، دون التطرق لما أثير حوله من شكوك ، رغم اعتماده على الطبعة القديمة التي نشرها محمد الأثري[2] . و قد تبين لي من البحث في المصادر عن مؤلفات ابن الجوزي ، أن كتاب مناقب بغداد ، هو من مصنفاته ، على ما ذكره الحافظان الذهبي ،و ابن رجب البغدادي[3] ؛ مما يجعل ما ذهب إليه راغب الطباخ هو الصحيح .

و من مصنفات الحنابلة التي لها صلة بالتاريخ ، بعض التدوينات الشخصية ، و التي منها : مذكرات الفقيه أبي الوفاء بن عقيل (ت 513 هـ/1119م) ، و هي مجموعة كتابات شبيهة بيوميات ابن البناء[4] ، دوّن فيها كثيرا من الحوادث اليومية التي عاشها ، و نقل منها ابن الجوزي أخبارا كثيرة ،و أورد بعض نصوصها في كتابه المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم[5] . و لا يعرف متى بدأ في تدوينها ، كما أنه يبدو أنه استمر في كتابتها إلى قريب من وفاته ، لأنه ذكر فيها مبايعته للخليفة المسترشد بالله (512-529 هـ/1118-1134م) في سنة 512 هـ/1118م ، و هو قد توفي في عام 513 هـ/1119م[6] .

و منها أيضا تعليقات للشيخ تقي الدين بن تيمية ، شرع في تدوينها منذ صباه . و قد رجع إليها الحافظ ابن رجب البغدادي في تأريخه لآل تيمية ؛ من ذلك أنه نقل عن ابن تيمية أن والده حدّثه أن جده مجد الدين أبا البركات ، توفي يوم الجمعة الموافق لعيد الفطر من سنة 653[7] هـ/1255م ، ودفن بكرة يوم السبت[8].

[1] محمد راغب الطباخ : مناقب بغداد هو لابن الجوزي المتوفى في سنة:597 هـ ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، ج 9 ، 1928م/1346هـ ،ص : 540 .

[2] محمد عزب : مناقب بغداد ، القاهرة ، دار غريب 1998 ص : 6 ، 7 .

[3] انظر : الذهبي : تاريخ الإسلام ج: 591-600 هـ/ص : 290 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 418 .

[4] عنها انظر : المبحث الرابع من التمهيد .

[5] انظر : ج 9 ص : 4 ، 3 ، 7 ، 75 .

[6] ابن الجوزي : المنتظم ج 9 ص : 197 .

[7] لكن المشهور عند المؤرخين أنه توفي في سنة 652 هـ . ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 253 .

[8] نفسه ج 2 ص : 253 .

و إنهاءً لما تقدم ذكره أشير هنا إلى أربعة أمور ، أولها هو إني لم أعثر لعلماء الحنابلة على تاريخ مسجوع[1] ،و لا على كتاب مخصص للجغرافيا صنف في القرنين:6-7 هـ/12-13م[2] .و الثاني هو أنه كان لبعض علماء الحنابلة اهتمام بالتاريخ و اشتغال به ، و لم تذكر لهم فيه مصنفات ، منهم: جمال الدين بن عبد الحق الدمشقي(ت606 هـ/1209م) ،و رقية أخت الموفق بنت احمد بن قدامة المقدسية(ت621 هـ/1224م)[3] . و الثالث أن كثيرا من مؤرخي الحنابلة قد جمعوا بين التاريخ و علوم الحديث ن كابن الجوزي ، و عبد الغني المقدسي ، و ابن نقطة ،و الضياء محمد المقدسي . و آخرها هو أنه رغم غزارة الإنتاج التاريخي الحنبلي فإن المطبوع منه قليل ، وغير واسع الانتشار بين أهل العلم .

ثانيا: مصنفاتهم في اللغة و النحو و الأدب :

أحصيتُ لعلماء الحنابلة واحدا و ستين مصنفا ، في النحو و اللغة و الأدب ، منها :المقتصد في النحو للوزير عون الدين بن هبيرة (ت560 هـ/1164م) ، و عندما صنفه عرضه على أئمة اللغة في عصره ، و طلب من الأديب ابن الخشاب(ت567 هـ/1171م) التعليق عليه ، فشرحه في أربعة مجلدات ، شرحا مستوفيا[4] . ومنها : المرتجل في شرح كتاب الجمل ، و شرح كتاب اللمع ، و هما لأبي محمد بن الخشاب ، لكنه لم يكمل شرحهما لأنه كان قليل الصبر على التأليف ، وكلامه في حلق العلم أجود من قلمه ، لذا فإنه لم يكن يكمل مصنفاته[5] . فمن ذلك أنه عندما شرح كتاب الجمل ترك أبوابا في وسطه ما تكلم عليها ، و قرئ عليه و كتب بخطه عليه ،و هو على تلك الصورة ، غير معتذر عن فعله[6] . و في شرحه لمقدمة ابن هبيرة في النحو لم يتمها ، و توقف عند باب النونين الثقيلة و الخفيفة[7] .

---

[1] اشهر الذين كتبوا مؤلفات تاريخية بالسجع ، هو العماد الأصفهاني الكاتب(ت597 هـ/1200م) ن في كتابيه : الفتح القدسي ، و البرق الشامي . العليمي : الأنس الجليل ج 1 ص : 400 . عمر باشا : المرجع السابق ص : 685 ، 742 .

[2] كتب ابن الجوزي في جغرافية بعض المدن ، كما في كتاب مناقب بغداد ص : 239 . و اختصر الفقيه عبد المؤمن عبد الحق البغدادي الحنبلي(ت739 هـ/1338م) كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي ، و سماه : مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة و البقاع . عبد المؤمن عبد الحق : مراصد الإطلاع ج 1 ص : ج ، ي .

[3] الصفدي : المصدر السابق ج 3 ص : 218 .و الذهبي : تاريخ الإسلام ج: 621-6300 هـ/ص : 59 .

[4] ابن خلكان : المصدر السابق ج 6 ص : 234 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 252 .

[5] حمال الدين القفطي : إنباه الرواة ج 2 ص : 99 ، 100 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 318 ، 319 .

[6] حمال الدين القفطي : نفسه ج 2 ص : 100 .

[7] نفسه ج 2 ص : 100 .

ومن تراثهم الأدبي و اللغوي الذي و صلتنا مخطوطاته ، أذكر ثلاثة عشر كتابا ، أولها المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، للأديب أبي منصور بن الجواليقي البغدادي(ت540 هـ/1145م) ، نشر حديثا أكثر من مرة ، أشهرها طبعة الباحث احمد محمد شاكر[1] . و قد أخذ على مؤلفه مبالغته في الاهتمام بالألفاظ على حساب المعاني ، .و إرجاع معظم الألفاظ الأعجمية إلى اللغة الفاريسية ، دون غيرها من اللغات[2] .و الادعاء في بعض الكلمات أنه أعجمية الأصل دون دليل بيّن ،كقوله: إن اسم الحرباء قيل أنه معرّب عن : خرباء بالفاريسية ، وهي كلمة مركبة من خور ومعناها الشمس ، و بان بمعنى الحافظ .و هذا تفسير بعيد ، لأن الحرباء كانت معروفة عند العرب و العجم على حد سواء[3] .

و الثاني كتاب تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة ، هو الآخر لأبي منصور الجواليقي ، جعله تتمة لدرة الغواص لأبي محمد الحريري(ت516 هـ/1122م) ،.و مما أخذه الجواليقي على العوام قولهم : الأيام البيض ، فيجعلون البيض و صفا للأيام ، و الأيام كلها بيض و هذا غلط ، صوابه أيام البيض ، أي أيام الليالي البيض ، لأن البيض و صف لها دون الأيام .و الليالي البيض هي : الثالثة عشرة ، و الرابعة عشرة ،و الخامسة عشرة ، و سميت بذلك لطلوع الفجر من أولها إلى آخرها [4] .

و الثالث شرح كتاب أدب الكاتب[5] ، هو الآخر لأبي منصور الجواليقي ، نشر حديثا أكثر من مرة[6] .و الكتاب الرابع عشر هو تقويم اللسان لابن الجوزي ، توجد منه نسخ مخطوطة بخزانة كتب : لا له لي في السليمانية بلآستانة ، و نشر في سنة 1386هـ/1966م[7] .

و أما المؤلفات من الخامس إلى الثالث عشر فهي للأديب محب الدين أبي البقاء العكبري البغدادي الضرير(ت616 هـ/1219م) ، وهي : الموجز في إيضاح الشعر الملغّز ، و التلقين في النحو ، و شرح مقامات الحريري ، و اللباب في علل البناء و الإعراب ،و شرح الإيضاح و تكملته في

---

[1] أبو منصور بن الجواليقي : المعرّب من الكلام الأعجمي ، حققه احمد محمد شاكر ، القاهرة دار الكتب المصرية ، 1942 ص : 3 . و بروكلمان : المرجع السابق ج 5 ص : 163 ، 164 .

[2] عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي ط 5 بيروت ، دار العلم للملايين ، 1989 ج 3 ص : 282 .

[3] أبو منصور الجواليقي : المصدر السابق ص : 4 .

[4] أبو منصور الجواليقي : تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة ، حققه عز الدين التنوخي ، طهران ، د ن ، 1966 ص : 4 ، 6 ، 7 .

[5] أصل الكتاب لابن قتيبة .

[6] أبو منصور الجواليقي : شرح ادب الكاتب ، القاهرة ، مكتبة القدسي ، 1350هـ .

[7] احمد تيمور : المرجع السابق ص : 62 .

النحو ، و و المحصل في شرح المفصل ، و البيان في إعراب القرآن[1] ، و إعراب الحديث النبوي ، الذي تعرّض فيه لإعراب أربعمائة و ثمانية و عشرين حديثا[2] .

كما أنه قد نسب للعكبري كتاب البيان في شرح ديوان المتنبي ، و نشر مرارا منسوبا إليه[3] . لكن بعض القرائن بينت أن الكتاب ليس له ،و إنما هو لتلميذه عفيف الدين بن عدلان الموصلي ثم المصري(ت666 هـ/1267م) ، أولها أن شارح ديوان المتنبي لم يكن ضريرا كأبي البقاء العكبري ،لأن من كلامه فيه قوله: و نقلته بخطي[4] .و الثانية أن الشارح ذكر اسمه عندما قال : ((قال أبو الحسن عفيف الدين بن عدلان : الرواية الصحيحة))[5]. و الثالثة أن الشارح سمع الكتاب بالموصل و القاهرة ، لكن أبا البقاء من المعروف عنه أنه لم ينتقل إلى الموصل ،و لا إلى القاهرة[6] .

و ليس لأدباء الحنابلة مؤلفات كثيرة في المقامات الأدبية، و ما يتصل بها من نقد و شروح . و قد أحصيتُ لهم منها خمسة كتب-خلال القرنين:6-7هـ/12-13م- ، و هي : اعتراضات ابن الخشاب على مقامات الحريري ، و المقامات الجوزية في المعاني الوعظية لابن الجوزي[7]، و شرح مقامات الحريري لأبي البقاء العكبري ، و شرح مقامات الحريري لنجم الدين الطوفي(ت 716هـ/1316م)، و مقامة العشاق لشهاب الدين محمود بن فهد الحلبي(ت 725هـ/1324م)[8] . ففيما يخص مقامات ابن الجوزي ، فتوجد منها نسخة مخطوطة بمكتبة الأسكوريال بإسبانيا ، كتبت في سنة 577هـ/1181م ، و عددها خمسون مقامة في موضوعات متنوعة[9] .و قد استخدم فيها ابن الجوزي ضمير المتكلم ليعبر عن حوادث مقاماته ، كقوله في المقامة الثانية و العشرين((بت الليلة أسير الغموم في البيت ، و قلبي حسير الهموم كالميت)) ؛و كان الذين سبقوه من المقاميين، يختارون رواة يروون على ألسنتهم حوادث مقاماتهم[10] . كما أنه خصّ كل مقامة بشر ح غريب

---

[1] جورجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ،ج 14 ص : 282 .

[2] أبو البقاء العكبري : إعراب الحديث النبوي ن حققه حسن موسى جدة دار المنارة د ت ، ص : 64 ، 47 .

[3] الفيروز آبادي : البلغة ص : 108 .و جورجي زيدان : المرجع السابق ج 14 ص : 281-282 .و عمر فروخ : المرجع السابق ج 3 ص : 469 .و تاريخ الفكر العربي ص : 540 .

[4] أبو البقاء العكبري : المصدر السابق ص :31 (مقدمة المحقق) . و جواد مصطفى : في التراث العربي ج 1 ص : 194 .

[5] نفسه ص : 31 .و نفسه ج 1 ص : 194 .

[6] نفسه ص : 31 .و نفسه ج 1 ص : 194 .

[7] عبد المالك مرتاض : المرجع السابق ص : 199 .

[8] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 6 ص : 39 . و عمر باشا : المرجع السابق ص : 747 .

[9] عبد المالك مرتاض : المرجع السابق ص : 235 . و شوقي ضيف : المرجع السابق ص : 81 .

[10] عبد المالك مرتاض : نفس المرجع ص : 237 .

ألفاظها ، و أثبته في آخرها . ولم يطلق على مقاماته عناوين تميزها ، تبعا لموضوعاتها ، و إنما عرضها دون أسماء ، مكتفيا بالتعريف العددي لها[1] .

و أما دواوينهم الشعرية ، فمنها : ديوان الأديب نصر بن منصور النميري البغدادي الضرير (ت588 هـ/1192م) ، حدّث به و كان فصيح اللسان[2] . و الثاني ديوان الفقيه عبد الرجمن بن الجوزي ، قيل أنه عشرة مجلدات[3].و الثالث ديوان الأديب يحيى بن يوسف الصرصري البغدادي الضرير (ت656 هـ/1258م) ، في ثمانية مجلدات ، وقيل أنه في عشرين مجلدا ، و شعره كله جيد من طبقة عالية ، و قد تخصص في المدائح النبوية حتى سمي حسّان السنة[4] . و كان فصيحا بليغا مطيقا ، و اطلاع واسع و تضلع في اللغة ، فمن ذلك أن له قصيدتين كل كلمة منها فيها حرف صاد ، وأخرى في كل كلمة حرف زاي ، و أخرى في كل بيت حروف المعجم كلها[5]. و توجد من ديوانه نسخ مخطوطة بأيا صوفيا ، و نور عثمانية بتركيا ،و المتحف العراقي[6] . و له قصيدة محفوظة ببرلين عنوانها : الدرة اليتيمية في الفقه الحنبلي[7] ، و أخرى في مدح الرسول-عليه الصلاة و السلام- و صحابته و التابعين ، و احمد بن حنبل و أصحابه ، وهي في خمسمائة و اثنين و ستين بيتا[8] .

و من قصائد الحنابلة المشهورة بينهم : دالية أبي الخطاب الكلوذاني البغدادي (ت510 هـ/1116م) ، في اثنين و خمسين بيتا ، منها قوله :

أسمع مقالي إن أردت تخلصا × يوم الحساب و خذ بهدي تهتدي

قالوا هل الله عندك مشبّه ؟ × قلت المشبه في الجحيم الموصد

قالوا هل هو في الأماكن كلها؟ × فأجبت في العلو مذهب أحمد[9]

و القصيدة الثانية : البديعية الجامعة لشتات الفضائل و الرموز العلمية ، لأبي محمد بن الخشاب البغدادي(ت567 هـ/1171م) ، توجد منها نسخة مخطوطة بالقاهرة ، و من موضوعاتها : الغزل

---

[1] نفسه ص : 237 ، 238 .

[2] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص : 296 .

[3] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 423 ، 427 .

[4] اليونيني : المصدر السابق ج 1 ص : 257 .و ابن شاكر الكتبي : المصدر السابق ج 4 ص : 299 . و الصفدي : نكت الهميان ص : 308 .و ابن قيم الجوزية : اجتماع الجيوش الإسلامية ص : 152 .

[5] الصفدي : نفس المصدر ص : 308 .و ابن شاكر الكتبي : نفس المصدر ج 4 ص : 299 .

[6] بروكلمان : المرجع السابق ج 5 ص : 18 ، 19 .و ابن شاكر الكتبي : عيون التواريخ ج 20 هامش ص : 143 .

[7] بروكلمان : المرجع السابق ج 5 ص : 19 .

[8] نفسه ص : 19 .

[9] ابن الجوزي : المنتظم ج 9 ص : 191 ، 193 .

، و رسم الكتابة ، و البلاغة و غريب اللغة و قواعدها ، و العروض و القوافي ، و الهجاء و المدح ، و مسائل في الفقه و النبوات ، و السيّر و الأخبار[1] . و الثالثة قصيدة في الزهد للأديب يوسف بن فضل الله السكاكيني الحراني(ت بعد621هـ/1224م) في أكثر من أربعين بيتا ، منها قوله :

أفق يا ذا النهى و ابغ الوفاقا × فقد و الله أفلح من أفاقا

و نفسك أيها المغرور صنها × عن الدنيا و بت لها طلاقا

و تركن إليها فهي سجن × سفيه من رجا منها إباقا

و الرابعة قصيدة دالية في الفقه، يقال أنها في ثمانية عشر ألف بيت للأديب محمد بن عبد القوي الدمشقي (ت699 هـ/1299م ،)فيها علم غزير على مذهب الإمام أحمد بن حنبل[2].

و من كبار أدباء الحنابلة الناظمين للمصنفات : أبو جعفر مكي بن هبيرة البغدادي (ت567 هـ/1)نظم مختصر الخرقي في الفقه ،و قرء عليه مرارا بمدينة الموصل[3].و المقرئ محمد ابن أحمد الموصلي المعروف بشعلة (ت 650 هـ/ 1252م) نظم عدة مؤلفات ، منها : الشمعة في القراءات السبعة ،و اختلاف عدد الآي برموز الجمل ، و الناسخ و المنسوخ في القرآن و فضائل الأئمة الأربعة[4]. و منهم الشاعر يحيا ابن يوسف الصرصري الضرير ، الذي كان ينظم على البديهة أشياء حسنة فصيحة . و من المؤلفات التي نظمها : كتاب الكافي في الفقه للموفق بن قدامة ، و فختصر الخرقي في الفقه[5].و آخرهم شمس الدين محمد بن عبد القوي الدمشقي ، صنّف معظم كتبه نظما ، منها : منظومة الآداب ، و مجمع البحرين ، و المفردات في الفقه و الفرائد في الفقه على حرف الدال في آلاف من الأبيات[6].و كانت غاية هؤلاء –و غيرهم من الناظمين – من التوسع في نظم الكتب ، تسهيل حفظ المتون في القراءات و النحو ، و التاريخ و سائر المعارف . غير أن هذه الظاهرة بولغ فيها حتى وصلت إلى حد الإشباع ،و أصبحت منفرة لا تطاق لا سيما إذا كان الشعر ركيكا[7].

---

[1] بروكلمان : المرجع السابق ج 5 ص : 169 .

[2] الذهبي : سيّر أعلام النبلاء ، الجزء المفقود ص :147 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج5 ص :453 .

[3] ابن رجب : المصدر السابق ج1 ص :323 . و ابن الفوطي : المصدر السابق ق 3 ج4 ص :416 .

[4] ابن رجب : نفس المصدر ج2 ص : 256 ،258 . و الذهبي : معرفة القراء الكبار ج2 ص :536 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج5 ص :281 .

[5] ابن كثير : المصدر السابق ج13 ص :211 .

[6] الذهبي : سير أعلام النبلاء ، الجزء المفقود ص :147 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج5 ص : 452 ،453 . و ابن بدران الدمشقي: منادمة الأطلال ص :238 –239 .

[7] عباس العزاوي : تاريخ الأدب العربي في العراق ج1 ص :339 .

و أشير – في ختام هذا المبحث– إلى أمرين ، أولهما هو أن أربعة من كبار أدباء الحنابلة و شعرائهم هم أضرّاء – منذ الصبى – ولهم مؤلفات و أشعار رائقة فصيحة بليغة ، هم نصر بن منصور النميري ،و أبو البقاء العكبري ، و أبو العز بن إبراهيم المصري (ت 623 هـ/ 1226م)[1]، و يحيى بن يوسف الصرصري . و الثاني هو أن مجموع مصنفاتهم بلغت مائتين و ثلاثة و عشرين كتابا ، منها : مائة و اثنان و ستون مصنفا في التاريخ و التراجم ،و الأنساب و المناقب . و الباقي : واحد و ستون كتابا في اللغة و النحو و الأدب ، وهو عدد قليل بالمقارنة إلى إنتاجهم في التاريخ وما يتصل به ، لكنه يفوق مجموع مؤلفاتهم في علوم الأوائل .

المبحث السادس : تراث الحنابلة في علوم الأوائل و موضوعات أخرى

كانت لبعض علماء الحنابلة–خلال القرنين:6-7هـ/12-13م–كاتبات متنوعة في العلوم القديمة–المعروفة بعلوم الأوائل– ،و في موضوعات و مجالات أخرى متفرقة لم يسبق ذكرها .و قد أحصيتُ لهم فيها ما مجموعها : ثلاثة و أربعين كتابا ، معظمها في علوم الأوائل .

أولا : مصنفاتهم في علوم الأوائل :

تشمل علوم الأوائل ستة علوم رئيسية ، هي: الفلسفة ، و الفلك ، و الموسيقى ، و الطب ، و الحساب ، و الكيمياء ؛ ليس للحنابلة فيها من المؤلفات إلا القليل ، أحصيتُ منها ثلاثين كتابا فقط ،خلال قرنين من الزمن . ففيما يخص الفلسفة فقد عثرت لهم فيها تسعة مصنفات ، أولها كتاب نواميس الأنبياء للمتفلسف الفخر إسماعيل غلام بن المني البغدادي(ت 610 هـ/1213م)ن ذكر فيه أن الأنبياء حكماء ، كهرمس[2]، و آرسطو ،و أمثالهما[3] .و الثمانية كتب المتبقية هي لشيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية[4] ، في الرد على الفلسفة وأهلها[5] ، منها : الرد على المنطقيين ، وإبطال أقوال الفلاسفة في إثبات الجواهر العقلية ، و الرد على ابن سينا ، و الصفدية في الرد على الفلاسفة في قولهم أن معجزات الأنبياء قوي نفسانية[6] .

و قد دَرستْ طائفة من علماء الحنابلة ، الفلسفة و تأثرت بها تأثرا واضحا ، كصدقة بن الحسين الحداد البغدادي(ت573 هـ/1177م) ، و أبي بكر بن المارستانية البغداي (ت

---

[1] ابن خلكان : المصدر السابق ج4 ص : 301 .

[2] هو فيلسوف روحتاني من أوائل الفلاسفة ، و يقال أنه هو مؤسس مذهب الروحانيات . و ذكر الشهرستاني أنه يقال: إن هرمس هذا هو النبي إدريس –عليه السلام– . الشهرستاني : المصدر السابق ص : 308 ، 353 .

[3] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 67 . و الصفدي : ج 9 ص : 158 .

[4] له كتابات أخرى كثيرة عن الفلسفة مبعثرة في مصنفاته ، كما في درء تعارض العقل و النقل ، و مجموع الفتاوى .

[5] انظر : محمد ابن عبد الهادي : العقود الدرية ص : 36 ، 37 ، 53 .

[6] نفسه ص : 36 ن 37 ، و 53 .

599هـ/1202م)[1]، و عبد الرزاق بن الفوطي البغدادي (ت723هـ/1323م) ، الذي وصف بالحكيم و الفيلسوف[2]، لكنني لم أعثر له-ولا لهؤلاء- على أي أثر فلسفي . كما أن قلة تراث الحنابلة في الفلسفة يدل على أن الغالبية العظمى من علمائهم قد اتخذت منها موقف الرفض ؛ و حتى الذين تعاطوها و تأثروا بها ، لم يكن لهم فيها دور بارز في خدمتها و انتقادها ، غير أنه يستثنى منهم الشيخ تقي الدين بن تيمية ، فهو أكبر عالم حنبلي ألف في الفلسفة[3] ، ونقدها نقدا شاملا هدما و بناء ، في إلهياتها ، ومنطقها الصوري .

و أما مؤلفاتهم في علم الفلك ، فقد عثرت لهم فيه على كتابين فقط ، أولهما : المرشد في علم النجوم للفلكي أبي الحسن علي بن الحسن الدولعي البغدادي(ت526 هـ/1131م) ، و كان الدولعي قد رصد النجوم وعرف مطالعها و مغاربها. و عندما صنّف كتابه المرشد حدّث به ، و كتب له عليه ابن الخشاب قوله: ((هذا أبو الحسن الدولعي صديقنا ، و قد أوقفته على أشياء وافق عليها))[4] .و الكتاب الثاني هو : تحفة الأحباب في بيان حكم الأذناب-التي تظهر في السماء- للفقيه الموفق بن قدامة المقدسي(ت 620 هـ/1223م) عالج فيه موضوعات الأحكام النجومية . و توجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب الظاهرية[5] بدمشق ، أولها -بعد الديباجة- ((و علم النجوم مندوب إليه ، و محثوث عليه)) ، و آخرها ((و في المتوسط من الكواكب ، وقت طلوع الفجر))[6] . و لعل سبب قلة مؤلفات الحنابلة في علم الفلك-رغم أهميته- هو نفورهم منه ، لارتباطه بالتنجيم و الكهانة و السحر في ذلك الزمان[7] .

و في علم الموسيقى لم أعثر للحنابلة فيه على أي كتاب-خلال القرنين: 6-7هـ/12-13م- ما عدا كتابا واحدا فقط ، عاش مؤلفه معظم حياته في القرن السابع الهجري/13م ،عنوانه : غاية المطلوب في علم الأنغام و الطروب ، للصوفي شمس الدين بن كر البغدادي ثم المصري (681-763هـ/ 1282-1361م) ، و كان قد قرأ فن الموسيقى على القاضي علاء الدين بن التراكشي

---

[1] عن هؤلاء و غيرهم أنظر : المبحث الثالث من الفصل الأول ، و المبحث الثاني من الفصل السادس .

[2] ابن الفوطي : المصدر السابق ق 1 ج 4 ص : 22 ، 43 ، 48 ، 53 ، 54 .

[3] من حيث غزارة الإنتاج و أهميته .

[4] ابن النجار : ذيل تاريخ بغداد ج 18 ص : 197 .

[5] كان ذلك قبل نقل مخطوطاتها إلى مكتبة الأسد .

[6] شامي يحي : تاريخ التنجيم عند العرب وأثره في المجتمعات العربية و الإسلامية ، ط 1 بيروت مؤسسة عز الدين 1994 ص : 241.

[7] انظر : نفس المرجع .

الحنبلي[1] . و يرجع سبب قلة مؤلفات الحنابلة في الموسيقى إلى تحريم المذهب الحنبلي للغناء بالآلات الموسيقية[2] ؛ الأمر الذي جعل معظم علماء الحنابلة ينفرون من الموسيقى .و أما عن إقبال ابن كر على الغناء و إتقانه للموسيقى ، فمرده إلى تأثره بالتصوف ، إذ كانت له زاوية فيها مجالس غناء على طريقة الصوفية[3] .

و في علم الطب[4] ، فقد أحصيتُ للحنابلة فيه أحد عشر كتابا ، منها عشرة لابن الجوزي[5] ، كالطب الروحاني[6] ،و المنافع في الطب[7] . و الكتاب الحادي عشر هو بحث في الحشيش المخدر لتقي الدين بن تيمية ، بيّن فيه محاذير استعماله ،و ضرره على الجسم و العقل[8] . و أشير هنا إلى أنني لم أعثر لأطباء الحنابلة–خلال القرنين: 6-7هـ/12-13م- على أية مؤلفات في الطب ، و قد زاد عددهم عن سبعة أطباء[9] ، كأبي بكر ابن المارستانية ، و أبي الصفا خليل بن أبي بكر المراغيثم المصري(ت685 هـ/1286م) ،و تقي الدين شبيب بن حمدان الحراني ثم المصري(ت695 هـ/1295م)[10] .و قد كان الأول يطبب الناس و يدور عليهم في بيوتهم [11]؛ و هو الطبيب الحنبلي الوحيد الذي ذكره المؤرخ ابن أبي أصيبعة في كتابه: عيون الأنباء في طبقات الأطباء[12] . كما أن الباحث شوكت الشطي قد عدّ الفقيه الموفق بن قدامة من بين الأطباء ، و ترجم له في معجمه عن

---

[1] الصفدي : الوافي بالوفيات ج 4 ص : 603 . ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة ج 4 ص : 128 .و ابن تغري بلدي : الدليل الصافي ج 2 ص : 672 .

[2] انظر : المبحث الثالث من الفصل الثالث .

[3] ابن حجر العسقلاني : المصدر السابق ج 4 ص : 128 .

[4] أشار أبو حامد الغزالي(ت505 هـ/1111م) إلى أن كثيرا من أهل العلم في زمانه أهملوا الطب ، وأقبلوا على الفقه و الخلافيات ، طلاب للدنيا ، و تركوا علم الطب بيد أهل الذمة . الغزالي : إحياء علوم الدين ج 1 ص : 36 .

[5] العلوجي : المرجع السابق ص : 233-234 .

[6] حققه الباحث عبد القادر احمد عطا ، القاهرة مكتبة القاهرة ، 1995 .

[7] شوكت الشطي : تاريخ الطب و آدابه و أعلامه ، د م ن ، مطبعة طربين 1386هـ/1967م ص : 670 .

[8] نفس المرجع ص : 628 .

[9] انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 21 ص : 398 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 332 ، 349 ، 350 .و اليونيني : المصدر السابق ج 1 ص : 5 .و الصفدي : المصدر السابق ج 2 ص : 310 .و المقريزي : المقفى الكبير ج 3 ص : 770 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص : 374 ، و ج 6 ص : 130 .

[10] المقريزي : المصدر السابق ج 3 ص : 770 .و الذهبي : معرفة القراء الكبار ج 2 ص : 546 . و ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ج 1 ص : 238 .و أبو المحاسن الحسيني ، و ابن فهد : ذيل تذكرة الحفاظ ، الرسالة الثالثة ص : 91 .

[11] ابن النجار : المصدر السابق ج 17 ص : 67 . و الذهبي : سيّر أعلام النبلاء ج 21 ص : 398 . و المختصر المحتاج إليه ص : 230 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 443 .

[12] انظر : ج 2 ص : 333 .

الأطباء المسلمين ، و أورد له كتاب : ذم الموسوسين و التحذير من الوسوسة[1].و هو كتاب في طب النفوس لا في طب الأبدان .

و أما مؤلفاتهم في علم الحساب ، فقد أحصيتُ منها خمسة كتب ، واحد للوزير المتكلم عبد الله بن يونس البغدادي(ت593 هـ/1196م)[2] ، و ثلاثة للأديب الفرضي أبي البقاء العكبري(ت616 هـ/1219)[3]، و الخامس للفقيه فخر الدين بن تيمية الحراني(ت 622 هـ/1225م) ، عنوانه المسعد لذوي الألباب في علم الحساب ، توجد منه نسخة مخطوطة بخزانة كتب غوتا بالمانيا[4] .

و في علم الكيمياء لم أعثر للحنابلة فيه على أي أثر علمي[5]، إلا على كتابين في ذم صناعة الكيمياء و إبطالها ، و تحريم الاشتغال بها ، هما : إبطال الكيمياء لتقي الدين بن تيمية ، و بطلان الكيمياء من أربعين وجها لابن القيم الجوزية[6]. و يرى ابن تيمية أن الكيمياء غش و هي من السحر ، و أنه لم يكن من الأنبياء و الصالحين و العلماء من اشتغل بها ، و أن ما يروى عن اشتغال جعفر الصادق(ت148 هـ/765م) بالكيمياء ، فهو خبر مشكوك فيه[7] ، و إن صح فقد دلس عليه[8] . و حقيقة الكيمياء عند ابن تيمية ، هي تشبيه المصنوع بالمخلوق ، أي تشبيه ما يصنعه الإنسان بما خلقه الله تعالى ، وهذا باطل بالعقل ، و لأن الله ليس كمثله شيء في ذاته ، و لا في صفاته ،و لا في أفعاله . و أما ما يصنعه من المواد الأولية ، كاللؤلؤ و الياقوت ، و المسك و العنبر ، وماء الورد ، فهو لا يماثل ما يخلقه الله بل مشابه له في بعض الوجوه،و ليس مساويا له في الحد و لا في الحقيقة[9] .

و يعتقد ابن خلدون أن الكيمياء ليست من باب الصنائع الطبيعية ،و لا تتم بأمر صناعي ،و من طلبها صناعيا ضيع ماله و عمله ،و هي من الأمور السحرية ، لذا لغّزها أصحابها و لا يظفر بها إلا

---

[1] شوكت الشطي : المرجع السابق ص : 687 .

[2] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 153 .

[3] نفس المصدر ج 2 ص : 112 .

[4] ابن الفوطي : المصدر السابق ق 3 ج 4 هامش ص : 329 (تعليق المحقق) .

[5] يروي أن الفقيه أسعد بن المنجّا الدمشقي الحنبلي(ت657 هـ/1258م) ، اشتغل بعلم الكيمياء ، لكن المؤرخ ابن كثير نفى ذلك . ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص ك 21 .

[6] محمد بن عبد الهادي : المصدر السابق ص : 61 .و ابن شاكر الكتبي : المصدر السابق ج 1 ص : 82 .و ابن رجب : المصدر السابق ج2 ص :450 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 6 ص : 169 ، 170 .

[7] أنكر المؤرخ الصفدي اشتغال جعفر الصادق بالكيمياء ، و قال: إن جابر بن حيان(ت200هـ) هو الذي نسب رسائل الكيمياء لجعفر الصادق لإغواء الناس ، فيتقبلونها لأن جعفر قد مارسها . الصفدي : المصدر السابق ج 11 ص : 34 .

[8] بدر الدين الحنبلي : مختصر فتاوى ابن تيمية ص : 328 ، 329 .

[9] نفس المصدر ص : 327 .

من خاض لجة من علم السحر[1] . و هذه الكيمياء التي ذمها ابن تيمية ،و ابن القيم ، و ابن خلدون ، و التي لم يصنف علماء الحنابلة في صناعتها[2] ؛ هي كيمياء زمانهم التي كان يشتغل بها السحرة و الدجالون . و هي محاولات أولية تمهيدية لعلم الكيمياء الحديث ، الذي يقوم-حاليا- على أسس علمية صحيحة ، لا مجال فيها للأوهام و الخرافات و الشعوذة ؛ و هو قد قدّم للبشرية خدمات عظيمة في كل مجالات الحياة ، فلو رآه هؤلاء لكان لهم منه موقف آخر .

و يتبين مما ذكرناه عن مصنفات الحنابلة في علوم الأوائل ، أنها قليلة جدا أحصيتُ منها ثلاثين كتابا فقط ، في حين أحصيتُ لهم مائة واثنين و ستين مصنفا في التاريخ ،و واحد و ستين في الأدب ، وهما ليسا من العلوم الشرعية. فما هي أسباب إهمالهم لعلوم الأوائل ؟ ، هي-في نظري- ثلاثة أسباب رئيسية ، أولها انشغالهم بالعلوم الشرعية التي تقوم عليها حياتهم كلها ، علما، و سلوكا ،و نظاما . في حين كانت علوم الأوائل، وبالأخص العلوم الطبيعية ، ليست ذات تأثير كبير في الحياة العملية ،مما صرف عنها أكثر المشتغلين بالعلم . و السبب الثاني هو اختلاط العلوم الطبيعية والرياضية ، بالفلسفة و الوثنية و السحر ،كان سببا في نفور علماء الحنابلة-وغبر هم من أهل السنة- منها ، لما فيها من مخاطر و مخالفات شرعية ،كالسحر ، و عبادة النجوم ، و القول بأزلية الكون[3].

و السبب الثالث هو المبالغة المفرطة[4] في الاشتغال بالخلافيات و الجدل ، و علم الكلام ،و رواية الحديث[5] ، التي أخذت منهم وقتا طويلا ،و استنزفت قدراتهم ،و جرتهم إلى التعصب و النزاعات الطائفية الدامية ، و كان من الأجدر بهم أن يصرفوا تلك الطاقات في دراسة مظاهر الكون ، لاكتشاف سننه، و تفجير مكنوناته ،على منهاج من الشرع الحكيم ، القائل: ((و سخر لكم ما في السموات و الأرض جميعا منه))-سورةالجاثية/13- و قال : ((قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق))-سورة العنكبوت/20- .

ثانيا : مصنفاتهم في موضوعات أخرى :

لعلماء الحنابلة مؤلفات أخرى في موضوعات شتى ، منها كتابان في تعبير الرؤيا ، أولهما البدر المنير في التعبير ،للفقيه شهاب الدين احمد بن عبد الرحمن المقدسي(ت697 هـ/1297م) ،

---

1 ابن خلدون : المصدر السابق ص : 327 .

2 بناء على المصادر التي اطلعت عليها .

3 عن ذلك انظر : الشهرستاني : المصدر السابق ج2 ص : 305 و ما بعدها .

4 يصدق ذلك على كل الطوائف الإسلامية .

5 عن ذلك انظر-مثلا- مجالس العلم في المبحث السادس من الفصل الأول .

الذي برع في تفسير الأحلام و انفرد به ، و ليس في كتابه هذا ما يؤثر عنه من الغرائب في تفسير الرؤيا[1] . و الثاني هو : جواهر التفسير في علم التعبير ، لزين الدين احمد الآمدي ثم البغدادي الضرير (ت بعد710هـ/1310م)[2] .

و منها ثمانية كتب في فنون متنوعة، منها ستة هي ردود و مسائل ،و جوابات في أغراض شتى[3] .و الكتاب السابع في تعلّم اللغة التركية ، عنوانه : العدة القوية في اللغة التركية ، للمقرئ أمين الدين بن عبد الولي البعلي(ت701 هـ/1301م)[4] .و الثامن هو : كتاب وقف القاضي عثمان بن المنجّا الدمشقي(ت641 هـ/1243م) ،و هو وثيقة وقف لها أهمية تاريخية و اجتماعية و جغرافية هامة ، كتبها صاحبها في عام 643هـ/1236م .و حققها الباحث صلاح الدين المنجد و نشرها سنة 1338هـ/1949م .

و لهم مصنفات ذات طابع موسوعي ، هي على نوعين : متخصصة في فن واحد ،و متعدد الفنون ، ففيما يخص النوع الأول فتندرج فيه عدة مصنفات ، كجامع المسانيد بألخص الأسانيد ، للفقيه لابن الجوزي ،و الكمال في معرفة الرجال للحافظ عبد الغني المقدسي[5] .و أما النوع الثاني فمنها كتابان ، هما: الفنون لأبي الوفاء بن عقيل ،و مجموع الفتاوى اتقي الدين بن تيمية[6] ، ففيما يخص كتاب الفنون ، فهو حافل بالمناظرات و الحكايات ، و الأشعار و الوعظ ، و الفقه و التفسير ، و الخواطر و الفوائد ، و فيه مادة تاريخية غزيرة [7]، لذا فهو مصدر هام لتاريخ بغداد الثقافي و الاجتماعي في عصر أبي الوفاء بن عقيل(ت519 هـ/1119م) .و أما مجلداته[8] فقد اختلفت الروايات في تقديرها ، فقيل أنها بلغت مائتين مجلد[9] ،و قيل أربعمائة ، و أوصلها بعض المؤرخين

---

[1] ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص : 353 .و الصفدي : المصدر السابق ج 7 ص : 49 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 336 .و ابن القاضي المكناسي : ذيل وفيات الأعيان ج 2 ص : 32 .

[2] الصفدي : نكت الهميان ص : 207 .و ابن حجر العسقلاني : المصدر السابق ج 3 ص : 22 .

[3] انظر : ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج 5 ص : 2092 .و أبو شامة : ذيل الروضتين ص : 599 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 377 و ج 2 ص : 233 ، 241 ، 273 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص : 219 .

[4] ابن رجب : نفس المصدر ج 2 ص : 347 .و الصفدي : الوافي بالوفيات ج 4 ص : 74 .

[5] ابن رجب : نفس المصدر ج 1 ص : 416 ،417 و ج2 ص : 19 .

[6] سبق الكلام عن فتاوى ابن تيمية في مبحث مصنفات الحنابلة الفقهية .

[7] انظر : الفنون ج 1 ص : 4 ، 8 ن 89 ، 521 ، 639 ، و ج2 ص : 548 ، و ما بعدها .

[8] اختصره ابن الجوزي في بضعة عشر مجلدا ،و سماه : منتخب الفنون . ابن قيم الجوزية : بدائع الفوائد ج 4 ص : 43 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 420 –421 .

[9] أي المجلد في عرف القدماء ، و ليس المقصود منه حجم المجلد كما نعرفه في وقتنا الحاضر .

إلى ثمانمائة مجلد[1]. و السبب في ذلك هو أن ابن عقيل لم يكتبه دفعة واحدة ، بل كتبه على امتداد عقود من الزمن، و استمر في تدوينه إلى قريب من وفاته[2] .

و كانت لعلماء الحنابلة مصنفات في شرح الكتب و اختصارها ، و هما ظاهرتان انتشرتا بكثرة بين أهل العلم في القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م ، كان للحنابلة فيهما نصيب ليس بالقليل ، أحصيتُ لهم منه ثلاثين كتابا مشروحا[3] . منها المرتجل في شرح الجمل ، و شرح اللمع ، و هما لأبي محمد بن الخشاب ،و شرح المقامات الحريرية ، و شرح الحماسة ، و الفصيح ، لأبي البقاء العكبري الضرير[4] ،و شرح الشاطبية في القراءات ،و شرح الرائية في الرسم ، وهما للمقرئ حمد بن جبارة المقدسي(ت728 هـ/1327م) ،و شرح كتاب الأربعين ،و شرح العمدة في الفقه ، لتقي الدين بن تيمية[5] .

و أما مختصراتهم فأحصيتُ منها تسعة عشر كتابا[6]، في مختلف فنون العلم ، منها : مختصر النواظر في الوجوه و النظائر ، و معتصر المختصر في مسائل النظر لابن الجوزي ،و كتاب تخليص المطلب في تلخيص المذهب ، للفقيه الفخر بن أبي القاسم الحراني(ت622 هـ/1225م) ، ثم لخّصه و سماه ترغيب القاصد في تقريب المقاصد ، ثم اختصره ثانية بعنوان : بلغة الساغب و بغية الراغب[7] .و كتاب مختصر الروضة في أصول الفقه ،و مختصر المحصول ، للفقيه نجم الدين الطوفي الصرصري(ت716 هـ/1316م)[8] .

---

[1] انظر : ابن رجب : ج 1 ص : 188 .و ابن الجوزي : مناقب الإمام احمد ص : 527 .و الذهبي : معرفة القراء الكبار ج 1 ص : 380 .و ميزان الاعتدال ج 3 ص : 146 .و العبر : ج 4 ص : 29 . تاريخ الإسلام ج: 501-520هـ/ص : 351 .و العليمي : المصدر السابق ج 2 ص : 224 .

[2] ابن عقيل : الفنون ج 1 ص : م 44 .

[3] انظر : ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 111 ،121 ،403 ، 404 .و العليمي: الأنس الجليل ج2 ص : 257 ، 258 .و ابن ناصر الدين : الرد الوافر ص : 109 .و الدودي : ج 1 ص : 82 ، و ج 2 ص : 145 ،.و السيوطي : بغية الوعاة ج 1 ص : 208 ، و ج2 ص : 39 .و الصفدي : نكت الهميان ص : 119 ، 180 .و ابن خلكان : ج2 ص : 288 .

[4] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 318 ، 319 ، الفيروز أبادي : البلغة ص : 108 ، و ابن الدمياطي : المصدر السابق ص : 104 . و الصفدي : المصدر السابق ص : 179 ، 180 .

[5] الداودي : المصدر السابق ج 1 ص : 82 .و ابن رجب : نفس المصدر ج 2 ص : 403 ، 404 .

[6] انظر : ابن رجب : نفس المصدر ج 1 ص : 416 ، 418 ، 429 .و العليمي : المصدر السابق ج2 ص : 257 ، 258 .و ابن ناصر الدين : المصدر السابق ص : 109 .و الفيروز أبادي : المصدر السابق ص : 108 .و السيوطي : المصدر السابق ج 2 ص : 39.

[7] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 417 ، 418 .و الدودي : المصدر السابق ج 2 ص : 145 .

[8] العليمي : المصدر السابق ج 2 ص : 257 ، 258 .

و قد تباينت المواقف من ظاهرة إكثار العلماء-في القرنين: 6-7هـ/12-13م- من المختصرات و الشروح ، فيرى الباحث عمر باشا أن الظروف الطارئة هي التي اضطرت العلماء إلى التوسع في شر المتون و التذييل عليه[1]. كما أن التطورات العلمية اقتضت التركيز على التلخيص و الإعادة، فكان البحث العلمي على ثلاث درجات : مبسوط ، و متوسط ، و موجز ، و ليس ذلك من قبيل الجمود الفكري و التكرار ، على ما ذهب إليه نقاد معاصرون ، بل هو أسلوب من أساليب البحث العلمي[2] .

لكن الباحث عمر سليمان الأشقر يرى أن إكثار الفقهاء-في عصر التقليد- من اختصار مصنفات السابقين ، حوّل بعضها إلى ألغاز ، يحتاج الطالب لفكها و فهمها إلى جهد كبير و وقت طويل، ثم لا يخرج بعد ذلك إلا بالقشور[3]. و أما المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون فيعتقد أن عيب المختصرات، هو أنها تقدم للمبتدئين غايات العلم قبل بداياته ،و وتدخل الطالب و الأستاذ في متاهات لحل عباراتها الملغّزة ، و تقطع عنهما تحصيل الملكات و تمكّنها ، و كان القصد منها في الأصل تسهيل الحفظ[4] .

و أقول-تعقيبا على هؤلاء- : إن للشروح و المختصرات فوائد ، فإذا كان الكتاب موجزا معقدا ، فمن الفائدة شرحه و تبسيطه و إثرائه ، ليسهل الانتفاع به . و هذه العملية ليست سهلة ، فهي أصعب بكثير من التلخيص ، لأن الشارح يحتاج إلى علم غزير و فهم صحيح . و إن كان الكتاب مبسوطا فمن الفائدة اختصاره بطريقة غير مخلّة بالمعنى[5] ، لتقريبه للمبتدئين و غير المتخصصين ،و إلا سيصبح الكتاب ملغزا ،و يحدث ما حذّر منه ابن خلدون .

و أما القول بأن التطورات العلمية اقتضت التركيز على المختصرات و الشروح ، وأن ذلك ليس من قبيل الجمود الفكري ، فهو إغفال لطبيعة العصر ، و آثاره السلبية على الحياة العلمية ، حيث غلب التقليد و التعصب المذهبيين على معظم علماء القرنيين السادس و السابع الهجريين/12-13م ، وأثر سلبا على نشاطهم العلمي ، فمالوا إلي تقليد المتقدمين ، و المبالغة في تمجيدهم و العكوف علي مصنّفاتهم حفظا و شرحا و تلخيصا ، دون تحقيق و لا إبداع في غالب الأحيان[6]. كما أنه يبدو أن

[1] عمر باشا : الأدب في بلاد الشام ص : 120 .

[2] نفس المرجع ص : 130-131 .

[3] عمر سليمان الأشقر : تاريخ الفقه الإسلامي ص : 113 .

[4] ابن خلدون : المقدمة ص : 457 ، 458 .

[5] قد تؤدي الاختصارات إلى إفساد الكتب و التلاعب بها ، لذا شبّه الكتاب المختصر بالإنسان الذي قطعت أطرافه .

[6] انظر : مبحث التقليد و الاجتهاد منم الفصل الرابع .

من الأسباب التي دفعت بعض المشتغلين بالعلم إلى شرح الكتب و اختصارها ، قلة زادهم العلمي ، و رغبتهم في المشاركة في العلم ، فاتجهوا إلى الشرح و الاختصار دون نقد و ابتكار . و ربما كانت لبعضهم قدرات علمية إلاّ أن طلبهم للأسهل و رغبتهم في الإكثار من المؤلفات دفعهم إلى اختصار مصنفات و شرحها بعناوين جديدة.

و إتهاءً لما ذكرناه عن تراث الحنابلة العلمي بالمشرق الإسلامي- خلال القرنين :6-7 هـ/ 12-13م ـ أشير هنا إلى ثماني نتائج هامة ، أولها أن مجموع مصنفات الحنابلة ـ التي سبق ذكرها ـ بلغ ألفين و مائة و ستة و خمسين كتابا موزعة على مختلف أنواع العلوم ، كما هو مبين في الجدول (رقم: 22 ص:) و الرسم البياني (رقم: 18)، و منهما يتّضح أن مؤلفاتهم في الفقه- وما يتصل به من أصول و خلاف وجدل- تأتي في المقدّمة بثلاث مائة و أربعة و ستين كتابا ،بنسبة569 ,31% بفارق كبير بالنسبة لمصنفات العلوم الأخرى. مما يدل على الاهتمام الكبير الذي أولاه علماء الحنابلة للفقه وما يتصل به . في حين قدّر مجموع مؤلفاتهم في علوم الأوائل بثلاثين كتابا بنسبة قدره 601, 2% وهو عدد ضئيل جدا بالمقارنة إلى تراثهم في الفقه و التصوف ،و علوم القرآن ،و الحديث و التاريخ ،و اللغة و الأدب ، مما يدل على إهمالهم لعلوم الأوائل .

و الثانية هي أن طائفة من مؤلفاتهم ـ التي سبق ذكرها ـواسعة الانتشار بين المشتغلين بالعلم ،و ليست مقتصرة على الحنابلة لجودتها و أهميتها ،و خلوّها من الطابع المذهبي الضيق ، لذا تعدى نفعها إلى عامة المسلمين ، ككتاب تلبيس إبليس ،و صيد الخاطر لابن الجوزي ، كتاب المغني في شرح مختصر الخرقي للموفق بن قدامة ، و كتاب منهاج السنة النبوية ،و درء تعارض العقل و النقل لتقي الدين بن تيمية .

و النتيجة الثالثة هي أنني وجدت عالمات حنبليات كثيرات ، ساهمن في الحياة العلمية الحنبلية-خلال القرنين:6-7هـ/12-13م- لكنني لم أعثر لهن على كتب ، إلاّ على اثنين منهن فقط كانا لهما إنتاج علمي ، الأولى المحدّثة عجيبة بنت الحافظ محمد بن أبي غالب البقداري البغدادية (ت647 هـ/1249م) كانت لها مشيخة في عشرة أجزاء[1] .

[1] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 643 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص : 138 . و الذهبي : العبر ج 3 ص : 130 ، 389 .

و الثانية هي العالمة أمة اللطيف بنت ناصح الدين بن الحنبلي الدمشقية (ت 653هـ/ 1255م) رُوي أنّ لها مصنفات دون تحديد لعناوينها و موضوعاتها و عددها[1]. فيكون مجموع ما صنّفته هاتان العالمتان أربعة كتب على أقل تقدير .

....

جدول تقريبي لمجموع مصنفات الحنابلة حسب العلوم[2]

(ق :6-7هـ/12-13م)

(الجدول رقم :22)

[1] ابن كثير : المصدر السابق ج13 ص :170 .

[2] المصادر سبق ذكرها في المتن .

مجموع كتب كبار المؤلفين الحنابلة[4]	كتب كبار المؤلفين[3] المذكورة في المتن	النسبة المئوية	مجموع الكتب[2]	المخطوطات[1]	نوع العلم	الرمز
	222	31,569	364	105	الفقه و ما يتصل به	–
	11	15,264	176	20	الصوف الوعظ التربية	×
	117	14,050	162	08	علوم القرآن	=
	86	14,050	162	21	التاريخ	0
1566	48	09,019	104	14	علوم الحديث	÷
	48	07,025	81	10	أصول الدين	+
	10	05,290	61	13	اللغة و الأدب	.
	18	02,601	30	05	علوم الأوائل	v
	01	01,127	13	01	علوم أخرى	*
	563	نحو:100 0/0[5]	1153	196	المجموع الجزئي	---
2156[7]	1566 =	590 +	563[6] =	1153 -	المجموع العام	---

1 التي تم ذكرها في المتن .

2 يشمل كل المصنفات الواردة في المتن المخطوطة و المطبوعة .

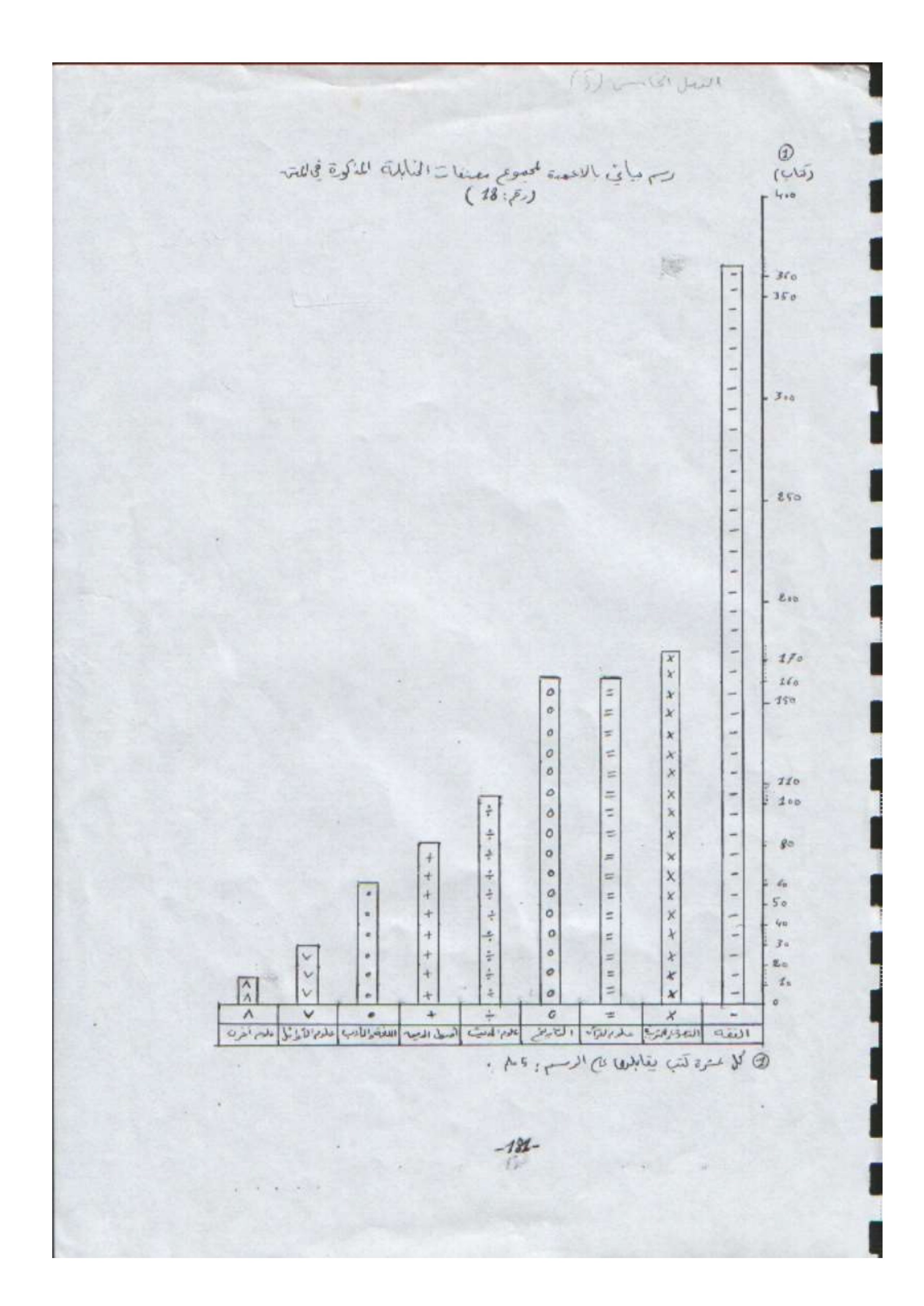
3 تشمل كل مؤلفاتهم المذكورة بعناوينها في المتن .

4 يشمل كل كتبهم المذكورة في المتن ، بما فيها الواردة في الجدول رقم : 20 ، ج2 ص: 107 .

5 أخذت النسبة المئوية من المجموع الجزئي : 1153 .

6 طرحناه لأنه داخل في المجموع الجزئي .

7 هذا المجموع العام ، و هو حاصل طرح : 1153 –563 = 590 ، ثم 590+1566 = 2156



و أما الرابعة فهي أن بعض التراث العلمي الحنبلي قد ترجم إلى اللغتين الفرنسية و الإنجليزية ، فمن ذلك أن الباحث هنري لاوست ترجم إلى اللغة الفرنسية كتاب السياسة الشرعية في إصلاح الراعي و

الرعية لابن تيمية . و كتاب العمدة في الفقه للموفق بن قدامة المقدسي[1]. كما ترجم الباحث جورج مقدسي إلى اللغة الإنجليزية كتاب تحريم النظر في كتب أهل الكلام للموفق بن قدامة المقدسي . و نقل الباحث جبرائيل جبور كتاب فضائل القدس لابن الجوزي إلى اللغة الإنجليزية في سنة 1400هـ /1979م[2] .

و النتيجة الخامسة هي أن علماء الحنابلة اتبعوا –كغيرهم من العلماء– في تصنيف كتبهم طرقا عديدة ،كالشروح و المختصرات ، و الذيول و الاستدراكات . و بعضهم التزم بالأسانيد، وآخرون أهملوها ، و المحدثون منهم ، فيهم من جمع أحاديث باب من أبواب الكتب الجامعة للأحكام ، وأفردوها بالتأليف ، و فيهم من جمع أحاديث تصلح للاحتجاج –وهي ليست في الصحاح– في كتاب واحد كما فعل الحافظ الضياء المقدسي في كتابه الأحاديث المختارة .

و السادسة هي أن من بين علماء الحنابلة ستة أضراء ، فقدوا بصرهم صغارا ، و لهم مصنفات ، و هم : الأديب أبو المرهف نصر بن منصور النميري البغدادي(ت588 هـ/1192م) ، و اللغوي أبو البقاء العكبري البغدادي(ت 616 هـ/1219م) ، و الأديب أبو العز الموفق بن إبراهيم المصري(ت 623هـ/1226م) ، و الشاعر أبو زكريا يحيى بن مندة الصرصري البغدادي (ت656 هـ/1258م)و المفسر أبو طالب عبد الرحمن البصري ثم البغدادي(ت684 هـ/1285م)، و المفسر زين الدين احمد الآمدي ثم البغدادي (ت بعد710هـ/1310م) .

و أما السابعة ، فهي و إن غلبت على تراث الحنابلة العلمي مصنفات علوم الشريعة، و التاريخ و الأدب ، فإن بعض علمائهم قد صنفوا كتبا نقدية هامة ، في علم الكلام و الفلسفة و التصوّف ،قلّ نظيرها في المكتبة الإسلامية ، منها : كتاب الفنون ، و الرد على الأشاعرة العزّال ، لابن عقيل . و صيد الخاطر ، و تلبيس إبليس ، لابن الجوزي . و منهاج السنة النبوية ، و درء تعارض العقل و النقل ،و الرد على المنطقيين ، لابن تيمية . و قد جاءت هذه المؤلفات ثمرة لازدهار الحركة العلمية الحنبلية ، في المشرق الإسلامي –خلال القرنين:6-7هـ/12-13م– و التي هي بدورها –أي المصنفات– قد ساهمت في تنشيط هذه الحركة و إثرائها .

---

[1] ووضع للكتاب عنوان : Le Precis de droit d ibn qudama و نشرته المطبعة الكاثوليكية ببيروت في سنة 1950 . و يذكر أن الباحث هنري لاوست قد ترجم كذلك كتاب الإبانة عن أصول الديانة لابن بطة العكبري الحنبلي (ت327 هـ /997م) و وضع له عنوانا آخر هو : La Profission de foi d ibn batta

[2] عبد الجليل حسن المهدي : الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى هامش ص : 173 .

و آخرها – الثامنة– هي أنه يتبين للمتأمل في تراث الحنابلة العلمي ،أن هذا التراث كان شديد التأثر بمبادئ المذهب الحنبلي . فمن ذلك أولا ، كثرة إنتاجهم في العلوم الشرعية ، و الأدبية و التاريخية ، و قلته في علوم الأوائل . و ثانيا أن مؤلفاتهم في علم الكلام و الفلسفة و التصوف ، يطغى عليها طابع الانتقاد و الرفض و الذم ، لا طابع الدفاع و الاستحسان . و ثالثا أن تراثهم الشعري يغلب عليه الالتزام و العفاف و الزهد ، و فيه مدح للعلوم الشرعية و ذم لعلم الكلام . لكن مع ذلك ، فإن بعض علمائهم لم يكن فيهم التأثير الحنبلي راسخا جليا ، لتأثرهم بالأفكار غير الحنبلية ، فكرا و سلوكا .

………………

الفصل السادس

مظاهر تأثر علماء الحنابلة بالمذاهب الفكرية و تأثيرهم فيها
(في خلال القرنين:6-7هـ/12-13م)

المبحث الأول : تأثر علماء الحنابلة بعلم الكلام و الفلسفة
المبحث الثاني : تأثر علماء الحنابلة بالتصوّف و التشيّع
المبحث الثالث: انتقال علماء الحنابلة إلى المذهبين الشافعي و الحنفي
المبحث الرابع: تأثير علماء الحنابلة في الأفكار و الطوائف المعاصرة لهم

مظاهر تأثر علماء الحنابلة بالمذاهب الفكرية و تأثيرهم فيها
(في خلال القرنين:6-7هـ/12-13م)

كان من نتيجة تشاط علماء الحنايلة العلمة و تفاعلهم مع قضايا عصرهم الفكرية الكلامية و الفلسفية ،و الفقهية و الحديثية ،و غيرها من القضايا ، أنه ظهرت عليهم آثار و نتائج ذلك النشاط بجلاء في أفكارهم و سلوكياتهم: تأثيرا و تأثرا بنسب متفاوتة من عالم لآخر . فما تفاصيل ذلك ؟ ،و هل استطاع علماء الحنابلة أن يُحافظوا على فكرهم و جماعتهم من تأثيرات المذاهب الأخرى ؟ .

المبحث الأول : تأثر علماء الحنابلة بعلم الكلام و الفلسفة

ذم معظم علماء الحنابلة علم الكلام و الفلسفة، اللذيّن كانا سائدين في القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م[1] ، سيرا على نهج إمامهم الذي حذّر من علم الكلام و أهله[2] ، لكن طائفة منهم خاضت في الكلام و الفلسفة ، وظهر عليها تأثرها بأفكار المعتزلة ،و الأشاعرة ،و الفلاسفة ، في سلوكها و فكرها .

أولا : تأثر علماء الحنابلة بالفكر المعتزلي و الأشعري :

ففيما يخص علماء الحنابلة الذين تأثروا بفكر المعتزلة، فمنهم : أبو الوفاء بن عقيل البغدادي ، و أبو الحسن بن الزاغوني البغدادي(ت527 هـ/1132م) ، و صدقة بن الحسين الحداد البغدادي(ت573 هـ/1177م) ، و عبد الرحمن بن الجوزي ، فهؤلاء قالوا ببعض أفكارهم ، في تأويل الصفات و طريق معرفة الله ، مع مخالفتهم لهم-أي للمعتزلة- في شعار مذهبهم[3] .

فبالنسبة لابن عقيل فهو متناقض في موقفه من الصفات ، بين التأويل و الإثبات تأثرا بالمعتزلة ، و في كلامه مادة غزيرة من مذهبهم ، في مسائل القدر و الصفات ،و الكرامات و الأولياء[4] .و قد وصله تأثيرهم عن طريق شيخيه المعتزليين البغداديين علي بن الوليد ،و أبي القاسم بن التبان، لذا فهو في كتابه : اثبات التنزيه ، قرر فيه مذهب المعتزلة متأثرا بهم[5]. فمن ذلك أنه أنكر محبة العباد الله ، و النظر إليه يوم القيامة ؛ و عندما سمع رجلا يقول : ((اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك)) قال له: ((يا هذا هب أن له وجها ، أفتتلذذ بالنظر إليه ؟)) ، و قوله هذا يخالف ما ثبت عن النبي-صلى الله عليه وسلم- فيما رواه عنه النسائين أنه قال : ((و أسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم ، و الشوق إلى لقائك)) ،و في الصحيح أنه لما يدخل أهل الجنة ، الجنة و يجدون ما وعدهم ربهم ، يناديهم مناد بأن لهم عند الله موعدا ، فيكشف ((الحجاب فينظرون إليه ، فما أعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر إليه ، و هي الزيادة)) المذكورة فغي قوله تعالى: ((للذين أحسنوا الحسنى و زيادة))[6]-سورة يونس/26- . لكنه-أي ابن عقيل- تخلّص من أفكار المعتزلة في آخر عمره ، و استقر أمره على ما دوّنه في كتابه الإرشاد، من إثبات للصفات ،و ذكر لأقوال السلف في ذلك ؛ لكن

---

[1] عن ذلك انظر المبحث الأول من الفصل الثالث .

[2] لكنه لم يذم النظر العقلي الصحيح .ابن تيمية . دريء تعارض العقل و النقل ج 3 ص : 372 .

[3] نفس المصدر ج 1 ص : 157 ، و ج 4 ص : 116 ، 117 . و الذهبي : ميزان الاعتدال في نقد الرجال ج 3 ص : 144 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 142 .

[4] ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج 6 ص : 53 .

[5] نفس المصدر ج 6 ص : 54 .

[6] ابن تيمية : المصدر السابق ج 8 ص : 356 .

مذهب في الصفات بقي قريب من مذهب قدماء الكلابية[1] و الأشعرية ، في أنه يقرر ما دلّ عليه القرآن الكريم ،و الخبر المتواتر ، و يتأوّل غير المتوتر[2] .

و أما علماء الحنابلة الذين تأثروا بالفكر الأشعري فأشهرهم ستة ، أولهم أبو الوفاء بن عقيل ، قال برأي الأشاعرة في أن الخلق هو المخلوق ، و الفعل هو المفعول ، و أن أفعال العباد هي فعل لله .و بما أن الفعل عندهم هو المفعول امتنع أن يكون فعلا للعبد ، لئلا يكون فعل واحد له فاعلان[3] . لكن الجمهور ردوا على القائلين بذلك ،مقررين أن أفعال العباد مخلوقة لله مفعولة له ، و هي فعل العبد قائمة به ، وليست فعلا لله قائمة به ، بل هي مفعولة و ليست فعلا له .و هو تعالى لا يوصف بما هو مخلوق له ، و إنما يوصف بما هو قائم به[4] . ويستلزم ما قاله ابن عقيل و الأشاعرة أن ينسب إلى الله تعالى الظلم و الفساد ، لأن في أفعال البشر –التي جعلوها فعلا لله– الظلم و الفساد ، وهذا باطل شرعا و عقلا .

و الثاني هو المتكلم أبو الحسن بن الزاغوني البغدادي (ت527 هـ/1132م)ذهب إلى القول بأن العقل لا يعلم به حسن الأشياء و قبحها ،ولا الوجوب ولا التحريم[5]، متأثرا بالأشاعرة و بأصحابه الحنابلة المتأثرين بهم كالقاضي أبي يعلى الفراء ،و ابن عقيل[6] .و الثالث هو المتكلم صدقة بن الحسين البغدادي (ت573 هـ/1177م) ذهب إلى قول الأشاعرة في مسألة كلام الله[7]، في قوله ((أن ما في المصحف ليس بكلام الله حقيقة ،و إنما هو عبارة عنه ،و دلالة عليه ،و إنما يسمى كلام الله مجازا))[8].

و أما الرابع فهو الفقيه بن الجوزي ،أوّل بعض الصفات كالنزول و الوجه[9] متأثرا بالأشاعرة . كما أنه وافقهم في قولهم أن الخلق هو المخلوق ،و الفعل هو المفعول[10].مما جعل ابن الأهدل اليمني

[1] هم الذين ينتمون إلى المتكلم عبد الله بن سعيد الكلابيب ، و منهم أبو العباس القلانسي ،و الحارث المحاسبي . الشهرستاني : المصدر السابق ص : 105-106 .

[2] ابن تيمية : المصدر السابق ج 6 ص : 54 .

[3] نفس المصدر ج 8 ص : 468 .

[4] نفسه ج 8 ص : 468 ، 469 .

[5] عن ذلك أنظر المبحث الأول الفصل الثالث .

[6] ابن تيمية : درء تعارض العقل و النقل ج4 ص :101.

[7] عن هذه المسألة و مناقشتها أنظر : المبحث الأول من الفصل الثالث .

[8] ابن رجب : المصدر السابق ج1 ص :342 .

[9] ابن الجوزي صيد الخاطر ص :102 .

[10] ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج8 ص :468 .

الأشعري (ت855 هـ/1480 م) يدعي أن ابن الجوزي كان أشعري الأصول ، حنبلي الفروع[1]. و وافقه على ذلك الباحث محمود صبحي مضيفا أنه كان من الممكن التحاق بعض الحنابلة بابن الجوزي ، غير أنه يبدو أن ارتباط الأشعرية بالصوفية حال دون ذلك[2]. و قولهما هذا لا يصحّ ، لأن ابن الجوزي كان متناقضا مضطربا في مسألة الصفات بين الإثبات و النفي ، فهو وإن نفى صفة الوجه فإنه أثبتها في موضع آخر من كتبه ، ولم يرض عنه الحنابلة ولا الأشاعرة[3]. وهو قد ذمّ أبا الحسن الأشعري لأنه جاء بمقالة خبّطت عقائد الناس و أوجبت الفتن المتصلة[4]. و عرّض كذلك بأتباعه الأشاعرة و سماهم أهل البدع لأنهم يقولون[5]: ((ما في السماء أحد ولا في المصحف قرآن ولا في القبر نبي . ثلاث عورات لكم))[6].

كما أنه خالفه في مسائل عديدة ، منها : أنه أثبت صفة الحكمة لله في خلقه وهم نفوها . و عنده أن معنى التشبيه هو أن يقال : بصر الله كنصر الإنسان ،و يده كيده[7]. أما عندهم فالتشبيه هو إثبات الصفات الخبرية و عدم تأويلها[8]. فيتبين من ذلك أن تأثر ابن الجوزي ببعض أفكار الأشاعرة لم ينقله إلى مذهبهم ،و إنما جعلته مضطربا متذبذبا بين الحنبلية و الأشعرية مع الانتساب للأولى .و أما ما ذهب إليه الباحث محمود صبحي فلا توجد علاقة تلازم بين الأشعرية و الصوفية ؛ لأن أكثر الحنابلة المتأثرين بالأشعرية ،هم خصوم ألداء للصوفية ، كأبي الوفاء بن عقيل ،و ابن الجوزي[9]. كما أن كبار الصوفية الحنابلة لم يكونوا أشاعرة ،كعبد الله الأنصاري الهروي (ت481 هـ/ 1088م) ،و أبي الخطاب البغدادي الصوفي (ت476 هـ/ 1083م)[10]و عبد القادر الجيلاني (ت561 هـ/ 1165م)[11].

[1] ابن الأهدل : كشف الغطاء ص :83 .
[2] محمود صبحي : في علم الكلام : الأشاعرة ص : 33.
[3] أنظر مسألة الصفات في المبحث الأول من الفصل الثالث .
[4] ابن الجوزي : المنتظم ج6 ص :332 .
[5] لم يصرّح ابن الجوزي باسم الأشاعرة ، لكنه يقصدهم لأن المآخذ التي ذكرها تنسب للأشاعرة .
[6] ابن رجب : المصدر السابق ج1 ص : 403 . الذهبي سير أعلام النبلاء ج21 ص :376 .
[7] ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص :29 .
[8] ابن عساكر : تبيين كذب المفتري ص :311-312 .
[9] أنظر المبحث الثالث من الفصل الرابع .
[10] أنظر : ابن رجب المصدر السابق ج1 ص :59 ،67 .
[11] عنه أنظر مسألة الصفات في المبحث الأول من الفصل الثالث ، و ما سيأتي عنه قريبا في هذا المبحث .

و الخامس هو الفقيه نصير الدين بن سنينة السامري البغدادي(ت616 هـ/1219م) ، كان يرى أن أحاديث الصفات لا تقبل لأنها أخبار أحاد[1] . متأثرا في ذلك بالأشعرية في موقفها من خبر الأحاد[2] ، فكتب إليه المحدث أبو منصور بن الوليد البغدادي(ت643 هـ/1245م) رسالة عاتبه فيها ، و رد عليه على طريقة المحدثين ،و ملأها بالأحاديث و الآثار المسندة[3] . و آخرهم هو الفقيه برهان الدين احمد الزرعي الدمشقي(ت741 هـ/1340م)، روي أنه كان أشعري الأصول حنبلي الفروع[4] . وقد ترجم له الحافظ ابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة ،و لم يصرّح بأنه كان أشعري المعتقد ، لكنه أشار إلى ما يوحي إلى ذلك ، في قوله: ((و عليه في دينه مآخذ،سامحه الله))[5] .

و أشير هنا إلى أن المتكلم ابن الأهدل اليمني الأسعري، قد ادعى أن الشيخ عبد القادر الجيلاني كان أشعري المعتقد حنبلي الفروع[6] . مسايرا للمؤرخ اليافعي المكي الصوفي(ت768 هـ/1366م) الذي روى أن الشيخ الجيلاني غيّر اعتقاده في آخر عمره ، مدعيا أن الشيخ نجم الدين الأصفهاني[7] أخبره أن الجيلاني لما ((بلغه أن الفقيه الإمام البارع المشكور تقي الدين بن دقيق العيد المشهور تعجّب من شذوذ الشيخ عبد القادر المذكور ، في اعتقاده عن موافقة الجمهور العارفين،و العلماء المحققين في مسألة الجهة المعروفة)) غيرّ-أي الجيلاني- عقيدته في الجهة و المكان ، في آخر عمره[8] .ثم أضاف اليافعي أنه لا يشك في الشيخ نجم الدين-الذي أخبره بذلك- لأنه من ذوي الكشف و النور ، و يسكن في العراق ، فهو قريب من موطن الشيخ الجيلاني[9] .

و أقول-ردا عليه- : إن ما ادعاه اليافعي باطل لا يصح لعدة و جوه ، أولها أن الشيخ عبد القادر أثبت الصفات الإلهية ، كالعلو ، و الجهة ، و الاستواء على العرش ، في كتابه الغنية و لم يؤلها ، و رد فيه على الأشاعرة في مسألة النزول و الصوت و الحرف ، و ذمهم و وصفهم بالابتداع[10] . و الثاني هو أن اليافعي انفرد بهذا الخبر عن غيره من المؤرخين ، فأنني لم أعثر عليه في كتب التراجم و التواريخ ، و الطبقات التي اطلعت عليها . لذا فمن المستبعد جدا أن يغيّر الجيلاني اعتقاده الحنبلي ، و لا

---

[1] ابن رجب : نفس المصدر ج 2 ص : 112 .

[2] ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج 6 ص : 54 .

[3] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 122 .

[4] الصفدي : الوافي بالوفيات ج 5 ص : 309 . و ابن حجر العسقلاني : المصدر السابق ج 1 ص :15 .

[5] انظر ج 2 ص : 434 .

[6] ابن الأهدل : المصدر السابق ص : 83 .

[7] لم أجده .

[8] اليافعي : المصدر السابق ج 3 ص : 362 ، 363 .

[9] نفسه ج 3 ص : 362 .

[10] عبد القادر الجيلاني : الغنية لطالبي طريق الحق ج 1 ص : 71 ، 72 ، 74 ، 78 .

يشتهر ذلك عنه بين الحنابلة و الطوائف الإسلامية الأخرى ، و بين خصومه الحنابلة الذين يبحثون عن أي شيء للطعن فيه[1] . و الثالث أن خبره يحمل في ذاته الدليل القاطع على بطلانه ، لأن فيه أن الشيخ عبد القادر غيّر اعتقاده ، عندما بلغه ما قاله عنه الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد . فكيف يبلغه ذلك و هذا الأخير قد ولد في سنة 625هـ/1228م و توفي في سنة 702هـ/1302م، و والده مجد الدين قد ولد في عام 581هـ/1185م ، توفي في عام 667هـ/1286م[2] ، و الشيخ الجيلاني توفي في سنة 561هـ1165م ، فبينه و بين الابن أربع و ستين سنة ، و بينه و بين الأب عشرين سنة ؟ أليس هذا دليل قاطع على بطلان خبر اليافعي ؟ و الرابع هو أن اليافعي كان متعصبا للأشعرية ، و يذم كبار علماء الحنابلة[3]، لذا يبدو أنه عزّ عليه أن يكون أحد أقطاب الصوفية حنبليا أصولا و فروعا، و لا يكون أشعريا ، لذلك روي خبر تغيير الجيلاني لاعتقاده في آخر عمره و هو يعلم ما بينه و بين ابن دقيق العيد من زمن طويل ، و لم يبل بذلك .

ثانيا : تأثر علماء الحنابلة بالفلسفة :

تأثّرت جماعة من علماء الحنابلة بالفلسفة[4]-خلال القرنين:6-7هـ/12-13م- تأثيرا واضحا تجلى في أقوالها و سلوكها ، أولهم الفقيه أبو الفضل محمد بن زبيبا البغدادي[5](ت511 هـ/1117م) ، روي أنه كان على عقيدة الفلاسفة تقليدا من غير معرفة ، و يعتقد أن النجوم هي المدبرة لهذا العالم . و قد ذمّه الحافظ ابن ناصر السلامي الحنبلي ، وقال: لا تجوز عنه الرواية[6] .و الثاني هو قاضي المارستان محمد بن عبد الباقي البغدادي(ت535 هـ/1140م) ، كان يتهم بمذهب الأوائل ، و تذكر عنه رقة دين[7] .

---

[1] منهم عبد الرحمن ابن الجوزي الذي كان خصما للجيلاني .

[2] الأدفوي : الطالع السعيد ص : 432 ، 575 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص : 324 ، 325 ، ج 6 ص : 5 .

[3] المناوي : الكواكب الدرية ، ج 3 ص : 36 .

[4] التي كانت سائدة في القرنين السادس و السابع و الهجريين/12-13م .

[5] ذكره الذهبي في تاريخ الإسلام ، و قال أنه حنفي المذهبي . ج : 501-520 هـ/ص : 323 . و هذا و هم منه ، أو من الناسخ ، أو هو خطأ مطبعي ، أن ابن زبيبا هذا قد ترجم له ابن رجب الحنبلي في الذيل على طبقات الحنابلة .

[6] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 167 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص : 41 .و الذهبي : نفسه ج: 501-520 هـ/ص : 323 .

[7] الذهبي : نفسه ج: 521-540 هـ/ ص : 392 .

و الثالث هو المتفلسف صدقة بن الحسين الحداد البغدادي(ت573 هـ/1177م) ، قرأ كتاب الشفا لابن سينا ، و كتبا فلسفية أخرى ، فتغيّر اعتقاده[1] ،و ظهر منه ما يدل على سوء عقيدته ، من ميل لمذهب الفلاسفة ،و إنكار لبعث الأجساد،و اعتراض على القدر و نقمته عليه[2]. كما كانت تنتابه حيرة و شك يظهران على أشعاره[3]، كقوله:

واحيرتا من وجود ما تقدمنا × فيه اختيار و لا علم فنقتبس
و نحن في ظلمات ما لها قمر × يضيء فيها و لا شمس و لا قبس[4]

و قوله :

نظرت بعين القلب ما صنع الدّهر × فألفيته غرّا و ليس له خبر
فنحن سدا فيه بغير سياسة × نروح و نغدوا وقد تكنّفنا الشر[5]

فإن صحّ هذا الشعر عن صدقة بن الحسين ، فيكون قد فقد إيمانه بالإسلام كلية ، لأن التساؤلات و الشبهات التي أثارها أجوبتها في الشرع الحكيم معروفة . فلماذا يبحث عن أجوبة لها ؟ ! كما أنه قد روي عنه –في اعتراضه على القدر– أنه مرض يوما و أشتدّ به الألم فقال عن الله تعالى : ((إن كان يريد أن أموت فيميتني ، فأما هذا التعذيب فما له معنى))[6]. إنّه بقوله هذا قد سقط فريسة لشبهات المتكلمين و الفلاسفة ، ولم يستطع فكها و الردّ عليها فأمرضه كتاب الشفاء ولم يشفيه و فقد إيمانه و ثقته بالله ،و هجمت عليه الوساوس و الشكوك . كما بدل اعتراضه على القدر على جهله بسنن الله و حكمته في خلقه،لأنه تعالى يبتلي عباده بالسراء و الضراء ، وهو العادل الرحيم الحكيم . فقد تكون رحمته في المنع و نقمته في العطاء ،وقد يمرض عبده قبيل وفاته ليعطي له فرصة الرجوع إليه ،و يفتح له بابا للدعاء و الإخلاص و التضرع إليه : لذا يبدو أن صدقة بن الحسين غفل على أن الاعتراض على الحكيم جهل و شكّ، وأن التسليم له علم و يقين .

و أما الرابع فهو المتفلسف الفخر إسماعيل غلام بن المني البغدادي (ت610 هـ/ 1213م) درس الفلسفة و المنطق على الطبيب ابن مرقش النصراني في بيعة النصارى ببغداد .و صنّف كتابا

[1] ابن الجوزي : المنتظم ج 10 ص : 276 . و ياقوت الحموي : معجم البلدان ج 4 ص : 1448 . و أبو شامة : ذيل الروضتين ص : 126 . و السبط : المصدر السابق ج 8 ص : 344 .
[2] ابن الجوزي : نفسه ج 10 ص : 344 . و أبو شامة : نفسه ص : 126 .
[3] ابن رجب المصدر السابق ج 1 : 342 .
[4] ابن الجوزي : المصدر السابق ج 10 ص : 277 .
[5] نفسه ج10 ص :277 .
[6] ابن مفلح : المصدر السابق ج2 ص :203 .

سماه : نواميس الأنبياء ، جعلهم فيه حكماء كالفلاسفة[1]. كما أنه لم يكن في دينه بذاك ، بل كان متسمحا فيه متلاعبا به[2]، و يذم الحدثين و يطعن فيهم ، ويقول عنهم : إنهم جهال لا ((يعرفون العلوم العقلية ، ولا معاني الحديث الحقيقية، بل هم مع اللفظ الظاهر))[3]. و يلاحظ عليه- من خلال موضوع كتابه نواميس الأنبياء- أنه كان منهزما فكريا و صرعته الفلسفة اليونانية حتى جعلته يهمل ما قاله القرآن الكريم في التفريق بين النبي و غيره من الناس ، في قوله تعالى: ((قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ)) -سورة فصّلت/ 6 - فالنبي يتلقى الوحي مباشرة من الله عز و جل ، و الفلاسفة يعتمدون على عقولهم و حواسهم في التعلّم ، كغيرهم من طوائف العلماء .

و الخامس هو المتفلسف الركن عبد السلام بن عبد الوهاب بن عبد القادر الجيلاني(ت611 هـ/1214م) ، قرأ علوم الأوائل و كان عارفا بالفلسفة و المنطق و التنجيم ،و في ذلك مصنفات كثيرة ، فنسب إلى عقيدة الأوائل ،و اتهم بالتعطيل و الرجوع إلى أقوال الفلاسفة[4] . و في ذلك يروى أن والده رآه يوما مرتديا ثوبا بخاريا ، فقال له : ((و الله هذا عجب ! ما زلنا نسمع البخاري و مسلم ، فأما البخاري و كافر فما سمعناه))[5] . و قد حكم عليه-أي عبد السلام- بالفسق و أحرقت كتبه في أيام خصمه الوزير ابن يونس الحنبلي[6](ت 593 هـ/1196م) ، فأخرج من بيته كتب الفلاسفة و السحر و عبادة النجوم ،و رسائل إخوان الصفا،و جمع له القضاة و العلماء و الأعيان ، فوجد في بعضها مخاطبة كوكب زحل، بقوله: ((أيها الكوكب المنير أنت تدبر الأفلاك ،و تحي و تميت ، و أنت إلهنا)) ، فقيل له : أهذا خطك ؟ قال : بلى ، كتبته لأرد على قائله و من يعتقده . ثم أمر الوزير بإحراق كتبه ،و حكم عليه القاضي بالفسق و السجن[7] .

---

[1] ابن الفوطي : المصدر السابق ق3 ج4 ص:115 .و الذهبي : سير أعلام النبلاء ج22 ص:29 .و الصفدي : المصدر السابق ج9 ص :158 . ابن رجب: المصدر السابق ج2 ص :67 .

[2] ابن رجب البغدادي : نفسه ج 2 ص :67 . و صلاح الدين الصفدي : نفسه ج9 ص: 158 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج5 ص: 41 .

[3] نفسه :ج2 ص :67 . و نفسه ج9 ص:158 . و نفسه ج5 ص: 41 .

[4] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 72 . و جمال الدين القفطي : تاريخ الحكماء : 288 .و ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص : 238 .

[5] ابن رجب : نفس المصدر ج 2 ص : 71 .

[6] من أسباب الخصومة بين الرجلين ، أن ابن يونس كان جارا لأولاد الشيخ الجيلاني ، فكانوا يأذونه أيام فقره ، فلما أصبح وزيرا انتقم منهم ، و شتت شملهم ، وبعث إلى دار عبد السلام من أخرج منها كتب علوم الأوائل . نفسه ج 2 ص : 71 .

[7] نفسه ج 2 ص : 71 ، 72 .

وأثناء المحاكمة كان أبو بكر بن المارستانية(ت599 هـ/1202م) يقرأ بعض كتب عبد السلام ، و يقول : ((العنوا من كتبها ،و من يعتقدها ، فيضج العوام باللعن ، فتعدى اللعن إلى الشيخ عبد القادر))[1].و عندما أخرج الركن عبد السلام من السجن كتب بخطه أنه ((يشهد أن لا إله إلا الله ،و أن محمدا رسول الله ،و أن الإسلام حق ، وما كان فيه باطل))[2]؛ ثم عندما قبض على الوزير ابن يونس، ردت إليه كتبه المتبقية[3]. و مما يلاحظ عن هذا المتفلسف هو أن المصادر ذكرت أنه كان عارفا بعلوم الأوائل و مجيدا لها .و أن المؤرخ جمال الدين القفطي قد ترجم له في كتابه : تاريخ الحكماء[4] . لكنني لم أعثر له أي أثر علمي في الفلسفة و علوم الأوائل .

و السادس هو المؤرخ عبد الرزاق بن الفوطي البغدادي(ت723 هـ/1323م) ، لازم الفيلسوف نصير الدين الصوفي الشيعي(ت672 هـ/1273م)، وأخذ عنه علوم الأوائل ، كالفلسفة و علم النجوم ،فأدى تعاطيه لهذه العلوم ، وصحبته للطوسي و أصحابه، و مخالطته للمغول ، إلى إضعاف حنبليته إلى أدنى حد ، ففسدت عقيدته وأخلاقه ،و موازينه الفكرية ، و تكلم العلماء في عقيدته و عدالته ، و قالوا بأنه كان يشرب الخمر أحيانا ،و يخل بالصلوات، ويدخل في بلايا، ويبالغ في تقريض المغول و أعوانهم[5] ،كوصفه لشيخه النصير الطوسي بأنه نصير الحق و الدين ، و هو أصحابه كانوا يتعاطون الفواحش ،و يستهزئون بواجبات الإسلام ،و يشربون الخمر في رمضان ،و لا يصلون[6] . فهذا يثبت أن ابن الفوطي الحنبلي تأثر بشيخه الشيعي ، فكرا و سلوكا .

و مما يدل -كذلك- على ضعف حنبلية ابن الفوطي و ميله للفلاسفة ، أنه عندما ترجم-في كتابه تلخيص مجمع الآداب- للفيلسوف اليهودي ابن كمونة البغدادي(ت683 هـ/1284م) ، قال أنه كان يرغب في الاجتماع به ، فلم يتفق له ذلك لمرض أصابه ، فأرسل إليه إليه يلتمس منه شيئا من فوائده لتطرّز به كتابه[7] . و لم يذكر عنه أنه ألف كتابا سماه : تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث[1]، ذكر

---

[1] نفسه ج 2 ص : 72 . و القفطي : المصدر السابق ص : 228 .و ابن العبري : المصدر السابق ص : 238 .

[2] ابن رجب : نفس المصدر ج 2 ص : 73 .

[3] نفسه ج 2 ص : 73 .

[4] القفطي : المصدر السابق ص : 228 .و ابن رجب : نفس المصدر ج 2 ص : 72 .و ابن العبري : المصدر السابق ص : 238 .

[5] الذهبي : تذكرة الحفاظ ج 4 ص : 1493 ، 1494 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 374 ، 375 . و ابن حجر العسقلاني : المصدر السابق ج 2 ص : 364 ، 365 .

[6] ابن تيمية : منهاج السنة ج 2 ص : 99 .و التفسير الكبير ج 3 ص : 132 .

[7] ابن الفوطي : المصدر السابق ق 1 ج4 ص : 160-161 .

فيه ما قيل من طعون في اليهودية ، و المسيحية ، و الإسلام ،و الرد عليها . و أن أهل بغداد سعوا إلى قتله ففر إلى خارج البلد[2] .

و رغم و صف بعض المؤرخين لابن الفوطي بأنه حكيم و فيلسوف ، فلم يعثر له على أي أثر فلسفي في أقواله و مؤلفاته[3] ؛ مما جعل الباحث مصطفى جواد يرى أن ابن الفوطي لو يستوعب الحكمة ،و لا استوفاها ، لأنه ((حنبلي المذهب سلفي المشرب ، لا يعرّج صادقا على علوم الأوائل، و الفلسفة و الحكمة ، و هواه في الحديث))[4] . لكن حقيقة أمره ، إنه حتى و إن عدّ من بين الحفاظ ، فإن تأثره بعلوم الأوائل كان أكبر من تأثره بعلم الحديث ، و قد ظهر ذلك جليا في سلوكه و أقواله و مؤلفاته[5] .

و أشير هنا إلى أن هناك قلة من علماء الحنابلة ، تبحّرت في العلوم العقلية و استفادت منها ، و لم تسقط ضحية لها ،و لم تضعف حنبليتها ،و لم يعرف عنها انحلال في سلوك ،و لا استهتار بدين ، بل ازدادت تمسكا به و تحمسا له ؛كما هو حال أبي محمد عبد الحليم بن تيمية(ت603 هـ/1206م) ،و أبي العباس تقي الدين بن تيمية(ت1328 هـ/1327م)[6] . فهما بفضل نشأتيهما في أسرة[7] عريقة في العلم و التدّين و التحنّبل ، و بفضل تضلعهما في العلوم الشرعية ، عرفا كيف يجمعان بينها و بين العلوم القديمة ، على أن تكون المرجعية للوحي لا للعقل ، مع الاعتقاد بأنه لا تناقض بين صحيح المنقول و صريح المعقول[8] .

و ختاما لما أوردناه ، أذكّر بأنه تم التطرق لاثني عشر عالما ، هم أكثر علماء الحنابلة تأثرا بعلم الكلام و الفلسفة.و عددهم هذا قليل جدا ، بالمقارنة إلى مجموع المشتغلين بالعلم من الحنابلة الذين توّفوا في القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م ، فقد زاد عددهم عن أكثر من ثلاثمائة و

---

[1] تم العثور على نسخة مخطوطة منه ، و فيه تناول مؤلفه أصول الديانات الثلاث : اليهودية ، و المسيحية ، و الإسلام ، و أورد ما ذكر فيها من المطاعن ، و ما ذكر من الأجوبة عنها . الشيبي : المرجع السابق ج 2 ص : 122 .

[22] نفسه ص : 122 . و الحوادث الجامعة ص : 210 .

[3] ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ق 1 ج 4 ص : 22 ، 43 .

[4] ابن الفوطي : المصدر السابق ق 1 ج 4 ص : 22 ، 43 ، (مقدمة المحقق) .

[5] لا يعرف أنه صنف كتابا في علم الحديث ،و لا تأثر بمنهجه في النقد و التحقيق ، وكتابه تلخيص مجمع الآداب شاهد على ذلك .

[6] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 40 ، 389 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 6 ص : 80 ن 81 .

[7] عنها انظر مبحث الأسر العلمية الحنبلية ، من الفصل الأول .

[8] لابن تيمية كتاب عنوانه : موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول .

خمسة و تسعين عالما[1] . لكن هؤلاء الاثنى عشر لم ينته بهم التأثر إلى ترك مذهبهم ، و الانتقال إلى مذاهب أخرى ، و إن كان منم بينهم ستة ، هم أقل تحنبلا و أكثر تأثرا بعلم الكلام و الفلسفة ، و هم : ابن زبيبا ،و صدقة بن الحسين ،و الفخر غلام بن المني ،و الركن عبد السلام ، وبرهان الدين الزرعي ، و عبد الرزاق بن الفوطي ، الذي تأثر كذلك بالتصوف و التشيع .

المبحث الثاني : تأثر علماء الحنابلة بالتصوف و التشيع

يعد علماء الحنابلة أكثر علماء أهل السنة ، خصومة و عداء للصوفية و الشيعة ، فالصوفية أنكر عليهم الإمام احمد بن حنبل منهاجهم ،و بعض سلوكياتهم ، و نهى الناس عن حضور مجالسهم ، و ذم بعضهم و حذّر منهم[2] . و بدّعهم و انتقدهم كل من: ابن بطة العكبري الحنبلي(ت387 هـ/997م)[3] ،و ابن عقيل ،و ابن الجوزي ،و ابن تيمية[4] .و أما الشيعة فقد عدّهم الإمام احمد، يهود هذه الأمة ليس لهم من الإسلام شيء[5] . وكفرتهم[6] طائفة من أتباعه ، كأبي محمد البربهاري البغدادي (ت329 م/940م)[7] . و كان الحنابلة في مقدمة السنيين في نزاعهم الطائفي مع الشيعة الاثنى عشرية في بغداد ، طيلة أكثر من ثلاثة قرون[8]. و مع ذلك فقد وجد من علماء الحنابلة من مال إلي الصوفية ،و انتمى إليهم ،و من تأثر بالشيعة و مدحهم .

أولا : تأثرهم بالصوفية و الانتماء إليهم :

أحصيتُ من علماء الحنابلة المتأثرين بالتصوف-خلال القرنين:6-7هـ/12-13- ستة و ثلاثين عالما[9] ؛ من بينهم تسعة و عشرون انتموا إلى الصوفية ، و الباقون غير صريحي الانتماء إليهم .

---

[1] انظر : ابن رجب البغدادي : المصدر السابق ج 1 ص : 129 و ج 2 ص : 344 .

[2] انظر : أبو الحسين بن أبي يعلى الفراء : طبقات الحنابلة ج 2 ص ك 279 .و ابن كثير : المصدر السابق ج 10 ص : 330 .و ابن تيمية : مجموعة الرسائل ج 3 ص : 74 .و الهجويري : كشف المحجوب ، حققه إسعاد عبد الهادي قنديل ، بيروت دار النهضة العربية 1980 ، ص : 268 .

[3] ابن بطة العكبري : الإبانة عن أصول الديانة ، حققه هنري لاوست دمشق ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، 1958 ص : 87 ، 88 .

[4] عن ذلك أنظر مبحث نقد التصوف و الصوفية من الفصل الثالث .

[5] ابو الحسين بن أبي يعلى: المصدر السابق ج 2 ص : 14 ، 33 .

[6] كفروا الشيعة لأنهم يسبون الصحابة و يكفرون معظمهم . نفس المصدر ج 2 ص : 33 .و ابن تيمية : الصارم المسلول ص : 569 .

[7] نفسه ج 2 ص : 33 .و نفسه ص : 569 . و الشيعة الإمامية هم كذلك بدورهم يكفرون الحنابلة و كل من لم يؤمن بأئمتهم الاثنى عشر ،و بمذهبهم . انظر : يعقوب الكليني : الأصول من الكافي ، طهران دار الكتب الإسلامية ، 1328هـ/1910 ج 1 ص : 187 .

[8] عن ذلك انظر لكاتب هذه السطور : الحركة الحنبلية و أثرها في بغداد ص : 122 و ما بعدها .

[9] انظر : ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 302 ، 303 ، 306 . و ج 2 ص : 263 ، 277 ، 280 ، 285 ، 338 ، 339 ، 352 ، 354 ، 355 ، 362 .و المناوي : المصدر السابق ص : 385 .و الصفدي : ج 9 ص : 359 . و الداودي

فبخصوص الصوفية الحنابلة فسأذكر منهم عشرة ؛ أولهم الشيخ عبد القادر الجيلاني البغدادي(ت561 هـ/1165م) ،هو من كبار صوفية الحنابلة ، و قد صدرت عنه أقوال فيها غلو ،و بعد عن روح المذهب الحنبلي ، منها قوله: ((و أنا لكل من عثر مركوبه من أصحابي و مريدي و محبي ، إلى يوم القيامة آخذ بيده))[1] . فإن صح قوله هذا فهو غلط و دعوى عريضة دون دليل ، لأن الشرع هو المآل و العاصم و المرجع لكل إنسان ، سواء كان صحابيا ، أو تابعيا ،أو صوفيا . لكن لقوله هذا وجه صحيح إذا قصد به أنه قدوة بسلوكه و أقواله-في بعض المسائل- لهؤلاء العاثرين ؛ و إلا فلا قدوة كاملة للمسلمين إلا في الرسول-صلى الله عليه و سلم- لقوله تعالى: ((لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله و اليوم الآخر ،و ذكر الله كثيرا))-سورة الأحزاب/22- .و منها كذلك أنه كتب عن التصوف داعيا إليه و محبذا له ، فخصص في كتابه الغنية لطالبي طريق الحق ، بابا مطولا لأخلاق الصوفي ، و آداب المريد و علاقته بالشيخ[2] .

كما أنه تعرّض في كتابه الغنية ، لمسائل ظهر فيها تحنّبله و تصوّفه معا ، فمن آثار تحنبله فيها و احتكامه إلى الفقه ، أنه قرر أن على الصوفي المسافر ألا يصحب معه الأحداث، و المردان على الخصوص لأنهم أقرب إلى مصافاة الشياطين ، و في صحبتهم خطر عظيم[3] .و عن السماع عاب على صوفية زمانه انصرافهم عن سماع القرآن الكريم ،و إقبالهم على سماع الغناء و الأشعار التي تثير الغرائز ،و تهيّج ثائرة العشق بالطباع ، لا بالقلوب و الأرواح[4] . لكنه عاد و قرر-بتأثير من تصوفه- أنه يرخّص للصوفي الكامل الجهبذ المقتدي به أن يصحب الأحداث ، لأنه لا يبالي من يصحب أكان صبيا أم شيخا[5] . وعلى الصوفي إذا طرح خرقته في حلقات السماع ، لا ينبغي له أن يعود ليأخذها ، و إذا أمره الشيخ بأخذها فليمسكها امتثالا لأمره ، ثم يعطيها لغيره بعد ذلك[6] . كما قرر أنه على الصوفي إذا

: المصدر السابق ج 1 ص : 5 ، 6 .و العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص : 305 . و ج 5 ص : 337 ، 373 .و ج 6 ص : 10 .و الذهبي : معجم محدثي الذهبي ص : 135 ، 318 . و العبر ج 3 ص : 366 .و شيوخ الذهبي ص : 318 . و الكتبي : عيون التواريخ ج 20 ص : 310 ،311 . ابن النجار : المصدر السابق ج 20 ص : 124 .و ابن الفوطي : المصدر السابق ق 1 ج4 ص : 492 .و اليونيني: المصدر السابق ج 2 ص: 66 ، 67 .

[1] الشعراني : الطبقات الكبرى ج 1 ص : 126 .

[2] عبد القادر الجيلاني : الغنية ج 2 ص : 181 و ما بعدها .

[3] نفس المصدر ج2 ص : 205 .

[4] نفس المصدر ج 2 ص : 206 .

[5] نفسه ج 2 ص : 206 .

[6] نفس المصدر ج 2 ص : 207-208 .

سافر إلى بلد فيه شيخ ، عليه أن يبدأ ((بسلامه عليه و خدمته له ، و ينظر إليه بعين الإكبار و الحشمة و التعظيم ، لئلا يحرم فائته))[1] .

و أقول : إن الشيخ الجيلاني تكلم بلساني الفقه و التصوف ، فنقض بالثاني ما قرره بالأول ؛ فإذا كان النظر إلى الأحداث و صحبتهم حراما ، قياسا على النظر إلى المرأة الأجنبية و الخلوة بها ، فإن ذلك حرام على الجميع ، لا فرق بين عامي و ولي ، و قد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بأن يغضوا أبصارهم في قوله : ((و قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم و يحفظوا فروجهم))-سورة النور/30- و المخاطبون في هذه الآية هم الصحابة-وغيرهم- المشهود لهم بالصلاح و القوى ، و لم يقولوا: نحن كاملون جهابذة يقتدى بنا ، فلا نغض أبصارنا . و إذا نظرنا للمسألة من جهة سد الذرائع ، فإنه كان ينبغي الجيلاني أن يحرم صحبة الأحداث على الجميع ، من باب سد الذرائع . كما أنه في مسألة السماع لم يتبع الراجح في مذهبه الذي يحرم غناء الصوفية[2] .و أما إلزامه للمريد بزيارة الشيخ إذا نزل في بلد فيه شيخ ، فهذا إلزام بما لم يلزمنا به الشرع[3] ، و دعوة للطاعة العمياء ،و عبادة الشخصية و التعلق بها و الخضوع لها ، و هذا لا يكون إلا للشرع وحده . فكان عليه أن ينصح المريد إذا دخل بلد ما ، أن يذهب لمسجده ليصلي فيه ، و هو المأثور عن الرسول عليه الصلاة و السلام[4] .

و ثاني صوفية الحنابلة هو الفقيه هبة الله بن حبيش البغدادي(ت563 هـ/1167م)، كان مقدم جماعة الصوفية في رباط بدرزيجان، بضواحي بغداد[5]. و الثالث عثمان بن مرزوق المصري(ت564 هـ/1168م) انتهت إليه تربية المريدين بمصر و أعمالها ، و عظّمه الشيوخ و حكّموه فيما اختلفوا فيه ، و كان معها من الأصحاب ستمائة رجل؛و من أقواله المأثورة : ((من لم يصبر على صحبة مولاه ، ابتلاه الله بصحبة العبيد))[6] .و الرابع هو الفقيه جاكير محمد بن دشم الكردي(ت590 هـ/1193م) ،كان له اتباع و مريدون ،و زاوية بسامراء[7] . الخامس هو الفقيه عمر بن مسعود الفراس

---

[1] نفس المصدر ج 2 ص : 206 .

[2] عن ذلك انظر : المبحث الثالث من الفصل الثالث .

[3] نعم من أخلاق الإسلام زيارة العلماء و الصالحين ،و الاعتراف لهم بالفضل و الاستفادة منهم ، لكن هذا شيء ،و ما قرره الشيخ الجيلاني شيء آخر .

[4] النووي : رياض الصالحين ،كتاب آداب السفر ص : 310 ، 318 .

[5] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 302 .

[6] نفس المصدر ج 1 ص : 306 .و الشعراني : المصدر السابق ج 1 ص : 150 ، 151 .و المناوي : المصدر السابق ج 2 ص : 226 .

[7] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص : 305 . و ابن الفوّطي : المصدر السابق ق 2 ج 4 ص : 575 ، 774 .

البغدادي(ت608 هـ/1211م)، تفقّه على الشيبخ الجيلاني ، و سلك طريقته ، و انقطع في زاوية له ، فأنظم إليه جماعة من الأصحاب و المريدين ،و قصده الناس بالنذور و الفتوح ، و تاب على يده خلق كثير و ألبسهم الخرقة[1] . و السادس هو المقرئ عفيف الدين بن دلف البغدادي(ت637 هـ/1239م) كان صوفيا متفرغا لقضاء حوائج الناس ، و السعي في الشفاعات لدى الصدور و الوزراء و الأمراء[2] .

و أما السابع فهو الحافظ محمد بن أبي الحسن اليونيني(ت658 هـ/1259م) يعد من أقطاب صوفية عصره ، خدم الصوفي عبد الله اليونيني(ت617 هـ/1220م) ، وتزوّج بابنته ، و كان شيخه هذا يرجع إليه في الفتاوى و يثني عليه[3] . و الثامن هو أبو القاسم بن يوسف الحواري(ت663 هـ/1264م) له زاوية و أتباع ببلدة حوارى من بلاد الشام ، و مريدوه لا يحضرون سماعا بالدف[4] . و التاسع هو الفقيه احمد بن الشيخ العماد المقدسي(ت688 هـ/1289م) تصوّف و انفرد في زاوية له ، و صار له أتباع لا عمل لهم إلا الأكل و البطالة و يقال: إن شيخهم كان يتناول الحشيش المخدر، و يسميه لقيمة الذكر و الفكر[5] . فهذا الرجل نموذج سيئ للفقيه الصوفي الذي أخرجه تصوّفه عن قانون الفقه ،و أدخله في السلبية و العجز و اللهو ، و الأشراف بطالين أكالين باسم التدين .

و آخرهم هو المؤرخ قطب الدين موسى بن الصوفي محمد اليونيني(ت726 هـ/1325م) ، ملك عليه التصوف مشاعره و أفكاره ، ولم يترك لمذهبه الحنبلي في نفسه و فكره إلا حيزا صغيرا ، فهو صوفي أولا ، ثم حنبلي ثانيا . و مما يثبت ذلك أنه لم يكن ينكر على الصوفية أفعالهم الغريبة المنافية للشرع و للذوق السليم ؛ فمن ذلك أنه روى أن الصوفي أبا محمد بن شكر اليونيني (ت647 هـ/1249م) داوم على خشونة العيش و المجاهدة ، حتى حصل له يبس في دماغه افسد مزاجه وأورثه تخيلت باطلة ، فتارة يتخيل أن جماعة عزموا على اغتياله ،و تارة يتوهم أنه اطلع على أماكن فيها كنوز و أموال جليلة[6] . فهو هنا روى الخبر و سكت عنه و وصف فاعله بالزاهد العارف[1] ، و لم

---

[1] ابن النجار : المصدر السابق ج 20 ص : 124 .

[2] ابن الفوطي : المصدر السابق ق 1 ج4 ص : 492 .

[3] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 229 .و الذهبي : تذكرة الحفاظ ج 4 ص : 1439 .و البن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص : 294 . و ابن كثير : المصدر السابق ج 13 ص : 228 .

[4] ابن رجب : نفس المصدر ج 2 ص : 227 .

[5] الصفدي : نكت الهميان ص : 92 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 : 403 .

[6] اليونيني : المصدر السابق ج 3 ص : 135 .

يشر إلى أن فعله هذا تعذيب للنفس وإضرار بالجسد ،و أنه يخالف قوله تعالى: ((كلوا و اشربوا و لا تسرفوا))–سورة الأعراف/31– .

كما أنه وصف مجالس الصوفية–بما فيها من مآكل و مشارب، و رقص و غناء– و لم ينكر عليهم أفعالهم ، بأنها تتنافى مع الزهد و الورع ،و التقشف الذي يتظاهرون به[2] . و الأكثر من ذلك أنه حضر بعض مجالسهم ، ومدح القائمين عليها و الحاضرين فيها ،و روى عن نفسه أنه كان يسمع أن الأمير حسام الدين لاجين الجوكندار(ت662 هـ/1263م) يعقد مجالس الصوفية ،و ينفق عليهم أموالا طائلة ، فكان يحمله على المبالغة و المجازفة ، فلما حضر مجلسا للصوفية دعاهم إليه هذا الأمير ، وجد أن الأمر أكثر مما وصف له[3]. وموجزه : بعد صلاة المغرب مدّ سمط عظيم فيه أنواع كثيرة من المأكولات ، منها : مائة خروف ،و تسعمائة طير من الدجاج . و بعد صلاة العشاء افتتح مجلس الغناء و الرقص ،و استمر إلى قرب صلاة الفجر ؛ قد قسّم المجلس إلى ثلاث نوبات ، في الأولى غنوا و رقصوا ، ثم توقفوا لتناول الحلويات . ثم نهضوا للنوبة الثانية ، فغنوا و رقصوا ، ثم جلسوا لتناول الفواكه النادرة و المتنوعة . ثم قاموا للثالثة فغنوا و رقصوا ، ثم مدّ لهم سماط فيه البندق و الفستق ،و الزبيب و الكعك ، و غيرها من المأكولات. ثم أدخلهم الأمير إلى الحمام ،و أعطى لبعضهم ملابس جديدة حسنة ، لأنهم كانوا قد خلعوا قمصانهم في الرقص ، ثم أخذهم إلى داره و سقاهم الأشربة و أعطاهم الحلويات[4] .

كل ذلك رواه قطب الدين اليونيني–هو شاهد عيان– من باب المدح و الإعجاب و لم يستنكره ، أخبرنا أن أسعار القمح و اللحم و الدجاج كانت غالية جدا[5] . ليبّين لنا أن الأمير جواد و محب للصوفية ، و ينفق عليهم بسخاء و بذخ رغم غلاء الأسعار ؛ و نسي أنه كان من الواجب شرعا أن تعطي تلك الخيرات للمحتاجين ، و لا تنفق على هؤلاء الصوفية البطالين الأكالين ، و الرقاصين الشرهين المبذرين .

و من آثار التصوف على فكر قطب الدين اليونيني و سلوكه، أنه يتوسل إلى الله تعالى بالصوفية الأموات ليقضوا له حاجته[6] . و فعله هذا يتنافى مع مذهبه الحنبلي الذي يعتبر التوسل إلى الله

---

[1] اليونيني: المصدر السابق ج 3 ص : 135 .
[2] انظر : نفس المصدر ج 2 ص : 301 ، 302 ، ج 4 ص : 227 .
[3] نفس المصدر ج 2 ص : 301 .
[4] نفسه ج 2 ص : 301 ، 302 .
[5] نفس المصدر ج 2 ص : 303 .
[6] اليونيني : المصدر السابق ج 2 ص : 316 .

بالأموات شركا[1] .كما أنه لا يفرق بين الصوفية المستقيمين ،و بين الصوفية المنحرفين ، أنه يواليهم كلهم ،و يمدحهم و يترضى عليهم ، فلا فرق عنده بين من قال بوحدة الوجود ، و بين من فرّق بين الخالق و المخلوق .

و أما علماء الحنابلة المتأثرون بالتصوف وغير صريحي الانتماء إليه ، فمنهم : الواعظ سعد الله بن نصر الدجاجي البغدادي(ت564 هـ/1168م) كان مخالطا للصوفية ، فلما مات دفن برباط لهم لأنه أقام عندهم مدة ؛ لكن الحنابلة لم يعجبهم ذلك ، فمازالوا يلومون ولده على إبقاء أبيه هناك ، حتى نبش قبره ليلا- بعد خمسة أيام من وفاته- و دفنه بمقبرة الإمام احمد[2] . و هذا الموقف من الحنابلة يدل على اعتزازهم بطائفتهم ، و على عدم رضاهم عن الصوفية . و الثاني هو الأديب يحيى بن يوسف الصرصري البغدادي الضرير(ت656 هـ/1258م) خالط الصوفية أحبهم ، و لبس خرقتهم و حضر سماعهم[3] .

و الثالث هو الطبيب أبو اسحق بن احمد الرقي الدمشقي(ت703 هـ/1303م) ، كان يحضر-أحيانا- غناء الصوفية و يتواجد ، و له اعتقاد في متصوّف منحرف مخالط للكلاب ، يعرف بسليمان الكلاب ،و يقال أن حاله قد خفي على الرقي فغلط فيه[4] . وآخرهم المؤرخ عبد الرزاق بن الفوّطي البغدادي(ت723 هـ/1323م) خالط الصوفية و مدحهم ،و لبس خرقتهم ،و بالغ في الثناء عليهم ،و سكن معهم في أربطتهم لقلة ذات يده [5] . و ربما كان تأثره بالتصوف و الفلسفة ، و تكلم الناس في عقيدته ، هو السبب في دفنه بمقبرة الصوفية في بغداد ، و عدم دفنه مع الحنابلة في مقبرة الإمام أحمد بباب حرب في بغداد[6].

و من مظاهر تأثر علماء الحنابلة بالتصوف و ترقيهم في سلّمه أن طائفة منهم تولت مشيخات الصوفية في أربطتهم ، منهم : الفقيه هبة الله بن حبيش البغدادي (ت 563 هـ/1167م) فوضت

---

[1] ابن تيمية : قاعدة جليلة في التوسل و الوسيلة ، حققه السيد الجميلي الجزائر دار الشهاب د ت ، ص : 63 ، 173 .و ناصر الدين الألباني: التوسل :أنواعه و أحكامه ط3 ، د م ن ، دار الاستقامة 1984 ص : 46 .

[2] ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات مج 4 ج 1 ص : 76 .

[3] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 263 .

[4] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 349 ، 350 .و الداودي : المصدر السابق ج 1 ص : 5 ، 6 .

[5] ابن الفوطي : المصدر السابق ق1 ج4 ص: 48 ،69 ،81 ،96 ،148 .و مصطفى جواد : المرجع السابق ج1 ص:554 ،555 .

[6] ابن رجب : المصدر السابق ج2 ص:376 .و ناجي معروف : تاريخ علماء المستنصرية ج2 ص :87 .

إليه مشيخة رباط بدرزيجان من ضواحي بغداد[1]. و الثاني هو الفقيه عبد الرحمان بن التانرايا البغدادي (ت 226 هـ/ 1228م) أسندت إليه مشيخة رباط الزوزني ببغداد في سنة 608 هـ/ 1211م مع النظر في أوقافه[2]. و الثالث هو المقرئ عبد العزيز بن دلف البغدادي (ت 637 هـ/ 1239م) تولى مشيخة رباط الحريم بدار الخلافة في بغداد[3].و الرابع هو قاضي القضاة شمس الدين محمد بن إبراهيم المقدسي (ت676 هـ/1277م) أسندت إليه مشيخة خان قاة سعيد السعداء بمصر[4]. و آخرهم المحدّثة أمة الكريم بنت ناصح الدين بن الحنبلي الدمشقية (ت 679 هـ/ 1280م) تولت مشيخة رباط بلدق للصوفيات بدمشق[5].

و أشير هنا إلى أربعة أمور عن صوفية الحنابلة ، أولها : أنهم لبسوا خرقة الصوفية[6] و صنف فيها كبيرهم الشيخ عبد القادر الجيلاني رسالة في تلبيسها على طريقة الصوفية[7]. فهل لهذه الخرقة من أصل صحيح ؟. فقد ذكر لها الصوفية روايات منها ثلاثة طرق أوصلوها إلى النبي -صلى الله عليه و سلم - ففي الطريق الأول يوجد فيه العبد الصالح الخضر . و الثاني فيه علي بن أبي طالب ، و عنه أخذ الحسن البصري الخرقة . و الثالث فيه علي بن أبي طالب و عنه أخذ جعفر الصادق الخرقة و عن هؤلاء أخذ الصوفية خرقتهم[8]. و هناك من يذكر الطريقين الأخيرين و يوقفهما عند الإمام علي دون ذكر للنبي– صلى الله عليه و سلّم–[9]. و لهم طريق رابع مفاده أن الصوفي أبا بكر بن هوار رأى في المنام أبا بكر الصديق فألبسه خرقتين ، فلم استيقظ وجدهم عليه ، و عنه توارثها الصوفية[10].

و أقول : لقد اتفق النقاد المحققون من المحدثين كابن الصلاح، و الذهبي و ابن حجر على أنه لم يرد في خبر صحيح ، ولا حسن ، ولا ضعيف ، أنّ الرسول – عليه الصلاة و السلام – ألبس الخرقة أحدا من أصحابه ، ولا أمر بها . وكل ما يروى في ذلك باطل ، ومن الكذب المفترى القول بأن عليا

---

[1] ابن رجب : المصدر السابق ج1 ص :302 .
[2] نفس المصدر ج2 ص :173 .
[3] نفس المصدر ج2 ص :219، 218 .
[4] نفس المصدر ج2 ص : 294 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج5 ص :354 .
[5] الصفدي : المصدر السابق ج9 ص :387 .
[6] أنظر : ابن رجب المصدر السابق ج2 ص : 283 ،354 . و ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق ج5 ص :286 .
[7] توجد منها نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية . سيد فؤاد : فهرست المخطوطات ج1 ص :389 .
[8] ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ج3 ص :409، 410 .
[9] السبط ابن الجوزي : المصدر السابق ج8 ص: 266 .
[10] الشعراني : الطبقات الكبرى ج1 ص :154 . و ابن الوردي : ج2 ص :114 .

ألبس الحسن البصري الخرقة ، لأنّ أصحاب الحديث لم يثبتوا للحسن البصري سماعا منه[1] ، فضلا على أن يلبسه الخرقة[2]. و أما القول بأن الخضر أخذها عن النبي -صلى الله عليه و سلّم- فباطل لأنه توفي قبله بقرون مديدة زمن موسى -عليه السلام-[3].

و يرى ابن الجوزي أن إسناد خرقة الصوفية كله كذب و محال[4]. و ذهب المؤرخ ابن خلدون إلى القول بأن الصوفية لما أرادوا أن يجعلوا للباسهم أصلا رفعوا لباس الخرقة إلى علي ابن أبي طالب الذي لم يكن يختص من بين الصحابة بنحلة ولا طريقة في لباس ولا حال . وقد كان الصديق و الفروق أزهد الناس و أعبدهم بعد رسول الله ، ولم يختص واحد منهما في الدين بشيء[5]. و هذا ردّ من ابن خلدون على الصوفية ،و نقد لهم و تكذيب لهم في دعواهم ، بطريقة لينة ذكية صحيحة . و أما دعواهم إلباس الصديق خرقتين لأحد الصوفية في المنام ، فهي هروب من الحقيقة و إحالة على مجهول . فهم عندما أعوزهم الدليل التاريخ الصحيح و تبيّن لهم بطلان روايتهم عن الخرقة لجؤوا إلى المنامات هروبا من النقد . و ما أسهل الاستنجاد بالأحلام لاختلاق الأخبار ، فهي في متناول كلّ إنسان ! و متى كانت المنامات من أدلّة الشرع ، ومن طرق إثبات الحوادث التاريخية ؟ .

و الأمر الثاني هو أنهم شاركوا الصوفية في سماعهم و رقصهم و ترخّصوا فيهما ، بالرغم من أن الثابت عن إمامهم أحمد بن حنبل ، و الراجح عند علمائهم تحريمهما[6]. مما جعل بعضهم يتحرج من ذلك السماع و يسعى للتخفيف منه لعله يخرجه من دائرة الحرام كأبي القاسم بن يوسف الحواري الذي كان يعقد مجالس السماع في زاويته دون استخدام للدفّ[7] .و المقرئ علي بن عثمان الوجوهي البغدادي (ت 672 هـ/ 1273م)الذي لم يكن يحضر السماع في رباط ابن الأثير -وهو شيخه- ، و ينكر على الصوفية اجتماعهم عليه[8].

---

[1] إذا كان ذلك باطلا في حق الحسن البصري المتوفى سنة 110 هـ/ 728 م ، فإنّ الإدعاء بأنّ جعفر الصادق (ت 158 هـ /774م) أخذ الخرقة عن علي فهو أولى بالبطلان .

[2] الشوكاني : الفوائد المجموعة ص : 253 . و ابن الديبع : تمييز الطيب من الخبيث ص :205 .

[3] ابن قيم الجوزية : المنار المنيف ص :58 وما بعدها .

[4] ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص : 216 .

[5] ابن خلدون : المقدمة ص :386 .

[6] عن ذلك أنظر المبحث الثالث من الفصل الثالث .

[7] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج5 ص :314 .

[8] ابن رجب : المصدر السابق ج2 ص :285 .

و أما الثالث فهو أنه لا يوجد من بين صوفية الحنابلة-خلال القرنين: 6-7هـ/12-13- من ادعى الحلول و وحدة الوجود ، في زمن ظهر في كبار الاتحاديين ، كمحي الدين بن عربي(ت638 هـ/1240) ،و قطب الدين بن سبعين الإشبيلي(ت669 هـ/1270م)[1] ،و العفيف سليمان بن علي التلمساني(ت690 هـ/1291م)[2] . و يعود سبب عدم قول هؤلاء بالحلول و الاتحاد ، إلى مذهبهم في موقفه المتشدد من التصوف و أتباعه ، و إلى شدة تمسكه بالنص، و ما كان عليه السلف الأول . كما أنه لا يعرف من بين صوفية الحنابلة من مدح الحلولي أبا منصور الحلاج البغدادي(ت309 هـ/921م)، و عظّمه و والاه ؛ و عند ما سئل عنه الشيخ عبد القادر الجيلاني قال: ((جناح طال دعواه ، فسلّط عليه مقراض الشريعة فقصّه))[3] ،و قال عنه كذلك : ((عثر الحسين الحلاج فلم يكن في زمانه من يأخذ بيده))[4] .

لكن الصوفي عبد الله الأنصاري الهروي الحنبلي[5](ت481 هـ/1088م) ، اتهم بالاتحاد و لحلول ، و انتحله ((قوم من الاتحادية و عظّموه، و ذمه قوم من أهل السنة و قدحوا فيه بذلك))[6] . و ذهب تقي الدين بن تيمية إلى القول بأنه ليس في كلام الأنصاري شيء من الحلول العام، لكن فيه شيء من الحلول الخاص في حق العبد العارف الواصل إلى ما سماه بمقام التوحيد ، و قد أباح بذلك و كنى عنه[7] . لكن الحافظ ابن رجب يرى أن هؤلاء فد أخطؤوا في حق الأنصاري و لم يفهموه ، لأنه كان ((كثير الإشارة إلى مقام الفناء في توحيد الربوبية ، و اضمحلال ما سوى الله تعالى في الشهود-أي القلبي- لا في الوجود-أي المادي- فيتوهم فيه أنه يشير إلى الاتحاد ... و قد انتصر له شيخنا أبو عبد الله بن القيم في كتابه[8] الذي شرح فيه: المنازل[9] ، و بيّن أن حمل كلامه على قواعد الاتحاد زور و باطل))[10] .

ثانيا : تأثرهم بالفكر الشيعي:

---

[1] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص : 329 .
[2] نفس المصدر ج 5 ص : 412 .
[3] ابن رافع السلامي : المنتخب المختار ص : 10 .
[4] الشعراني : المصدر السابق ج 1 ص : 126 .
[5] هو من صوفية الحنابلة الذين عاشوا في القرن الخامس الهجري/11م .
[6] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 84 .
[7] ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج 5 ص : 485 .
[8] عنوانه : مدارج السالكين في منازل أياك نعبد و إياك نستعين ، و هو مطبوع و متداول .
[9] هو لعبد الله الأنصاري و عنوانه الكامل : منازل السائرين .
[10] ابن رجب : المرجع السابق ج 1 ص : 84 .

ذكرنا سابقا أن كل من الحنابلة و الشيعة- الاثنى عشرية- يضلل الآخر ، لذا لم أعثر -خلال القرنين:6-7هـ/12-13م- إلا على ثلاثة[1] من علماء الحنابلة ،ظهر عليهم التأثر بالفكر الشيعي ؛ أولهم النجم سليمان بن عبد القوي الطوفي البغدادي(ت716 هـ/1316م) انتهى به تأثره بالفكر الشيعي إلى التصريح علانية بانتمائه إلى الرافضة ،فكان يسب الصدّيق و عائشة أم المؤمنين ،و كبار الصحابة-رضي الله عنهم- و يقول عن نفسه :

أشعري حنبلي رافضي × هذه إحدى العبر[2]

و عندما شاع أمره بين الناس عزّره القاضي الحنبلي بمصر سعد الدين احمد بن مسعود الحارثي ، بالضرب و التشهير و الحبس ثم النفي[3] . و يرجع سبب تشيّعه إلى أنه أثناء إقامته بالمدينة المنورة ، خالط الشيعة و صحب شيخهم المعروف بالسكاكيني ، فتأثر به و تابعه وأصبح يسب الصحابة . و يقال أنه تاب عن الرفض عندما كان محبوسا بمصر [4]، لكن ابن رجب يرى أن ما أظهره النجم الطوفي ، هو من تقيته و نفاقه لأنه رافضي سبّاب[5] .

و أما الثاني فهو المؤرخ عبد الرزاق بن الفوّطي(ت723 هـ/1323م) ترك فيه الشيعة الإمامية أثارا عميقة كادت أن تقتل فيه حنبليته و تلحقه بهم ، فهو يعظم أئمتهم الاثنى عشر ن ويقول عنهم : عليهم السلام[6] .و ترجم لإمامهم الثاني عشر[7]- المزعوم-محمد بن الحسن العسكري ،و سماه صاحب الزمان معتقدا بوجوده[8] .كما أنه خالط بعض علمائهم ،و سكن معهم و أثنى عليهم[9] .و بالغ في تعظيم شيخه النصير الطرسي و أولاده ، و وصفه بأنه نصير للحق و الدين[10].و نسي أن شيخه

---

[1] عاشوا معظم حياتهم في القرن السابع الهجري .

[2] ابن رافع السلامي :المصدر السابق ص : 60 . و ابن حجر العسقلاني : المصدر السابق ج 2ص : 154 : و ابن رجب : نفس المصدر ج 2 ص : 368 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 6 ص : 39 .

[3] ابن رجب: نفس المصدر ج 2 ص : 369 .و ابن حجر : نفسه ج 2 ص : 154 و ما بعدها .

[4] نفسه ج 2 ص : 369 ، 370 . وابن طولون : المصدر السابق ج 2 ص : 389 .

[5] ابن رجب : نفسه ج 2 ص : 370 .

[6] انظر : ابن الفوّطي : المصدر السابق ق 2 ج 4 ص : 654 و ق3 ج4 ص : 159 .

[7] يدعي الشيعة أنه واد نحو سنة 255هـ ، وأنه اختفى في سامراء و له نحو خمس سنوات ، و يقولون أنه ما يزال حيا إلى اليوم ،و هم ينتظرونه . أنظر : ابن الفوطي : المصدر السابق ق 3 ج 4 ص : 668 ، 869 .و ابن قيم الجوزية : المنار المنيف ص : 119 .و إحسان إلهي ظهير : الشيعة و التشيع ، ط 4 باكستان ، إدارة ترجمان السنة 1984 ص : 272 و ما بعدها .

[8] ابن الفوّطي : نفسه ق 3 ج 4 ص : 668 ، 669 .

[9] انظر : نفس المصدر ق 1 ج4 ص ك 24 ، 48 ، 49 ، و ق 3 ج 4 ص : 318 ، 319 .

[10] نفس المصدر ق 1 ج 4 ص : 21 . و ق 3 ج 4 ص : 367 ، 418 ، 464 ، 465 ، 556 . و ق 4 ج 4 ص : 716 ، 728 ، 742 .

هذا أنه شيعي معتزلي المعتقد[1]،و مذهبه يكفّر كل أهل السنه[2]،و أنه كان وزيرا للطاغية المغول هولاكو خان ، وجاء معه إلى بغداد و شارك في تدميرها و قتل أهلها ، وأنه استولى على مصنفات الناس في الشام و العراق ،وأحرق كتب العلوم الشرعية[3] .

فيتبن مما ذكرنها أن ابن الفوّطي قد تشيّع بالفعل ولم يبق ما يربطه بالحنبلية إلا خيط رقيق ، و مما يزيد الأمر تأكيدا أنني أولا لم أجد في كتابه تلخيص مجمع الآداب ، الروح الحنبلية السلفية التي نجدها في مصنفات علماء الحنابلة ،كالإكثار من الثناء على السلف و أئمة الحنابلة ،و الذم لأهل الأهواء و المبتدعة، من المتكلمين ،و الشيعة ،و الفلاسفة ،و الصوفية المنحرفين[4] .و ثانيا أنه يصف أتباع مذهبه-أي الحنابلة- بالطائفة الأحمدية ، و لا يسميهم باسمهم المعروفين به بين الناس[5]،و لا يظهر ميله إليهم و الاعتزاز بهم و مدحهم ، بما يوحي أنه منهم و على مذهبهم ؛ لكنه عندما ترجم لأعيان الشيعة أطنب في تعظيمهم و الثناء عليهم ،و عندما ترجم لإمامهم المهدي المنتظر قرر فيه مذهبهم ،و لم يذكر ما تقوله فيه المذاهب السنية الأربعة. و ثالثا أنني لم أعثر له على أي كتاب في نصرة مذهبه الحنبلي ،و لا في المذاهب السنية الأخرى ، لكن شيخه النصير الطرسي لم ينسيه علم الكلام و الفلسفة في أن ينصر مذهبه ، فصنف كتاب : تجريد العقائد في عقائد الشيعة الإمامية[6] .

و يرى الباحث مصطفى جواد أن مخالطة ابن الفوّطي للصوفية و الشيعة هي التي خففت من حنبليته[7] . لكنني أعتقد أن تعاطي ابن الفوّطي لعلم الكلام و الفلسفة ،و معاشرته للصوفية و الشيعة ، ليس أنهما[8] خففا من حنبليته ، بل أفسدا تفكيره ،و أماتا فيه نخوته لمذهبه و اعتزازه به ، حتى أن كتب التراجم و التواريخ[9] التي ترجمت لم تذكر له مذهبا ، ما عدا ابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة[10] ،و ابن العماد الحنبلي في الشذرات[11] .

---

[1] ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ج 2 ص : 307-308 .

[2] انظر : الكليني : المصدر السابق ج 1 ص : 187 .

[3] انظر : ابن شاكر الكتبي : المصدر السابق ج 2 ص : 302 .و الصفدي : المصدر السابق ج 2 ص : 307 .و ابن تيمية : التفسير الكبير ج 2 ص : 6 و ج 3 ص : 132 .

[4] انظر مثلا : كتاب تحريم النظر ، و مناظرة في القرآن الكريم ، لابن قدامة المقدسي .

[5] انظر : ابن الفوّطي : المصدر السابق ق 1 ج4 ص : 121 .و ق 4 ج 4 ص : 761 .

[6] عبد الله الجبوري : المستدرة على الكشاف من مخطوطات خزائن كتب الأوقاف ط 1 بغداد مطبعة المعارف 1965 ص : 170 .

[7] مصطفى جواد : في التراث العربي ج 1 ص : 555 .

[8] هما : تعاطي علم الكلام و الفلسفة ، و معاشرة الصوفية و الشيعة .

[9] التي اطلعت عليها .

[10] ج 2 ص : 374 .

[11] ج 6 ص : 60 .

و أما الأسباب التي أوصلت ابن الفوّطي إلى هذه الحالة ، فأهمها أنه عندما أسره المغول في سنة 656هـ/1258م لم يكن نضج علميا ، و لم يترسّخ فيه المذهب الحنبلي إذ كان له من العمر أربع عشرة سنة[1]، فوجد نفسه في بيئة جديدة و غريبة عنه ، فكرا و سلوكا و لغة ، فكأنه ولد من جديد، فتعلّم اللغة الفاريسية ، و طلب علوم الأوائل ، و عاشر الشيعة و الصوفية و المغول فأصبح منهم ، مما أضعف فيه القدرة على المقاومة و التمسك بمذهبه الحنبلي .

و آخرهم هو المؤرخ قطب الدين اليونيني(ت726 هـ/1225م)، كان أقل تأثرا بالفكر الشيعي بالمقارنة إلى سابقيه . فمن ذلك أنه مدح و ترحّم على بعض علماء الشيعة المغالين في الرفض[2] ، كأحمد بن معقل البعلي(ت671 هـ/1272م)[3]، و النصبر الطوسي(ت672 هـ/1273م) الذي ذكر أنه شيعي معتزلي ، ثم مدحه و ترحّم عليه[4]، و لم يورد مثالبه ،و لا دوره مع هولاكو ، و لا ما يقوله خصومه فيه . لكنه عندما ترجم للمؤرخ أبي شامة المقدسي(ت665 هـ/1266م) تنقّصه و ذكر مثالبه[5] ، ربما لمجرد لأنه لم يكن على وفاق مع والده محمد اليونيني بسبب ما حدث بينهما من نزاع في بعض المسائل العلمية[6] .

و يستنتج مما ذكرناه عن تأثر علماء بالتصوف و التشيع-خلال القرنين:6-7هـ/12-13م- أن مجموعهم بلغ تسعة و ثلاثين عالما ، منهم ثلاثة فقط تأثروا بالفكر الشيعي، و ستة وثلاثون تأثروا بالتصوف ، منهم تسعة و عشرون انتموا إليه ، و خمسة من أقطابه ، و هم :عبد القادر الجيلاني ،و عثمان بن مرزوق ، و جاكير محمد الكردي ،و أبو القاسم الحواري ، و محمد اليونيني .

كما أن المتشيعين منهم كان عددهم قليلا جدا ، مما يدل على أن الغالبية العظمى من علماء الحنابلة، يتمتعون بحصانة مذهبية قوية تجاه التشيع ،حالت دون تأثرهم به ،و إن كان بعضهم قد تأثر به و انتمى إليه كالنجم الطوفي ،و ابن الفوّطي الذي ترك فيه آثارا عميقة و كاد أن يلتحق به .

المبحث الثالث : انتقال علماء الحنابلة إلى المذهبين الشافعي و الحنفي

استقر الحال بأهل السنة في المشرق الإسلامي-خلال القرنين:6-7هـ/12-13- على التمذهب بأربعة مذاهب فقهية دون سواها ، و انقسموا إلى طوائف متنافسة ،كل منها مستقل بعلمائه و

[1] انظر : ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 374 و متا بعهدها .
[2] انظر : اليونيني : المصدر السابق ج 3 ص : 11 ، 79 ، 148 ، 219 ، 221 ، 222 .
[3] نفسه ج 3 ص : 11 .
[4] نفسه دج3 ص : 11 ، 79 .
[5] اليونيني : المصدر السابق ج 2 ص : 367 ، 368 .
[6] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 273 .

مؤسساته ، و يسعى جاهدا إلى جذب أكبر عدد ممكن من الاتباع إلى صفه بمختلف الوسائل ، مما أدي ببعض علماء الحنابلة إلى تغيير مذهبهم ،و الالتحاق بالشافعية أو بالحنفية .

أولا : انتقالهم إلى المذهب الشافعي:

أحصيتُ من علماء الحنابلة الذين تحوّلوا إلى الشافعية ثمانية عشر عالما[1] ، من بينهم ستة تولّوا التدريس في المدارس الشافعية بعد تركهم لمذهبهم ، أولهم : أبو الفتح بن الحمامي البغدادي(ت514 هـ/1120م) نقم عليه الحنابلة أشياء لم تحتملها أخلاقهم الخشنة ، فانتقل إلى الشافعية و تفقّه عليهم من جديد ، فوجدهم على أوفى ما يريد إجلالا و إكراما ، و جعلوه مدرسا لهم في نظامية بغداد .و لا تعرف الأمور التي أنكرها عليه الحنابلة ، إذ لم يذكرها المؤرخان ابن الجوزي ،و ابن كثير ، اللذان ترجما له[2] . و ربما كانت متعلقة بمسائل العقائد و علم الكلام ، مما جعله لا يتحمل مضايقاتهم و يلتحق بالشافعية ، و لا يعرف رد فعل الحنابلة تجاه ما أقدم عليه ، فهل سكتوا عنه ، أم طاردوه و ضيقوا عليه كما طاردوا من قبله الخطيب البغدادي(ت463 هـ/1060م)[3] ،و ابن عقيل[4] .

و الثاني هو الفقيه المجير أبو القاسم بن المبارك البغدادي(ت593 هـ/1196م) ، عيّنه الشافعية-بعد تحوّله إليهم- مدرسا بنظامية بغداد[5] .و الثالث هو الفقيه أبو الخير البغدادي ، انتقل إلى المذهب الشافعي في سنة 604هـ/1207م ،و درّس بمدرسة أم الخليفة الشافعية في بغداد ،و حضر عنده الأكابر من سائر الطوائف[6] . و الرابع هو الفقيه أبو العباس احمد بن الشهاب محمد بن

---

[1] انظر : ابن رجب البغدادي : المصدر السابق ج 2 ص : 32 ، 57 ، 63 .و ابن كثير : المصدر السابق ج 12 ص : 13 ، 194 و ج 13 ص : 39 ، 60 ، 69 ، 140 ، 141 ،149 ، 156 ، 158 . الصفدي : المصدر السابق ج 2 ص : 129 و ج 5 ص : 253 ،و ج 9 ص : 14 .و أبو شامة : الذيل على كتاب الروضتين ص : 10 . الذهبي : العبر ج 3 ص : 233 .و المختصر المحتاج إليه ص : 92 .و سيّر أعلام النبلاء ج 23 ص : 1-08 .و تاريخ الإسلام ج: 611-620 هـ/ص : 392 . و ج: 631-640هـ/ص : 169 . وميزان الاعتدال ج 3 ص : 558 . و اليونيني : المصدر السابق ج 2 ص : 680 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص : 31 . وابن الجوزي : المنتظم ج 10 ص : 137 . و السيوطي : بغية الوعاة ج 2 ص : 212 . و بشار عواد معروف : المنذري وكتابه التكملة بغداد مطبعة النجف 1968 ص : 29 ، 43 ، 44 .

[2] ابن الجوزي : نفس المصدر ج 9 ص : 251 .و ابن كثير : نفس المصدر ج 12 ص : 49 . و طبقات فقهاء الشافعيين ج 2 ص : 546 .

[3] كان حنبليا ثم تحوّل إلى الشافعية . ابن الجوزي : نفس المصدر ج 7 ص : 267 .

[4] بسبب ميله إلى المعتزلة ، ثم عاد إلى أصحابه . ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 173 .

[5] أبو شامة : المصدر السابق ص : 10 .

[6] ابن كثير : البداية و النهاية ج 13 ص : 49 .و الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 23 ص : 108 .

خلف المقدسي(ت 683 هـ/1240م) انتقل إلى الشافعية بعدما جاوز الخامسة و الثلاثين من عمره ، فناب عنهم في القضاء ،و عيّنوه مدرسا بالمدرسة العذراوية بمدينة دمشق[1] .

و أما الخامس فهو الفقيه أبو بكر محمد بن يحي المظفر البغدادي(ت639 هـ/1241م) ، درّس للشافعية بالمدرسة النظامية ،و الأصبهبندية ، و الفخرية ببغداد ،و ناب في القضاء عن القاضي أبي عبد الله بن فضلان الشافعي(ت595 هـ/1198م)[2]. و ذكر الحافظ ابن رجب أن هذا الرجل غيّر مذهبه طلبا لمتاع الدنيا[3] ، و قال عنه المؤرخ ابن كثير : إنه نال من المذهب الشافعي منالا كثيرا[4] . و آخرهم الأديب شمس الدين بن أبي الحسين البعلي (ت680 هـ/1281م) عيّنه الشافعية مدرسا لهم في مدرسة أمين الدولة بجامع بعلبك[5] .

و أما الباقون–من الذين تشفّعوا– فسأذكر منهم خمسة ، أولهم أبو بكر محمد بن حمد البندنيجي البغدادي(ت538 هـ/1143م) ، لم يثبت على المذهب الشافعي طويلا ، إذ انتقل إلى الحنفية ، فسماه الناس بحنفش[6] .و الثاني هو الفقيه أبو الحسن علي بن سعيد البغدادي(ت592 هـ/1195م) ، يقال أنه لم يثبت على المذهب الشافعي،و تحوّل إلى مذهب الشيعة الإمامية[7] . و الثالث هو المتكلم عمر بن السعادات الدباس البغدادي(ت601 هـ/1204م) عندما انتقل إلى الشافعية، اسكنوه في المدرسة النظامية ،و ولّوه الأشراف على مكتبتها[8] . و الرابع هو الفقيه أبو علي الحسن بن أبي بكر الزبيدي البغدادي(ت629 هـ/1231م) لم يستقر على المذهب الشافعي ، إذ سرعان ما التحق بالحنفية ، و رمي بالاعتزال[9] .

[1] ابن كثير : طبقات فقهاء الشافعية ج 2 ص : 830-831 .و ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ج 2 ص : 71 . و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 125 . و الذهبي : نفس المصدر ج 23 ص : 75 .

[2] الذهبي : تاريخ الإسلام ج :631-640 هـ/ص : 415 .

[3] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص :63 .

[4] ابن كثير : طبقات فقهاء الشافعيين ج 2 : 843 .

[5] الصفدي : المصدر السابق ج 2 ص : 129 .و اليونيني : المصدر السابق ج 2 ص : 680 .

[6] الذهبي: تاريخ الإسلام ج: 521-540 هـ/ص : 477 .و ميزان الاعتدال ج 3 ص : 558 .

[7] ابن كثير : البداية و النهاية ج 12 ص : 13 .

[8] ابن النجار : المصدر السابق ج 20 ص : 57 .

[9] الذهبي : تاريخ الإسلام ج: 621-630 هـ/ص : 342 .

و أما الخامس فهو المتكلم سيف الدين الآمدي(ت531 هـ/1233م) لما التحق بالشافعية تفقه من جديد على القاضي أبي عبد الله بن فضلان البغدادي[1]، و هو المتكلم الحنبلي الوحيد المعروف بأنه غيّر مذهبه و صار شافعيا . و آخرهم هو الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري المصري(ت656 هـ/1258م) كان حنبليا كوالده[2] ، ثم أصبح شافعي الفروع أشعري الأصول ،على يد الحافظ أبي الحسن بن المفضل المقدسي المالكي الأشعري (ت611 هـ/1214م) ، واستتابه على رؤوس الأشهاد عن مذهب الحنابلة ، و أعلن أمامهم تحوّله إلى مذهب الأشاعرة[3] ؛ لكي يتسنى له تولي المناصب التدريسية في ظل الدولة الأيوبية ، التي لم تكن تسندها للحنابلة ، فلما غيّر مذهبه درّس بالجامع الظافري ،و عين إماما بالمدرسة الصاحبية بالقاهرة[4] .

وفيما يخص الفقيه أحمد بن معالي الحربي البغدادي (ت 554 هـ/ 1159 م) فقد روى المؤرخان أنه كان حنبليا ثمّ تشفّع ثمّ عاد إلى مذهب الحنابلة[5]. لكن المؤرخين الذهبي و الصفدي ذكرا أن هذا الرجل تخلى عن مذهب الحنابلة و التحق بالحنفية ، ثمّ تحول إلى الشافعية ثمّ تركهم و تحرر من التمذهب وأصبح يقول : ((أنا الآن متّبع للدليل ، ما أقلد أحدا من الأئمة))[6]. و يبدو أن الرواية الأولى هي الأصح لأنّ راويها ابن الجوزي كان معاصرا لهذا الحنبلي .

و أشير هنا إلى أمرين ، أولهما هو أن المؤرخ ابن شاكر الكتبي الدمشقي (ت 764 هـ/ 1362م) ذكر أن قاضي القضاة أبا صالح ابن عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلاني (ت633 هـ/ 1235م)كان حنبليا ، ثم تحول إلى المذهب الشافعي[7] . وهذا الخبر به عن غيره من المؤرخين ، وهو خطأ بيّن ،لأنه من المعروف أن أول من تولى منصب قاضي القضاة من الحنابلة هو أبو صالح هذا[8]. و الأمر الثاني هو أن شافعية بغداد سعوا إلى إغراء اثنين من علماء الحنابلة ليتحولا إلى مذهبهم لكنهم فشلوا في ذلك ، أحدهما الأديب أبو البقاء العكبري الضرير (ت 616 هـ/ 1219م) ، ذهبوا إليه و

---

[1] الذهبي : سيّر أعلام النبلاء ج 22 ص : 364 .و ابن خلكان : المصدر السابق ج 2 ص : 455 . و ابن كثير : البداية و النهاية ج 13 ص : 140 ، 141 .

[2] لم أعثر في المصادر التي بين يدي أن المنذري و أباه كانا حنبليين . لكن الباحث بشار عواد معروف ذكر ذلك ن معتمدا على كتاب نزهة الأنام لابن دقمان(بشار عواد : المرجع السابق ص : 26) ، وهذا الكتاب لم أعثر عليه .

[3] نفس المرجع ص : 43 .

[4] نس المرجع ص : 44 .

[5] ابن الجوزي : المنتظم ج10 ص :190 . و ابن رجب : المصدر السابق ج1 ص : 232 .

[6] الذهبي : سير أعلام النبلاء ج20 ص : 315 . و الصفدي : المصدر السابق ج7 ص :112 .

[7] ابن شاكر الكتبي : المصدر السابق ج4 ص : 192 (طبعة إحسان عباس) .

[8] ابن رجب : المصدر السابق ج2 ص : 191 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج5 ص : 162 .

قالوا له : انتقل إلى مذهبنا و نعطيك تدريس النحو و اللغة العربية في المدرسة النظامية . فأقسم بالله و قال لهم : ((لو أقمتموني و صببتم عليّ الذهب حتى أتوارى ، ما رجعت عن مذهبي))[1].

و الآخر هو : المقرئ أبو محمد عبد الصمد بن أحمد البغدادي (ت 676 هـ/ 1277م) وذلك أنه عندما بنى الخليفة المستعصم بالله (640-656هـ /1242 /1258م) مسجد قمرية ببغداد و أمر وزيره[2] بجمع القراء لاختيار إمام له ، كان من بينهم عبد الصمد هذا ، فعرض عليه الوزير الانتقال إلى مذهب الشافعي ، فأبى ، فقال له الوزير : أليس مذهب الشافعي حسننا ؟ قال : بلى ، لكن مذهبي ما علمت فيه عيبا أتركه لأجله . فلما سمع به الخليفة و أعجبه ردّه ، جعله إماما للمسجد[3]

ثانيا : انتقالهم إلى المذهب الحنفي :

أحصيتُ من علماء الحنابلة الذين تحولوا إلى الحنفية ثمانية علماء-خلال القرنين :6-7هـ / 12/ 13م/ أولهم المقرئ أبو العز محمد بن القاسم البغدادي (ت 530 هـ/ 1135م)[4] . و الثاني وهو المتكلم أبو جعفر عبد السيد بن الزيتوني البغدادي (ت 542 هـ/1147م) عندما تحوّل إلى مذهب الحنفية أصبح ينصر الاعتزال[5] و الثالث هو الأديب أبو بكر الوجيه بن الدهان البغدادي (ت 612 هـ/ 1215م) أذاه الحنابلة فتحنّف ، ثمّ أذاه الحنفية فالتحق بالشافعية ، و جعلوه مدرّسا للنحو في المدرسة النظامية . وقد ذمّه كثير من الناس لعدم استقراره على مذهب واحد ، و اتّهموه بأنه يسعى وراء المكاسب المادية[6] ،و قالوا فيه أشعارا ، منها :

ألا مبلّغ عني الوجيه رسالة × و إن كان لا تجدي إليه الرسائل
تمذهبت للنعمان بعد ابن جنبل × و ذلك لما أعوزتك المآكل
و ما اخترت رأي الشافعي تدينا × و لكنما تهوى الذي هو حاصل
و عما قليل لا شك أنك صائر × إلى مالك فافهم لما أن قائل[7]

---

[1] ابن رجب : نفس المصدر ج2 ص :111 . و الصفدي : نكت الهميان ص :179 . و السيوطي : بغيت الوعاة ج2 ص :39 . الداودي: المصدر السابق ج1 ص : 232 .

[2] لم أجده .

[3] ابن رجب : نفس المصدر ج2 ص : 292 .

[4] الصفدي : الوافي بالوفيات ج4 ص :349 .

[5] ابن الجوزي : المصدر السابق ج10 ص : 28 . و الذهبي : المختصر المحتاج إليه ص :275 .

[6] ابن الأثير : المصدر السابق ج 9 ص : 311 . و الفيروز أبادي : البلغة ص ك 197 .و ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج 5 ص : 2263 . و الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 22 ص ك 87 .

[7] ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص : 337 –338 .و السيوطي : بغية الوعاة ج 2 ص : 274 .و ياقوت الحموي : نفس المصدر ج 5 ص : 2263 .

و الرابع هو المفسر أبو اليمن تاج الدين الكندي الدمشقي(ت613 هـ/1216 م) تحوّل إلى المذهب الحنفي في الفروع ، و بقي على مذهب الحنابلة في العقيدة ، و لم يتبن المذهب الأشعري[1] .

و أما الخامس فهو المؤرخ شمس الدين سبط بن الجوزي الدمشقي (ت654 هـ/1256م) تخلى عن مذهبه الحنبلي و التحق بالحنفية، على يد ملك دمشق المعظم عيسى بن العادل(ت 624 هـ/1227م) ، فانتقده كثير من الناس ،و قالوا أنه بدّل مذهبه طلبا للدنيا[2] . و قد قال له أحدهم- و هو على المنبر- : ((إذا كان للرجل كبير ما يرجع عنه إلا بعيب ظهر له ، فأي شيء ظهر لك في الإمام أحمد حتى رجعت عنه ؟ فقال له : أسكت . فقال الرجل : أما أنا فسكتّ ، وأما أنت فتكلم . فرام الكلام فلم يستطع و نزل عن المنبر))[3] عندما لم يجد جوابا مقنعا . و يرى المؤرخ قطب الدين اليونيني أن السبط و إن كان قد أنتقل إلى الأحناف ، فإنه ظل معظما لمذهب احمد بن حنبل ،و إنما انتقل عنه في الصورة الظاهرة فقط[4] .و هذا يؤيد رأي القائلين بأن السبط لم يكن صادقا في التحاقه بالأحناف ، و إنما غايته من ذلك المكاسب الدنيوية ، لذا روي أن مال في آخر عمره إلى الشيعة الإمامية ، و صنف لهم كتابا في الأئمة الإثنى عشر[5] . و السادس هو الفقيه أبو اسحق إبراهيم بن عبد الرزاق الرسعني(ت695 هـ/1295م) تفقّه على والده[6] في المذهب الحنبلي ، ثم تخلى عنه و تحوّل إلى المذهب الحنفي[7] . وأما الاثنان الأخيران فهما : القاضي أبو العباس احمد بن إبراهيم الرومي الدمشقي(ت710 هـ/1310م) ،و المحدث إبراهيم بن يحي الكيال الدمشقي(ت734 هـ/1333م)[8] .

و أما فيما يخص تحوّل علماء الحنابلة إلى المالكية ،فإني لم أعثر على أي عالم منهم التحق بهؤلاء ، في خلال القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م-على غرار ما حدث مع الشافعية و

---

[1] الذهبي : المصدر السابق ج 22 ص : 38-39 .و ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء ج 1 ص : 297 . و ياقوت الحموي : المصدر السابق ج 3 ص : 1332 .

[2] ابن شاكر الكتبي : المصدر السابق ج 4 ص : 356 .

[3] أبو شامة : ذيل الروضتين ص : 48 .و النعيمي : المصدر السابق ج 1 ص : 480 . و اليونيني : المصدر السابق ج 1 ص : 41 .

[4] اليونيني : نفس المصدر ج 1 ص : 41 .

[5] ابن رافع السلامي : المنتخب المختار ص : 237 .و جورجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ج 14 ص : 344 .

[6] كان والده عبد الرزاق بن الرسعني من كبار علماء الحنابلة . ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 274 .

[7] ابن أبي الوفاء القرشي : الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية ج 1 ص : 29 .

[8] ابن حجر : المصدر السابق ج 1 ص : 91 .و الذهبي : معجم شيوخ الذهبي : ص : 128 .

الحنفية– و السبب الرئيسي في ذلك–على ما يبدو– هو أن الحنابلة الذين كانت لهم نية في تغيير مذاهبهم ،لم يجدوا عند المالكية من المغانم ما يغريهم و يدفعهم إلى الالتحاق بهم ، لأن المالكية كانوا أقلية بالمشرق الإسلامي ، ولم تكن لهم فيه دول على مذهبهم في الفروع ، و مؤسساتهم العلمية فيه قليلة ، إذ لم تكن لهم في بغداد أية مدرسة خاصة بهم ، و لهم في دمشق أربعة مدارس فقط[1] .

و يتبين مما ذكرناه عن انتقال علماء الحنابلة إلى المذهبين الشافعي و الحنفي–خلال القرنين: 6-7هـ/12-13- أن مجموعهم بلغ ستة و عشرين عالما ، من بينهم ثمانية عشر التحقوا بالشافعية ، و ثمانية تحوّلوا إلى الحنفية ؛ لأسباب متعددة فبعضهم دفعه تضييق الحنابلة عليه إلى تغيير مذهبه ،و آخرون بدّلوه طمعا في المغانم و الجرايات .و الكثيرون منهم سكتت المصادر عن سبب تخليهم عن المذهب الحنبلي ، لكنها أشارت إلى أنهم تولّوا مناصب تدريسية و قضائية عقب تحوّلهم عن طائفتهم . لكن ذلك لا يمنع من أن يكون بعضهم قد غيّر مذهبه بدافع من الإعجاب و الاقتناع ،و التأثر بالمذهبين الحنفي و الشافعي . و بتخلي هؤلاء عن المذهب الحنبلي، تكون الحركة العلمية الحنبلية قد فقدت كفاءات علمية متعددة التخصصات ، لكنها هي كذلك كسبت علماء جدد ، تخلّوا عن مذاهبهم و التحقوا بها و أخلصوا لها .

المبحث الرابع : تأثير علماء الحنابلة في الأفكار و الطوائف المعاصرة لهم

أعطى علماء الحنابلة دفعا قويا للحركة العلمية الحنبلية في المشرق الإسلامي–خلال القرنين:6-7هـ/12-13م– بفضل جهودهم في نشر العلم و إقامة مؤسساته[2] ، مما مكنهم من خدمة مذهبهم ،و نشر أفكارهم ، و التأثير في المذاهب و الطوائف المعاصرة لهم .

أولا : تأثيرهم في المذاهب الفقهية و الفكرية :

ففيما يخص تأثير علماء الحنابلة في الاجتهاد الفقهي ، فهم لم يغلقوا بابه ،و مارسه كثير منهم دون حرج ،و ذموا التقليد و كسروا قيده ، في وقت اطمأن إليه معظم علماء المذاهب السنية الأخرى[3] . فكان لهم بذلك الفضل الكبير في بعث روح الاجتهاد بين أهل العلم ، و إيجاد تيار فقهي متحرر–

---

[1] عن ذلك انظر : المبحث الثاني من الفصل الثاني .

[2] عن ذلك انظر الفصلين الأول و الثاني .

[3] عن ذلك انظر مبحث الاجتهاد و التقليد ، من الفصل الثالث .

إلى حد كبير– من التعصب المذهبي ،و لا يحتكم إلا إلى الدليل ، و قد تجلى ذلك في كتاب المغني للموفق ، و مجموع الفتاوى لابن تيمية .

و أما عن تأثيرهم في علم الكلام ، فإن معظمهم قد ذموه و نفّروا منه ؛و أكثرهم انتقادا له– في موضوعاته و منهاجه– هم : ابن عقيل ، و ابن الجوزي ، و الموفق بن قدامة نو ابن تيمية ، فكان لهم الدور الكبير في إيجاد تيار نقدي بين أهل العلم ، لا يكتفي بالذم لعلم الكلام و التنفير منه فحسب ، وإنما تبنى فكرة الخوض فيه لمناقشته و الرد عليه بالمنقول و المعقول .

و للباحث جلال محمد موسى رأي مفاده أن الحنابلة كانوا هم السبب في توسع الأشاعرة في استخدام العقل و إعطائه الصدارة ، و في اقترابهم من المعتزلة و انكماش النص عندهم ، لأنهم–أي الحنابلة– ((بالغوا في إجراء النصوص على ظاهرها ، فأصبحوا هم و المشبهة و المجسمة سواء))[1] .و قوله هذا غير صحيح على إطلاقه ، لأن السبب الرئيسي في توسع الأشاعرة في استخدام العقل على حساب النص ، ليس ما ذهب إليه هذا الباحث ، و إنما هو طبيعة المذهب الأشعري نفسه ، لأن مؤسسه أبا الحسن الشعري هو عقلاني بالدرجة الأولى ، و قد عاش على الاعتزال عمرا مديدا ، ثم عندما تخلى عنه لم يتخلّص من شوائبه نهائيا[2]، و هو يحبذ الاشتغال بعلم الكلام و له في ذلك رسالة : استحسان الخوض في علم الكلام[3] . كما أن في مذهبه مسائل غامضة تتعارض مع ظاهر الشرع[4] ، دفعت أتباعه من بعده إلى التوسع في استخدام العقل لشرح تلك المسائل و الدفاع عن مذهبه . كل ذلك جعل المؤرخ احمد أمين يقول عن المذهب الأشعري : ((فنحن إذا انصفنا قلنا أن مذهبه هو مذهب المعتزلة معدلا في بعض مسائله))[5] .

ثم بعد ذلك فمن الجائز أن يكون بعض علماء الأشاعرة ، قد بالغ في استخدام العقل و تأويل الصفات ، كرد فعل معاكس لمواقف بعض علماء الحنابلة الذين بالغوا في إثبات الصفات . كما أن جلال موسى قد تحامل على الحنابلة و افترى عليهم ، عندما اتهمهم التشبيه و التجسيم ؛ و قد سبق و أن بيّنا أن الغالبية العظمى من علمائهم يثبتون الصفات دون تشبيه و لا تأويل[6] .و إجراء هؤلاء

---

[1] جلال محمد موسى : نشأة الأشعرية و تطورها ، ط 1 بيروت دار الكتاب اللبناني ، 1975 ص : 202 .

[2] ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ، حققه محمد رشاد سالم بيروت مكتبة دار العروبة د ت ج 2 ص : 205 .

[3] الزركلي : الأعلام ج 5 ص : 69 .

[4] كمسالة الكلام النفسي ،و نفي قيام الصفات الاختيارية بذات الله ،و إنكار الحكمة و السببية و قد تم التطرق لهذه المسائل في الفصل الثالث .

[5] احمد أمين : ظهر الإسلام ط 3 مصر مكتبة النهضة المصرية ، 1964 ج 4 ص : 65 .

[6] انظر المبحث الأول من الفصل الثالث .

للنصوص على ظاهرها لا يعني لا يعني التجسيم على ما فهمه الباحث ؛ وإنما المقصود منه هو إثبات الصفات الواردة في الآيات و الأحاديث الصحيحة ، مع الاعتقاد لمغايرتها لصفات المخلوقين ، و بمعنى آخر إثبات وجود لا إثبات كيفية .

و أما عن تأثير علماء الحنابلة في التصوف ، فهم أكثر علماء أهل السنة ذما و انتقادا له و لأتباعه ، في مقدمتهم : ابن عقيل ،و ابن الجوزي ، و ابن تيمية[1] ، الذين كان لهم دور كبير في التصدي لانحرافات الصوفية و كشف أحوالهم الغريبة للناس ، مما أدى إلى ظهور معارضة نقدية للصوفية ، انتشرت بين العلماء و العوام على حد سواء . كما أن صوفية الحنابلة قد ساهموا بفاعلية في نشر التصوف وتهذيبه ، و إبعاده عن دعاوى الحلول و وحدة الوجود ، على أيدي كبار أقطابهم ، كالشيخ عبد القادر الجيلاني ،و عثمان بن مرزوق ، و جاكير بن دشم الكردي[2] .

ثانيا : تأثيرهم في العوام و الطوائف المعاصرة لهم

ففيما يخص تأثير علماء الحنابلة في عامة الناس ، فقد كان لبعضهم دور كبير في ذلك ، منهم الحافظ أبو العلاء العطار الهمذاني(ت569 هـ/1173م) له في بلده -همذان- تلاميذ و اتباع كثيرون ، بفضل نشاطه و صدقه معهم و إخلاصه لهم ، حتى أنه كان عندما يمر في شوارع المدينة يقف الناس احتراما له[3] . و قد وصل جاهه إلى أهل خوارزم و هم معتزلة ، و اهتموا بمؤلفاته مع علمهم بشدته في الحنبلية ،و مباينته لهم في المذهب[4] . و منهم الصوفي عثمان بن مرزوق المصري(ت564 هـ/1168م) كان له أباع كثيرون بمصر ، بلغ عددهم ستمائة رجل ،و بعد وفاته بقيت جماعة تنتسب إليه[5] . و للصوفي أبي القاسم بن يوسف الحواري (ت663 هـ/1265م) اتباع و نفوذ قوي في قرى حوارى ،و حوران ،و الجبل ،و البثنية من بلاد الشام[6].

و عن تأثيرهم في المعتزلة فلم أعثر لهم في ذلك إلا حالة واحدة ، هي أن الفقيه أبا الحسن بن الزاغوني البغدادي(ت527 هـ/1132م) صحب المتكلم أبا الحسن احمد بن الأبنوسي المعتزلي

---

[1] عن انتقادات هؤلاء للتصوف و رجاله انظر المبحث الثالث من الفصل الرابع .

[2] عن ذلك انظر المبحث الثاني من هذا الفصل .

[3] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 326 .

[4] الذهبي : تاريخ الإسلام ج :561-570هـ/ص : 337-338 .

[5] ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 310 .و الشعراني : المصدر السابق ج 1 ص : 150 ، 151 . و المناوي : المصدر السابق ج 2 ص : 266 .

[6] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 277 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 5 ص : 313 ، 314 .

البغدادي(ت542 هـ/1147م) ، فمازال معه يناقشه و يجادله ، حتى نقله إلى مذهب المحدثين و الحنابلة في الأصول ،و بقي على مذهب الشافعي في الفروع[1] .

و لعلماء الحنابلة تأثير واضح على الشافعية ، فقد تجلى في صنفين منهم ، الأول تبنى مذهب المحدثين و الحنابلة في الأصول ،و بقي شافعي الفروع ،و الثاني انتقل إلى المذهب الحنبلي أصولا و فروعا . ففيما يخص الأول فسأذكر منه ستة علماء ، أولهم : الفقيه أبو الحسن بن عبد المالك الكرجي(ت532 هـ/1137م) له كتاب مشهور في عقيدة السلف ، عنوانه : الفصول في اعتقادات الأئمة الفحول ، و له كذلك قصيدة تائية في السنة ، فيها تصريح بإثبات الصفات ،و ذم للأشعري[2] . و الثاني هو الفقيه أبو الخير يحيى بن أبي الخير العمراني اليمني (ت558هـ/1162م)، له كتاب عنوانه : الانتصار في الرد على القدرية الأشرار ، نصر فيه عقيدته الحنبلية ، و رد فيه على الأشاعرة[3] . و الثالث هو شيخ الشافعية أبو العباس احمد بن نعمة النابلسي(ت 694هـ/1294م) أشهد–عندما حضرته الوفاة– ابن تيمية و طائفة من الأعيان ، أنه على مذهب الإمام احمد بن حنبل في الأصول[4] .

و الثلاثة الباقون هم من تلاميذ الشيخ تقي الدين بن تيمية ، تأثروا به في الأصول و حافظوا على مذهبهم الشافعي في الفروع[5] ، هم : الحافظ أبو الحجاج المزي(ت742 هـ/1341م) ،و المؤرخ شمس الدين الذهبي(ت748 هـ/1347م) ، و الحافظ ابن كثير (ت747 هـ/1372م)[6] . و مما سهّل عليهم التخلي عن مذهب الأشاعرة ، و تبني مذهب الحنابلة و المحدثين في الأصول ، هو كونهم من أهل الحديث الذين ينفرون من علم الكلام ،و يعلمون أن مذهب كل من الإمامين احمد و الشافعي ، هو واحد يعرف بمذهب السلف و أصحاب الحديث[7] .

و أما الصنف الثاني–من الشافعية– الذين تحنّبلوا أصولا و فروعا فمنهم اثنان ، أولهما : الحافظ أبو الفضل بن ناصر السلامي البغدادي0ت550 هـ/1155م) خالط الحنابلة و تأثر بهم ، و انتقل

---

[1] ابن الجوزي : المنتظم ج 10 ص : 126 .و ابن كثير : طبقات فقهاء الشافعيين ج 2 ص : 619-620 .

[2] السمعاني : الأنساب ج 1 ص : 18 .و الذهبي : تاريخ الإسلام ج : 521-540هـ/ص : 295 .و ابن قاضي شهبة : المصدر السابق ج 1 ص : 311 .

[3] اليافعي : مرآة الجنان ج 3 ص : 323 –324 . و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 4 ص : 186 .

[4] الذهبي : معجم شيوخ الذهبي ص : 24 .

[5] سماهم الباحث هنري لاوست : الشافعية الحنابلة ، وكتب عنهم مقالين مركزين في : Les schismes dans l islam P 274 275 et Encyclopedie de l islam P tome 3 P 979

[6] انظر : الذهبي : تذكرة الحفاظ ج 4 ص : 1498ن 1499 .و ابن العماد الحنبلي ك المصدر السابق ج 6 ص : 156 ، 231 .

[7] عن موقف هؤلاء من علم الكلام انظر المبحث الأول من الفصل الثالث .

إلى مذهبهم لمنام رأى النبي-عليه الصلاة و السلام- حثّه فيه على اتباع مذهب المقرئ أبي منصور الخياط الحنبلي البغدادي(ت 499هـ/1105م)[1] .و الثاني هو الفقيه الصوفي أبو العباس احمد بن إبراهيم الواسطي(ت711 هـ/1311م) ارتحل من بلده إلى بغداد و القاهرة و دمشق ، وفيها-أي دمشق- التقى بالشيخ تقي الدين بن تيمية فدلّه على الطريق السني في الزهد و العبادة ، فأنتقل إلى مذهب الحنابلة ،و أقبل على قراءة كتبهم[2] .

و يذكر أن ظاهرة تحوّل بعض علماء الشافعية إلى المذهب الحنبلي قد عرفت قبل القرن السادس الهجري/12م ، و استمرت إلى ما بعد القرن السابع/13م ، منهم : الفقيه أبو الوفاء بن القواس البغدادي(ت476 هـ/1083م) ،و المقرئ أبو الخطاب بن علي الصوفي البغدادي(476 هـ/1083م)[3] ، و النحوي أبو محمد جمال الدين بن هشام الدمشقي(ت761 هـ/1360م)،و المحدث عبد الله بن سعد الماسوحي الدمشقي(ت771 هـ/1369م)[4] .

و أشير هنا إلى أنني لم أعثر على علماء مالكية و لا حنفية انتقلوا إلى مذهب الحنابلة ، في القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م ، و لا قبلهما و لا بعدهما[5] . لكنني عثرت على علماء مالكية تحوّلوا إلى الشافعية و الحنفية[6]، و على حنفية صاروا شافعية و مالكية[7] . و لعل السبب الذي حال دون التحاق علماء من المالكية و الحنفية هو التعصب المذهبي بينهم و الحنابلة ،و قلة المغانم و الجرايات و المناصب عند الحنابلة . و أما سبب تحوّل بعض علماء الشافعية إلى الحنابلة ، فيبدو أن التقارب المذهبي بين الطائفتين هو السبب ، بحكم علاقة الود التي كانت بين الإمامين الشافعي و احمد .

---

[1] الموفق بن قدامة :كتاب التوابين ص : 217-218 . و الذهبي : سير أعلام النبلاء ج 20 ص : 269 . و ابن الدمياطي : المستفاد ص : 28 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 1 ص : 226 ، 226 .

[2] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 359 .

[3] نفس المصدر ج 1 ص : 50 ، 59 ، 60 .

[4] الذهبي : معجم شيوخ الذهبي ص : 87 .و ابن حجر : المصدر السبق ج 2 ص : 261 ، 308 .

[5] هذا لا يعني أن ذلك التحوّل لم يحدث ، و إنما أنا لم أعثر على علماء مالكية و حنفية لم يتحولوا إلى الحنابلة .

[6] انظر : ابن كثير : البداية و النهاية ج 14 ص : 31 . و السيوطي : بغية الوعاة ج 1 ص : 230 .

[7] انظر : المقريزي : المقفى الكبير ج 2 ص ك 119 .و ابن شاكر الكتبي : المصدر السابق ج 2 ص : 322 .و ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ج 6 ص : 5 .

كما أنه يلاحظ على تأثير علماء الحنابلة في مجتمعهم-خلال القرنين:6-7هـ/12-13م- انه كان ضعيفا من حيث تغيير الواقع ، فعلى الرغم من ازدهار حركتهم العلمية ،و كثرة مؤسساتهم و علمائهم ،فإنهم لم يغيروا مجرى التيار الاجتماعي العام بالمشرق الإسلامي ، و فقدوا من العلماء أكثر مما كسبوا ، إذ انظم إليهم عشرة من الشافعية ، ثمانية وافقوهم في الأصول فقط ،و اثنان التحقوا بهم أصولا و فروعا ، و فقدوا ستة و عشرين عالما تحوّلوا إلى الشافعية و الحنفية . كما أن التيارات الفكرية التي انتقدوها معظمها قد استمر في الاتساع و الهيمنة خلال القرنين السادس و السابع الهجريين/12-13م- و ما بعدهما . و يبدو أن ضعف تأثيرهم في الواقع مرده إلى ثلاثة أسباب رئيسية ، أولها مقاومة الطوائف السنية الأخرى لهم، و استعانتهم بالسلطان عليهم[1]. و الثاني تمتع علماء المذاهب الأخرى بالحصانة المذهبية جعلتهم يقاومون التأثير الحنبلي و لا يقعون تحت تأثيره .و الثالث قلة الحنابلة من حيث العدد و ضعف نفوذهم السياسي في المشرق الإسلامي[2] .

و يستنتج مما تقدم ذكره من هذا الفصل ، أن علماء الحنابلة قد تأثروا بالطوائف المعاصرة لهم فكرا و سلوكا ، كما هو مبين في الجدول(رقم: 23 ص:) و الرسم البياني(رقم: 19 ص:) ،و منهما يتبين أن مجموع علمائهم المتأثرين بالمذاهب و الطوائف المعاصرة لهم ، بلغ ثمانين عالما بنسبة قدرها 19,654 % من مجموع علماء الحنابلة-خلال القرنين:6-7هـ/12-13م ، في مقدمتهم المتأثرون بالتصوف بستة و ثلاثين عالما ، و بنسبة قدرها 45 % من إجمالي المتأثرين ، و بنسبة 8,845 % من جموع العلماء .

و يأتي المتأثرون بالاعتزال و التشيع في الأخير بثلاثة علماء من كل طائفة ، بنسبة قدرها 3,75 % من إجمالي المتأثرين ، و بنسبة 0,737 % من مجموع علماء الحنابلة ، و هي نسبة ضعيفة جدا . و أما علماؤهم الذين التحقوا بالشافعية و الحنفية، فبلغ عددهم ستة و عشرين عالما ، و هو عدد قليل بالمقارنة إلى إجمالي علماء الحنابلة المقدر بأربعمائة و سبعة علماء ، خلال قرنين من الزمن . مما يعني أن الغالبية العظمى من علمائهم كانت لهم حصانة مذهبية قوية ، حالت دون ذوبانهم في الأكثرية الشافعية والحنفية بالمشرق الإسلامي ؛ لكن تأثيرهم في تغيير المجتمع فكرا و سلوكا ظل ضعيفا .

---

[1] انظر : ابن كثير : المصدر السابق ج 14 ص : 38 ، 42 ، 46 .و ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 22 .

[2] عن ذلك انظر المبحث السابع من الفصل الأول .

....

مظاهر تأثر علماء الحنابلة بمجتمعهم و تأثيرهم فيه[1]

(ق :6-7هـ/12-13م)

مجموع علماء الحنابلة	0/0 من المتأثرين- من المجموع[2]	عدد المتأثرين	**المظاهر**	الرمز
	3,75 - 0,737	03	تأثرهم بغيرهم : الاعتزال	0
	7,5 - 1,774	06	= : الأشعرية	+
	7,5 - 1,474	06	= : الفلسفة	−
	45 - 8,845	36	= : التصوّف	×
	3,75 - 0,737	03	= : التشيع	÷
	22,5 - 4,965	18	= : الشافعية	v
	10 - 1,965	08	= : الحنفية	*
470	00 - 00	00	= : المالكية	=
	0/0 19,654- 0/0 100	**80**	**المجموع الجزئي**	− − −
	2,654 - 100	10	تأثيرهم في غيرهم: الشافعية	.
	00 - 00	00	= :الحنفية	××
	00 - 00	00	= : المالكية	++
	- - 100	**10**	**المجموع الجزئي**	− − −
	- 100	**90**	**المجموع العام**	−−−

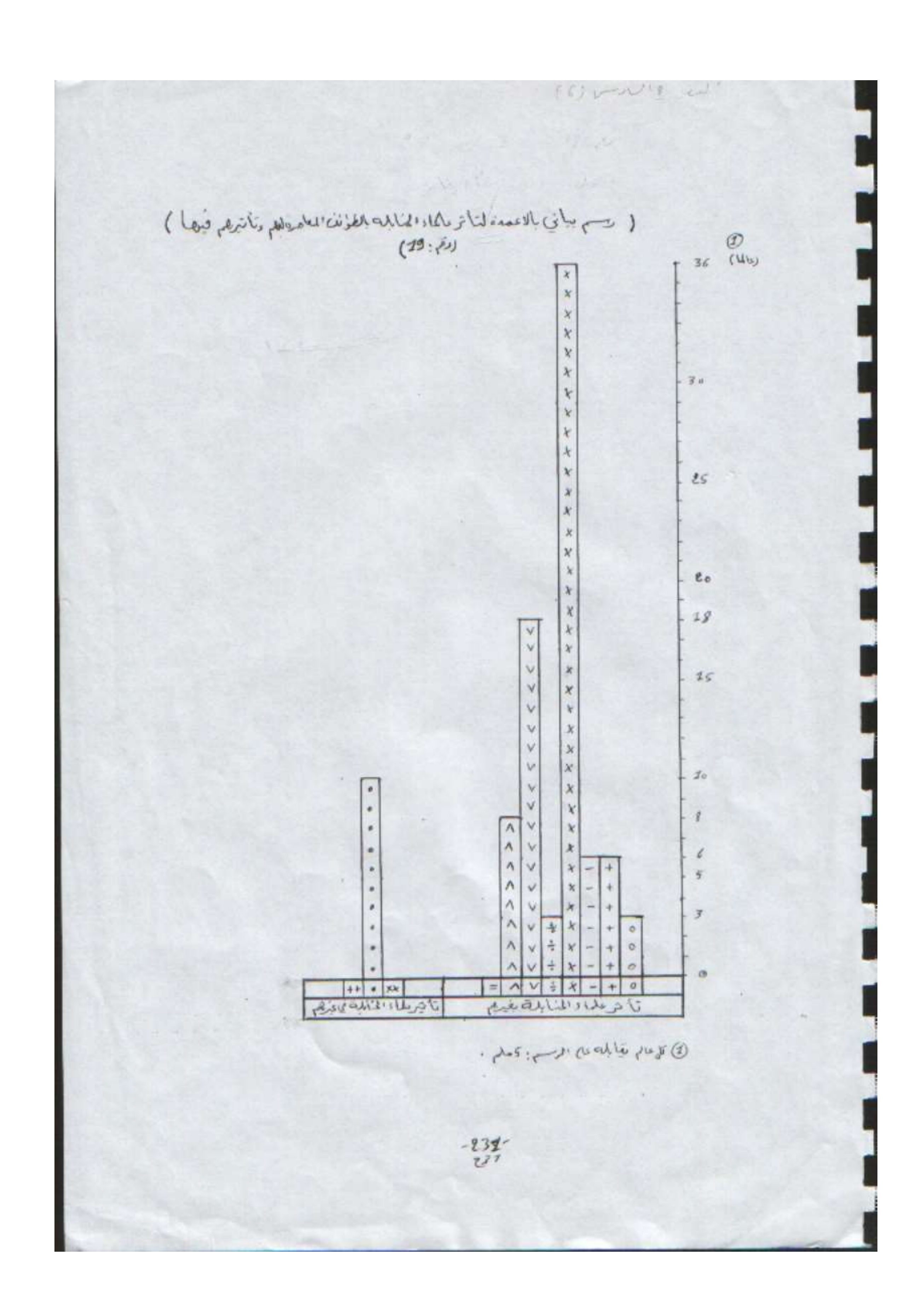
[1] المصادر سبق ذكرها في المتن .

[2] أي من مجموع علماء الحنابلة ، كما هو في الجدول : 470 عالما .

	22,111[1]			

(الجدول رقم :23)

[1] النسبة المئوية الباقية هي : 77,889 % ، تخص باقي العلماء و عددهم 317 .


(رسم بياني بالاعمدة لتأثر علماء الحنابلة بالطوائف العلمية وتأثيرهم فيها)
(رقم: 19)
(1)
36
30
25
20
18
15
10
8
6
5
3
0
++
•
xx
=
^
v
÷
x
-
+
o
تأثير علماء الحنابلة في غيرهم
تأثر علماء الحنابلة بغيرهم
(1) كل عالم يقابله على الرسم: 5ملم.

الخاتمة

. . .

الخاتمة

كشفت دراستي لموضوع : الحركة الحنبلية و أثرها بالمشرق الإسلامي-خلال القرنين : 6-7هـ / 12-13م- عن نتائج كثيرة ذات جوانب متعددة ، هي في مجموعها إجابة مكثفة عن سؤاليّ إشكالية هذه الأطروحة . منها أن علماء الحنابلة بذلوا جهودا مضنية في تحصيل العلم و نشره ،فمنهم طائفة رحلت في طلبه و صبرت على مشاقه و أمضت سنوات طوال في الترحال و التنقل بين حواضر المشرق الإسلامي ، وكانت أكثر المدن جذبا لها هي : بغداد ، مصر ، أصفهان ، ثم دمشق . ومنهم طائفة أخرى اهتمت بالحفظ و بالغت فيه ، فحفظت مصنفات في مختلف العلوم ، تراوحت ما بين الواحد إلى سبعة كتب .

و منها أن أكثر علمائهم قد جمعوا بين الاشتغال و العلم و التكسب ، فمارسوا أعمال متنوعة كالنسخ و التجارة ، حفاظا على كرامتهم و دينهم و رسالتهم في المجتمع ؛ و كان ابن الجوزي أحرصهم على دعوة أهل العلم إلى التكسب و القناعة باليسير . كما أن عددا كبيرا منهم قد جمع بين التخصص في العلم الواحد و الموسوعية في مختلف العلوم . و بعضهم قد تمهّر في أكثر من علمين ، و آخرون اكتفوا بالمشاركة العامة أو القوية في شتى الفنون . كما برزت من بينهم نساء عالمات ساهمنا بفاعلية في إثراء الحياة العلمية الحنبلية ، وقد أحصيتُ منهن واحدة و خمسين عالمة ، معظمهن متخصصات في علم الحديث ،و ينتمين إلى عائلات دمشقية .

وقد تبين لي من إحصاء تقريبي قمت به ، أن عددا كبيرا من أعلام الحركة العلمية الحنبلية ينتسبون إلى ثلاث و عشرين أسرة عريقة في العلم و التحمل ، قدّر مجموعهم في خلال قرنين من الزمن بمائة و اثنين و ثمانين عالما ، من بينهم اثنان و أربعون امرأة . فكان لهم-مع باقي العلماء- الدور الكبير في حمل راية العلم و الدعوة إليه ، وفي دعم الحركة العلمية الحنبلية ، و نشر المذهب الحنبلي و ترسيخه في مدن كثيرة من المشرق الإسلامي .

و فيما يخص مؤسسات العلم الحنبلية فقد أحصيتُ منها مائة و سبع و ثمانين مؤسسة في خلال قرنين من الزمن ؛ من بينها اثنان و تسعون مسجدا ، مقابل اثني عشر مسجدا ، كنت قد أحصيتُها لهم في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري /11م . من بينها اثنان و خمسون بدمشق ،و اثنان و عشرون ببغداد ، و ثلاثة بمصر . و قدّرت مدارسهم باثنين و خمسين مدرسة ، منها ست و ثلاثون مدرسة خاصة بهم ، و إحدى عشر مشتركة بينهم و بين الطوائف السنية الأخرى . و منها خمس هي مدارس بيتية . و من بين مدارسهم الخاصة خمس عشرة في بغداد ، و ثلاث عشرة في دمشق و أربع

في مدينة حران . مع العلم أنه لم تكن للحنابلة أية مدرسة خاصة ولا مشتركة في خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري / 11م . و أما مكتباتهم فأحصيتُ منها أكثر من مائة مكتبة ، و تعرّفت على عشرين مكتبة فقط كالضيائية ، و العمرية، و الحنبلية .

و اتضح لي من تتبع مواقف أقطاب الحركة العلمية الحنبلية من قضايا عصرهم الفكرية ، أنه كانت لهم فيها مشاركة فعّالة و أراء متميزة . ففيما يخص مسألة الاشتغال بعلم الكلام ، فإن معظمهم قد ذمّ دراسته لانحرافه المنهجي عن النقل و العقل . لكنهم لم يذموا مطلق النظر الموافق للشرع . كما أنهم اتفقوا في قضية معرفة الله على وجوبها بالسمع ، و اختلفوا في طريق حصولها ، أتحصل بالنقل أم بالعقل ، أم بالفطرة أم بكلها ؟ ولم ينتهوا إلى موقف موحد . وتباينت أراءهم أيضا في مسألة دور العقل في تحسين الأشياء و تقبيحها و انحصرت في طرفين رئيسيين أولهما أنكر قدرة العقل على التحسين و التقبيح و أرجعوا الأمر كلّه للشرع وحده . و الثاني قال بقدرة العقل على التحسين و التقبيح و جمعوا بينه و بين الوحي ، وهو الموقف الصحيح المؤيد بشواهد النقل و العقل و الطبيعة .

كما أنهم تنازعوا في قضية الحكمة و السببية في الكون ، فأرجعت قلة منهم كل ما في العالم إلى محض المشيئة الإلهية ، و أنكرت السببية و الغائية و خصائص المخلوقات . لكن معظمهم أقرّ بالحكمة و التعليل و وجود طبائع الأشياء ، في إطار الإرادة الإلهية المطلقة و المهيمنة على الكون ، معتمدين على آيات القرآن الكريم و الكون البديع . وفي مسألة الصفات الإلهية فقد أثبتوها بلا تشبيه ، ولا تعطيل ، ولا تأويل ، إلاّ قلّة منهم كانت مضطربة بين الإثبات و النفي . و أما في قضية الاجتهاد و التقليد فإن كثيرا منهم قد ذمّ التقليد و كسر قيده ، ولم يوجب تقليد الأئمة الأربعة ، و مارس الاجتهاد بحرية ، في وقت أغلق فيه باب الاجتهاد و سيطر التقليد المذهبي على غالبية علماء القرنين السادس و السابع الهجريين/ 12-13م .

و تبّين من دراسة المصنفات النقدية لعلماء الحنابلة،أنهم أوجدوا داخل الحركة العلمية الحنبلية و خارجها ، تيارا نقديا تجديديا هادفا ،مسّ علوما كثيرة . و قدموا–من خلال تلك المصنفات– أبحاثا نقدية رائدة على أيدي خمسة من كبار علمائهم ، و هم : أبو الوفاء بن عقيل ، و أبو محمد بن الخشاب، و عبد الرحمن بن الجوزي ،و الموفق بن ثقدامة المقدسي، و تقي الدين بن تيمية . ففي النقد التاريخي فقد ثبت من خلال الروايات الكثيرة التي نقدها ابن الجوزي و ابن تيمية ، أنهما جمعا بين نقد الإسناد و المتن ،و توسعا في تحقيق المتون و تمحيصها ؛ و وضعا لها قواعد و ضوابط لنقدها ، منها : الاحتكام إلى العادات و الشرع ،و مراعاة سنن الكون و المجتمع ،و الرجوع إلى

الحس و التجربة ،و الاستعانة بالإحصاء و الأنساب و قرائن المتون .و بذلك يكونان قد سبقا ابن خلدون في و ضع ضوابط نقد المتون ،و تفوّقا عليه في الجمع بين نقد الإسناد و المتن معا .

و في نقدهم للمتكلمين ، عابوا عليهم خوضهم في مسائل غيبية قال فيها الشرع كلمته الفاصلة ، و ليس في مقدورهم إدراكها بعقولهم . ثم أنهم بعد ذلك قدّموا ما أصّلوه بعقولهم ، على ما جاء به الوحي . مما جرّهم إلى التأويل و التعطيل ، و أوقعهم في الشك و الضياع ،و الوقف و مخالفة الشرع . و أما في نقدهم للفلسفة و أهلها ، فإن أشهر من خاض فيه منهم اثنان ، أولهما ابن الجوزي في كتابه تلبيس إبليس ،و ثانيهما ابن تيمية الذي توسع في نقد إلهيات الفلسفة و منطقها الصوري ، وبيّن بالأدلة الشرعية و العقلية و التجريبية ، عقم ذلك المنطق ، و هو ما أكدته دراسات علمية حديثة اتخذت من نقد ابن تيمية للمنطق الأرسطي موضوعا لها .

و اتضح من نقدهم للصوفية أنهم توسّعوا فيه ،و عابوا عليهم أشياء كثيرة في منهاجهم و سلوكياتهم ، فمنهاجهم أقاموه على العاطفة بعيدا عن العقل ،ولم يخضعوه لميزان الشرع .و سلوكياتهم فيها تصرفات كثيرة لم يحتكموا فيها إلى الشرع،و إنما رجعوا فيها إلى وجداناتهم و واقعاتهم النفسية . كما تبين من نقد ابن الخشاب لمقامات الحريري ، إنه الوحيد–من بين علماء الحنابلة– الذي تصدى لنقدها ، و بيّن جانبا مخفيا من عيوبها، لم يتفطن له غالب أدباء عصره .

و تبيّن من دراسة تراث الحنابلة العلمي ، أن مجموعه قدّر بألفين و مائة و ستة و خمسين كتابا ، موزع على مختلف أنواع العلوم باعدا متباينة ، منه نحو خمسة كتب صنفتها عالمتان حنبليتان . ومنه ألف كتاب للشيخ تقي الدين بن تيمية ،و ثم يليه المؤرخ ابن الجوزي بأربعمائة و أحد عشر كتابا، ثم يأتي بعده الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي ، بأربعة و أربعين مصنفا ، ثم يليه الحافظ الضياء محمد بخمسة و ثلاثين كتابا . و تأتي مؤلفاتهم الفقهية في مقدمة تراثهم العلمي، بثلاثمائة وأربعة و ستين مصنفا ،و ثم تليها كتبهم في التصوف و الوعظ و التربية ، بمائة و ستة و سبعين كتابا ، و آخرها عددا مصنّفاتهم في علوم الأوائل بثلاثين مصنفا ، وهي على قلتها فإن فيها مؤلفات قيمة متخصصة في نقد الفلسفة و المنطق ، قلّ نظيرها في المكتبة الإسلامية . كما أن في تراثهم العلمي مصنفات متميزة و واسعة الانتشار بين الطوائف السنية كلها ، لأنها خالية–في عمومها– من الطابع المذهبي المتعصب ، و ذات قيمة علمية معتبرة ، ككتاب تلبيس إبليس لابن الجوزي ،و المغني في الفقه لابن قدامة المقدسي ،و منهاج السنة النبوية ،و درء تعارض العقل و النقل لتقي الدين بن تيمية .و هي في مجموعها ثمرة يانعة لازدهار الحركة العلمية الحنبلية في المشرق الإسلامي .

و اتضح من تتبع مدى تأثر علماء الحنابلة بالمذاهب الفكرية و الطوائف المعاصرة لهم ، أن من بينهم اثني عشرة عالما ضعفت فيهم حنبليتهم ،و تأثروا بعلم الكلام و الفلسفة ، دون أن يغيروا مذهبهم .و من بينهم ثلاثة تأثروا بالفكر الشيعي الإمامي تأثرا بليغا ، أخرج واحدا منهم عن مذهبه وأدخله الطائفة الإثنى عشرية .و منهم تسعة و عشرون انتموا إلى التصوف فكرا و سلوكا ، و سبعة آخرون غير صريحي الانتماء إليه . و عن التحاقهم بالمذاهب السنية الثلاثة ، فقد أحصيتُ منهم تسعة و عشرين عالما ، منهم ثمانية عشر تحوّلوا إلى الشافعية ،و ثمانية انتقلوا إلى الحنفية ، و لم أعثر على من انتمى منهم إلى المالكية .

و عن تأثيرهم في مجتمعهم فقد تبيّن أنهم على مستوى الأفكار أوجدوا أربعة تيارات فكرية في الحركة العلمية الحنبلية و خارجها ، أولها فقهي يذم التقليد و يدعوا إلي الاجتهاد .و الثاني كلامي يطالب بإبعاد العقل من الحوض في مسائل الغيب ،و يؤصل منهجا كلاميا بديلا يجمع بين العقل و النقل ،و شواهد الطبيعة ، على أن تكون المرجعية للنقل . و الثالث تيار رافض للفلسفة اليونانية ، و ناقد لها في إلهياتها و منطقها . و الرابع تيار صوفي له اتجاهان ، أولهما اتجاه ناقد للتصوف و رافض له مطلقا ،و الثاني اتجاه قابل للتصوف و منتقد له في انحرافاته أملا في إصلاحه . و أما تأثيرهم على مستوى الواقع و السلوك ، فتجلى في جانبين ، أولهما وجود جماعات من العوام و العلماء ينتمون إلى كبار علماء الحنابلة في بغداد و أصفهان ،و همذان و حران ،و دمشق و مصر . و الثاني تحوّل طائفة من علماء الشافعية إلى المذهب الحنبلي ، منهم ثمانية تبنّوه في الأصول دون الفروع ، و منهم اثنان تحنّبلوا أصولا و فروعا .و مع ذلك فإن تأثيرهم في الأفكار و السلوك كان ضعيفا و محدودا ، لم يؤد إلى تغيير الواقع المحيط بهم .

كما أنني توصّلت –من خلال مناقشتي للعديد من الأراء– إلى نتائج كانت في معظمها حاسمة ، أولها هي إن قول المؤرخ السيوطي بأن المذهب الحنبلي لم يبرز خارج العراق إلا في القرن الرابع الهجري/10م،و لم يدخل مصر إلا في القرن السابع الهجري/13م ، هو قول غير صحيح ، لأنه خرج من العراق في حياة مؤسسه احمد بن حنبل(ت241 هـ/855م) ،و استقر بمصر و تجذّر بها في النصف الأول من القرن السادس الهجري/12م .و الثانية هي إن قول الصوفييّن العفيف اليافعي المكي(ت768 هـ/1366م) و ابن الأهدل اليمني(ت855 هـ/1481م) بأن الشيخ عبد القادر الجيلاني غيّر مذهبه في آخر حياته ، فأصبح أشعري الأصول حنبلي الفروع ، هو خبر مكذوب أقمت الدليل على بطلانه ،و بيّنت أن الجيلاني بقي حنبليا أصولا و فروعا .

و النتيجة الثالثة هي إن ادعاء المتكلّم ابن الأهدل و الباحث محمود صبحي ، بأن ابن الجوزي التحق بالأشاعرة في الأصول دون الفروغ ، هو قول لا يصح ، و قد بينت انه –أي ابن الجوزي– كان

متناقضا مضطربا في بعض مسائل الصفات بين إثباتها و نفيها ،و أنه ذمّ الأشاعرة و عرّض بهم و لم ينتم إليهم . و الرابعة هي إن ما ذهب إليه الباحث جلال موسى من أن الحنابلة هم السبب في توسع الأشاعرة في استخدام العقل وإعطائه الصدارة على حساب النص ، هو اتهام غير صحيح، و إغفال للسبب الرئيسي الذي بيّنت أنه نابع من طبيعة المذهب الأشعري نفسه ،و ليس من خارجه . و الخامسة هي إن قول بعض العلماء بأن المنطق الصوري هو مقدمة لكل العلوم ،و أنه ضروري و يعصم الذهن من الخطأ ، هو ادعاء أقمت الدليل على بطلانه ، مستمدا شواهدي من التاريخ و العقل ،و العلم و الواقع . و آخرها هي إن القول–في تمحيص الأخبار– بأسبقية نقد المتن على الإسناد ، أو الإسناد على المتن ، هما موقفان خاطئان . و الصحيح هو أن طبيعة الخبر هي التي تبيّن أنجمع بين الإسناد و المتن أم لا ؟ و هي التي تحدد أيضا أسبقية أحدهما على الآخر .

تمت الأطروحة و لله الحمد أولا و أخيرا

الملاحق

الأول : جدول عام لأهم الإحصائيات الواردة في الأطروحة

الثاني : مقتطفات من رد الموفق بن قدامة على الفخر بن تيمية في مسألة تخليد أهل البدع في النار

الثالث : مقتطفات من رسالة إسحاق العلثي إلى ابن الجوزي

الرابع : نموذج لطبقة سماع الحديث

الخامس : نماذج من وقفيات بعض المدارس

الملحق الأول

جدول عام لأهم الإحصائيات الواردة في الأطروحة

مساجد الحنابلة	مساجد الحنابلة	مدارس الحنابلة	مدارس الحنابلة	المدارس الحنبلية المشتركة	المدارس الحنبلية المشتركة	المدارس الحنبلية المشتركة	المكتبات و الأربطة وغيرها	المكتبات و الأربطة و غيرها	الأسر العلمية الحنبلية	الأسر العلمية الحنبلية	مجموع المصنفات الحنبلية	مجموع المصنفات الحنبلية
المدينة	العدد	المدينة	العدد	النوع	العدد	المدينة	النوع	العدد	–	–	–	–
دمشق	58	بغداد	15	رباعية	03	بغداد	م عامة	07	مجموعها	23	مخطوطات المتن	196
بغداد	22	دمشق	13	رباعية	03	القاهرة	م خاصة	13	أهم المناطق	دمشق بغداد مصر حران	حصة كبار المؤلفين	1566
مصر	03	حرّان	04	رباعية	01	بعلبك	الأربطة	09	مجموع عالماتها	42	حصة الباقين	590
مدن أخرى	09	مدن أخرى	04	ثنائية	02	حلب	الزوايا	10	مجموع علمائها	140	المجموع العام[1]	2156
المجموع	92	المجموع	36	ثنائية	01	المدينة	الترب	04	مجموع علمائها	182	–	–
.												

.

[1] أي مجموع تراث الحنابلة العلمي المذكور في الأطروحة .

الملحق الثاني

مقتطفات من رسالة إسحاق العلثي الحنبلي[1] إلى ابن الجوزي

يقول إسحاق العلثي(ت634 هـ/1236م) : ((و أنت يا عبد الرحمن ، فما يزال يبلغ عنك و يسمع منك ، و يشاهد في كتبك المسموعة عليك ، تذكر كثيرا ممن كان قبلك من العلماء بالخطأ ، اعتقادا منك أنك تصدع بالحق من غير محاباة ، و لا بد من الجريان في ميدان النصح ، إما لتنتفع إن هداك الله ،و إما لتركيب حجة الله علبك ، و يحذر الناس قولك الفاسد ،و لا يغرنك كثرة اطلاعك على العلوم. فربا مبلّغ أوعى من سامع ، و رب حامل فقه لا فقه له ، و رب بحر كدر و نهر صاف .

و أعلم أنه قد كثر النكير عليك من العلماء و الفضلاء ، و الأخيار في الآفاق بمقالتك الفاسدة في الصفات.و قد أبانوا وهاء مقالتك و حكوا عنك أنك أبيت النصيحة ، فعندك من الأقوال التي لا تليق بالسنة ما يضيق الوقت عن ذكره . و العجب ممن ينتحل مذهب السلف ،و لا يرى الخوض في الكلام . ثم يقدم على تفسير ما لم يره أولا ،و يقول إذا قلنا كذا أدى إلى كذا ، و يقيس ما ثبت من صفات الخالق على مالم يثبت عنده ؛ فهذا الذي نهيت عنه. . . فلا تشمت بنا المبتدعة فيقولون: تنسبوننا إلى البدع و أنتم أكثر بدعا منا ، أفلا تنظرون إلى قول من اعتقدت سلامة عقده . . . فكيف يجوز أن تتبع المتكلمين في آرائهم ،و تخوض مع الخائضين فيما خاضوا فيه ، ثم تنكر عليهم ؟ هذا من العجب العجيب .و لو أن مخلوقا وصف مخلوقا مثله من صفات من غير رؤية و لا خبر صادق ، لا كان كاذبا في إخباره . فكيف تصفون الله سبحانه بشيء ما وقفت على صحته ، بل بالظنون و الواقعات ، و تنفون الصفات التي رضيها لنفسه ، و أخبر بها رسوله بنقل الثقات الأثبات ، بيحتمل ،و يحتمل .

و أنا وافدة الناس و العلماء و الحفاظ إليك ، فإما أن تنتهي عن هذه المقالات ، وتتوب التوبة النصوح ،كما تاب غيرك ، و إلا كشفوا للناس أمرك ، و سيّروا ذلك و بيّنوا و جه الأقوال الغثة ، و هذا أمر تشور فيه ،و قضي بليل . و لقد سوّدت و جوهنا بمقالتك الفاسدة ، و انفرادك بنفسك ، كأنك جبار من الجبابرة[2])) .

[1] أرسلها إليه يستنكر عليه أشياء رآها تخالف ما عليه علماء الحنابلة .

[2] انظر : ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 206 ن 207 ، 208 .

الملحق الثاني

مقتطفات من رد الموفق بن قدامة على الفخر بن تيمية في مسألة خلود أهل البدع في النار[1]

يقول الموفق بن قدامة : ((إنني لم أنه عن القول بالتخليد نافيا له ،و لاعبت القول به منتصرا لضده .و إنما نهيت عن الكلام فيها من الجانبين إثباتا و نفيا ،كفا للفتنة بالخصام فيها ، واتباعا للسنة في السكوت عنها . إذ كانت هذه المسألة من جملة المحدثات ، وأشرت على من قبل نصيحتي بالسكوت عما سكت عنه رسول الله -صلى الله عليه و سلم- وصحابته و الأئمة المقتدى بهم من بعده .

و أما قولك بسعادتك ((أنظر كيف تتلافى هذه الهفوة ،و تزيل تكدير الصفوة)) فإن قنع مني بالسكوت فهو مذهبي و سبيلي ، و عليه تعويلي.و قد ذكرت عليه دليلي . و إن لم يرض مني إلا أن أقول ما لا أعلم ، وأسلك السبيل الذي غيره أسد وأسلم . . . و يسخط علي البارئ : ففي هذا التلافي تلافي و تكدير صافي أوصافي ، ولا يرضاه لي الأخ المصافي ،و لا من يريد إنصافي ، و لا من سعى في إسعافي ،و لا أتابعه و لو أنه بشر الحافي .

فأما قوله: أن كتب الأصحاب القديمة و الحديثة فيها القول بتكفير القائل بخلق القرآن . فهذا متضمن أن قول الأصحاب هو الحجة القاطعة .و هذا عجب ، أترى لو أجمع الأصحاب على مسألة فروعية ، أكان ذلك حجة يقتنع بها ، و يكتفى بذكرها ؟ فإن كان فخر الدين يرى هذا فما يحتاج في تصنيفه إلى ذكر دليل سوى قول الأصحاب . وإن كان لا يرى ذلك حجة في الفروع ، فكيف جعله حجة في الأصول ؟))[2] .

---

[1] رد الموفق بن قدامة (ت620 هـ/1223م) على الفخر بن تيمية (ت 622هـ/1225م) ، في جواب مطوّل ردا على رسالة أرسلها إليه الفخر بن تيمية يؤنّبه فيها على موقفه في عدم القول بتخليد أهل البدع-المحكوم عليهمبالكفر- في النار .

[2] ابن رجب : المصدر السابق ج 2 ص : 154 ن 155 ،156 .

الملحق الرابع

نموج لطبقة سماع الحديث [1]

يقول الحافظ علم الدين البرزالي: ((قرأ هذه الأحاديث الثمانية ، شيخنا و سيدنا الإمام العلامة الأوحد القدوة الزاهد العابد الورع الحافظ تقي الدين شيخ الإسلام و المسلمين ، سيد العلماء في العالمين حبر الأمة و مقتدي الأئمة ، حجة المذاهب و مفتي الفرق : أبو العباس احمد بن عبد الحليم بن تيمية ، أدام الله بركته و رفع درجته بسماعه من ابن عبد الدائم[2] ، بسنده أعلاه فسمعها القاسم بن محمد بن يوسف بن البرزالي ، و هذا خطه .و حضر ولده أبو الفضل محمد ،و هو في الشهر السابع من عمره ، تبركا بحديث رسول الله–صلى الله عليه و سلم–و قصدا للبداءة بشيخ جليل القدر ، تعود عليه بركته و ينتفع بدعائه .و صح ذلك و ثبت في يوم السبت التاسع و العشرين من رجب سنة خمس و تسعين و ستمائة بسفح جبل قاسيون))[3] .

الملحق الخامس

نماذج من وقفيات بعض المدارس

أولا : وقفية المدرسة الجوزية الحنبلية بدمشق :

كتب على باب عتبة المدرسة الجوزية الحنبلية بدمشق ما يأتي :((بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما وقف الصاحب محي الدين بن الجوزي على مذهب الإمام احمد بن حنبل–رضي الله عنه– وقف عليها قرية غزارة بالشعراء ،و من قرية فادا باليرموك الربع و الثمن ،و مثله من دير ابن عصرون في

---

[1] هي بخط الحافظ علم الدين البرزالي الدمشقي(ت738 هـ/1337م) ، وجدت مكتوبة على جزء حديثي مكون من ثمانية أحاديث . و قد سمعها الشيق تقي الدين بن تيمية ، في سنة 695 هـ/1295 . ابن ناصر الدين : الرد الوافر ص : 120 .

[2] ربما هو أبو بكر بن احمد بن عبد الدائم(ت 718هـ/1318م) .

[3] ابن ناصر الدين : الرد الوافر ص : 120 .

الغوطة ، و من مزرعتين بأرض المليحة ،و قرية رنكوس تقبّل الله منه ، فرغ من عمل هذه المدرسة في سنة اثنين و خمسين و ستمائة))[1] .

ثانيا : وقفية المدرسة الإقبالية الحنفية بدمشق:

كتب على عتبة بابها ما يأتي : ((بسم الله الرحمن الرحيم أوقف هذه المدرسة المباركة الأمير الأجل جمال الدولة إقبال- عتيق الخاتون الأجلة(كذا) ست الشام ابنة أيوب- رحمه الله ، على الفقهاء من أصحاب الإمام سراج الأمة الشريفة أبي خنيفة رضي الله عنه ، و أوقف عليها الثمن من الضيعة المعروفة بالسموقة ، و الثلث من مزرعة الأفتريس ،و الثلث من مزرعة شمالي بيدر زبدين ،و خمس (كذا) قراريط و ثلث من كرم يعرف بمؤيد الدين بالحديثة ، و قيراط من مليحة زرع ما حاط بطريق سالكه من زرع إلى بصرى ، و ذلك في الرابع عشر من ذي القعدة سنة ثلاث و ستمائة ، عظّم الله أجره ، رحمه الله و عوّضه الجنة))[2] .

ثالثا : وقفية المدرسة الأكزية الشافعية بدمشق :

((بسم الله الرحمن الرحيم ، و قف هذه المدرسة على أصحاب الإمام محمد بن إدريس الشافعي- رضي الله عنه- الأمير أسد الدين أكز في ست و ثمانين و خمسمائة، و تمت عمارتها في أيام الملك الناصر صلاح الدين و الدنيا ،و منقذ البيت المقدس من أيدي المشركين أبي المظفر يوسف بن أيوب محي دولة أمير المؤمنين ، الدكان التي (كذا) شرقيها وقف عليها ،و الثلث من طاحون اللوان ، سنة سبع و ثمانين و خمسمائة))[3] .

فهرس المصادر و المراجع

أولا:المصادر :

(01): القرآن الكريم

(02): ابن الأثير عز الدين الجزري(ت630هـ/1232م): الكامل في التاريخ ، حققه فريق من العلماء ، ط 6 بيروت دار الكتاب العربي ، دت .

[1] النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ج 2 ص : 29 .

[2] نفس المصدر ج 1 ص : 158- 159 .

[3] نفس المصدر ج 1 ص : 166 .

(03): ابن الأهدل الحسين اليمني(ت855هـ/1451م): كشف الغطاء عن حقائق التوحيد و عقائد الأئمة الأشعريين ، حققه احمد بكير ، تونس مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل ، دت .
(04): ابن أبي العز الحنفي(ت792هـ/1389م): شرح العقيدة الطحاوية ، ط 9 حققه فريق من العلماء ، بيروت المكتب الإسلامي .
(05): ابن أبي بكر محمد الرازي (ت666هـ/1267م): مختار الصحاح ، حققه مصطفي ديب البغا ، ط4 الجزائر دار الهدى 1990 .
(06): ابن أصيبعة أبو العباس احمد (ت667هـ/1268م): عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، بيروت دار الفكر ، 1956 .
(07): ابن أبي الفخر الصفاعي(ت 715هـ/1315م): تالي كتاب وفيات الأعيان(660-725هـ) ، حققه جاكلين سوبلة ، المعهد الفرنسي بدمشق ، 1974 .
(08): ابن أبي يعلى أبي الحسين الفراء(ت526هـ/1131م): طبقات الحنابلة ، حققه محمد حامد الفقي ، مصر مطبعة السنة المحمدية ، 1962 .
(09): ابن بطة العكبري (ت387هـ/997م): الإبانة عن أصول الديانة ، حققه هنري لاوست ، دمش المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ، 1958 .
(10): ابن بطوطة محمد بن عبد الله الطنجي(ت776هـ/1374م): رحلة ابن بطوطة ، الجزائر موفم للنشر 1989 .
(11): ابن البناء أبو علي(ت471هـ/1078م): يوميات ابن البناء ، نشرها جورج مقدسي في نشرة مدرسة الدراسات الشرقية و الإفريقية بجامعة لندن ، ج 18 1956 ، و ج 19 ، 1957 .
(12): ابن تيمية تقي الدين(ت728هـ/1327م): مجموعة الرسائل و المسائل ، حققه محمد رشيد رضا ، ط مصر مطبعة المنار 1341 .
(13): ابن تيمية تقي الدين(ت728هـ/1327م): درء تعارض العقل و النقل ،حققه عبد اللطيف عبد الرحمن ، بيروت دار الكتب العلمية ، 1417هـ/1997
(14): ==================: مجموع الفتاوى ، جمع و ترتيب عبد الرحمن بن القاسم و ابنه ، ط 1 ، السعودية مطابع الرياض ، 1381 .
(15): =================: التفسير الكبير ، حققه عبد الرحمن عميرة ، ط1 بيروت دار
الكتب العلمية ، 1988 .
(16): ================: توحد الملة و تعدد الشرائع ، ضمن مجموع من هدى المدرسة

السلفية ، الجزائر دار الشهاب ، 1988 .
(17):===============: الفرقان بين الحق و الباطل ،حققه حسين يوسف الغزال، الجزائر
مكتبة النهضة الجزائرية د ت .
(18):===============: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة و القدرية ، بيروت دار
الكتب العلمية ، د ت .
(19):==============: الرسالة التدمرية ، الجزائر دار الشهاب ، 1989 .
(20):==============: قاعدة في المحبة ،حققه محمد رشاد سالم ،الجزائر دار الشهاب د ت. (21، ص):==============: نقض المنطق حجه محمد حامد الفقي ، القاهرة مكتبة السنة
المحمدية ، د ت .
(22):=============: الرد على المنطقيين ، بمباي الهند ، المطبعة القيمة ، 1368هـ/1949 .
(23):=============: مجموعة الرسائل الكبرى ، ط1 مصر المطبعة العامرية ، 1323هـ .
(24):=============: موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ، حققه محمد حامد الفقي
القاهرة ، مطبعة السنة المحمدية 1950 . و طبعة أخرى على هامش منهاج السنة النبوية ، بيروت
دار الكتب العلمية ، د ت .
(25):=============: خلاف الأمة في العبادات و مذاهب أهل السنة و الجماعة ، ضمن
مجموع من هدى المدرسة السلفية ، الجزائر ، دار الشهاب 1988 .
(26):=============: اقتضاء السراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، الجزائر ، الدار
الملكية للإعلام ، 1994 .
(27):============: تفسير آيات اشكلت على بعض العلماء ،حققه محمد الخليفة ط 1
الرياض مكتبة الرشيد ،1417هـ /1997م .
(28):============: الزهد و الورع ،الجزائر دار الشهاب د ت .

(29):============: العبودية ، الجزائر دار الشهاب 1988 .
(30):============: التحفة العراقية في الأعمال القلبية ، حققه حماد سلامة ، الجزائر دار
الشهاب د ت .
(31):============: قاعدة جليلة في التوسل و الوسيلة ، حققه السيد الجميلي ، الجزائر
دار الشهاب د ت .
(32):============: الخلافة و الملك ، حققه حماد سلامة ، الجزائر دار الشهاب د ت .
(33):============: الصارم المسلول على شاتم الرسول ، حققه محي الدين عبد الحميد ،
بيروت دار الكتب العلمية 1987 .
(34):============: الوصية الكبرى ، حققه علي حسن عبد الحميد ، ط2 الجزائر دار
الشهاب 1408هـ /1988م .
(35): ابن تيمية أبو البركات مجد الدين (ت 552هـ / 1254م): المحرر في الفقه ،ط2 الرياض مكتبة المعارف ، 1404هـ/1984 .
(36): ابن تميم أبو محمد الحراني(ت نحو 615هـ/1218م): مقدمة في أصول مذهب الإمام احمد ، ملحق بطبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ، ج 2 ، القاهرة ، مطبعة السنة المحمدية ، 1962 .
(37): ابن تغري بلدي جمال الدين(ت874هـ/1469م): الدليل الشافي على المنهل الصافي ، حققه فهيم محمد شلتوت ، السعودية جامعة أمك القرى ، د ت .
(38): ===================: النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة ، مصر
المؤسسة المصرية العامة للتأليف ، د ت .
(39): ابن الجزري شمس الدين(ت738هـ/1337م): تاريخ حوادث الزمان و وفيات الأكابر و الأعيان ، حققه عبد السلام تدمري ، ط1 بيروت المكتبة العصرية ، 1419هـ/1995 .
(40): ابن الجزري أبو الخير (ت833هـ/1429م): غاية النهاية في طبقات القراء ، حققه ج برجستراس ، مصر مكتبة الخانجي 1932 .و ج 2 طبعة بيروت ، دار الكتب العلمية ،1402هـ/1982 .



(41): ابن الجوزي عبد الرحمن(ت597هـ/1200م): المنتظم في تاريخ الأمم و الملوك ، حيدر أباد الهند ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، 1359 .

(42): ====================: تلبيس إبليس ، حققه نخبة من الباحثين ، د م ن ، دار

النور الإسلامية ، د ت .

(43): ====================: صيد الخاطر ، حققه محمد الغزالي ، الجزائر مكتبة

مكتبة رحاب ، 1988 .

(44): ================: تحفة الواعظ و نزهة الملاحظ ، نشره هلال ناجي في مجلة المورد

العراقية ، مج 3 العدد 3 ، 1394هـ/1974 .

(45): ================: مشيخة ابن الجوزي ، حققه محمد محفوظ ، تونس الشركة

التونسية للتوزيع ، 1971 .

(46):================: الحث على حفظ العلم و ذكر كبار الحفاظ ، حققه فؤاد عبد

المنعم ، ط2 الأسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة 1412 هـ .

(47):================: أحكام النساء ، الجزائر دار الشهاب ، د ت .

(48):================: أعمار الأعيان ، محمود محمد الطناجي ، ط1 القاهرة مكتبة

الخانجي ، 1994 .

(49):================: مناقب الإمام احمد ، ط3 بيروت دار الأفاق الجديدة 1402هـ .

(50):================: المصباح المضيء في خلافة المستضيء ، تحقيق ناجية عبد الله

إبراهيم ، بغداد وزارة الأوقاف ، 1396هـ/1976م .

(51):================: الموضوعات في الأحاديث المرفوعات ، حققه محمد عثمان، ط 1

المدينة المنورة ، المكتبة السلفية 1386هـ/1966 .

(52):================: دفع شبهة التشبيه ، حققه محمد زاهد الكوثري ، القاهرة المكتبة
الأزهرية للتراث ، 1418هـ/1998 .
(53):================: العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ، حققه خليل الميس ، ط1
بيروت دار الكتب العلمية 1403هـ/1983 .
(54):================: التذكرة في الوعظ ، حققه احمد عبد الوهاب فتيح ، ط 1 بيروت
دار المعرفة ، 1406هـ/1986 .
(55):================: أخبار الأذكياء ، محمد موسى الخولي ، القاهرة ، د ن ، 1970.
(56):================: صفة الصفوة ،محمود فاخوري ،و رواس قلعجي ط1 ،حلب دار
الوعي ، 1389هـ/1969 .
(57):================: فضائل القدس ،حققه جبرائيل سليمان جبور ، ط1 بيروت دار
الأفاق الجديدة ، 1979 .
(58):================: مناقب بغداد ، حققه محمد عزب ،القاهرة، دار غريب ،1998.
(59): ابن جبير أبو الحسن الأندلسي(ت614هـ/1217م): رحلة ابن جبير ، الجزائر ، موفم للنشر 1988 .
(60): ابن جماعة بدر الدين الحموي(ت733هـ/1332م): تذكرة السامع و المتكلم في آداب العالم و المتعلم ، حققه شفيق زيغور ، سلسلة التربية و التعليم الإسلامية ، ط1 بيروت دار اقرأ ،1404هـ/1984 .
(61): ابن حجر العسقلاني(ت852هـ/1453م): الدرر الكامنةفي أعيان المائة الثامنة،بيروت دار الجيل 1993.
(62): ابن الحنبلي ناصح الدين الدمشقي(ت634هـ/1236م): أقيسة النبي(ص) ، حققه أحمد جابر و علي الخطيب ، ط1 القاهرة ، دار الكتب الحديثة ، 1393هـ/1973م .

(63): ابن الخشاب أبو محمد(ت567هـ/1171م): الاعتراض على الحريري،و معه ا نتصار ابن بري لابن الحريري، ملحق بمقامات الحريري ، مصر المطبعة الحسينية ، 1326هـ .
(64): ابن خلكان شمس الدين احمد(ت681هـ/1281م): وفيات الأعيان ، حققه محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة مكتبة النهضة المصرسية،د ت.و طبعة إحسان عباس، بيروت دار صادر ، 1978.
(65): ابن خلدون عبد الرحمن(ت808هـ/1405م): المقدمة ، ط1 بيروت دار الكتب العلمية ، 1993 .
(66): ابن الدمياطي احمد(ت749هـ/1348م): المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ، حققه مصطفى عبد القادر عطا ، ط1 بيروت دار الكتب العلمية ، 1417هـ/1997م .
(67): ابن دقمان إبراهيم صارم الدين(ت809هـ/1406م): الانتصار لواسطة عقد الأمصار، بيروت دار الأفاق الجديدة ، د ت .
(68):=========================: الجوهر الثمين في سيّر الخلفاء و الملوك ، حققه
عبد الفتاح عاشور ،و السيد دراج ، السعودية جامعة أم القرى، د ت .
(69): ابن الديبع عبد الرحمن الشيباني(ت944هـ/1537م): تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة ، العامة من الحديث ، محمد عثمان الحشت ، الجزائر دار الهدى 1991 .
(70): ابن الدبيثي محمد بن سعد(ت637هـ/1239م): ذيل تاريخ مدينة السلام ، حققه بشار عواد ، العراق ج1 ، منشورات وزارة الأوقاف 1974 .و ج 2 ، دار الرشيد 1979 .
(71): ابن رجب زين الدين البغدادي(ت795هـ/1392م): الذيل على طبقات الحنابلة ، حققه سامي الدهان ، و هنري لاوست ، ط1 دمشق المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، 1951 .و طبعة محمد حامد الفقي ، القاهرة مطبعة السنة المحمدية ، 1953 .
(72): ابن رافع السلامي(ت774هـ/1372م): تاريخ علماء بغداد المسمى منتخب المختار ، انتخبه التقي الفاسي المكي، حققه عباس العزاوي ،بغداد مطبعة الأهالي ، 1357هـ/1938 .
(73): ابن الساعي تاج الدين)ت674هـ/1275م): نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء ، حققه مصطفى جواد ، القاهرة دار المعارف د ت .
(74): ابن سعيد علي الأندلسي(ت685هـ/1286م): الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة،حققه إبراهيم الأبياري ، ط2 مصر دار المعارف د ت .
(75): ابن شداد عز الدين(ت684هـ/1285م): الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة : تاريخ دمشق ، حققه سامي الدهان ، دمشق المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، 1956 .

(76): ابن شاهنشاه محمد بن تقي الدين(ت617هـ/1220م): مضمار الحقائق و سر الخلائق ، حققه حسن حبشي ، القاهرة عالم الكتب 1968 .
(77): ابن الشحنة أبو الفضل(ت890هـ/1485م):تاريخ حلب،حققه كيكو أوتا، طوكيو معهد الدراسات الثقافية و اللغوية للأسيا و إفريقيا ، 1990 .
(78): ابن شاكر محمد الكتبي(ت764هـ/1362م): فوات الوفيات ، محي الدين عبد الحميد ، القاهرة مكتبة النهضة المصرية 1951 .و طبعة إحسان عباس ، بيروت دار صادر د ت .
(79):====================: عيون التواريخ ، حققه فيصل السامر ،و عبد المنعم داود
العراق دار الرشيد 1980 .
(80): ابن الصابوني جمال الدين(ت680هـ/1281م): تكملة إكمال الإكمال ، حققه مصطفى جواد بغداد مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، 1977 .
(81): ابن الصلاح أبو عمرو (ت643هـ/1245م): مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ، حققه مصطفى ديب البغا ، الجزائر دار الهدى ، 1991 .
(82): ابن طولون شمس الدين محمد(ت953هـ/1546م): القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ، حققه محمد احمد دهمان ، دمشق دار البيان ج1 1949 ، و ج 2 1956 .
(83):=======================: قضاة دمشق ، حققه صلاح الدين المنجد ، دمشق
مطبوعات المجمع العلمي العربي ، 1956 .
(84): ابن الطقطقى محمد بن طباطبا : الفخري في الآداب السلطانية و الدول الإسلامية ، مصر مكتبة
عز للتوريدات ، د ت .
(85): ابن عبد الغني الشهاب الدمشقي(ت745هـ/1344م): المسوّدة في الفقه لآل تيمية ، حققه محي الدين عبد الحميد ، بيروت دار الكتاب العربي د ت .
(86): ابن العربي أبو بكر (ت543هـ/1248م): العواصم من القواصم ، حققه عمار الطالبي ، الجزائر الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، 1981 .
(87): ابن العبري جمال الدين(ت685هـ/1286م): تاريخ مختصر الدول ، ط3 بيروت دار المشرق 1992 .
(88):====================: تاريخ الزمان ، ترجمه إلى العربية اسحق أرملة ، بيروت

دار المشرق ، 1991 .

(89): ابن العديم كمال الدين(ت660هـ/1261): زبدة الحلب في تاريخ حلب ،حققه سامي الدهان،دمشق- المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ، 1954 .

(90): ابن عساكر أبو القاسم الدمشقي(ت571هـ/1175م): تاريخ مدينة دمشق ، حققه صلاح الدين المنجد، دمشق مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، 1951 .

(91): =========================: تبيين كذب المفتري فيما نسب لأبي الحسن

الأشعري ، حققه محمد زاهد الكوثري ، ط 3 بيروت دار الكتاب العربي ، 1984 .

(92): ابن علي بدر الدين الحنبلي (777هـ/1375م) : مختصر فتاوى ابن تيمية ، بيروت دار الكتب العلمية ، د ت .

(93): ابن عبد السلام عبد العزيز (ت660هـ/1261م): الفتاوى الموصلية ، حققه أياد خالد الطباع ، ط 1 دمشق دار الفكر ، 1419هـ/1999 .

(94): ابن العماد الحنبلي (ت1089هـ/1678م) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، بيروت المكتب التجاري ، د ت .و طبعة دمشق حققها محمود الأرناؤؤط ، دار ابن كثير ، سنوات النشر مختلفة حسب المجلدات .

(95): ابن عبد الهادي محمد المقدسي(ت744هـ/1343م): طبقات علماء الحديث ، حققه أكرم البوشي ،و إبراهيم الزيبق ، ط 2 بيروت مؤسسة الرسالة ، 1417هـ/1996 .

(96):=========================: العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام بن تيمية،

حققه محمد حامد الفقي ، القاهرة مطبعة حجازي ، 1365هـ/1938 .

(97): ابن عبد الهادي يوسف المقدسي (ت909هـ/1503م): ثمار المقاصد في ذكر المساجد ، حققه اسعد طلس ، دمشق المعهد الفرنسي للدراسات العربية ،1943 .

(98): ابن عقيل أبو الوفاء البغدادي (ت513هـ/1119م) : الرد على الأشاعرة العزال و اثبات الحرف و الصوت في كلام الكبير المتعال ، نشره جورج مقدسي في نشرة الدراسات الشرقية(BEO) بدمشق ج 24 سنة 1977 .

(99): =========================: كتاب الجدل ، نشره جورج مقدسي في نشرة

الدراسات الشرقية(B E O) دمشق ج 20 سنة 1972 .

(100):======================: كتاب الفنون ، حققه جور مقدسي بيروت دار

المشرق ، ج 1 1970 ،و ج2 1971 .

(101): ابن الفوّطي عبد الرزاق (723هـ/1323م) : تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ، حققه مصطفى جواد ، دمشق مطبوعات مديرية إحياء الآثار د ت .

(102):====================: الحوادث الجامعة و التجارب النافعة في المائة السابعة

(هو منسوب لابن الفوّطي) ، بيروت دار الفكر الحديث ، 1407هـ/1987 .

(103): ابن الفرات ناصر الدين محمد(ت875هـ/1480م): تاريخ ابن الفرات ، حققه حسن الشماع بغداد دار الطباعة الحديثة ، 1969 .

(104) ابن القاضي أبو العباس المكناسي(ت1025هـ/1616م): ذيل وفيات الأعيان ، حققه محمد الأحمدي أبو النور ، ط 1 القاهرة العتيقة ، 1970 .

(105): ابن قدامة موفق الدينالمقدسي(ت620هـ/1223م): تحريم النضر في كتب أهل الكلام ، حققه جورج مقدسي ، لندن مطبعة لوزاك ، 1962 .

(106):======================: البرهان في بيان القرآن ، نشر في مجلة البحوث

الإسلامية ، الرياض العدد19 1407 .

(107):======================: مناظرة في القرآن العظيم ، حققه محمد بن أحمد

الحمود ، ط 1 الكويت مكتبة ابن تيمية ، 1410هـ/1990 .

(108):======================: لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ، حققه بدر

ابن عبد الله البدر ، ضمن مجموع عقائد السلف ، ط 2 الكويت ، دار ابن الأثير 1416هـ

.

(109):======================: المغني في شرح مختصر الخرقي ، و بهامشه الشرح

الكبير، محمد حطاب ،و السيد احمد السيد ط 1 القاهرة، دار الحديث ،1416هـ/1996

.

(110):=======================: روضة الناضر و جنة المناظر ، حققه عبد العزيز
ابن عبد الرحمن السعيد ، ط 2 السعودية ، جامعة الإمام ابن سعود الإسلامية ، 1399هـ/1979.
(111):=======================: إثبات صفة العلو ، حققه بدر بن عبد الله البدر
ضمن مجموع عقائد السلف ، ط 2 الكويت ، دار ابن الأثير ، 1416هـ/1995 م .
(112):=======================: ذم التأويل ، حققه بدر بن عبد الله البدر ،ضمن
مجموع عقائد السلف ، ط 2 الكويت ، دار ابن الأثير ، 1416هـ/1995م .
(113):=======================: مختصر منهاج القاصدين ، حققه عبد القادر
الأرناؤوط ، و شعيب الأرناؤوط ، ط 2 الجزائر مؤسسة الإسراء 1411هـ/1991م .
(114):=======================: الاستبسار في نسب الصحابة من الأنصار ، حققه
علي نويهض د م ن دار الفكر 1972م .
(115):===================: كتاب التوابين ، حققه جورج مقديسي ، دمشق المعهد
الفرنسي للدراسات العربية 1961 .
(116):ابن قيم الجوزية شمس الدين (ت751هـ/1350م): المنار المنيف في الصحيح و الضعيف ، حققه ا عبد الرحمن المعلمي ، ط 2 الرياض دار العاصمة 1419هـ/1998م .
(117):===================: بدائع الفوائد ، بيروت دار الكتاب العربي ، د ت .
(118):===================: إغاثة اللهفان ، بيروت المكتبة الثقافية د ت .
(119):===================: اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة و الجهمية ،
مصر مطبعة الإمام د ت .
(120):===================: طريق الهجرتين و باب السعادتين ، بيروت دار الكتاب

العربي د ت .
(121):====================: الفوائد ، حققه أحمد راتب عرموش ، ط 4 بيروت
دار النفائس 1403هـ .
(122):====================: شفاء العليل ، ط 3 بيروت دار الكتب العلمية
(123):====================: مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية و المعطلة ، حققه
رضوان جامع رضوان ، بيروت دار الفكر 1979 .
(124):====================: أعلام الموقعين عن رب العالمين ، حققه محمد محي الدين
عبد الحميد ، بيروت المكتبة العصرية 1978 .
(125):====================: الروح ، حققه محمد أسكندر يلدا ، ط 1 بيروت دار
الكتب العلمية 1982 .
(126):====================: أسماء مؤلفات ابن تيمية ، حققه صلاح الدين المنجد ،
ط 2 دمشق مطبوعات المجمع العلمي العربي 1953 .
(127):====================: شرح كتاب ذمّ الموسوسين ، الجزائر دار الشهاب د ت.
(128):====================: أخبار النساء ، حققه نزّار رضا بيروت دار مكتبة
الحياة 1964 .
(129):ابن قاضي شهبة بدر الدين (ت851هـ): طبقات الشافعية ، حققه الحافظ عبد العليم خان ، ط 1 بيروت عالم الكتب 1407هـ /1987م .
(130):====================: الكواكب الدرية في السيرة النورية ، حققه محمود زايد
بيروت دار الكتاب الجديد 1971 .
(131):ابن مفلح شمس الدين المقدسي : الآداب الشرعية و المنح المرعية ، حققه محمد رشيد رضا بيروت دار العلم للجميع 1972 .
(132):ابن المنجّا عثمان الدمشقي (ت641هـ/1243م): كتاب وقف القاضي عثمان بن المنجا ، حققه

صلاح الدين المنجد ، دمشق المعهد الفرنسي للدراسات العربية 1949 .
(133):ابن محمد البدري أبو البقاء المصري(ت ق 9هـ/14م): نزهة الأنام في محاسن الشام ، القاهرة
المكتبة العربية 1341هـ .
(134):ابن النجار محب الدين (ت643هـ/1245م): ذيل تاريخ بغداد ،حققه مصطفى عبد القادر عطا
ط 1 بيروت دار الكتب العلمية 1997 .
(135):ابن ناصر الدين الدمشقي (ت842 هـ /1438 م): الرد الوافر ، حققه زهير الشاويش ، ط 1
بيروت المكتب الإسلامي 1393هـ .
(136):ابن هبيرة عون الدين (ت 560هـ/1164م): الإفصاح عن معاني الصحاح ، حققه فؤاد عبد المنعم أحمد ط 1 قطر رئاسة المحاكم الشرعية و الشؤون الدينية 1986 .
(137): ابن هشام عبد الملك(ت213هـ/828م):مختصر سيرة ابن هشام،الجزائر مكتبة النهضة الجزائرية د ت
(138): ابن الوردي زين الدين(ت750هـ/1349م): تتمة المختصر في أخبار البشر ، ط 1 بيروت دار المعرفة 1970 .
(139): أبو شامة عبد الرحمن المقدسي(ت665هـ/1266م): المؤمل للرد إلى الأمر الأول ، ضمن مجموع من هدى المدرسة السلفية ، الجزائر دار الشهاب 1988 .
(140):=========================: ذيل الروضتين ، حققه عزت العطار الحسيني
بيروت دار الجيل 1974 .
(141):=========================: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية و
الصلاحية ، بيروت دار الجيل د ت .
(142م): أبو الفدا عماد الدين(ت732هـ/1331م): المختصر في أخبار البشر ،بيروت دار المعرفة،د ت.
(143): أبو نعيم الأصفهاني(ت430هـ/1038م): ذكر أخبار أصفهان ، ليدن مطبعة بريل ، 1934.

(144): الأدفوي كمال الدين(ت748هـ/1347م): الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد ، حققه سعد محمد حسن ، مصر الدار المصرية للتأليف 1966 .
(145): الإربلي سنبط عبد الرحمن(ت717هـ/1317م): خلاصة الذهب المسبوك ، حققه مكي السيد جاسم ، بغداد مكتبة المثنى د ت .
(146): الإسفراييني أبو المظفر : التبصير في الدين و تمييز الفرقة الناجية من الفرق الهالكة ، حققه محمد

زاهد الكوثري ، مصر مكتبة الخانجي 1955 .
(147): الأصفهاني عماد الدين(ت597هـ/1200م): خريدة القصر و جريدة العصر ج شعراء الشام حققه شكري فيصل ، دمشق مطبوعات المجمع العلمي العربي ، 1955 .و ج شعراء العراق حققه محمد بهجت الأثري ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، 1964 .
(148):البرزالي علم الدين الدمشقي(ت739هـ/1338م): مشيخة أبي بكر بن احمد بن عبد الدائم ، حققه إبراهيم صالح ، ط1 دمشق دار البشائر ، 1997 .
(149): البزار عمر بن علي البغدادي(ت749هـ/1348م): الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام بن تيمية ، حققه صلاح الدين المنجد ، ط 1 بيروت دار الكتاب الجديد ، 1396هـ .
(150): التجيبي القاسم بن يوسف السبتي (ت730هـ/1329) : مستفاد الرحلة و الاغتراب ، حققه عبد الحفيظ منصور ، ليبيا الدار العربية للكتاب ، د ت .
(151): التميمي أبو الفضل عبد الواحد البغدادي(ت410هـ/1019م): اعتقاد الإمام احمد بن حنبل ، ملحق بطبقات الحنابلة ، ج 2 مصر مطبعة السنة المحمدية 1962 .
(152): الجاحظ عمر بن بحر(250هـ/864م): البيان و التبيين ، بيروت دار إحياء التراث العربي ، 1968 .
(153): الجواليقي أبو منصور البغدادي(ت540هـ/1145م): المعرّب من الكلام الأعجمي ،حققه احمد محمد شاكر ، القاهرة دار الكتب المصرية ، 1942 .
(154):=======================: شرح أدب الكاتب ، القاهرة مكتبة القدسي 1350.
(155):=======================: تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة ، حققه عز الدين

التنوخي ، طهران د ن 1966 .
(156): الجيلاني عبد القادر(561هـ/1165م): الغنية لطالبي طريق الحق ،ط 1 بيروت دمشق دار البشائر ،و دار صادر 1416هـ/1996 م .

(157):==============: الفتح الرباني في الفيض الرحماني ،بيروت دارالكتاب العربي1980.
(158): الحريري أبو محمد القاسم(516هـ/1122م): المقامات الحريرية ، الجزائر موفم للنشر 1989.
(159): الحسيني أبو المحاسن(ت765هـ/1363م): ذيل تذكرة الحفاظ ، حققه محمد زاهد الكوثري ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي د ت .
(160): الحموي ياقوت شهاب الدين(ت626هـ/1228م): معجم البلدان ، بيروت دار صادر 1968 .و ط 2 1995 .
(161):=====================: معجم الأدباء - إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب
حققه إحسان عباس ، بيروت دار الغرب الإسلامي 1993 .
(162): الخزرجي علي بن الحسن: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، حققه محمد بسيوني،مصر
مطبعة الهلال ، 1339هـ/1911م .
(163):الخطيب أبو بكر البغدادي(ت463هـ/1060هـ): تاريخ بغداد ، بيروت دار الكتاب العربي د ت .
(164):====================: الرحلة في طلب العلم ، حققه نور الدين عتر ، ط1
بيروت دار الكتب العلمية 1395هـ/ذ1975 .
(165): الداودي شمس الدين محمد(ت945هـ/1538): طبقات المفسرين، بيروت دار الكتب العلمية د ت. (166): الذهبي شمس الدين(ت748هـ/1347م): سيّر أعلام النبلاء ، حققه فريق من العلماء ، ط1 بيروت مؤسسة الرسالة 1985 .
(167):=================: معجم شيوخ الذهبي ، حققه روحية عبد الرحمن السيوفي ، ط1 بيروت دار الكتب العلمية 1410هـ/1990م .
(168):=================: تاريخ الإسلام و وفيات المشاهير و الأعلام ، حققه عمر عبد السلام تدمري ، ط 1 بيروت دار الكتاب العربي ، 1414هـ/1994م .
(169):================: معرفة القرّاء الكبار على الطبقات و الأعصار ، حققه سيد جاد
الحق ، ط 1 القاهرة دار الكتب الحديثة 1969 .

(170):================: تذكرة الحفاظ ، حققه عبد الرحمن المعلمي ، بيروت دار إحياء
التراث العربي ، د ت .
(171):================: المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي ، حققه مصطفي عبد القادر عطا ، ط 1 بيروت دار الكتب العلمية ، 1417هـ/1997م .
(172):================: ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، حققه علي محمد البجاوي ،
بيروت دار المعرفة د ت .
(173):================: معجم محدثي الذهبي ، حققه روحية عبد الرحمن السيوفي ،ط 1
بيروت دار الكتب العلمية ، 1413هـ/1993م .
(174):================: العبر في خبر من غبر ، حققه صلاح الدين المنجد ، الكويت
وزارة الإرشاد 1963 .و حققه كذلك السعيد بن زغلول ، بيروت دار الكتب العلمية د ت
(175):================: الأمصار ذوات الآثار ، حققه قاسم علي سعد ، ط 1 بيروت
دار البشائر 1406هـ/1986م .
(176): السبكي تاج الدين(ت771هـ/1369م): طبقات الشافعية الكبرى ، محمود محمد الطناجي ، و عبد الفتاح الحلو ، ط 1 القاهرة مطبعة عيسى الحلبي 1383هـ/1964م .
(177):==================: معيد النعم و مبيد النقم ،حققه محمد علي النجار و آخران
ط 1 القاهرة جماعة الأزهر للنشر و التوزيع ، 1948 .
(178): السخاوي شمس الدين بن عبد الرحمن(ت902هـ/1496م): الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، حققه فرانز روزنتال ، بيروت دار الكتب العلمية د ت .
(179): السخاوي أبو الحسن علي الحنفي : تحفة الأحباب و بغية الطلاب في الخطط و المزارات و التراجم و البقاع المباركات ، حققه محمود ربيع و حسن قاسم القاهرة مطبعة العلوم 1937 .
(180): السراج جعفر بن احمد البغدادي(ت500هـ/1106م): مصارع العشاق ، بيروت دار بيروت 1980.

(181): السفاريني محمد بن احمد(1189هـ/1704م): لوامع الأنوار البهية و سواطع الأسرار الأثرية ، حققه محمد رشيد رضا ، القاهرة مطبعة المنار الإسلامية 1323هـ .
(182): السمعاني عبد الكريم أبو سعد(ت562هـ/1166م): أدب الإملاء و الإستملاء ، حققه شفيق زيغور ط 1 بيروت دار اقرأ 1404هـ/1984 .
(183):========================: الأنساب حققه عبد الرحمن المعلمي اليماني، ط1 حيدر أباد الهند مجلس دائرة المعارف العثمانية ، 1382هـ/1962 .
(184): السمهودي علي بن عبد الله)ت911هـ/1505م): الوفاء بما يجب لحضرة المصطفى ، ضمن مجموع : رسائل في تاريخ المدينة ، جمعه محمد الجاسر ، ط1 الرياض دار اليمامة 1392هـ/1972 .
(185): السيوطي جلال الدين(ت911هـ/1505/7م): بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة ، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط 1 القاهرة مطبعو عيسي البابي الحلبي ، 1384هـ/1965م .
(186):===================:طبقات الحفاظ ،ط 2 بيروت دار الكتب العلمية1994.
(187):===================:تاريخ الخلفاء ، ط 1 بيروت دار الكتب العلمية 1988.
(188):===================: حسن المحاضرة في تاريخ مصر و القاهرة ، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط1 القاهرة دار إحياء الكتب العربية 1387هـ/1967م .
(189):===================: الإتقان في علوم القرآن ،حققه محمد أبو الفضل إبراهيم بيروت المكتبة العصرية ،1407هـ/1987م .
(190): الشعراني عبد الوهاب(ت ق:10هـ/16م): الطبقات الكبرى ، ط 1 بيروت دار الجيل 1988 .
(191): الشهرستاني محمد أبو الفتح(ت548هـ/1150م): الملل و النحل ، حققه أمير علي مهنا ، و علي حسن فاعور ، بيروت دار المعرفة 1998 .
(192): الشهرزوري شمس الدين(ت بعد687هـ/1288م): تاريخ الحكماء ، حققه عبد الكريم أبو شويرب، ط 1 د م ن جمعية الدعوة الإسلامية 1988 .
(193): الصفدي صلاح الدين بن أيبك(ت764هـ/1362م): الوافي بالوفيات ، سلسلة النشرات الإسلامية ، من أصدار : جمعية المستشرقين الألمانية ، دار فرانز شتاير .

(194):=======================: نكت الهميان في نكت العميان ، حققه احمد

زكي بك ، مصر المطبعة الجمالية 1329هـ/1911م .

(195): عبد الحق عبد المؤمن البغدادي(ت739هـ/1338م): مراصد الإطلاع على الأمكنة و البقاع ، حققه محمد البجاوي ، ط1 القاهرة دار إحياء الكتب العربية 1954 .

(196): العكبري أبو البقاء محب الدين (ت616هـ/1219م): إعراب الحديث النبوي ، حققه حسن موسى الشاعر ، ط2 جدة دار المنارة د ت .

(197): العلموي عبد الباسط(ت981هـ/1573م): المعين في أدب المفيد ، حققه شفيق زيغور ، ط 1 بيروت دار اقرأ 1406هـ/1986م .

(198): العليمي مجير الدين عبد الرحمن(ت928هـ/1521م): المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام احمد ، حققه محي الدين عبد الحميد ، ط 1 القاهرة مطبعة المدني ، 1963 .

(199):=======================: الأنس الجليل بتاريخ القدس و الخليل ، النجف

المطبعة الحيدرية و مكتبتها ، 1968 .

(200): الغزالي أبو حامد(506هـ/1111م): إحياء علوم الدين ، بيروت دار الكتاب العربي د ت .

(201):==============: المنقذ من الضلال،حققه محمد جابر ، بيروت المكتبة الثقافيةد ت.

(202):==============: المصتصفى في علم الأصول ، بيروت دار الكتب العلمية ،1996 .

(203): الفاسي أبو الطيبل تقي الدين (ت832هـ/1428م): العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، القاهرة

مطبعة السنة المحمدية .

(204): أبو يعلى الفراء البغدادي(ت458هـ/1065م): الأحكام السلطانية ، حققه محمد حامد الفقي ، ط 1 مصر شركة عيسى البابي الحلبي ، 1938 .

(205):====================: المعتمد في أصول الدين ، حققه وديع زيدان ، بيروت دار المشرق 1973 .

(206): الفيروز أبادي مجد الدين (817هـ/1414م): البلغة في تاريخ أئمة اللغة،حققه محمد المصري دمشق ، منشورات وزارة الثقافة ، 1972 .
(207): القرشي محي الدين بن أبي الوفاء(ت775هـ/1373م): الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، حققه عبد الفتاح محمد الحلو ، ط 2 بيروت مؤسسة الرسالة 1413هـ/1993م .
(208): القزويني زكريا بن محمد (ت682هـ/1283م): أثار البلاد و أخبار العباد ، بيروت دار صادر،1969.
(209):القفطي جمال الدين علي(ت624هـ/1227م) : إنباه الرواة على أنباه النحاة ، حققه محمد أبو الفضل ، ط 1 القاهرة دار الكتب المصرية 1950 .
(210):==================:تاريخ الحكماء من أخبار العلماء ، بغداد مكتبة المثنى د ت.
(211):==================: المحمدون من الشعراء وأشعارهم ، حققه رياض مراد ،
دمشق مطبوعات اللغة العربية 1395هـ/1975م .
(212): القلانسي أبو يعلى : ذيل تاريخ دمشق ، بيروت مطبعة الأباء اليسوعيين 1908 .
(213): الكلوذاني محفوظ أبو الخطاب(510هـ/1116م): الإنتصار في المسائل الكبار ، حققه سليمان العمير ط 1 الرياض مكتبة العبيكان 1413هـ/1993م .
(214): الكليني يعقوب(ت339هـ/940م): الأصول من الكافي،طهران دار الكتب الإسلامية 1328هـ/1910.
(215): المزي أبو الحجاج الدمشقي(ت742هـ/1341م): تهذيب الكمال في أسماء الرجال،حققه بشار عواد معروف ، ط6 بيروت مؤسسة الرسالة ، 1415هـ/1994 .
(216): المقريزي احمد بن علي (ت845هـ/1441 م) : المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار ، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية د ت .
(217):=====================: المقفى الكبير ، حققه محمد اليعلاوي ، ط 1 بيروت
دار الغرب الإسلامي ، 1411هـ/1991م .
(218):=====================: السلوك لمعرفة دول الملوك ، حققه محمد مصطفى
زيادة ، ط 2 القاهرة لجنة التأليف و الترجمة ، 1956 .

(219): المناوي زين الدين محمد (ت1021هـ/11612م): الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ، حققه محمد أديب الجاد ، ط 1 بيروت دار صادر 1999 .
(220): المنذري بن عبد القوي (ت656هـ/1258م) : التكملة لوفيات النقلة ، حققه بشار عواد معروف ، بغداد ، جامعة بغداد ، مطبعة الآداب في النجف 1971 .
(221):النعيمي عبد القادر (ت 927هـ/1520م): الدارس في تاريخ المدارس ، حققه جعفر الحسيني،دمشق ، المجمع العلمي العربي ج1 1948 ج2 1951 .
(222):النووي يحيى بن شرف(ت 676هـ/1268م):رياض الصالحين ، حققه أحمد أبو زينة ، الكويت ، بيروت وكالة المطبوعات دار الفكر د ت .
(223):الهجويري : كشف المحجوب ، ترجمه إلى العربية إسعاد عبد الهادي قنديل ، بيروت دار النهضة العربية 1980 .
(224):اليافعي محمد بن الأسعد المكي(ت 768هـ/1366م): مرآة الجنان و عبرة اليقضان ، ط2
بيروت منشورات الأعلمي ، 1970 .
(225):اليونيني قطب الدين موسى(ت 726هـ/1325م): ذيل مرآة الزمان ، حيدر أباد الهند مجلس
دائرة المعارف العثمانية 1374هـ /1954م .

ثانيا : المراجع :

(01): الأبراشي محمد عطية : التربية الإسلامية و فلاسفتها ، الكويت دار الكتاب الحديث ، د ت .
(02): ابن بدران الدمشقي: منادمة الأطلال و مسايرة الخيال ، دمشق المكتب الإسلامي ، د ت .
(03):===========: نزهة الخاطر العاطر شرح كتاب روضة الناظر و جنة المناظر ، ط 12 بيروت ، دار ابن حزم 1415هـ/1995 .
(04):===========: المدخل إلى مذهب الإمام احمد بن حنبل ، مصر إدارة الطباعة المنيرية د ت .
(05): ابن عرموس محمود : تاريخ القضاء في الإسلام ، القاهرة المطبعة الأهلية الحديثة د ت .
(06): ابن عبد الله باقاسي عائشة: بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ، ط 1 مكة المكرمة دار مكة 1400 .

(07): ابن هادية علي و آخران: القاموس الجديد للطلب ط7 الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب 1991 .
(08): أبو زهرة محمد: ابن تيمية ، القاهرة دار الفكر العربي د ت .
(09):========:ابن حنبل ، القاهرة دار الفكر العربي د ت .
(10):========: أصول الفقه ، القاهرة دار الفكر العربي 1973 .
(11):========:تاريخ الجدل ، القاهرة دار الفكر العربي 1980 .
(12):أبو فارس عبد القادر: القاضي أبو يعلى الفراء و كتابه الأحكام السلطانية ط2، بيروت مؤسسة الرسالة 1983 .
(13):الأشقر عمر سليمان:المدخل إلى دراسة المدارس و المذاهب الفقهية ط2 الأردن دار النفائس 1998
(14):==========:تاريخ الفقه الإسلامي ، الجزائر قصر الكتاب 1990 .
(15):الأكوع إسماعيل: المدارس الإسلامية في اليمن ، صنعاء منشورات جامعة صنعاء رقم :1 .1980
(16):آل سليمان مشهور:كتب حذّر منها العلماء ، ط1 الرياض دار الصميعي 1415هـ .
(17):الألباني ناصر الدين:التوسل : أنواعه و أحكامه ، ط3 د م ن دار الاستقامة 1985 .
(18):الإمام رشاد سالم :مدينة القدس في العصر الوسيط ، تونس الدار التونسية 1976 .
(19):أمين أحمد:ظهر الإسلام ، ط3 مصر مكتبة نهضة مصر 1964 .
(20):أمين حسين:المدرسة المستنصرية ، بغداد مطبعة شفيق 1960 .
(21):باتون ولتر ملفيل: أحمد بن حنبل ولمحنة ، ترجمه إلى العربية عبد العزيز عبد الحق ، القاهرة دار
الهلال 1958 .
(22) باشا عمر موسى: الأدب العربي في الشام ، ط 2 ، دمشق المكتبة العباسية ، 1972 .
(23): بدوي أحمد: الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر و الشام ، دار نهضة مصر 1972 .
(24):=======: أسس النقد الأدبي عند العرب ، ط 3 مصر مكتبة نهضة مصر 1964 .
(25): بدوي عبد المجيد ابو الفتوح: التاريخ السياسي و الفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي
من القرن 5هـ إلى سقوط بغداد ، ط2 مصر دار الوفاء 1988 .
(26): بروكلمان كارل : تاريخ الأدب العربي ، ترجمة السيد يعقوب بكر ، دار المعارف 1983 .

(27): البستاني بطرس : أدباء العرب ،د م ن دار نظير عبود د ت .
(28): بشار قويدر : بغداد مدينة السلام ، ط1 الجزائر دار دحلب 1993 .
(28): بيضون زياد : الأرض و تكوينها ، بيروت معهد الإنماء العربي ، 1980 .
(29): التركي عبد الله المحسن: أصول مذهب الأمام احمد بن حنبل،ط4 بيروت مؤسسة الرسالة،1419.
(30): تزهير جولد : العقيدة و الشريعة في الإسلام ، ترجمة محمد يوسف موسى ، وآخران ، بيروت
دار الرائد العربي د ت .
(31): تيمور احمد باشا: المختار من المخطوطات العربية في الأستانة ، حققه صلاح الدين المنجد ، ط 1
بيروت دار الكتاب الجديد 1968 .
(32): الجبوري عبد الله : المستدرك على الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الأوقاف ، ط 1 بغداد
مطبعة المعارف ، 1385هـ/1965م .
(33): الجرجاني علي الشريف: كتاب التعريفات ، بيروت دار الكتب العلمية 1995 .
(34): جواد مصطفى: في التراث العربي ، حققه محمد شلش و عبد الحميد العلوجي ، بغداد دار
الحرية ، 1975 .
(35): جواد مصطفى و احمد سوسة: خارطة بغداد قيما و حديثا ، بغداد المجمع العلمي العراقي،1959.
(36): حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي و الثقافي ، القاهرة مكتبة نهضة مصر 1991 .
(37: الحسني عبد العزيز محمد: الحياة العلمية في الدولة الإسلامية ، الكويت وكالة المطبوعات، د ت .
(38): الحصني محمد أديب : منتخبات تواريخ دمشق ، المطبعة الحديثة 1353هـ/1934م .
(39): حمادة محمد ماهر : المصادر العربية و المعربة ، ط5 بيروت مؤسسة الرسالة 1406هـ/1986م.
(40):حمزة عبد اللطيف : الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي و المملوكي، ط8 د م ن دار

الفكر العربي ، 1968 .
(41): الحلوجي عبد الستار : لمحات من تاريخ الكتب و المكتبات ، ط3 القاهرة دار الثقافة 1987
(42): الحوالي سفر عبد الرحمن : منهج الأشاعرة في العقيدة ، ط1 الجزائر الدار السلفية . 1990
(43): حيدر كامل : العمارة العربية الإسلامية : المدارس ، بيروت دار الفكر اللبناني 1995
(44):خان حسن صديق : قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر ، ط2 حققه عاصم القريوتي، الجزائر
دار الإمام مالك 1414هـ .
(45): خان وحيد الدين: الدين في مواجهة العلم ترجمة ظفر اللإسلام خان، القاهرة دار المختار ل الإسلامي 1978 .
(46):=======:حكمة الدين،ترجمة ظفر الإسلام خان ، ط2 القاهرة دار المختار الإسلامي . 1978
(47): الخطيب محمد عجاج: السنة قبل التدوين، ط1 القاهرة مكتبة وهبة 1963 .
(48): الخياط جعفر :صورتان من تاريخ العراق ، في العصور المظلمة،بيروت مطبعة دار الكتب،1971.
(49): الدفاع عبد الله : العلوم البحتة في الحضارة العربية الإسلامية ،ط2 بيروت مؤسسة الرسالة1983.
(50): الدهلوي ولي الله : الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف ،ط 2 بيروت دار النفائس . 1983
(51): الديوه جي سعيد : تاريخ الموصل ، بغداد المجمع العلمي العراقي 1402هـ/1982 .
(52):الرفاعي قاسم : بعلبك في التاريخ ، بيروت المكتب الإسلامي 1984 .
(53): روبرت أغروس و جورج ستانسيو: العلم في منظوره الجديد، ترجمة كمال خلايلي ، عالم المعرفة
رقم:134 ، الكويت المجلس الوطني للثقافة 1984 .
(54):رؤوف عماد عبد السلام: مدارس بغداد في العصر العباسي ، ط1 بغداد دار البصري 1966
(55): الريحاوي عبد القادر:العمارة العربية الإسلامية في سوريا ،دمشق منشورات وزارة الثقافة،1979.

(56): الزحيلي محمد : مرجع العلوم الإسلامية ، ط2 دمشق دار المعرفة 1992 .
(57): الزفزاف محمد : التعريف بالقرآن و الحديث ، ط1 الكويت مكتبة الفلاح ، 1984 .
(58): زهدي جار الله : المعتزلة ، بيروت ، الأهلية للنشر و التوزيع ، د ت .
(59): الزيات حبيب : خزائن الكتب في دمشق و ضواحيها ، دمشق دار الحوار د ت .
(60): زيدان جورجي: تاريخ آداب اللغة العربية ، بيروت دار الجيل 1402هـ/1982م .
(61): زيدان يوسف محمد : الطريق الصوفي و فروع القادرية بمصر ، ط1 بيروت دار الجيل 1991
(62): الزين محمد حسني: منطق ابن تيمية و منهجه الفكري ، ط1 بيروت المكتب الإسلامي .1979
(63): السيد سابق : فقه السنة ، بيروت القاهرة دار الجيل ، الفتح للإعلام 1416هـ/1995م .
(64): السباعي احمد : تاريخ مكة ، ط2 مكة المكرمة مطابع دار قريش 1380هـ .
(65): سركيس يعقوب : مباحث عراقية في الجغرافيا و التاريخ، بغداد شركة التجارة و الطباعة .1948
(66): سعد الدين محمد منير : العلماء عند المسلمين ، ط1 بيروت دار المناهل 1412هـ/19092
(67): السعيد عبد العزيز : ابن قدامة و آثاره الأصولية ،ط2 السعودية ، جامعة الإمام محمد بن سعود
الإسلامية 1399هـ .
(68): سماحة عبد الحميد: في أعماق الفضاء ، ط3 القاهرة دار الشروق 1980 .
(69): سيد فؤاد : فهرست المخطوطات بدار الكتب المصرية(1936-1955 أ-س) القاهرة مطبعة دار الكتب 1380هـ/1961م .
(70): السيد فؤاد صالح : معجم الألقاب و الأسماء المستعارة في التاريخ العربي و الإسلامي،ط1 بيروت
دار العلم للملايين 1990 .
(71): شاي يحيى : تاريخ التنجيم عند العرب ط1 بيروت مؤسسة عز الدين ذ1994 .
(72): الشبل علي بن عبد العزيز : الثبت(قوائم بعض مخطوطات ابن تيمية و ابن القيم الجوزي) ،ط1
الرياض دار الوطن 1417هـ .

(73): الشطي شوكت : تاريخ الطب وآدابه و اعلامه ، د م ن مطبعة طربين 1386هـ/1967م .
(74): شلبي احمد : التربية و التعليم في الفكر الإسلامي ،ط8 القاهرة مكتبة نهضة مصر 1987 .
(75): شميساني حسن : مدارس دمشق في العصر الأيوبي ، ط1 بيروت دار الأفاق ، 1403هـ/1983م .
(76): الشنقيطي محمد الأمين: منهج و دراسات لآيات الأسماء و الصفات ، الجزائر مؤسسة اتحاد
المغرب العربي ، د ت .
(77):===========: مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر ، الجزائر الدار السلفية د ت .
(78): الشوكاني محمد بن علي : الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ، حققه عبد الرحمن المعلمي
بيروت دار الكتب العلمية 1416هـ/1995 .
(79):===========: التحف في مذهب السلف ، جدة مطبوعات الجامعة الإسلامية د ت .
(80): الشيبي محمد رضا: مؤرخ العراق ابن الفوّطي ، بغداد مطبعة التفيض 1950 .
(81):الصابوني محمد علي : مختصر تفسير الطبري ، الجزائر مكتبة رحاب 1991 .
(82): صبحي محمود : في علم الكلام: الأشاعرة ، ط5 بيروت دار النهضة العربية ، 1985 .
(83): ضيف شوقي : المقامة ، ط2 مصر دار المعارف 1964 .
(84): طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة و مصباح السادة في موضوعات العلوم ، بيروت دار الكتب
العلمية د ت .
(85): الطحان محمود : تيسير مصطلح الحديث ، الجزائر دار رحاب د ت .
(86):========: أصول التخريج و دراسة الأسانيد ، ط3 الرياض مكتبة المعارف 1417هـ .
(87):طلس أسعد : التربية و التعليم في الإسلام ، ط1 بيروت دار العلم للملايين ، 1957 .
(88): عباس محمد عيد : حقيقة التعيين ط1 الجزائر قصر الكتاب 1410هـ .
(89): عبد الله صالح عبد الرحمن: تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، ط1 جدة دار الشروق 1403هـ .
(90): العثيمين صالح : القواعد المثلي في أسماء الله الحسنى ، الجزائر الدار السلفية 1990 .

(91): العجيري صالح محمد : تقويم القرون لمقابلة التواريخ الهجرية و الميلادية ط2 الكويت ذات
السلاسل 1405هـ .
(92):العزاوي عباس: تاريخ الأدب العربي في العراق، بغداد المجمع العلمي العراقي 1960 .
(93):العلبي أكرم حسن: خطط دمشق ، ط1 دمشق دار الطباع 1989 .
(94):العلوان سليمان:إتحاف أهل الفضل و الإنصاف بنقض كتاب ابن الجوزي دفع شبهة التشبيه ، ط1
الرياض دار الصميعي 1415هـ .
(95):العلوجي عبد الحميد: مؤلفات ابن الجوزي ، بغداد وزارة الثقافة والإرشاد 1965 .
(96):العمري أكرم ضياء: دراسات تاريخية ، ط1 السعودية الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة 1403هـ .
(97):العمري ياسين خير الله: مهذب الروضة الفيحاء في تواريخ النساء ، حققه رجاء السمرائي العراق
وزارة الثقافة و الإرشاد 1966 .
(98):علي السيد علي: الحياة الثقافية في المدينة المنورة في عصر المماليك ، ط1 د م ن مركز عيّن ل للدراسات و البحوث الإنسانية 1994 .
(99):فروخ عمر: تاريخ الأدب العربي ، ط5 بيروت دار العلم للملايين 1989 .
(100):=====: تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون ، بيروت دار العلم للملايين 1972 .
(101):فكري أحمد: مساجد القاهرة و مدارسها ، القاهرة دار المعارف 1969 .
(102):الفنيسان سعود بن عبد الله: آثار الحنابلة في علوم القرآن ، الأسكندرية المكتب المصري 1989 .
(103):كرد علي محمد: خطط الشام ، دمشق مطبعة الترقي 1345هـ/1926م .
(104):========:غوطة دمشق ، ط2 دمشق مطبوعات المجمع العلمي العربي 1952 .
(105):الكروي إبراهيم سليمان: المرجع في الحضارة الإسلامية ، مصر مركز الاسكندرية للكتاب 1997
(106):كيفى إبراهيم حسن: مكة المكرمة ، الرياض الرئاسة العامة لرعاية الشباب 1988 .
(107):مبارك زكي: التصوف الإسلامي في الآداب و الأخلاق ، بيروت المكتبة العصرية د ت
(108):مبارك محمد: الإسلام و الفكر العلمي ، ط2 بيروت دار الفكر 1980 .
(109):محمود أحمد علي: الحنابلة في بغداد ، بيروت المكتب الإسلامي 1986 .

(110):محمود عبد الحليم: الإسلام و العقل ، القاهرة دار المعارف 1980 .
(111):مرتاض عبد الملك: فن المقامات في الأدب العربي ، ط2 الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب 1988.
(112): فرنسيس بشير : بغداد تاريخها و آثارها ، بغداد مديرية الآثار العامة 1959 .
(113):مصطفى شاكر: موسوعة دول العالم الإسلامي و رجالها ، ط1 بيروت دار العلم للملايين1993.
(114):=========:التاريخ العربي و المؤرخون ،ط2 بيروت دار العلم للملايين 1987 .
(115):المعموري الطاهر: الغزالي و علماء المغرب ، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب 1990 .
(116):برجاميني دافيد: الكون ، ترجمة نزيه الحكيم بيروت المكتبة العلمية لايف 1971 .
(117):معروف بشار عواد: المنذري و كتابه التكملة لوفيات النقلة ، بغداد مطبعة النجف 1968.
(118):=========: ضبط النص و التعليق عليه ، بيروت مؤسسة الرسالة 1982 .
(119):معروف ناجي: تاريخ علماء المستنصرية ، ط2 بغداد مطبعة العاني 1965 .
(120):=======:عالمات بغداديات ، بغداد دار الجمهورية 1387هـ/1967م .
(121):=======: حياة إقبال الشرابي ، ط1 بغداد مطبعة الإرشاد 1966 .
(122):المنجد صلاح الدين: معجم المؤرخين الدمشقيين و آثارهم المخطوطة و المطبوعة ، ط1 بيروت
دار الكتاب الجديد 1978 .
(123):المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم:الآثار الإسلامية في الوطن العربي ، تونس 1985 .
(124):معهد الاستشراق بموسكو: دراسات في تاريخ الثقافة العربية ، موسكو دار التقدم 1989 .
(125):المهدي عبد الجليل حسن:الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى في العصر الأيوبي و المملوكي ، ط1 الأردن مكتبة الأقصى 1980 .
(126):موافي عثمان: منهج النقد التاريخي الإسلامي و المنهج الاوربي ، الاسكندرية مؤسسة الثقافة
الجامعية 1976 .
(127): جلال محمد موسى: نشأة الأشعرية و تطوّرها ، ط1 بيروت دار الكتاب اللبناني 1975 .

(128): النبهاني يوسف بن إسماعيل : جامع كرامات الأولياء ، حققه عطوة إبراهيم عوض ،بيروت دار
الثقافة 1991 .
(129): النشار علي سامي: منهج البحث عند مفكري الإسلام ، بيروت دار النهضة العربية 1984
(130):==========: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، ط2 القاهرة دار المعارف 1956 .
(131): هراس خليل محمد : باعث النهضة الإسلامية الحديثة : ابن تيمية ، بيروت دار الكتب
العلمية 1404هـ/1984م .
(132): الهلالي سليم: صفحات مطوية من حياة سلطان العلماء العز بن عبد السلام ، ط1
الجزائر دار ابن تيمية 1410هـ/1990م .
(133): الولي طه : المساجد في الإسلام ، ط1 بيروت دار العلم للملايين 1409هـ/1989م .
(134): يعقوبي محمود: ابن تيمية و المنطق الآرسطي ، الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية د ت .

الدوريات:

(01): ابن منبع عبد الله : ((كتاب المغني لابن قدامة)) مجلة الدارة ، الرياض العدد الثاني السنة الثانية
جمادي الثاني 1379هـ/1977م .
(02): بدري فهد : ((من كبار المؤرخين البغداديين في القرن 7هـ/13م ابن الدبيثي))، مجلة المورد بغداد، ، مج 3 ج 3 1394هـ/1974م .
(03): البناني سعد بن محمد : ((جهود ابن قدامة في خدمة العقيدة)) ، مجلة عالم الكتب الرياض مج
15 العدد 3 1414هـ/1994م .
(04): زيتون محمد : ((العلاقات الثقافية بين القيروان و مراكز الفكر في المشرق في منصف القرن 4هـ)) مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام ابن سعود الإسلامية الرياض ج1 1977 .

(05): سركيس يعقوب: ((ابن الجوزي وابنه و حفيده : مؤلف مناقب بغداد)) ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، ج 8 سنة 1346هـ/1928م .
(06): الشطي جميل : ((ذيل على طبقات الحنابلة)) ، مجلة المقتبس ، دمشق مج 6 سنة1329 هـ /1911 .
(07): الطباخ محمد راغب : ((المدرسة المستنصرية)) مجلة المجمع العربي بدمشق ، مج 4 السنة الرابعة
1342هـ/1924م .
(08): ========: ((مناقب بغداد هو لابن الجوزي المتوفى سنة 597هـ)) مجلة المجمع العلمي
العربي بدمشق ، ج 9 سنة 1346هـ/1928م .
(09): صالح عبد المحسن: ((قزم يقترب و مذنبات تندفع و حياة تنقرض)) مجلة الدوحة عدد فبراير
1985 .
(10): علوان محمد باقر : ((المستدرك على مؤلفات ابن الجوزي)) ، مجلة المورد بغداد مج1 ج 1-2 سنة 1391هـ/1971م .
(11):مقدسي جورج : ((مؤسسات العلم ببغداد)) ترجمه إحسان عباس ، مجلة الأبحاث بيروت مج
14 ج 3 سنة 1961 .
(12):========: ((رعاة العلم في بغداد في القرن الخامس الهجري)) ترجمه إحسان عباس مجلة
الأبحاث بيروت مج 14 ج 4 سنة 1961 .
(13): مطر احمد فهيم : ((ابن الجوزي و منهجه في التفسير)) ، مجلة البحوث الإسلامية الرياض
31 سنة 1411هـ .
(14): المنجد صلاح الدين : ((إجازات السماع ،)) ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية ، مج 1 ج 2 سنة 1375هـ/1955م .
(15):=========: ((المؤرخون الدمشقيون و لآثارهم المخطوطة)) ، مجلة معهد المخطوطات . العربية جامعة الدول العربية ، مج 2 ج 1-2 سنة 1375هـ/1856م .

الأطالس :

(01): عبد المنعم ماجد ، و علي البنا : الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي ، ط2 د م ن دار الفكر العربي د ت .
(02):نخبة من الباحثين : أطلس العالم الصحيح ، بيروت دار مكتبة الحياة 1985 .

أعمال غير منشورة :

(01): ابن زروق نصر الدين : جواب خطي ، عن أسئلة و جهتا إليه ، 2000 .

المراجع الأجنبية :

الكتب:

(01): Bougamra Mohamed : L enseignnmement de la langue et de la litterature arabes . a la nizamiya de bagdad , Tunis , Uniyersite de tunis 1983 .
(02): Dumarcay jacques : Damas , Bagdad capitales et terres des califes , Beyrouth . Dar el machreq .
(03): Laoust Henri : Le Hanbalisme sous Les mamlouks bahrids , Paris Librairie, . orientaliste Paul geutner , 1960 .
(04): =============: Les schismes Dans L islam ., Paris Payot 1977 .
(05):============:Le Precis d ibn qudama ,beyrouth ,Imprimerie catholique 1950 .
(06): ==========:La Profission de Foi d ibn batta Damas Institut Francais 1958.
(07): ==========: Le Traite du droit public , Alger ENAG 1990 .
(08):===========: Les Premieres profissions de foi hanbalites , Damas Institut, . Francais 1957 .
(09): Laugier S D E : Khwadja Abdullah el anssari , beyrouth Imprimerie catholique .
(10):Makdisi George : Ibn Aqil et la resurgence de L islam traditionaliste , Damas, . Institut Francais 1963 .

الدوريات :

(01): Laoust Henri: ((Le Hanbalisme sous le califa de bagdad)) R E I Paris Tome 1, 1959.
(02): Makdisi George: ((L islam Hanbalisant)) R E I paris Tome 2 1974 et Tome 1 1975.
(03): Sourdel Dominique : ((Deux documents relatifS a la comunute hanbalite de damas)) B E O Damas Tome 25 1972 .

الموسوعات :

(01): Encyclopedie de L islam , Nouvelle Edition , Paris Larose 1990 .

....

فهرس المحتويات

مصنفات للمؤلف :

1- صفحات من تاريخ أهل السنة و الجماعة في بغداد .
2-الداروينية في ميزان الإسلام و العلم .
3- قضية التحكيم في موقعة صفين – دراسة وفق منهج علم الجرح و التعديل
4- الثورة على سيدنا عثمان بن عفان – دراسة وفق منهج علم الجرح و التعديل-
5-مدرسة الكذابين في رواية التاريخ الإسلامي و تدوينه .
6- الصحابة المعتزلون للفتنة الكبرى – دراسة وفق منهج أهل الجرح و التعديل
7- الأزمة العقيدية بين الأشاعرة و أهل الحديث .
8- أخطاء المؤرخ عبد الرحمن ابن خلدون في كتابه المقدمة
9- الأخطاء التاريخية و المنهجية في مؤلفات محمد عابد الجابري و محمد أركون
10-أباطيل و خرافات حول القرآن الكريم و النبي محمد-عليه الصلاة و السلام- - دراسة نقدية لدحض أباطيل الجابري ،و خرافات هشام جعيط-
11- نقد فكر الفيلسوف ابن رشد الحفيد –على ضوء الشرع و العقل و العلم –
12- التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي- خلال العصر الإسلامي-
13- بحوث حول الخلافة و الفتنة الكبرى-وفق منهج علم الجرح و التعديل- .
14- مقاومة أهل السنة للفلسفة اليونانية .
15- وقفات مع أدعياء العقلانية - قراءة نقدية لفكر حسن حنفي ، و نصر حامد أبي زيد ، و هشام جعيط ، و أمثالهم- .
16- تناقض الروايات السنية و الشيعية حول تاريخ صدر الإسلام- مظاهره و آثاره ، أسبابه و منهج تحقيقه- .
17- جنايات أرسطو في حق العقل و العلم .
18- مخالفة الفلاسفة المسلمين لطبيعيات القرآن الكريم .
19- منهج أهل الحديث في الرد على المتكلمين-أُسسه و تطبيقاته-
20- قضايا تاريخية و فكرية من تاريخنا الإسلامي .
21- تهافت ابن رشد في كتابه تهافت التهافت - - مظاهره ، آثاره ، أسبابه –